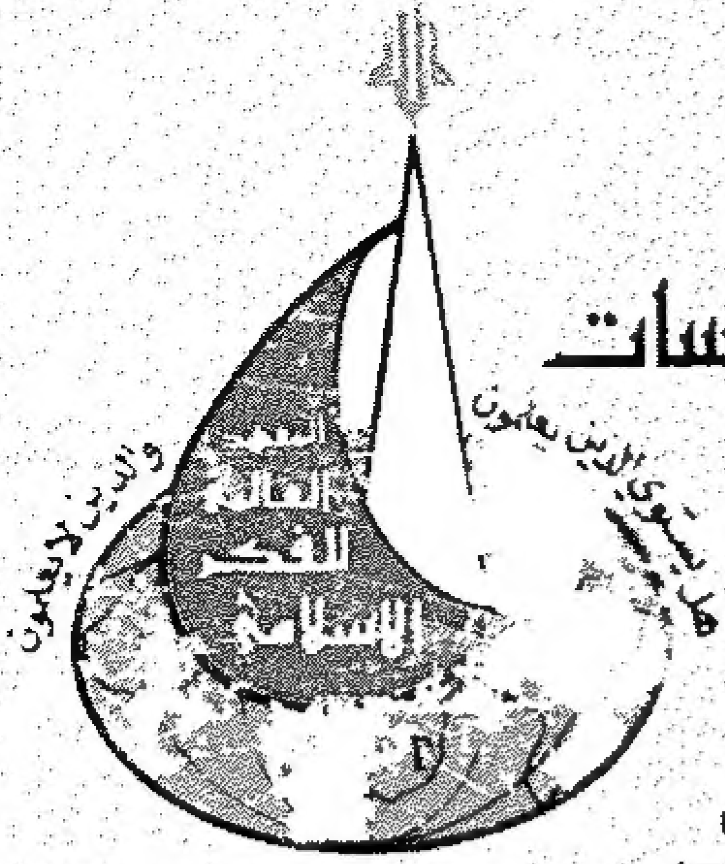
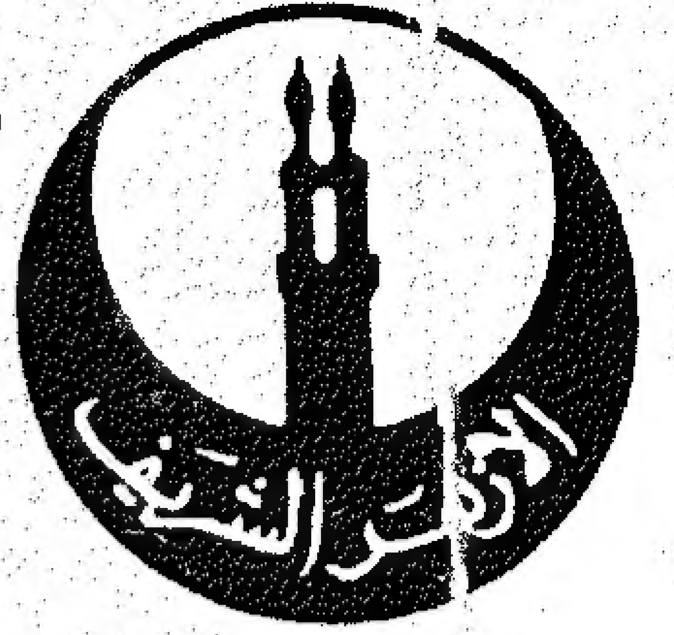




الأزهر الشريف
مركز صالح عبد الله كامل للأبحاث والدراسات
التجارية الإسلامية
و
المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أبحاث ندوة
الخدمة الاجتماعية في الإسلام

القاهرة ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١

المشاركون

إبراهيم عبد الرحمن رجب — أحمد يوسف بشير
رشاد أحمد عبد اللطيف — زين العابدين محمد
زينب عطية محمد — عفاف إبراهيم الدباغ
على حسين زيدان — محمد أحمد عبد الهادى
محمد سلامة غبارى — مصطفى أحمد حسان
يحيى بسيونى مصطفى

تقديم

على جمعة محمد

المشاركون *

- د. إبراهيم عبد الرحمن رجب: أستاذ ورئيس قسم الخدمة الاجتماعية، جامعة الإمام "محمد بن سعود الإسلامية بالرياض" والأستاذ بكلية معارف الوحى والعلوم الانسانية بالجامعة الإسلامية بماليزيا .
- د. أحمد يوسف بشير: أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
- د. رشاد أحمد عبد اللطيف: أستاذ مساعد، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان
- د. زين العابدين محمد رجب: أستاذ مساعد، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان
- أ. زينب عطية محمد: باحثة فى الخدمة الاجتماعية .
- د. عفاف إبراهيم الدباغ: مدرس بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية للبنات، الرياض .
- د. على حسين زيدان: أستاذ مساعد، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان
- د. محمد أحمد عبد الهادى: أستاذ بكلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . والمعهد العالى للخدمة الاجتماعية بكفر الشيخ .
- د. محمد سلامة غبارى: أستاذ مساعد خدمة الفرد، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية، جامعة الاسكندرية .
- د. مصطفى أحمد حسان: وكيل كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة القاهرة، فرع الفيوم .
- أ. يحى بسيونى مصطفى: أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

---

* رتبت الأسماء الفبائياً .

أبحاث ندوة

الخدمة الاجتماعية في الإسلام

الطبعة الأولى
(١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)

أبحاث ندوة

الخدمة الاجتماعية في الإسلام

القاهرة ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١

المشاركون

إبراهيم عبد الرحمن رجب

أحمد يوسف بشير

رشاد أحمد عبد اللطيف

زين العابدين محمد

زينب عطية محمد

عفاف إبراهيم الدباغ

على حسين زيدان

محمد أحمد عبد الهادى

محمد سلامة غبارى

مصطفى أحمد حسان

يحيى بسيونى مصطفى

تقديم

على جمعة محمد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

(سلسلة قضايا الفكر الإسلامى ؛ ١٣)

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
٢٦ ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج.م.ع.

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة .

المعهد العالمى للفكر الإسلامى - مصر .

ندوة الخدمة الاجتماعية فى الإسلام : القاهرة ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ / المعهد العالمى للفكر الإسلامى ؛ تقديم على جمعة محمد . - القاهرة : المعهد ، ١٩٩٦ .
٥٧١ ص. سم . - (سلسلة قضايا الفكر الإسلامى ؛ ١٣)
تدمك X - ٨ - ٠ - ٥٦٥٨ - ٩٧٧.
١ - الخدمة الاجتماعية　　　أ - العنوان .
ب - (السلسلة)

رقم التصنيف ٣٦١
رقم الإيداع ٩٤٨٧ / ١٩٩٦

المحتويات

الموضوع — الصفحة

تقديم : بقلم أ. د. على جمعة محمد ٧

المحور الأول : التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ٩

- أزمة المنهج في العلوم الاجتماعية : أصل المشكلة وأبعاد الأزمة ١١

د. ابراهيم عبد الرحمن رجب

- مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية مع اهتمام خاص بمهن المساعدة الإنسانية ٧٣

د. ابراهيم عبد الرحمن رجب

- المنظور الإسلامى للطبيعة الإنسانية ١٠٩

د. عفاف بنت ابراهيم بن الدباغ

- المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية ١٤١

د. محمد سلامة غبارى

- الرعاية الاجتماعية فى الإسلام ١٩٦

د. مصطفى أحمد محمد حسان

- الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج : دليل الملاحظة كنموذج للتعرف على شخصية الطفل المسلم ٢٢١

د. زين العابدين محمد رجب

- نحو مكنز إسلامى للخدمة الاجتماعية ٢٤٩

أ. زينب عطية محمد

- مدخل جديد في علم الترويح من خلال النظرة الإسلامية ٢٦٧

أ. يحيى بسيونى مصطفى

المحور الثاني : مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنظور الإسلامى ٢٩٣
أ . يحيى بسيونى مصطفى
– المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية ٢٩٥
د . عفاف بنت ابراهيم بن الدباغ
– العلاج الإسلامى للحالات الفردية ٣٢٧
د. محمد سلامة غبارى
– الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامى ٣٨١
د . أحمد يوسف بشير
– الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ٤١٥
د . محمد أحمد عبد الهادى
– المدخل الوقائى للخدمة الاجتماعية فى رعاية الطفل إسلاميا ٤٣٧
د . زين العابدين محمد رجب
– تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتنقى الإسلام حديثا ٤٨١
د . رشاد أحمد عبد اللطيف
– المعاونة المهنية من الخدمة الاجتماعية لإحدى مؤسسات العمل : دراسة حالة ٤٩٩
د . على حسين زيدان
– دور الخدمة الاجتماعية فى العمل مع المنحرفين : منظور إسلامى ٥٢١
د . على حسين زيدان

تقديم

نقدم فى هذا الكتاب ندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية الأولى التى عقدها المعهد العالمى للفكر الإسلامى مكتب القاهرة (تحت عنوان الخدمة الاجتماعية فى الإسلام والتى انعقدت فى القاهرة فى الفترة من ١١/٨/١٩٩١ إلى ١٣/٨/١٩٩١ ، وشارك فيها كوكبة من خيرة المتخصصين علماً وعملاً فى مجال الخدمة الاجتماعية من مصر وخارجها وقدم إليها ستة عشر بحثا من البحوث المحكمة والتى عالجت فى مجملها النواحى المختلفة لهذا المجال العلمى الهام . وكانت تلك الندوة بداية ندوات تالية واستمر العطاء فيها بأساليب مختلفة أثرت ذلك الجانب من جوانب علم الخدمة الاجتماعية وهو التأصيل الإسلامى لذلك العلم . وهو الأمر الذى نسعى إلى أن يشيع فى العلوم الاجتماعية والانسانية المختلفة .

إن فكرة التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية والانسانية عامة تتمثل فى بناء الإطار المرجعى والرؤية الكلية للإنسان والكون والحياة والذى يحكم ويحدد ويقوم ويكون منطلقاً فى آن واحد لمناهج ومسائل تلك العلوم وهذا البناء يحتاج إلى تحديد المواقف من قضايا المعرفة ومصادرها وأقسامها وكنهها وطبيعتها وهى التى اهتم بها علماء الكلام المسلمين عند اصطدامهم بالحضارة اليونانية وحددوا موقفهم فى نطاق الإسلام من كل المشكلات التى شغلت بال الفكر اليونانى خاصة والفكر البشرى عامة ولم يبالوا بنقاط التشابه أو الاختلاف ما داموا قد أصدروا قضاياهم وأحكامهم فى ظل إطارهم المرجعى ورؤيتهم الكلية .

وهى عملية وإن كانت تختلف عما أطلقنا عليه إسلامية المعرفة إلا أنها أسهمت فى تفصيل الدين فى الحياة العامة اليومية وقدمته للعالم باعتباره محوراً للحضارة وجعلت النص (الوحى) منه البدء وإليه الانتهاء وبه التقويم وله الخدمة وجعلت الواقع حاضراً فى المثال والمثال مطبقاً فى الواقع ولم تغيب الإنسان الذى هو ثروة هذه الحضارة تنسب إليه وتقوم بشؤونه .

أما إسلامية المعرفة فهى تلك العملية الفكرية التى تطلق للإنسان الملتزم حرية الفكر والإبداع ولا ترى التغلب سبباً لذلك الإبداع بل ترى التفكير هو السبب وتعود بالإنسان إلى مصادر معرفته الحقة التى تجعله أقرب إلى حقيقة الوحى والوجود معاً وتسعى لتحديد موقفه من الكتاب والسنة وكيفية التعامل معهما والاستفادة منهما وموقعهما من المعرفة الإنسانية ومن التراث الإسلامى والتراث الإنسانى وكيفية التعامل معهما دون

انتقاء مشوه ولا رفض ساذج ولا قبول مطلق بل بمعايير أساسية تبعد عن مناهج التلفيق والتوفيق أو مناهج التبرير والتقليد فيجعل للمسلم شخصية مستقلة بعقلية واضحة ونفسية مستقرة . ثم تضع المناهج وتدرب على المعرفة وتطبق كل ذلك فى مسائل العلوم الاجتماعية والإنسانية .

إن تلك الندوة خطوة فى الطريق ودربة للباحثين للوصول إلى هذه الخطة التى هى خطة رشد فى عالم لم يعد للتسطيح مكان فيه ولا تصلح التبعية للماضى وإساره أو للغير وبلائه لا تكون سبباً فى الرقى أو هداية الناس .

والله الموفق للصواب

د . على جمعه محمد

المستشار الأكاديمى للمعهد
العالمى للفكر الإسلامى

المحور الأول

التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية

- أزمة المنهج في العلوم الاجتماعية : أصل المشكلة وأبعاد الأزمة .
- مداخل التأصيل الإسلامى فى العلوم الاجتماعية .
- المنظور الإسلامى للطبيعة الإنسانية .
- المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية .
- الرعاية الاجتماعية فى الإسلام .
- الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج :

  دليل الملاحظة كنموذج للتعرف على شخصية الطفل المسلم .
- نحو مكنز إسلامى للخدمة الاجتماعية .
- مدخل جديد فى علم الترويح من خلال النظرة الإسلامية .

أزمة المنهج فى العلوم الإجتماعية
أصل المشكلة وأبعاد الأزمة

د. إبراهيم عبد الرحمن رجب

قد لاتكون هناك قضية أولى بالاهتمام وأجدر بالتناول الجاد من جانب المهتمين بأسلمة العلوم الاجتماعية أوبالتوجيه الاسلامى للعلوم الاجتماعية أو – ان كنت تفضل – بالتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية من قضية المنهج العلمى الذى ينبغى على الباحثين فى تلك العلوم استخدامه للتوصل إلى معارف محققة يمكن الاعتماد عليها فى بناء " النظريات العلمية " التى تتصدى لتفسير الظواهر النفسية والاجتماعية ، أو فى بناء " نظريات الممارسة " التى تستخدم لتوجيه التدخل المهنى الذى يستهدف احداث تغييرات مرغوبة فى تلك الظواهر ، فمن المسلم به أنه لا علم بغير منهج ، كما أنه لا ممارسة مهنية تستحق هذا الاسم دون قاعدة علمية تستند إليها ، ودون ضوابط منهجية تسير الممارسة وفقا لها .

وفى الواقع فان حركة " التأصيل الاسلامى للعلوم الاجتماعية – التى قد اكتسبت الآن أبعاداً ، يمكن اعتبارها ثورة علمية " حقيقية Scientific Revolution وفقا للمعايير التى وضعها مؤرخ العلم الأشهر توماس كون Thomas Kuhn –(١) هى حركة تسعى أولا وقبل كل شئ الى احلال توجه جديد Paradigm فى النظر للعلم وللمنهج العلمى للبحث محل المفهوم التقليدى الوضعى للعلم Science والمنهج العلمى Scientific Method ، خصوصا فيما يتصل بدراسة الانسان والسلوك البشرى والعلاقات والترتيبات المجتمعية ، ونتيجة لذلك فان نقد النموذج القديم وتحديد أبعاد التوجه الجديد فى النظر الى طبيعة العلم والمنهج العلمى تحتل دون جدال مكان الصدارة فى أى مناقشة لقضية التأصيل الاسلامى للعلوم الاجتماعية .

ولما كان الباحثون والممارسون فى المحيط الاجتماعى فى العالم الاسلامى قد تعرضوا طوال حياتهم العلمية – دراسة وممارسة – للمفهوم التقليدى للعلم والمنهج العلمى الذى نما فى الغرب فى أحضان الفلسفة الوضعية (٢) Positivism ومشتقاتها الوضعية Logical Positivism والامبيريقية المنطقية Logical Empiricism ،فإن الكثيرين منهم لازالوا لايستطيعون التصور بامكان العلم والمنهج العلمى فى إطار مختلف عن ذلك التصور التقليدى الذى درجوا عليه ، رغم أنه قد ظهر للكافة الآن قصوره عن التوصل إلي فهم حقيقى للانسان كما ظهر عجز وتضارب النظريات

المستمدة منه فى محاولاتها لتفسير سلوكه كفرد أو كعضو فى جماعة أو مجتمع . ولقد يبلغ تشرب الباحثين والممارسين بروح ذلك المنظور التقليدى حدا يظنون معه أحيانا أن مجرد مناقشته ونقده يعتبر نوعا من الهرطقة العلمية التى لاتجوز فى حق هذا المنتج الانسانى العظيم الذى كان السبب وراء التقدم التقنى (التكنولوجى) الذى يجنى العالم ثماره (وأضراره ؟) اليوم .

ومن هنا قد نلمس لدى بعض الباحثين أو الممارسين شيئا من المقاومة أو التردد أو التحفظ على فكرة التأصيل الاسلامى للعلوم الاجتماعية ، لأنهم يفترضون أن المنهج العلمى التقليدى الذى نجح فى العلوم الطبيعية نجاحا باهرا والذى يقوم على استقراء الظواهر الجزئية " المحسوسة " وصولا إلى تعميمات تصدق فى كل زمان ومكان (حسب التصور الشائع) بعد ثبوت مطابقتها للواقع الامبيريقى (المحسوس) - يفترضون أو يكادون أن هذا هو النموذج الأمثل الذى لايمكن أن يطرأ عليه التعديل أو التغيير حتى يرث الله الأرض ومن عليها بعد ما ثبت للعام والخاص من كفاءته ، وأن العلم الحديث لايجوز أن يخضع لإعادة النظر أو التقويم ، وممن ؟ من جانب الباحثين والممارسين فى العالم الإسلامى الذى لم يقدم فى عدة القرون الفائتة اسهامات علمية بارزة تؤهله لأن يكون مصدرا لأى دعوة إلى إعادة النظر فى المنهج أو النظرية . ويفوت أصحاب هذه التصورات أن يدركوا الحقائق الآتية : -

(١) أن البحث العلمى إنما هو مجرد نشاط انسانى متأثر فى نشأته وتطوره وفى صورته الحالية - كغيره من الأنشطة الإنسانية الأخرى - بالظروف التاريخية والاختيارات الثقافية والقيمية التى تحكم المجتمعات الغربية التي تبلور فيها حتى وصلنا فى صورته الحالية ، وأنه بهذا يحتمل ظهور توجهات أخرى منبثقة من نظرات أخرى للكون والحياة ودور الانسان فيهما تختلف عن تلك التى سادت فى الحضارة الغربية حتى الآن . . . نظرات قد تتطلب ادخال تعديلات جوهرية على تلك النظرة التقليدية خصوصا عند التعرض بالدراسة للظواهر الانسانية .

(٢) أن نظريات العلوم السلوكية والاجتماعية ، التى تبلورت فى اطار المنهج العلمى التقليدى المستمد من الفلسفات المادية والوضعية التى تسود الفكر فى المجتمعات الغربية قد سارت فى طريق مسدود ولم تستطع تجاوزه فى محاولاتها للتوصل إلى فهم واقعى للنفس الانسانية والسلوك الفردى والاجتماعى والنظم والترتيبات المجتمعية يشهد بذلك ما تعانيه تلك المجتمعات المتقدمة ذاتها من مآسى انسانية ومشكلات اجتماعية عميقة يبدو الأمل فى حلها من خلال المنظور السائد ، وهذا يعطى قدرا

كبيرا من المصداقية لقول من قالوا بوجود انحياز خطير فى النظرة التقليدية الغربية للعلم والمنهج العلمى ، يتمثل فى الاقتصار على دراسة ما يمكن مشاهدته باستخدام الحواس ، واغفال أى معارف ذات مصدر غير بشرى وأن هذا التجاهل للمعارف المتنزل بها الوحى هو السبب الأساسى فى ذلك القصور والعجز الذى تعانى منه العلوم الاجتماعية، وأنه لن يمكن التوصل إلى فهم حقيقى متكامل للانسان إلا بالرجوع إلى ما علمه اياه خالقه .

(٣) أن النجاحات التى حققها المنهج العلمى التقليدى قد كانت أساسا فى محيط العلوم الطبيعية ، وأن المادة المدروسة Subject - Matter أو الظواهر التى تنصب عليها الدراسة فى العلوم الاجتماعية تختلف عنها فى العلوم الطبيعية ، ولقد كان هذا يتطلب إعادة نظر جذرية منذ زمن بعيد فى الافتراضات الضمنية التى قام عليها المنهج فى العلوم الطبيعية حتى يصبح ملازماً للدراسات الاجتماعية -لولا الأمل المفرط فى امكانية تحقيق نفس النوع من الفاعلية والنجاح الذى حققته تلك العلوم من جهة ، ولولا الحرص على إظهار العلوم الاجتماعية بمظهر العلوم المنضبطة Exact Sciences لتحقيق نفس المكانة العلمية الرفيعة لتلك العلوم للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية من جهة أخرى .

(٤) لقد كان المسلمون أصحاب الريادة فى ظهور المنهج العلمى التجريبى فى دراسة الظواهر الطبيعية فى الماضى ، وكانوا من أهم أسباب استنقاذ الحضارة الغربية من ضيق الدائرة المغلقة للقياس الصورى الأرسطى العقيم إلى سعة الاستقراء القائم على المشاهدة والتحقق باستخدام الحواس ، وليس بمستبعد على المسلمين أن يقوموا مرة أخرى – مستندين إلى ما حباهم الله به من علوم الوحى – بتصحيح مسار الفكر والعلم الانسانى فى محيط دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية ليعود بعد طول حيرة إلى الطريق الصحيح بعد أن توقف عطاء المسلمين لأسباب وعوامل وظروف لاتخفى(ليس هذا مجال تفصيلها) لعدة قرون .

(٥) أن التأصيل الاسلامى للعلوم الاجتماعية ومناهجها لايعنى تجاهل ما ثبت صدقه من حقائق علمية Facts وتعميمات امبيريقية ، كما لا يعنى التفريط فى المناهج والأدوات الصحيحة التى استخدمت فى التوصل إليها ، ولكنه يعنى " استكمال " ما ثبت من نقص فيها سواء من حيث التوجه العام للدراسات والبحوث فى المجال الاجتماعى أو من حيث أنواع الظواهر التى تخضع للدراسة . بما يعيد العلوم الاجتماعية عامة إلى جادة الطريق وما يزيد من فاعليتها فى فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية من جهة ، وبما يمهد الطريق من جهة أخرى أمام الممارسين العاملين فى مجالات الخدمة الاجتماعية وغيرها من مهن المساعدة الانسانية

Helping Professions لبناء ممارساتهم على ما يصلح لمجتمعاتهم (بل ويصلح لكل الناس لو كانوا يعلمون !) من قاعدة علمية صحيحة غير مبتورة أو مختزلة .

وسنتعرض فى هذه الدراسة تفصيلا للقضايا التى أجملناها فى النقاط السابقة . حيث نحاول فى الجزء الأول استجلاء الأصول التاريخية والثقافية للمنهج العلمى بصورته الراهنة ، مع بيان جوانب القصور فى المنهج العلمى التقليدى المستخدم الآن في دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية ، ثم توضيح ما يتعين عمله لمواجهة ذلك القصور ، وننتقل فى الجزء الثانى من الدراسة إلى توصيف للمنهج العلمى لدراسة الظواهرالنفسية والاجتماعية من منظور الإسلام الذى نرى أنه هو السبيل لإنقاذ العلوم الاجتماعية من أزمتها الراهنة ، حيث نشرح الأبعاد التفصيلية للكيفية التى يتم من خلالها إيجاد التكامل الصحيح بين ما هو مستمد من الوحى وما هو مستمد من المشاهدات الامبيريقية .

ونود أن نوضح هنا أن هذه الدراسة وإن كانت تركز على العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية كما جاء فى عنوان الدراسة الا أننا أكثر اهتماما فيما يتصل " بالعلوم الاجتماعية " أو " السلوكية " على نطاق اهتمام علم النفس وعلم الاجتماع بصفة أساسية ، كما أننا أكثر اهتماما فيما يتصل " بمهن المساعدة الانسانية " بالعلاج النفسى وبصفة أخص بالخدمة الاجتماعية ، ومرجع هذا الاهتمام يكمن فى أن تلك " العلوم " تتعرض أساسا لذلك المدى من الظواهر الذى ينصب تدخل مهنة الخدمة الاجتماعية عليه بهدف احداث تغييرات مرغوبة فيه ، انطلاقا من النسق القيمى للمهنة ذاتها من جهة ، وللمجتمعات التى تمارس فيها المهنة من جهة أخرى . واذاً فإننا نود أن يكون مفهوما أن الخدمة الاجتماعية إذ تعتمد في قاعدتها المعرفية Knowledg Base [٣] على نتائج تلك " العلوم " (وعلى غيرها من العلوم الاجتماعية) لتدرك أن فاعليتها فى تحقيق أهدافها المهنية تعتمد إلى حد كبير على درجة صدق تلك العلوم وأصالتها ، ليس فقط فى وصف وتفسير الظواهر النفسية والاجتماعية التى تخصصت فى البحث فيها ، وإنما أساسا على درجة عمق " فهمها وفقهها " لتلك الظواهر ، ومن هنا نشأ اهتمامنا بالتعرض لقضايا العلم الاجتماعى ومناهجه . ومن جهة أخرى فلقد أثرت تلك العلوم بتوجهاتها ومناهجها على ادراك الممارسين لمهنة المساعدة الانسانية وخصوصا مهنة الخدمة الاجتماعية لحقيقة مكان وطبيعة القاعدة القيمية Value Base للمهنة، ذلك أنه على الرغم من وضوح الفرق بين علم النفس أو علم الاجتماع اللذين ينتميان إلى جنس العلم Science من جهة وبين الخدمة الاجتماعية التى تنتمى إلى جنس التقنية Technology من جهة أخرى على الوجه الذى بينه تفصيلا منذ فترة من الوقت ايرنست جرينوود [٤] ، ذلك الفرق الذى تترتب

عليه اختلافات جوهرية فى نظرة كل منهما للقيم ولدرجة التأثربالتفضيلات المجتمعية ، إلا أننا نجد أن بعض الممارسين فى بلادنا يضفون على الممارسات المهنية المستفادة من مجتمعات أخرى تختلف عن مجتمعاتنا الإسلامية فى ثقافتها وقيمها اختلافا كبيرا نوعا من العمومية أو العالمية التى يفترضها نموذج " العلم " التقليدى ، والتى هى الآن موضع تساؤل شديد ، ومن هنا فإن مناقشة القضايا المتصلة بالعلم والقيم والأطر الثقافية تكون ذات أهمية خاصة للوصول إلى درجة أكثر من الوضوح فيما يتصل بفلسفة الخدمة الاجتماعية فى المجتمعات الإسلامية .

ولقد يكون من الملائم هنا أن نشير إلى أننا نستخدم اصطلاح " العلوم الاجتماعية " فى هذا البحث لنشير به إلى ما يطلق عليه أحيانا العلوم السلوكية أو " العلوم الانسانية " بدرجات مختلفة من التداخل بينهما على ما هو معروف من خلاف فى الكتابات العلمية حول هذه الموضوعات (٥). ولكن تركيزنا سيكون منصبا بصفة أساسية كما ذكرنا على علم النفس وعلم الاجتماع لما لتلك العلوم من أهمية خاصة باعتبار أنها تقدم " القاعدة العلمية " التى تستند إليها مهن المساعدة الانسانية وخصوصا الخدمة الاجتماعية .

وأخيرا فلقد آثرت استخدام تعبير " من وجهة نظر إسلامية " فى العنوان بدلا من العبارة الأصلية " من منظور الإسلام " التى كنت أراها أكثر وضوحا فى التعبير عن اتجاه الدراسة ، ولكننى تجنبته لما قد يوحى به من ادعاء بأن الاتجاه الذى سلكه كاتب هذه السطور هو المنظور " الوحيد " المنطلق من تراث الإسلام ؛ ولكننى على يقين بأن السنوات القليلة القادمة ستشهد - بفضل الله سبحانه وتعالى - تحولا من التركيز على الألفاظ إلى التركيز على " المفهوم " مما تنتفى معه أشكال الحساسية أو التحرج ، ويكون الحكم فيه للمحتوى أكثر من التوقف عند الألفاظ .

المبحث الأول : مفهوم العلم والمنهج العلمي

جاء فى لسان العرب أن " العلم " نقيض الجهل ، وأن العلم هو المعرفة (٦) ، أما الجرجانى فقد ذكر فى كتاب التعريفات(٧) أن العلم هو " الاعتقاد الجازم المطابق للواقع " وأضاف أنه " قيل : العلم وصول النفس إلى معنى الشئ " ، وقد عرف الراغب الاصفهانى (٨) العلم بأنه " ادراك الشئ بحقيقته " ، كما عقد مقارنة بينه وبين " الحكمة " التى ذكر أنها " اسم لكل علم حسن وعمل صالح . . بالعمل فيما هو غاية المراد من الانسان " ، ويضيف الزرنرجى (٩) أنه " انما شُرف العلم لكونه وسَيلة إلى

البر والتقوى الذى به يستحق الكرامة عند الله تعالى والسعادة الأبدية " كما ينقل عن أبى حنيفة النعمان قوله : " ما العلم الا للعمل به ، والعمل به ترك العاجل للآجل " . هذا هو مفهوم العلم عند المسلمين ونلاحظ أنه يتضمن العناصر الآتية :

١ - السعى " المخلص الجاد " للوصول إلى الحقيقة بمعناها الشامل لكل ما فى الوجود أو ما وراء الوجود (أو المعارف الناتجة عن ذلك السعى) . . اخلاصا نتصور معه أن الباحث المسلم يسعى للوصول إلى مايشبه الاتحاد أو الاقتراب الوثيق بين ذاته العارفة وبين موضوع بحثه .

٢ - الهدف من هذا السعى هو " العمل " بمقتضى المعرفة " المطابقة للواقع " (فى قول الجرجانى) لتحقيق الرسالة التى من أجلها خلق الانسان ألا وهى الوصول إلى إرضاء الخالق سبحانه ، وتحقيق السعادة فى الحياة الآخرة مع الاستفادة بالنتائج الحسنة للعلم فى تدبير شئون الحياة الدنيا بطبيعة الحال ، ولكن على الوجه الذى يرضى الله سبحانه وتعالى أيضا .

فإذا انتقلنا من نظرة المسلمين للعلم لكى نستطلع تصور الحضارة الغربية له - أو بشكل أكثر دقة . . . إذا تفحصنا نموذج العلم " كما بلورته الحضارة الأوربية الحديثة " على حد تعبيرجيروم رافيتز[١٠] ، وهو النموذج السائد فى عالمنا اليوم فاننا سوف نلاحظ أن العلم Science قد أصبح ينظر إليه من زاوية أكثر تحديدا - أو على الأصح أكثر محدودية - بكثير عن الصورة التى وجدناها عند المسلمين .

لقد اختار الدكتور عبد الباسط حسن - بعد أن استعرض عددا من التعريفات المستخدمة فى الكتابات الغربية - التعريف التالى للعلم [١١] : " العلم هو المعرفة المصنفة التى تم التوصل إليها باتباع قواعد المنهج العلمى الصحيح مصاغة فى قوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة " ثم أكد على أن العلم " منهج " أكثر مما هو مادة للبحث ، وأوضح أن العلم يقوم على الاستقراء Induction الذى يعتمد على الملاحظة ووضع الفروض واجراء التجارب للتحقق من صحة الفروض وصولا إلى القوانين والنظريات العامة ، مؤكدا فى موضع آخرأن العلم " لا يستمد حقائقه إلا من الملاحظة الحسية المباشرة " .

أما عن المنهج العلمى Scientific Method فإننا نجد أن قاموس وبستر [١٢] يعرفه بشكل يتفق إلى حد كبير مع *التعريف السابق* " للاستقراء " حيث يقرر أنه " منهج للبحث يتمثل فى تحديد المشكلة وجمع البيانات ووضع الفروض والتحقق الامبيريقى Empirical من صحتها " .

أما القاموس الحديث لعلم الاجتماع فيعرف المنهج العلمي بأنه " عملية يتم فى اطارها بناء كيان من المعرفة العلمية من خلال الملاحظة والتجريب والتعميم والتحقق ... وهو مبنى على افتراض أن المعرفة العلمية لابد أن تكون مبنية على الخبرات المدركة عن طريق الحواس ، وأن أى عبارة تتصل بالظواهر الطبيعية لايمكن قبولها على أنها صحيحة أو ذات معنى إلا إذا كان يمكن التحقيق من صدقها امبيريقيا ، . . ولكن بالرغم من أن المنهج العلمي يعتمد على جمع الحقائق الامبيريقية (المستمدة من المدركات الحسية) فإنه يتجاوز ذلك ، فالحقائق وحدها لاتكون علما وحتى يكون لها أى معنى فلابد من ترتيبها بطريقة ما وتحليلها وإصدار التعميمات المنطلقة منها وربطها بالحقائق الأخرى ، ومن هنا فإن بناء النظريات يعتبر أحد المكونات الحيوية للمنهج العلمي ، فالإطار النظرى يمدنا بالوسائل اللازمة لتنظيم الملاحظات الإمبيريقية وتفسيرها وربطها بما توصل إليه الباحثون من قبل من نتائج " .

وبمقارنة هذا المفهوم الأوروبى الحديث بالمفهوم الإسلامى للعلم فإننا نلاحظ بوضوح أن المفهوم الحديث قد قلص بشكل كبير من مهام العلم وهويته سواء من حيث موضوعات الدراسة أو من حيث المنهج ، فلقد أصبح العلم مقتصرا على دراسة ما يعرف بالواقع المحسوس أو الإمبيريقى Empircal Reality أى الظواهر التى يمكن مشاهدتها بالحواس ، أما عن المنهج فإنه يركز بصفة أساسية على الاستقراء الذى يبدأ من الحالات " الجزئية " توصلا إلى القوانين العامة .

ومعنى ذلك أن موضوعات الدراسة التى تتصل بالقطاعات الأخرى من الظواهر التى تخرج عن نطاق المشاهدة الحسية أو تلك التى تتصل بعالم التفضيلات والقيم – مهما كانت أهميتها لحياة الناس أو سعادتهم – مستبعدة عند علماء العصر الحديث من نطاق الدراسة " العلمية " ، وكأن عالم المحسوسات وحده هو الذى له وجود حقيقى ، أو على الأقل وكأن عالم المحسوسات لا يتأثر إطلاقا بما وراء الحس (كالروح مثلا) ، أما بالنسبة لمناهج البحث ومصادر المعرفة فإننا نجد أنه قد تم إستبعاد الوحى إستبعاداً تاما كمصدر للمعرفة ، وبطبيعة الحال فقد ترتب على هذه الاختيارات المحددة نتائج هامة تتمثل أساسا فى التقدم العظيم " للعلوم الطبيعية " التى تتعرض لدراسة ظواهر محسوسة ، وفى التخلف الذريع فى محيط العلوم السلوكية أو الإجتماعية التى تتعرض بطبيعتها لعالم الإنسان ككائن حى عاقل ذى وعى Conscio-ness بذاته وبما حوله مما لا يدرك مباشرة بالحواس .

ولنا أن نتساءل الآن عن الأسباب والظروف التى أدت إلى صياغة العلم الحديث على هذا الوجه الخاص جدا ، وأن نحاول أن نتبين ما إذا كان هذا النموذج التقليدى للعلم

هو النموذج النهائى الناضج الذى يستطيع حقا أن يوصلنا إلى معرفة متكاملة ومحققة بالإنسان والمجتمع البشرى ، أو أنه مجرد شكل من الأشكال الممكنة للبحث عن الحقيقة نشأت استجابة لظروف مكانية وزمانية خاصة جدا ، مما يترتب عليه الجزم بأن خروج العلوم الإجتماعية من ورطتها الحالية يتطلب ما يمكن اعتباره " ثورة علمية " فى المنهج العلمى المستخدم لدراسة الظواهر الإنسانية – على الأقل من المنظور الإسلامى .

إننا لن نجيب عن تلك الأسئلة بتأكيدات أو مزاعم من عندنا ، ولكننا سنتوقف عند ما قاله الثقات المختصون في تاريخ العلم وفلسفة العلم الحديث ممن ينتمون هم أنفسهم إلى التيار السائد فى الحضارة الغربية المعاصرة والذين بدأت تتكشف أمامهم بعض الحقائق التى تستند إليها هذه الدراسة .

المبحث الثانى : الأصول التاريخية والثقافية للمنهج العلمي الحديث

تقول دائرة المعارف البريطانية فى المقال المتخصص الذى أوردته حول (١٤) موضوع تاريخ العلم " والذى يستعرض فيه مؤلفه أحدث ما توصل إليه الباحثون فى هذا الموضوع:

" أن مؤرخى العلم كانوا حتي وقت قريب ينظرون لتاريخ العلم على أنه سلسلة متصلة ومتراكمة من الانتصارات العظيمة التى حققتها المعرفة ضد الجهل والخرافة ، وأنه قد ترتب على التطبيق العملى لتلك الانتصارات إثراء كبير فى حياة البشرية ، ثم يعود المؤلف بعد ذلك ليقرر أن مؤرخى العلم الآن يعيدون النظر فى هذا التصور المبسط القديم فى ضوء ما تكشف لهم أخيرا من أن العلم يواجه مشكلات أخلاقية (أدبية) فى داخله ، ثم أن هناك أيضا المخاطر المترتبة على التغير التكنولوجى الذى لا ضابط له " .

ويقرر جيروم رافيتز مؤلف المقال أن مؤرخ العلم سرعان ما يتبين له أن فكرة "العلم" بالصورة التى تعلمها خلال دراسته ليست إلا واحدة فقط من بين عدد من " التصورات الممكنة " للعلم ، وأن هذه الصورة التى نعرفها ليست إلا نتاجا لظروف مؤقتة (أو عارضة) ، وإن المؤرخ كلما ازداد تعمقه فى دراسة جذور العلم الأوربى الحديث كلما ازدادت الصعوبات التى تواجهه عندما يحاول الفصل بين ما يعتبر اتجاهات علمية ونتائج محققة واقعيا من جانب وبين ما يبدو له غير علمى وغير محقق من جانب آخر، وينتهى من ذلك إلى القول بأننا ينبغى أن ننظر إلى علمنا (الحديث) على أنه أحد مراحل علمية مستمرة من التطور.

وسنحاول فى هذا المبحث أن نتتبع مع رافيتز وغيره ممن كتبوا حول هذه القضية الحيوية من علماء الحضارة الغربية أنفسهم للتحولات والمراحل التى مر بها العلم منذ كان جنينا فى رحم الفلسفة إلى أن وصل إلى صورته الفتية الحالية ، مبينين الظروف التي أحاطت بتلك التحولات ، حتى يتبين للباحث المسلم حقيقة المنهج العلمى المعاصر وأنه ليس بذلك المنتج النهائى الصادق بذاته الذى لا يحتمل التعديل ولا يخضع للنقد ، بل يتضح له أنه إسهام " بشرى " بكل ما يحتمله هذا التعبير من عظمة وضعف فى آن واحد ! بما يسوغ لنا أن نستفيد من جوانب القوة والحق فيه ، فنحن أولى بالوقوف عند الحق من غيرنا ، وأن نقوم بأمانة النقد والإصلاح لنواحى الضعف فيه ، ونحن أولى مرة أخري من غيرنا بأن تكون لدينا الشجاعة الأدبية والرغبة فى الإصلاح دون مصلحة ذاتية ودون مراعاة للخلق - بل مراعاة فى الأمر كله لوجه الحق وما يرضى الرب سبحانه .

فإذا بدأنا رحلتنا بالعصور الوسطى فى أوربا (والتى تمتد فيما بين القرن الرابع أو الخامس الميلادى إلى القرن الثالث عشر الميلادى) فإننا لن نجد تراثا علميا يستحق الذكر إلا فى نهاية تلك الحقبة ، حيث يذكرنا جيروم رافيتز أن أوروبا ظلت سادرة حتى عام ١٠٠٠ الميلادى فيما يعرف بالعصور المظلمة Dark Ages التى كادت تكون حسب تعبيره خلوا من كل علم وفكر، إلى أن بدأ شئ من النهوض فى القرن الثانى عشر الميلادى يرجع كما ذكر إلى " الإحتكاك بالحضارة الإسلامية الأرقى فى أسبانيا وفلسطين ، وإلى نمو المدن التى تضم طبقة من الأغنياء المتعلمين " ، ويضيف بعد ذلك قوله " إن الحضارة الإسلامية تعتبر أكثر الحضارات صلة بالعلم الأوروبى ..لقد صادفت عصور إزدهار الإسلام عصر إنحطاط الثقافة الأوروبية الغربية ... ولم يبدأ القرن العاشر الميلادى حتى كانت اللغة العربية هي لغة العلماء لدى الشعوب التى تعيش فيما بين بلاد فارس وأسبانيا ، حيث جلب الغالبون العرب بصفة عامة معهم السلام والإزدهار للدول التى استوطنوها .. وقد شهد القرن الثانى عشر الميلادى برنامجا هائلا لترجمة الكتب من اللغة العربية إلي اللاتينية بدأت بكتب التنجيم والسحر ثم بكتب الطب وأخيرا بكتب الفلسفة والعلم (١٥) ، ويلاحظ هنا أنه لم يكن يوجد حتى ذلك الوقت تمايز أو فصل وضح بين الفلسفة والعلم بمعناه المستخدم اليوم.

ويوضح ألبرت ليفى فى مقاله الهام " تاريخ الفلسفة الغربية " فى دائرة المعارف البريطانية أن ترجمة المؤلفات الفلسفية والعلمية ذات الأصول اليونانية والعربية قد خلقت " انفجارا فى المعرفة " فى غرب أوربا فى تلك الفترة ، ويضرب مثلا بإبن سينا الذى يذكر أنه كان له " تأثير غير عادى على مفكرى العصر المدرسى (أواخر العصور الوسطى : القرن الثانى عشر إلى الرابع عشر الميلادى) خصوصا فى توضيحه لآراء

أرسطو الفلسفية وفى اضافاته فى محيط علم النفس والفلسفة الطبيعية (ما يعادل العلوم الطبيعية اليوم) حتى أن كتابه القانون فى الطب قد ظل حجة فى الموضوع حتى العصر الحديث ، ويبين المؤلف أن تلك الكتابات اليونانية والعربية قد كان لها تأثير مباشر على جامعة اكسفورد من خلال رئيسها روبرت جروستست Robert Geoss-teste (المتوفى عام ١٢٥٣م) الذى كان له " إهتمام عميق بالمنهج العلمى والملاحظة وإجراء التجارب " ، أما تلميذه روجر بيكون (المتوفي ١٢٩٢م) فقد ساعدت كتاباته على انتشار اصطلاح " العلوم التجريبية " (١٦) .

ولقد كان ألبرتوس ماجنوس (المتوفى ١٢٨٠م) من " أوائل من أدركوا القيمة الحقيقة للكتابات العلمية والفلسفية اليونانية والعربية التي ترجمت حديثا في تلك الفترة، حتى أنه قام بإدراج كل ما رآه ذا قيمة منه فى كتاباته الموسوعية ، كما تولى مهمة تعليمه لمعاصريه " ، أما تلميذه الأشهر القديس توماس الأكوينى (المتوفى ١٢٧٤) فإنه قد شارك أستاذه فى تقدير الفلاسفة القدماء خصوصا أرسطو وكذلك فى تقدير المفكرين العرب واليهود والأقرب عهدا " ولكنه كان أكثر أصالة وابداعا من أستاذه وكان " يرحب بالحقيقة حينما وجدها ويستخدمها لاثراء الفكر المسيحى ، فكان يرى أنه لا يمكن أن يكون هنالك تناقض بين العقل والنقل لأن لهما نفس المصدر الإلهى"، وبصفة عامة فإنه يمكن القول بأن " فلسفة العصور الوسطى قد إستمر توجهها دينيا ... حيث كانت وسيلة لإلقاء الضوء على حقائق العقيدة وأسرارها " (١٧) .

ولقد كان من نتائج بزوغ الاهتمام الكبير بفهم الطبيعة وإدراك أسرارها من جهة ، وبإستخدام النظر والمشاهدة وإجراء التجارب بدلا من مجرد الاقتصار على القياس الصورى الأرسطى من جهة أخرى ظهور ما سمى بعصر النهضة الأوربية Renais-sance (القرن ١٥ – ١٧ م) الذى تميز بثورة علمية كبرى فى مختلف ميادين العلم على أيدى أمثال ليوناردو دافنشى وكوبر نيكوس وجاليليو وكبلر وفيزاليوس وهارفى ، كما تميز بثورة موازية فى مناهج البحث العلمى والفلسفى على أيدى أمثال فرانسيس بيكون وديكارت وقد ترتب على جهود هؤلاء التوصل إلى نظرة واقعية جديدة للعلم الذى نعيش فيه إختلفت عما كانت الكنيسة تؤمن به وتفسر به آيات الإنجيل ، فبدأ صراع عنيف ومرير بين الكنيسة كمؤسسة ذات سطوة دينية وسياسية كبرى من جانب وبين العديدين من العلماء الذين توصلوا إلى نتائج مبنية علي ملاحظاتهم الحسية وتجربهم العلمية من جهة أخرى ، وقد قامت الكنيسة فى إطار ذلك الصراع بمعاقبة أولئك العلماء بشدة وعنف بالغين . وقامت محاكم التفتيش بدورها المشئوم فى التنكيل بهم بالصورة التى تحفل الكتابات التاريخية بأخبارها، واذا كان هذا التعنت والعنف البالغان اللذان أصابا رجال الفكر والعلم قد أجبرا بعضهم علي السكوت فترة أو حملا

الآخرين على إخفاء آرائهم تحسبا من نفس المصير فترة أخرى ، فإنه كان من المحتوم أن تنتصر الحقائق الواقعية الناصعة على التأكيدات الكنسية المخالفة للواقع المحسوس مهما كانت سلطة من يرجون لها ، ولقد كان الحصاد المر لهذا كله فى النهاية أن الفكر فى عصر النهضة قد اتسم بنزعة معادية للسلطة الدينية كما اتسم برغبة جامحة في الخلاص بكل طريقة ممكنة من الخضوع للقيادة الفكرية والعلمية لتلك السلطة الدينية ، ومن هنا فلم يكن هناك مفر من إعطاء إهتمام خاص لأى مصدر آخر للحقيقة يكون بديلا عن السلطة الدينية للكنيسة ، وكلما كان هذا المصدر مؤديا إلي معارف معارضة أو مناوئة لتلك السلطة كلما كان ذلك أفضل ، ولم يكن هناك أفضل من التركيز عل " الخبرة " الإنسانية وإستخدام " الحواس " كأساس للمعرفة العلمية الحقة ، لأن ذلك يعطى الإنسان قيمته وحريته (بل ويبالغ فى ذلك أيما مبالغة) من جهة كما يقلل من قيمة المصادر الألهية إلي أقصى حد من جهة أخرى .

يقول البرت ليفى (١٨) أن " عصر النهضة قد أعلن التمرد على حكم الدين ، ومن هنا كانت الثورة ضد الكنيسة ، وضد السلطة ، وضد الفكر المدرسى (المسيحى) ، وضد أرسطو ، وإزدهار إهتمام مفاجئ بالمشكلات التى تدور حول الإنسان والطبيعة والمجتمع البشرى ، كما يضيف رافيتز أن عصر النهضة " أصبح ينظر للطبيعة نظرة خالية من أى خصائص روحية أو بشرية ... بل تجد دراستها بتعقل وبطريقة غير شخصية Impersonal بإستخدام الخبرة الحسية والعقل " ... ولم ينته القرن السابع عشر إلا وكانت البيئة الثقافية فى أوروبا – بما فيها العلم – قد اتخذت طريقها بقوة فى اتجاه العلمانية الكاملة " .(١٩) .

ولقد كان للسير فرانسيس بيكون – الذى يعتبر أبا العلم الحديث – دور بارز فى توجيه العلم فى اتجاه الإقتصار على الخبرة الحسية ، فلقد أراد الرجل أن يضع برنامجا جديدا شاملا لتقدم المعرفة وإصلاح المنهج العلمى وذلك من خلال " اعتبار الحقائق التى يتم مشاهدتها بالحواس (Empirical) هى نقطة البداية لكل علم ، مع الاعتماد على النظريات فقط فى الحدود التى يمكن اشتقاقها من تلك الحقائق " (٢٠) ومن هنا فقد أصبح ينظر لبيكون على أنه أيضا أبو الإتجاه " الحسى " Empiricism أى المتطرف فى الأمبيريقية وذلك بسبب اصراره الذى لا يلين على إعتبار الخبرة المستمدة من المشاهدة الحسية هى المصدر الصحيح " الوحيد " للمعرفة .

ويقابل بيكون علي الطرف الآخر (الذى يقلل من شأن الحسى) رينيه ديكارت الذى يعتبر أبا للاتجاه العقلانى Rationalism ، والذى رأى أن العلوم الطبيعية ينبغى

أن تؤسس على معيار اليقين المطلق وأن " المعايير النهائية لصدق الأفكار وصحتها هى الوضوح والدقة وإمتناع التناقض .. وأن الفهم أرقى بشكل كبير من معطيات الحس .. وأن العقل البشرى فقط هو الذى يستطيع الحكم على العلم بالصدق " .(٢١) .

ورغم أن أى مناقشة جادة للمنهج العلمى - كما يقول ليفى (٢٢) - تتضمن بالضرورة بعدا حسيا امبيريقيا Empirical وبعدا رياضيا عقلانيا Bdtional وأنه ليس هناك مايدعو للصراع بين هذين البعدين الرئيسين ، إلا أن كلا منهما يمثل قطبا مغايراً يسهل التطرف فى تقدير مكانته مع التقليل من أهمية القطب الآخر أو استبعاده (فى الحالات الشديدة التطرف) ، وكما سنرى فيما بعد فإن تاريخ العلم فى العصور التالية يشهد بالمدى الذى وصل إليه الحسيون (الامبيريقيون) خصوصا فى تطرفهم فى اتجاه عدم الإعتداد إلا بالخبرة والمشاهدة الحسية كأساس لكل علم - بل ولكل معرفة !! ولكن الذى يهمنا أن نؤكد عليه الان هو أن كلا من الإتجاهين كان يمثل محاولة مستمية من جانب رجال العلم والفكر للتوصل إلى إيجاد - وإثبات مشروعية - طرق أخرى للوصول إلى معرفة صحيحة بخلاف " الوحى " الذى احتكر التحكم في فهمه وتفسيره رجل الكنيسة المسيحية وأرادوا فرضه كرها على العلماء على الوجه الذى دونوه فى كتبهم المقدسة وفى تفسيراتهم لتلك الكتب مدعمين فى موقفهم بالقوة القهرية للدولة وبالسيطرة الأدبية على عقول الدهماء دون سند من الواقع أو العقل ، ويبدو أن رجال العلم الوليد قد وجدوا ضالتهم فيما قدمته الحضارة الإسلامية من استخدام الملاحظة والتجريب والعقل والمنطق فى الوصول إلى الحقيقة ، يشهد بذلك ما قاله رافيتز فى مجال توضيحه " لطبيعة العلم الأوربى " حيث يقول " يمكن تفسير الشخصية المميزة للعلم الأوربى فى ضوء الظروف التى عمل فى نطاقها العلماء في هاتين المرحلتين المتعاقبتين (عصر النهضة - عصر التنوير) وفى ضوء المادة والأدوات التى ورثوها ، والتى تشمل المبدأ الأساسى المتمثل في أن معرفة العلم الطبيعى أنما تكون من خلال حجج يمكن البرهنة عليه Demonstrative Argument ، وهو مبدأ تحقق أولا فى الحضارة اليونانية ثم التقطته الحضارة الإسلامية وحدها دون أى حضارة أخرى ".(٢٣)

وإذا كان عصر النهضة قد أفلح فى وضع حجر الأساس لمعرفة علمية لا تستند إلى سلطة رجال الدين المسيحى مبنية على مشاهدات الحواس - فى إطار النزعة الحسية الإمبيريقية - وعلى عمل العقل - فى إطار النزعة العقلانية - فإن عصر التنوير Enlightement (القرن ١٨ الميلادى) قد " أدخل العلم فى مجال السياسة لأول مر ة.. وتمثلت رسالته فى النضال ضد الكنيسة وعقائدها الجامدة وضد الخرافات الشعبية ، مع إستخدام حقائق العلم وطرقه العقلانية كسلاح أساسى فى هذا السبيل

.. وقد انضم للفلاسفة أفضل العقول فى فرنسا وساعد فى ذلك كراهيتهم للرقابة الغبية المفروضة على الفكر .. وقد اعتبر هؤلاء أن مهمتهم هى إستكمال جهود بيكون فى الإرتقاء بالمعرفة العلمية ولكنهم قاموا بذلك بأسلوب ديكارت الذى يخضع كل شئ سواء كان إجتماعيا أو فلسفيا لنقد العقل .. ولكن صفوف الحركة سرعان ما انشقت إلى فرق .. ومع ذلك فقد كانت نقطة الإتفاق فيما بينها هى أن عدوهم الأول هو الكنيسة" . (٢٤)

وعلى أى حال فإن الصراع فى أوساط العلماء ظل محتدما بين الحسيين والإمبيريقين من جانب والعقلانيين من جانب آخر ، وكان الإمبيريقيون دائما أكثر ميلا للتطرف فى الأعتماد على معطيات الحس والثقة بها وأكبر قدرة على اجتذاب الأنصار ، فوجدنا دفيد هيوم يتابع جون لوك فى نظرته " النفسية " للمعرفة فقرر بأن العلاقات التى يصل إليها العقل " مثل علاقات التشابه والتقارب والسببية .. ليست ذات صدق ذاتى داخلى ولكنها مجرد نتيجة لعادات عقلية لا نستطيع تفسيرها " ، وقد رتب على ذلك أن مبدأ العلية الذى تستند إليه كل معرفة لا يشير إلى علاقات ضرورية بين الأشياء وإنما هو ببساطة أمر يعرض للعقل بسبب الترابط الدائم بين الأشياء فى عقول الناس ، وفوق ذلك فإن العقل نفسه هو أبعد شئ عن أن يكون قوة مستقلة ، فهو عبارة عن " رابطة من المدركات " A Bundle of perceptions دون وحدة أو ترابط ، ومن هنا فإن هيوم يكون قد أنكر من جهة وجود نظام فى الطبيعة ، وإنما مجرد إنطباعات حسية متفرقة كما أنكر وجود ذات مدركة ذات وحدة أو تماسك من جهة أخرى .(٢٥)

وقد حاول عما نويل كانط التوفيق بين الإتجاهين الحسى والعقلانى من خلال فلسفته النقدية التى تقرر أن المدركات الحسية وحدها لا يمكن أن توصلنا إلى معرفة بالظواهر الطبيعية الخارجية عنا (على الوجه الذى يظنه أصحاب الإتجاه الحسى) ، كما أن تلك الظواهر ليست واضحة بذاتها Self-evidint أمام عقولنا (على الوجه الذى ينادى به أصحاب الإتجاه العقلانى) ، ولكن المعرفة بالعالم الطبيعى من حولنا تكون ممكنة عندما (يصل العالم الى نسق عقلى متماسك من التفسيرات التى تطابق الواقع الإمبيريقى) ، أى أن كانط يرى أن الإنسان يفرض بناء عقليا على معرفة من خلال المفاهيم والفئات التى يأتى بها من عنده لتشكيل خبرته الحسية وتفسيرها ، ولقد أثبت هذا التفكير الكانطى خصوبة متناهية لأنه ساعد على تحليل عملية بناء النظرية ، واستمر تأثيره على مايزيد على مائة عام بل وإلى اليوم من بعض النواحى . (٢٦)

يرى البعض أن القرن التاسع عشر الميلادى يعتبر العصر الذهبى للعلم ، ذلك أن تطبيقاته العملية فى مجالات الصناعة والطب كانت قد ظهرت آثرها بشكل كبير ، مما رفع مكانة العلماء ودعم موقفهم ضد جمود رجال الدين المسيحى ، واستمر في ذلك

القرن استخدام الحقائق العلمية ومنهج البحث العلمى فى الصراع ضد الوصاية الفكرية للكنيسة .

لقد انصبت دراستنا لتاريخ العلم والمنهج العلمى حتى الان بصفة أساسية على العلم الطبيعى وبدرجة أقل على دراسة الإنسان وفهم سلوكه الفردى أو الإجتماعى ، ولقد نادى الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى بتطبيق نفس قواعد المنهج العلمى المستخدم فى العلوم الطبيعية فى دراسة الظواهر الإجتماعية ، وانطلق فى ذلك من نزعة امبيريقية (حسية) متطرفة سار فيها على نهج بيكون ولوك وهيوم مبشرا بما سماه بالفلسفة الوضعية Positivism التى وصفها البعض بأنها " فلسفة للعلم بلغت من ضيق النطاق حدا أنكرت معه أى صدق لأى نوع كان من المعرفة لم يتم التوصل إليه بالمناهج العلمية المقبولة " (٢٨) ، ويعرف تيودرسن وتيودرسن الوضعية (٢٩) بقولهما " أنها موقف فلسفى يؤمن بأنه لا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا من خلال الخبرة الحسية ، ويرفض التفكير فيما وراء الطبيعة والبصيرة الحدسية والتحليل المنطقى المجرد بإعتبارها تخرج عن نطاق المعرفة الحقة ، وينظرإلى مناهج العلوم الطبيعية على أنها الوسيلة الدقيقة الوحيدة للحصول على المعرفة ومن هنا فإن العلوم الإجتماعية ينبغى أن تقتصر على إستخدام تلك المناهج وأن تتخذ العلوم الطبيعية كنموذج تحتذيه " .

والحق أن كونت يعتبر أول من أوضح معالم هذه الأيديولوجية الفلسفية التى اتخذت أبعاد حركة علمية بعيدة الأثر عنها فى مراحل تالية ما يعرف بإتجاه الوضعية المنطقية logical positivism والإمبريقية المنطقية logical Empiricism .

وبصفة عامة فإن فكرة الوضعية التى استند إليها العلم الحديث تقوم إجمالا على التأكيدات الآتية : (٣٠) .

١- أن كل معرفة تتصل بالحقائق الواقعة لابد أن تبنى على شواهد ايجابية الوجود Positive مستمدة من واقع الخبرة .

٢- فيما وراء مجال الحقائق الإيجابية يوجد مجال المنطق البحت والرياضيات البحتة والذى كان هيوم يقول منطلقا من إمبيريقته المتطرفة أنها تهتم بالعلاقات بين الأفكار " والتى اعتبرت فيما بعد من قبيل العلوم الصورية Formal Sciences (أى تلك العلوم التى تبحث فى صور الفكر وليس فى المحتوى المادى المتعين للأشياء) .

٣- أما على الجانب السلبى Negative فترى الوضعية إنكار ما وراء الطبيعة وكل مالا يمكن حسمه بالدليل الواقعى مثل المعارف المتعالية أو المتجاوزة أى التى تتجاوز نطاق العقلTranscendent .

وفي ضوء ذلك أصرت النظرة الوضعية على أن " العلوم الإجتماعية " ينبغي لكي تستحق اسم " علوم " أن تسير في نفس الخطوط التي تسير عليها العلوم الطبيعية كما سبق أن أوضحنا .

وقد أعلن كونت بناء على تحليلاته التاريخية ما سماه بقانون الحالات الثلاث التي زعم أن تطور الفكر البشرى يمر بها ، والتي توازى مع المراحل التي يمر بها الأنسان الفرد من الطفولة إلى النضج ، تبدأ أولها بالمرحلة الدينية التي تفسر الظواهر فيها بإرجاعها الي قوي قدسية وهى عنده تمثل مرحلة الطفولة في الفكر البشرى (!) أما المرحلة الثانية فهى المرحلة الميتافيزيقية التي لا تخرج عن كونها دينية ولكن بنظرة غير - شخصية تفسر فيها الظواهر بقوى حيوية أو غيبية لا تقدم تفسيرات أصلية في رأيه (كالحقيقة المطلقة والأسباب الأولى والبدايات المطلقة) ، أما المرحلة الثالثة فهى المرحلة الوضعية أو العلمية التي لا تهتم إلا بالحقائق الإيجابية من حيث وجودها في الواقع المحسوس .

وقد شهدت بدايات القرن العشرين ظهور ما يسمى بالوضعية المنطقية Logical Positivism التي بنيت على التوجهات الإمبيريقية المتطرفة لهيوم والتوجهات الوضعية التي وجدناها عند كونت اضافة إلى فلسفة العلم عند ايرنست ماك ، ويعرف القاموس الحديث لعلم الإجتماع (٣١) الوضعية المنطقية على أنها " موقف فلسفي تطور عن الوضعية يؤمن بأن الحق في أي عبارة يثبت بالتحقق من صدقه من خلال الخبرة الحسية ، وأن أي عبارة لا يمكن التحقق من صدقها بالرجوع إلى الخبرة الحسية كالعبارات الدينية أو المتصلة بما وراء الطبيعة فإنها لا معنى لها Meaningless ..ولما كانت هناك حاجة إلى التحليل المنطقي لتوضيح المعاني التي تم التحقق من صدقها أو تم رفضها بإستخدام الخبرة الحسية ، إلا أن مثل تلك التحليلات المنطقية ينبغي أن تبقى وثيقة الصلة بالملاحظات الإمبيريقية ، (ومن هنا) فإن بناء النظريات ينبغي أن يقلل منه إلى أدنى حد ممكن " .

ومن هنا فإن الوضعية المنطقية تقوم على الأفكار الأساسية الآتية : (٣٢)

١- أن المهمة الأصلية للفلسفة هي توضيح معاني المفاهيم والتأكيدات الأساسية للعلم ، وليس محاولة الإجابة على الأسئلة التي لا إجابة لها مما يتصل مثلا بطبيعة الحقيقة المطلقة أو غيرها من الأسئلة الوجودية الكبرى .

٢- جميع العبارات المتصلة بالقيم الأخلاقية أو الجمالية أو الدينية لا يمكن التحقق منها علميا ، وبذلك تعتبر كلاما فارغا (أى لا تحمل أي معنى يرتد للحقيقة على وجه الأطلاق) .

٣- معنى كلمة "منطقية " فى اصطلاح الوضعية المنطقية يقصد به التأكيد على الطبيعة الخاصة للحقائق الرياضية والمنطقية التى تعتبر صحيحة بنفس المسلمات والتعريفات التى تقوم عليها .

وأخيرا فإن الثلث الثانى من القرن العشرين قد شهد تحولا نحو استخدام اصطلاح الإمبيريقية المنطقية Logical Empiricism بدلا من " الوضعية " وذلك لأن هذا المفهوم الأخير قد أصبح مرتبطا بشدة بتفكير أوجيست كونت ، وأيضا بآراء ايرنست ماك الذى بلغ بشدة فى التأكيد على الحقائق الإيجابية للملاحظة حتي أنه لم يكن من الممكن مشاهدتها بالحواس ، ومع ذلك فإن الفكر الجديد قد احتفظ من الوضعية بإصرارها على ضرورة إختبار الفروض والنظريات فى الواقع الإمبيريقى ومن هنا صارت التسمية " بالإمبيريقية " ، فى نفس الوقت الذى إستخدمت فيه تسمية " المنطقية " للدلالة على مكانة المنطق والرياضيات التى يتوقف صدق قضاياها على صحة المسلمات والتعريفات كما ذكرنا من قبل . (٣٣)

ويلاحظ أن الإمبيريقية المنطقية تمثل النموذج " السائد " اليوم فى فلسفة العلوم(٣٤) بصفة عامة وهى لذلك تستحق وقفة خاصة لبيان طبيعته ، وقد أوضح ليفى(٣٥) الأفكار الأساسية للإمبيريقية المنطقية كما يلى :

١- كل كلام " ذى معنى " يتكون اما من :

أ - عبارات " صورية " منطقية أو رياضية .

ب - قضايا تشير إلى حقائق علمية " واقعية " .

٢- أى قضايا تزعم أنها تشير إلى حقائق يكون لها معنى فقط اذا كان فى الامكان بيان الطريقة التى يمكن بها التحقق منها بالرجوع إلى الواقع المحسوس .

٣- أى قضايا تتصل بما وراء الوجود ولا تقع فى نطاق الفئتين المذكورتين أعلاه لامعني لها

٤- جميع العبارات المتصلة بالقيم الأخلاقية أو الجمالية أو الدينية لا يمكن التحقق منها علميا وهى بهذا لا معنى لها .

هذا هو النموذج السائد فى فلسفة العلم اليوم ، وتلك هى الظروف التى وصل الينا من خلالها ، ولقد قصدنا بهذا العرض التاريخى لتطور فكرة " العلم " فى الحضارة الغربية فى سياقها الواقعى أن نضع أساسا يمكن فى ضوء القيام بمناقشة متأنية تفصل ما هو أصيل عما هو عارض فيما يتصل بالعلم والمنهج العلمى ، بما يمكننا من اتخاذ الموقف الصحيح من كل منهما .

المبحث الثالث :

أثر التاريخ والبيئة والثقافة في تشكيل المنهج العلمي الحديث

لا يمكن لأى منصف أن يزعم أن كل نشاط فكرى أو علمى لا يخرج عن كونه مجرد انعكاس خالص للظروف التاريخية والبيئة والثقافية التى أحاطت بظهور ذلك النشاط وتطوره (وإن كان هناك من العلماء من يرون هذا بالفعل) ، وقضايا المنهج بإعتبار طبيعتها " العامة " في خدمة كل العلوم أولى من غيرها بأن تتجافى مع الخضوع للملابسات الوقتية أو الظروف التاريخية العرضية الضاغطة فالمنهاج عادة ما يكون بمثابة المحور الذى تدور حوله العلوم المختلفة ، وعليه يعتمد الباحثون والعلماء فى الوصول إلى نتائجهم ، وهم لهذا يتوقفون بقوة عند أى تغيير أو حتى محاولة لتغيير أى من المسلمات الأساسية للمنهج ، ومن هنا فإن المتوقع دائما أنه من خلال عمليات التصحيح - الذاتى التى يتميز بها العلم أن يظل المنهج (نسبيا) بمنأى عن التأثر الشديد بالتيارات التى تتجاذب ما ينتج من تطبيقه من نماذج ونظريات علمية - تلك التيارات التى قد تكون شديدة أو حتى عاصفة فى بعض الأحيان .

ولو تأملنا التطورات التى مر بها المنهج العلمى فى البحث حتى وصل إلى صورته الراهنة (على الوجه الذى عرضناه فى المبحث السابق) فإننا لن نملك إلا الإعجاب بالجهود التى بذلها العلماء والباحثون فى كثير من الأحيان " للخلاص من تأثير" الضغوط الفكرية التى مارستها الكنيسة عليهم ، متحملين مايلحقهم فى سبيل ذلك من قهر وعنف (يصل أحيانا إلى حد تقييد الحرية بالسجن أو تجريم نشر المؤلفات ويصل أحيانا للتهديد بالموت أو لتنفيذ ذلك التهديد) تمسكا بما وجدوا أنه الحق من خلال مشاهداتهم الواقعية التى لا يمكن لعاقل أن يتشكك فيها - اللهم إلا أن يكون ذا مصلحة أو صاحب هوى ، وقد تمخض عن مجالدة هؤلاء العلماء الأفذاذ مثابرتهم ومقاومتهم لتأثيرات البيئية وضع قواعد المنهج العلمى الأوروبى الحديث الذى كان الأساس الذى بنى عليه صرح العلوم الطبيعة الحديثة والذى جعل فى الامكان تحقيق التقدم التقنى (التكنولوجى) الذى يجنى ثماره الناس اليوم (فى جوانبها الخيرة) .

ولكم هل سلم هؤلاء العلماء الأفذاذ حقا من تأثير الضغوط الثقافية والبيئية التى جاهدوا لمغالبتها ونجحوا فى النهاية فى الاتعتاق من ربقتها بالكلية ؟ وهل يمكننا القول بأمانة أن المنهج العلمى الأوروبى الحديث بصورته السائدة اليوم هو حقا مجرد نتاج لسعى متجرد للبحث عن الحقيقة ولا شئ غير الحقيقة ؟

وفى الحقيقة فإن إعجابنا بما حققه المنهج العلمى للبحث من إنجازات رائعة فى العلوم الطبيعية ، واحترامنا لاسهامات أولئك العلماء الأفذاذ الذين جاهدوا حتى

توصلوا لتوصيف أبعاد هذا المنهج وإقامة أركانه لا ينبغى أن تلفتنا عن الجانب الآخر للثورة - كما أوضحنا فى الصفحات السابقة - والذى يتمثل فى أن أولئك العلماء فى غمرة غيرتهم فى طلب الحقيقة وفى إطار حماسهم لمقاومة المؤثرات قد تجاوزوا الحقيقة ووقعوا تحت تأثير المؤثرات من وجه آخر !

فلقد أدى التخاصم والعداء الشديد بين رجال العلم ورجال الكنيسة فى الظروف التاريخية التي سبق عرضها إلى استبعاد الوحى كمصدر للحقيقة استبعادا كليا ، اكتفاء بالرجوع إلى الواقع " المحسوس " كمصدر وحيد للمعرفة " العلمية " ، مما أدى إلى فصام بين طريقين للمعرفة كان يمكن لو توحدا (فى اطار دينى مختلف كما فى حالة الإسلام) أن يؤدى توحدهما ذلك إلى الخروج من الطريق المسدود الذى تجد العلوم الإجتماعية نفسها أمامه اليوم - تلك العلوم التى تتعامل مع ظواهر هى فى بعض جوانبها غير إمبيريقية بالإضافة إلى جوانبها الإمبيريقية التى إختص العلم الحديث نفسه بالعمل فى محيطها ، ولكم أنّى لأولئك العلماء القبول بوحدة الحقيقة . بمعنى الجمع بين الوحى والمشاهدات الواقعية) اذا كان ما يأتيهم باسم الوحى- فى تلك الظروف التاريخية - لا يمكن بأى حال التوفيق بينه وبين المشاهدات الواقعية المحققة ، واذا كانوا يقهرون للتسليم بما يرى رجال الكنيسة أن الوحى أي الذى لا محيص لهم عن الإلتزام به إن أرادوا أن يظلوا في ساحة المؤمنين بالمسيح وأن يحققوا لأرواحهم الخلاص الأبدى وأنّى لهؤلاء العلماء أن يتصوروا وجود بدائل أخرى من " الوحى " الصحيح الذى أنزل فى أمم أخرى وللخلق كافة تصحيحا للتعريف الذى عانوا هم من آثار حتى نتوقع منهم أن يتجهوا ببحثهم إليها ؟ .

إننا فى ضوء تلك الظروف نستطيع أن نتفهم السبب الذى من أجله اندفع أولئك العلماء اندفاعا عظيما فى إتجاه اعتماد المشاهدات الحسية الإمبيريقية والبعد عن كل ما يمت إلى الوحى والشرع بصلة ، ولا يستطيع منصف أن يلومهم على عدم قدرتهم على تجاوز حدود الزمان والمكان لا ستشراف ظروف أخرى يمكن فيها (بسهولة شديدة) تحقيق التكامل والتناغم بين معطيات الوحى ومعطيات الحواس كتلك التى توفرها العقيدة الإسلامية ، خصوصا وأن أولئك العلماء كانوا مهتمين فقط بما لدى المسلمين فى عصور ازدهارهم من علوم وتكنولوجيا متقدمة (يمكن التحقق من صدقها إمبيريقيا) أكثر من اهتمامهم بما لدى المسلمين من عقيدة وشريعة ، ويبدو هذا أمامنابوضوح اذا تذكرنا أن المفكرين والفلاسفة الأوائل الذين نقلوا العلوم الإسلامية إلى الغرب كانوا هم أنفسهم من رجال الدين المسيحى الذى كانوا يحسون بخطورة العقيدة الإسلامية على معتقداتهم كما عبروا هم أنفسهم عن ذلك (راجع المقالات المتصلة بتاريخ العلم التى سبقت الإشارة إليها) .

ولكن التماسنا العذر لأولئك العلماء لا يعفى نفرا آخر منهم تجاوزوا كل الحدود من حيث المغالاة فى تلك النزعة الإمبيريقية بيا لا يعتبر خدمة للعلم بقدر ما يعبر عن شخصية العالم نفسه أو عن مصلحته الضيقة ، حتى أدى ذلك بهم إلى التوقف عما لا يستحق التوقف فيه ، وأوضح مثال لذلك موقف ايرنست ماك عالم الطبيعة النمساوى ويلهلم أشتوالد مؤسس علم الكيمياء العضوية ومن شايعهم ممن توقفوا عن القبول " بفكرة " وجود الذّرة فى الواقع بناء على نظرتهم الوضعية المتطرفة فى إمبيريقيتها ، حيث يــرى ماك مثلا أن " كل معرفة حقيقة إما أن تتكون فقط من تنظيم وتدقيق لما تقدمه .. الخبرة المباشرة من بيانات " .. ولما كان لا يمكن رؤية الذرة بالعين المجردة أو المناظرة المكبرة (فى ذلك الوقت) فقدأعتبر الوضعيون فرض وجود الذرة مجرد " خيال مريح " على أحسن تقدير أو فرضا غير شرعى على أسوأ تقدير.

وتمثل هذه الفصيلة من الوضعيين الذين رفضوا التسليم بوجود الذّرة فى الطبيعة أحد الأشكال المتطرفة لتخوف الوضعية من أى شئ لا يمكن ملاحظته ، فالحجر عندهم مثلا ليس إلا مجموعة من الصفات التي تنطبع علي الحواس كصفات الصلابة واللون والكتلة ، وهم يرفضون فكرة وجود مادة أو شئ يكمن وراء تلك الصفات الحسية ، فإذا سألتهم عما يتبقى من ذلك الشئ الذى نلاحظه (الحجر) إذا تصورنا أننا جردناه من تلك الصفات المدركة بالحواس فان اجابتهم أنه لا يتبقى هناك شئ . (٣٦)

وفى مقابل أصحاب النزعة الامبيريقية المتطرفة Empiricists وجدنا فريقا آخر من العلماء تطرفوا فى الاتجاه العقلانى Rationalists " ينكرون أن تبدى الحقائق الامبيريقية الخام بذاتها وفى ذاتها أى علاقات يمكن فهمها أو حكمها أى قوانين ضرورية . . . فالخبرة الغازية التى يحصل عليها العالم من ملاحظة الظواهر الطبيعية تظل عبارة عن تجمع غير منظم أو سيال حتى يستطيع العالم أن يكتشف اطارا عقليا أو مبدأ يربط به بين هذه الحقائق المفككة وبين اطار كلى أقرب للفهم " (٣٧) .

وفى ضوء ما تقدم يتبين لنا بوضوح أن المنهج العلمى الحديث إنما هو نتاج عقول بشرية تسعى للوصول إلى الحقيقة فى حدود ظروف الزمان والمكان ، وفى حدود قدرة البشر (أو عدم قدرتهم) على التحرر من ضعفهم الانسانى ومن تأثيرات علاقاتهم الاجتماعية والمهنية وتأثير زملائهم فى المجتمع العلمى ، ومن هنا يتضح خطأ التصور بأن هذا المنهج العلمى الأوروبى الحديث هو خاتمة المطاف فى تحديد طرق السعى للوصول إلى الحقيقة ، أو حتى الظن بأن هذا المنهج بصورته الحالية هو " أفضل الممكن".

ولعل هذا هو الموقف الذى انتهى إليه جيروم رافيتز بعد تحليل دقيق لتاريخ العلم اذ يقول "لقد أصبح المؤرخون يرون أن العلم الأوروبى الحديث انما هو جزء لا يتجزأ من

الحضارة (الغربية) ، وأن نقائصه مثل فضائله انما هى مستمدة من جوانب (الحياة) الأوروبية التى تضرب بجذورها فى طريقة الحياة الغربية ، فالارتباط وثيق بين بقاء العلم وبقاء الحضارة (التى تحتضنه) " ، ثم يضيف موضحاً أنه ليس لدينا ضمان فى أن تستطيع الحضاة الغربية تحقيق التوافق مع الطبيعة بالشكل الذى يلزم لبقائها ، وأن هذا الأمر يتوقف جزئيا على خصائص العلم الطبيعى كما تبلور فى الحضارة الأوروبية على مدى القرون " .

ويؤكد هذا المعنى المفكر الشهير جوهان جالتونج فى كتابه عن المنهجية والأيديولوجيا[٣٩] اذ يقول أن العلاقة بين بناء العلم والبناء الاجتماعى علاقة تبلغ من القوة لدرجة أن الحديث عن المنهج العلمى دون اشارة الى البناء الاجتماعى الذى يستخدم فى اطاره يعتبر تضليلا ، لأنه يؤدى إلى ادعاءات بأن هذا المنهج عالمي ومطلق Pretenses of Universalism and absolutism مع اخفاء حقيقة أن أى منتج علمى صادق انما يمثل فى الوقت ذاته وإلى حد كبير تصديقا وتدعيما للبناء الاجتماعى الذى تم انجازه فى اطاره ، ويصل ويتكين وجو تشولك إلى قاعدة مشابهة عند الحديث عما ينبغى مراعاته عند تقويم النظريات العلمية أو النظر فى أهداف العلم فيقولون أنه " بنفس الطريقة التى نجد بها أن النظريات قد تعكس القيم المتمركزة حول الثقافة المحلية لمن وضعوها . . . فإن التصورات المتعلقة بأهداف العلم أيضا تعكس المعتقدات الثقافية كما تعكس معايير غير ابستمولوجية " .

وينتقد د. فؤاد أبو حطب الاتجاه الذى يتصور أن العلم سواء أكان علما طبيعيا أو اجتماعيا أو انسانيا ذو طبيعة محايدة ثقافيا بقوله أن هذا الاتجاه " يتجاهل مافى العلم من تحيز ثقافى لا يتفق مع الصورة التى تقدمها الدراسات والمسوح التى أجراها علماء النفس فى الغرب أنفسهم حول مسيرة هذا العلم " ويستشهد بكتابات جلجن عام ١٩٨٧ التى بينت أهمية " التنبيه إلى الطابع الثقافى ثم الايديولوجى للعلم وبخاصة العلوم ذات الطبيعة الاجتماعية والانسانية " ، ثم يقرر أن الوعى بهذه الخاصية الثقافية الايديولوجية للعلم عامة قد ظهر خفيا فى معظم ما يكتبه فلاسفة ومؤرخو العلم المعاصرون كما ظهر الوعى بها صريحا فى علم النفس مع التوجه الأوروبى نحو الوحدة فى شكل الحديث عن علم النفس الأوروبى ، كما أشار إلى توجه اليابانيين نحو التأصيل اليابانى لعلم النفس مع ظهور اليابان كقوة عظمى .

وبناء على هذه الأدلة الدامغة التى تثبت التأثر الشديد للعلم والمنهج العلمى بالبيئة الثقافية التى يمارس فيها بل وبالظروف التاريخية التى نبت فيها فإنه لا يسع الباحث المنصف إلا أن يكون تناوله لهذه القضية منطلقا من أفق واسع يأخذ في اعتباره حقيقة أن نظرة المجتمع للانسان ولمكانه فى هذا الوجود والطريقة التى يختارها المجتمع

لحياته وحضارته إنما تضع الاطار العام الذى يتحرك فيه العلم والعلماء مثل غيرهم من الناس ، وأن التركيز الضيق على الاجراءات المنهجية وما توحى به من عمومية وعالمية يعتبر إلى حد كبير من قبيل النظرة الميكروسكوبية القصيرة المدى التى تقصر عن ادراك الصورة فى كليتها ، فإذا عرفنا أن العلم الاجتماعى مثلا يواجه أزمة أو محنة فى ثقافة ما (كما هو حادث فى الثقافة الغربية اليوم) فإن هذا لا يعنى أن الحال ينبغى أن يكون كذلك فى كل الثقافات الأخرى ، وإذا كان " العلماء " فى تلك الثقافة عاجزين عن " النظر من خارج " الأطر الثقافية لمجتمعاتهم إلى العلم والمنهج العلمى لتمحيصها واكتشاف ما إذا كانت مسلماتها القيمية مسئولة عن وجود تلك الأزمة ، فليس الحال كذلك بالنسبة للباحثين من " خارج" تلك الحضارة ممن انتقلت إليهم النماذج الغربية الحديثة عن طريق التقليد ، وإذا كان الفريق الأول قد يُعذر لصعوبة المهمة أمامه (أو حتى استحالتها) فإن الفريق الآخر لا يمكن أن يُعذر على اصراره على التقليد وتمسكه بما هو عقيم مجدب مع أن مفتاح الحل قد يكون تحت أقدامه . وسنرى بعد قليل أن تطبيق المنهج " العلمى " بصورته التقليدية فى دراسة الظواهر الاجتماعية قد فشل فشلا ذريعا فى تحقيق فهم وتفسير السلوك الانسانى والعلاقات الاجتماعية حتى فى محيط الحضارة الغربية مما يجعلنا نقول بلا مبالغة أن ضرر استخدام هذا المنهج بصورته التقليدية فى دراسة الظواهر الاجتماعية قد يكون أكثر من نفعه ، وأن الأمل فى تحقيق أى فاعلية فى فهم الانسان والمجتمع قد يتوقف على الخروج عن نموذج العلم الطبيعى التقليدى وتخليصه من القيود التى كبلته بها الاتجاهات الوضعية والامبيريقية .

المبحث الرابع : مظاهر الأزمة فى العلوم الاجتماعية

إذا كانت الوظائف الأساسية " للعلوم" هى الفهم والتفسير والتنبؤ بالظواهر ، وإذا كانت الوظائف الأساسية" للمهن " هى التحكم فى مسار تلك الظواهر والتدخل لاحداث تغييرات مرغوبة فيها ، فان لنا أن نتسائل عن المدى الذى وصلت إليه نظريات العلوم الاجتماعية ونظريات الممارسة فى مهن المساعدة الانسانية فيما يتعلق بكل من النوعين من الوظائف فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بها من جانب ، والتدخل المهنى لاحداث تغييرات واصلاحات مرغوبة فيها من جانب آخر ، وفى الحقيقة أن أى مراجعة أو تقويم جاد للمستوى الذى وصلت إليه نظريات العلوم الاجتماعية - التى يفترض أنها بمثابة الوعاء الذى يحوى الحصيلة النهائية للنتائج التى توصلت إليها تلك العلوم - فى محاولاتها لفهم وتفسير الظواهر الاجتماعية تكشف لنا عن ضعف واضطراب

النظريات " العلمية " فى المجال الاجتماعى كما تكشف لنا عن تضاربها الشديد تضاربا يصل فى بعض الأحيان إلى حد التسفيه الكامل من جانب أنصار بعض النظريات لكل ما جاء به أصحاب النظريات المنافسة (كما يفعل أصحاب المدرسة السلوكية فى علم النفس عادة عند تقويمهم لنظرية التحليل النفسى مثلا) ، وأى مراجعة للكتابات التى تعرضت لتقويم حالة النظرية فى العلوم الاجتماعية عموما تكشف عن مثل ذلك التناقض والتضارب والعجز عن التفسير .

يلخص كيت ديكسون مثلا حالة النظرية فى علم الاجتماع بقوله : (٤٠) " ان أى معرفة بأدبيات نظريات علم الاجتماع عموما تكشف بوضوح أن بناء النظرية فى علم الاجتماع – إذا حكمنا عليه بالمعايير المأخوذ بها فى العلوم الطبيعية – يفتقر لوجود أى منطق متماسك ، فهناك اختلافات كثيرة ليس فقط حول مناهج البحث الاجتماعى وانما أيضا حول طبيعة علم الاجتماع ذاته . . . إن بامكاننا أن نثبت أن علم الاجتماع رغم مضى مائة عام على تحقيقه لدرجة نسبية من الاحترام الاكاديمي لازال . . لم يتوصل بعد إلى توجه موحد مقبول للمارسة المهنية ، وكنتيجة لذلك فاننا نجد أمامنا كثرة كاثرة من " النظريات " المتنافسة . . . حيث لم يتم تحقيق السيادة لأى اطار بعينه . . . ولم يعد من الممكن أن نعزو هذه الحالة إلى الزعم بأن علم الاجتماع لازال فى " طفولته " . . ففرض حداثة العهد (الطفولة) لايفسر لنا شيئا وانما هو يشير إلى " الحالة " التى عليها علم الاجتماع " .

فاذا انتقلنا إلى علم النفس فاننا نجد أنه يعانى أيضا من تعدد منطلقاته النظرية وتناقضها على خط مستقيم فى بعض الأحيان ، كما عبر عن ذلك بوضوح أيزينك وراتشمان إذ يقرر أن فى مقدمة أحد مؤلفاتهما أن علم النفس كمايراه السلوكيون إنما هو فرع تجريبى من فروع العلوم الطبيعية ، وأنهما كسلوكيين يسيران " فى الاتجاه العكسى تماما Exactly Opposite" لاتجاه مدرسة التحليل النفسى . (٤١) ويشير جورج هوارد (٤٢) فى مقال هام نشر بمجلة علم النفس الأمريكية فى عام ١٩٨٥ إلى بحوث ونظريات علم النفس كانت محل تساؤل شديد على مدى العشرين عاما الماضية ، وينقل عن كوش قوله أن علم النفس قد بني منهجه العلمى على فلسفة للعلم كانت قد تقادم بها العهد وأصبحت مهجورة حتى عند ذلك الوقت(عام ١٩٦٤) ، ويعقب هوارد مؤيدا بقوله أنه اذا كان واطسن مؤسس المدرسة السلوكية قد كتب يقول ان علم النفس فرع تجريبى موضوعى خالص من فروع العلوم الطبيعة لايحتاج إلى دراسة الوعى (الشعور) إلا كما يحتاج علم الكيمياء أو الطبيعة إلى ذلك " فإن الزمن قد أثبت أن الوعى أو الشعور ليس على الاطلاق بالأمر الذى لايهم علم الطبيعة الحديثة ، وينقل عن أحد علماء الطبيعة المعاصرين قوله " إن من المستحيل صياغة قوانين نظرية الكم

Quantum Theory بطريقة كاملة الاتساق دون إشارة إلى الوعى " ، حيث قد ثبت علميا أنه لايمكن فهم الظواهر الطبيعية المتناهية الصغر دون ادخال موقع الباحث الذى يقوم بالملاحظة ومكانه من الظواهرالتى يشاهدها ضمن معطيات قوانين نظرية الكم .

فإذا انتقلنا إلى مهن المساعدة الانسانية The Helping Professions التى تستند فى ممارستها المهنية إلى نتائج تلك العلوم الاجتماعية ونظرياتها المتضاربة فلن يدهشنا أن نجد أن تلك المهن قد أصابها شرر الآثار المترتبة على قصور الفهم والتفسير الذى تعانى منه تلك العلوم ، وهذا يفسر لنا ما تشير إليه الكتابات في تلك المهن حول ما تعانيه من أزمة فى الهوية أو ضعف فى تأثير وفاعلية الممارسة المهنية وقصورها عن تحقيق النتائج المتوقعة منها .

فإذا نظرنا إلى موقف العلاج النفسى فإننا سنجد أن نظرياته " المتصارعة " تنطلق من نظريات علم النفس ومدارسه التى تتناقض مع بعضها تمام التناقض كما يشهد بذلك ما أوردناه من أقوال آيزنك وراتشمان من أن الاتجاه السلوكى يسير فى " الاتجاه العكسي تماما لاتجاه التحليل النفسى " والربط بين هذه الملاحظة وبين ما أورداه عن مدى نجاح الممارسة إذ يقولان " اننا نعتقد أن الفشل العام في تحقيق الشفاء من خلال العلاج النفسى لايرجع إلى استحالة تحقيق الشفاء بقدر ما يرجع إلى الطرف الخاطئة المتبعة لمحاولة تحقيقة " [٤٢ب] ، فالقضية اذن وفقا لرأيهما (الذى قد يتفق فيه معهما الكثيرون ، ولكن من زاوية غير تلك التى ينطلقان منها) انما هى قضية التوجه النظرى وقضية المنهج فى الأساس ، غير أن عين الانحياز النظرى وعدم القدرة على الخروج من اسار التوجه العلمى السائد The Paradigm هى التى تمنع من رؤية الموقف برمته فى ضوء جديد يدرك معه هؤلاء الباحثون وغيرهم ممن يسيرون فى نفس الأطر التقليدية أن الخروج من الأزمة انما يتطلب نوعا من المراجعة الشاملة للأساسيات كما سنجد فيما بعد عند أصحاب النظري المعرفية أو العقلية فى علم النفس على سبيل المثال .

ورغم أن رينيه داويس Dawis يعترف بأنه لايزال من أنصار التوجه العلمي السائد The Received View of Normal Science كما يطبق فى محيط ممارسة التوجيه والارشاد النفسي ، إلا أنه يسلم بأن " القاعدة المعرفية لهذه الممارسة ليست كافية - اذا استخدمنا تعبيرا مهذبا " . . كما يشير إلى أنه لابأس لديه من تجربة مداخل جديدة " مادامت المداخل القديمة لايبدو أنها تعمل " [٤٣]

وأما بالنسبة للخدمة الاجتماعية فإن الموقف لايختلف منها كثيرا عما وجدناه فى مهن المساعدة الانسانية الأخرى ، فلقد كتب جوزيف هيس فى عام ١٩٨٠ حول ما أسماه بأزمة الهوية التى تواجه الخدمة الاجتماعية والتى تظهر آثارها سواء فى

الجوانب النظرية أو فى الممارسة أو فيما يتصل بأخلاقيات المهنة ، فيشير مثلا إلى " الحرب " الايديولوجية الطاحنة الدائرة فى محيط المهنة بين " النموذج الطبى " ونموذج التغيير الاجتماعى " الذى يتخذ فى صورته المتطرفة خطوطا ماركسية ، ثم يوضح أن ضحايا تلك الحرب انما هم الأخصائيون الاجتماعيون الذين يصابون بالاحتراق المهنى Bur - Out ، والعملاء الذين يضيعون بين التوجهات المهنية المتنازعة . ويرى هيس أن أساس الأزمة كلها إنما يكمن فى إهمال البعد الروحى والممارسة (٤٤) .

المبحث الخامس : أسباب الأزمة واتجاهات العلاج

ان أى مراجعة متأنية لتاريخ العلم والمنهج العلمى الحديث لتكشف لنا بوضوح - كما رأينا فى المبحث الأول - عن التأثير الشديد للعوامل البيئية والثقافية والظروف التاريخية الخاصة فى تشكيل التوجه العام السائد للعلم الأوروبى الحديث ، ذلك التوجه المادى الوضعى القائم على المباعدة بين العلم وبين كل ما يمت بصلة للدين أو الوحى أو حتى القيم ، والذى يصر على أن أى محاولة للمزج بينهما ستكون ضارة بكليهما على حد التعبير الذى جاء فى قرار لمجلس الاكاديمية الأمريكية للعلوم عام ١٩٨١ والذى يؤكد على (٤٥) " أن الدين والعلم مجالان للفكر البشرى منفصلان عن بعضهما تمام الانفصال (Mutually Exclusive) ، وان أى محاولة للجمع بينهما فى اطار واحد يترتب عليها سوء فهم لكل من النظريات العلمية والمعتقدات الدينية " ، وهو تفكير يعكس النزعة المادية التى صاحبت دراسات العلوم الطبيعية بسبب النجاحات التى حققها اسحق نيوتن ، وقد حقق نظام نيوتن نجاحا فى العديد من المجالات ولاسيما في مجال الفيزياء والكيمياء . . . وتمت له الغلبة بشرحه ظواهر الحركة والحرارة والضوء والكهرباء ، وطبيعى أن هذا النجاح ولد فى النفوس رغبة فى توسيع نطاق هذا الأسلوب فى (التفسير) بحيث يشمل جميع حقول المعرفة بما فيها علم الأحياء والنفس والتاريخ والاقتصاد ، وقد أسفرت امكانية الكشف عن أسرار جزء كبير من العالم الطبيعى بافتراض وجود المادة وحدها عن دفع بعض العلماء تدريجيا إلى اعتبار المادية جزء من الأسلوب العلمى ذاته . . ولعل فى وسعنا أن نطلق على هذا اسم المادية المنهجية " ، ويشير آخرون إلى أن نظرة نيوتن والعلم الذى بنى عليها كانت تتبنى نموذج الآلة الميكانيكية Machine Model لتصوير الكيفية التى يتم بها تنظيم كل الظواهر الطبيعية . !! ويبدو أن الكثيرين من علماء النفس ورجال العلوم الاجتماعية ليسوا واعين بالدرجة التى توجه أعمالهم بها تلك المسلمات المستعارة من ذلك التوجه " الكلاسيكى " للعلم الذى تمت صياغته فى القرنين السابع عشر والثامن عشر " . (٤٦)

وقد أدى هذا النجاح الذى حققته العلوم الطبيعية الكلاسيكية كما ذكرنا إلى شعور رجال العلوم الاجتماعية بأن صلاح أمر النظر فى الظواهر الانسانية لن يكون إلا بما صلح به أوله ، أى بالتشدد فى تطبيق المناهج التى نجحت فى العلوم الطبيعية ، حتى وجدنا جون ستيوارت ميل يقول حول منتصف القرن التاسع عشر الميلادى " أن الحالة المتخلفة للعلوم الأخلاقية (الانسانية) يمكن علاجها بتطبيق مناهج العلوم الطبيعية عليها مع توسيع نطاقها وتعميمها " (٤٧) ، ويقول بولكنجهورن – الذى نقل كلام ميل – أن هذه النصيحة ظلت مقبولة طوال مايزيد عن مائة عام حتى بدأت الأصوات المطالبة بكسر هذا القالب المقيد للحركة تكسب قوة وظهورا بعد شعور العديدين من الباحثين بخيبة الرجاء فى نتائج البحوث المبنية على القيم والتوجهات التى وصلت إلينا من العلوم الطبيعية .

ولقد تبنى المتخصصون فى العلوم الاجتماعية هذا النموذج المستمد من العلوم الطبيعية بقضه وقضيضه دون مراعاة لاختلاف طبيعة الظواهر الانسانية عن الظواهر الطبيعية ، فجاءت نظريات العلوم الاجتماعية مغرقة فى المادية ومعادية للدين أيضا ، " فزعمت أن من الممكن تفسير وظائف المخ والسلوك البشرى فى ضوء العمليات الطبيعية / الكيميائية والفسيولوجية وحدها دون أدنى اشارة إلى الوعى الانسانى . . أو العوامل الذاتية ، وكان ينظر لهذه المبادئ على أنها لايأتيها الباطل من بين يديها ولامن خلفها حتى تم اكتشاف خطئها المنطقى ونقصها (أخير) " . (٤٨)

ويضيف روجر سبيرى (٤٩) Sperry فى مقاله الهام بمجلة علم النفس الامريكية إلى ماسبق قوله " لعله من الانصاف أن نقول أن . . العلم والدين قد وقف كل منهما أمام الآخر وقفة العدو الألد (حتى ظهرت النظرية العقلية المعرفية فى السبعينات على الوجه الذي نبينه فيما بعد) .

وعلى العكس من ذلك فإن الكثيرين من العلماء قد أصبحوا يعترفون بالاختلافات الواضحة بين الظواهر الطبيعية والاجتماعية كموضوعات للدراسة وكذا بين مناهج العلوم الطبيعية ومناهج العلوم الاجتماعية ، علي أساس أن العلوم الطبيعية علوم نوموطيقية Nomothetic أي علوم تسعى للوصول إلى قوانين " عامة " حول ظواهر هى بطبيعتها متكررة ومضطردة ويمكن التنبؤ بها كالفيزياء والكيمياء ، وبين علوم ايديوجرافية Ideographic تسعى لادراك الخصائص " الفردية " لموضوعاتها مثل علم التاريخ ، ويرى هؤلاء العلماء أن من الخطأ تطبيق المناهج التى ثبت نجاحها فى النوع الأول من العلوم (العلوم الطبيعية) على النوع الثانى من العلوم (العلوم الانسانية) ، لأن هذا كما يرون " سوف يؤدى إلي خلط كبير ، بل هو السبب فى تخلف العلوم الانسانية . . . ذلك أن التعميم يعتمد على اطراد الطبيعة بينما إذا تمت صياغة قوانين

انسانية فسوف تختلف باختلاف الزمان والمكان . . . حقائق توجد أوجه للتشابه بين عادات وتقاليد البشر ، وقد يتشابهون فى الشكل والسمات النفسية . . . إلا أن وجود هذه التشابهات وحده غير كاف لامكانية إقامة قوانين فى مجال الشئون الانسانية".(١٤٩)

وسنحاول فيما يلى أن نبين الطريقة التى تسبب بها تبنى العلوم الاجتماعية لذلك كالتوجه " القديم " فى الأزمة الحاضرة التى تعانى منها تلك العلوم اليوم ، بل وتعانى منها مهن المساعدة الانسانية بالتبعية ، وسنقصر مناقشتنا لهذا الموضوع على أخطر قضيتين كان لهما أكبر الأثر فى حدوث تلك الأزمة وهما :

١ - اهمال تلك العلوم والمهن للعوامل الروحية والدينية وانكار دورها كمسببات فاعلة للسلوك الانسانى .

٢ - دعوى الموضوعية والزعم بأن العلوم الاجتماعية ينبغى أن تكون متحررة من القيم Value - Free .

أولا : قضية استبعاد العوامل الروحية

لو أننا تساءلنا عن كنه الأسباب التى أدت إلى تلك الحالة التى تعانى منها العلوم الاجتماعية - والتى تتمثل أساسا فى ذلك القصور المزمن فى فهم الانسان وتفسير الظواهر الاجتماعية - فان العلماء والباحثين سيقدمون لنا طائفة كبيرة من الأسباب التى تختلف بحسب التوجه النظرى لكل منهم ، ففى كل عام من تلك العلوم الاجتماعية " مدارس " علمية متعددة ، تتبنى نظريات متباينة تتنافس فيما بينها فى تقديم التفسيرات التى تعترف بها للظواهر التى تخص صذلك العلم فى دراستها ، ومن الطبيعى أن يعزو المنتمون إلى كل من تلك المدارس ذلك الاضطراب والقصور النظرى إلى أن غيرهم من الباحثين فى ذلك التخصص ينطلقون من النظريات المنافسة (الخاطئة) الأخري . . ! غير أن أمثال تلك التفسيرات لاتبدو كما رأينا كافية ، لأن المنتمين إلى كل من تلك التوجهات النظرية لابد وأنهم قد شاركوا بسهم وافر فى بحوث ذلك العلم بأنفسهم أيضا مستخدمين أطرا تصورية مستمدة من توجههم النظرى فى تلك البحوث دون أن يؤدى ذلك إلى فتح جديد فى فهم وتفسير الظواهر فى نطاق ذلك العلم . وهذا يسوغ لنا أن نقصر اهتمامنا هنا على التبريرات ذات الطبيعة " العامة " التى تساق عادة عندما يثار موضوع القصور النظرى والتضارب ين نظريات العلوم الاجتماعية بدلا من أن تركز على ما يسوقه أنصار أى مدرسة ضد أنصار المدرسة الأخرى ويمكن تلخيص تلك التبريرات العامة فيما يلى :

١ – لعل أكثر التبريرات العامة التى تساق لتفسير الضعف والاضطراب النظرى فى العلوم الاجتماعية يتمثل فى أن تلك النظريات لاتقف حتى الآن على أرض صلبة وكافية من الحقائق الامبيريقية والملاحظات الواقعية المحققة القابلة للتعميم ، ووجه الاحتجاج هنا هو أن قلة المشاهدات المحققة امبيريقا تفتح الباب واسعا أمام الباحثين لابتكار تفسيرات متعددة – بل ومتناقضة أحيانا – للربط بين تلك الحقائق والتعميمات الامبيريقية القليلة والمحدودة النطاق لكى يصبح لها أى معنى . ويلاحظ أن القائلين بهذا الرأى يفترضون ضمنا أن تلك الحقائق والتعميمات الامبيريقية التى تم التوصل إليها حتي الآن رغم قلتها إلا أنها تأخذ فى اعتبارها " كل المتغيرات " الممكن دراستها دون استبعاد لأى فئة أو طائفة من المتغيرات عن وعى أو عن قصد .

٢ – ويتصل بالتفسير السابق الذى يساق تبريرا لضعف واضطراب نظريات العلوم الاجتماعية تفسيرا آخر يتمثل فى صعبة قياس بعض المتغيرات وصعوبة التحكم فى بعضها الآخر لأسباب تتعلق بعدم قابلية تلك المتغيرات للقياس أصلا ، أولاعتبارات انسانية وأخلاقية ، مما يضطر الباحثين اضطرارا لاستبعاد بعض المتغيرات من دراستهم رغم أنهم مدركون لمدى أهميتها لبناء النظريات فى مجال العلوم الاجتماعية .

٣ – أما التفسير الثالث فيختلف عن التفسيرات السابقة فى أنه يرفض التسليم بأن الصعوبات التى تواجه التنظير فى العلوم الاجتماعية تكمن فقط فى مجرد فقر تلك العلوم من جهة مدى توفر الحقائق الامبيريقية الصلبة ، أو فى صعوبات القياس والتحكم فى المتغيرات وحسب ، وانما يرى أن تلك الصعوبات ترجع أيضا وبصفة أساسية إلى أن العلوم الاجتماعية – جريا على سنن البحث العلمى التقليدية – قد إستبعدت عن عمد قطاعا أساسيا من العوامل أو المتغيرات الفاعلة المؤثرة فى الظواهر السلوكية والاجتماعية وأعنى بذلك المتغيرات الروحية والاعتقادية التى يظن العلماء (للأسباب التاريخية التى شرحناها آنفا) أنه لا يصح ادراجها ضمن المتغيرات التى تتعرض لها دراستهم " العلمية " .

ولو أننا تأملنا التفسير الأول فاننا نجد أنه يصعب قبوله كأساس وحيد لتفسير الحالة الراهنة لنظريات العلوم الاجتماعية ، وذلك على أساس أنه مهما ازداد عدد الحقائق الامبيريقية والتعميمات المستمدة منها فى اتجاهات خاطئة أصلا فان ذلك لن يقربنا إلا قليلا من فهم وتفسير السلوك الانسانى والعلاقات الاجتماعية مادامت بحوثنا مستمرة فى السير في الاتجاهات التى اتخذتها تقليديا ، وذلك لسبب بسيط يتمثل فى أن تطور العلم والمنهج العلمى تاريخيا فى الاتجاهات التى سبق توضيحها يعتبر السبب الرئيسى فى تخلف العلوم الاجتماعية نتيجة لما رأيناه من تضييق لنطاق الظواهر التى تدخل بطريقة مشروعة فى نطاق " العلم " وفقا للتصور أو التوجه

التقليدى السائد الآن ، ذلك التصور الذي يقوم على اتخاذ قرار واع ومقصود باستبعاد العوامل الروحية المتعلقة بصلة الانسان بخالقه من نطاق الدراسة العلمية ، مع أن هذه العوامل قد تكون " أهم المتغيرات المفسرة للسلوك الفردى والعلاقات الاجتماعية كما سنرى فيما بعد .

ثم اننا لو تأملنا التفسير الثانى الذى يرد المشكلة الى صعوبات القياس والتحكم فسنجد أنه أيضا ليس تفسيرا كافيا للضعف النظرى المزمن فى العلوم الاجتماعية ، لأنا مهما تمكنا من زيادة درجة دقة المقاييس المستخدمة ومهما أضفنا متغيرات أخرى لم تخضع من قبل للدراسة بعد أن يصبح قياسها ممكنا ، فان قدرتنا على الفهم والتفسير لن تزيد إلا قليلا ، والسبب فى ذلك أننا مهما تقدمنا فى قياس متغيرات تنتمى إلى التوجه التقليدى المادى للعلم الطبيعى وتترسم خطى توجهاته الايديولوجية فاننا سنظل أسرى ذلك التوجه التقليدى ، ولن يؤدى هذا إلى اتجاه جهودنا البحثية فى الاتجاه الصحيح على الوجه المبين آنفا .

ومن هنا فانه لايتبقى أمامنا إلا التفسير الأخير الذى يبدو أنه يصدق جملة وتفصيلا على الموقف الراهن فى محيط العلوم الاجتماعية : اننا فى هذه العلوم ننطلق (عند قصد أو عن حسن ظن) من منطلقات معادية للوحى ولكل ما يتصل بالله واليوم الآخر ، . . . تلك المنطلقات التى انبثقت فى اطار ظروف تاريخية ومكانية معينة وارتبطت بها ارتباطا وثيقا (سبق شرحها فى الفصل الأول) ، وبناء على ذلك فاننا قد أهملنا أحد المصادر الأساسية (هل نقول المصدر الأساسى ؟) التى يمكن أن توجهنا إلى متغيرات هامة يؤدى أخذها فى الاعتبار حتما إلى زيادة قدرتنا على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بها والتحكم فيها وتغييرها .

ان استمساك بعض العلماء وبعض الهيئات العلمية اليوم بذلك الموقف المعادى للدين والوحى لم يعد له ما يبرره – علميا !! – بعد التطورات الحديثة فى العلوم البيولوجية وفى فهم الطبيعة الانسانية التى بدأت تتراكم نتائجها منذ أوائل السبعينات الميلادية من هذاالقرن ، والتى أدت إلى ثورة شاملة فى فلسفة العلم على الوجه الذى نبينه بعد قليل ، ولم يعد ذلك التمسك بالقديم ذا وظيفة مفيدة لتقدم العلم ذاته بعد تلك التطورات الحاسمة التى أثبتت خطأ النظرة الوضعية المادية وقصورها عن فهم الظواهر الانسانية .

يبدو لنا أن أقصى ما نستطيع أن نتوقعه من جانب الكثيرين من علماء الغرب فى محيط الاعتراف بالعوامل والمتغيرات – غير المادية – أقصد انهم اذا حملهم الواقع على الاعتراف بوجودها فانهم يسارعون إلى التأكيد على أنها ليست ذات مصدر متعال عن تلك القوى الطبيعية والكيميائية التى يتكون منها العالم فى فهمهم وإنما هى عوامل

منبثقة تطوريا عنها – وإذا كان سبيرى يؤكد أن هذه الاتجاهات المعرفية / العقلية الجديدة فى علم النفس تفتح الأبواب أمام " التقارب بين الدين والعلم . . . إذ أنها عدلت من توصيف العلم للطبيعة البشرية وللذات الواعية وأصلحته بطريقة جذرية " إلا أنه عندما يكشف لناعما يقصده بالدين يتبين لنا أنه يتحدث عن نوع من الدين الانسانى " العام " الذى يستطيع أن يتعامل هو طبعا معه كانسان غربى فى ضوء رفضه لما يقدم له من معتقدات نصرانية ، ويهودية . . . فلايجد أمامه إلا البحث عن دين يقوم على قيم أخلاقية هدفها – كما يرى – " المحافظة على البقاء " للإنسان فى هذه الحياة الدنيا . (٥٠)

تلك هى الصورة التى تقدمها لنا المدرسة " المعرفية / العقلية " فى فهم الانسان ، وهناك أيضا مدرسة أخرى بدأت تجد تأييدا كبيرا بين علماء النفس المعاصرين هى المدرسة الانسانية Humanistic Approach والتى تسير أيضا فى خطوط تؤدى إلى نتائج مماثلة ، ويعتبر الاتجاه الانسانى بمثابة ثورة على النزعة المادية الميكانيكية التى سيطرت على النموذج العلمى القديم فى فهم الانسان ودراسته الظواهر الانسانية، ويوضح عالم النفس ايرفين تشايلد (٥١) الخط الأساسى لهذا التوجه بأنه يتمثل فى النظر للانسان " كقوة واعية " لاعلى أنه مجرد حيوان أو آلة ، ويرى أن هذه هى نقطة الأنطلاق الرئيسية لهذا المنظور العلمى الجديد للانسان ، ويضيف أجروس وبستانسيو أن الانسان فى هذا المنظور ليس مجرد رزمة من ردود الأفعال أو الدوافع أو الآليات النفسية ، كما أنه ليس مجرد منتج جانبى لقوى خارجية فاعلة ومواثرة فيه ، وانما هو انسان واع له ارادة يملك حرية الاختيار ، ويملك القدرة على التصرف من أجل تحقيق أهداف ينتقيها بنفسه ، ثم يوضحان أن الأهداف انما تستند بالضرورة إلى " قيم" ومن هنا فان علم النفس فى النظرة الجديدة يشمل دراسة القيم التى توجه السلوك الواعى للفرد ، وينقل المؤلفان عن كارل روجرز تاكيده على ضرورة البحث فى " المعانى العقلية والروحية للسلوك " ، ويعلق أجروس وستانسيو بقولهما أن " مؤدى ذلك أن حياة الانسان الفكرية وحياته الأخلاقية وحياته الروحية هى حقائق مماثلة تماما لحقيقة حياته البيولوجية " ، وينقلان عن عالم النفس رولو ماى قوله أن علم النفس الجديد مفوض من قبل المجتمع للعمل فى ملكوت عقل الانسان وروحه ، ولكن المؤلفين عندما يتعرضان للمقصود بالنواحى الروحية يسيران فى نفس الخطوط العامة للحضارة الغربية أيضا فيفسران النواحى الروحية بأنها تتصل " بالقيم الأخلاقية والفكرية والجمالية " ويوضحان أنها تتضمن المعرفة العقلية والحكمة والمهارة الفنية أضافة إلى جميع الخصال المحمودة كالكرم والشجاعة والأمان والطيبة والصدق .

ومرة أخرى فاننا نلاحظ حتى عند علماء هذه المدرسة أيضا ميلا لا يخفي لتجنب الربط بين الجوانب الروحية وبين المعتقدات الدينية خصوصا فيما يتصل بصلة الانسان بربه وخالقه بالرغم من أن هذين المؤلفين نفسيهما يعترفان – استنادا إلى النظريات الحديثة فى العلوم الطبيعية – فى مواضع أخرى من مؤلفهما القيم بوجود اله حكيم وراء هذا الكون وراء القوانين التى تسيّره ، ولعل السبب فى عدم قدرة أولئك العلماء على اجتياز هذه الخطوة المتبقية فى طريق الرجوع إلى الحق يكمن كما رأينا فى التصورات المحرفة والمشوهة للدين فى تلك المجتمعات ، كما يكمن فى تعدد الديانات فى تلك المجتمعات وتبنيها نتيجة لذلك لفكرة التعددية الدينية Pluralism ولمبادئ العلمانية Secularism .

أما العالم المسلم الذى ينطلق من عقيدة صحيحة غيرمحرفة لا يمكنه إلا التسليم بأن معرفة الانسان وصلته بربه هى محور حياته ، وأنها أهم العوامل المؤثرة على سلوكه ، فكلما كانت معرفة الانسان بالله صحيحة وصلته به قوية كان الاحتمال كبيرا فى أن يأتى سلوكه متمشيا مع التوجيه الالهى لمافيه صلاحه ، فيعيش فى حالة من الطمأنينة والسكينة تتمشى مع أفضل ما يتمناه من يكتبون حول معايير الصحة النفسية والتوافق الاجتماعى فى الدنيا قبل أن يرتحل إلى نعيم الآخرة ، وأما ان كانت معرفته بالله محرفة أو ناقصة أو مشوهة أو كانت صلته بالله منقطعة فان الاحتمال كبير فى أن يكون أكثر تعرضا للاضطرابات النفسية والانحرافات الاجتماعية فى الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين .

وقد فطن كثير من علماء النفس المسلمين إلى تلك الحقائق وطالبوا باعتبار التطور الروحى والخلقى للانسان موضوعا للدراسة النفسية ، فيرى د. عبد الحميد الهاشمى[٥٢] ان الانسان بفطرته كائن حى يتأمل ويتأمل ويعتقد ويؤمن ، وهو قادر على أن يدرك عن يقين وجود الله تعالى ووحدانيته ، ويدرك أهمية طاعة الله عز وجل ، ومن هنا فان من الضرورى دراسة هذا الجانب الروحى فى الانسان لبيان طبيعته ومراحل تطوره وعوامل صحته وانحرافه ، ثم يرد على حجة من زعموا عدم امكان دراسة الجوانب الروحية للانسان دراسة علمية بأن جهل علماء الطبيعة بجوهر الكهرباء والمغنطيسية لم يمنعهم من دراسة آثارها كالحرارة والحركة والضوء ، كما أن علماء النفس يدرسون الذكاء والعاطفة عن طريق دراسة آثارها وعواملها مع الجهل بطبيعتها أو جوهرها ، ثم يصل إلى أن " نفس الشئ صحيح بالنسبة للجانب الروحى من التكوين النفسى للإنسان ، فعلماء النفس ليسوا فى حاجة إلى دراسة حقيقة القيمة والروح وجوهرها بل إلى ظواهرها فى حياة الانسان " ، أما الدكتور مالك بدرى فانه يقرر من واقع دراسته التطبيقية أنه " من الواضح أن الإسلام كأسلوب للحياة يلعب

دورا رئيسيا للغاية فى التطور العاطفى والاجتماعى والشخصى للانسان المسلم "ويرى أن استمرار علماء النفس المسلمين فى استخلاص نظرياتهم وممارستهم من علماء النفس غير المسلمين يعتبر مأساة ، وأن النظر للجوانب الروحية على أنها غيرذات بال فى فهم السلوك يعتبر فهما غير علمى أو على الأقل غير منصف [٥٣] .

فاذا انتقلنا إلى مهن المساعدة الانسانية وخصوصا العلاج النفسى والخدمة الاجتماعية لوجدنا توازيا بين الاتجاهات المهنية السائدة فيها وبين ذات الاتجاهات المتصارعة فى العلوم الاجتماعية التى تستند إليها القاعدة العلمية لتلك المهن ، واذا كنا قد وجدنا أن العلوم الاجتماعية قد حذت فى دراستها للانسان حذو العلوم الطبيعية وتأثرت بتلك العلوم أولا فى اتجاهها المادى الميكانيكي القديم ثم أخيرا فى منظورها العلمى الجديد ، فاننا سنلاحظ أن العلاج النفسى والخدمة الاجتماعية أيضا قد سارت كل منهما على نفس نهج تلك العلوم ، فاتخذت فى منظورها التقليدى القديم توجها علمانيا خالصا يستبعد الدين بالكلية من عملية المساعدة ، ثم اتجهت بعض الكتابات فيها أخيرا على استحياء للمطالبة بعلاقة أوثق مع الدين وبأخذ العوامل الروحية في الاعتبار عند تقديم المساعدة .

فاذا بدأنا بالعلاج النفسى فاننا سنجد مباشرة أن كلا من السائرين على نهج مدرسة التحليل النفسى أو المدرسة السلوكية يتخذون بالتبعية نفس المواقف المعادية للدين والعوامل الروحية التى تتخذها تلك المدارس كما يتمثل ذلك فى أقوال روادها ، فبالنسبة للمدرسة الأولى نجد فرويد [٥٤] يقرر أن الأديان " ينبغى أن تصنف باعتبارها وهما من أوهام الجماهير " وأنها نشأت من حاجة الانسان لحماية نفسه من قوى الطبيعة الساحقة ، وهكذا فان الانسان فى زعمه هو الذى يخلق الله وليس العكس (!) ومن هنا فان الدين فى رأيه هو نوع من الطفولية Infantilism التى لابد أن يتجاوزها الناس يوما ما ، أو أنه نوع من المرض النفسى يقول دوهرتى [٥٥] أن فرويد "قد اعتبر الدين مرضا عصابيا لأنه كان بالنسبة له يمثل نكوصا إلى مرحلة طفولية . . . (وذلك من منطلق) أن الانسان الراشد الذى لا يستطيع التعامل مع مشكلاته بطريقة عقلانية يصيبه النكوص إلى مستوى الدفاعات الطفولية . . . وهذا هو السبب فى أن فرويد يرى أن الدين بذلك يعتبر العصاب الوسواس العام للبشر جميعا .

واذا كان هناك من انشقوا على فرويد وخالفوه فى الرأى حول هذه القضية (اضافة إلى غيرها) مثل يونج ، فإن آراءهم لم يتح لها نفس الدرجة من القبول فى الأوساط العلمية بسبب شيوع الروح المعادية للدين فى تلك الأوساط كما بينا ، وذلك بالرغم من

أن يونج قد عبر عن آرائه المناقضة تماما لآراء فرويد فى الموضوع بكل وضوح وقوة حيث يقرر " أن الدين أبعد ما يكون عن أن يعتبرمرضا عصابيا وادعى أنه لم يحدث أبد أن جاءه مريض بالأمراض العصابية إلا وكان سبب مرضه هو بعده عن الدين ، كما أنه لم يعالج مريضا قط إلا وكان شفاؤه بسبب عودته للدين " . ولكن يونج كان يردد دائما أنه عالم نفس امبيريقى ، ولم يظهر التزامات نحو أى دين معين مما دعا البعض إلى الظن بأنه من اللادرينيين أو حتى من الملاحدة . إلا أنه فقط يسجل الواقع المشاهد أمامه . (٥٦) .

أما مؤسس السلوكية جون واطسون فكان يرى أن جسم الانسان هو " الحقيقة الوحيدة " ، وأن سلوكه وليس وعيه هو الموضوع الصحيح لعلم النفس ، وكان يقول أن الناس مستعدون للاعتراف بأنهم حيوانات ، غير أنهم يريدون أن يضيفوا إلى ذلك شيئا آخر يخلق المشاكل ، ويندرج تحت هذا " الشئ الآخر " عنده كل مايعرف بالدين والحياة بعد الموت ، والأخلاق .

والحقيقة الغارية فى رأيه أن على عالم النفس أن يصف سلوك الانسان بعبارات لاتختلف عن تلك التى تستخدم فى وصف سلوك الثور الذى ننحره (٥٧) .

ولازالت هذه الاتجاهات المعادية للدين منتشرة على نطاق واسع " بين المشتغلين بالعلاج النفسى ولكن البندول ينطلق الآن فى الاتجاه المضاد - كما يقول آلين بيرجين فى مقاله الجيد عن العلاج النفسى والقيم الدينية (٥٩) - ينطلق فى اتجاهات تبتعد عن النزعات الطبيعية والغنوصية (اللا دينية) والانسانية (التى تقدس الانسان) التى سيطرت على علم النفس معظم هذا القرن بعد أن فقد العلم " سلطانه القديم كمحتكر للمعرفة الحقة بعد ما تبين أن العلم ليس إلا نتاجا ثقافيا حدسيا محملا بالقيم " ، وقد فتح هذا الطريق أمام أنواع من الدراسات للظواهر المتصلة بالوعى والادراك الذهنى التى مهدت الطريق بدورها أمام النظر فى امكانية دراسة القوى الروحية المؤثرة فى السلوك الانسانى رغم عدم خضوعها للملاحظة فى الوقت الحالى .

وقد استعرض بيرجين افتراضات كل من الاتجاهين الرئيسيين الغالبين اليوم فى العلاج النفس وهما الاتجاه الذى اسماه بالنفعية الاكلينيكية Clinical Pragmatism الذى يتبنى قيم الثقافة السائدة فى المجتمع (الغربى) دون تمحيص وتقتصرمهمته على مساعدة العملاء علي التوافق معها ، والاتجاه الذى أطلق عليه المثالية الانسانية Humanistic Idealism والذى يتبنى قيما اصلاحية تركز على مساعدة العميل وتحقيق ذاته ، ثم أوضح بيرجين أنه رغم اختلاف هذين الاتجاهين إلا أن موقفهما من

الدين واحد فقال : " ان كلا من الاتجاهين النفعى والانسانى يبدى عدم اكتراث نسبى بالله ، وكذا بعلاقة البشر بالله ، ولايرى امكانية وجود تأثير للعوامل الروحية على السلوك . . . وبهذا فانهما يستبعدان ما يعد واحدا من أكبر الايديولوجيات الفرعية فى المجتمع وأقصد بذلك التصورات الدينية الايمانية التى يعتنقها المؤمنون بالله ويحاولون فى اطارها توجيه سلوكهم وفقا لما يدركون أنه قد شرعه لهم . . . ورغم ما للقيم التى تقوم عليها الاتجاهات النفعية والانسانية من فائدة كبيرة إلا أنها أيضا غالبا ما تصبح سببا فى تدهور المجتمع " ، وفى ضوء هذا التحليل فان بيرجين يدعو رجال العلاج النفسى إلى تبنى اتجاه ثالث بديل يطلق عليه هو الواقعية الايمانية Theistic Realism وهو اتجاه يراه ضروريا لتحقيق فاعلية العلاج مع الأشخاص المتدينين من جهة ، كما يراه محققا لبعث الحياة فى المجتمع ككل من جهة أخرى .

ويوضح بيرجين المسلمات التى يستند إليها هذا الاتجاه البديل فيقول : " إن أول وأهم تلك المسلمات هى أن الله موجود ، وأن البشر هم من خلق الله ، وأن هناك عمليات روحية غير منظورة يتم من خلالها الارتباط بين الله والناس " ثم يعقد للتوضيح مقارنة بين قيم الاتجاه الايمانى من جهة وبين قيم الاتجاهين الآخرين (الاكلينكى والانسانى) من جهة أخرى ننقلها هنا لأهمية دلالاتها :

قيم الاتجاه الايماني (البديل)	قيم الاتجاهين التقليديين
١ - الله قوي (متعال) ولذلك فان التواضع والخضوع لعظمته والطاعة لأوامره تعتبر من الفضائل .	الانسان متعال - تمجيد الذات - الحرية ورفض السلطة الخارجية فضائل .
٢ - هوية الانسان الشخصية خالدة ومصدرها الله ، والعلاقة بالله هي التي تحدد قيمة الذات .	هوية الانسان في هذا الوجود عارضة زائلة - العلاقة بالآخرين هي التي تحدد قيمة الذات .
٣ - ضبط النفس في اطار قيم مطلقة - الالتزام الاخلاقي الصارم - أخلاقيات عامة .	التعبير عن الذات في اطار قيم نسبية - أخلاقيات مرنة - أخلاقيات موقفية .
٤ - الحب والعطف والاستعلاء على الذات أمور أساسية - خدمة الغير والتضحية بالذات محور النمو الشخصي	الحاجات الشخصية وتحقيق الذات أمور أساسية - الرضا عن الذات محور النمو الشخصي .

٥ – الالتزام والولاء والوفاء في الزواج – التأكيد علي الانسان وحياة الأسرة كعوامل تؤدي إلي التكامل .	الزواج المفتوح أو عدم الزواج – التأكيد علي الأشباع الذاتي أو النظر للجنس كنوع من الترويح دون مسئوليات علي المدي البعيد .
٦ – المسئولية الشخصية عن الأفعال التي تضر بالغير والمسئولية عن تعديل السلوك – القبول بالشعور بالذنب والمعاناة والتوبة كأساس للتغيير – رد المظالم لأصحابها ضروري .	الآخرون مسئولون عن مشاكلنا وعن التغيير الحادث فينا – تقليل الشعور بالذنب إلي أقصي حد وتخفيف المعاناة دون أدراك مغزاها – الاعتذار عن المظالم .
٧ – المغفرة لمن يسببون لنا الآلام (بما في ذلك الأبوان) تستكمل عملية استعادة الذات في العلاج .	القبول بالمشاعر المتهمة للآخرين والتعبيرعنها كافيان .
٨ – التوصل للمعرفة من خلال الايمان وبذلك الجهد الذاتي – المعاني والأهداف تستمد من البصيرة الروحية – المعرفة العقلية لا يمكن أن تنفصل عن الجوانب الوجدانية والروحية .	التوصل للمعرفة بالجهد الذاتي وحده ، المعاني والأهداف تستمد من العقل والمنطق – المعرفة العقلية هدف لذاتها – عزل العقل عن بقية جوانب الحياة .

ومن الواضح أن بيرجين يدعو إلى ما يشبه أن يكون اعادة نظر شاملة ، وحقيقية فى ممارسة العلاج النفسى فى الاتجاهات التى يظن أنها يمكن أن تعتبر خطوات فى الاتجاه الصحيح .

أما بالنسبة للخدمة الاجتماعية فانها أيضا وفى اطار سعيها للحصول على مكانة مهنية محترمة كبقية المهن الأقدم منها عهدا فقد تعمدت اغفال الجوانب الروحية والدينية فى ممارستها بصفة عامة حتى تتخذ سمتا مهنيا عاما يمكن معه تطبيقها مع كل الأجناس والأديان مستبعدة بذلك الدين بالكلية ، رغم أن الخدمة الاجتماعية كما يقرر فيلسوف الخدمة الاجتماعية الشهير فرانك برونو هى أقرب المهن إلى الدين حيث يقول : " رغم أن الدين هو أقرب النظم الاجتماعية التصاقا من حيث الهدف بالخدمة الاجتماعية ، فان الأخذ والعطاء بينهما كان أقل كثيرا مما هو بين الخدمة الاجتماعية ، وغيرها من المهن " . (٦٠) ، وتتفق الخدمة الاجتماعية فى موقفها هذا المتباعد عن الدين مع غيرها من مهن المساعدة الانسانية عموما كما يرى جوزيف هيس

إذ يقرر أن مهن المساعدة الانسانية الحديثة تكاد تهمل الجانب الروحى من الوجود الانسانى جملة وتفصيلا فتحيل هذا الوجود إلى مجرد تفاعل بين القوى الغريزية (متابعة لفرويد) والحاجة للحصول على القوة (متابعة لأدلر) (٦١) " .

ولكن العديد من الشواهد قد بدأت تشير الآن إلى اهتمام متنام بالجوانب الروحية والدينية فى الخدمة الاجتماعية فى الولايات المتحدة الأمريكية اليوم كما يقرر ذلك ادوارد كاندا فى مقاله القيم الصادر عام ١٩٨٨ عن " تنوع التوجهات الدينية والروحية وممارسة الخدمة الاجتماعية " ، (٦٢) حيث يشير إلى ظهور عدد كبير من المقالات والكتب والى عقد المؤتمرات فى السنوات الأخيرة حول مختلف جوانب العلاقة بين الدين والخدمة الاجتماعية ، كما يشير بصفة خاصة إلى اسهام ماكس سيبورين وأيرين براور فى توضيح معنى الجوانب الروحية بشكل عام يمكن أن ينطبق على الكثيرمن الديانات والمذاهب حيث يقرران أن الجوانب الروحية " تتضمن الأنشطة الانسانية المتصلة باتخاذ القرارات الموجهة أخلاقيا ، والبحث عن معنى وهدف للحياة ، والسعى للتوصل إلى علاقات متبادلة مشبعة بين الأفراد والمجتمع والحقيقة المطلقة Ultimate Reality أيا كان تصورها " وبطبيعة الحال فان معنى " الحقيقة المطلقة " هو " الله " عند المؤمنين بالله (٦٣) ، وهذا الاتجاه يفتح المجال أمام تجاوز العقبة الكئود التى أعاقت اجراء البحوث فى هذا المجال فى الولايات المتحدة بسبب التعددية الدينية وعدم امكان اقرار توجه دينى واحد يمكن أن تنطلق منه البحوث .

غير أن فنسنتيا جوزيف تشكو من أنه حتى الآن لم يتم اعطاء العوامل الروحية والدينية ما تستحقه من اعتبار فى التنظير للخدمة الاجتماعية رغم أن المهنة تنظر للانسان بطريقة كلية Holistic ، كما تقرر أن ديناميات تفاعل العامل الدينى مع بقية عوامل الشخصية فى مختلف مراحل العمر وكذلك تأثير الدين كعامل من عوامل مواجهة المواقف العسيرة فى الحياة Coping جديران بدراسة أعمق ، وهى تعرّف الدين تعريفا عاما أيضا ليشمل كل الديانات والمذاهب على أنه " التعبير الخارجى (أو الظاهر) عن العقيدة " ثم توضح ما تقصده بالعقيدة على أنها " المعتقدات الداخلية والقيم التى تربط بين الشخص وبين قوة أسمى أو بينه وبين الله " .

ثانيا : دعوي الموضوعية والحياد القيمي

رأينا فى المبحث الأول كيف أن الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية الخاصة التى نشأ فى ظلها العلم الأوروبى الحديث وتطور قد أدت فى النهاية إلى صياغة نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) التقليدية واتجاهات تنأى بالعلم وتترفع به عن أن يكون له

أدنى صلة بالتصورات الدينية السائدة فى الحضارة الغربية ، . . . فى اتجاهات تحصر اهتمام العلم فى الظواهر التى يمكن مشاهدتها بالحواس ، والتى تتوقف بالتالى عند دراسة ما هو كائن وواقع دون اعطاء أى مشروعية علمية لتقويم هذا الواقع .

ورأينا أن مؤسس علم الاجتماع فى صورته الحديثة أوجست كونت قد كان هو فى الوقت ذاته مؤسس الاتجاه الوضعى الذى ارتبط " بالدعوة إلى تحقيق الموضوعية العلمية فى مجال الانسانيات تماما كما تم تحقيقها فى مجال الطبيعيات ، حيث اعتبرت الوضعية ابتداءً أن ارتباط العلم بالأخلاق والقيم من مخلفات القرون الوسطى . . . ولقد فصل رواد علم الاجتماع الأوائل بين . . . مايسمونه أحكام الواقع وأحكام القيم. . . فقد كانت القيم تمثل في نظر علماء الاجتماع أخطر عائق فى سبيل تقدم البحث العلمى حيث اعتقدوا أن البحث العلمى لابد وأن يكون بحثا محايدا ومجردا من كل القيم والمعايير الأخلاقية " .(٦٥)

وجاء ماكس فيبر الذى نسج أو نُسجت حول كتابته " خرافة أن العلوم الاجتماعية ينبغى ويمكن لها أن تلتزم بالحياد القيمى Value - Free " على حد تعبير ألفين جولدنر في مقاله الشهير الذى هاجم فيه بعنف " خرافة علم الاجتماع المتحرر من القيم(٦٦) ، والذى أكد فيه أن الفكرة الشائعة عن امكان وجود علم اجتماع محايد قيميا مستحيلة وسخيفة Absurd ، وتساءل جولدنر عما يعنيه علماء الاجتماع عندما يتحدثون عن العلم الملتزم بالحياد القيمى قائلا : هل يقصدون أنه " بالفعل " متحرر من القيم أم أنه " ينبغى " أن يكون كذلك ؟ هل يريدون لعلماء الاجتماع ألا يكونوا مبالين بالنتائج الأخلاقية المترتبة على بحوثهم ؟ أم يرون أن بامكانهم إصدار الأحكام القيمية بشرط عزلها عن الأحكام الواقعية ؟

هل يقصدون أن على علم الاجتماع ألا يتخذ المبادرة لكى يبين (بناء على خبرته) لغير المتخصصين خطأ بعض الآراء التى يعتنقونها دون تمحيص ؟ أم يقصدون أن عليه أن يلتزم الصمت فلا يتكلم إلا عندما يدعى للكلام عن النتائج المترتبة على بعض السياسات العامة فى الأمور التى تقع فى نطاق اختصاصه ؟ . . . إلى غير ذلك من التصورات التى تبدو من تحليل كتاباتهم .

ثم يسير إلى أن الكثيرين من علماء الاجتماع ممن يؤمنون بأن هذا العلم محايد قيميا يقصدون أشياء مختلفة جدا عن بعضها ، ويلتزمون بتلك التصورات دون تمحيص جاد للأسس التى تقوم عليها تصوراتهم ، ويوضح أن فيبر نفسه لم يكن يمانع

فى التعبير عن القيم إذا تحرر الباحث من الخلط بينها وبين الحقائق ، كما أنه كان أكثر اهتماما باستبعاد القيم " السياسية " أكثر من استبعاد القيم " الدينية أو الجمالية " .

ويكشف لنا جولدنر عن الأسباب التى كانت وراء دعوة فيبر نفسه إلى أن يتصف علم الاجتماع بالحياد القيمى قائلا أن هذه الدعوة كانت بمثابة " عقيدة شخصية جدا لدى فيبر ، وأنها كانت نابعة من ظروف معينة عايشتها الجامعات الألمانية وأساتذتها فى تلك الفترة ، وعاشها علم الاجتماع كعلم ناشئ (٦٧) ، ولكن هذه الدعوة كما يقول قد تحولت عند علماء الاجتماع اليوم إلى جواز مرور شكلى فارغ من المضمون يتذرع به الباحث للتوقف عن التفكير الجاد ، ثم يوضح أنه إذا كان هذا الموقف قد أفاد علماء الاجتماع بتحريرهم من الاندفاع القهرى وراء القيم الأخلاقية للثقافة المحلية التى يعيشون فى اطارها ، الا أنه من جانب آخر قد أدى بهم إلى نوع من " اللامبالاة الأخلاقية واللامعيارية الفاقدة للاتجاه ".

غير أن جولدنر يرى أن " المذهب الذى يؤمن بأن علم الاجتماع ينبغى أن يكون محايدا قيميا انما هو الامتداد الحديث للصراع القديم بين الدين والعقل ، ولقد نشأ هذا المذهب ولازال يعيش على الاتجاهات التى سادت القرن الثالث عشر الميلادى لايجاد فواصل أو حواجز بين الدين والعقل لحفظ السلام بينهما . . . ان مذهب فيبر حول علم اجتماع متحرر من القيم انما يخلق هوة بين العلم والقيم وينطلق من نفس الطريق الذى سلكه سابقوه ممن حرصوا على ابقاء كل من الدين والعلم فى مجال منفصل عن الآخر " . (٦٨)

واذا كان جولدنر قد ألقى الأضواء " التاريخية " على أصول الدعوة الى علوم اجتماعية محايدة قيميا كما بيّن العوامل " الشخصية والمهنية " التى أفرزتها عند فيبر وعند من تابعوه بعلم أو بغير علم ، إلا أن التحليل الواقعى لكتابات علماء الاجتماع يكشف لنا من جهة أخرى أنهم لم يلتزموا " واقعيا " بما كانوا يدعون إليه نظريا من تمسك بالحيدة العلمية بازاء القيم والثقافة بل كانوا جميعا يؤكدون على سيادة وتفوق النمط الغربى ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وسلوكيا وأخلاقيا مما يجعل حيادهم القيمي محل تساؤل شديد ، ويشير وليان فروبند إلى أن ماكس فيبر يكاد لايرى أصالة أو تفردا أو عقلانية إلا فى الغرب والغرب وحده ، حتى وصل به الحال إلى التساؤل عما إذا كانت تلك الأصالة راجعة إلى صفات وراثية عندهم ! .

أما دور كايم فانه كما يقول رايموند آرون " قد سخر علم الاجتماع لأهداف اصلاحية تقوم في جوهرها على أسس علمانية وإلحادية ومادية بقصد احداث تغيرات عميقة داخل البنية الاجتماعية والثقافية الغربية ، ولم يمنعه التزامه العلمي من التصريح بأن علم الاجتماع لم يكن ليستحق ساعة من الاهتمام اذا لم يمكنا من تحسين المجتمع " ، ومن الواضح أن أية نظرة اصلاحية إلى المجتمع وأية محاولة في سبيل تغيير الوضع القائم نحو نموذج اجتماعي أمثل لابد وأن تتم في ضوء معايير تعبر عن قناعة الباحث الاجتماعي وتستجيب للغايات التي تهدف إليها (٦٩) ، فهل يمكن والحال هذه أن نتحدث عن حياد قيمي عند هؤلاء ؟ أم يكون الأوفق أن نتحدث عن تمركز ذاتي حضاري Ethnothentrism يعمي ويصم .

وماذا كانت نتيجة ذلك الحياد القيمي المزعوم ؟ يقول محمد أمزيان " لقد كان لهذا التوجه المنهجي الذي سارت فيه الوضعية نتائج خطرة على المستوى الاجتماعي والأخلاقي ، فلم يعد الأمر يقتصر على تجاهل القيم الاجتماعية واستبعادها من مجال الدراسة وحسب ، بل أن هذا الفصل المنهجي أدى إلى تبرير الواقع الاجتماعي الفاسد بالتأكيد على القيم السائدة أيا كانت طبيعتها وبغض النظر عن سلبياتها وايجابياتها ، ان استبعاد النظرة المعيارية النقدية من مجال الدراسة معناه قبول هذا الواقع كما هو (مادام) السبيل الوحيد إلى إدراك حقيقة المجتمع هو استقراء المحسوس كما (يتبدى) في سلوك الناس وتصرفاتهم ، والقيم السائدة في وسط اجتماعي ما – حسب الوضعية – تعبر عن ظواهر صحية وسليمة لأنها تعبر عن رغبات المجتمع واتجاهه الأخلاقي .. فالمقياس الذي تتحدد وفقه المثل الاجتماعية يتحدد وفق ما هو موجود وشائع بين الناس " (٧٠) ، ويضيف اسماعيل الفاروقي إلى ذلك قوله " إن التطهير المتعمد للعلوم الاجتماعية من جميع اعتبارات القيم الجوهرية قد جعلها عرضة للتأثر بأية قوة تتعرض لها ، وكانت النتيجة لذلك هي استحواذ الحقائق الواقعية لأي مجتمع على المقدرة لتكوين المعايير الخاصة به " . (٧١) .

وبلغة أخرى فاننا إذا أعطينا السلوك الواقعي والقيم الاجتماعية الحاضرة التي تمت دراستها واقعيا في مجتمع ما الصلاحية لتكون المعيار النهائي للحكم على الصواب والخطأ ، واذا عرفنا أن من يملكون القوة في المجتمع يكون لهم قدرة أكبر للتأكيد على معايير وقيم تصبح " هي" المعايير والقيم السائدة ، أدركنا أننا من هذا المنظور انما نكرس الوضع الراهن دون أدنى أمل في الخروج نقديا من إساره في ضوء أي معايير ذات صدق خارجي ، سواء كنا على وعي بذلك أو لم نكن واعين به ، كما أن هذا يفتح الباب من جهة أخرى أمام الداعين إلى " مذاهب النسبية والتشكك

والذاتية " مما يبطل أثر العلوم الاجتماعية ويفسد قوة الايمان والعقيدة والخير والواجب فى تقدير مسارات الحياة والتاريخ (٧٢) .

ولعل المثال التالى من العلوم السياسية يقدم لنا استبصاراً أكبر بالقضية على اعتبار أن السلوك السياسى يتعامل مع حقائق الحياة اليومية الملموسة فى ضوء الصراع أو الموازنات بين القيم ، ومن هنا تتبدى قضايا العلوم الإجتماعية فى نطاق ظواهره بوضوح أكبر ، يقول رشيد موتن (٧٣) " إن العلوم السياسية فى العالم الغربى بكل تأكيد ليست محايدة قيميا ، ورغم أن معظم رجال العلوم السياسية الغربيين يتخذون سمتا يبدو فى ظاهره كالتزام صارم بالحياد القيمى فإنهم يؤكدون (من جهة أخرى) على قدسية الديمقراطية الليبرالية الغربية التي تتوقف اهتماماتها عند الربح وتحقيق أقصى ربح ممكن " وينقل عن كريستيان باى قوله " إن المعارف التى يتم التوصل اليها فى دراساتهم تكون منصهرة بشكل خفى مع الشخصية والتوجه العام للحضارة الغربية مما يترتب عليه أن الآخرين يأخذون تلك المعارف بكاملها دون وعى منهم ، مسلمين بأنها تمثل معرفة علمية خالصة فى ذاتها .

وإذا كان انصهار النموذج العلمى القديم يدعو بالحاح إلى بناء العلم على ما يرون أنه " حقائق " واقعية امبيريقية فقط ، ولا يرون أى مكان فى صرح العلم للقيم أو المسلمات التى لم يتم التحقق من صدقها بالرجوع إلى الواقع المحسوس ، فإن هذا التصور يتناقض مع واقع العلم الحديث نفسه الذى يقوم على " تأكيدات قيمية " على مسلمات غير علمية " Nonscientific على حد تعبير وليام وجود وبول هات (٧٤) ، حيث يشيران إلى أن العلم يقوم على المسلمات الآتية التى لا يمكن اثباتها علميا :

١- أن العالم " موجود " .

٢- أن بامكاننا " معرفة " العالم .

٣- أن الحواس وحدها " هى طريقنا إلى معرفة العالم .

٤- أن الظواهر مرتبطة ببعضها ارتباطا " سببيا " .

ومن الواضح أن تقسيم العمل الحديث قد أدى إلى أن تقع مناقشة مثل تلك القضايا الأشمل - والتى تتحكم فى الاطار الذى يعمل فى نطاقه العلماء فى نطاق عمل المتخصصين فى فلسفة المعرفة (الابستمولوجى) ، أو فلسفة العلم ، أو علم العلم ، فى حين يظل الباحث الغارق إلى أذنيه فى التفاصيل الدقيقة لبحوثه المتخصصة الضيقة غير واع بتلك القضايا وغير مهتم بها أصلا وغير مدرك لدلالتها أو لمغزاها بالنسبة لما يقوم به هو من عمل ، وهو يظن أنه يحسن صنعا وأنه يقف على أرض

صلبة ، فى حين أنه فى الواقع كمن يحرث فى البحر أو يعطى ظهره للطريق الذى اعلن أنه ينوى السير فيه .

وإذا كان البعض قدلا يتصور امكانية الشك " فى المسلمات غير العلمية " التى يقوم عليها بناء العلم الحديث فى منظوره القديم فإن جود وهات يوضحان أنه بالنسبة للمسلّمة الأولى مثلا فإن " كل الجهود التى بذلت لاثبات أن العالم موجود قد باءت بالفشل ، بل انه يمكن فى الواقع انكار وجود العالم على أسس فلسفية " ، ومعنى ذلك أن العلم الذى تقوم أعمدته على التحقق والتطابق مع الواقع انما يقوم هو نفسه على مالا يمكن التحقق منه ، لا لسبب إلا لأننا " نرغب فى التسليم بتلك المسلمات " ليقوم صرح العلم .

أما بالنسبة لمسلّمة امكانية معرفة العالم أصلا وأن الطريق الوحيد لمعرفة الحقيقة هو استخدام الحواس ، فإنها مسلّمات تحيط بها الشكوك من كل جانب عند كثير من العلماء ، فأصحاب النظرة العلمية القديمة أنفسهم تشككوا فى إمكانية معرفة العالم أصلا كما يقول آجروس وستانسيو (٧٥) ، فالسير فرانسيس بيكون الذى يعتبر أبا العلم الحديث وصاحب المنهج الإستقرائى بدأ " بإثارة الشكوك حول الحواس بصفة عامة " على أساس أن " شهادة الحاسة وما يرد إليها من معلومات ترجع على الدوام إلى الإنسان لا إلى الكون " على حد تعبير بيكون نفسه ، الذى شكك أيضا فى قدرة العقل البشرى على ادراك العالم قائلا إن " العقل أشد عرضة للخطأ من الحاسة كثيراً ...فالشئ المؤكد هو أنه مثلما تحرف المرآة غير المستوية أشعة الأجسام تبعا لشكلها ومقطعها ، كذلك لا يستطاع التعويل على العقل حين يتلقى صوت الأشياء عن طريق الحاسة فى أن يكون أمينا فى نقلها، إذا أنه فى نقل انطباعاته يخلط بين طبيعته الخاصة وطبيعة الأشياء " ، وإذا كان الإنسان لا يستطيع الثقة بحواسه ولا بعقله فعلى أى شئ يعتمد فى معرفة العالم ؟ يجيب آجروس وستانسيو بأن بيكون كأنه قد وجد البلسم الشافى فى "التجربة " التى تصحح خداع الحواس حيث يقول " أنا لا أقيم كبير وزن لادراك الحاسة المباشر فى حد ذاته ولكننى أحتال للأمر بحيث تقف وظيفة الحاسة عند الحكم على التجربة ثم تقوم التجربة ذاتها بإصدار الحكم .. إن طبيعة الأشياء أيسر كشفا عن ذاتها تحت ضغط الحيلة البارعة منها وهى تتمتع بحريتها الطبيعية " ، وقد فعل ديكارت نفس الشئ أى " الإرتياب فى حواسه وعقله تماما كما فعل بيكون فهو يتساءل : ما الذى يضمن أن أيا من أفكارى وأحاسيسى يمثل أى شئ خارج كيانى ؟ ولكنه لا يلبث أن يرى أنه لا يستطيع أن يشك فى أن أفكاره موجودة ، فحتى لو كانت هذه الأفكار لا تمثل شيئا خارج نطاق عقله فهى مع ذلك حقيقة .. ومن ثم فهو يقول كلمته المأثورة : أنا أفكر إذن أنا موجود، وعند ديكارت أن " الأنا " هى أدنى إلى اليقين من وجود العالم " .

والآن فإذا رأينا أنه لم يعد هناك من مناص أمام أنصار التوجه العلمى القديم من التسليم بأن العلم ذاته مبنى على قواعد ودعائم قيمية وغير علمية Non-Scientific على الوجه الذى شرحه جود وهات ، فإن هنالك اتفاقا فى الرأى بين الجميع على أن القيم يمكن استخدامها لتوجيه خطوة اختيار مشكلة البحث أو حتى خطوة وضع الفروض ، ولكنها لا تتجاوز هذه الخطوات لتوجيه الملاحظات ولا للانتقاء من بينها فى مرحلة التحقق من صحة الفروض ، كما أنه لا خلاف من زاوية أخرى على أن القيم ذاتها يمكن أن تكون "موضوعا" للدراسة والبحث كظواهر ناشئة عن عملية التنظيم الإجتماعى التى يمكن دراستها بطريقة موضوعية ، ولكن موضع النزاع يكمن فى إستخدامها لتفسير الملاحظات واضفاء المعنى عليها ، فهنا نجد أنصار التوجه العلمى القديم يعترضون علي ذلك أشد الإعتراض رغم أنهم يرتضون ما يقل عن ذلك كثيرامن حيث إمكانية الإعتمـــاد عليه، كالاعتماد فى بناء النظـــرية على التخمينات وما يسمى بالتفكير الإبداعى مثلا – على الوجه الذى نفصله فى الجـزء الثانى من هذه الدراسة .

أما التوجه " الجديد " فى العلم فإنه لم يتحدث عن الموضوعية وإنما عن " الذاتية المشتركة " Intersubjectivity ، يقول ستانلى سترونج (٧٦) " إن الإدراك ليس فعلا سلبيا ولكنه تأويل إيجابى للواقع الخارجى ، فالواقع ليس شيئا معلوما ومسلما به ولكننا نقوم إيجابيا ببنائه (بأنفسنا) ، ولذلك فإن إدراك أى منا للواقع إنما هو بالضرورة إدراك ذاتى ومرتبط بالشخص ذاته "، ولكن لما كانت نظرة الجماعة التى ينتمى إليها كل منا تتضمن بعض أوجه الإتفاق والتجانس فإن أعضاء كل جماعة يشتركون فى رؤية "موحدة نسبيا " للعالم وفى تفسير مشترك " للواقع ، ولا يشترط أن يكون هذا الفهم المشترك للجماعة متطابقا تماما مع الواقع الخارجى ، " فالواقع الخارجى – كما يوجد بصرف النظر عن من يدركه – لا يمكن ببساطة أن نعرفه موضوعيا ، فالواقع كما يظهر لنا فى الرؤية المشتركة يكون ذا صدق ذاتى مشترك Intersubhectively Valid أما عن الصدق الموضوعى فلا يمكن الوصول إليه ".

والواقع أنه حتى لو كان من المقبول أن نتحدث عن الموضوعية والحياد القيمى فى العلوم الطبيعية ، فإنه لا يمكن التسليم بذلك النهج فى دراسة الإنسان والمجتمع البشرى ، " فالمجال الإنسانى متصل بعالم القيم والمصالح والغايات ... (ذلك أن) العالم الطبيعى يبحث موضوعات محايدة ، والنتائج التى ينتهى إليها فى أبحاثه يتساوى تأثيرها فينا، وليست لدى الإنسان مصلحة خاصة فى تغليب نظرته فى العلم الطبيعى على الأخرى (هل يمكننا التسليم حتى بهذا فى ضوء التنازع مثلا بين المنادين بنظرية التطور ونظرية الخلق ؟) أما فى حالة العلوم الإنسانية فإن الموضوعات

التى تتناولها .. والنتائج التى تتوصل إليها تؤثر تأثيرا بالغا فى قيمنا وغاياتنا وتمس مصالحنا وإهتماماتنا.. وحين تقترب من المجال الإنسانى فإن العلم لابد أن يتداخل مع المصالح ومع القيم ويصبح الحياد والموضوعية التامة أمرا عظيم الصعوبة " . (٧٧)

ونضيف إلى ذلك أنه يكون أمرا غير مرغوب فيه على الإطلاق ، لأن الحياة الإجتماعية فى أى مجتمع إنما تستند إلى النسق القيمى المعين الذى يرتضيه الناس ويختارونه من بين جميع الأنساق القيمية المحتملة والممكنة واللانهائية فى تعددها، فلو سلمنا لكل مجتمع بالصدق الذاتى لنسقه القيمى الخاص لانتهينا إلى نسبية يستحيل معها أى علم إجتماعى ذو طبيعة عامة، ولو لم نسلم بذلك صراحة فإن الواقع الذى نراه فى علومنا الإجتماعية اليوم هو التسليم بذلك ضمنا، وذلك من خلال فرض رؤية قيمية موجهة لبحوثنا مستمدة من واحد فقط من الإنساق القيمية إختارته الحضارة الغالبة فى حقبة زمنية معينة ويزعم أصحابه أن له صدقا مطلقا - كما هو الحال مع العلوم الإجتماعية المستمدة من المصادر الغربية اليوم .

وينبنى على هذا نتيجة هامة جدا تتمثل فى أن أى تصور شامل حقيقى يصلح لكى نرد إليه تلك الأطر القيمية المعيارية النسبية لا يمكن أن يأتى من مصدر بشرى ، (فكل المجتمعات والجماعات البشرية متساوية فى نسبية قيمها ، ولا يستطيع أى منها أن يفترض لنسقه القيمى صدقا عاما لمجرد تغلبه الحضارى على غيره) ، وإنما لابد أن يأتى ذلك الإطار الموضوعى المحايد من مصدر خارج نطاق البشر Extra Human ، أى مصدر إلهىّ .

ومن هنا نرى أن الخروج من هذا الطريق المسدود الذى سارت فيه العلوم الإجتماعية ردحا من الزمن ونقصد بذلك الطريق الذى رسمته خرافة العلوم الإجتماعية الموضوعية المتحررة من القيم ، الذى يتحلل فى النهاية إلى تكريس نسبية قيمية ووقوع فى أسر أطر ثقافية بعينها تعزى إليها قيمة موضوعية عامة - نقول أن تجاوز هذا الطريق المسدود لا يمكن أن يتم إلا بالجمع بين الأطر التصورية الإلهية العامة (الموضوعية) من جهة وبين الأطر البشرية النسبية أو الذاتية من جهة أخرى .

ولقد عبر أمزيان (٧٨) عن مثل هذا الموقف بشكل جيد إذ أوضح أنه إذا كانت الدعوة إلى التزام الموضوعية الخالصة فى علم الإجتماع قد استهدفت إستبعاد الأحكام المعيارية تخلصا من نسبية المعايير وقابليتها للإختلاف والتعارض زمانا ومكانا فإنتهت إلى تكريس الواقع المحدود بالزمان والمكان أيا كان، فإن التزام الموضوعية يمكن أن يتحقق فى إطار الإسلام بأخذ المعايير " من الوحى نفسه الذى يتجرد عن كل النزعات

الشخصية والذاتية ... ومن ثم فليس لنا أن نستبعد النظرة المعيارية مادامت العلة الأساسية التى من أجلها استبعدتها الميتودولوجيا الوضعية منتفية " .

كما يعبر د. إسماعيل الفاروقى (٧٩) عن نفس المعنى بطريقته الفريدة قائلا : "يدعى الغرب أن علومه الإجتماعية تتسم بالصفة العلمية لأنها محايدة وتتعمد تفادى الأحكام والتفضيلات الإنسانية وتعامل الحقائق بإعتبارها حقائق وتتركها تتحدث عن نفسها ولكن ذلك كما رأينا يعد إدعاءً باطلا ، ومن ثم فإنه بدلا من الإمتناع عن تحليل النواحى القيمية - الذى لا يمكن تطبيقه على أى حال مع السماح للإعتبارات القيمية أن تقرر النتائج بطريقة سرية - فإن العالم الأصيل يحاول أن يحلل كل جوانب الظاهرة المعروضة ويضع ذلك علنا... إن إضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الإجتماعية يجب أن يعمل على إظهار العلاقة بين الواقع المدروس بالجانب من النموذج الإلهى المتصل به ، ولما كان النموذج الإلهى هو المعيار الذى يجب أن يتحقق فى الواقع فإن تحليل الأمر الواقع ينبغى ألا يغفل أبدا ما يجب أن تكون عليه الأشياء " .

وإذا كان قد تبين لنا الآن إستحالة الظن بوجود " علوم إجتماعية " محايدة قيميا فى الواقع كما يشهد بذلك تاريخ الفكر الإجتماعى ، بل وعدم جدوى ذلك حتى إن كان ذلك ممكنا، وإذا كان قد تبين لنا أن هناك أضرارا جسيمة تلحق ليس فقط بالعلوم الإجتماعية بل بالمجتمعات البشرية كلها من جراء هذا التوجه الزائف، فإن نفس الشئ ينطبق من باب أولى على "مهنة المساعدة الإجتماعية " التى يفترض أنها فى الأساس تجتهد لاحداث تغيرات فى اتجاهات مرغوبة إجتما بيا أى موجهة قيميا ، ذلك أن الضرر الواقع فى حق الأفراد الذين نساعدهم وفى حق المجتمع الذى نخدمه يكون أبلغ إذا سارت تلك المهن فى الإتجاهات التقليدية المفرغة من القيم مهما كانت المبررات التى تساق لتبرير مثل ذلك الوضع .

ولقد عبر ماكس سيبورين عن الإتجاه الذى سارت فيه مهنة الخدمة الإجتماعية طوال حقبة كبيرة من عمرها فقال فى عام د١٩٧ إنه خلال نصف القرن الماضى ٠٠٠لم تكن هناك شعبية كبيرة للحديث عن الفلسفة الإخلاقية فى الخدمة الإجتماعية ، وبدلا من ذلك فقد كان نموذج العلم - المتحرر - من القيم ، وخصوصا العلوم الإجتماعية - المتحررة - من القيم "، هو أن يتوصلوا إلى قيم يمكن قياسها كميا بدلا من أن يجهدوا أنفسهم فى التعامل مع القضايا الفلسفية الكبرى التى تتسم بالغموض ، رغم أنهم بذلك قد ضيعوا الأبعاد الأشمل التى تتعلق بمعنى الحياة ، ويضيف هوارد جولدشتين (٨٠) إلى ما نقله عن سيبورين قوله إن الأخصائيين الإجتماعيين عندما وجدواأن نظرياتهم لا تسعفهم فى مواجهة تعقيدات المسائل المتصلة بالقيم فإنهم تجنبوا الخوض فى الأمور المتصلة بالقضايا الأخلاقة بالتركيز على الجوانب " العلمية " وإتخاذ موقف حيادى يتجنب إصدار الأحكام .

ولقد قام كولين بيل فى عام ١٩٨٨ [٨١] بتحليل الإتجاهات السائدة فى بحوث الخدمة الإجتماعية فى الخمس سنوات الأخيرة ، فتبين له أنه رغم سيادة الاتجاه الإمبيريقى الذى يقتفى أثر الإمبيريقية الوضعية أو الوضعية الجديدة أو الوضعية المنطقية ، إلا أنه قد وجد إتفاقا عاما على عدم الرضا عن ذلك الإتجاه الإمبيريقى ، وإن كانت الإتجاهات نحوه تتفاوت ما بين الرغبة فى تعديله وإصلاحه إلى الثورة عليه ، كما تبين له أن الثائرين على الأتجاه الإمبيريقى لديهم بديل يطرحونه بقوة هو الإتجاه المعيارى Normative Approach ، الذى يقوم على الإعتراف بالقيم ، وإيجاد التكامل بينها وبين المعارف ، مع أخذ الجوانب الذاتية والإستبصار والحدس فى الإعتبار ، وقد عقد بيل مقارنة بين الإتجاهين الإمبيريقى والمعيارى نجتزئ منها ما يلى : –

الإتجاه الإمبيريقي	الإتجاه المعياري.
★العالم يمكن التنبؤ بظواهره ، ويمكن معرفته ويمكن قياسه .	يمكن تفسير الواقع واكتشاف ما يعنيه بالنسبة للناس .
★ الواقع يمكن ادراكه كأجزاء متفرقة فقط .	لا يمكن فهم الأجزاء إلا في إطارها الأشمل
★العالم يمكن التنبؤ بظواهره ، ويمكن معرفته ويمكن قياسه .	يمكن تفسير الواقع واكتشاف ما يعنيه بالنسبة للناس .
★ الواقع يمكن ادراكه كأجزاء متفرقة فقط .	لا يمكن فهم الأجزاء إلا في إطارها الأشمل
★ السلوك يمكن تفسيره بطرق سببية حتمية – نزعة ميكانيكية .	السلوك هادف ابتكاري – يمكن تفسيره ولا يمكن التنبؤ به .
★ مصدر المعرفة هو التجريب والملاحظة ، وأساسها اليقين المستمد من الخبرة الحسية	المعرفة تنشأ من التفسير والبصيرة ، وأساسها الأتصال المتعاطف مع المبحوثين .
★ رفض كل معرفة ميتافيزيقية .	الرموز والمعاني والعوامل غير الظاهرة أساسية للفهم .
★ الفصل بين المعارف والقيم – القيم والمسائل الأخلاقية تقع خارج نطاق إهتمام العلم .	القيم يمكن أن تخضع للدراسة – نسبية اخلاقية تؤدي إلي عدم الاكتراث بالقيم – أو الي فردية فوضوية .
★ رفض التفسيرات الروحية – فصل واضح بين العلم والدين	نسبية المعتقدات الروحية – هذه المعتقدات لها أهميتها لبناء المعاني إجتماعيا.
★ الموقف المحايد قيميا يدعم ضمنا سيطرة الوضع الراهن .	إتجاه محافظ لعدم وجود تحليل بنائي أو تاريخي للمجتمع .

والمتأمل للجدول السابق لا يملك إلا ملاحظة التوازى الواضح مع ما سبق أن وجدناه لدى المشغلين بالعلاج النفسى والذى وصفه بيرجين فى شكل مقابلة بين الإتجاهات التقليدية الإكلينيكية والإنسان من جانب وبين الإتجاه الإيمانى البديل من جانب آخر، ولكن بيل بعد أن ينتهى من المقارنه بين الإتجاهين يقرر أن " الصورة الكلية التى تنبثق من الوصف السابق تشير إلى أن العلاقة بين الإتجاهين المعيارى والإمبيريقى إنما هى علاقة تناقض عدائى ..(ومع ذلك فإن) كلا من المنظورين مرتبط بالآخر ارتباطا وثيقا .. بحيث يكوّنان معا وحدة أكبر ... إن المشكلة تكمن فى أن كل فريق لا يستطيع أن يدرك أن كلا الجانبين يضع يده على جانب من جوانب الحقيقة ، ذلك أن إختلاف كل منهما عن الآخر لا يعنى خطأ الرؤية الأخرى وإنما قد يعني أن كلا منهما له رؤية جزئية وغير كاملة ، وإننى أرى أن الإمبيريقية والمعيارية متكاملتان " .

ولكن كيف يمكن الجمع بين هذين المنظورين المتقابلين رغم أن كلا منهما يقوم على مسلمات متعارضة ؟ إن التأليف بين المتناقضين ليس مجرد عملية مزج بسيط أو خلط لخصائصهما، ولكنه يتضمن إيجاد وحدة جديدة مختلفة الخصائص فى هذا التأليف .

ويتعرض بيل لبعض الطرق التى يمكن من خلالها إيجاد هذه الوحدة ، ويشير إلى أن البعض قد يتصور الحل فى النظر إلى المداخل الإم بيريقية والمعيارية كمداخل منفصلة ولكنها أجزاء من مدخل ابستمولوجى متعدد الطرق Multimethod ، بحيث ينتظر من كل مدخل منهما أن يقدم لنا استبصاراً مختلفا من زاويته دون إمكان القول بأن أحداهما مفضل على الآخر، ويعطينا مثالا على ذلك بأن الباحث مثلا يمكن أن يجمع بين البيانات الموضوعية والذاتية للوصول إلى استبصار أعمق وفهم أفضل للواقع .

ولكنه يحبذ مدخلا للتوحيد " الخلاق " أو الإبتكارى الذى " ينظر للواقع نظرة كلية Wholistic لا تنفصل فيها الأجزاء عن بعضها، ولكنها تتداخل (أو تنطوى) فى بعضها البعض ، بمعنى أن كل شريحة تقتطع من الواقع تكون متداخلة ضمنا مع الكل ، وأن الكل حاضر ضمنا فى كل جزء"، ثم يوضح ما يقصده فيبين أننا لو نظرنا إلى الممارسة الواقعية للإمبيريقية لوجدناها تتضمن بعض عناصر المعيارية ، لكن أصحابها لا يعترفون بذلك نتيجة المغالاة وعدم القدرة على رؤية الحقيقة كما هى ، والعكس أيضا صحيح ، ولكنه يرى أن البصيرة Insight هى الضمان لعدم التناقض بين النتائج ، فالمدخل " الخلاق " يقوم على أن الباحث ليس منفصلا عن موضوع بحثه ، بمعنى أن

فهم موضوع البحث لا يتم فقط من خلال الملاحظة الخارجية التي يقوم بها الباحث ، ولكن من خلال "خبراته الداخلية أيضا "، فعملية " الإستبصار " ليست ذاتية بحتة وليست موضوعية بحته ولكنها تأليف Synthesis بينهما .

ويعالج ويتكين وجوتشوك الموضوع نفسه من زاوية أخري، وينتهيان إلى نتائج مشابهة، فقد قاما بمراجعة المعايير التى تستخدم فى تقويم النظريات فى الخدمة الإجتماعية ، وتوصلا إلى أن هناك شعورا واضحا بضرورة الاستجابة للتطورات الحديثة فى فلسفة العلم وفى العلوم الأخرى والتى تدعو بوضوح إلى مراجعة جذرية للإتجاه الإمبيريقى ، كما أن من الضرورة لأى نظرية تستخدم فى محيط الخدمة الإجتماعية أن تستجيب للأطار القيمى الذى تنطلق منه رسالة المهنة، وينتهيان إلى أن معايير تقويم صلاحية النظريات فى الخدمة الإجتماعية ينبغى أن يتم توسيع نطاقها لتضم إلى جوار المعايير الإبستمولوجية المعتادة (مثل دقة التنبؤ والإتساق الداخلى) معايير أخرى لا تقل عنها أهمية مثل :

١- أن تكون النظرية مفتوحة للنقد ، من خلال بيان الأطر والدلالات التاريخية والثقافية والسياسية والإقتصادية التى تعتبر كمسلمات تنطلق منها النظرية ، حتى تفتح المجال لنقد تلك الأسس والإفتراضات التى يسلم بها عادة دون تمحيص .

٢- أن تعترف النظرية بالإنسان كعامل فعال لا منفعل سلبى أمام المؤثرات السببية ، " اذ أنه يستطيع التدبر والتأمل فى أفعاله ، والتغلب على الأغراءات والصوارف عن تحقيق أهدافه ، والتحكم فى شهواته ، وتبنى مبادئ جديدة " .

٣- أن تأخذ النظرية فى إعتبارها خبرات الحياة التى مر بها العميل ، والمعنى الذى يرى تلك الخبرات فى ضوئه ومن وجهة نظره ، بدلا من أن ينَصب الباحث نفسه كعالم واثق بنفسه ممتلئا حكمة وعارفا بما وراء سلوك العميل .

٤- أن تؤكد النظرية على قيمة " العدالة الإجتماعية " لتحرير الأفراد والجماعات من التحكم التعسفى فى حياتهم بإعتبار أن هذه من أهم القيم التى ميزت الخدمة الإجتماعية طوال تاريخها .

والواقع أن من يتفحص المحاولتين السابقتين لتحديث الأساس العلمى للخدمة الإجتماعية لكى يصبح متسقا مع إتجاهات المنظور العلمى الجديد يلاحظ أن كلا منهما قد حاول إيجاد نوع من التوفيق بين الجانب " القيمى " والجانب المعرفى "الإمبيريقى " بطريقة مختلفة ، ففى حين يوحى إسهام كولين بيل بأن الإتجاه المعيارى

يعترف بالقيم والمعتقدات الروحية وبأهميتها لبناء المعانى إجتماعيا ، فإنه ينظر للقيم من منظور " العملاء " أساسا ، ولا يملك إلا الإستنتاج بأن هذا الاعتراف يترتب عليه "نسبية أخلاقية " قد تؤدى إلى عدم الإكتراث بالقيم أساسا، ما دام لكل قيمه المختلفة المساوية فى الوقت نفسه لقيم غيره ، مما يترتب عليه التسليم بالجميع واستبعاد الكل من الصورة ، ولكن إسهام ويتكين وجوتشوك يتجه من الناحية المعيارية إلى الإعتراف " بقيم المهنة " بدلا من التركيز على قيم العملاء وخصوصا قيم العدالة الإجتماعية التى لا يكاد يختلف عليها أحد فى عمومها ولكنها تترك المجال مفتوحا أمام كل التفسيرات عندما نتجه إلى التفضيلات .

ومن هنا يتبين لنا أنه لا مناص من التسليم بأن الحل الحقيقى للمشكلة التى يثيرها فشل المنظور العلمى " القديم " القائم على نظرة وضعية تدعو إلى الحياد القيمى ، وفى نفس الوقت الذى نستجيب فيه للمكتشفات العلمية والتطورات المنهجية التى يقوم عليها المنظور العلمى " الجديد " ، ... نقول أن الحل إنما يكمن فى الإعتراف " بالقيم " كموجه للسلوك الفردى وللترتيبات المجتمعية ، وفى الإعتراف بأن نظريات العلوم الإجتماعية كما تصف الواقع فإنها تشكله فى الوقت ذاته ، ثم الإعتراف بأنه لا يمكن الخلاص من نسبية تلك القيم لأنها تختلف بإختلاف الزمان والمكان – مما يترتب عليه ضرورة التسليم بالنتيجة التى سبقت الإشارة إليها فيما سبق ألا وهى ضرورة أن يكون "مصدر تلك القيم نفسها محايدا " – وهو ما يشير بكل جلاء إلى الوحى كمصدر للقيم التى ينبغى أن توجه السلوك الفردى والجماعى من جهة كما توجه محاولات التنظير " العلمى " له من جهة أخرى .

المبحث السادس : التأصيل الإسلامى لمنهجية البحث العلمى

رأينا فى المبحث الأول من هذه الدراسة أن المنهج العلمى التقليدى يقوم على عدد من المسلمات لأساسية التى لم تتنزل كاملة من سماوات العلم والحكمة والعقل ، ولكنها تبلورت من خلال تفاعل تاريخى طويل ، بين قوى وتوجُهات فكرية ثقافية وسياسية معينة ، وفى إطار مكانى وزمانى معين ، وقد رأينا كيف أن تلك *المسلمات الأساسية* قد اتخذت فى نهاية الأمر طابعا ماديا وضعيا إمبيريقيا ، وقد تبين لنا كيف أن هذا التوجه قد أدى إلى نجاحات وإنجازات باهرة فى دراسة الظواهر الطبيعية ، ولكنه قد أسهم من جانب آخر فى إقامة عقبات كبرى فى طريق دراسة الظوهر الإنسانية ، ولقد توصلنا فى نهاية المطاف إلى أن خروج العلوم الإجتماعية من دائرة الأزمة التى تواجهها رهين بإعادة النظر فى تلك المسلمات الأساسية بشكل جاد ، رغم إدراكنا

لصعوبة الأمر بسبب ما اكتسبه المنهج العلمى من تلك المسلمات عندهم تعلماوتعليما وممارسة على مدى حقبة طويلة من الزمان .

ولقد رأينا أن أصواتا كثيرة فى الغرب قد بدأت - ومن عجب - نتيجة للتقدم العلمى المعاصر المنطقى من المنظور التقليدى ذاته ترتفع مطالبة بمراجعة تلك المسلمات خصوصا فيما يتصل بالتعامل مع الظواهر الإنسانية ، ولكننا رأينا أيضا أن تلك الأصوات لم تستطع - بسبب نفس القيود والمحددات الثقافية ذاتها - أن تتخلص كليا من نزعتها المادية أو من التأثر بظروفها المجتمعية ، فوجدنا أنه بالرغم من تسليم أولئك العلماء مثلا بتأثير ما يطلقون عليه العوامل الروحية والدينية فى السلوك الأنسانى ، إلا أن هذا الإعتراف لم يصل لديهم إلى حد الإعتراف بوجود إله خالق قادر مدبر فاعل فى هذا الوجود ، كما رأينا أنه حتي أولئك العلماء الذين حاربوا الدعوى الشائعة بتحرر العلوم الإجتماعية من القيم قد انتهوا إلى نسبية قيمية تكاد تلغى كل معنى للإعتراف بدور القيم فى تشكيل عملية التنظيم الإجتماعى .

ولقد انتهينا إلى أن عملية إعادة النظر فى المسلمات التى يقوم عليها المنهج العلمى التقليدى ينبغى أن تسير فى إتجاهات تدعم عناصر القوة الأساسية فى هذا المنهج (والتى تتمثل فى فكرة التحقق من صدق القضايا بالتعرف على درجة مطابقتها للواقع المحسوس) ، ولكنه تضعها أيضا فى موضعها الصحيح وفق نظرة الإسلام الشاملة للكون والإنسان ولوظيفة العلم ، بحيث يتبوأ الوحى مكانه الصحيح كمصدر يقينى للمعرفة الكلية المتنزلة من عند خالق ذلك الواقع المحسوس وخالق الحواس التى تدرك معطياته الجزئية .

وإذن فالتوجه الإسلامى لا يقوم - ولا يمكن أن يقوم - على أساس رفض معطيات الحس والعقل ، لأنه كان أول الداعين منذ العصور الوسطى إلى استخدامها فى ملاحظة الظواهر المادية الحسية حين كان العالم « المتحضر » سجين القياس الصورى الأرسطى ، ولكن التوجه الإسلامى فى الوقت ذاته لا يتوقف فى دراسة الظواهر الإنسانية بصفة خاصة عند حد معطيات الحس وحدها كما يفعل المغرقون فى الإمبيريقية ، ولكنه يضم إليها معطيات الوحى التى لا يمكن بدونها التوصل إلى فهم «الإنسان » ذلك الكائن المتميز عن غيره من المخلوقات ، المتضمن فى داخله عالم الغيب متوحدا فى عالم الشهادة أى الروح المتحدة بالجسد .

وسنحاول فى هذا المبحث بيان معالم الطريق لإتمام هذه المهمة ، وذلك من خلال إستعراض المسلمات الأساسية التى يقوم عليها المنهج العلمى للبحث من منظور الإسلام ، مع إستجلاء مكانة الوحى ومكانه فى علاقته بالعقل والحواس توصلا إلى المعرفة «العلمية » ، ثم ننتقل لبيان الأسس التى يقوم عليها النشاط العلمى فى الإسلام

من حيث غاياته وضوابطه ، وذلك قبل أن ننتقل فى الجزء التالى لترجمة متضمنات هذا كله فى شكل إجراءات محددة تتصل مباشرة بالعمل اليومى الذى يقوم به الباحثون - ألا وهو بناء النظرية من المنظور الإسلامى .

أولا : الافتراضات الأساسية التى يقوم عليها البحث العلمي من منظور الإسلام :

يقوم البحث العلمى فى إطار التصور الإسلامى على مجموعة من الإفترضات أو المسلمات الأساسية التى تضعه - مثله فى ذلك مثل أى نشاط إنسانى آخر يقوم به المسلم - موضعه الصحيح فى إطار التوجيهات الإلهية فى النظر لهذا الوجود ولما وراءه ، دون تجاوز للحدود ، ودون انفصال تعسفى عن بقية جوانب الحقيقة ، فلقد رأينا أن التجاوز فى تقدير مكانة العلم الوضعي ، ثم الفصل أو الفصام بين عالم الحس وعالم الغيب كما لو لم تكن بينهم أية صلة ، قد أدت إلى عواقب وخيمة لم تعد فقط على البحث العلمى ذاته بل وتجاوزته إلى المجتمعات التى تسير وفق ذلك التصور الوضعي فى علومها ومهنها .

أما فى المجتمع المسلم - حيث يوضع كل أمر فى موضعه الصحيح دون إفراط أو تفريط - فإن كل نشاط إنسانى يتوافق ويتناغم مع غيره من الأنشطة بما يؤدى إلى صلاحه فى ذاته كما يؤدى إلى صلاح الكل الذى هو جزء منه ، ومن هنا فإن العلم والمنهج العلمى فى منظور الإسلام يقومان على مسلمات لا تؤدى فقط إلى فاعليه العلم فى الوصول إلى الحقيقة وإنما تؤدى إيضا بفضل الله إلى صلاح أحوال المجتمعات ليس فقط فى هذه الدنيا بل وأيضا فى الآخرة ... متجاوزة بذلك قصور النظرة البشرية لدور العلم ، وموحدة لجوانب الوجود فى تناغم وتكامل لا نظير له « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » (البقرة : ١٣٨).

وفيما يلى نسوق مجموعة من المسلمات التى تعطى العلم فى المنظور الإسلامى أصالته ، فى إطار الفهم الأشمل لحياة الناس فى هذه الدنيا فى صلتها التى لا تنقصم بحياتهم فى دار الخلود ، وقد يختلف الباحثون فى صياغة هذه المسلمات فيقدمون فيها أو يؤخرون ، أو يفصلون فيها أو يجملون، ولكننا نظن أن هناك إتفاقا عاما على مضمون هذ المسلمات بشكل أو آخر - مع وجود مجال لقدر محدود من الأختلاف مرده اختلافات الرؤية الشخصية والخبرة الفردية مما يحتمل بعض الأخذ والرد ، ولقد اعتمدت بصفة عامة فى صياغة هذه المسلمات على مجموعة المبادئ التى صاغها د. إسماعيل الفاروقى - يرحمه الله - [٨٢] إضافة إلى ما وجدته عند غيره مما يثرى ذلك الإطار العام ويزيده تحديدا.

(١) وحدة الخالق ووحدة الخلق :

إن وحدانية الله سبحانه وتعالى هى محور التصور الإسلامي وذروة سنامه ، والإيمان بوحدانية الله هو أول وأهم عامل - على الإطلاق - من العوامل الموجهة لسلوك الإنسان المسلم فى كل جانب من جوانب حياته وفى كل عمل يقوم به دون استثناء ، فوفقا لهذا التصور يؤمن المسلم أن الله خلق هذا الوجود، ويعرف أنه سبحانه متصف بكل صفات الكمال ، وأنه مطلق الإرادة والتصرف فى ملكه دون شريك ، « ألا له الخلق والأمر » (الأعراف : ٥٤) ، وهو صاحب الحق الأوحد في تحديد الغاية من وجود جميع الكائنات التى خلقها بعلم وقدرة وحكمة ، وصاحب الحق فى تحديد القوانين التي تحكم الوجود كله ، وإذا كان سبحانه قد أعطى البشر حرية الإختيار فإن طاعة أوامره ونواهيه والرغبة في تحقيق مرضاته سبحانه هي أوجب الواجبات عليهم ، وهو لا يريد بما يأمر به إلا الخير ، فهو لم يخلق الناس عبثا ، وإنما هو رادهم إلى معاد ، ومجازيهم على أفعالهم .

فإذا تيقن المسلم أن الله خالقه ورازقه ، وأنه هو الرؤوف الرحيم الكريم اللطيف الودود ، وأنه هو الملك الديان الذي إليه المرجع والمآل ، عرف أنه لا خير فى شئ أبدا إلا أن يجئ وفق أمره ، وأنه مصدر كل خير ، وأصبح الله وحده موضع تقديسه ومحبته ، فلا يفعل إلا ما يرضى الرب ولا يقصد إلا وجهه فى كل ما يأتى ويدع - فى سعية لتحصيل الرزق كما فى سعيه لتحصيل العلم .

ويترتب علي وحدانية الخالق بالضرورة وحدة الخلق ، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (الأنبياء : ٢٢) ، فالكون نظام واحد متكامل لأنه من صنع خالق واحد يرى نظامه وتقديره فى كل جزء منه ، والنظام الكونى يتكون من قوانين الطبيعة التى هى سنن الله السارية فى خلقه المادى أو النفسى أو الإجتماعى أو الأخلاقى ، وكل كائن يوجد وكل حدث يقع فى الكون وفقا لتلك القوانين إنما يتم على ما قضى به أمر الله وقدرت حكمته وبما أودع فى كل كائن من طبع وقوة ، وما خص به كل نفس إنسانية من إرادة وطبع وقوة تمكنها من الأداء والسعى والتغير وفق ما اقتضت كليات حكمة الله وإرادته .

فالأسباب فى هذا الكون هي أسباب وسنن إلهية مرد وجودها وعلاقاتها وآثارها الكلية إلى الله سبحانه وتعالى ، وليس على الإنسان إلا السعى فى مناكبها وفق طاقته ، وهو مسؤول بحسب إرادته وقدرته ، وجزاؤه وحسابه على ما كسبت يداه بعد ذلك إلى الله، أما الكليات الإلهية خلف مجمل هذه السنن والأسباب فذلك من أمر الله ، ويتعلق بعلمه المطلق الذى لا يحيط به أحد إلا بإذنه إذ يوحي من أمره ما يشاء لمن

يشاء ممن اختارهم من الرسل ، فهو سبحانه خالق تلك السنن، وهو ذاته منزل الوحى لهداية البشر لما شاء من تلك السنن إلى جانب وظيفة الوحى فى إرشاد الناس لما ينبغى عليهم فعله لتحقيق مرضاته .

(٢) وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة :

ويترتب على ما سبق أن « العقل » بما أودع الله فيه من قوة مدركة للمعاني والأسباب ، و«الوحى » الذى أرسل الله به رسله يتكاملان ويتكاتفان علي فهم الغايات والأسباب وعلاقتهما فى هذا الوجود كما فطره البارى وسخره - وهذا يصدق طبعا إذا استقام فهم معنى العقل ودوره ، ومعنى الوحى ودلالته ، وطبيعة التكامل بينهما وصورته .

فالعلاقة بين العقل والوحى علاقة ذات طبيعة خاصة جداً .. علاقة تتطلب حرصا ودقة فى التناول إذا أردنا تجنب الوقوع فى التجاوز ، أو الإنسياق وراء ما تهوى الأنفس مما حسنت صورته وساءت عاقبته ، فقد يبالغ البعض فى تمجيد العقل بقوله إن العقل أساس فى ثبوت الوحى والتسليم به أصل ، فإن كان المقصود بهذا أن العقل أساس فى التكليف بمعنى أن المجنون الذى لا عقل عنده يسقط عنه التكليف ، فهذا الإستخدام للفظ مما لا يمارى فيه أحد ، ولكن أى إيحاء بأن العقل حاكم على الوحى فإنه أمر لا يمكن قبوله أو التهاون فيه .

ويري أهل الأعتدال فى الأمر (٨٣) أن العقل وسيلة لإدراك صدق الوحى ،لأن الوحى قد قام الدليل العقلى على صحته من خلال الإعجاز والتحدى ، فالإعجاز (بكل المعانى المتفق عليها) دليل على صحة القرآن الكريم وصحة نسبته إلى البارى جل شأنه ، كما أن التحدى قد أثبت عجز البشر أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله بما لا يدع مجالا لأى شك فى نسبته إليه سبحانه ، وإذن فالإيمان بالله والرسول والكتاب بالنسبة لنا « حقائق موضوعية .. وهناك أدلة عقلية على صحتها ، فهي ليست مجرد دعوى اعتقادية بل هى إيمان يقوم على علم» (٨٤) .

ولكن التساؤل الذى قد يثار هنا إضافة إلى ذلك هو : هل النظر فى الأدلة العقلية المثبتة لصحة الوحى أمر عقلى بحق ؟ أم أن النظر العقلى شرط « ضرورى » وأن لم يكن « كافيا » وحده لإثبات صحة الوحى ؟ إن من ينظر فى الآيات الكريمة التى تتعرض لقضايا الإيمان بالوحى يجد أنها تربط بين أمور « عقلية » أساسا كالتدبر والتفكر ، وبين أمور « وجدانية » كالخوف والتقوى ، وأمور « روحية » كرجاء النشور أو حضور القلب الذى يتأثر بنوع « السلوك» ...، تأمل مثلا الآيات الكريمة التالية :

١- « وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم » (الذاريات ٣٧) .

٢- « أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا» (الفرقان ٤٠) .

٣- « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (ق ٣٧).

٤- « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (محمد ٢٤) .

٥- « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (المطففين ١٤) .

فهذه الآيات الكريمة تربط بين الإدراك والوجدان والنزوع ، وكأن فيها إشارة لا تخفى إلى أن قضايا الإدراك فى المنظور الإسلامى ترتبط بطريقة ما بقضايا الواجدن بل والسلوك أيضا ، وبلغة أخرى فإن القلب إذ ا صفا وزكا ، يفتح الطريق أمام العقل المتأمل المتدبر المتوازن ، لإدراك صحة الوحي والإيمان بحقائقه ، وكلاهما يتطلب استقامة فى السلوك واعتدالا فى القصد حتى يبلغ مبلغه .

ومن جهة أخرى فإننا نجد الآيات القرآنية وإن دعت فى مواضع عديدة إلى إعمال الحواس كالسمع والبصر كوسائل للأدرك الحسى ، فإنها تشير أيضا إلى أن الحواس وحدها ليست كافية للمعرفة الكاملة المحققة « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها » (الأعراف : ١٧٩) . « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (الحج : ٤٦) .

وهذا كله يشير بوضوح إلى عدم إمكان الفصل المصطنع فى المنظور الإسلامى بين الجوانب الإدراكية « المعرفية » للإنسان الباحث عن المعرفة وبين بقية جوانب أو مكونات الإنسان الوجدانية والروحية والسلوكية ، وأن هذا إن صح فى دراسة الوجود المادى المشاع للمؤمن والكافر ، فإنه مستحيل فى دراسة النفس الإنسانية (المتضمنة بطبيعتها لجوانب غيبية) أو دراسة الترتيبات المجتمعية المرتبط بها تكاليف تمتد نتائجها وآثارها من الحياة الدنيا إلى الأخرة .

والعلم عند المسلم إذن هو ثمرة التوجيه « الوحي » للعقل حتى يستطيع إدراك كليات الكون على حقيقتها التى يعلمها الله ، ليقوم « العقل » بدوره بتوجيه مدركات «الحواس » وإضفاء المعنى عليها ، وبهذا يقوم فى الإسلام نسق المعرفة الواحد ، لفهم الحقيقة الواحدة ، التي خلقها الإله الواحد .

فالوحى يوجه العقل فى المجالات التى تخرج عن قدرته على المعرفة والإحاطة والإدراك ، وتتمثل تلك المجالات أولا في كل ما يتصل بعالم الغيب الذى يعتبر النظام المعرفى الحَكَم علي عوالم المعرفة كلها ، على أساس أن عالم الغيب هو عالم البقاء والدوام فى حين أن عالم الشهادة عالم زائل فان ، كما تتمثل ثانيا فى كليات عالم

الشهادة من حيث إضفاء المعنى على المدركات الجزئية لذلك العالم من جهة ، ومن حيث ربط تلك المدركات – مرة أخرى – بعالم الغيب .

أما العقل فدوره هو توجيه الملاحظات أو المشاهدات الحسية بشكل يضفى عليها شيئا من المعنى حتى تتيسر الحياة البشرية حتى لأولئك الذين لم تصلهم رسالات الرسل ، وإذا كان هذا وحده يعد كافيا فى فهم الظواهر غير الإنسانية ، إلا أنه لا يكفى لفهم الظواهر الإنسانية المتضمنة فى صميم بنائها مكونات تنتمى إلى عالم الغيب (الروح)، ذلك أن تلك الظواهر الإنسانية تتطلب أن يتم تفسير المشاهدات الحسية المتصلة بها من خلال معطيات العقل المؤمن الذى يستقى المعنى ليس فقط من كليات عالم الشهادة وإنما – وهو الأهم – من صلة معطيات عالم الشهادة بعالم الغيب .

وبلغة أخرى فإنه إذا كان العقل هو وسيلة الإنسان للإدراك وطلب الأسباب وتنظيم الملاحظات الحسية ، فإن الوحى المنزل من عند الخالق الحكيم مقصوده هداية الإنسان واستكمال ادراكاته ، من خلال تحديد غايات الحياة الرشيدة للإنسان وتحديد مسؤولياته فى هذه الحياة ، ووصل إدراكه الجزئى بالمدركات الكلية فيما وراء الحياة الدنيا، وبيان المفاهيم الإنسانية ، والاجتماعية اللازمة لتمكين العقل والإرادة الإنسانية من حمل مسؤولياتها وفق الغايات المحددة لها فى هذه الحياة – ذلك أن العقل الإنسانى رغم مكانته وكل إمكاناته، يظل محدودا وجزئيا يعتمد الاستقراء وتراكمات المعرفة والخبرة لأداء دوره، ومن هنا فقد جاء الوحى لإمداده بالمدركات الكلية حول الكون وموضع الإنسان منه ومهمة وجوده والقواعد الأساسية لعلاقاته الاجتماعية حتى يستقيم الأمر وفق المرد الإلهى من خلق هذا الوجود وكل ما فيه ، وإلا تاه البشر وراء منتجات عقولهم المحدودة بطبيعتها بحدود خبراتهم ، بل والمتأثرة بما تهواه أنفسهم ، مما لا يمكن أن يؤدى فى النهاية إلا الى الضلال . صحيح أن العقول والحواس ستكون قادرة تماما على إدراك الكثير من الأمور الجزئية الصحيحة ، ولكن فى الحساب الختامى فإن البشر يكونون كمن يكسب معركة ويخسر الحرب كلها ، إذ يفرحون بما عندهم من العلم ويغفلون عن الأبعاد الأشمل للوجود « فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » (غافر : ٨٣)

(٣) تكامل الوحي والعقل والحواس :

رأينا فيما تقدم أن نظرية المعرفة فى الإسلام تقوم على وحدة الحقيقة ، المستمدة من وحدانية الله ، الذى يملك الحقيقة الكاملة سواء فى ذلك الحقائق اليقينية التى يوحى بها إلى رسله لإرشاد عباده أو الحقائق الاحتمالية التى تركت

لاجتهاد البشر فى اكتشاف السنن الكونية ، ولا يمكن أن يكون ما يوحى به الله سبحانه مختلفا عن الحقيقة الكونية الثابتة ، لأنه سبحانه خلق الحقائق كلها ، ولقد رأينا أن الوحى لم يقتصر فقط على الإخبار عن حقيقة وجود الله وصفاته ، أو التعريف بما وراء هذا الوجود من مغيبات ، ولكنه يرشدنا أيضا إلى جوهر القوانين الطبيعية والسنن الإلهية التى يسير الكون وفقا لها ، كما يرشدنا إلى الغاية منها وبالتالى فإننا نستطيع أن نتوقع التطابق التام بين ما نصل إليه من مشاهدات حسية محققة وبين ما يأتى به الوحى من حقائق يقينية .

وإذن فإن هناك استحالة لوجود تناقض « حقيقى » بين معطيات الوحى ومعطيات العقل والحواس ، ولكن من الممكن وقوع تناقض « ظاهرى » ، قد يرجع إلى سوء فهمنا أو قصور تفسيرنا لمعطيات الوحى كما قد يرجع إلى أخطائنا المنهجية أو أخطائنا فى قياس المتغيرات فى مشاهداتنا الحسية ، وهذا يقتضى منا فى حالة ظهور أى تناقض من مثل هذا النوع بين الوحى والمشاهدات الواقعية أن نقوم بمراجعة مدى دقة فهمنا للوحي من جهة ، وأن نستوثق من جهة أخرى من سلامة كليات وجزئيات إدراكنا لحقائق الواقع ، فالذى يحدث أحيانا أن الباحث حال قيامه بالبحث عن السنن والقوانين الكونية قد يتوهم أو يظن أنه قد أمسك بالحقيقة مع أنه مخطئ ، مما يخلق تعارضاً فى الذهن بين معطيات الوحى ومعطيات العقل والحس ، ويكون على الباحث هنا - إذا كان نزيها ومخلصا فى بحثه عن الحقيقة - أن يعاود النظر فى معطياته ويتفحصها من جديد ، ولا يمكن إلا أن يصل فى النهاية إلى تجلية الحقيقة وإدراكها وحل التناقض الموهوم بين مفهوم الوحى ومسلماته وبين مدركات الواقع ومشاهداته .

فمنطوق الوحى فى أى أمر لابد أن يمثل الحق فى شأن ذلك الأمر ، والإدراك العقلى والمشاهدة الحسية السليمة لابد من أن تؤيد منطوق الوحى ، ولكن « الإدراك الإنسانى » لمفهوم الوحى فى أى أمر بعينه وفى أى لحظة بذاتها يكون جزئيا ويحتمل الخطأ ، ومن هنا فإن حل ذلك التناقض الظاهرى لا يكون بالانتصار العاطفى لأحدهما على الآخر ، وإنما الباحث المسلم شأنه أن يتحلى بالتواضع والإخلاص والتريث ، ثم إن عليه أن يدير دفة الحياة فى ذلك الأمر وفق القيم الإسلامية الأساسية التى تتعلق بها المصلحة فيما يخص الموضوع ، حتى يتسنى فى النهاية تصحيح فهم منطوق الوحى فى الأمر أو تصحيح وجه إدراك الحقيقة العقلية والحسية فى القضية التى تتم دراستها .

وبلغة أخرى فإن الباحث أو متخذ القرار المسلم إذا واجهه مثل ذلك الموقف الذى يختلف فيه منطوق الوحى أو إدراكنا له فى أى لحظة عما توصلنا إليه فى دراساتنا القائمة على المشاهدة الواقعية يكون أمامه حال انتظار تجلى الحقيقة وحل التناقض الموهوم أحد موقفين :

١- أن يتخذ قراراته ويضع خططه فى ضوء ما توصلت إليه الدرسات الواقعية رغم علمه بأن عملية البحث تمر بعدد من الخطوات التى ترد على كل منها إحتمالات الخطأ : بدءاً من غموض تحديد المشكلة ، وقصور تعريف المفاهيم ، إلى عدم ملاءمة المنهج أو الاستراتيجية المستخدمة فى دراسة المشكلة ، ثم ضعف صدق وثبات أدوار البحث ، ثم المشكلات المحيطة بعملية جمع البيانات ، ومخاطر الإقرار اللفظى للمبحوثين ، ثم ضعف صدق وثبات التصنيفات ، ومشكلات تمثيل العينة لمجتمع البحث ، ومشكلات الإستنتاج الإحصائى .. إضافة إلى المخاطر التى تهدد الصدق الخارجى للبحث كله ، وغير ذلك من احتمالات الخطأ التى لا تخفى على كل مهتم بتقويم البحـــوث .

٢- أن يتخذ قراراته ويضع خططه فى ضوء أفضل ما يشير إليه فهمنا لمنطوق الوحى ، وذلك على أساس اليقين بأننا ماأوتينا من العلم إلا قليلا ، وأن العلم هو نوع من الرزق الذى يفتحه الله على خلقه بقدر ، وأن ما كان من العلم مقترنا بالواجب فإنه أقرب احتمالا للصواب من ذلك العلم الجزئى المشوب بالأخطار التى أشرنا إليها آنفا .

ومن الطبيعى أن الباحث المسلم ومتخذ القرار المسلم ليس أمامهما إلا اختيار البديل الثانى ، انتظارا لوضوح مصدر التناقض وحل التعارض الظاهرى ، ليتقدم البحث العلمى من جديد بعد ذلك فى الاتجاهات التى تكشف ، وليضيف إلى معرفتنا المتكاملة ... وهكذا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن الواضح أن تحقيق ما بيّناه من مسلمات ومبادئ فى واقع العمل اليومى للباحثين فى نطاق العلوم الإجتماعية يتطلب نظرة جديدة لطبيعة النظرية فى صلتها بالمشاهدات الإمبيريقية وهو ماسميناه « بثورة التنظير » فى العلوم الاجتماعية .

المراجع والحواشى

(1)Thomas S. Juhn, The Structure of Scientific Revolution (Chicago: University of Chicago Press, 1962, 1970).

(2) Andrew Tudor, Beyond Empiricism (London: Routledge & Kegan Paul, 1982) P.3.

(3) William Gorden "Knowledge and Value : Their Distinction and Relationship in Clarifying Social Work Practice, " in, Beulah Compton& Burt Galaway, Social Work Processes, 2nd ed.(Homewood, Illinois, Dorsey, 1979) P.P. 52-59.

(4) Ernest Greenwood, "The Practice of Science and the Science of Practice ",in, Warren Bennis, et al., (eds). The Planning of Change (New York: Holt, Rinehart, and Winston, 1961) P.P.73-82.

(٥) يذكر القاموس الحديث لعلم الإجتماع أن العلوم الإجتماعية تضم علم الإجتماع وعلم النفس الإجتماعى والأنثروبولوجيا الثقافية والعلوم السياسية والإقتصاد، أما العلوم السلوكية فتضم علم الإجتماع وعلم الناس والأنثروبولوجيا الثقافية وبعض جوانب علم الاقتصاد والعلوم السياسية ، ويشير بعض الباحثين إلى أنه ليس هناك «تعريف محدد ومباشر ومتفق عليه بين كافة العلماء والباحثين حول التسمية الأفضل لهذه المجموعة من العلوم » أنظر : د. علا مصطفى أنور « أزمة المنهج فى العلوم الإنسانية » مجلة المسلم المعاصر ، المجلد ١٤، العدد ٥٥ - ٥٦ ، يناير - يونيو ١٩٩٠، ص ص ١١٥ - ١١٦ .

(٦) لسان العرب لابن منظور ، مادة « علم » .

(٧) كتاب التعريفات للشريف على بن محمد الجرجانى (بيروت : دار الكتب العلمية) ص ١٥٥.

(٨) الراغب الأصفهانى : الذريعة إلى مكارم الشريعة (المنصورة : دار الوفاء) ص ص ١٧٩، ١٨١ .

(٩) برهان الدين الزرنوجى : تعليم المتعلم (دمشق : دار إبن كثير) ، ص ١٣ .

(10) Jerome Ravetz "History of Science", in , Encyclopedia Britanica ,15 th ed ,1975, Vol.16, p.366.

(١١) د. عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الإجتماعى ، الطبعة الثامنة (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٢) ص ص ١٩، ٢٤، ٢٧ .

(12) The Lexicon Webster Dictionary, 1976, P.859.

(13) George Theodorson & Achilles Theodorson, A Nodern Dictionary of Sociology (New York: Barnes & Noble, 1969) P.370.

(14)Gerome Ravetz, op.cit., 366.

(15) Ibid., P. 368.

(16) Albert W.Levi "History of Western Philosophy", in Encyclopedia Britanica, Vol. 14, P.P.257 -259.

(17)Op. cit.

(18) Ibid., P.261.

(19) Jerome Ravetz, op.cit., PP.370 - 371.

(20) Stephen E. Toulmin, "Philosophy of Science", in Encyclopedia Britanica, Vol.16, P.378.

(21) Albert Lev, op.cit, P.265.

(22) Ibid.,P.263.

(23) Jerome Ravetz, op.cit. p. 371.

(24) Ibid.,P. 372.

(25) Albert Levi, op.cit., P.267.

(26) Stephen Toulmin, op.cit., P. 379.

(28) Albert Levi, op.cit., P. 270.

(29) George Theodoeson and Achilles Theodoeson, op. cit., P. 306.

(30) Herbert Feigl."Postitivism and Logical Empiricism" in Encyclopedia Britanica, Vol.14, P.877.

(32) Theodorson & Theodorson, op.cit, P. 307.

(33)Herbert Feigl, op, cit.,PP. 878 -879. 881; and, Albert Leivi, P. 273.

(34) Herbert Feigl, op. cit., P.881.

(35) Andrew Tundor, op.cit., P.3.

(36) Albert Levi, op.cit., P.P.272 - 273.

(37) Herbert Feigl, op.cit., p. 878.

(38) Stephen Toulmin, op. cit., P. 383.

(39) Jerome Ravetz, op. cit.,P. 393.

(40) Johan Galtung, Methodology and Ideology (Copenhagen: Christian Ejlers,1977) P.13.

(41) Stanley Witkin & Shimon Gottschalk "Alternative Creteria for Theory Evaluation", Social Servise Review, June 1988, P. 213.

(٤٢) د. فؤاد أبو حطب « نحو وجهة إسلامية لعلم النفس » بحث مقدم إلى ندوة علم النفس : المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة ١٩٨٩ ، ص ص ٣٣ - ٣٤.

(1) Keith Dixon , Sociological Theory: Pretence and Possibility (London : Rountledge & Kegan Paul 1973), P.26.

(2) H,J,Eysenck & S.Rachman, The Causes and Cures of Neurosis (London:Rountledge & Kegan Paul, 1967) PP.XI - XII.

(3.a.) George Ho¨ward "The Role of Values in the Science of Psychology"American Psychologist, Vol. 40, No.3, March 1985, P.259.

(3.b.) H.J.Eysenck and S. Rachman, op. cit ., P.XII.

(4) Rene V. Dawis, " Old Philosophies and New Kids on the Block, "Journal of Counseling Psychology , Vol.31, No.4, 1984, PP.467, 469.

(5) Joseph Hess, "Social Work‘s Identity Crisis" , Social Thought, Winter 1980, PP.59 -61.

(12) Sonold Ford "Reexamining Guiding Assumptions: Theoretical and Methodological Implications" Journal of Counseling Psychology, Vol. 31, No. 4 1984, P.464.

(13) As quoted by Donald Polkinghorne, "Further Extentions of Metodhlogical Diversity for Counseling Psychology" . Journal of Counseling Psychology, Vol. 31, No4, 1984, P.416.

(14) Roger Sperry " Psychology's Mentalist Paradigm and the Religion/Science Tension", American Psychologist , Vol 43, No 8, August 1988, PP. 608 -609.

(15) Ibid .

(١٥أ) علا مصطفى أنور ، مرجع سابق ، ص ص ١٢١ – ١٢٣.

(20) Ibid., PP. 611 - 612.

(٢١) روبرت أجروس ، جورج ستانسيو ، العلم فى منظوره الجديد، ترجمة كمال خلايلى ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة الفنون والآداب، ١٩٨٩) ص ص ٨٦ – ٩٠ .

(٢٢) عبد الحميد الباشمى « صبغ علم النفس بالصبغة الإسلامية » ، مقال ضمن كتاب : العلوم الطبيعية والإجتماعية من وجهة النظر الإسلامية ، إعداد د. إسماعيل الفاروقى ، د. عبد الله عمر نصيف ، ترجمة د. عبد الحميد الخريبى (جدة : شركة مكتبات عكاظ ، ١٩٨٤) ص ص ٩٦ – ٩٧ .

(٢٣) مالك بدرى « مدمن الكحول : هل يستطيع الإسلام إنقاذه ؟ » مجلة المسلم المعاصر العدد ٣٢ أغسطس – أكتوبر ١٩٨٢) ص ص ١٢٩ – ١٣١ .

(٢٤) أجروس وستانسيو ، مرجع سابق ، ص ص ٥٨ –٥٩ .

(25) E.F,O'Doherty, Religion and Psychology, (New York : Alba House) P.6.

(26) Ibid, PP. 15 -16 .

(٢٧) أجروس وستانيو، مرجع سابق ، ص ص ٨٣ – ٨٥ .

(28) Allen Bergin, "Religiosety and Mental Health' , Professional Psychology, Vol.14, No. 2, 1983, p.170.

(29) Allen Bergin, " Psychotherapy and Religious Values", Journal of Consulting and Clinical Psychology, Vol. 48 , No.1, 1980, PP.95 - 105.

(30) Martin Marty, " Social Service : Godly and Godless ", Social Service Review, Dec. 1980, P. 470.

(31) Joseoh Hess , op. cit., P. 62.

(38) Edward Canda " Spirituality, Religious Diversity , and Social Work Practice",Social Casework, April 1988, P.238; See also: James Midgley et al ," Social Work , Religion, and The Global Challenge of Fundamentalism" International Social Work, Vol. 32. 1989, P. 276.

(٤١) محمد أمزيان « تلازم الموضوعية والمعيارية فى المتودولوجيا الإسلامية » ندوة قضايا المنهجية فى الفكر الإسلامى - قسطنطينة ، الجزائر ، سبتمبر ١٩٨٩ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلام ، ص ١ .

(42) Alvin Gouldner " Anti - Minotaur: The Myth of a Value - Free Sociology"For Sociology: Renewal and Critique in Sociology Today, Penguin Books, 1973.

(٤٣) يمكن الرجوع لتفصيلات تلك الظروف فى مقال جولدنر ص ص ٦- ١١ .

(44) Gouldner, op. cit., P.P.20 - 21.

(٤٥) محمد أمزيان ، مرجع سابق ، ص ص ٦- ٨ .

(٤٦) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٤٧) د. إسماعيل الفاروقى « صياغة العلوم الإجتماعية صياغة إسلامية » مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٢٠ ، ١٤٠٠هـ ، ص ٣٤ .

(٤٨) نفس المرجع السابق .

(49) A. Rashid Moten " Islamization of Knowledge : Methodology of Research in Political Science' Ameican Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 7, No 2, 1990 P. 170.

(50) William Goode and Paul Hatt, Methods in Social Research (New York: Mc Graw-Hill, 1952) P.20.

(٥١) آجروس وستانسيو ، مرجع سابق ، ص ص ٩٧ – ١٠١.

(52) Stanly Strong " Reflections on Human Nature, Science, and Progress in Counselung Psychology", Journal of Counselung Psychology, vol. 31, No 4, p 471.

(٥٣) علا مصطفى أنور ، مرجع سابق ، ص ١٢٢.

(٥٤) محمد أمزيان : مرجع سابق ، ص ١٥ .

(٥٥) إسماعيل الفاروقى « صياغة العلوم ..» ، مرجع سابق ص ص ٣٦ – ٣٧ ، مع مراجعة علي النص كما أورده الفاروقى ونصيف ، مرجع سابق، ص ص ٣٢ – ٣٣ .

(56) Howard Goldstein "The Neglected Moral Link in Social Work Practice", Social Work, May - June , 1987, P.182.

(57) Colin Peile, " Research Paradigms in Social Work:From Stalemate to Creative Synthesis" , Social Service Review, March 1988, P.P 4 - 11 .

(58) Witkin & Gottschalk, op.cit., P.P.211 - 222.

(٥٩) إسماعيل الفاروقى « إسلامية المعرفة » ، المسلم المعاصر العدد ٣٢، ١٤٠٢هـ، ص ص ١٧ – ١٨ .

(١) إسماعيل الفاروقى : إسلامية المعرفة ، ترجمة د. عبد الحميد أبو سليمان (واشنطن : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٨٦) ص ص ٧٥ – ١١٧.

(٢) طه جابر العلوانى : إسلامية المعرفة ، سلسلة محاضرات دورة ستراسبورج ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٨٨ ، ص ٢٨ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ .

مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية

(مع اهتمام خاص بمهن المساعدة الإنسانية)

د. إبراهيم عبدالرحمن رجب

لقد أدرك المشتغلون بالعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية فى معظم البلدان الإسلامية منذ سنوات طويلة ، ولكن بدرجات متفاوتة من الوضوح والشدة ، أن هذه « العلوم » تواجه أزمة فى المنهج والمحتوى تجعلها قاصرة عن فهم الانسان والمجتمع على الوجه المأمول بعد سنوات وسنوات من البحوث الامبيريقية ومحاولات بناء النظرية؛ وأن تلك « المهن » تواجه أزمة فى الهوية كما تواجه أزمة فيما يتصل بدرجة فاعليتها فى تحقيق الآمال المعقودة عليها من حيث إحداث التغييرات المنشودة فى الفرد والجماعة والمجتمع .

ولقد أدرك الجميع أن الخروج من دائرة هذه الأزمة ..وأن التوصل إلى فهم أفضل وأعمق للإنسان والمجتمع ... وأن تحقيق درجة أرقى من الفاعلية لجهود الإصلاح ... كل ذلك انما يتوقف على إيجاد درجة أكبر من التوافق بين العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية من جانب وبين الواقع المادى والاجتماعى والثقافى للمجتمعات التى تجرى فيها البحوث أو تتم فيها الممارسة من جانب آخر .

ولكن الباحثين والممارسين المسلمين بعد هذا الاتفاق العام على ضرورة إتخاذ اجراءات لإصلاح مناهجهم ونظرياتهم وطرقهم فى التدخل قد تبنوا مواقف متباينة ، واتجهوا اتجاهات شتى فى تصورهم للمدى وللطريقة التى ينبغى أو التى يمكن بها تحقيق ذلك التوافق مع الأطر المادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المسلمة . (أو حتى غير المسلمة كما سنرى فيما بعد) .

فلقد رأى البعض أنه لامناص من التسليم بضرورة أخذ الواقع المادى والبنائى المميز للمجتمعات العربية والإسلامية التى تتم فيها البحوث والممارسة فى الاعتبار ، ولكن كانت لهم تحفظاتهم على أخذ العوامل « القيمية والثقافية » فى الاعتبار فى البحوث والممارسة ، على أساس « اعتقادهم » بضرورة ابتعاد العلوم والمهن عن مجال التقييم تجنبا للخلافات فى التوجهات من جهة ، ولعدم امكان التحقق الامبيريقى من صحة القيم والتفضيلات المجتمعية من جهة أخرى ، وبطبيعة الحال فإن هؤلاء – من باب أولى – قد اعترضوا أشد الاعتراض على إدماج « العوامل الروحية والدينية » فى نظرياتهم وبحوثهم وممارساتهم .

ولكن الكثيرين غيرهم قد ارتأوا أنه لايمكن الاستجابة لظروف وأسباب الأزمة التى تواجهها العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية فى العالم الإسلامى بشكل جاد ما

لم يؤخذ الإسلام فى الاعتبار عند دراسة المجتمعات الإسلامية أو عند التدخل المهنى ما دام الإسلام هو العنصر الثقافى الحاكم (أو على الأقل أنه من العناصر المؤثرة والفاعلة) فى الحياة والثقافة فى المجتمع المسلم .

وقد تبلورت هذه الاستجابة فى السنوات الأخيرة بوضوح فى شكل ما أصبح يسعى بأسلمة المعرفة ، أو إسلامية المعرفة ، أو أسلمة العلوم ، أو التوجيه الإسلامى للعلوم ؛ وفى نطاق العلوم الاجتماعية : التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية ، أو ما أشبهها من المسميات ، وقد بذلت جهود كثيرة - وإن كانت متفرقة فى الغالب الأعم - للاستجابة لتلك الدعوة التى بدأت تكتسب الآن أبعاد ما يمكن اعتباره « ثورة علمية » لاتستهدف فى جملتها ما هو أقل من اعادة النظر بطريقة جذرية فى مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ، وفى كل منتجاتها النظرية ، وفى نظريات الممارسة فى مهن المساعدة الانسانية فى ضوء معطيات الإسلام .

غير أن الجهود التى بذلت حتى الآن فى نطاق التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية تتفاوت فيما بينها تفاوتا شديدا من حيث الافتراضات الضمنية أو الظاهرة التى تقوم عليها ، مما تؤدى فى كثير من الأحيان إلى اللبس والغموض ، أو إلى السير فى طرق جانبية لاتحقق الهدف المنشود ، مما يؤدى فى كل الحالات إلى صرف الجهود فى غير طائل ، وإلى تكثير صفوف المعترضين على مايظنون أنه يمثل جهود الأسلمة أو التأصيل الإسلامى تمثيلا صحيحا - رغم أنه ليس كذلك فى حقيقته .

ومن هنا تأتى أهمية المراجعة النقدية للكتابات التى تندرج عادة ضمن جهود أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامى فى نطاق العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الإنسانية ، واستجابة لذلك فإننا سنحاول فى هذه الدراسة أن نتعرف على « المداخل » التى تنطلق منها الكتابات فى هذا المجال ، وأن نتبين ملامح الأرضية التى ينطلق منها كل مدخل من تلك المداخل ، ثم نتناولها تناولا نقديا بما نرجو أن ينير الطريق أمام الباحثين عندما يحاولون تقدير قيمة كل نوع من تلك الكتابات ، أو عندما يخططون للإسهام فى الجهود المتنامية للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية .

ولما كان الحكم على الشئ فرعا عن تصوره ، فقد كان من الضرورى أن ننطلق من تصور محدد لماهية أسلمة المعرفة أو التأصيل الإسلامى ، مع استخلاص المعايير التى ينبغى تطبيقها للتمييز بين المداخل المختلفة التى تنتمى إليها ، ومن هنا فإننا سنبدأ هذه الدراسة بتعريف الأسلمة أو التأصيل ، وتحديد المعايير التى تستخدم فى التمييز بين المداخل المختلفة ، ثم نتعرض لكل مدخل منها بشئ من التفصيل مع إعطاء أمثلة محدودة منها من الكتابات الواقعية ، دون أى محاولة لحصر تلك الكتابات أو تصنيفها فهذا مما يخرج عن أهداف هذه الدراسة .

وسيلاحظ القارئ أننا جمعنا فى هذه الدراسة بين « العلوم » الاجتماعية و « مهن » الممارسة الإنسانية ، وأننا ركزنا فيما يتصل بتلك « العلوم » على أمثلة مستمدة من علم النفس وعلم الاجتماع ، وفى « المهن » على الخدمة الاجتماعية أساسا ، ويرجع ذلك إلى أن اهتمامنا الأصلى منصب على مهنة الخدمة الاجتماعية ، ولكن لما كانت هذه المهنة تستفيد فى بناء قاعدتها المعرفية المتصلة بفهم الإنسان والمجتمع البشرى من علم النفس وعلم الاجتماع (اضافة إلى علم الاقتصاد والعلوم السياسية وغيرها) وأنها بالتالى تشترك معها فى نفس القطاعات من الظواهر التى يتم التعامل معها ، فإن هناك توازيا ملحوظا فيما يتصل بقضايا التأصيل الإسلامى بين هذه التخصصات الثلاثة مما يبرر الجمع بينها فى دراسة واحدة حول هذا الموضوع ، ومن هنا فإننا سنستخدم - للسهولة فقط - من الآن فصاعدا اصطلاح التأصيل الإسلامى « للعلوم الاجتماعية » للدلالة على مجموع اهتمامات هذه التخصصات الثلاثة فى المواضع التى تتحد فيها المواقف ، مع الإشارة إلى التخصص المقصود على حدة كلما اختصت المناقشة به وحده .

المبحث الأول : مفهوم التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية

لقد بدأت إرهاصات الربط بين العلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية من جانب وبين الإسلام من جانب آخر منذ انتصاف هذا القرن فى مصر ، حيث عبر البعض على استحياء فى محاضراتهم وفى بعض الكتابات المحدودة عن أهمية تلك القضية ، إلا أنه يبرز من بين تلك الأعمال بوضوح الرسالة التى قدمها د. فؤاد عبدالله نويرة - يرحمه الله - إلى إحدى الجامعات الأمريكية (١٩٥٨) والتى حاول التوصل فيها إلى مبادئ للخدمة الاجتماعية مستمدة من القرآن الكريم ، ولكن هذه الجهود كانت بمثابة قطرة فى بحر نقل إسهامات « العلوم الحديثة » من الدول الأخرى «المتقدمة » أو التى « سبقتنا فى هذا المجال » .

ولابد هنا من كلمة حق تقال ، فإن أحوال العالم الإسلامى فى تلك السنوات الباكرة كانت على مستوى لايكاد يطمح معه أحد فى أكثر من « استيعاب » مالدى الآخرين ، دون أمل فى « اللحاق » بهم ، ناهيك عن « تجاوزهم » ، ومن هنا فإننا نستطيع أن نتفهم الحقيقة الواقعة وهى أن التيار العام للعلوم والمهن كان جل اهتمامه هو مجرد «نقل» المنتجات الحديثة أكثر من « نقدها » ، يدعم هذا اتجاه عام فى المجتمعات لطرد القوات الاستعمارية وتحقيق « الانتصار» لإرادة الشعوب الإسلامية ظاهريا .

ولكن فشل تطبيق النموذج العلمى « المتقدم » فى قطاع دراسات الانسان والمجتمع على أرضه وعلى أرضنا ، إضافة إلى تغير الاتجاهات فى المجتمعات الإسلامية التى بدأت الصحوة الإسلامية تبث فيها روح الثقة والأمل من جديد ... كل هذا قد ساعد على تغيير الصورة إلى حد كبير .

وعلى أى حال فإننا ودون دخول فى التفاصيل نستطيع أن نعتبر أن إطلاق إشارة البدء الحقيقية لحركة التأصيل الإسلامى للعلوم قد جاءت بعد ذلك بسنوات طويلة فى مقال ترجم بعنوان « أسلمة المعرفة » للدكتور إسماعيل الفاروقى (١٩٨٢) ، وإذا كان ذلك المقال قد سبقه عمل آخر للفاروقى قدم فى أحد المؤتمرات العلمية عام ١٩٧٧ وترجم بعنوان « صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية » (١٩٨٠) ، إلا أن المقال المشار إليه أولا قد جاء حاوياً لبرنامج واضح ومتكامل للتأصيل الإسلامى لكل العلوم لأول مرة ، كما جاء متضمنا لمراحل وخطوات محددة تعتبر حتى اليوم بمثابة علامة بارزة على الطريق فتحت الأبواب أمام إسهامات متعددة انطلقت من نفس المنطلق ، بل وأطلقت جهودا مؤسسية واعية ومنظمة لتحقيق أهداف هذا البرنامج بشكل جاد .

غير أن الترجمة العربية للاصطلاح الأصلى وهو Islamization of Knowledge إلى « أسلمة المعرفة » قد أثارت شيئا من الجدل لدي البعض ممن رأوا أن المعرفة «محايدة » و « عالمية » ولايمكن أن توصف بأنها مسلمة أو كافرة ، اضافة إلى أن البعض الآخر قد وجد شيئا فى دلالة الاشتقاق اللفظى على المضمون فاختار ترجمته «بإسلامية المعرفة » بدلا من ذلك .

وقد رأى آخرون الخروج بالكلية من الخلاف ولو بالعدول عن استخدام لفظ واحد (أسلمة ، إسلامية) إلى اصطلاح مركب فاتجهوا إلى استخدام اصطلاح « التأصيل الإسلامى للعلوم » ، ولكن هؤلاء أيضا لم يسلموا من النقد على أساس أن لفظ «التأصيل » يوحى برد شئ إلى أصله الذى كان موجودا من قبل فى صورته الحالية أو فى صورة مشابهة لها، ولما كان من المُسَلّم به أن العلوم الحديثة بالصورة التى نتعامل معها الآن نتاج حديث أسهمت الحضارة الغربية فى بلورة مناهجه وفى التوصل إلى نتائجه بنصيب الأسد ، فقد رأى البعض أنه ليس تلك العلوم الحديثة « أصل » كان موجودا لدى المسلمين ولكنه اندثر ومهمتنا هى العودة إليه .

ومن هنا فإن الكثيرين قد بدأوا اليوم يميلون إلى استخدام اصطلاح جديد للدلالة على المقصود وهو اصطلاح « التوجية الإسلامى للعلوم » ، الذى يتلافى الايحاء بمعان قد يجد البعض غير مقبولة ، ويبدو أنه ليس هناك ما يحول دون استخدام هذا الاصطلاح فى الوقت الحاضر على الأقل .

ولكن ما يهمنا أن نثبته هنا بوضوح هو أن معظم من يستخدمون هذه المصطلحات إنما يشيرون فى الحقيقة إلى مفهوم « واحد » فى جوهره ، وأن الخلاف بينها إنما هو جوهره خلاف لفظى ، وهذا أمر متوقع باعتبار أن حركة البحث عن الأصول الإسلامية لتوجيه العلوم الحديثه لازالت كما رأينا فى بداياتها الأولى ، ومن المتوقع ألا ينقضى وقت طويل حتى يستقر استخدام هذه المصطلحات ، ولذلك فإن جهدنا ينبغى أن ينصب الآن على تحرى المعنى أو « المفهوم » الذى يكمن وراء هذه المصطلحات جميعها بدلا من المناقشة الشكلية المنصبة على الألفاظ ، وسنكتفى باستخدام اصطلاح « التأصيل الإسلامى » للدلالة على المعنى الذى تتحدث عنه تلك المصطلحات جميعها .

تعريف التأصيل الاسلامى :

لقد قام الدكتور الفاروقى يرحمه الله بتعريف أسلمة المعرفة أو إسلامية المعرفة بأنها « إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها .. أى إعادة تحديد وترتيب المعلومات ، وإعادة النظر فى استنتاجات هذه المعلومات وترابطها ، وإعادة تقويم النتائج ، وإعادة تصور الأهداف ، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن .. من إغناء وخدمة قضية الإسلام (الفاروقى ، ١٩٨٢ : ٥٤) وقد بين أن تحقيق تلك الأهداف يمكن أن يتم من خلال :

١ – فهم واستيعاب العلوم الحديثة فى أرقى حالات تطورها والتمكن منها ، وتحليل واقع تلك العلوم نقديا لتقدير جوانب القوة والضعف فيها من وجهة نظر الإسلام.

٢ – فهم وإستيعاب اسهامات التراث المنطلق من فهم المسلمين للكتاب والسنة فى مختلف العصور ، وتقدير جوانب القوة والضعف فيه ، فى ضوء حاجة المسلمين فى الوقت الحاضر ، وفى ضوء متطلبات المعرفة الحديثة .

٣ – القيام بتلك القفزة الابتكارية الرائدة اللازمة لايجاد تركيبة تجمع بين معطيات التراث الإسلامى ونتائج العلوم العصرية بما يساعد على تحقيق غايات الإسلام العليا (الفاروقى ، ١٩٨٢ : ١٧ – ٢١) .

ولقد حاول محمد رفقى عيسى تحديد مفهوم أسلمة المعرفة فذكر أنها « .. اشتقاق الأسس الشرعية والاستفادة مما توصل إليه علماء الغرب من نتائج مادية تساهم فى عمار الأرض وقيام الانسان بوظيفته المرتضاة له دينا ، وتوجيه هذه النتائج فى سبيل تحقيق الغاية من هذا الوجود » (عيسى (١٩٨٦) : ص ص ٣٣ – ٣٤) .

أما د. عماد الدين خليل (١٩٩٠ : ص ص ٨ – ١١) فقد عرف أسلمة المعرفة أو إسلامية المعرفة بأنها تعنى « ممارسة النشاط المعرفى كشفا ، وتجميعا ، وتركيبا ، وتوصيلا ، ونشرا ، من زاوية التصور الإسلامى للكون والحياة والانسان » ، ثم بين أن مقصوده من النشاط المعرفى هو « ... تسليط العقل البشرى – أو بعبارة أدق القدرات العقلية البشرية – على الظواهر المادية والحيوية والروحية والانسانية فى مدى الكون والعالم والحياة » ، كما أوضح أن « المعرفة » إنما هى مجرد وجه آخر من وجوه حياة الانسان التي ينبغى أن توجه إسلاميا » ... وذلك من أجل أن تصبح الحياة البشرية بكافة أنشطتها وصيغها إسلامية التوجه ، إسلامية الممارسة ، إسلامية المفردات ...

إن إسلامية المعرفة هنا لاتعنى فقط الدعوة لتحقيق الوفاق بين معطيات العلوم الانسانية وبين المطالب الدينية على مستوى التطبيق ، وإنما تعنى قبل هذا وبعده احتواء الأنشطة المعرفية الانسانية على المستويين النظرى والتطبيقى معا من أجل جعلها تتحقق فى دائرة القناعات الإيمانية وتتشكل وفق مطالبها وتصوراتها الشاملة.».

وقد فضل أحد الأقسام العلمية بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية استخدام تعبير « تأصيل العلوم إسلاميا » على تعبير أسلمة العلوم وعرفه بأنه « جعل جميع العلوم التى تدرس فى العالم عامة – وفى العالم العربى والإسلامى خاصة – منطلقة ومنبثقة من أصول الإسلام ومفاهيمه العقائدية المبثوثة فى القرآن والسنة والمحددة لمفاهيم : الألوهية والانسان والكون والحياة ، والعلاقة بين كل منها ، ورفض إقامة العلوم على أصول ومفاهيم تتعارض مع العقيدة الإسلامية ومقتضياتها » (مركز البحوث ، ١٩٨٧ ، ص ٣٤) .

كما قامت اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بتعريف « التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية » على أنه :

« تأسيس تلك العلوم على مايلائمها فى الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها ، وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة ولاتتعارض فى تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية ، ولايعنى ذلك بطبيعة الحال أن تدخل العلوم الاجتماعية فى اطار العلوم الشرعية وإنما المهم ألا تتعارض معها . ولاتتعارض عملية التأصيل بهذا المفهوم العام مع أى تقدم علمى وتطور منهجى لايناقض المنهج الاسلامى على أساس أن الإسلام دعا إلى العلم وحث عليه » .

وقد رأت اللجنة أن هذا يمكن تحقيقه من خلال العناصر التالية :

١ - وضع تصور إسلامي متكامل عن الانسان والمجتمع والثقافة بحيث يمثل الاطار الفكرى العام لدراسة القضايا والموضوعات المطروحة فى مجال العلوم الاجتماعية .

٢ - وضع منهج إسلامى متميز لتلك العلوم يطلق عليه المنهج الإسلامى للعلوم الاجتماعية ينبنى عليه قيام مدرسة متميزة فى العلوم الاجتماعية تسمى المدرسة الإسلامية فى العلوم الاجتماعية .

٣ - العودة إلى الأصول الإسلامية والتراث الإسلامى القويم عند دراسة القضايا التربوية والاجتماعية والنفسية للاستفادة من هذا التراث .

٤ - إبراز المبادئ والمسلمات والمفاهيم والمنطلقات التى تعبر عن التصور الإسلامى للعلوم الاجتماعية وتصحيح النظريات والمفاهيم الاجتماعية على ضوء تلك .

٥ - عرض نتائج البحوث الاجتماعية على القواعد الإسلامية والتصورات الصحيحة فما انسجم معها قُبل وما تعارض معها رُفض وما كان جديدا لايناقض الحقائق والمسلمات الإسلامية قُبل باعتباره اضافة سليمة إلى المعرفة .

أما بالنسبة للتأصيل الإسلامى لعلم النفس فقد تم تعريفه على أنه « اقامة هذا العلم على أساس التصور الاسلامى للانسان ، وعلى أساس مبادئ الاسلامى وحقائق الشريعة الإسلامية بحيث تصبح موضوعات هذا العلم ومايتضمنه من مفاهيم ونظريات متفقة مع مبادئ الإسلام - أو على الأقل - غير متعارضة معها » (محمد عثمان نجاتى، ١٩٨٩ ، ص ص ٦ - ٧) .

أما عن « التوجيه الإسلامى لعلم النفس » فإنه قد عُرّف (كمال مرسى : ١٩٩١ : ٢٥) على أن المقصود به « إيجاد وجهة علمية Scientific Paradigm لهذا العلم فى

البلاد الإسلامية ، مستمدة من منهج حياتها ، توجه علماء النفس المسلمين فى نظرتهم إلى الانسان ، وفى تفسير سلوكه ، وفى وضع برامج تنمية صحته النفسية ، ووقايته من الإنحراف ، وعلاج انحرافاته ، وفى اختيار موضوعات البحوث ، وتفسير نتائجها...» .

ولقد يكون من الممكن في ضوء ماسبق أن نعرف « التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية » أو التوجية الإسلامى للعلوم الاجتماعية إختصاراً بأنه يعنى « بلورة أبعاد التصور الإسلامى للانسان والمجتمع والكون ، واستخدام هذا التصور كأساس معرفى تنطلق منه العلوم الاجتماعية ليكون موجها لنظرياتها ومفسرا لحقائقها ومشاهداتها التى ثبتت صحتها بالتجربة ، أو الدليل العلمى المحقق » ، ويلاحظ أننا قد حاولنا فى هذا التعريف أن نوضح الصورة التى ينبغى أن تكون عليها العلاقة بين معطيات التصور الإسلامى من جانب ، وبين معطيات المشاهدة الحسية التجريبية من جانب آخر، على أساس أن التصور الإسلامى المنطلق من اجتهاد المسلمين فى فهم الوحى يمثل الاطار النظرى الأشمل (الذى يمكن أن يضم أطرا تصورية « تفصيلية » فى داخله بالطبع) الذى ينطلق منه التنظير لفهم الانسان والمجتمع (سواء فيما يتصل بأحوالهما فى هذه الحياة الدنيا مباشرة ، أو فى تأثر تلك الأحوال بما ينتظرهما فى الحياة الباقية) والذى يتم فى ضوئه تفسير الحقائق الامبيريقية أو الملاحظات والمشاهدات التى يتم التوصل إليها من خلال الدراسات الواقعية ، بما نعتقد أنه يعالج الازدواجية المنهجية التى أدت بهذه العلوم إلى الحال التى نجدها عليها الان ، وقد فصلنا القول فى هذه القضية فى غير هذا الموضع (ابراهيم رجب ، ١٩٩١) .

وفى ضوء التعريف السابق يمكن لنا أيضا وبنفس القياس أن نعرّف « التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية « بأنه » بلورة أبعاد التصور الإسلامى للطبيعة البشرية ، وللسنن النفسية والاجتماعية التى تحكم السلوك البشرى والتنظيمات المجتمعية ، وكذلك لأسباب المشكلات الفردية والاجتماعية ، واستخدام هذا التصور لتفسير الحقائق العلمية الجزئية التى تستند اليها ممارسة المهنة ، وكذا لتوجيه المبادئ والقيم المهنية المتضمنة فى نظريات الممارسة وأساليب التدخل المهنى » .

وقد يقول قائل أنه إذا كانت الخدمة الاجتماعية تستند إلى قاعدة علمية مستمدة من علوم النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرها من العلوم الاجتماعية ، واذا كانت تلك العلوم إذا تم تأصيلها ستكون قد « بلورت » أبعاد التصور الإسلامى للطبيعة البشرية والسنن النفسية والاجتماعية ... الخ ، فكيف يتضمن تعريف التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية « بلورة » هذا التصور مرة أخرى ، وبطبيعة الحال فإن هذه الحجة تقوم على أن العلوم الاجتماعية قد بلورت تلك الأبعاد أو أنها ستبلورها فى المدى القريب

نسبيا ، ولكن خبرتنا كمهنيين قد دلتنا على أن تناول العلوم النظرية للقضايا الواقعية عادة ما يتطلب وقتا طويلا لأن تلك العلوم لاتواجه الحاح الواقع على الوجه الذى تصادفه مهن المساعدة الانسانية ، مما يجعل من المحتم على تلك المهن أن تتخذ زمام المبادرة أحيانا لكى تقوم بما كان ينبغى أن يقوم به غيرها ممن تعتمد عليهم في قاعدتها العلمية ، حتى لايطول انتظارها حال وقوفها على خط المواجهة الساخنة مع مشكلات الواقع ، ومن هنا فإن الخدمة الاجتماعية لاتملك فى هذه الأحيان إلا أن تبلور لنفسها من المعارف التى وان لم تكن درجة صدقها محققة أو محددة بالمقاييس الاحصائية إلا أنها كافية لتوجيه تدخلها المهنى فى المواقف المحددة التى تواجهها يوميا وتنتظر اتخاذ قرار لأنها لاتملك رفاهية الانتظار – مع الاستفادة الكاملة بطبيعة الحال من أى شذرات نظرية تكون تلك العلوم قد توصلت اليها ، ثم إن تلك العلوم إذا توصلت فى النهاية إلى معارف متحققا من صدقها فإنها ستسارع بلا ريب فى الاستفادة منها.

المبحث الثانى : شروط التأصيل الإسلامى الصحيح .

إن المتأمل لجميع التعريفات السابقة يجد أنها – رغم بعض الاختلافات فى الصياغة وفى درجة الإجمال أو التفصيل – تجتمع على معان رئيسية مشتركة يمكن لنا أن نعتبرها شروطا للتأصيل الإسلامى الحق ، ويمكن لنا أن نطبقها علميا فى جملتها باعتبارها معيارا للتمييز بين مايندرج فى اطار جهود التأصيل الإسلامى أو التوجيه الإسلامى الصحيح وبين ما لايندرج تحته من إسهامات ، أما مايتجاوز تلك المتطلبات مما ورد فى التعريفات فلا يعدو فى الحقيقة أن يكون من نوع « الضوابط » التى يرى البعض ضرورة التأكيد عليها ومن نوع « التفضيلات » التى تبين الكيفية التى تتم بها عملية التأصيل ذاتها مما يمكن التجاوز عنه فى هذه المرحلة ، لنعود إليها عند الحديث عن التأصيل الإسلامى بالمعنى الشامل ، وفيما يلى نسوق الشروط المحددة المذكورة .

يتطلب التأصيل الإسلامى للعلوم أو التوجيه الإسلامى للعلوم توافر الشروط الثلاثة الاتية مجتمعة :

١ – الانطلاق من ادراك واضح لأبعاد « التصور الإسلامى » للانسان والمجتمع والكون المنبثق من الكتاب والسنة ، ولما يتضمنه تراث الإسلام مما يرتبط بالتخصص ، مع نظرة نقدية لإسهامات علماء المسلمين حول قضاياه .

٢ – استيعاب « العلوم الحديثة » فى أرقى صورها ، مع القدرة على نقدها والاستفادة منها ، وتجاوزها بشكل بناء كلما اقتضى الأمر ذلك .

٣ - ايجاد « تكامل حقيقى » بين معطيات التصور الإسلامى من جانب ، وبين إسهامات العلوم الحديثة من جانب آخر ، وليس مجرد الجمع أو التجاوز المكانى أو حتى المزج بينهما دون وحدة حقيقية .

تلك هى الشروط التى تجمع التعريفات التى عرضناها فيما سبق على ضرورة توافرها إذا كنا نتحدث عن تأصيل إسلامى أو توجيه إسلامى على أى وجه جاد ، وهى فى الوقت ذاته تعتبر كالمقياس أو المعيار الذى يمكن أن تقاس به الإسهامات فى هذا المجال .

ومن الواضح أن هذه الشروط أو المتطلبات الثلاثة ينبغى أن تتوافر « مجتمعة » لكى يصح أن نحكم على أى جهد أو إسهام بأنه ينتمى حقا لما يعتبر من قبيل التأصيل الإسلامى للعلوم بمعناه الصحيح ، وبطبيعة الحال فان توافر هذه الشروط النموذجية فى أى عمل واقعى محدد إنما هو امر غير متوقع ، فأى إسهام أو عمل بعينه قد يقترب أو يبتعد عن هذا النموذج بدرجات متفاوتة ، فقيمة « النموذج » لاتكمن في طلب تحققه كاملا فى الواقع ، وإنما قيمته فى توجيه الأعمال حتى تسير فى اتجاهه وتقترب منه بقدر الامكان وبشكل تراكمى ، ومن جهة أخرى فإن إبراز معالم النموذج يفيدنا من الناحية السلبية فى أنه يكون بمثابة جرس الانذار الذى ينبه إلى أن الجهود التى تسير فى غير اتجاهه (أو فى عكس الاتجاه) لن توصل إلى الهدف - بفرض صحة النموذج طبعا .

المبحث الثالث : مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية

الواقع أن كل من يراجع الكتابات والأعمال التى يدرجها أصحابها فى عداد جهود التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية سيلاحظ أن بعضاً منها تتوفر فيه بالفعل تلك الشروط الثلاثة مجتمعة بما يحملنا على الظن أنها على الأقل تسير فى الاتجاه الصحيح - سواء نجحت فى ذلك أم لم تنجح ، كما أنه سيلاحظ أن بعض الجهود الأخرى قد يتوافر فيها شرط أو شرطان فقط من شروط التأصيل الحق ، وهنا فإنه لايكون بوسعنا إلا أن نحكم على تلك المحاولات بأنها تفتقد الطريق الصحيح ، أو أنها تتوقف عند بعض مراحله - دون أى أيحاء بالانتقاص من قيمتها فى ذاتها ، فالكثير من تلك الأعمال التى تفتقد شرطا من شروط التأصيل الجيد بذل فيها جهد كبير ، وقد تكون لها منفعتها التى لاشك فيها ، ولكن هذا ليس هو مايعنينا فى هذه الدراسة ، لأن اهتمامنا منصب أساسا على درجة متابعة تلك الأعمال لأهداف التأصيل ، والسير في الطريق الصحيح أكثر منه على تحديد قيمة الأعمال فى ذاتها وبالنسبة لأهداف جانبية أخرى قد تكون لها قيمتها الكبيرة .

وبتطبيق تلك القواعد على الأعمال والكتابات التى تندرج عادة تحت مسمى التأصيل قد تبين لنا أن بعضها فقط كما ذكرنا يستحق هذه التسمية (لاستيفائه للشروط الثلاثة) ، كما تبين أن البعض الآخر يندرج فى نطاق مايمكن أن نسميه بجهود أو مداخل « مادون التأصيل » أو « ماقبل التأصيل » أو « شبه التأصيل » وذلك لعدم استيفائها لشرط أو أكثر من تلك الشروط الثلاثة (مع وجود اعتبارات أخرى وأهداف جانبية قد تكون لها وجاهتها يحاول أصحاب تلك الأعمال تحقيقها كما ذكرنا) .

ومن هنا فقد أمكن لنا أن نميز بوضوح بين المدخل المختلفة الآتية :

أولا : مداخل ماقبل التأصيل :

(١) مدخل الملاءمة الاجتماعية والثقافية .

(٢) المدخل الدفاعى (أوالاعتذارى) .

(٣) مدخل « الثقافة الإسلامية » .

(٤) مدخل العلوم الاجتماعية « للمسلمين » .

ثانيا : مداخل التأصيل الإسلامى الصحيح :

(١) المدخل الجزئى (القطاعى) .

(٢) المدخل الشامل .

وفيما يلى نتناول كلا من هذه المداخل بشئ من التفصيل ، حيث نوضح موقف كل منها من حيث درجة الوفاء بشروط ومتطلبات التأصيل الإسلامى الصحيح ، كما نبين المسلمات التى يقوم عليها كل مدخل منها ، ثم نضرب بعض الأمثلة من الأعمال الواقعية التى تبنت كل مدخل من هذه المداخل الستة .

ولكن من الضرورى أن نؤكد هنا أن أى محاولة لتصنيف الأعمال العلمية كمحاولتنا هذه إنما تتضمن بطبيعتها فرضا أو إسقاطا لنوع من الانتظام على مادة واقعية لم تنظم نفسها مسبقا وفقا لأنساقنا التصنيفية ، وبالتالى فإن أى تصنيف يحتمل دائما شيئا من التعسف إذ يحاول مثلا الفصل بين مدخلين « متقاربين » فى مسلماتهما الأساسية ، أو يحاول الجمع بين مدخلين يوجد قدر من الاختلاف بين مسلماتهما ، وبالتالى فإن قيمة أى تصنيف إنما تكمن فى إضفاء صورة « مفهومة » للواقع من خلال ضم متفرقاته فى إطار عدد « محدود » من الفئات اقترابا من ذلك الواقع بقدر الامكان ، مع احتمالات قائمة دائما بوجود قدر من التداخل بين فئات التصنيف ، أو وجود محاولات تنبئ عن امكانية تصنيفها ضمن فئات ذلك النسق التصنيفى ، أو وجود

محاولات تتضمن عناصر من أحد المداخل مع عناصرمن مدخل آخر ويمكن اعتبارها منتمية إلى فئات بينية بين فئات التصنيف .

المبحث الرابع : مداخل ما قبل التأصيل

لقد تبين لنا أننا نستطيع التمييز بين أربعة مداخل يمكن أن تندرج ضمن مداخل « ماقبل التأصيل » أو مداخل « ما دون التأصيل » الإسلامى الصحيح ، ولقد أوضحنا فيما سبق أن مايجمع بين هذه المداخل هو افتقادها لشرط أو أكثر من شروط التأصيل الإسلامى الحق : ألا وهى الانطلاق من « التصور الإسلامى » للانسان والمجتمع والكون ، ثم استثمار إسهامات « العلوم الحديثة » فى أرقى صورها بعد استيعابها وفهم المسلمات التى بنيت عليها والقدرة على تجاوزها ، ثم إيجاد « تكامل حقيقى » بين معطيات التصور الإسلامى واسهامات العلوم الحديثة على وجه يقدم فيه التصور الإسلامى الأطر والموجهات الكبرى للتنظير والممارسة ، وتقدم الإسهامات العلمية التفصيلات المحققة واقعيا ، مع امكان التنظير الجزئى المنطلق من تلك المشاهدات الواقعية فى نطاق الأطرالإسلامية العامة ، وفيما يلى نتناول كل مدخل من هذه المداخل بشئ من التفصيل .

ويلاحظ أن هذه المداخل تتفاوت تفاوتا كبيراً من حيث حجم الاهتمام بكل منها من جانب ، ومن حيث درجة تداخل وغموض القضايا التى يثيرها كل منها من جانب آخر ، مع احتمال وجود بعض الإسهامات الواقعية التى تجمع بين خصائص أكثر من مدخل واحد فى الوقت ذاته .

أولا : مدخل الملاءمة الاجتماعية والثقافية

يقوم هذا المدخل على التسليم ضمنا بصلاحية مناهج البحث العلمى التقليدية ، وسلامة النظريات والتعميمات التى تم التوصل إليها باستخدامه ، وصلاحية نظريات الممارسة فى جوهرها للتطبيق فى كل مكان - ولكن مع أخذ الظروف المحلية والعوامل الثقافية فى الاعتبار حتى تتلاءم نماذج العلم والتطبيق مع الواقع المادى والاجتماعى والثقافى فى المجتمع الذى تتم فيه البحوث أو الممارسة .

ويتراوح هذا المدخل من حيث المدى الذى يذهب إليه أصحابه من حيث حدود الملاءمة المسموح بها بين من يكتفون بمجرد تنقية الشوائب التى تتعارض مع الشريعة ، ومن يطالبون بايجاد المواءمة الضرورية واللازمة بين العلوم أو المهن وبين النسيج الثقافى الذى تتم فيه البحوث والممارسة .

فعلي المستوي الأول فإننا نجد من يطالبون بتنقية العلوم والمراجع والكتابات العلمية والمهنية من « الشوائب » التى تتعارض مع الشريعة تعارضا صارخا ، وذلك على أساس اتخاذ إجراء سريع لاستبعاد ما هو ضار حتى ولم لم يكن فى النية بذل جهود ايجابية أخرى ، وذلك لتجنب الظهور بمظهر انعدام الحساسية نحو قيم وثقافة المجتمع الذى يتم فيه البحث أو الممارسة .

فالجهود التى تقتصر فى جوهرها على التخلص مما يخالف وجهة النظر الإسلامية اذن تعتبر بمثابة « طوارئ » عاجلة تستبعد الضرر وإن لم تحقق الفائدة الايجابية ، ويمثل هذا الاتجاه ما جاء فى تقرير لأحد الأقسام العلمية باحدى الجامعات الإسلامية عن جهوده فى التأصيل الإسلامى حيث يتحدث عن « مراجعة مفردات المواد أكثر من مرة للتأكد من خلوها مما يتعارض مع وجهة النظر الإسلامية » (مركز البحوث : ٤٦)، فلا يعقل مثلا أن يقوم الأساتذة فى مجتمع مسلم بتدريس آراء فرويد التى تنص على أن الدين هو نوع من المرض النفسى العصابى الجماعى العام فى البشر . (O'Doherty : 15)

كما أنه فى محيط الخدمة الاجتماعية لاتصح الدعوة إلى مثل ما جاء فى أحد مراجع خدمة الفرد حول الزعم بأن الاسلام لن يقف حائلا دون إباحة التبنى بمعناه القانونى المعروف فى الغرب لأن الاسلام لايقف « حائلا دون الاصلاح ودون التطور الحديث بدليل أنه لم يقف من قبل حائلا دون تنظيم النسل ودون سفور المرأة وخروجها للعمل »، وذلك رغم أنه معروف للعامة والخاصة أن الإسلام قد حرم التبنى تحريما قاطعا مع حث المسلمين بكل قوة على رعاية اليتامى بكل سبيل » .

وكما أنه لابد من إعادة النظر فى مسألة إباحة المقابلات الفردية والزيارات المنزلية بين الأخصائى الاجتماعى والعميل فى حالة اختلاف الجنس لتعارض ذلك مع القواعد الإسلامية التى لاتبيح الاختلاط .

أما علي المستوي الثاني فإن عملية الملاءمة تتخذ أبعادا أعمق بكثير من مجرد تنقية الشوائب والمخالفات الصارخة للشريعة ، فنرى البعض يطالبون « بتوطين » العلوم الاجتماعية ومهن الممارسة الانسانية لكى تستجيب لواقع تلك المجتمعات ، فرأينا مثلا من يدعو إلى بناء « علم نفس وطنى - إن جاز هذا المصطلح - متميزا عن علم النفس الغربى فى توجهاته وقوانينه ومناهجه ... ولم تكن هذه الدعوى بدعة فقد سبقهم إليها علماء النفس فى اليابان والهند ورومانيا الذين أخذوا يدعون إلى علم نفس وطنى فى بلادهم » (كمال مرسى : ٤٣ - ٤٤) .

ويتوازى مع هذا المطلب فى محيط الخدمة الاجتماعية ظهور حركة قوية تنادى «بتكييف وتطويع المهنة حسب ظروف ومتطلبات المجتمع الذى تعمل فيه .. (حتى)

تتلاءم أكثر مع النسيج الثقافى الذى توجد فيه (عبدالفتاح عثمان وآخرون ، ١٩٨٤ : ٢٨٥) ، وهذا هو مايعرف باتجاه « توطين الخدمة الاجتماعية » ، والتوطين بهذا المعنى مفهوم براجماتى واقعى « يتشابه مع عملية تكيف الكائن الحى مع بيئته ، فالكائن الحى الذى لايتلاءم مع بيئته مقضى عليه بالفناء » (عبدالحليم رضا ، ١٩٨٩ : ١٩٥ - ١٩٦) ، ويوضح صاحب هذا الرأى المنطق الذى اعتمده فى المناداة بحتمية توطين الخدمة الاجتماعية على أساس الحماس الوطنى من جهة ، ومن جهة أخرى على أساس « اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الدول المتقدمة صناعيا وبين الدول النامية ... وهذا التباين فى النسيج الثقافى لابد وأن يفرض على الخدمة الاجتماعية الآتية من الخارج أن تتعرض لتغيير يجعلها منسجمة مع سائر مكونات النسيج الثقافى للمجتمع » .

ومثل هذا الموقف يرشح أصحاب هذاالمدخل ليكونوا أقرب الناس لتفهم وتعضيد فكرة التأصيل الإسلامى لأنها تعتبرالامتدادالطبيعى لموقفهم العلمى ، فماذا لو سلموا بأن ممارسة المهنة لابد أن تكون منسجمة مع « النسيج الثقافى » للمجتمع الذى تمارس فيه ، ولما كان الإسلام يمثل فى المجتمعات الإسلامية أقوى العناصر تأثيرا على « ثقافة » تلك المجتمعات (سواء رضينا بذلك أم لم نرض) بسبب « طبيعته المؤسسية» التى لها رؤيتها المحددة بالنسبة لكل النظم الاجتماعية فى المجتمع ، فلا مناص من التسليم بأن التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية فى الدول الإسلامية هو الطريق الوحيد الذى يشير إليه بوضوح اتجاه توطين الخدمة الاجتماعية ذاته .

ولكننا نجد أن أصحاب هذا المدخل يتفاوتون فيما بينهم بشكل كبيرمن حيث موقفهم من قضية التأصيل الإسلامى للعلوم ولمهن المساعدة الاجتماعية ، ففى محيط علم النفس فإننا نجد أن ذلك الفريق من المطالبين بعلم نفس وطنى (ويصنفون ضمن متابعى الأسلوب الغربى) « يلتزم بتوجيهات علم النفس الغربى ونظرياته وقوانينه ومبادئه كما هى فى بلادها ، ويسير منضبطا فى ركاب جمعيات علم النفس هناك ، ويدخل وراء علماء الغرب كل منحى توجهوا إليه حتى ولو دخلوا جحر ضب لتبعهم فى ذلك (كما يقول مالك بدرى) (مرسى : ٤٦) .

وأما فى محيط الخدمة الاجتماعية فإننا نجد من يرى أن التأصيل الإسلامى يعتبر « نظرة إلى الوراء ... فرض الماضى على الواقع الحالى ... تتولد عنه حركة ارتداد - أى حركة إلى الخلف .. » (عبدالحليم رضا : ١٩٧) دون أن يدركوا أن الشرط الثانى من شروط التأصيل الصحيح يتطلب استيعاب العلوم الحديثة فى أرقى صورها وإيجاد

التكامل بينها وبين التصور الإسلامى ، مما يقوى لدينا الشعور بأن الفهم الصحيح لطبيعة عملية التأصيل الإسلامى لابد أن يستتبعه تعديل فى مواقف الكثيرين ممن نظروا فيها إلى جانب دون جانب .

ولقد غلا بعض قادة الرأى فى اعتراضهم على مبدأ التأصيل الإسلامى للعلوم (النظرية) وإن كان يسلم بامكان المواءمة الثقافية فى حالة العلوم التطبيقية ، فهذا د. زكى نجيب محمود يقول مانصه « والمثل الذى أسوقه هنا هو تلك الدعوة التى تزداد كل يوم تضخما واتساعا وارتفاع صوت حتى ليوشك باطلها أن يقع موقع الحق فى نفوس سامعيها وهى الدعوة إلى أسلمة العلوم الانسانية .. وفى هذا القول خطأ ... فالحقيقة العلمية (لاتتغير) بتغير الأجناس والألوان والديانات والأعراف والتقاليد .. على أن ذلك لاينفى أن اختلاف الثقافات بين الأفراد والشعوب قد يؤدى إلى إختلاف فى تطبيق تلك العلوم» (١٩٨٧ : ١٣) ، والحق أن لصاحب هذاالرأى شبهة مبعثها توهم الحياد القيمى للعلوم النظرية وفقا للنموذج التقليدى « القديم » للعلم المنطلق من فسلفة وضعية منطقية عفا عليها الزمان ، وقد فصلنا القول حول هذه القضية فى غير هذا الموضع حيث يمكن الرجوع إليه تفصيلا (ابراهيم رجب ، ١٩٩١) .

وفى ضوء ماسبق فإن من الواضح أن الجهود التى تبذل فى إطار مدخل الملائمة الاجتماعية والثقافية يلاحظ عليها ما يلى :-

١ - أنها لاتعتبر بذاتها جهودا للتأصيل الإسلامى بمعناه المتكامل وذلك للأسباب الآتية:

أ - إن مايبذل من جهود على مستوى « تنقية المخالفات الصارخة للشريعة » ليس إلا جهدا من النوع السلبى الذى لاينشئ شيئا ايجابيا جديدا فى اتجاه التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بقدر مايزيح شيئا سلبيا من الطريق .

ب - إن مايبذل من جهود « للملاءمة مع النسيج الثقافى » للمجتمع من خلال فكرة التوطين التى تقف عند حد مراعاة الاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لاتسهم أيضا إسهاما ايجابيا كافيا فى التأصيل الإسلامى ، وذلك لانطلاقها من تصور قومى أو محلى لا من تصور إسلامى .

٢ - إن نفع تلك الجهود محدود وموقوت ، وأنه لابد من استكمال السير فى نفس الاتجاه إلى مداه الذى لابد أن ينتهى إلى التأصيل « الإسلامى » حتى يمكن أن يكون لتلك الجهود مردود ملائم فيما يتصل بصدق النظريات أو فاعلية الممارسات .

ثانيا : المدخل الدفاعى (الاعتذارى)

يقوم هذا المدخل على محاولة إثبات أن الإسلام ممثلا فى القرآن الكريم والسنة المطهرة أو فيما انبثق عنهما من إسهامات السلف وغيرهم من علماء المسلمين المتقدمين قد كان له فضل السبق فى التوصل إلى نظريات ومفاهيم لم يأت بها العلم الحديث إلا مؤخرا ، فنرى الباحثين يبذلون جهودا كبيرة لانتقاء الآيات أو الأحاديث النبوية التى تدعم بعض المفاهيم أو النظريات المألوفة فى العلوم الاجتماعية الحديثة ، ويتصور أصحاب هذا المدخل أنهم بهذا « يدافعون » عن الإسلام ، ويثبتون صحة حقائقه ، ويبرهنون على تفوقه على إسهامات العلم الوضعى .

وقد كثر استخدام هذا المدخل بشكل خاص فى علم النفس بسبب تعرض القرآن الكريم فى آيات عديدة لأحوال النفس وأحوال القلب والعقل وماشابهها من مصطلحات تتصل بالحياة النفسية والروحية ، ولعل من المحاولات الواضحة فى هذا الاتجاه ما قام به عزت الطويل للربط بين بعض الآيات الكريمة وبعض مفاهيم نظرية التحليل النفسى مسويا بين النفس اللوامة والأنا الأعلى ، وبين النفس الأمارة بالسوء وبين اللاشعور (وقد يقصد الهو) ، وبين النفس المطمئنة والشعور (وقد يقصد الأنا) (فؤاد أبوحطب ١٩٨٩ : ٤٣ - ٤٤) .

ويطلق الدكتور فؤاد أبوحطب على هذا المدخل « الاتجاه الاسقاطى » على أساس أن أصحابه يقرأون القرآن الكريم على نحو يتفق مع وجهتهم المعرفية ، كما أطلق عليه أيضا اتجاه « الترجمة الفورية » للمفاهيم النفسية فى الاطار الإسلامى ، وهذا يتشابه من وجه ويختلف من وجه آخر مع ماسماه د. مالك بدرى باتجاه « المسايرة » عند أولئك الذين « يكتبون أبحاثهم على أساس مبادئ علم النفس الحديث ونظرياته وممارساته ، ثم يبحثون بعد ذلك عن الآيات القرآنية والأحاديث التى لها أدنى صلة سطحية بموضوعاتهم فينشرونها فى البحث هنا وهناك ثم يقدمونه على أنه تأصيل إسلامى لعلم النفس » (أبوحطب : ٤٥) ، فوجه الاتفاق بينهما يتمثل فى الانطلاق من مفاهيم العلوم الحديثة وتدعيمها بأدلة شرعية ، ولكن وجه الاختلاف يكمن فى أن أصحاب الاتجاه الدفاعى يغلب أن يكونوا من المتحمسين وجدانيا للإتجاه الإسلامى الراغبين بصفة أساسية فى دعم موقف الإسلام ، أما أصحاب اتجاه المسايرة فهم أكثر اهتماما بالاستمرار فى اطار التوجهات المألوفة للعلم الحديث .

ولو أننا حللنا المسلمات التى يقوم عليها هذا المدخل لوجدنا مايلى :

١ - يسلم أصحاب هذا المدخل « ضمنا » بصحة « نظريات » العلم الحديث ومطابقتها للواقع بما يتجاوز الزمان والمكان .

٢ – يسلم أصحاب هذا المدخل بأن اثبات تطابق الكتاب والسنة مع تلك النظريات يدعم مكانة الإسلام كدين ، ويثبت أنه لايتعارض مع العلم (لاحظ مثلا ما أعلنه أحد من ثبتوا هذا المدخل : « ليس هناك تعارض اذن بين القرآن وعلم النفس فى نظرة كل منهما إلى النفس البشرية) (أبوحطب : ٤٤) .

٣ – عادة مايكون إثبات التطابق بين مفاهيم العلم الحديث والنصوص تطابقا سطحيا لايتسم بالأصالة .

ومن الواضح أنه لايسعنا التسليم بالمقولة الأولى أصلا ، وذلك على أساس ماهو معروف من أن النظريات العلمية وإن كانت قد تنطوى على بعض الحقائق أو التعميمات الامبيريقية التى تم التحقق من صدقها واقعيا ، إلا أنها تضم ما هو أكثر من ذلك بكثير مما لايخرج عن كونه فروضا وأطراً تفسيرية لم تخضع بعد للتحقق الواقعى ، بل أن بعض النظريات « العلمية » التى ذاع صيتها لاتضم إلا عددا محدودا للغاية مما يمكن اعتباره حقائق أو مشاهدات محققة فى حين أن معظم محتواها انما هو مما «ابتكره » صاحب النظرية من تفسيرات من عنده ، مما يجعل « النظريات العلمية » بطبيعتها دائما محل نظر دائم ، كما يجعلها معرضه باستمرار للتعديل والتبديل بل للطرح والاستبعاد فى حالات قليلة حيث يحل محلها ماهو أقدر منها على التفسير .

وبناء على ذلك فإن المقولة الثانية التى يسلم بها ،صحاب هذا المدخل تتهاوى ، فمحاولات إثبات سبق الإسلام للتوصل إلى مفاهيم ونظريات ليست محققة ولاصحيحة أمر لايدعم مكانة الإسلام ولا يأتى بخير لأنه لا يقربنا من معرفة الحقيقة ، غاية الأمر أن أصحاب هذا المدخل قد هزهم الشعور بهزيمة العالم الإسلامى أمام الحضارة الغربية المتميزة بإسهاماتها العلمية والتكنولوجية ، وأنهم يحاولون محاولة يائسة للدفاع عن دينهم بطرق ليست منتجة مما يؤدى عادة إلى عكس هدفهم .

ويترتب على ماسبق نتيجتان :

(١) أن نشر البحوث المنطلقة من هذا المدخل قد يوحى للبعض أن هذا النهج يحقق أهداف التأصيل الإسلامى فى حين أن الأمر ليس كذلك .

(٢) أن صرف الجهود والطاقة فى هذا الاتجاه ليس مثمرا ، وأن الأولى بذل الجهود فى الطريق الصحيح للتأصيل الإسلامى حتى لو لم تكن ثمرتها قريبة المنال .

(٣) أن السير فى هذا الاتجاه بما يؤدى إليه من خلط وتشويش يصرف الباحثين من ذوى الاخلاص (وان لم يكونوا من ذوى التفهم لحقيقة التأصيل الإسلامى الصحيح) عن الإسهام فى جهود التأصيل الحق .

(٤) أن نشر تلك المحاولات قد يؤدى فى بعض الحالات المتطرفة إلى إعطاء المعارضين للتأصيل الإسلامى على أسس ايديولوجية معينة أسلحة يهاجمون بها جهود التأصيل الصحيح ، ويمثل هذا بوضوح ماجاء فى نقد أحدهم لمثل تلك الجهود إذ يقول « لم تتجاوز تلك المحاولات حقيقة بذل جهد لإيجاد تطابق بين قيم الخدمة الاجتماعية ... وبين القيم الغربية من جهة ، وبينها وبين الاسلام من جهة أخرى ، ولذلك هزمت دعاوى .. الأسلمة نفسها بنفسها » (مختار عجوبة ، ١٩٨٩ : ١١٢).

ثالثا : مدخل « الثقافة الإسلامية »

إذا كانت الجهود التى بذلت فى إطار المدخل السابق تبدأ منطلقة من المفاهيم والنظريات الحديثة بحثا عما يدعمها من النصوص التى تثبت أن الإسلام قد سبق العلم الحديث فى التوصل إليها ، فإن هذا المدخل على العكس من ذلك يقوم على عرض مفاهيم الإسلام وبسط موقفه من القضايا المتصلة بالتخصص استنباطا من المصادر الشرعية دون اهتمام يذكر بإيجاد أى « تكامل حقيقى » مع ما جاءت به العلوم الحديثة فى هذا الشأن ، وهم يتصورون أنهم بذلك يعظمون تخصصهم ويثرونه بإعطائه قاعدة شرعية ، وفى بعض الحالات المتطرفة قد يريدون أن يثبتوا أنه لا حاجة لتخصصهم بما جاءت به العلوم الحدثة لأن بإمكانهم الاعتماد على التراث الإسلامى وحده فى هذا المجال .

فترى من ينطلق من هذا المدخل يعالج الموضوع بطريقة شبيهة بالدراسة الفقهية البحتة ، ويستند إلى مراجع العلوم الشرعية أساسا ، بنفس المنهج وطريقة التناول التى نجدها عند المتخصصين فى مادة « الثقافة الإسلامية » التى تدرس فى الجامعات العربية لتزويد الطلاب - كما يذكر أحد مراجعها - « بثقافة نافعة عن (الإسلام) تؤدى إلى ترسيخ مبادئه ، والايمان بمُثُله ، وفهم نظمه ، ورد الشبهات عنه ، وإحباط المكائد التى تحاك ضده من أعدائه ، وبخاصة فى المضمار الفكرى والثقافى ... » (عمر عودة الخطيب : ١٩٨٦ : ٥) ، ويوضح مؤلف آخر أن كلمة الثقافة الإسلامية تطلق « على التراث الفكرى الذى خلفته الحضارة الإسلامية فى جميع جوانبه : الدينى والفسلفى والتشريعى ... وهذا التراث قد انبثق من التصور الشامل الذى كونه الإسلام فى المجتمع الإسلامى والذى يستمد حقيقة من القرآن الكريم ... » (محمد فاروق النبهان).

ويمثل هذا المدخل فى علم النفس إسهام محمد رشاد خليل وغيره ممن كتبوا فى إطار علم النفس الإسلامى (بمعنى آخر غير المعنى الشائع الذي « يهدف إلى دراسة النفس الانسانية دراسة مكتبية من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية واجتهادات علماء المسلمين على مر العصور ، لبيان موقف الشرع منها ووصفه لأحوالها وطبيعتها ... » (كمال مرسى : ٦٤) .

ويمثله فى نطاق على الاجتماع معظم ما جاء فى دراسة عن « الإسلام وعلم الاجتماع العائلى » للدكتور عبدالرؤف الجرداوى (١٩٨٨) الذى بدأ كتابه بإشارة توحى بمتابعته لمدخل العلوم الاجتماعية « للمسلمين » (ص ص ١٠ – ١١) إلا أنه انتهى إلى إسهام شبيه بإسهامات مدخل الثقافة الإسلامية .

كما يمثله فى محيط الخدمة الاجتماعية ماقدمه د. لبيب السعيد (١٩٨٠) فى كتابه عن « العمل الاجتماعى : مدخل إليه ودراسة لأصوله الإسلامية » خصوصا ما جاء فى القسم الثانى منه تحت عنوان « أصول العمل الاجتماعى فى الإسلام » حيث يقوم المؤلف باستعراض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومواقف السلف التى تصور موقف الإسلام وممارسة المسلمين فى جوانب ومجالات متعددة من مجالات ممارسة المهنة ، حيث عقد فصولا للحديث عن أصول خدمة الجماعة فى الإسلام ، وأصول الخدمة الاجتماعية فى مجالات الأسرة والطفولة ، والمجال الطبى من منظور الإسلام ، وقد بذل المؤلف جهدا كبيرا فى تجميع النصوص التى تلائم كل جانب من تلك الجوانب المختارة ، ولكن دون أى محاولة للربط بينها وبين الأطر المستمدة من نظريات الممارسة الحديثة .

وقد قدم د. على حسين زيدان دراسة موضوعها « دور الخدمة الاجتماعية فى العمل مع المنحرفين : منظور إسلامى » استقى فيها مادته من المصادر الشرعية عن قصد حيث قال » يحتوى الإسلام على تصور متكامل للتعامل مع ظاهرة الإنحراف وصفا وتحليلا وتفسيرا وعلاجا ... وقد حرص الباحث على أن يقتصر فى إعداده لهذا (البحث) على المراجع الإسلامية حتى لايقع أسيرا للفكر الوضعى .. » (١٩٩١ : ٣) .

وفى ورقة قدمت فى فترة باكرة من عمر حركة التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية حاول الدكتور الفاروق زكى يونس أيضا (١٩٨١) استخلاص مبادئ وتوجيهات الإسلام فيما يتصل بالرعاية الاجتماعية غطى فيها القضايا المتصلة بحقوق الفرد وحقوق القرابة والجوار ، وحقوق الأطفال ورعاية المسنين وغيرها .

وبصفة عامة فإن الجهود التى تبذل فى نطاق هذا المدخل وإن لم تتحقق لها شروط التأصيل الكاملة على الوجه الذى أوضحناه ، إلا أنها طالما كانت جهودا جادة ومنظمة، تتسم بالتعمق والبصيرة فانها ولاشك تقدم مادة يمكن للجهود التأصيلية التالية أن تستفيد منها ، وبشرط ألا توحى تلك الكتابات بأنها تقدم نتاجا « مكتملا » من نوع التأصيل الإسلامى الصحيح ، لأن هذا إن حدث فانه يجر جهود الباحثين الآخرين فى غير الاتجاه المطلوب من جهة ، كما أنه قد يؤدى من جهة أخرى إلى شعور غيرهم بأن عملية التأصيل قد بلغت مداها رغم أن الأمر ليس كذلك .

وإذن فإن الجهود التى تبذل لاستخلاص ما فى المصادر الشرعية من قواعد أو مبادئ عامة أو حقائق مقررة مما يتصل بالتخصص العلمى أو المهنى تعتبر « خطوة » على الطريق إلى التأصيل الإسلامى وإن لم تعتبر تأصيلا إسلاميا بالمعنى الشامل - فهذا يتطلب اضافة إلى ذلك استيعابا كافيا لإسهامات العلم الحديث وتكاملا بينهما بشكل حقيقى .

رابعا : مدخل العلوم الاجتماعية « عند المسلمين »

يقوم هذا المدخل على نوع من التسليم المعلن أو الضمنى بالمنهج العلمى التقليدى المستخدم فى الوقت الحاضر فى العلوم الاجتماعية ، والتسليم بصحة النتائج التى تم التوصل إليها باستخدامه ، ولكن مع الاقتناع بضرورة توجيه جهود خاصة لدراسة سلوك الفرد المسلم والمجتمع المسلم باعتبارها فئات متميزة بخصوصيتها من بين الفئات التى تتولى تلك العلوم دراستها ، بحيث ينشأ نتيجة لهذا فرع من فروع الدراسة فى علم النفس مثلا ينصب على « السلوك الدينى للانسان المسلم » أو فرع لعلم الاجتماع ينصب على « دراسة المجتمعات الإسلامية » ، يطلق عليه فى الحالة الأولى « علم النفس الإسلامى » (بأحد المعانى التى يرد بها هذا الاصطلاح فى كتابات علم النفس) ، وفى الحالة الثانية « علم الاجتماع الإسلامى » (بأحد المعانى المستخدمة أيضا) ، وأما بالنسبة للمهن فإن هذا المدخل يتمثل فى تطبيق طرق ومنهجيات التدخل المهنى الحالية دون تعديل كبير ولكن لتحقيق أهداف المجتمع المسلم فى اطار ما أصبح يعرف « بالخدمة الاجتماعية الإسلامية » فى بعض الكتابات الحديثة.

فأما بالنسبة لعلم النفس فلعل أول من دعا إلى بناء « علم النفس الإسلامى » بهذا المضمون كان د. احمد فؤاد الأهوانى الذى أشار فى تقديمه لكتاب عن الدراسات النفسية عند علماء المسلمين فى عام ١٩٦٢ إلى أننا « إذا كنا أفسحنا المجال لدراسة الظواهر الدينية نفسانيا ، فلا غرابة أن نقول بوجود علم نفس إسلامى كما نقول بوجود علم نفس نصرانى .. لاختلاف خصائص كل دين من الأديان » (كمال مرسى : ٦ - ٧) .

وقد أشار د. فؤاد أبوحطب فى تحليله لهذا التوجه (ص ٤٦) إلى أننا نستطيع أن نستشف مما كتب فى هذا الاتجاه الدعوة « لبناء فرع من فروع علم النفس يهتم بالدين الإسلامى كما تهتم فروعه الأخرى بمجالات اهتمامها » ، كما أنه بعد أن قام بمراجعة بعض الكتابات التى سارت فى هذا الاتجاه قد بين أن بعضها يذكر صراحة « أنه لن يطمح فى أن يستنبط له منهجا جديدا ، إنما هو يستوحى لذلك ما انتهجه بعض أئمة

البحث الغربيين من مناهج » ، ومن هذا نرى أن القضية بالنسبة لأصحاب هذا التوجه لاتخرج عن فتح الباب لدراسة الخبرة الدينية للانسان المسلم باستخدام نفس مناهج الدارسة التقليدية فى علم النفس .

أما فى محيط علم الاجتماع فقد دعا الياس بايونس إلى ماسماه « بعلم اجتماع إسلامى » لسد الفراغ فى كتابات علم الاجتماع حول « المجتمعات الإسلامية أو .. منطقة الثقافة الإسلامية .. (حيث) أن الدراسة المنظمة للإسلام حقل مهمل إهمالا جسيما فى علم الاجتماع ، فلا تكاد تكون هناك دراسة اجتماعية للاسلام والمجتمعات الإسلامية ... اننا فى حاجة إلى علم اجتماع إسلامى من أجل فهم المعتقدات والمجتمعات الإسلامى » (بايونس ، ١٩٨٤ : ٤٢ - ٤٤) .

ويشير د. زكى اسماعيل إلى نفس الاتجاه بوضوح اذ يقرر أن « علم الاجتماع الإسلامى من حيث كونه علما يدرس الظواهر والنظم الاجتماعية دراسة وصفية تقريرية تعبر عما هو كائن من النظم ، (أما) من حيث هو إسلامى الاتجاه فإنه يدرس هذه النظم والعلاقات والتفاعلات الناشئة عن احتكاك المسلمين ببعضهم البعض وبغيرهم فى معاملاتهم وشعائرهم ونسكهم ، أو دراسة نظمهم وعلاقاتهم الاجتماعيه مع غير المسلمين ... » (١٩٨٨ : ٢٤) ، ثم أنه يؤكد أن علم الاجتماع الإسلامى ليس علما معياريا يدرس ما ينبغى أن يكون ، ويشير إلى أنه إذا كان علم الاجتماع الدينى يدرس الظاهرة الدينية فى عمومها فإن علم الاجتماع الإسلامى يقتصر على « الظواهر الإسلامية » ، ويقرر أن علم الاجتماع الدينى وعلم الاجتماع الإسلامى كلاهما « لايهتم ببيان أثر اتباع القواعد الدينية ومزاياها » (ص٢٦) .

أما فى محيط الخدمة الاجتماعية فلعل أول من دعا لاستخدام اصطلاح « الخدمة الاجتماعية الإسلامية » بهذا المعنى المحدد هو د. محمد أحمد عبدالهادى فى كتابه بهذا العنوان (١٩٨٨) حيث يوضح فيه هدفه بغير التباس حيث تقول « أن مانقصده بالخدمة الاجتماعية الإسلامية ... هو استخدام طرق الخدمة الاجتماعية ذاتها بأدواتها وأساليبها وتكنيكها فى تحقيق أهداف الدين الإسلامى ، أى أنها مجال جديد من مجالات العمل بالخدمة الاجتماعية شأن العديد من المجالات الأخرى » (ص : ٣٣٥) ، فكأن الخدمة الاجتماعية الإسلامية بهذا المعنى تسلم بالأهداف التقليدية والوسائل التقليدية الحالية للمهنة ولكنها فقط « تخصص » الأهداف من حيث أنها توجهها إلى خدمة أهداف المجتمع المسلم ، وفى هذا خروج من الدائرة الضيقة لعلمنة الخدمة الاجتماعية التى سادت فى المجتمعات غير الإسلامية ردحا طويلا من الزمن إلى سعة الالتزام بأهداف المجتمعات الإسلامية .

ومن الواضح أن الجهود التى تبذل فى نطاق مدخل العلوم الاجتماعية « عند المسلمين » وإن كانت تسد فراغا لايجمل بمجتمع مسلم أن يهمله على هذه الصورة ، الا أنها فى ذاتها لايمكن الاكتفاء بها كجهود تمثل « التأصيل الإسلامى » أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية بالمفهوم الصحيح . فلقد رأينا أن من كتبوا فى إطار هذا المدخل إنما يبدأون بالتسليم عادة بما هو متعارف عليه من النواحى المنهجية أو النظرية فى نطاق التخصص ولكنهم يطبقونها فى دراسة (في حالة العلوم النظرية) أو اصلاح (فى حالة المهن) المجتمع المسلم ، دون بذل جهود أو محاولات جادة لإعادة النظر لتجاوز تلك المنطلقات المنهجية أو النظرية التقليدية فى إطار التصور الإسلامى الصحيح .

ولكننا نود أن نفرق هنا بين موقفين واضحين يمكن ملاحظتهما فى الأعمال المنطلقة من هذ التوجه فيما يتصل بأسباب تسليم أصحابها بالمناهج والمنطلقات التقليدية فى التخصص :

١ – فبعض الكتاب يسلّمون بالمناهج والمنطلقات التقليدية على أساس أنها منطلقات «علمية» صحيحة لابد من الالتزام بها ، وأنه لامجال لإعادة النظر فيها ولامشروعية لذلك ، ومن الواضح أنه يصعب تصنيف أصحاب هذا الموقف فى عداد أصحاب اتجاه التأصيل الإسلامى الحق ، ويرجع السبب فى إصدار ذلك الحكم إلى أن التناول التقليدى لهذه العلوم وإن انصب على مجتمع مسلم فإنه سيكون محكوما بالاتجاهات الفكرية المادية والامبيريقية المتطرفة المنطلقة من نظرة مختلفة للانسان والكون والحياة ولرسالة العلم ومنطلقاته فى منظورها التلقيدى « القديم » ، فكيف يمكن والحال كذلك أن نأمل فى انعتاق هؤلاء من اسار تلك التصورات التى لاتنظر للفرد المسلم أو المجتمع المسلم إلا كما تنظر إلى عينة مادية لاصلة لنا بها – إن هذا يذكرنا بموقف عالم النفس الشهير كارل يونج الذى دافع بشدة عن اهمية الدين فى العلاج النفسى حتى قال أنه لم يصادف مريضا نفسيا إلا وجده ضعيف التدين ، وما وجد مريضا تم شفاؤه إلا بعد أن حسن دينه ، ولكنه من جهة أخرى كان يرى الأديان كلها شيئا واحداً ويقول أنه مجرد عالم نفس امبيريقى يسجل مايشاهده ، وكان ينظر إلى الدين على أنه مجرد « حقيقة نفسية » أما هو فإنه كان غنوصيا ويمكن أن يكون ملحدا (O'Doherty, 1978 :16).

ومما هو جدير بالذكر أن أصحاب هذا التوجه متقاربون في موقفهم إلى حد كبير مع أصحاب مدخل الملاءمة الاجتماعية والثقافية من المنادين بتوطين العلوم والمهن والذين يتوقفون دون أخذ العوامل الروحية والدينية فى الاعتبار ولنفس الأسباب .

٢ - ولكن البعض الآخر وإن طالبوا بدراسات منصبة على المجتمع المسلم أو بممارسات تحقق أهدافه فى إطار فرع أو مجال للعلم أو المهنة التى تخصصوا فيها فإنهم يدركون أهمية العوامل الروحية والدينية فى خصوصية تأثيرها على سلوك الفرد المسلم والمجتمع المسلم ، ويوجهون جهودهم الجادة لدراستها فى حدود الممكن ، وهم بهذا يختلفون بشكل واضح عن أصحاب مدخل الملاءمة الاجتماعية والثقافية المنادين بالتوطين الذين لايذكرون حتى لفظ « إسلامى » ضمن اهتماماتهم، ويقتصرون على اهتمامات ذات طبيعة جغرافية واقليمية ومحلية ، أو يراعون جوانب مادية واجتماعية ثقافية مختزلة (تستبعد أى إشارة إلى الإسلام) فقط .

ومن الواضح أن من الضرورى لأصحاب هذا التوجه أن يكونوا على وعى كامل بأن متابعة هذا المدخل على هذا التوجه لاتخرج عن كونها أحد الجوانب المفيدة وبشكل مرحلى نحو تحقيق أهداف التأصيل الإسلامى بمعناه الصحيح ، وأن يدركو أنه بعد تحقيق جهود التأصيل الإسلامى الصحيح لدرجة كافية ، من النضج فإن مايترتب على ذلك من وضوح الرؤية الإسلامية للظواهر النفسية والاجتماعية وللممارسات المنطلقة منها ستغطى وتتجاوز الاهتمامات المحدودة لهذا المدخل - مدخل العلوم الاجتماعية «للمسلمين » - بل أن المتوقع عندئذ أن التأصيل الإسلامى لتلك العلوم والمهن عندما يبلغ مداه فإنه لن يكون قادرا فقط على تفسير السلوك والعلاقات الاجتماعية للمسلمين وفى نطاق العالم الإسلامى فقط ، ولكنه سيتجاوز ذلك إلى تفسير الظواهر الانسانية فى كل المجتمعات التى خلقها الله سبحانه وتعالى .

المبحث الخامس : مداخل التأصيل الإسلامى الصحيح

رأينا فيما سبق أن المداخل التى تعرضنا لها للآن لاتتحقق فيها شروط التأصيل الإسلامى الحق كاملة ، ومن هنا جاءت تسميتها بمداخل ما قبل التأصيل أو ما دون التأصيل ، بقصد التمييز بينها وبين المداخل التى تسير فى الاتجاه الصحيح للتأصيل الاسلامى على الوجه الذى تعكسه التعريفات التى قدمتها لهذا الموضوع ، والان فإن بوسعنا الانتقال لمناقشة مدخلين ينتميان إلى هذه الفئة الأخيرة من المداخل وهما المدخل الجزئى والمدخل الشامل .

أولا : مدخل التأصيل الجزئي

يقوم هذا المدخل على فهم صحيح لمتطلبات عملية التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية ، من استيعاب واستثمار لإسهامات العلم الحديث فى الاطار العام للتصور

الإسلامى الصحيح للانسان ومكانه من هذا الوجود ، مع إيجاد التكامل الحقيقى فيما بينهما ، ولكن كنتيجة للشعور بما يتطلبه التأصيل الشامل من وقت طويل وجهود مضنية جماعية ومؤسسية، فإن المنادين بمتابعة هذا المدخل يفضلون تجزيئ الموضوعات والقضايا والمجالات التى يتضمنها التخصص ، ثم بذل الجهود لتأصيل كل منها على حدة ، مع نوع من التوقع بأن هذا الجهد سيؤدى فى النهاية إلى ما يعادل التأصيل الشامل المطلوب .

ويمكن التمثيل لهذا المدخل بما جاء بتقرير أحد الأقسام العلمية حول منهجه فى التأصيل الإسلامى ، حيث ذكر ضمن ماذكر من أنشطة الربط بين الإسلام وعلم النفس الحديث موضحا أن هذا الربط يمكن أن يتحقق عن طريق « أبحاث محددة .. يخدم كل منها موضوعا معينا يعمل على الربط بين المادة العلمية فى مجال علم النفس وبين الإسلام ... » (مركز البحوث : ٤٦) .

وقد حددت اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض مايزيد عن خمسين موضوعا مقترحا تقع فى نطاق اهتمامات علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والتربية يدعى للكتابة فيها الباحثون بأمل أن تنجلى هذه الجهود البحثية الفردية عن تصور عام وشامل .

وتعتبر محاولة جمال سلطان لتأصيل مفهوم « وقت الفراغ » (١٩٩٠) نموذجا طيبا لتطبيق هذا المدخل ، فقد قام الباحث باستقصاء ونقد الإسهامات العلمية التى توصلت إليها الحضارة الغربية حول هذا المفهوم ، ثم انطلق من فهم واضح للتصور الإسلامى للانسان ليعيد صياغة هذا المفهوم من منطلق إسلامى بطريقة جادة ومتعمقة .

والحق أن هذا المدخل يلبى حاجة لدى أولئك الذين لايرون فى الميدان حتى الآن جهودا جماعية ومؤسسية كافية لتحقيق أهداف التأصيل الإسلامى بمفهومه الشامل ، ومن هنا فإنهم يفضلون فتح الأبواب أمام الإسهامات « الفردية » مادامت ملتزمة بالمفهوم الصحيح للتأصيل ، رغم الادراك بأن هذه الجهود الفردية لابد بالضرورة أن تكون جزئية حتى تكون فى نطاق الإمكان بالنسبة للباحث الفرد .

ولكن النقد الذى يوجه أساسا إلى هذا المدخل إنما يدور فقط حول التساؤل عما إذا كان يمكن التوصل إلى تأصيل حقيقى للجزئيات قبل التوصل إلى تصور متكامل للأطر الكلية التى تحكمها ، أم أن هذا التناول الجزئى يغلب أن يؤدى إلى فقدان للإتجاه الصحيح دون أمل فى تصحيح المسار لعدم وجود تصور كلى شامل .

ومع ذلك فإن تجزيئ المشكلات الكبرى قد يؤدى إلى إلقاء الأضواء على جوانب من تلك المشكلات تكون سببا فى إنارة الطريق أمام المواجهة الشاملة للمشكلة ، ونقصد

بذلك أن من المحتمل أن تؤدى جهود التأصيل الجزئى إلى لفت الأنظار إلى القضايا ذات الطبيعة الشاملة التى تتبدى أمام كل باحث فى موضوع جزئى من زاوية مختلفة ، مما يؤدى إلى إلقاء الضوء على المشكلة الصعبة فتتيسر مواجهتها ، وهذا يبرر القول بأن مواجهتنا للقضايا الشديدة التعقيد والتداخل التى تتضمنها عملية التأصيل الإسلامى بالمعنى الصحيح ينبغى ألا تقتصر على مدخل واحد ، وأن استخدام المدخلين الجزئى والشامل بشكل متزامن أو متواز يمكن أن يكون له دوره الايجابى على عملية التأصيل بأسرها .

ثانيا : مدخل التأصيل الشامل

رغم اتفاق هذا المدخل مع المدخل السابق من حيث وضوح الرؤية بالنسبة لما يعتبر تأصيلا اسلاميا حقيقيا ، إلا أنه يختلف عنه بالنسبة لقضية أساسية تتصل بنقطة البدء وأسلوب العمل ، فهذا المدخل يقوم على ضرورة الوصول إلى وضوح بالنسبة للأساسيات قبل الدخول فى الجزئيات والتفاصيل ، بمعنى أنه لابد من بذل جهود كافية أولا لاستجلاء التصور الإسلامى للانسان والمجتمع والكون ، الذى سيكون بدوره أساسا للنظر فى إسهامات العلم الحديث فى جملتها أيضا ، بما يمهد الطريق فى خطوة تالية لايجاد التكامل بينهما بطريقة شاملة ومنطقية .

ولما كان هذا المدخل يعتبر بمثابة النموذج الذى ينبغى السير فيه - منطقيا - لتحقيق التأصيل الشامل للعلوم الاجتماعية ، فلعل من المناسب أن نقدم هنا تصورا للخطوات أو المراحل التى يتضمنها سير العمل وفق هذا النموذج ، ولعل الخطوات التى وضعها الفاروقى لأسلمة المعرفة تعتبر نموذجا يحتذى فى هذا المقام ، إلا أن نطاق اهتمام ذلك العمل كان يتضمن جميع العلوم الطبيعية منها والاجتماعية ، ولذلك فقد وجدنا من الأوفق أن نعتمد على توصيف لتلك الخطوات قدمه أحد الرواد فى مجال التأصيل الإسلامى لعلم النفس يتميز بأنه ينطلق من نفس المنطلقات العامة لأسلمة المعرفة مع التطبيق على علم النفس .

لقد فصّل د. محمد عثمان نجاتى (ص ص ٨ - ٣١)الخطوات التى ينبغى أن تمر بها عملية التأصيل الإسلامى فى علم النفس انطلاقا من هذا المدخل الشامل بطريقة يمكن بقليل من التعديل أن تكون أساسا للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بصفة عامة ، وفيما يلى نعرض تلك الخطوات مع شئ من التصرف الذى يجعلها قابلة للتعميم على تلك العلوم :-

١ - التوصل إلى اتفاق على المسلمات المنبثقة من التصور الإسلامى الصحيح للكون والحياة والانسان ، والتى تعتبر أصولا نهتدى بها فى تحليلنا النقدى لموضوعات العلوم الاجتماعية لمعرفة ما يمكن قبوله منها وما لايمكن قبوله .

٢ – التمكن من العلم المراد تأصيله تمكنا تاما ، بحيث نكون على معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم ، وتطوره التاريخي ، ومناهجه في البحث ، ونتائجه ونظرياته، والمشكلات التي لم تحسم فيه بعد .

٣ – التمكن من الأصول والمبادئ الإسلامية التي تتصل بموضوعات ذلك العلم اعتماداً على ما جاء في الكتاب والسنة حول تلك الموضوعات أو مما يرتبط بها .

٤ – المعرفة بإسهامات علماء المسلمين مما يتصل بموضوعات وقضايا ذلك العلم ، ونقد تلك الاسهامات في ضوء التحليل التاريخي الذي قد يكشف عن المصادر غير الإسلامية التي تأثر بها هؤلاء العلماء (مصادر يونانية – هندية – صوفية ... الخ) .

٥ – التحليل النقدي لإسهامات العلم الحديث في محيط التخصص في ضوء التصور الإسلامي الشامل المشار إليه في الخطوة الأولى ، وفي ضوء الأصول والمبادئ الإسلامية المحددة المتصلة بذلك العلم المشار إليها في الخطوة الثالثة ، فما اتفق مع ذلك التصور وتلك الأصول أبقى عليه ، ومالم يتفق أخضع للدراسة بهدف تعديله أو استبعاده ، وذلك في ضوء إدراك المسلمات التي استند إليها ذلك العلم في الوصول إلى تلك النتائج .

٦ – اجراء البحوث النظرية والميدانية والتجريبية في مجال التخصص في ضوء التوجه الإسلامي للاضافة إلى المعارف العلمية واثرائها من هذا المنطلق ، بما يضيف إلى الإسهامت العلمية الصحيحة ويملأ الثغرات في الموضوعات التي لم تنجح إسهامات العلم التقليدية في تغطيتها على الوجه الصحيح .

٧ – التبادل العلمي بين المتخصصين في ذلك العلم ، وكذا بينهم وبين المتخصصين في العلوم الشرعية المرتبطة بموضوعه على أوسع نطاق ممكن ، ضمانا لتحقيق قدر ضروري من المعرفة المشتركة التي ينطلق منها البحث العلمي المستقبلي في هذا المجال . حتى تتحقق « وحدة المعرفة » على المستوى المؤسسي كما تحققت على المستوى البحثي .

٨ – إعادة صياغة موضوعات العلم من توجه إسلامي وإعادة كتابة المراجع والكتب الدراسية لتنطلق من المنظور الإسلامي .

والمتأمل لهذه الخطوات يدرك أنها بالرغم من وضوحها وتسلسلها تثير عددا كبيرا من القضايا وتحتاج إلى جهود مضنية وممارسة واقعية حتى نصل إلى وضوح أكبر فيما يتصل بتفصيلات أداء العمل على الوجه المطلوب .

فإذا نظرنا على سبيل المثال إلى الخطوة الأولى المتصلة بالاتفاق على المسلمات التي تعكس التصور الإسلامي الصحيح فإننا نجد القائمة التي قدمها د. نجاتي (٩ – ٢١)

تدور حول الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وحول وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ، وحول طبيعة الانسان المادية والروحية ، وحول خيرية ارادته ، وهى قائمة قد يتفق الباحثون معها وقد يختلفون ، سواء من حيث استيعابها لكل المسلمات الضرورية ، أو من حيث محتوى كل منها ، أو من حيث علاقتها ببعضها ، أو من حيث اعتبار بعضها فروضا تستحق الاختبار والتطور بدلا من اعتبارها مسلمات لاتقبل الاختبار ، وهذه القائمة تفتح الباب ولاشك أمام مزيد من الجهود وصولا إلى أرضية أوسع للاتفاق .

وبنفس القياس فإن قضية تحديد الأصول الإسلامية التى تقابل موضوعات وقضايا كل علم من العلوم الاجتماعية أو مهنة من المساعدة الانسانية ليست بالبساطة التى تظهر بها لأول وهلة . فالباحث فى التراث الإسلامى عندما يقابل موضوعات تخصصه قد يكون محكوما أو على الأقل متأثرا فى تحديد نطاق بحثه بالمفاهيم والأطر التصورية المستمدة من تراث العلم الحديث ذاته دون أن يدرى ، فالمرء لايبحث عن شئ لايعرف حدوده ولايدرى شيئا عن كنهه ، وإنما الأكثر احتمالا أن يسترشد بما هو مألوف لديه من حدود ومفاهيم ، مما يجره إلى مايريد أن يتجنبه دون أن يدرى .

أما عن النظرة النقدية لإسهامات العلم الحديث فإن النجاح فيها يتوقف على إدراك المسلمات والافتراضات التى تكمن وراء كل نظرية علمية أكثر من مجرد مراجعة قضايا النظرية فى ظاهرها ، فبعض الباحثين لايثور شكهم إلا عند مصادفة عبارات أو قضايا أو تعميمات تتجافى ظاهرها مع التصور الإسلامى ، أما فيما وراء ذلك فإنهم يتصورون أن الأمر لا يستدعى مزيد تنقيب ، وكمثال على ذلك فإننا قد رأينا بعض المؤلفين يقررون مثلا أنه لافرق من الناحية العلمية أن ننظر إلى الصحة النفسية من منظور الاسلام أو من منظور علم النفس الحديث لأن الهدف فى الناحيتين واحد ألا وهو سعادة الانسان ، وقد فات هؤلاء أن معنى السعادة مختلف أشد الاختلاف بين المنظور الإسلامى كما أكد على ذلك بقوة غيرهم من الباحثين .

أما عن إجراء البحوث فى ضوء التوجه الإسلامى للاضافة إلى معرفتنا الحالية حول الانسان والمجتمع فأمر يحتاج إلى وضوح كامل فيما يتصل بالقضايا المنهجية التى يثيرها ، ولعل أخطر تلك القضايا يتصل بكيفية تحقيق مبدأ « وحدة المعرفة » تأسيسا على مبدأ « وحدة الحقيقة » (الفاروقى : ١٩٨٦ : ٨٠ - ١١٧) أو الجمع بين معطيات الوحى من جهة والمشاهدات الامبيريقية من جهة أخرى ، فالنظام العلمى التقليدى قد فصل بين الاثنين فصلا تاما ، والمطلب الأساسى لأسلمة المعرفة هو الجمع بينهما ، وقد رأينا بعض الباحثين يمزجون بينهما بطرق لاتحقق التكامل الصحيح فيما شرحناه من مداخل ماقبل التأصيل ، ولكن الحل الصحيح لهذه القضية المنهجية

الجوهرية إنما يكمن فيما نظن فيما سميناه فى موضوع آخر (رجب ، ١٩٩١) « بثورة التنظير فى العلوم الاجتماعية » والتى تتمثل باختصار فيما يلى :-

أ - بدلا من اعتماد النظريات العلمية فى نموذج العلم التقليدى أو على خيال الباحث أو على التخمين Conjecture فى التوصل إلى أطر تفسيرية للحقائق والتعميمات الامبيريقية ، فإننا نعتمد فى النظريات الملتزمة بالتوجه الإسلامى على أطر تفسيرية مستمدة من فهمنا للكتاب والسنة مع الاستفادة من إسهامات علماء المسلمين حول الموضوع .

ب - تستمد فروض البحوث الجارية من تلك النظريات الملتزمة بالتوجه الإسلامى ونختبرها فى الواقع بمعناه الشامل ، مع مراعاة أن اختبار تلك الفروض فى الواقع سيتطلب استخدام مناهج وأدوات أكثر ملاءمة للنظرة الانسانية الروحية الجديدة للانسان ككائن ذى وعى وذى إرادة يوجه حياته كفاعل وليس كمجرد كائن منفعل بالمؤثرات الخارجية .

جـ - كلما فشلنا فى رفض فروض البحث المستمدة من النظرية (بتعبير رجال الاحصاء) كلما ازدادت ثقتنا فى النظرية المنطلقة من التوجه الإسلامى ، وكلما ثبت لنا خطأ الفروض فاننا نعود لنراجع صحة « فهمنا » للتراث الإسلامى الذي انطلقنا منه من جهة ، كما نراجع إجراءاتنا البحثية وطرقنا فى القياس من جهة أخرى ، ثم نقوم بتعديل الموقف بحسب ما تكشف عنه المراجعة ، لكى نعاود الكرة من جديد بالصورة المألوفة لنا تماما فى دورة العلم الدائبة .

ومما سبق يتبين لنا بجلاء أن هذا المدخل الشامل تتوفر فيه جميع الشروط الواجب توافرها فى أى جهد متكامل للتأصيل الإسلامى الصحيح كما يتبين لنا في الوقت ذاته أن هذا المدخل يتطلب في الواقع مالا يقل عن عملية إعادة نظر كاملة وإعادة بناء شاملة لكل علم من العلوم الاجتماعية ولكل مهنة من مهن المساعدة الانسانية ، ومن الواضح أن هذا يتطلب تكريس الجهد والوقت لسنوات وسنوات لفرق من الباحثين المنظمين ، المؤيدين بالاطارات المؤسسية المناسبة ، قبل أن تبدأ ثماره الطيبة فى الظهور .

كما أن السير فى هذا الطريق يتطلب توافر الباحثين المتضلعين فى كل من العلوم الحديثة من جانب والعلوم الشرعية من جانب آخر ، وهؤلاء عملة نادرة حالت دون انتاجها قوى تاريخية ودولية واجتماعية عديدة لامجال لوصف أبعادها فى هذا المقام ، وليس بالامكان توافر الأعداد المطلوبة من هؤلاء الباحثين إلا باستحداث برامج لإعادة تأهيل كل المتخصصين فى الفروع الحديثة للعلوم الاجتماعية وبعض المتخصصين فى العلوم الشرعية على الأقل على الوجه الاتى :-

١ - إذا تفهم كل مشتغل بالعلوم الاجتماعية ومهن المساعدة الانسانية فى الدول الإسلامية أنه لم يعد بامكانه أن يعيش مطمئنا راضى الضمير إلى أنه يؤدى عمله كما ينبغى أو الزعم بأنه يؤدى واجبه كما يجب إلا إذا اختط لنفسه خطة (لاتعوقه عن أداء عمله اليومى) تضمن له أن يقوم باعداد نفسه (فى حدود فترة زمنية معقولة) للالمام المنظم بمنابع وطرائق البحث فى العلوم الشرعية بطريقة تدريجية - مع الاستفادة مما يمكن أن توفره الجامعات والهيئات المهتمة بالقضية من برامج وأنشطة مساعدة على ذلك .

٢ - إذا أدرك بعض المشتغلين بالعلوم الشرعية على الأقل بأن واجبهم يحتم عليهم الإلمام بالقضايا والنظريات التى ينطلق منها اخوانهم المشتغلون بالعلوم الاجتماعية والذين يقومون بتخريج جيوش من الخريجين الذين يتولون قيادة مختلف الأنشطة فى مختلف جوانب الحياة رضينا بذلك أم لم نرض ، حتى يستطيعون تقديم المشورة المناسبة لهؤلاء الزملاء عند تعرضهم فى دراساتهم العلمية لقضايا الحياة والتنظيمات الاجتماعية التى تمس الحياة اليومية للمسلم فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

وبطبيعة الحال فإن أيسر شئ يستطيعه كل فريق هو أن يعرض عن الآخر وأن ينأى بجانبه ، مستشعرا لجوانب تفوقه وراضيا عن نفسه ، فتلك مقتضيات قانون القصور الذاتى لايمكن أن يؤدى إلى خير ، والخاسر الوحيد من وراء هذا التجافى وتلك القطيعة هو مجتمع المسلمين ، والأمر يتطلب تواضع كل من الفريقين لله سبحانه وتعالى ولاخوانه المسلمين ، والتعاون على البر والتقوى عسى أن يكتب الله التوفيق لكل من الفريقين فى خدمة المجتمع المسلم .

ولقد سار المعهد العالمى للفكر الإسلامى شوطا طيبا فى طريق خدمة هذا المنظور الشامل للتأصيل الإسلامى أو التوجيه الإسلامى للعلوم من خلال عدد متنوع من الأنشطة والأساليب يهمنا أن نشير إلى بعضها هنا مما يتصل بشكل مباشر بالعلوم الاجتماعية :

١ - الدراسات التى تمس قضايا المنهجية فى العلوم الاجتماعية .

٢ - اعداد مكانز تضم تصنيفات موضوعية (وأبجدية) لمفاهيم العلوم الاجتماعية المختلفة .

٣ - تكشيف آيات القرآن الكريم التى تتصل بكل علم من العلوم الاجتماعية وتصنيفها موضوعيا بطريقة تفصيلية ، مع إيراد ما جاء بكتب التفسير حول تلك الآيات بما ييسر للباحثين استنباط التصور الإسلامى المنبثق عنها .

٤ – تكشيف الأحاديث الشريفة المتصله بكل علم من العلوم الاجتماعية مع شروحها .

٥ – مراجعة وتحليل إسهامات علماء المسلمين فى كل علم من العلوم الاجتماعية مما يضع أمام الباحثين ثروة من الرؤى المنطلقة من التصور الإسلامى مع قراءة نقدية لها لبيان أى مؤثرات غير إسلامية قد تختلط بها .

ولاشك أن حصيلة تلك الجهود عند اكتمالها إنما تضع الأساس المتين الذى يستطيع الباحثون استثماره لبناء اسهاماتهم الأصيلة لمحاولة ايجاد التكامل البناء بين مانزل به وحى السماء مما يتصل مباشرة أو يوجه عموما الدراسات المتصلة بالانسان والمجتمع ، وبين ما هو ملائم من جهود بذلها البشر طوال قرون فى محاولات للفهم التفصيلى للسنن والقوانين التى تحكم حياة البشر .

ورغم أن المدخل الشامل هو بحكم طبيعته مدخل يتطلب عملا جماعيا منظما ومدعما تدعيما مؤسسيا مناسب ، فقد حاول البعض بذل جهود فردية للتأصيل الإسلامى المنطلق من هذا المنظور الشامل ، فقد بذل الدكتور فاروق الدسوقى (١٩٨٦) جهدا لإيجاد تكامل حقيقى منبثق من فهم واضح للتصور الإسلامى للانسان والمجتمع وبين معطيات علم الاجتماع الحديث ، وسواء اتفقنا مع ما توصل إليه الدكتور الدسوقى فيما يمكن اعتباره محاولة للتأصيل الإسلامى لعلم الاجتماع من المنظور الشامل أو لم نتفق معه فإن المرء لايملك إلا احترام أصالة البحث وقوة تمكنه من ناحية العلوم الشرعية والعلوم الحديثة لدرجة مكنته بسهولة ويسر من تجاوز ما جاءت به العلوم الاجتماعية الحديثة حينما وجدت الحاجة لذلك .

كما ينبغى أن ننوه أيضا بجهد فردى آخر تقوم به باحثة مسملة فى اتجاه التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية المنطلق من هذا المدخل الشامل (عفاف الدباغ ، ١٩٨٩) بدءا من محاولة استجلاء طبيعة الانسان الذي نتعامل معه فى محيط الخدمة الاجتماعية ، إلى فهم السنن النفسية والاجتماعية التى تحكم سلوكه ، والوصول إلى تصور إسلامى حول أسباب المشكلات الفردية والاجتماعية ، ومن ثم تحديد طرق التدخل الملائمة للخدمة الاجتماعية المنطلقة من المنظور الاسلامى فى ضوء هذا كله ، ورغم أن هذه محاولة شديدة الطموح فى ذاتها ، إلا أنها إذا أسفرت عن وضع بعض الخطوط على خريطة البحث المنطلقة من هذا المدخل الشامل لتكون عونا للباحثين الذين قد يتفقون أو يختلفون معها على بينة ، فإنها تكون بذلك قد قدمت إسهاما جيدا ونافعا، وقد بدأ ظهور بعض نتائج هذا الجهد بالفعل فى مقال قدمته الباحثة حول « المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية » (١٩٩١) وذلك فى إطار عناصر التصور العام الذى توصلت إليه فى إطار المدخل الشامل الذى تبنته .

خـــاتمة

لقد حاولنا فى هذه الدراسة تحديد مفهوم التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية وأيضا لمهن المساعدة الانسانية ، وقد ركزنا اهتمامنا بالنسبة لتلك العلوم على علمى النفس والاجتماع ، وبالنسبة للمهن على مهنة الخدمة الاجتماعية ، ثم استخلصنا الشروط الواجب توافرها فى أى جهد للتأصيل الإسلامى الصحيح ، وطبقنا هذه الشروط للتوصل إلى المداخل المختلفة التى تعكسها الكتابات الحالية فى الميدان وانتهينا إلى تقسيم تلك المداخل إلى نوعين أولهما مداخل ما قبل التأصيل وثانيهما مداخل التأصيل الصحيح ، وتعرضنا أخيرا للمسلمات الأساسية التى يقوم عليها كل مدخل مع نظرة نقدية توضح مكانه من عملية التأصيل الإسلامى .

والمأمول أن تؤدى هذه المحاولة – وما تستثيره من مناقشات – إلى ازاحة بعض العقبات من طريق حركة التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية من جهة ، كما تؤدى إلى وضع بعض العلامات التى تشير إلى الطريق الصحيح إليها من جهة أخرى ، ذلك أنه إذا أمكن التوصل الى نوع من الاتفاق حول الطبيعة الأساسية لعملية التأصيل فى صورتها الصحيحة ، ثم أمكن التعرف على الموقع المحدد الذى يشغله كل مدخل من المداخل المذكورة بالنسبة لتلك العملية فلا شك أن هذا يعطى دفعة للحركة فى الاتجاه الصحيح .

لقد عانت حركة التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية فى السنوات الأخيرة من عمومية التناول ، وقد آن الأوان للبحث فى التأصيل وبدء المسيرة فى الطريق الطويل ، بدلا من التوقف عند المسميات أو التعامل مع التصورات غير الصحيحة للتأصيل الاسلامى .

اننا مطالبون جميعا اليوم ببذل أقصى الجهد ليس فقط لتغيير مناهجنا وممارساتنا وإنما لتغيير أنفسنا وتعلم ما ينبغى لنا أن نتعلمه حتي نستطيع الإسهام الجاد منطلقين فى هذا الطريق المبارك الذى يؤجر سالكه على نيته ، ويوفق حسب ظنه بالله وحسب توجهه ، فإن فى ذلك خدمة أوطاننا وخدمة ديننا ، وفيه لنا كأفراد فلاح الدنيا والآخرة.

ونحن اليوم بفضل الله نجد العون والمساندة من الجامعات الإسلامية ومن الهيئات العلمية التى بدأت تقدم لنا آيات القرآن مكشفة موضوعاتها ومفسرة معانيها ، ميسرة للبحث حتى عند من لم تسبق له دراسة العلوم الشرعية ، كما تقدم الأحاديث الشريفة

مبوبة ومفسرة كذلك ، ناهيك عن المراجعات النقدية للإسهامات الفذة لعلماء المسلمين وغيرهم مما يرتبط بكل تخصص على حدة ، وهذا يسقط حجج المحتجين وأعذار المعتذرين بقلة الحيلة ونقص الإعداد .

ولعل تلك الجامعات والهيئات العلمية من جهة أخرى إذ تدرك حاجة المتخصصين فى العلوم الحديثة لبناء معرفتهم الشرعية بطريقة مبسطة ولكنها منظمة أن تبتكر لذلك من أساليب التعليم - الذاتى وغيره - ما يعين اخوانهم على تحقيق هذا الهدف النبيل دون أن يتطلب ذلك منهم إهمال أعمالهم أو إنفاق معظم وقتهم فى متابعة الدراسة الشرعية بالطرق والمراجع المعتادة عند المبتدئين .

قائمة المراجع

١ – إبراهيم عبدالرحمن رجب : « المنهج العلمى للبحث من وجهة إسلامية » ورقة مقدمة للندوة الأولى للتأصيل الإسلامى للخدمة الإجتماعية ، (المعهد العالمى للفكر الاسلامى ، القاهرة ١٩٩١) .

٢ – اسماعيل الفاروقى : « صياغة العلوم الإجتماعية صياغة إسلامية » المسلم المعاصر ، و العدد ٢٠ – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م ، ص ص ٣٥ – ٤١ .

٣ – اسماعيل الفاروقى : « أسلمة المعرفة » ، المسلم المعاصر ، العدد ٣٢ – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م ، ص ص ٩ – ٢٣ .

٤ – اسماعيل الفاروقى : إسلامية المعرفة : المبادي العامة – خطة العمل – الانجازات ترجمة د. عبدالحميد أبوسليمان (واشنطون : المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٨٦) .

٥ – الفاروقى زكى يونس : « الرعاية الإجتماعية فى الإسلام » بحث قدم إلى المؤتمر الدولى لعلماء المسلمين : إسلام أباد – باكستان – ١٤٠١ – ١٩٨١ .

٦ – إلياس بايونس : « علم الإجتماع والواقع الإجتماعى المسلم » ، العلوم الطبيعية والإجتماعية من وجهة النظر الإسلامية : تحرير اسماعيل الفاروقى وعبدالله عمر نصيف (جدة : عكاظ ، ١٩٨٤) .

٧ – جمال سلطان : « إشكالية وقت الفراغ » ، المسلم المعاصر ، العدد ٥٥ – ٥٦ ، ١٤١٠ – ١٩٩٠ ص ص ١١ – ٣٠ .

٨ – زكى محمد اسماعيل : نحو علم اجتماع إسلامي « الاسكندرية : دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٨٨) .

٩ – زكى نجيب محمود ، « فى تحديث الثقافة العربية » ، جريدة الاهرام ، ٢١ – ٤ – ١٩٨٧ .

١٠ – عبدالحليم رضا عبدالعال : « قضايا متضاربة فى الخدمة الإجتماعية » ، الكتاب السنوي الأول في الخدمة الإجتماعية ، اشراف د. عبدالمنعم شوقى (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٩) .

١١ – عبدالرؤف عبدالعزيز الجرداوى : الإسلام وعلم الإجتماع العائلي (الكويت : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، ١٤٠٩ – ١٩٨٨) .

١٢ – عفاف إبراهيم الدباغ : « المنظور الإسلامى لممارسة الخدمة الإجتماعية » خطة بحث لنيل درجة الدكتوراة من المعهد العالى للخدمة الإجتماعية بالرياض ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ .

١٣ – عفاف إبراهيم الدباغ : « المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية » ، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الإجتماعية (المعهد العالمى للفكر الإسلامى – القاهرة أغسطس ١٩٩١) .

١٤ – على حسين زيدان : « دور الخدمة الإجتماعية فى العمل مع المنحرفين : منظور إسلامى » ، بحث مقدم لندوة التأصيل الإسلامى للخدمة الإجتماعية (المعهد العالمى للفكر الإسلامى – القاهرة ، أغسطس ١٩٩١) .

١٥ – عماد الدين خليل : مدخل إلي إسلامية المعرفة (المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م) .

١٦ – عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦) .

١٧ – فاروق أحمد الدسوقى : مقومات المجتمع المسلم (بيروت : المكتب الإسلامى ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦) .

١٨ – فؤاد عبدالله نويرة : الإسلام والخدمة الإجتماعية ، رسالة دكتوراة نشرتها وزارة الشئون الإجتماعية بمصر (١٩٥٨) ، ١٩٦١ .

١٩ – كمال إبراهيم مرسى : « محاضرات فى المدخل إلى التوجيه الإسلامى لعلم النفس » ، مذكرات غير منشورة ، ١٩٩١ .

٢٠ – لبيب السعيد : العمل الاجتماعي ، مدخل إليه ودراسة لأصوله الإسلامية (جدة : دار عكاظ ، ١٩٨٠) .

٢١ – محمد أحمد عبدالهادى : الخدمة الإجتماعية الإسلامية (القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٨) .

٢٢ – محمد رفقى عيسى : « نحو أسلمة علم النفس » ، المسلم المعاصر ، العدد ٤٦ ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م ، ص ص ٣١ – ٥٦ .

٢٣ - محمد عثمان نجاتى : « منهج التأصيل الإسلامى لعلم النفس » ورقة مقدمة إلى ندوة التأصيل الإسلامى لعلم النفس ، التى نظمها المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة ١٩٨٩ .

٢٤ - محمد فاروق النبهان : مبادئ الثقافة الإسلامية (الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٧٤) .

٢٥ - مختار عجوبة : « المنطلقات النظرية لمداخل الخدمة الإجتماعية المعاصرة) ، المؤتمر العلمي السنوي الثالث لكلية الخدمة الإجتماعية بجامعة حلوان ، القاهرة ، ١٩٨٩) .

٢٦ - مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ندوة التأصيل الإسلامى للعلوم الإجتماعية (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - عمادة البحث العلمى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) .

E.F. O'Doherty, Religion and Psychology (New York : Alba House, 1978).

المنظور الإسلامى للطبيعة الإنسانية

عفاف بنت إبراهيم بن عبدالله الدباغ

مقدمـــة

تشكل المعرفة بالطبيعة الإنسانية أساساً حيويا مهماً ، تعتمد عليه مهن المساعدة الإنسانية The Helping Professions فى عمليات تقديم المساعدة . بل إنه من الحقائق المعروفة أن كل نظرية ، سياسية أو اقتصادية أو تربوية أو اجتماعية ، يكمن وراءها تصور معين للإنسان . فالنظر فى الإنسان ومحاولة الوصول إلى تصور له يطابق - بقدر الإمكان - حقيقته ، ينبغى كما يشير جعفر إدريس ، أن يسبق كل محاولة للنظر فى المبادئ الاقتصادية أو النظم الاجتماعية وأسس الرعاية الاجتماعية ؛ لأن معيار صلاحية هذه المبادئ والنظم هو مدى صلاحيتها للإنسان ، ولايمكن أن نعرف مدى صلاحيتها له إلا إذا عرفنا أولا ما هو الإنسان . (١)

واذا كانت الخدمة الاجتماعية هى : (الأنشطة المهنية التى تمارس لمساعدة الأفراد، والجماعات والمجتمعات المحلية على زيادة أو إستعادة قدراتهم فى الأداء الاجتماعى . ولتوفير الظروف الاجتماعية التي تساعد على تحقيق هذا الهدف) (٢) ؛ يصبح تحديد تصور واضح عن الإنسان ، والتعرف على مكوناته وخصائصه ووظيفته فى هذه الحياة، والهدف من وجوده ، إلى غيره من المعارف والقيم المتعلقة بالإنسان ، أساساً ضروريا وحيويا يتحدد فى ضوئه الهدف من الأنشطة المهنية ، وأساليب ممارستها .

ولقد اهتم العلماء والمفكرون والفلاسفة منذ القدم بدراسة الإنسان ، فنشأت العلوم المختلفة لدراسته من جوانبه المتعددة ، فالعلوم الحيوية تدرس الإنسان من حيث هو كائن حى ، فتدرس أعضاء جسمه ووظائفها ؛ والعلوم الإنسانية ، مثل علم النفس ، تدرس خواص الإنسان وتكوينه النفسى وسلوكه .

وعلى الرغم من الجهود المتواصلة التى بذلها الباحثون فى تلك التخصصات ، إلا أن ما أحرزته هذه العلوم من تقدم يعتبر ضئيلاً جدا مقارنا بما أحرزته العلوم الطبيعية . ويرجع ذلك إلى الطبيعة المعقدة للانسان ، وأنه كل لايتجزأ ، بينما تلك العلوم لاتوصلنا إلي فهمه ككل ، كما يرجع إلى وجود مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية غير معروفة - كما أشار إلى ذلك الكسيس كاريل (٣) - لم يستطع العلم الحديث التوصل إليها ، نظرا لأنه تحت تأثير المادية العلمية أصبح كل شئ لايرى بالعين أو لايلمس باليدين مشكوكا فيه ، بل إن هذه الأشياء (غير المنظورة أو غير الملموسة) أصبحت

مدعاة للسخرية بسبب صلتها المفترضة بالميتافيزيقا . فلا شئ علمى أو حقيقى إلا أن يدرك بالحواس أو يرد إلى أسباب فيزيائية (٤) .

وبناء على ذلك أصبح من غير الممكن الوصول إلى نتائج وحقائق ذات معني عن الإنسان لما فيه من جوانب لايمكن التحقق منها باستخدام ذلك المنهج . ونجد من المتخصصين من ينبه إلي ذلك أمثال إليزابيث سالمون E. Salomon الأخصائية الاجتماعية اليهودية - التى تنتقد سيطرة وهيمنة الفلسفة الوضعية على الخدمة الاجتماعية وتقول إنها تجعلنا ننظر إلى الإنسان ونقيمه بطريقة آلية ، وتقودنا إلى البحث عن المعلومات Knowledge لإنها موضوعية ، وإهمال القيم Values لإنها غير موضوعية (٥) .

كما أشار إلى ذلك بيرنارد كوفلين B. Coughlin - عندما كان عميدا لمدرسة الخدمات الاجتماعية بجامعة سانت لويس - وأكد على أهمية الأسس الدينية لفهم طبيعة الإنسان (٦) .

ومن هنا يصبح الاعتماد على الوحى كمصدر لمعرفة تلك الجوانب الغيبية للإنسان أمراً لابد منه . لذلك فعملية تدبر القران الكريم ، وفهم السنة المطهرة من أهم الوسائل البحثية التى تعين فى فهم الخصائص الإنسانية .

ولذلك فإن المتخصصين المسلمين فى الخدمة الاجتماعية يجدون أنفسهم فى مأزق كبير عند محاولتهم تأصيل الخدمة الاجتماعية تأصيلا إسلاميا ، حيث لم يتم بعد بلورة هذه الوجهة الإسلامية لعلم النفس . وعليه فإنه ليس أمامهم إلا الانتظار الذى قد يطول حتى يقوم رجال علم النفس بتلك المهمة الحيوية . أما إذا أثروا عدم الانتظار ، فليس أمامهم إلا أن يأخذوا بأفضل ما توصلت إليه المحاولات القائمة فى هذا الشأن ، والإسهام بالرأى فى تلك المحاولات بالقدر الذى يستطيعونه ، مهما كان ضئيلا .

لذا فإن هذا البحث سيحاول الإسهام فى بلورة التصور الإسلامى للطبيعة الإنسانية فى الإطار الذى يمكن استخدامه لتفسير المشكلات الفردية والاجتماعية التى تأتى بها العملاء للأخصائى الاجتماعى ، والاعتماد على ذلك التصور كأساس يوجه التدخل المهنى فى الخدمة الاجتماعية .

ولتحقيق هذا الهدف ستستقى الباحثة - بقدر المستطاع المعلومات من المصادر التالية :-

١ - نتائج الدراسات العلمية الحديثة .
٢ - نتائج المحاولات الحديثة للتأصيل الإسلامى لعلم النفس .
٣ - القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وتراث السلف .

محاولة بذلك أن تصل إلى التكامل - الذى يتطلبه منهج التأصيل الإسلامى بمعناه الصحيح - بين مانستقرئه من المصادر الإسلامية وبين مايمكن الاستفادة به من نتائج العلوم الحديثة .

ويتناول البحث موضوع الطبيعة الإنسانية من خلال العناصر الآتية :-

أولا : ماهية الإنسان .

ثانيا : الإرادة الإنسانية .

ثالثا : الغاية من خلق الإنسان .

رابعا : الصفات الإنسانية .

أولا : ماهية الإنسان

يعلمنا الله - عز وجل - من خلال عدة آيات قرآنية ، أنه خلق آدم - أبا البشر - من طين ثم نفخ فيه من روحه . فى مثل قوله تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**) (الحجر : ٢٩) وهذا يدل على ثنائية تكوين الإنسان ، التى كان يؤمن بها الفكر الإنسانى منذ القدم ، فنجد - كما يذكر مدكور - أن الفكر الشرقى القديم كان يدور فى جزئه الأعظم حول النفس فى أصلها ومعادها ووسائل تهذيبها وتطهيرها . وقدماء المصريين كانوا يؤمنون إيمانا جازما بالخلود ، وأن الجسم يعود إلى التراب ، والنفس ترجع إلى الله لتثاب أو تعاقب(٧).

وفى الثقافة اليونانية ظهر سقراط وأفلاطون الذى قال : « إن الإنسان هو النفس وأن الجسم آلة » ويذهب إلى أن الجسم يشغلها عن فعلها الذاتى (الفكر) ويجلب لها الهم بحاجاته وآلامه ، وأنه تقهره وتعمل على الخلاص منه (٨) وهذا قريب مما قاله الغزالى فيما بعد .

ثم جاء أرسطو بأول دراسة منظمة مبوبة فى كتابة عن « الروح» وكان لبحوثه أثر واضح على فلاسفة الإغريق وفلاسفة العرب ، أمثال « ابن سينا » ، « وابن رشد » (٩). ويقول كارل يونج (C.Jung) أن البشرية كلها ظلت تؤمن أن الروح له وجود مستقل حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، حيث شيدت لنفسها اعتقادا جديدا يقوم على مبدأ « علم النفس بلا نفس » أو « علم الروح بلا روح » وذلك تحت تأثير « المادية العلمية » . ومنذ ذلك الحين أخذ الإيمان بأن للروح وجودا مستقلا يتراجع أمام القناعة بأن الوجود هو للأشياء المادية وحدها . حتى صار قادة الفكر والبحث فى أوربا ينظرون إلى العقل على أنه تابع للمادة وللسببية المادية تبعية مطلقة (١٠) .

ولذلك انتقل علم النفس إلي دراسة السلوك الخارجي ، حتى سماه البعض بعلم السلوك الذى يدرس السلوك الظاهرى ، وليس له أن يستنتج أن للإنسان شعورا أو عقلا لأن هذه أمور لايمكن ملاحظتها (١١) .

وهذه « المادية العلمية » تمثل عند توماس برى النظرة القديمة للعلم . وعلماء النفس فى هذه النظرة القديمة يتفقون على أن الغرائز والانفعالات هى التى تقود الإنسان ، ولكنهم يختلفون بصدد تحديد الغريزة الأساسية . بعضهم مثل هوبز (Hobbes)، يزعمون أنها الخوف من الموت ، بينما يقول مالتوس (Malthus) أنها غريزة الجوع ، وفرويد (Freud) يقول أنها غريزة الجنس .

ثم ظهر المذهب السلوكى الذى أسسه جون واطسون (Watson) وهو لايحاول أن يستمد العقل من المادة ، ولكنه يتساءل لماذا ينبغى على العلم أن يعترف بالعقل أصلا اذا لم يكن قط مصدرا لأى تفسير علمى . وتبعا لذلك تؤكد السلوكية أن جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة . وعليه فإن لاشيئ في الانسان يمكن أن يبقى بعد الموت، فإذا كان التفكير والإرادة نشاطين من أنشطة الدماغ فليس هناك سبب يجعلهم يفترضون ان هذين النشاطين يمكن أن يستمرا بعد فناء الدماغ . وبالرغم من وضوح تفسير العقل فى النظرة القديمة ، إلا أنه ما من أحد في القرن التاسع عشر استطاع أن يحدد بالضبط كيفية انبثاق العقل من المادة . إلي أن جاءت الكشوف الجديدة فى القرن العشرين لتقدم نظرة جديدة ، بدأت بتشارلز شرنفتون الذي يعتبر مؤسس فسيولوجيا الأعصاب الحديثة . ولقد خلص إلي ما يلى :

« هكذا ظهر فرق جذرى بين الحياة والعقل . فالحياة هى مسألة كيمياء وفيزياء ، أما العقل فهو يستعصى على الكيمياء والفيزياء » (١٢) .

إلا أنه فى الآونة الأخيرة – وبفضل الله – ظهرت العديد من الكتابات حول موضوع طبيعة الإنسان ، من مفكرين مسلمين ، ومتخصصين فى علم النفس استخدموا فيها المصادر سابقة الذكر . ولقد صنف أبوحطب المحاولات التى بذلت من المتخصصين إلى ستة اتجاهات تناولها بالنقد وأوضح مميزات كل منها (١٣) . وسوف يستعين هذا البحث – بإذن الله – بهذه الكتابات بعد الاعتماد على المصادر الرئيسية (كما سبق الإشارة) ، لتوضيح النظرة الإسلامية لطبيعة الإنسان ومكوناته – بالقدر الذي يفيدنا – وذلك على النحو التالى :–

١ – حول النفس والروح :

يقول الراغب الأصفهانى فى ماهية الإنسان : « أنه مركب من جسم مدرك بالبصر ، ونفس مدركة بالبصيرة » (١٤) والنفس المفارقة للبدن بالموت – كما يقول ابن

تيمية – ليست جزءا من أجزاء البدن ولاصفة من صفاته . والروح المدبرة للبدن التى تفارقه بالموت هى الروح المنفوخة فيه ، وهى النفس التى تفارقه بالموت . قال تعالى : «**الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الأخري إلي أجل مسمي** » (الزمر : ٤٢) فقد سمى المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا . وسمى المعروج به إلى السماء روحا ونفسا . ولكن يسمى نفسا باعتبار تدبيره للبدن ، ويسمى روحاً باعتبار لطفه . [١٥] وهذا يوافق مانقله ابن كثير عن السهيلى فى تفسيره للآية الكريمة : « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** » (الإسراء : ٨٥) حيث قال : « إن الروح هى أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن إتصالها بالبدن فهى هى من وجه ، لامن كل وجه»[١٦] .

وفى هذا المعنى – كما ترى الباحثة – حسم معقول للأراء الكثيرة والمختلفة التى وردت فى التفريق بين الروح والنفس . ولقد استعرض الرازى هذا الأراء بالتفصيل فى تفسيره . [١٧]

ولقد أخذ بهذا المعنى من المحدثين محمد رشاد خليل ، بعد تأكيده على أن الاسلام يقرر وحدة الذات الانسانية التى تتكون من الروح والجسد معا ، وأن الانسان يعمل ككل وهو مسئول ومحاسب ككل باعتبار هذه الوحدة ، إلا أن الإسلام يقرر فى نفس الوقت إن الروح مخلوق مفارق ، يدخل فى الجسم ويخرج منه ، ولها نشاط مستقل تماما عن الجسد وهي موجودة فيه ، وذلك بجوار نشاطها باعتبارها وحدة واحدة مع الجسد [١٨] . ويقول ابن القيم الذى يأخذ بترادف المعنى لكلمة نفس وروح ، أن الروح: « جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جنس نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء في الورد والنار فى الفحم» . ويؤكد على صواب هذا القول حيث دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة .[١٩] ويستطرد محمد خليل فيقول ، إنه قد ظهر النشاط الخاص بالروح بصورة أجبرت كثيرا من الباحثين فى الغرب على الاهتمام بها ، ورصدها بصورة تقطع بها باعتبارها حقيقة علمية [٢٠] .

ويقول عباس العقاد : « إن الروح فى الكتاب المبين هو أقرب القوى إلى الحياة الباقية ، وأخفاها عن المدارك الحسية . وأنه الجانب الذى استأثر الله بعلمه واحتجب عن انبيائه ، لأنه سر الوجود المطلق ، لاقدرة للعقل الإنسانى المحدود على الإحاطة به ووعيه إلا بما يناسبه من الإشارة والتقريب » [٢١] .

أما النفس فلقد وصفت فى القرآن الكريم بثلاث صفات ، فهى أمارة بالسوء « **إن النفس لأمارة بالسوء** » (يوسف : ٥٣) ، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة « **ولا أقسم**

بالنفس اللوّامة » (القيامة :٢) تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها ، وتلوم بين الفعل والترك ، إذا قوى الإيمان صارت مطمئنة « يا أيتها النفس المطمئنة » (الفجر : ٢٧) ولهذا قال النبى ﷺ : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » [٢٢].

وفى العلاقة بين النفس والجسد ، يشبه الغزالى نفس الإنسان فى بدنه مثل ملك فى مدينتــه ، ولا يمكن للعبد ان يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا ، فان المنزل الأدنى لابد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى ، فالدنيا مزرعة الآخرة [٢٣] وواضح هنا إنه استخدم كلمة نفس قاصدا بها الروح والغزالى لايجعل من علاقة النفس بالبدن أمرا موجبا لألم النفس وعذابها وشعورها بالغربة والسجن ، لإنه لايغالى فى احتقار مادة الإنسان الجسدية . [٢٤] كما فعل ذلك أفلاطون ، فيما سبق الإشارة إليه .

٢ - حول العقل والقلب :

يشير الغزالى إلى وجود معانى مختلفة للعقل ، من جملتها معنيان :

أحدهما يراد به العلم بحقائق الأمور ، فيكون صفة العلم الذي محله القلب ، والثانى يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب . [٢٥] ويقول ابن تيمية إن اسم العقل عند المسلمين إنما هو صفة ، وهو الذى يسمى عرضا قائما بالعاقل ، وعلى هذا دل القرآن الكريم فى قوله تعالى : (لعلكم تعقلون) ، (إن كنتم تعقلون) . ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلا ، واذا كان كذلك فالعقل لايسمى به مجرد العلم الذى لم يعمل به صاحبه ، ولا العمل بلا علم ، بل إنما يسمى به العلم الذى يعمل به والعمل بالعلم ، والعقل قائم بنفس الإنسان التى تعقل . وأما من البدن فهو متعلق بقلبه ، أما إذا أريد بلفظ القلب باطن الإنسان مطلقا ، فالعقل متعلق بدماغه أيضا ولهذا قيل أن العقل فى الدماغ [٢٦] . ومما يدعو للدهشة موافقة يونج على هذا المعنى حيث يقول : «نحن نحسب أن أفكارنا تقوم فى رؤوسنا ، ولكن عندما يتعلق الأمر بمشاعرنا نبدأ فى التردد ، يبدو أنها تقيم فى منطقة القلب » . كما يشير إلى مايقوله هنود البوابلو عن الأمريكيين من أنهم قوم مجانين لأنهم يعتقدون بأن أفكارهم مخلها رؤوسهم ، على حين ان الإنسان العاقل يعلم أنه إنما يفكر بقلبه [٢٧] .

والقلب عند الغزالى هو الروح الانسانى المتحمل لأمانة الله ، المتحلى بالمعرفة ، المركوز فيه العلم بالفطرة ، الناطق بالتوحيد بقوله بلى ، فهو أصل الآدمى ونهاية الكائنات فى عالم المعاد [٢٨] .

ويقول فى موضوع آخر ، إن الإنسان خلق من بدن وقلب ، وأن بالقلب حقيقة روحه التى هى محل معرفة الله [٢٩] .

ويشير ابن تيمية إلى أن صلاح القلب وحقه الذى خلق من أجله هو أن يعقل الأشياء ، لا أن يعلمها فقط ، فقد يعلم الشئ من لايكون عاقلا له ، بل غافلا عنه ، والذى يعقل الشئ هو الذى يقيده ويضبطه ويعيه ويثبته فى قلبه . فيكون وقت الحاجة اليه غنيا فيطابق عمله قوله ، وباطنه ظاهره ، وذلك هو الذى أوتى الحكمة ، فإذا كان حق القلب أن يعلم الحق ، فان الله هو الحق المبين (٣٠) .

وكأن هناك مستويين للعلم : علم غير عاقل . فالإنسان يمكن أن يعلم الشئ ولكن لايعقله ، ولكن إذا عقله فهو بالضرورة علمه . ويصل الإنسان إلى مستوى – عقل الشئ – متى اتصل العلم بقلبه ، أى بوجدانه فيندمج معه ، وحينئذ تصدر عن هذا الاندماج الإرادة المحركة للسلوك . ولقد قيل فى العلاقة بين القلب والنفس : « أن النفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا ، والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهى النفس عن الهوى ، والقلب بين الداعيين ، يميل إلى هذا الداعى مرة ، وإلى هذا مرة ، وهذا هو موضع المحنة والابتلاء » (٣١)

فالقلب في محاولته السيطرة على الجوارح ، يتأثر بالنفس والهوى فإذا استطاع أن يتغلب على نفسه ، فإن هذا يدل على نجاح عملية الدمج بين العلم والوجدان ، وظهرت نتيجتها المرجوة على سلوكه ، أما إذا لم ينجح فى التغلب على أهوائه ونفسه ، تكون عملية الدمج قد فشلت ونتج عن ذلك إرادة فاسدة وسلوك منحرف .

وانطلاقا من أهمية المعرفة للإنسان والعقل بالمعنى المذكور سابقا ؛ عرف الأصفهانى الإنسان بأنه : « من عرف الحق فاعتقده ، والخير فعمله بحسب وسعه » وهذا هو الإنسان بالمعنى « الخاص » ، أما الإنسان بالمعنى « العام » فهو : « كل منتصب القامة مختص بقوة الفكر ، واستفادة العلم » فالإنسانية بالمعنى العام هى ماتوفر للإنسان من ماهية بحسب الخلقة ، أما الإنسانية بالمعنى « الخاص » فهى مايكتسبه الإنسان بسعيه من اعتقاد الحق وعمل الخير . وهذا المعنى يتفاضل فيه الناس ويتفاوتون تفاوتا بعيدا ، وبحسب تحصيله تستحق الإنسانية .

ثانيا : الإرادة الإنسانية

لعله من أكثر القضايا التى أثارت الجدل هى قضية الإرادة لدى الإنسان ، ويعتبر فهمها على الوجه الصحيح ضرورة لتثبيت العقيدة وتنقيتها من أى شبهات . ومتي حدث هذا ، فستطمئن نفس الإنسان – بإذن ربها – وسيُسلِم الإنسان وجه لله ويعبده ويستعين به ، ولايتكل بل يتوكل عليه .

ويتميز الإنسان عن باقى الكائنات بكونه مكلفاً ومسئولاً ، والله سبحانه هيأه للقيام بهذا التكليف وتحمل المسئولية ، فمنحه حرية الإرادة فهو يفعل الخير مختارا فيثاب عليه ، ويفعل الشر مختارا فيعاقب عليه . قال عز وجل : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** » (الزلزلة : ٧ ، ٨) ولقد خلق الله الانسان مستعداً لأن يسعد نفسه بالخير أو يشقيها بالشر كما فى قوله تعالى :

« **وهديناه النجدين** » (البلد : ١٠) ، واتفقت التفاسير فى معنى النجدين أنه طريق الخير والشر. وفى آية أخرى : « **ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » (الشمس ٧ - ١٠) ومعنى ألهمها : عرّفها . الفجور والتقوى هى المعصية والطاعة مطلقا . والمقصود أن الله سبحانه قد بين للنفس ماينبغى لها ان تأتى أو تذر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية [٣٢] . وقال سبحانه فى آية أخرى : « **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** » (الانسان : ٣) والمراد من هداية السبيل خلق الدلائل ، وخلق العقل الهادى ، وبعثة الأنبياء ، وإنزال الكتب ، والسبيل هو سبيل الخير والشر ، النجاة والهلاك . ومجاز قوله « إما شاكرا وإما كفورا » قول القائل : قد نصحت لك إن شئت فاقبل ، وإن شئت فاترك [٣٣] . وكما تدل هذه الآيات على « حرية إرادة الإنسان ، فإنها تشير أيضا إلى أن الخير هو فى طاعة الله ورسوله ، والشر هو فى معصية الله ورسوله . فلا شئ يحدد ماهو خير وماهو شر سوى هذا المبدأ . فلا نسبية فى القيم العامة والأخلاق ، ولاسيطرة للثقافة المجتمعية إلا فى حدود ماشرَعه الله ، ولا اعتبار لمصالح الفرد أو المجتمع إلا فى هذه الحدود ايضا . فشرع الله يمثل الحق الذى فى ضوئه تصل إلى الحقيقة . وفى حديث للرسول ﷺ . إنه قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا ، يارسول الله ومن يأبى؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » [٣٤] .

ففى هذا الحديث دلالة قوية واضحة على إرادة الإنسان ومسئوليته وإلى موطن الخير .

فالإنسان إذاً ذو حرية واختيار ، ولكن هل يتعارض هذا مع الإيمان بأن الله عَلِمَ ماسيكون كله قبل أن يكون ؟ فالله سبحانه وتعالى علم أهل الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الأعمال . كما ورد فى الصحيحين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: « كنا مع رسول الله ﷺ ببقيع الفرقد فى جنازة . فقال : مامنكم أحد إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة . فقالوا : يارسول الله أفلا نتكل علي الكتاب وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة . وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ قوله تعالى : « **فأما من أعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** » [٣٥] وكما يوضح ابن تيمية فإن الله سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ماهى عليه ، وهو قد جعل للأشياء أسبابا تكون بها ، فيعلم انها تكون بتلك الأسباب . فهو يعلم مثلا أن هذا (شخص ما) ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب . فلو قال : إذاعلم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر ، كان جاهلا ضالا ؛ لابد من الأسباب التى علم الله أن هذه الأمور تكون بها . ولهذا أمر

الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب . فليس فى الدنيا والآخرة شئ إلا بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات. وكذلك أمر الآخرة ، ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة ، بل هى سبب ، ولهذا قال النبى ﷺ : « إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قالوا : ولا أنت يارسول الله ! قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » (٣٦) وقد قال تعالى : « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » فهذه باء السبب ، أى : بسبب أعمالكم ، والذي نفاه الرسول ﷺ باء المقابلة ، كما يقال: اشتريت هذا بهذا ، أى ليس العمل عوضا وثمنا كافيا فى دخول الجنة ، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته » (٣٧) .

ولقد ضل كثير من الناس فى هذا الموضع ، قسمهم ابن تيمية إلى فريقين : فريق آمنوا بالقدر ، وظنوا أن ذلك كاف فى حصول المقصود ، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة . وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر ، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم ، وهؤلاء جهال ضلال . فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة اليه ، ولانهاهم عما نهاهم عنه بخلا به ، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ، ونهاهم عما فيه فسادهم . وهو سبحانه غنى عن العالمين ، وجميع ماينالون به الخيرات من قواهم وغير قواهم هى بفضله ، فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله ، وإن كان أوجب ذلك على نفسه . كما حرم على نفسه الظلم (٣٨) . وكل نعمة منه فضل ، وكل نقمة منه عدل ، كما فى الحديث القدسى : « ياعبادي إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ الا نفسه » (٣٩)

فيما سبق تم توضيح بعض جوانب تلك القضية المهمة ، بشئ من التفصيل وذلك نظرا لأهميتها الخاصة بالنسبة للاخصائى الاجتماعى الذى يتعامل مع من لديهم مشكلات قد يكون من أسبابها وقوعهم فى الضلال المشار إليه سابقا - نتيجة جهلهم فإذا أعطى العذر للناس على جهلهم ، فلا نستطيع أعطاءه للاخصائى وهو فى موقع المسئولية . ولكن للأسف أن مايعرفه الأخصائى حول مثل هذه القضايا - من الوجهة الإسلامية - يتساوى مع غيره . نظرا لما تفتقر إليه مناهج الإعداد المهنى لهذه الجوانب بل قد تكون بعض المعارف التى اكتسبها اثناء إعداده . سببا فى زيادة بعده عن المفاهيم الإسلامية . فما تعلمه حول هذا الموضوع يتمثل فى أفكار ومفاهيم النظريات الغربية ، التى وإن لم تتعرض لتقدير الله سبحانه لسلوك العباد ، فانها تفترض جبرا من أنواع أخرى مادية ، يمثل ذلك ماقاله فرويد مثلا من ان الإنسان تحكمه القوى البيولوجية ، فكل مايقوم به ومايفكر فيه - بل وما يراه فى منامه أيضا - نتيجة تأثير قوى داخلية لا شعورية تسيطر عليه وبذلك فليس للإنسان - فى نظر فرويد - إرادة

حرة تذكر وكذلك الحال لدى سكنر (ممثل النظرية السلوكية) الذى سلب الإنسان حرية إرادته ، فشبهه بالآلة فقال إنه : (A complex system behaving in lowful way) ، وهو يغاير فرويد تماما فيما يراه من مسببات للسلوك ودوافعه حيث يَرجعها إلى قوى خارجية بالبيئة المحيطة (٤١) . وعليه فإنه يرى إن الناس لايملكون الحرية ، وانهم غير مسئولين عن أعمالهم ولايجب أن نوجه إليهم اللوم عندما يفشلون ، أو نمدحهم عندما ينجحون . وهو يرى أن المهندس الاجتماعى (Social engineer) المتفهم لكل أسس التعلم ، يمكن أن يشكل الناس فى أى صورة مرغوبة سواء للخير أو للشر (٤٢) والواقع انه يمكن أن نستخلص – من النظريتين – ما يفيدينا في الوجهه الإسلامية ، فلقد نجح فرويد – بلاشك – فى تحذيرنا من قوة الدوافع البيولوجية التى تقابل في معظمها الشهوات – وخطورة تأثيرها على الإنسان (فيما سيأتى عرضه مفصلا) كما أن سكنر نجح في توضيح أهمية البيئة ودورها فى تعليم الإنسان وتكوين معارفه وإتجاهاته وقيمه . إلا أن كلا منهما قد فشل فى الاعتراف بإرادة الإنسان ، التى يتستطيع أن يستخدم بها معرفته فى التحكم بشهواته . وإن فرويد وسكنر يمثلان النظرة القديمة للعلم التى كان من نتائجها : « أن العقل البشرى لايستطيع أن يختار بحرية لأن المادة لاتتصرف إلا بضرورة ميكانيكية » (٤٣) ولكن بعد أن أثبت العلم ان الارادة البشرية غير مادية ، لم تعد هناك كما يقول اكلس أسباب علمية وجيهة لإنكار حرية الإرادة . بل ان إنكار حرية الإرداة يجعل من العلم كله أمرا منافيا للعقل » (٤٤) .

تلك هى بعض النظريات الغربية التى يتعلمها الأخصائى الاجتماعى أثناء إعداده المهنى . وكما هو واضح اختلافها وتعارضها ، فانه واضح أيضا بُعدها عن المفهوم الاسلامى ، وإن كان العلم الحديث قد أثبت حرية الإرادة لدى الإنسان ، إلا أنه لم يأخذ فى اعتباره الإرادة الإلهية التى بها يتضح موقع الإرادة الإنسانية . قال تعالى : « وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » (التكوير : ٢٩) .

ثالثا : الغاية من خلق الإنسان

قد يغفل الكثير من الناس عن التأمل والتدبر فى حقيقة الغاية من خلقهم في هذه الحياة الدنيا ، كما أرادها الخالق عزوجل ، وذلك نتيجة انشغالهم بأمور حياتهم اليومية، فتحتل الاهداف قصيرة المدى – الجزء الأكبر من اهتمامهم وتفكيرهم ، فينسون أن مايسعون لتحقيقه ، لايمثل فى واقع الأمر سوى وسائل لتحقيق الهدف البعيد ألا وهو العبودية لله عز وجل فى هذه الحياة الدنيا لكى ينالوا نعيم الحياة الآخرة .

يصف يونج (المتوفى عام ١٩٦١م) المرحلة التى نعيشها بأنها أعظم ماتكون قلقا وتوترا عصبيا ، وانحرافا فى نظرتنا إلى الحياة . ويذكر أن العديد من الناس المثقفين جاءوه لا لأنهم كانوا يشكون من صعاب ، وإنما لأنهم لم يستطيعوا أن يجدوا معني للحياة ، وكانوا يرهقون أنفسهم بأسئلة لايسع الفلسفة المعاصرة ولا الدين أن يجيبهم عليها (٤٥) . بينما يخالفه كوفلين ، إذا يقول أن هذه الاسئلة التى يتساءلها الإنسان دائما عن الهدف من حياته ، وعن معنى الحياة ، لن يجد لها إجابة باستخدام العقل وحده ، أو المعارف الامبيريقية . ولكن هى وظيفة الدين أن يجيب عليها . (٤٦) والواقع أن يونج يقصد بإشارته إلى الدين - الدين المسيحى المحرف - فهو يرى أن ما جاء به فى هذا الصدد لايقنع الكثير من الناس بل يزيد من حيرتهم .

ويذكر اريك فروم أنه خلال القرون الماضية - وحتى القرن السابع عشر والثامن عشر لم يكن الهدف من الحياة هو ممارسة أقصى مايمكن من المتع والملذات البدنية ، فقد كان المعلمون الكبار معنيين بسعى الإنسانية لتحقيق أعلى درجة من الحياة الطيبة، مع الاهتمام بالتمييز بين الرغبات (الاحتياجات) المستندة إلى مشاعر ذاتية والتى لايؤدى إشباعها إلا إلى لذة وقتية ، ونوع آخر من الرغبات لها جذورها فى الطبيعة البشرية ، ويؤدى إشباعها إلى مزيد من النضج الإنسانى والحياة الطيبة (يقصد الدينية والروحية) .

وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، نادى الفلاسفة بنظرية إن الهدف من الحياة هو تحقيق كل رغبات الإنسان . ولقد ظهر هذا المفهوم بعد أن تحول معنى «الكسب » من « الكسب الروحى » إلى الكسب المادى والربح النقدى ، وذلك عندما تمكنت الطبقة الوسطى ليس فقط من تحطيم أغلالها السياسية ، وإنما حطمت ايضا كل روابط الحب وعلاقات التكافل واعتقدت أن حياة الإنسان من أجل نفسه فقط تعنى تعظيما لذاته وليس إنقاصا لها . فقد اعتبر هوبز أن السعادة هى التقدم المطرد دائما من شهوة لشهوة .

ثم ظهرت نظريات أخلاقية عديدة كان بعضها أشكالا أكثر تهذيبا لمذهب اللذة ، مثل كانت ، وماركس ، ولكن العصر الحالى يشهد - إلى حد كبير - عودة إلي أفكار وممارسات مذهب اللذة الراديكالى (٤٧) . فنجد فرويد مثلا يرى أن هناك هدفا مطلقا واحدا فى الحياة ، وهو التقليل من التوتر (٤٨) . أما يونج فيرى فى بقاء وتكاثر النوع والنمو الارتقائى المستمر أغراضا نهائية لحياة الإنسان وعلاقاته مع العالم الخارجي(٤٩) . بينما يرى ادلر أن الهدف النهائى للإنسان هو أن يكون متفوقا . وهو لايعنى بالتفوق الإمتياز الاجتماعى أو المنزلة المرموقة فى المجتمع ، إنما هو عمل من أجل بلوغ الكمال وأنه الدافع الأعظم إلى الأمام (٥٠) . وهو بهذا المعنى يتفق مع روجرز

الذي يرى فى تحقيق الذات الهدف المطلق لحياة الإنسان (٥١) . وكذلك كورت جولد شتين الذى يرى فى تحقيق الذات القوة الدافعة الرئيسية ، ويعنى بها أن الإنسان يحاول على الدوام تحقيق إمكاناته الكامنة . وهذه الوحدانية فى الغرض هى التى تحدد لحياة الإنسان اتجاهها وتمنحها وحدتها (٥٢) .

وماسلو الذى يعرف الإنسان بأنه « حيوان ذو رغبات متجددة » The human being is a wanting animal. يرى فى إشباع هذه الحاجات ، والتى فى قمتها تحقيق الذات مهمة الإنسان خلال حياته . (٥٣) أما اريك فروم فهو يؤكد على حاجة النوع الإنسانى إلى إطار للتوجيه وموضوع للعبادة أى حاجته إلى دين . (٥٤) ويشير إلى خطورة فقدان مثل هذا الإطار وما قد يصيب الإنسان من ارتباك وعجز عن الفعل الهادف المنسق نظرا لأنه سيفتقد المعنى من وراء وجود الكون . ويقول :

« نحن فى حاجة إلى موضوع نكرس من أجله كل حياتنا ، لجعل طاقاتنا تتكامل في اتجاه واحد ، ولكى نشبع حاجتنا لأن يكون لحياتنا معنى » (٥٥) .

يتضح من الأمثلة السابقة - وكما قال يونج - محدودية النظرة الحالية واقتصارها على الأهداف المادية التى - كما يظنون - تحقق سعادة الانسان فى هذه الدنيا . وهذا نتيجة لقطعهم الصلة بين الإنسان وخالقه ، ولاستبعادهم بالكلية الحياة الأخرى ، فإذا لم تكن هناك حياة أخرى ، ويموت الإنسان تموت نفسه وروحه بمعنى لاحياة للنفس بعد موت الجسد ، فإنه من الطبيعى أن يصبح هدف الانسان هو تحقيق أقصى قدر ممكن من المتعة والسعادة فى الحياة الدنيا .

ولذلك فالنظرة الإسلامية تغاير تماما المنظور الغربى ، فيما يرونه أهدافا هى (فى أحسن صورها) وسائل للهدف الرئيس من المنظور الإسلامى الذى نوضحه فيما يلى :

يقول عز من قائل : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (الذاريات : ٥٦) لذلك نجد معظم علماء الإسلام المحدثين يتفقون على أن الغاية من خلق الإنسان هى عبادة الله . ويقول ابن عاشور في تفسيره « ليعبدون » إن اللام لام العلة ، أى ماخلقتهم إلا لعلة عبادتهم إياى . أى ما أرضى لوجودهم إلا أن يعترفوا لى بالتفرد بالالهيه . أما معنى العبادة فهى إظهار الخضوع للمعبود واعتقاد أنه يملك نفع العابد وضره ملكا ذاتيا مستمرا ، فالمعبود إله للعابد (٥٦) .

ويقول الأصفهانى : « إن كل نوع أوجده الله تعالى فى هذا العالم ، أو هدى بعض الخلق إلى إيجاده وصنعه ، فإنه أوجد لفعل يختص به ، ولولاه لما وجد ، وله غرض لأجله خُصَّ بما خصَّ به » (٥٧) ولقد استخدم الأصفهانى كلمة « أوجد» لتنطبق على الكائنات التى خلقها الله ، والأشياء التى يصنعها الإنسان . فالمقصود أن لكل كائن ،

ولكل شئ مصنوع وظيفة وجد من أجل القيام بها فإن لم يقم بها انتفى الغرض من وجوده ، ويقسم الوظيفة أو الفعل الذى اختص به الإنسان إلى ثلاثة أمور هى :

١ - عمارة الأرض المذكورة فى قوله تعالى : « **واستعمركم فيها** » (هود : ٩١) وذلك تحصيل مابه صلاح المعاش لنفسه ولغيره .

٢ - عبادته المذكورة فى قوله تعالى : « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** » وذلك هو الامتثال للبارى عز وجل فى أوامره ونواهيه .

٣ - وخلافته المذكورة فى قوله تعالى : « **ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** » (الأعراف : ١٢٩) وغيرها من الآيات ، وذلك هو الاقتداء بالبارى سبحانه على قدر طاقة البشر فى السياسة باستعمال مكارم الشريعة .

ولقد شرح الفرق بين هذه الأمور الثلاثة ، فعمارة الأرض المقصود بها القيام بما فيه تزجية أو تيسير لحياة الناس ، وصلاح معاشهم ، والإنسان لاسبيل إلى بقائه فى الدنيا إلا بما يسد جوعه ، ويستر عورته ، ويقيه من الحر والبرد . فلم يكن له بد من تحصيل ذلك من الوجه المباح له . ومتى سعى العبد فى ذلك على الوجه الذى يجب ، وكما يجب ، يكون سعيه عبادة وجهادا فى سبيل الله .

وفى الفرق بين العبادة والمكارم ، يقول إن للعبادات فرائض معلومة وحدودا مرسومة، وتاركها يصير ظالما متعديا ، والمكارم (جمع مكرمة) بخلاف ذلك ، فهى تفضل على ما يجب . وتحرى العبادات من باب العدل وهو فعل مايجب ، وتحرى المكارم من باب الفضل والنفل . فلن يستكمل الإنسان مكارم الشرع مالم يقم بوظائف العبادات . ومكارم الشريعة هى الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس ، والحلم والإحسان (٥٨) .

وبهذا نرى أن معنى العبادة يشمل الخلافة ، وعمارة الأرض.

ويقول الله تعالى : « **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم إلينا لاترجعون** » (المؤمنون : ١١٥) فلو لم يكن خلق البشر فى هذه الحياة مرتبا عليه مجازاة الفاعلين على أفعالهم، لكان خالقه قد أتى فى فعله بشئ عديم الفائدة فكان فيه حظ من العبث (٥٩) . لذلك لايستوى المؤمن والكافر. فالإنسان الذى يقوم بالعبادة - التى من أجلها خلق - حق القيام قد استكمل الإنسانية ، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيوانا ودون الحيوان . كما وصف الله - عز وجل - الكفار : « **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** » (الفرقان : ٤٤) .

فهل يمكن القول فى ضوء ماسبق أن الأهداف التى تفترضها النظريات الغربية لوجود الإنسان على الأرض تمثل الجزء الأول من وظيفة الإنسان كما يصفها المنظور الإسلامى ، وهى عمارة الأرض ؟ لاأعتقد ذلك ، نظرا لأن هناك شروطا حتى لكيفية

السعى لتحصيل صلاح المعاش وهو الالتزام بما يبيحه الله والبعد عما يحرمه . مما لايتحقق فى وجهة النظر الغربية .

وهناك من ينظر للموضوع من زاوية أخرى ، مثل الميدانى الذى اعتمد فى تحديده للغاية من خلق الإنسان على الآية الكريمة الآتية : « **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** » (الإنسان ٢ ، ٣) .

فالغاية من خلق الإنسان بهذا التركيب العجيب من أخلاط مختلفة ، (من الصفات الجسدية والفكرية والنفسية)- ابتلاؤه أى امتحانه واختباره ، لذا كان لابد - لاستكمال شروط الامتحان الأمثل - من تزويده بوسائل المعرفة ، وأهم وسائل المعرفة التى ترتبط بها المسئوليات هى السمع والبصر . كما تدل الآية : « إنا هديناه السبيل » على أن الخالق أودع فى الإنسان الطاقة الإدراكية التى يدرك بها سبيل هدايته ورشاده ، وسبيل ضلاله وفساده ، وأنزل له الشرائع التى تنير له الطريق ، حتى يكون على بيّنة من أمره، ومن مصيره الذى يكتبه لنفسه بمسيرته فى حياته . (٦٠)

وبهذا الشرح يتضح أن الابتلاء هو علة خلق الإنسان من أخلاط مختلفة (أمشاج) ، وليست علة الخلق في حد ذاته .

ويذكر ابن عاشور فى تفسيره لقوله تعالى « **وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون** » ان قصر علة خلق الله الإنس والجن على إرادته أن يعبدوه ، هو قصر قلب باعتبار مفعول « يعبدون » أى إلا ليعبدونى وحدى ، أى لاليشركوا غيرى فى العبادة ، فهو ردّ للاشراك ، وليس هو قصراً حقيقيا ، فإن حكم الله تعالى من أفعاله كثيرة لانحيط بها ، وذكْر بعضها لايقتضى عدم وجود حكم أخرى . فلقد ذكر الله حكما للخلق غير هذه كقوله « **ولايزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** » (هود : ١١٩) (٦١) .

وبهذا نرى أنه مع صحة ما اتفق عليه العلماء المسلمون فى هذا الشأن إلا أن القضية لم تغلق ، وإمكانية الإضافة واردة بمزيد من الدراسة والبحث .

رابعا : صفات الإنسان

تعبير طبيعة الإنسان فى الاستعمال العام يعنى - بصورة رئيسية - صفات الانسان النفسية والأخلاقية ؛ وعندما يستعمل علماء البيولوجيا هذا التعبير فإنهم يعنون بالإضافة لذلك البنية التشريحية والخصائص الوظيفية لجسم الإنسان، الموروثة منها والمكتسبة . وسواء كان تعبير « طبيعة الإنسان » محدودا بمعناه الأول أو بمعناه الثانى ، فلقد دارت حوله - ولاتزال - مناقشات فلسفية وعلمية أخذت فى معظمها طابع الجدل القائم حول «الطبع » أو « التربية » (٦٢) .

ومن النظريات التى بقى أثرها لمدة طويلة ، نظرية أبوقراط وهى أن الإنسان هو نتاج بيئته ، حيث اتبع العديد من الفلاسفة هذه النظرية ، أمثال جون لوك (Jone locke, 1690) الذي اشتهر قوله :

(At birth the mind is a blank tablet, no one is born within nate ideas) فلقد اعتقد أن الوليد مثل الصفحة البيضاء ، وأنه لا أحد يولد بأفكار داخلية ، ولكن كل أفكارنا تأتى نتيجة التجربة (٦٣) . واستمر هذا الاتجاه ، وقوى على يد جون دوى (John Dewey, 1922) الذي قال أن الخير والشر - أو الفضيلة والرذيلة - هى عادات تنمو من خلال تفاعل الكائن الإنسانى مع بيئته الاجتماعية . (٦٤) ثم ظهرت النظرية السلوكية على يد واطسون ومن بعده سكنر وفى الاتجاه المقابل نجد توماس هوبز، وهربرت سبنسر ، والداروينيين الاجتماعيين ، تمسكوا بفكرة أن الطبع - أو الوراثة - يحدد إلى حد كبير خصائص الأشخاص (٦٥) . كما نجد بعض الأفكار الدينية المتمثلة فى قول توماس ريد (Thomas Reid, 1788) « أن الله قد زود الإنسان بوعى (روح) يمده بمعلومات بديهية للتمييز بين الخطأ والصواب، فإذا ما اتبع الإنسان هذا الحس الاخلاقى سيتجنب الصراع بين المصلحة والواجب » (٦٦) .

واستمر الجدل فى تحليل صفات الإنسان ، حتى جاء فرويد ليؤكد على أهمية الأصول الطفلية على شخصية الإنسان ، بينما أكد يونج على الأصول العنصرية للشخصية الخاصة بالجنس البشرى بأسره (٦٧) . ثم ظهرت النظرية الاجتماعية النفسية الجديدة ، ومن أكبر مؤسسيها الفريد أدلر ، وكارين هورنى وارك فروم وهارى سليفان وهم يرون أن المتغيرات الاجتماعية لها دور أكبر من العوامل البيولوجية . إلا أن أحداً منهم لم يتبن موقفا بيئيا متطرفا ، بل إنهم جميعا يعترفون أن هناك شيئا كالطبيعة البشرية يولد به الطفل ، فى الغالب على شكل استعدادات أو إمكانات عامة . فيرى أدلر - على سبيل المثال - أن الكفاح فى سبيل التفوق والكمال فطرى . وجاء بمفهوم «الذات الخلاقة » واعتبرها هى المحرك الرئيس وإكسير الحياة ، والسبب الأول لكل ماهو إنسانى ، وهى تحتل مكانا وسطا بين المنبهات المؤثرة فى الشخص والاستجابات التى يستجيب بها لهذه المنبهات ، واعتبرها المبدأ الإيجابى النشيط للحياة الانسانية ، وهى لاتختلف عن مفهوم الروح القديم . (٦٨)

أما مورفى فيرفض هذه الفكرة الشائعة التى تضع الوراثة فى مقابل البيئة ، ويري أن الانسان ككائن بيولوجي يرتبط مع بيئته المادية والاجتماعية بعلاقة متبادلة ، وشخصيته هى نتاج لعملية ثنائية الأقطاب الأول فى داخل الجسم الثانى فى العالم الخارجي . كما إنه يعتقد ان هناك من الشواهد مايبرر افتراض أن كل الشخصيات الإنسانية قادرة على القيام بالعمليات فوق العادية . ولكن هذه القوة تنزوى عادة بفعل عوامل مختلفة ، مثل الانشغال بالعلم الحسى المباشر ، أو الجو الاجتماعى . (٦٩)

هكذا نرى أن العديد من الفلاسفة وعلماء النفس قد اعترفوا - علنا أو ضمنا - بالدور الهائل الذى تلعبه مايسمونه العمليات البيولوجية القديمة غير الواعية . ومن الطبيعى ان يقفوا عند هذا الحد ، أو إلى حد الاعتراف الصريح بوجود الروح كما

سبق الاشارة إلى ماتوصل إليه بنفيلد . فهم لايستخدمون سوى المنهج الامبريقى الذي يعتمد على « الحس والتجريب كوسائل للمعرفة ، أو المنهج العقلى الجدلى . تاركين ما أوحى به الله عز وجل لرسله وما أنزل عليهم من رسالات.

والله عز و جل فى رسالته الخاتمة ، قد علمنا ما يحل هذا الإشكال الذي استعصى حله على جميع الفلاسفة والعلماء الذين لم يستعينوا بالوحى فلقد قال عز وجل فى محكم كتابه :-

« وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علي أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » (الاعراف : ١٧٢) . ولقد أجمع المفسرون على أن المقصود من الآية هو أن الله سبحانه قد فطر الناس على التوحيد [٧٠] . كما فى قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون .» (الروم : ٣٠) وكما ورد فى عدة احاديث منها : عن الرسول ﷺ أنه قال : « يقول الله إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم. » [٧١] فهذه الفطرة هى العنصر المشترك الدفين - غير الواعى - لدى جميع الناس منذ أقدم العصور . وهى التى لم يصل إلى معرفتها العلماء ، وفى نفس الوقت لم يقدروا على إنكارها ، فسماها يونج بالأصول العنصرية للجنس البشرى ، أوا عمليات بيولوجية قديمة . وعندما لاحظ أثارها أدلر ، قال بالذات الخلاقة . ولقد أخفقوا بلاشك فى فهم المحتوى الصحيح للفطرة وهو - كما يقول ابن عاشور - ان الله خلق فى الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوحدانية ، وجعل فى فطرة حركة تفكير الإنسان التطلع إلي إدراك ذلك ، وتحصيل ادراكه اذا جرد نفسه من العوارض التى تدخل على فطرته فتفسدها. كما فى قول الرسول ﷺ : « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها » [٧٢] . وهكذا يتضح أيضا دور البيئة فى إفساد الفطرة السليمة ، والانحراف بها إلى شتى السبل . فالوليد اذاً لايولد كالصفحة البيضاء تماما كما زعم أصحاب الاتجاه الأول . والخير والشر ليسا عادات تكتسب كما قال ديوى ، ولكن الله سبحانه يعلمنا أنه قد ألهم النفس - أى عرفّها - عند تسويتها - فى المرحلة السابقة لاتصالها بالبدن - الفجور والتقوى أى المعصية والطاعة مطلقا . وذلك فى قوله تعالى : « ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها » (الشمس : ٧ - ٨) والمعنى كما يقول الطبرى : فبين الله لها(للنفس) ماينبغى لها أن تأتى وتذر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية[٧٣] كما قال عز وجل فى آية أخرى : « وهديناه النجدين » واتفقت التفاسير على معنى النجدين أنه طريق الخير والشر . وبهذا يمكن اعتبار خاصية التمييز بين

الخير والشر فطرية لدى الإنسان ، بمعنى أن وجودها فى نفس الإنسان كان قبل أن تتصل بالبدن أى قبل ان يستكمل تكوينه كإنسان من نفس وبدن . وهذا يتفق مع ماجاءت به الاديان السماوية الصحيحة ، كما يظهر فى قول ريد سابق الذكر. وإذا كان العلم الحديث لم يغفل دور الوراثة فى تكوين شخصية الإنسان . إلا أنه من الواضح أن الوراثة يختلف معناها عن معنى الفطرة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

نخلص مما سبق أن صفات الإنسان الفطرية هى :-

١ - إدراك وحدانية الله عز وجل .

٢ - التمييز بين الخير والشر .

ولكن هل هذه فقط الصفات الفطرية كما جاءت فى القرآن الكريم ؟ وما موقع الصفات الأخرى التى وصف الله بها الانسان ، فى مثل قوله : « إن الإنسان خلق هلوعا » وقوله : « خلق الإنسان من عجل » . قد يُظن أنها فطرية بالمعنى المشار إليه سابقا ، ولكنها غير ذلك . يذكر الرازى فى تفسيره قول القاضى فى هذا الشأن : «ليس المراد أن الإنسان مخلوق على هذا الوصف والدليل عليه أن الله تعالى ذمه عليه ، والله تعالى لايذم فعله ، ولأنه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم فى ترك هذه الخصلة المذمومة ، ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها . » [٧٤] وعلى هذا الأساس فانه ليس من المقبول اعتبار هذه الصفات فطرية ، مع أنه ليس من شك فى أنها من طبيعة الإنسان ، وهى حاصلة له نتيجة لطبيعة تكوينه من (نفس وبدن) ، ولكنه ليس مجبراً على السير وفقاً لها .

ويندرج تحت هذا النوع من الصفات الذى يمكن تسميته بالصفات التكوينية ، العديد من الصفات ، وهى ماسُمى - بعض منها - فى علم النفس الحديث بالغرائز أو الدوافع . ولقد تناولها - من الوجهة الاسلامية - فريق من الكتاب الإسلاميين الذي يمثل - كما فى تصنيف أبوحطب - [٧٥] الاتجاه نحو بناء علم نفس قرآنى . ومعظم هؤلاء الكتاب قسموا الدوافع إلى قسمين مادية ، وروحية . وذلك انطلاقا من الإيمان بأن الإنسان مكون من جسد (مادته التراب) وروح ذات أصل إلهى، كما فى قوله سبحانه : « الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين.» « **ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**» (السجدة : ٧ ، ٩) فالدوافع المادية أو الفسيولوجية تمثل الجانب المادى الترابى (الجسم) ومايتعبها من دوافع فرعية تساعد فى تحقيق البقاء على الحياة ، مثل دافع التملك ، والعدوان . أما الدوافع التى تمثل الجانب الروحى ، فمنها الدافع إلى التدين ، والدوافع الأخلاقية . ثم وصفوا العلاقة بين الجانب المادى والجانب الروحى فى الإنسان بالصراع والتضارب

المستمرين نظرا لاختلاف طبيعة كل منها . وأوضحوا أن الإسلام حدد العلاقة المثلى بينهما فى عملية التوازن والاعتدال ، واتخاذ الجانب الوسط دون تطرف.

ومنهم من تنبه إلى عملية التفاعل بينهما فحاول أن يأخذها فى اعتباره أمثال محمد الأمين ، ومقداد يالجن [٧٦] . فقسم الاخير الدوافع إلى ثلاثة أقسام : الأدبى والاخلاقى، ثم دافع الاستطلاع والمعرفة . والقسم الثانى منها يرجع إلى الطبيعة المادية للإنسان ، مثل : دافع التغذى ، والتناسل ، والحماية . أما القسم الثالث فيرجعه إلى خاصية الامتزاج بين الجانبين (الروحى والمادى) وهى ثلاثة أنواع :

١ - صفات إنسانية شيطانية

٢ - صفات إنسانية ملائكية .

٣ - صفات إنسانية خاصة يتميز بها الإنسان عن باقى الكائنات.

ويلاحظ على هؤلاء الكتاب ، إنهم نسبوا الدوافع الخيّرة والأخلاقية الفاضلة إلى الأساس الروحى فى الإنسان ، ونسبوا الدوافع المادية التى يتفق فيها الإنسان مع الحيوان إلى الأساس المادى أو الجسمى فى الإنسان . فهل هذا يعنى أن الروح لايصدر عنها إلا كل خير ؟ لانها من أصل إلهى ؟ وانها غير قابلة للتأثر بالجوانب الاخرى حتى تظل دائما طيبة خيرة ؟ وعليه فإن الصراع لن يهدأ أبداً بينها وبين الجسم؟ إذا كان هذا المقصود ، فانه يكون - فى أغلب الظن - نتيجة لوقوعهم فى الخطأ الذى نبه إليه جعفر إدريس وهو الفهم الخاطئ لروحية الإنسان والاعتقاد بأنها عنصر إلهى حل فى الإنسان . فقال الله عزوجل : « من روحى » لايعنى أن شيئا من ذاته تعالى خرج فحل فى الإنسان ؛ فإضافة الروح إلى الله تعالى ليست إضافة بعض إلي كل كما في قولنا (يد الله) وإنما هي إضافة مملوك إلى مالكه كما فى قولنا : أرض الله وسماؤه . [٧٧]

ويتتبع الآيات القرآنية التى وصف الله سبحانه - فيها الانسان ، وبدون محاولة لتصنيفها حسب تصنيف علم النفس للدوافع والانفعالات - وهذا ما قام به محمد نجاتى بنجاح [٧٨] - سوف أعرض هذه الصفات والتى سبق أن سميتها : صفات تكوينية لتمييزها عن الصفات الفطرية ، بشئ من الاختصار لبعضها ، ومن التفصيل لبعضها الآخر ، حسب ما أظن فيه فائدة عملية للأخصائى الاجتماعى وذلك على النحو التالى :-

١ - حب الشهوات ، وإيثار الحياة الدنيا :

- حب الشهوات :

قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » (آل عمران : ١٤) .

أجمع المفسرون على أن فاعل التزيين هو الله عز وجل ، وليس الشيطان كما قال البعض ، فالله تعالى كما رغب فى منافع الآخرة ، فقد خلق ملاذ الدنيا وأباحها لعبيده، وإباحتها للعبيد تزيين لها بمعنى جعلها مرغوبة للناس ولقد عدد تعالى من المشتهيات أمورا سبعة : أولها النساء وثانيها : حب الولد ، ولله تعالى حكمة بالغة فى ايجاد حب الزوجة والولد فى قلب الإنسان . فانه لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل (٧٩) .

وكما يقول ابن كثير فان حب النساء والأولاد إذا كان مقصودا منه الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما ورد فى الأحاديث الصحيحة . أما إذا كان للتفاخر والزينة فإنه مذموم . كذلك حب المال من الذهب والفضة (وهو ثالث ورابع المشتهيات المذكورة فى الآية الكريمة) إذا كان للفخر والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهو مذموم . وإذا كان للنفقة فى القرابات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات فهو ممدوح محمود شرعاً . وخامس المشتهيات هو حب الخيل وهى إذا ربطها صاحبها للفخر فهى وزر عليه ، أما إذا قصد أن يجعلها معدّة لسبيل الله والخدمة فى أغراض حياته المشروعة فهو يثاب عليها وكذلك سادس وسابع المشتهيات وهى (الأنعام) والمقصود بها الإبل والبقر والغنم ، (والحرث) وهى الأرض المتخذة للزراعة . (وكل ذلك قد يمثل المال فى الوقت الحاضر) . ثم قال تعالى (ذلك متاع الحياة الدنيا) أى إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة .

(والله عنده حسن المآب) أي حسن المرجع والثواب . (٨٠)

ولقد قال عمر بن الخطاب لما نزلت هذه الآية : « اللهم انا لانستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا ، اللهم إنى أسألك أن أنفقه فى حقه » (٨١) .

- **ايثار الحياة الدنيا** : وهو لاشك مرتبط بحب الشهوات التى وصفها تعالى بأنها متاع الحياة الدنيا ،وقال عز وجل فى سورة الأعلى : « **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقي** » ويقول الطبرى فى تفسيره : بل تؤثرون ايها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة ، وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وابقى ، لإن الحياة الدنيا فانية والآخرة باقية لاتنفد ولاتفنى . (٨٢) وعن ابن مسعود انه قال : « إن الدنيا أحضرت ، وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها ومهجتها ، وإن الآخرة لغيب لنا وزويت عنا ؛ فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل . » (٨٣)

وهناك العديد من الأحاديث النبوية التى تشير إلى حب الإنسان للمال وللدنيا ، منها قوله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ، ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » (٨٤).

كما أوضح ﷺ خاصيتين ملازمتين للإنسان حتى فى كبره هما حب المال وحب الدنيا، حيث قال صلوات الله عليه : « يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان : حب المال ، وطول العمر » (٨٥).

كما أن هناك العديد من الآيات والأحاديث التى تحذرنا من فتنة النساء ، والمال والأولاد ، منها (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) (ألهاكم التكاثر) وآيات وأحاديث أخرى جاءت فى ذم الدنيا والترغيب فى الآخرة .

٢ - الهلع والجزع والبخل :-

قال عز وجل : « إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا إلا المصلّين الذي هم علي صلاتهم دائمون » (المعارج ١٩ - ٢٣) يرى الطبرى أن المولى يقول : إن الإنسان « الكافر » خلق هلوعا ، والهلع شدة الجزع مع شدة الحرص والضجر . (٨٦) والإنسان الهلوع هو كما فسّرته الآيه إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل ومنعه الناس . وبينما خص الطبرى « الكافر » في هذه الآية ، نجد الرازى يشير إلي بعض المفسرين الذى أخذوا بالمعنى على عمومه ، ودليلهم أن الله سبحانه استثنى المصلّين (٨٧) . وكذلك ابن كثير يقول إن الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم . إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه . وهم المصلّون . (٨٨)

كما ورد فى الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : « شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع » (٨٩) وهذا يؤكد عمومية المعنى المقصود من كلمة الإنسان فى الآية السابقة . وفى حديث آخر : « أتى النبى صلى الله عليه وسلم مال ، فأعطى قوما ومنع آخرين فبلغه أنهم عتبوا ، فقال إنى أعطى الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب اليّ من الذي أعطى ، أعطى أقواما لما فى قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب ، فقال عمرو : ما أحب ان لى بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم » . ويقول ابن حجر فى شرح الحديث ان الصفات المذكورة بخلق الله تعالى فى الانسان. لا أن الإنسان يخلقها بفعله، وفيه أن الرزق فى الدنيا ليس على قدر درجة المرزوق فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فانما تقع العطية والمنع بحسب السياسة الدنيوية ، فكان عليه الصلاة والسلام يعطى من يخشى عليه الجزع والهلع لو منع ، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة (٩٠) . وهذا مبدأ يفيد فى وضع قواعد سياسة الرعاية الاجتماعية ، ومنح المساعدات المادية على وجه الخصوص . وفى الحديث أيضا ما يشير إلى أن البشر جبلوا على حب العطاء وبغض المنع والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة فى

عاقبته إلا من شاء الله . وهذا ينبهنا إلى اختيار الأساليب المناسبة عند منع المساعدة لبعض الناس .

وفى البخل والإمساك قال تعالى : « **قل لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق . وكان الإنسان قتورا** » (الاسراء : ١٠٠) يقول الطبرى فى تفسيره : قل يامحمد لهؤلاء المشركين لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربى من الأموال – وعنى بالرحمة فى هذا الموضع المال – إذاً لأمسكتم أى لبخلتم فلم تجودوا بها على غيركم خشية الفاقة (الفقر) وكان الإنسان بخيلا ممسكا [٩١] وفى آية أخرى قال تعالى « **أم لهم نصيب من الملك فإذا لايؤتون الناس نقيرا** » (النساء : ٥٣) .

٣ – العَجَلْ :

قال تعالى : « **خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون** » (الانبياء : ٣٧) يقول الطبرى فى تفسيره : خلق الإنسان من عجل ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ، سأريكم أياتى فلاتستعجلون أيها المستعجلون ربهم بالآيات [٩٢] وفى آيه أخرى : « **ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير . وكان الإنسان عجولا** » (الإسراء : ١١) ويقول الطبرى في تفسيره : إن الإنسان يدعو على نفسه وولده وماله بالشر فيقول اللهم أهلكه وألعنه عند ضجره أو غضبه ، كدعائه بالخير أى كدعائه ربه بأن يهب له العافية ويرزقه السلامة فى نفسه وماله وولده ، فلو أستجيب له فى دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له فى الخير هلك ، ولكن الله بفضله لايستجيب له فى ذلك . وكان الإنسان عجولا بالدعاء على مايكره أن يستجاب له فيه [٩٣] كما ورد أيضا فى حديث آخر لرسول الله صلى الله علي وسلم أنه قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَلْ ، فيقول قد دعوت ربى فلم يستجب لى » [٩٤] .

يتضح مما سبق أن الاستعجال بالشر مذموم ، والعجلة بصفة عامة من صفات الإنسان ، إلا أن الاستعجال بالخير مطلوب ،حيث نجد العديد من الأحاديث التى تفيد بذلك ، فالاستعجال بالصلاة فى أوقاتها ، والصدقة ، والحج ، والرجوع إلى الأهل بعد السفر ، والتعجل بدفن الميت ، والتعجيل بإعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ؛ كل ذلك مستحب ومطلوب [٩٥] .

٤ – الضعف :

قال تعالى : « **يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** » (النساء : ٢٨) يقول الطبرى فى تفسيره : يعنى جل ثناؤه بقوله يريد أن يخفف عنكم ، يريد الله أن ييسر عليكم بإذنه لكم في نكاح الفتيات المؤمنات اذا لم تستطيعوا طولا لحرة (وخلق الإنسان ضعيفا) يقول يسر ذلك عليكم إذا كنتم غير مستطيعى الطول للحرائر لأنكم

خلقتم ضعفاء عجزة عن ترك جماع النساء ، قليلى الصبر عنه ، فأذن لكم فى نكاح فتياتكم المؤمنات عند خوفكم العنت على أنفسكم ولم تجدوا طولا لحرة ، لئلا تزنوا .(٩٦)

هذا وفى آية أخرى قال عز وجل : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . وان يكن منكم ألف يغلبون ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » (الأنفال : ٦٦) ولقد قال تعالى فى الآية السابقة لهذه : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » فلقد كان هذا الأمر مشروطا بكون العشرين قادرين على الصبر فى مقابلة المائتين. وقوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا يدل على أن ذلك الشرط غير حاصل فى حق هؤلاء ، وأنه تعالى علم ان فيهم ضعفاء لايقدرون على ذلك فقد تخلصوا عن ذلك الخوف ، فصح أن يقال خفف الله عنكم (٩٧) وهذا فيه دلالة واضحة على مدى مايمنحه الصبر لصاحبه من قوة وعزيمة وشجاعة .

٥ – الظلم والجهل :

قال تعالى : «إنا عرضنا الأمانة علي السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولاً» (الأحزاب : ٧٢) يقول الطبرى فى تفسيره : عن قتاده أنه قال : ظلوما جهولا : ظلوما للأمانة جهولا عن حقها . (٩٨) وقيل أن المراد الإنسان يظلم بالعصيان ويجهل ماعليه من العقاب . وقيل ظلوما جهولا أى من شأنه الظلم والجهل ، فلما أودع الأمانة بقى بعضهم على ما كان عليه وبعضهم ترك الظلم «الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » . وترك الجهل « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » (٩٩) أى أن الإنسان إن لم يعمل جاهداً على ترك الظلم – بطاعة الله – وترك الجهل باتخاذه طريقاً إلى العلم ، فإنه سيظل على ما اتصف به من ظلم وجهل.

٦ – الكفر والجحد بالنعمة :

هناك عدة آيات تشير إلى اتصاف الإنسان بكفر النعمة التى ينعمها الله تعالى عليه. من هذه الآيات : « وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الانسان لظلوم كفار » (إبراهيم : ٣٤) وقوله تعالى : « وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور » (الشورى : ٤٨) وفسرالطبرى هذه الآية بقوله : فانا إذا أغنينا ابن آدم فاعطيناه من عندنا سعة ، وهى الرحمة التى ذكرها جل ثناؤه ، فرح بهاأي سرّ بما أعطيناه من الغنى ورزقناه من السعة وكثرة المال ، وان تصبهم سيئة أي وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش بما قدمت أيديهم أى بما أسلفت من معصية الله ، عقوبة له على معصيته إياه ، جحد نعمة الله وأيس من الخير فإن الإنسان كفور ، أى جحود نعم ربه يعدد المصائب ويجحد النعم (١٠٠) كما يقول تعالى فى سورة هود : « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور . ولئن أذقناه نعماء بعد

ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور » والحالة فى الآية الأولى هى نفسها الحالة التى تم شرحها من سورة الشورى . أما الحالة الثانية فيقول تعالى ذكره – كما ورد فى تفسير الطبرى – ولئن نحن بسطنا للإنسان فى دنياه ورزقناه رخاء فى عيشه ووسعنا عليه فى رزقه ، وذلك بعد ضراء مسته أى بعد ضيق من العيش وعسره ليقولن ذهب الضيق عنى وزالت الشدائد ، إنه لفخور أى إن الإنسان لفرح بالنعم ذو فخر بما نال من السعة فى الدنيا وينسى صروفها ونكد العوارض فيها ، (١٠١) وجاء فى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « أريت النار ، فإذا أكثر أهلها الفساد يكفرن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان . لو أحسنت إلى احداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيراً قط » ويذكر ابن حجر فى شرحه أن الطاعات كما تسمى إيمانا كذلك المعاصى تسمى كفرا ، لكن حيث يطلق عليها الكفر لايراد الكفر المخرج من الملة » (١٠٢) .

وماسبق شرحه يفيد الأخصائى الاجتماعى فى تفسير سلوك عملائه عند وقوعهم فى المشكلات التى تتمثل – فى كثير من الأحيان – فى جحدهم للنعم عند حرمانهم من نعمة كان الله قد أنعمها عليهم ، أو فى طغيانهم على غيرهم عند إنعام الله عليهم بعد ضيق .

٧ – الجـــدل :

قال تعالى : « ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا » (الكهف : ٥٤) يقول الطبرى فى تفسيره : وكان الإنسان أكثر شيئ مراء وخصومة لاينيب لحق ولاينزجر لموعظة (١٠٣) كما جاء فى الحديث أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لهم : ألا تصلون ؟ فقال علىّ فقلت : يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال له ذلك ولم يرجع اليه شيئا . ثم سمعه وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول : « وكان الإنسان أكثر شئ جدلا » (١٠٤) والجدال : هو الخصام ، ومنه قبيح وحسن وأحسن ، فما كان للفرائض فهو أحسن ، وما كان للمستحبات فهو حسن ، وما كان لغير ذلك فهو قبيح ، ويستفاد من الحديث أن الإنسان طبع على الدفاع عن نفسه بالقول والفعل ، وأنه ينبغى له أن يجاهد نفسه بأن يقبل النصيحة ولو كانت فى غير واجب . كما يستفاد من الحديث أيضا مشروعية التذكير للغافل خصوصا القريب والصاحب ، لأن الغفلة من طبع البشر ، فينبغى على المرء أن يتفقد نفسه ومن يحبه بتذكير الخير والعون عليه . وفيه كذلك ان الاعتراض بأثر الحكمة لايناسبه الجواب بأثر القدرة . حيث حرض النبى ﷺ علىّ وفاطمة باعتبار الكسب والقدرة الكاسبة ، وأجاب علىّ باعتبار القضاء والقدر.

٨ - المكابدة :

قال تعالى : « لقد خلقنا الإنسان في كبد » (البلد : ٤) ويرجح الطبرى - بعد تعديده للأقوال الكثيرة التى جاءت فى معنى هذه الآية - قول من قال معنى ذلك انه اى الإنسان - خلق يكابد الامور ويعالجها ، فقوله فى كبد معناه فى شدة [(١٠٥)] كما يقول الرازى أن قوله « فى كبد » يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف . وهذا يدعم القول الذى أخذ به من أنه ليس فى الدنيا إلا الكد والمحنة كما أخذ بالمعنى الذى يشمل الشدة فى كل الأمور ، منذ أن خلق الإنسان حتى « موته » فالمراد بالشدائد : (١) شدائد الدنيا (تارة فى بطن الأم ، ثم زمان الأرضاع ، ثم إذا بلغ ففى الكد فى تحصيل المعاش) (٢) شدائد التكاليف (يكابد الشكر على السراء ، والصبر على الضراء ، ويكابد المحن فى أداء العبادات) (٣) شدائد الآخرة (الموت ومساءلة الملك وظلمة القبر ، ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به القرار إما فى الجنة وإما فى النار) [(١٠٦)] .

٩ - الإنسان خطاء :

عن النبى ﷺ أنه قال : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » [(١٠٧)] .

وهذا يدل على أن الانسان من طبعه الخطأ ، إلا أنه يجب أن يتوب والله يفرح بتوبة عبده ، أما إذا استمر فى ارتكاب الخطأ مع علم به ، فهذا هو المذموم ، وهذا هو الفرق بين الإنسان الذى يسعى إلى رضا ربه ، وبين الإنسان الذى يصر على المعصية، ولقد كان الرسول ﷺ يستغفر الله فى اليوم مائة مرة [(١٠٨)] مما يدل على أهمية الاستغفار للفرد العادى ، وضرورته للفرد المذنب فالاستغفار والتوبة يمكن إذاً استخدامهما كأسلوب وقائى وإنشائى للإنسان فى حالة السواء ، وكأسلوب علاجى للإنسان فى حالة الانحراف . تلك هى معظم الصفات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم والسنة المطهرة عن الإنسان ، وهى كما يلاحظ من الصفات المذمومة. فهل بهذه الصفات بالإضافة إلى الصفات الفطرية نكون قد استوفينا الإشارة إلى جميع صفات الإنسان ؟ الجواب بالنفى القاطع . فإذا كانت هناك صفات فطرية، وهى التى أوجدها الله فى نفس الإنسان وروحه قبل اتصالها بالبدن ، وصفات تكوينية نشأت نتيجة اتصال الروح بالبدن فهناك صفات إرادية يكتسبها الإنسان نتيجة سعيه إلى تحصيلها باختياره . ويتضح ذلك فى الآيات التى ورد فيها استثناء فئة من الناس وصفهم الله بأنهم من المؤمنين ، الخاشعين ، المصلين ، إلى غيرها من الصفات التى تدل على إرادتهم واختيارهم بأن يكونوا على تلك الصفات . لذلك سميتها صفات إرادية ، وهنا العديد من الآيات التى تشير إلى وجود تلك الصفات ، كما تدل فى ذات الوقت على السنن الإلهية الخاصة بالإنسان .

احتوت الدراسة على أربعة أبعاد هى : ماهية الإنسان ، والإرادة الإنسانية ، والغاية من خلق الإنسان ، والصفات الإنسانية . ولقد خلصت فى البعد الأول إلى الأخذ بالمفهوم « الخاص » للإنسان كما ذكره الأصفهانى حيث قال أن الإنسان هو : « من عرف الحق فاعتقده ، والخير فعمله بحسب وسعه » ، فبهذا المعنى وحده تتحقق «إنسانيه» الإنسان . وبتحليل هذا التعريف نصل إلى خلاصة ماتوصلت إليه الأبعاد الأخرى للدراسة . فمعرفة الحق والخير - كما ورد فى البعد الرابع - هى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، أى إدراك وحدانية الله عز وجل ، والتمييز بين الخير والشر ، هى من الصفات الفطرية لدى الإنسان .

والخدمة الاجتماعية من المنظور الإسلامى عندما تأخذ بالتعريف السابق للإنسان ، تُدرك أنه يصف الإنسان فى أفضل حالة يمكن أن يكون عليها ، وهى الحالة النموذجية التى تسعى المهنة لمساعدة الإنسان للوصول إليها ، من خلال عمليات المعرفة بالله وبآياته ، وعمليات التزكية ؛ ذلك أن معظم المشكلات التى يقع فيها الإنسان ترجع إما لجهله ووجود بعض الشبهات لديه ، أو لضعفه واستيلاء الشهوات عليه .

وبنظرة شاملة إلى ماجاء بالدراسة من مفاهيم استقرئت من المصادر الإسلامية ، نجد أنه يمكن تلخيصها فى مفهومين هما : العبادة ، والاستعانة . فإذا نظرنا إلى الإنسان من خلال هذين المفهومين المعجزين والواردين فى خاتمة الكتاب « إياك نعبد وإياك نستعين » ، أمكننا الأخذ بتقسيم ابن تيميه للناس [١٠٩] .

حيث قسمهم باعتبار العبادة والاستعانة إلى أربعة أقسام هى :-

١ - قسم أعرض عن عبادة الله والاستعانة به .

٢ - قسم يشهد بربوبية الحق ، وافتقارهم إليه ويستعينون به لكن على أهوائهم وأذواقهم ، غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته . فيفعلون المعصية ظانين أنها طاعة أو يحتجون بالقدر .

٣ - قسم ينظر إلى جانب الأمر والنهى والطاعة شاهدين لإلهية الرب سبحانه الذى أمروا أن يعبدوه ، ولاينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة ، لأنهم يغلب عليهم الضعف والعجز ، لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه هى التى تقوى العبد وتيسر عليه الأمور .

٤ - قسم جمع بين العبادة والاستعانة فحققوا « إياك نعبد وإياك نستعين » ، فاستعانوا به على طاعته ، وشهدوا أنه إلههم الذى لايجوز أن يعبد إلا إياه ، وأطاعوا رسوله . وهذا هو القسم المحمود .

ويشير هذا بوضوح إلى أن ممارسة الخدمة الاجتماعية لايمكن أن تكون لها فاعليتها سواء فى مساعدة الأفراد على مواجهة مشكلاتهم ، أو تنمية شخصياتهم ، أو فى إصلاح النظم الاجتماعية مالم تلتفت إلى هذه الأبعاد الروحية المتعلقة بنوعية صلة الإنسان بالله ربه وخالقه . وان أى محاولة للاجتزاء والتوقف عند الأبعاد المؤثرة الأخرى (المادية والنفسية والاجتماعية مثلا) دون غيرها من الأبعاد الفعالة فى تشكيل السلوك ، إنما هو أمر يتنافى مع النزاهة العلمية ، ولايمكن أن يؤدى إلى تحقيق نتائج ذات قيمة. وهذا ماطالبت به فيسنتيا جوزيف (M. Vicentia Joseph) وبقوة بعد أن اتضح من بحثها الميدانى اهتمام الأخصائيين الاجتماعيين بالجوانب الدينية والروحية لعملائهم وضرورة تركيزهم عليها [١١٠] .

المراجع

١ - جعفر شيخ إدريس ، « التصور الإسلامي للإنسان أساس لفلسفة الإسلام التربوية » ، المسلم المعاصر ، العدد ١٢ ، ١٣٩٧هـ ، ص ١٦.

2 - Robert L. Barker, The Social Work Dictionary, Maryland : National Association of Social Workers, 1987, p. 154.

٣ - ألكسيس كاريل ، الإنسان ذلك المجهول ، تعريب شفيق أسعد فريد ، بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٨٦م ، ص ١٧.

٤ - ك.غ يونغ ، علم النفس التحليلي ، ترجمة نهاد خياطة ، ط١ ، دمشق : دار الحوار ، ١٩٨٥م ، ص ٢١٤ .

5 - Elizabeth L. Salomon, Humanistic Values and Social Case Work," Social Casework, January, 1967, P.27.

٦ - Ibid .

٧ إبراهيم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ، مصر : دار المعارف ، ١٩٧٦، جـ١ ، ص ١٢٦.

٨ - عبدالرحمن شاه ولى ، الكندي ، وآراؤه الفلسفية ، إسلام أباد : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص ٣٧١.

٩ - عبدالعزيز القوصى ، علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ص ٢٢ -٢٣.

١٠ - ك.غ. يونغ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٥ .

١١ - عبدالعزيز القوصى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦ .

١٢ - روبرت م . أغروس وجورج ن . ستانسيو ، العلم في منظوره الجديد ، ترجمة كمال خلايلى ، الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٨٩م ، ص ٢٦.

١٣ - فؤاد أبوحطب ، نحو وجهة نظر إسلامية لعلم النفس ، ندوة علم النفس التي نظمها المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٨٩ ، ص ص ٤٦ - ٥٨ .

١٤ - أبوالقاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهانى ، الذريعة إلي مكارم الشريعة ، تحقيق أبواليزيد العجمى ، ط٢ ، المنصورة : دار الوفاء ، ١٩٨٧م ، ص ٧٥ .

١٥ - أحمد بن تيمية ، **مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ، ٣٦ ج ، ط١، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى وابنه محمد ، الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨١هـ ، جـ٩ ، ص ص ٢٧٢ ، ٢٨٩.

١٦ - أبوالفداء إسماعيل بن كثير القرشى ، **تفسير ابن كثير** ، ٤ جـ ، ط١ ، بيروت : دار الفكر ، جـ٣ ، ص ٦٢ .

١٧ - محمد الرازى فخر الدين ، **تفسير الفخر الرازي** ، ١٦ م ، ط٣ ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٥م ، ١١ ، ص ص ٣٧ - ٥٣ .

١٨ - محمد رشاد خليل ، **علم النفس الإسلامي العام والتربوي** ، الكويت : دار القلم ، ١٩٨٧م ، ص ص ٦٥ - ٦٦ .

١٩ - ابن قيم الجوزية ، **الروح** ، تحقيق محمد اسكندر يلدا ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢م ، ص ٢٤٢ .

٢٠ - محمد رشاد خليل ، مرجع سبق ذكره ، ص ٦٧

٢١ - عباس محمود العقاد ، **الإنسان في القرآن الكريم** ، بيروت : المكتبة العصرية ، بدون تاريخ ، ص ٣٢ .

٢٢ - أخرجه الإمام أحمد بن حنبل (٤ ، ٣٩٨) .

٢٣ - أبوحامد محمد بن محمد الغزالى ، **إحياء علوم الدين** ، ٤ جـ ، دمشق : مكتبة عبدالوكيل الدروبى ، بدون تاريخ ، جـ٣ ، ص ٥.

٢٤ - عبدالكريم العثمان ، **الدراسات النفسية عند المسلمين** ، ط٢ ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، ص ١٤٣ .

٢٥ - أبو حامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، جـ٣ ، ص٤ .

٢٦ - ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، م٩ ، ص ص ٢٨٦ ، ٣٠٣ .

٢٧ - ك. يونغ ، مرحع سبق ذكره ، ص ٢٢٥ .

٢٨ - أبوحامد محمد بن محمد الغزالى ، **معارج القدس في مدارج معرفة النفس** ، ط٥ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ص ١٦ - ١٧ .

٢٩ - أبوحامد محمد بن محمد الغزالى ، **المنقذ من الضلال** ، تقديم عبدالحليم محمود، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ ، ص ١٥٣ .

٣٠ - ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، جـ٩ ، ص ص ٣٠٧ - ٣١٢ .

٣١ – ابـن رجب الحنبلى ، ابن القيم ، أبوحـامـد الغـزالى ، تزكية النفوس وتربيتها ، تحقيق ماجد بن أبى الليل ، جمع وترتيب أحمد فريد ، بيروت : دار القلم ، بدون تاريخ ، ص ٦٩ .

٣٢ – أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٣٠ جـ ، بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٩هـ ، جـ٣٠ ، ص ١٣٤ .

٣٣ – محمد الرازى فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، جـ٣٠ ، ص ٢٣٨.

٣٤ – أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ، صحيح البخاري ، ٤م ، بيـروت : دارالفكر ، بدون تاريخ ، م٤ ، جـ٨ ، كتاب الاعتصام ، ص١٣٩.

٣٥ – أبوالحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، ٤م ، ط٢ ، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، م٤، كتاب القدر ، ص ٢٠٣٩.

٣٦ – أخرجه الامام أحمد بن حنبل (٢ ، ٢٥٦) .

٣٧ – ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، م٨ ، ص ص ٦٥ – ٧٣ .

٣٨ – المرجع السابق ، ص ٧١ .

٣٩– أبوالحسين مسلم ، مرجع سبق ذكره ، م٤ ، كتاب البر ، ص ١٩٩٥ .

40 - Duane Schultz, Theories of Personality, Secand ed., Monterey, California : Brooks/cole, 1981, P. 46.

41 - Ibid, P. 285.

٤٢ – فاروق عبدالفتاح موسى ، أسس السلوك الإنساني ، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٥ .

٤٣ – روبرت أغروس وجورج ستانسيو ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

٤٤ – المرجع السابق ، ص ٤١ .

٤٥ – ك. يونغ ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٧٤ .

46 - Bnard J. Coughlin, op., cit. p. 84 .

٤٧ – إريك فروم ، الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد زهران ، الكويت : عالم المعرفة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ص ٢١ – ٢٣.

48 - Duane Schultz, op. cit., P. 47.

٤٩ – ك. هول ، جـ ، لندزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٥.

٥٠ – المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

51 - Duane Schultz, op. cit., P. 237.

٥٢ – ك. هول ، جـ . لندزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩٢ .

53 - Abraham H. Maslow, Motivation and personality' New York: Harper & Row, Third ed., 1987. P.7.

٥٤ – اريك فروم ، الدين والتحليل النفسي ، ترجمة فؤاد كامل ، القاهرة : مكتبة غريب ، بدون تاريخ ، ص ٢٨ .

٥٥ – اريك فروم ، الإنسان بين الجوهر والمظهر ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٧ .

٥٦ – محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ١٥م ، تونس : الدار التونسية ، ١٩٨٤م ، جـ٢٧، ص ٢٥ .

٥٧ – الراغب الأصفهاني ، الذريعة إلى مكارم الشرعية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٠ .

٥٨ – المرجع السابق ، ص ص ٩٠ – ٩٥ .

٥٩ – ابن عاشور ، مرجع سبق ذكره ، جـ ١٨ ، ص ١٣٤ .

٦٠ – عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني ، الأخلاق الإسلامية ، ٢م ، ط٢ ، دمشق : دار القلم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، م١ ، ص ص ٣٤٢ – ٣٤٣ .

٦١ – ابن عاشور ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢٧ ، ص ص ٢٦ ، ٢٧ .

٦٢ – رينيه دوبو ، إنسانية الإنسان ، تعريب نبيل صبحى الطويل ، ط١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ،ص ١٣٠ .

63 - John Locke, " An Essay Concerning Human Understanding", World Philosophy Edited by Frank N. Magilland Staff, lA N P. Mc Greal, 1969, P. 428.

64 - John Dewey, "Human Nature and Conduct," Ibid, P. 835.

٦٥ – رينيه دوبو ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣١ .

66 - Tomas Reid, " Essays on the Intellectual Powers of Man," World Philosophy, op., cit. P. 538.

٦٧ – ك. هول ، جـ. لندزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٩.

٦٨ – المرجع السابق ، ص ص ١٦٥ – ١٧٠.

٦٩ – المرجع السابق ، ص ٦٥٧ .

٧٠ – الطبرى ، والرازى ، وابن كثير ، والقرطبى .

٧١ – صحيح مسلم ، مرجع سبق ذكره ، م٤ ، كتاب الجنة ، ص ٢١٩٧.

٧٢ – صحيح البحارى ، صحيح مسلم ، كتاب القدر .

٧٣ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ٣٠ – ص ١٣٤ .

٧٤ – محمد الرازى فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢٩ ، ص ١٢٨ .

٧٥ – فؤاد أبوحطب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٠ .

٧٦ – محمد تقى الأمين ، **بين الإنسان الطبيعي والإنسان الصناعي** ، ترجمة مقتدى حسن ياسين، مراجعة عبدالحليم عويس ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٨٢ .
يوسف مصطفى القاضى ومقداد يالجن ، **علم النفس التربوي في الإسلام** ، الرياض : دار المريخ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

٧٧ – جعفر شيخ إدريس ، مرجع سابق ذكره ؛ ص ص ٧٩ – ٨٠ .

٧٨ – محمد عثمان نجاتى فى كتابيه : القرآن وعلم النفس ، والحديث الشريف وعلم النفس . القاهرة ، بيروت : دار الشروق : ١٩٨٩م .

٧٩ – محمد الرازى فخر الدين : مرجع سبق ذكره ، م٤ ، ص ص ٢١٠ ، ٩٦٧ .

٨٠ – ابن كثير ، مرجع سبق ذكره ، ص ١ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

٨١ – أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ١٣ م ، بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ ، م١١ ، ص ٢٥٩ .

٨٢ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٣٠ ، ص ١٠٠ .

٨٣ – محمد الرازى فخرالدين ، مرجع سبق ذكره ، جـ٣٠ ، ص ١٤٩.

٨٤ – البخارى ، مرجع سبق ذكره ، كتاب الرقاق ١٠ .

٨٥ – ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م١١ ، ص ص ٢٣٩ – ٢٥٣ .

٨٦ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢٩ ص ٤٩ .

٨٧ – محمد الرازى فخرالدين ، مرجع سيق ذكره ، جـ٢٩ ، ص ١٢٨ .

٨٨ – ابن كثير ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢٩ ، ص ٤٢٨ .

٨٩ – اخرجه أبوداود ، باب جهاد ، ٢١ .

٩٠ – ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م١٣ ، ص ٥١١ .

٩١ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ٥ ، ص ١١٣ .

٩٢ – المرجع السابق ، جـ ١٧ ، ص ٢١ .

٩٣ – المرجع السابق ، جـ ١٥ ، ص ٣٧ .

٩٤ – أبو الحسين مسلم ، مرجع سبق ذكره ،م ٤ ، كتاب الدعاء ، ص ٢٠٩٥ .

٩٥ – البخارى ، ومسلم .

٩٦ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ٥ ، ص ١٩ .

٩٧ – محمد الرازى فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، جـ١٥ ، ص ٢٠١ .

٩٨ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢٢ ، ص٤١ .

٩٩ – محمد الرازى فخرالدين ، مرجع سبق ذكره ، جـ ٢٥ ، ص ٢٣٦ .

١٠٠ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره جـ ٢٥ ، ص ٢٧ .

١٠١ – المرجع السابق ، جـ١٢ ، ص ٦ .

١٠٢ – ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م١ ، ص ٨٣ .

١٠٣ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ١٥ ، ص ١٧٣ .

١٠٤ – ابن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م١٣ ، ص ٣١٣ .

١٠٥ – الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، جـ٣٠ ، ص ٢٦.

١٠٦ – محمد الرازى فخرالدين ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣١ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

١٠٧ – أخرجه الترمذى – كتاب القيامة .

١٠٨ – أخرجه ابن حنبل ، الدرامى فى كتاب الرقاق .

١٠٩ – ابن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، م١ ، ص ٣٦ .

110 - M. Vicentia Joseph, "Religion and Social Work Practice". Social Case Work, September, 1988.

المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية

د. محمد سلامة غبارى

مقـــــدمة

لقد ظهر اتجاه جديد بين الباحثين المسلمين يدعو إلى دراسة العلاقات والظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية من منظور إسلامى لتكون هذه الدراسات نواة لفرع أكثر تخصصاً يعرف باسم الاجتماع الإسلامى ، ويصبح الاختلاف الأساسى بينه وبين «علم الاجتماع الدينى » أن هذا الأخير يعالج الظواهر الدينية فى كافة المجتمعات وبدون التقيد بدين معين، بخلاف الاجتماع الإسلامى الذى يختص بدراسة العلاقات والظواهر والنظم والأنساق الاجتماعية ، من وجهة النظر الإسلامية البحتة .

ومن نفس المنظور ظهر علم النفس الإسلامى حتى غطى هذا الاتجاه الكثير من العلوم المختلفة .. وحيث أن تلك العلوم تعتبر القاعدة العلمية للخدمة الاجتماعية التى تعتمد فى نموها وتطورها عليها .. فكان لابد لها أن تتطور بدورها ، ولذلك كان لابد أن تتأثر الخدمة الاجتماعية بالمنظور الإسلامى .

ومن هذا المنظور بدأت الخدمة الاجتماعية تقيم خدماتها فى المؤسسات التى تمارس فيها الخدمة الاجتماعية التقليدية ، واعترفت بقصورها ، وبدأت تبحث لنفسها عن أساليب علاجية جديدة تحررها من تلك الأساليب التقليدية المستوردة من المجتمعات الغربية التى تختلف فى عاداتها وقيمها واتجاهاتها عن مجتمعاتنا العربية اختلافا كبيرا.

ولذلك اتجه الباحثون المسلمون إلى الدين بعد أن زادت المشكلات الاجتماعية وانهارت العلاقات الإنسانية فى هذه الفترة الحرجة التى تمر بها البشرية : الفترة التى وصل فيها الفزع إلى غايته ، والقلق إلى أقصاه .. وظهر لها واضحاً إلى أى مدى تخبطت البشرية حين شردت عن الله وعن منهجه فى الحياة .

لقد تخبطت البشرية ما بين عبادة العقل ؛ وعبادة الجسم ، وعبادة المادة ، وعبادة الحتمية التاريخية ، والحتمية الاقتصادية ، والحتمية الاجتماعية ..إلى آخر هذه الآلهة المزعومة التى يعبدها الناس فى هذا الجيل ليهربوا بها من عبادة الله !! .. فكانت الشقوة التى تفسد الأعصاب والنفوس ، وكان العذاب الذى يمس الأفراد والجماعات وكان الفزع الدائم من الدمار الرهيب .

وليس للبشرية علاج من هذه الشقوة المفسدة ، والعذاب المفزع إلا أن تعود إلى الله لتجد الأمن والرعاية فى حماه، وتجد التوجيه الراشد فى منهجه للحياة .

والعلاج الإسلامى هو المنهج الربانى المناسب للحياة بما فيه من وقاية وعلاج ، وهو الذى يقدم الأساليب العلاجية المناسبة الفعالة لكل المشكلات ، وفيه النجاة والخلاص ، فهو المنهج الربانى لتقويم البشرية ، لترشد وتتوازن ، وتسلك طريقها المستقيم فى الحياة .

ولذلك كله اتجهت الخدمة الاجتماعية إلى ممارسة العلاج الإسلامى وتحمست لتطبيقه فى المؤسسات الاجتماعية لعلها تجد فيه أسلوب العمل المناسب وطريق العلاج الأمثل بعد أن ضاقت بها السبل ، وعجزت أساليبها العلاجية التقليدية عن علاج المشكلات الإجتماعية .

والدين الإسلامي يقول أنه من الممكن تبديل النفس البشرية وتغييرها جوهريا بإمكانية إخراجها من الظلام إلى النور ، ومن حضيض الشهوات إلى ذروة الكمال الخلقى وذلك عن طريق المجاهدة والرياضة النفسية .

والإسلام لا يغفل أبداً واقع الطبيعة البشرية ، وما ركب فيها من تنوع الطاقات والاتجاهات والمستويات ، لذلك لا يلزم الناس بصورة مثالية معينة ، مصبوبة فى قالب لاتتعداه ، إنما هو يطلب من كل إنسان أن يبلغ حدود الكمال الممكن له هو حسب استعداداته وطاقته واتجاهاته . وكل ما يفرضه الدين الإسلامى هو المحاولة الدائمة لبلوغ ذلك الكمال الخاص فى حدود الإطار المثالى العام ، وهنا تظهر واقعية الإسلام فى علاج النفس البشرية .

والعلاج الإسلامى بأساليبه المختلفة وبمبادئه الأساسية التى يعرضها هذا البحث هو محاولة جادة للتأثير فى تلك النفس البشرية بهدف تغييرها : من نفس ضالة ومنحرفة إلى نفس مسلمة مؤمنة ، تؤدى واجبها فى الأرض ، متوكلة علي الله فى السماء ، تسعى للرزق بكل ما أوتيت من قوة تاركة النتيجة لله ، تسير مع الأقدار مؤمنة بأنه لن يصيبها الا ما كتبه الله لها .

وهكذا يهتدى الأخصائى الاجتماعى بمنهج إسلامى واقعى نظيف ، يحسب حساب الإنسان بفرديته من حيث طاقاته وقدراته واستعداداته وصفاته ، ولذلك لا يكلفه بعمل المستحيل بل يطلب منه المحاولة الدائمة لبلوغ الكمال الذى يستطيعه هو ، وهو بفطرته يستطيع الكثير .. والإنسان فى نظر هذه الواقعية كائن ليس بالملاك ولا بالشيطان ، ولكنه قادر علي الصعود إلى نظافة الملائكة ، وقادر على الهبوط إلى دنس الشيطان .

والطريق الواقعى لتنمية الإنسان ومعالجته ، هو رسم الصورة المتكاملة أمامه ، وتدريبه دائما على الصعود إليها والدنو منها بكل أساليب العلاج الإسلامى ، وبكل جهد ممكن ومستطاع .

والأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى فى المؤسسات الاجتماعية ، يبغى *الوصول فى النهاية إلى إعداد الإنسان الصالح الذى يستمد من القرآن منهج* حياته ، ومنهج سلوكه ، حيث يجد الوقاية ويجد العلاج .

وهو يعرف جيدا أنه طريق شاق وصعب ، لأنه طريق غير ممهد ، تحيط به ظروف وعوامل غير مساعدة ، ويعترضه عقبات كبيرة ، متمثلة فى ألوان التربية السائدة فى المجتمع ، التى ابتعدت كثيرا عن طريق الله ، وتاهت في معترك الحياة . ولكى ينجح الأخصائى الاجتماعى فى ممارسة العلاج الإسلامى بشقيه الذاتى والبيئى فلابد له من قاعدة رئيسية يرتكز عليها عند الممارسة والتطبيق ؛ هذه القاعدة - هى مجموعة المبادئ الرئيسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية ، وقد عرضها البحث بصورة مبسطة سهلة موضحة ببعض الأمثلة التطبيقية التى تساعد الممارس علي الاستفادة منها وتطبيقها مع عملائه بمؤسسات الخدمة الاجتماعية بكل أنواعها . وتخصصاتها ، وبخاصة مؤسسات رعاية الأحداث المنحرفين بصفة خاصة ومؤسسات رعاية الطفولة بصفة عامة وكذلك جميع المؤسسات التى تعمل فى شتى مجالات الخدمة الاجتماعية .

المبدأ الأول : مبدأ الشورى :

الشورى أصل من أصول الحياة فى الإسلام ، وهى أوسع مدى من دائرة الحكم . لأنها قاعدة حياة الأمة المسلمة [1] و« دائرة الشورى هى دائرة العلاقة بين المؤمنين جميعاً ».

وقد قال ابن تيمية « لا غنى لولى الأمر عن المشاورة ، فإن الله تعالى أمر بها نبيه فقال « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » [2] وقد روي عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ » : وقد قيل : أن الله أمر بها نبيه ﷺ لتأليف قلوب الصحابة ، وليقتدى به من بعده ، وليستخرج منهم الرأى فيما لم ينزل فيه وحى ، من أمر الحروب ، والأمور الجزئية وغير ذلك ، فغيره ﷺ أولى بالمشورة » [3] .

وقد أثنى الله على المؤمن بذلك فى قوله « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابو لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون [4].

والشريعة الإسلامية وإن كانت آياتها المحكمة سدى الإسلام فلحمته الشورى ، فيها صار الاجتهاد حقا والإجماع دليلا ، وهما جناحا التحضر السوى ، والكمال الاجتماعى، والتقدم الإنسانى السليم .

ولم لهذا المبدأ العظيم من أهمية فسنعرض بعض آراء المفسرين لآية (وشاورهم فى الأمر) لنخرج منها بمؤشرات ودلالات نسير على هديها ونمشى فى طريقها .

قال السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار (وشاورهم فى الأمر) أى الأمر العام الذى هو سياسة الأمة فى الحرب والسلم والخوف والامن وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية أى دم على مشاورتهم وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب فى غزوة (أحد) وإن أخطأوا الرأى فيها فإن الخير كل الخير فى تربيتهم علي المشاورة بالعمل دون العمل برأى الرئيس وإن كان صوابا لما فى ذلك من النفع لهم . والمراد بالأمر الدنيوى الذى يقوم به الحكم عادة لا أمر الدين الذى مداره علي الوحى دون الرأى . إذ لو كانت المسائل الدينية كالعقائد والعبادات والحلال والحرام مما يقرر بالمشاورة لكان الدين من وضع البشر . إنما هو وضع إلهى ليس لأحد فيه رأى لا فى عهد النبى ﷺ ولا بعده . وقال صاحب التفسير القاسمى : (وشاورهم فى الأمر) أى أمر الحرب وغيره توددا إليهم وتطييبا لنفوسهم واستظهارا بآرائهم وتمهيدا لسنة المشاورة فى الامة .

وقد ساق العلامة فخر الدين الرازى وجوها أخرى فى فائدة أمره تعالى له عليه الصلاة والسلام بمشاورتهم منها : أنه ﷺ وإن كان أكمل الناس عقلا إلا أن علوم

الخلق متناهية فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح مالا يخطر بباله لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا فإنه ﷺ قال : (أنتم أعرف بأمور دنياكم) . ومنها أن الامر بمشاورتهم لا لأجل أنه ﷺ محتاج إليهم ولكن لأجل أنه اذا شاورهم فى الأمور اجتهد كل واحد منهم فى استخراج ما عنده من الوجه الأصلح . فتصير الأرواح متطابقة متوافقة على تحصيل أصلح الوجوه . وتطابق الأرواح الطاهرة على الشئ الواحد مما يعين علي حصوله وهذا هو السرعند الاجتماع والجماعة فى الصلوات .

وقال صاحب تفسير المراعى : (وشاورهم فى الأمر) أى أنهم إذا حزبهم أمر تشاوروا فيما بينهم ليقتلوه بحثا وتمحيصا ولا سيما الحروب ونحوها وقد كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى كثير من الأمور ولم يكن يشاورهم فى الأحكام لأنها منزلة من عند الله .

أما الصحابة فكانوا يتشاورون فيها ويستنبطون من الكتاب والسنة ، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة . فإن النبى ﷺ لم ينص عليها حتى انتهى أمرهم إلى تولية أبى بكر رضى الله عنه ، وتشاوروا فى قتال من ارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ ، فاستقر رأى أ بى بكر على القتال وكان فيه الخير كل الخير للإسلام والمسلمين .

وعن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهما قال لما أسروا الأسارى يعنى يوم بدر - قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر : ما ترون فى هؤلاء الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله هم العم والعشيرة أرى أن نأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام . فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : لا والله مـا أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن فلانا من فلان - قرابته - فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت (٥) .

كما كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث ، تطييباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه ، كما شاورهم يوم بدر فى الذهاب إلى العير فقالوا يا رسول الله لواستعرضت بنا عرض البحر لقطعنا معك ولو سرت بنا برك الغماد لسرنا معك . ولا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام، (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون) (المائدة ٢٤) ولكن نقول : اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون . وشاورهم أيضاً أين يكون المنزل ؟ حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم . وشاورهم فى أحد أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو ؟ فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج . وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه السعدان: سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، فترك ذلك .

ويقول العالم الشهير أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى فى المشاورة والنصيحة اعلموا – أن المستشير وإن كان أفضل رأياً من المشير فإنه يزداد برأيه رأياً كما تزداد النار بالسليط ضوءاً . فلا تقذفن فى روعك أنك إذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة إلى رأى غيرك فيمنعك ذلك عن المشاورة ، فإنك لا تريد الرأى للفخر به ، ولكن للانتفاع به ، وإن أردت الذكر كان أفخر لذكرك ، وأحسن عند ذوى الألباب لسياستك أن يقولوا : لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من إخوانه، ولا يمنعك عزمك عن إنفاذ رأيك وظهور صوابه لك عن الاستشارة .

ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها . فحمله حس الأب وعلمه بوقعه فى النفوس على الاستشارة فيه فقال لابنه يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى)؟ وهذا أحسن ما يرسم فى هذا الباب [٦] . ومن هنا يمكن القول أن الفعل شاور من المشورة يقتضى : أولا : استشارة (مشكلة) ، وثانيا: مشير (صاحب رأى) ، وثالثا : مستشير (صاحب مشكلة) ثلاثة أركان تتفاعل وتمتزج ليخرج منها الرأى السوى الناضج الذى يجنب الإنسان وكذا المجتمع والأمة الانحراف والهلاك ويهدى إلى الأمن والرشاد .

وحيث أن الخدمة الاجتماعية تحرص على تدعيم الترابط والتضامن بين أبناء المجتمع وتحرص على بنائه وإنمائه ، فإن مبدأ الشورى يعد من أعظم المبادئ الإنسانية التى تعتمد عليها الخدمة الاجتماعية فى تحقيق أهدافها الإسلامية .

وعندما يمارس الأخصائى الاجتماعى مبدأ الشورى عندما يخطط لعلاج المشكلات الاجتماعية فإنه يجعل من نفسه الركن الأول من أركان المشاورة وهو المشير صاحب الرأى والتفكير بعد أن يتم إعداده إعداداً إسلاميا سليما بحيث يصبح صالحا لتقديم المشورة لمن يطلبها من العملاء ، بل فى أحيان كثيرة يتقدم هو بالمشورة حتى لو لم تطلب منه ، وذلك عندما يرى أن هناك أخطاراً محققة تهدد الفرد أو المجتمع وبذلك يصبح دوره كمشير معروضا ومفروضا فى آن واحد ما دام هدفه صالح الفرد وصالح المجتمع .

والأخصائى الاجتماعى الإسلامى لكى ينجح فى أداء دوره كمشير لابد أن يكون واسع التفكير راجع التدبير ، أخلاقه كريمة وصفاته عظيمة ، حتى يستطيع أن يكسب ثقة عملائه مما يجعلهم يقبلون على طلب مشورته بما يحقق لهم العون والمساعدة المطلوبة .

وقد يكون العميل مشيراً فى أحيان كثيرة عندما يشركه الأخصائى الاجتماعى فى ذلك وعندما يطلب منه إبداء رأيه والاشتراك بتفكيره فى كثير من الأمور التى تسهل

نجاح عملية المساعدة ، وقد يكون للعميل رأى سليم وفكر ناضج ، يساعد الأخصائى فى استكمال الكثير من الجوانب التى كانت خافية عليه ، فهو الأدرى بجوانب المشكلة وهو الذى سيتحمل المسئولية الكبيرة فى علاجها .

وقد يكون هناك مستشارون آخرون يعملون جنبا بجنب مع العميل والأخصائى الاجتماعى مثل الخبراء والمختصين من أصحاب الرأى والمشورة مثل رجل الدين ورجل القانون أو المختص النفسى أو الطبيب ...الخ ممن يستعين بهم الأخصائى الاجتماعى فى دراسة المشكلة وعلاجها ، وليس عيبا أو نقصا من الأخصائى الاجتماعى أن يستعين بغيره من زملاء المهنة ويستشيرهم برأيهم وأفكارهم ما دامت تساعده على الوصول إلى العلاج السليم أما الركن الثانى من أركان المشاورة وهو المستشير ، فهو العميل الذى يعانى من مشكلات عاقت توافقه وعطلت تفكيره وأصبح عاجزاً عن مواجهتها بمفرده مما دعاه لطلب المشورة من الأخصائى الاجتماعى فهو القادر على التفكير السليم وإعطاء المشورة المناسبة لأن تفكيره محرر من الضغوط التى يعاني منها العميل الذى أصبح فى مسيس الحاجة لمن يقف بجانبه ويساعده على مواجهة تلك المشكلات وعلاجها .

وعندما يحضر العميل طالبا المشورة يقابله الأخصائى الاجتماعى بالاحترام والحب النابع من أخوة الإسلام الصادقة التى يستمد منها العميل مشاعر الأمن والطمأنينة وعندها يثق فى الأخصائى الاجتماعى الذى يضحى بوقته وجهده فى سبيل مساعدته غير منتظر منه جزاء أو شكورا ؛ وعندها يشعر العميل بأن الأخصائى الاجتماعى يقدم له المشورة الصادقة بدافع أخوة الإسلام المخلصة ، وحينئذ يثق فيه ويطمئن إليه ، فيحبه ويطيعه ، وعندها يسهل التأثير عليه وتغييره ، والأخصائى الاجتماعى هدفه التأثير والتغيير بما يساعد على البناء والإنماء بالنسبة للفرد والجماعة والمجتمع ، وبذلك يساهم بدوره فى بناء أمة إسلامية قوية حتى تستعيد مكانتها كخير أمة أخرجت للناس.

والركن الثالث من المشاورة هو الأمر المشار فيه وهو المشكلات التى يعمل فى مجالها الأخصائى الاجتماعى ، وهى مشكلات كثيرة ومتنوعة ، فقد تكون مشكلات ذاتية تتصل بذات العميل وشخصيته ، وقد تكون مشكلات بيئية تتصل ببيئة العميل وأسرته وقد تجمع بين كل منهما .

والأخصائى الاجتماعى يشرك معه العميل فى دراسة تلك المشكلات وتوضيح جوانبها المختلفة ، كما يشركه معه فى تشخيصها وعلاجها ، وبذلك تتفاعل أركان الشورى الثلاثة تفاعلا إيجابيا بناء من خلال مبدأ إسلامى عظيم . مارسه خير الأنبياء وخاتمهم .

والخدمة الاجتماعية عندما تمارس مبدأ الشورى كأحد المبادئ الإسلامية العظيمة التى تمارسها وصولا إلى نجاح الأخصائى الاجتماعى فى ممارسة العلاج الإسلامى ، ولذلك تسعى من وراء ممارسته وتطبيقه إلى تحقيق الأهداف الإنسانية العظيمة التى حققها رسول الله ﷺ والتى يسعى الأخصائى الاجتماعى الإسلامى جاهداً إلى تحقيقها .

وكان النبى ﷺ يستشير المسلمين فى كثير من الأمور بهدف التأليف بين قلوبهم ونشر المودة والحب والجمع بينهم ، فتزداد ألفة الجماعة وتماسكها ، ويشعر كل فرد فيها بأن قوة الجماعة من قوته وعزها من عزه بعد أن أصبح يستشار فى أمورها ويشترك فى تقرير مصيرها .

ولذلك يشرك الأخصائى الاجتماعى عملاءه فى كل خطواته المهنية ويستشيره أحياناً كما يشير عليه أحيانا كثيرة ، وبذلك ينتشر الود والحب ويجمع الإسلام بين القلوب المتآلفة ، ويثق المستشير فيمن يشير عليه ، فيعم الترابط والتضامن ، وتقوى شبكة العلاقات الاجتماعية بعد أن أصبحت علاقات محبة وأخوة إسلامية وعندها يسهل حل المشكلات وتثمر عملية المساعدة وينجح العلاج الإسلامى.

والأخصائى الاجتماعى عندما يمارس مبدأ الشورى مع عملائه فإنه يسعى إلى الاشتراك فى تربيتهم تربية إسلامية فهو يشاركهم ويشاورهم فى أمور حياتهم ويستفيد من آرائهم وأفكارهم ويسترشد بها فى كثير من الأمور ، ويجعل من نفسه قدوة صالحة لهم حتى يخرجون من تفاعلهم معه عقليا بنضج أفكارهم ونمو شخصياتهم وبذلك يصبح كل فرد منهم عضواً صالحاً فى مجتمعه قادراً على التوافق فيه بعد أن مارس العديد من الخبرات البناءة مع الأخصائى الاجتماعى بما يساعده ويعينه على أداء أدواره الاجتماعية بما يحقق توافقه فى المجتمع .

وإذا نظرنا إلى أهداف الشورى العقلية فقد كانت التقاء العقول وتجميع الآراء ، ورفع مستوى التفكير واستخراج الرأى السليم أو تعديل الرأى الخاطئ عن طريق تفاعله مع الرأى السليم ، واستنباط أفكار جديدة أو آراء سديدة .

والأخصائى الاجتماعى يسعى لتحقيق تلك الأهداف عندما يقوم بممارسة مبدأ الشورى مع عملائه فيتفاعل عقله مع عقلهم ورأيه مع آرائهم ، فيرتفع مستوى تفكيرهم وتتعدل أفكارهم الخاطئة ويدربون على التفكير السليم من خلال البرامج والأنشطة التى يحتويها العلاج الإسلامى .

وأخيراً هناك الأهداف النفسية التى حققها رسول الله ﷺ من خلال مبدأ الشورى الذى مارسه بنفسه مع أصحابه وقواده وجنوده بل ومع عامة المسلمين حيث يهدف إلى

تنمية الشعور بالذات وتنمية الثقة بالنفس حتى يشعر كل فرد فى المجتمع الإسلامى بالعزة والكرامة والأمن والطمأنينة ، وبذلك نمت شخصياتهم وأصبح كل منهم عضواً صالحاً فى مجتمع صالح ، وصارت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

والأخصائى الاجتماعى الذى يمارس هذا المبدأ الإسلامى العظيم يهدف إلى تنمية ذات العميل وتقوية ثقته بنفسه بعد أن اهتزت تلك الثقة وضعفت تلك الذات وبعد أن صار يئن تحت وطأة الضغوط الداخلية النابعة من ذاته والمزلزلة لكيانه وبعد أن أصبح خائفا مضطربا ، ذليلا مهانا ، فلا عجب إذن أن تسعى المبادئ الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الشورى إلى المشاركة مع العلاج الإسلامى فى علاج اضطرابات الشخصية مما يؤدى إلى تنمية الشعور بالذات والثقة بالنفس ، وعندها يتحول الخوف إلى الأمن ، والاضطراب إلى الطمأنينة ، والمهانة إلى العزة ، والذلة إلى الكرامة .

المبدأ الثاني : العلم :

العلم مبدأ آخر من المبادئ الإسلامية المهمة التى تحتاج إليها الخدمة الاجتماعية وهى تطبق العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية ، والاخصائى الاجتماعى لن يستطيع ممارسة الخدمة الإجتماعية الإسلامية إلا إذا اعتمد فى ممارسته على المبادئ الإسلامية التى تساعده على فهم الإنسان واكتساب ثقته حتى يصبح قادرا علي التأثير فيه وبالتالى يستطيع تغييره والعلاج الإسلامى بمبادئه الإسلامية هو القادر على هذا التغيير .

« إن العلم للإسلام كالحياة للإنسان ، ولن يجد هذا الدين مستقر له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة والألباب الحصيفة . فطبيعة الإسلام تفرض على الأمة التى تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين ، وتهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين .

ذلك لأن حقائق هذا الدين – من أصول وفروع – ليست طقوسا تنتقل بالوراثة ، أو تعاويذ تشيع بالإيحاء، وتنتشر بالإيهام .. إنها حقائق تستخرج من كتاب حكيم ، ومن سنة واعية ، وسبيل استخراجها لا يتوقف على القراءة المجردة ، بل لابد من أمة تتوفر فيها الأفهام الذكية ، والأساليب العالية ، والآداب الكريمة ، ولا شك أن مدارسة مناهج الإسلام تخلق فى أى أمة تعنى بها جوا من الفقه التشريعي القائم على الأوامر والنواهى – أى بالحقوق والواجبات – وجوا من الآداب الاجتماعية الدقيقة المتعلقة بقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجوا من البحث الصحيح والاجتهاد المخلص لمد رواق الإسلام على ما تقدمه الأعصار من أقضية شتى وشئون متجددة»(٧).

لذلك أعز الله العلماء وآثرهم بكرامته وفضله ، قال رسول الله ﷺ « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » (مسلم) .

كما قال ﷺ « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » (الترمذى).

وكذلك قوله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (ابن ماجه) .

والعلم كمبدأ إسلامى مهم لم تظهر أهميته فى أحاديث رسول الله ﷺ فقط ، بل تاكدت أهميته فى آيات بينات من كتاب الله الكريم تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه، منها قوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٨) (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (٩) (وقل رب زدني علما) (١٠) وقال الخبير العليم (وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون) (١١) (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه علي علم (١٢) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (١٣) ثم قال العزيز الحكيم (خلق الإنسان علمه البيان) (١٤).

وقد ذكر الإمام الغزالى فى طلب العلم وفضيلة التعلم [١٥] قول الله تعالى : «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » [١٦] ، وأهل الذكر هم أهل العلم ، هم العلماء ... كما يرى الغزالى أن مهنة التعليم أشرف مهنة ، وأفضل صناعة يستطيع الإنسان أن يتخذها حرفة ، والتعليم فى نظره هو : إفادة العلم ، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة [١٧].

والمراد بالعالم هو الصالح التقى ، العالم العامل بكتاب الله وسنة رسول الله ... وإننا نعتقد أن الإسلام دين علم ونور ، لا دين جهل وظلمة [١٨] والعلم الذى يقبل المسلم عليه ، ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علما معينا محدود البداية والنهاية . فكل ما يوسع منادح النظر ، ويزيح السدود أمام العقل النهم إلى المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ، ويفتح له آمادا أبعد من الكشف والإدراك . وكل ما يتيح له السيادة فى العالم والتحكم فى قواه ، والإفادة من ذخائره المكنونة ... ولا شك أن فى طلبه ما تجب معرفته حق الله على الناس، وحق الناس بعضهم علي بعض . فإن هداية السلوك إلى الصالح العام كبيرة الأثر فى تنظيم الجماعات وتوجيه السياسات [١٩] .

ولذلك يفرض هذا المبدأ علي الأخصائى الاجتماعى أن يكون عالما فى أصول العلاج الإسلامى ومبادئه التى جاءت بها شريعة الإسلام ، وأن يكون محيطا بأمور الحلال والحرام ، وأن يكون على دراية تامة بمبادئ الأخلاق، وأن يكون متفهما لأنظمة الإسلام، وقواعد الشريعة حتى يصبح عالما حكيما يضع الأشياء فى موضعها ، ويربى عملاءه على أصولها ومقتضاها ويسير في طريق التربية الإسلامية ويطبق العلاج الإسلامى على أسس متينة من تعاليم القرآن ، وهدى محمد ﷺ .

ولذلك فإن الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس الخدمة الاجتماعية الإسلامية ويطبق مبادئها لابد أن يكون عالما عاملا بعلمه [٢٠] ، أى تطابق أفعاله أقواله ، وأن يكون علمه غزيراً ومتنوعا فهو يدرس الكتاب والسنة ويدرس التاريخ الإسلامى والتاريخ الإنسانى معا ، ليعرف الطبيعة البشرية على الواقع ، وليعرف سنن الله في خلقه ، كما يجب عليه دراسة علم النفس بشتى فروعه المختلفة لأنه يساعد على فهم الإنسان وغرائزه ، وميوله ، وتحليل عواطفه واتجاهاته ، بالاضافة إلى دراسة مختلف العلوم والمعارف الأخرى كقاعدة علمية ينطلق منها إلى فهم الإنسان ومشكلاته حتى يصبح قادرا على مواجهتها وعلاجها . إن هذه المعارف المختلفة ليست نافلة فى حياته ، ولا توجيهاته ، بل هى زاد لابد منه لتصحيح فكره ، وضبط صلته بالعالم ، حتى إذا قدم النصح لعملائه يكون بوعي دقيق ، وحس بالغ ، وإدراك للهدف الذى تنطلق إليه . كما يجب على الأخصائى الاجتماعى أن يتعلم الشر والخير لا ليقى نفسه فحسب من الشرور ، بل ليقى غيره من

الناس كذلك . إن غزارة الثقافة وسعة الأفق وروعة الحصيلة العلمية من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الأخصائي الاجتماعي . ولابد له من أن يكون عالما في مهنته ، متبحرا في معرفتها متقنا لأساليبها الفنية ، متجملا بمواصفاتها الخلقية ، لأنها مهنة الأنبياء والرسل ، ولذلك تحتاج لمواصفات لا تتوافر بسهولة في كل إنسان.

إن الأخصائي الاجتماعي عندما يطبق مبدأ العلم كمبدأ مهم من مبادئ الخدمة الاجتماعية الإسلامية يعرف جيداً أن أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العقل ، والخامس نشره ، وهو يطبق قول القائل : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول .

والأخصائي الاجتماعي في كل ذلك لا يرجو إلا ربه ولا ينتظر من أحد جزاء أو شكوراً ، ولذلك لا يستحي أن يتعلم ما لا يعلمه ويستزيد مما يجهله ، ولا يستحي إذا سئل في شئ لا يعلمه أن يقول لا أعلم ، لأنه في ذلك يطبق قول علي عليه السلام ، « لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم .

المبدأ الثالث : المساواة

المساواة مبدأ مهم آخر من المبادئ الإسلامية التى تعتمد عليها الخدمة الاجتماعية الإسلامية وهى تسعى لممارسة العلاج الإسلامي للمشكلات الاجتماعية سواء كانت مشكلات فردية أو جماعية أو مجتمعية ، وهى نفس المبادئ التى اعتمد عليها الإسلام عندما عالج المشكلات الاجتماعية التى اعترضت ظهور الإسلام ، وبالرغم من صعوبتها وتعقدها وتعددها إلا أن الإسلام نجح فى القضاء عليها والتخلص منها بفضل تلك المبادئ الإنسانية .

لقد جاء الإسلام ليحقق العدالة الاجتماعية لكل الناس معتمداً فى ذلك على تلك المبادئ الإسلامية وعلي رأسها مبدأ المساواة ، ولن تتحقق عدالة اجتماعية كاملة ، ولن يضمن لها التنفيذ والبقاء ، ما لم تستند إلى شعور نفسي قوى باستحقاق الفرد لها ، وبحاجة الجماعة إليها ، وعقيدة تؤدى إلى طاعة الله وإلى واقع إنساني أسمى . وما لم تستند كذلك إلى واقع مادى يهيئ للفرد أن يتمسك بها ويحتمل تكاليفها ويدافع عنها . ولن يستحقها الفرد بالتشريع قبل أن يستحقها بالشعور ، وبالقدرة العلمية على استدامة هذا الشعور . ولن تحافظ الجماعة علي التشريع إن وجد ، إلا وهناك عقيدة تؤيده من الداخل وإمكانيات عملية تؤيده من الخارج . وهذا ما نظر إليه الإسلام فى توجيهاته وتشريعاته جميعاً.

ولما لمبدأ المساواة من أهمية بالغة فى تحقيق العدالة الاجتماعية كاملة جاءت الشريعة الإسلامية من وقت نزولها بنصوص صريحة تقرر المساواة وتفرضها فرضاً ، فالقرآن يقرر المساواة ويفرضها علي الناس جميعاً في قوله تعالى : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**)(٢١) وبذلك يشير الله سبحانه وتعالى إلى أصل المساواة فى الطبيعة البشرية بين الأفراد جميعا ، ثم ينفى أن يكون اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل ومجموعات ، مبرراً للمفاضلة بين الأفراد ، بل ينظر إلى هذا الاختلاف علي أنه سبب للتعارف واللقاء وليس للتخاصم والتنافر، ويقرر سببا واحداً للمفاضلة هو التقوى ، بعد أن كرم الطبيعة الإنسانية كلها فى قوله تعالى: (**ولقد كرمنا بني آدم**) (٢٢) ولكنه سبحانه وتعالى فضل بعضهم علي بعض بكثرة التقوى ، وكثرة التقوى ليست بحكم أحد من الناس وإنما بعلم الله ذاته وخبرته (٢٣) .

ورسول الله ﷺ يؤكد هذا المعنى فى قوله « الناس سواسية كأسنان المشط الواحد لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ثم يؤكد هذا المعنى تأكيداً فى قوله : « **إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم لأن الناس من آدم وآدم من تراب**

وأكرمهم عند الله أتقاهم » ويلاحظ على هذه النصوص أنها فرضت المساواة بصفة مطلقة ، فلاقيود ولا استثناءات ؛ وأنها المساواة على الناس كافة أى على العالم كله فلا فضل لفرد علي فرد ولا لجماعة على جماعة ، ولا لجنس على جنس ، ولا للون على لون، ولا لسيد على مسود ولا لحاكم على محكوم (٢٤) .

وقد سبقت الشريعة الإسلامية القوانين الوضعية فى تقرير المساواة بأحد عشر قرنا ولم تأت تلك القوانين الوضعية بجديد حين قررت المساواة وإنما سارت فى أثر الشريعة الإسلامية واهتدت بهداها .

ولم تكن المساواة فى الإسلام كلاماً يقال أو شعاراً يرفع وإنما كان مبدأ يمارس وأول من مارسه والتزم بتطبيقه النبى ﷺ متأدباً بأوامر ربه الذى كان دائما يذكر الناس بأنه بشر كسائر البشر ، وكان محمد ﷺ بذاته يكرر هذا المعنى وهو النبى العظيم الذى كان محبوبا من قومه مبجلا ؛ ولكن خيف أن ينقلب ذلك الحب وهذا التبجيل إلى تأليه أو قدسية لا تكون إلا لله . فها هو ذا يقول لقومه : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ؛ فإنما أنا عبد ؛ فقولوا عبد الله ورسوله » (٢٥).(البخارى) ويقول وقد خرج على جماعة فوقفوا تبجيلا « من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار» (٢٦) وفى موقف أخر قال لقومه « يامعشر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئا . يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا.يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا (٢٧).

وحين أصابت محمد الإنسان لحظة حرص بشرى ؛ فانصرف عن الرجل الفقير الأعمى ابن أم مكتوم إلى الوليد بن المغيرة سيد قومه ، عاجلة العتاب الشديد الذى يشبه التأنيب ليرد للمساواة المطلقة معاييرها الكاملة .

ومبدأ المساواة أمام شريعة الله مقرر فى الإسلام بأجلى بيان ؛ أخذاً من المساواة العامة للمسلمين ؛ ومن نصوص أخص من ذلك قول رسول الله ﷺ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الوضيع أقاموا الحد ؛ وكان عليه الصلاة والسلام قد استشفع لديه فى عدم توقيع الحد فاستنكر ذلك وصاح بمحدثه « يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله » (٢٨) ؟ وعندما تجادل الصحابى المعروف أبو ذر الغفارى مع أحد الزنوج . واشتد به الغضب فقال له : « يا ابن السوداء » وسمع الرسول ﷺ هذه الكلمة النابية . فأنكرها أشد الإنكار وقال لأبى ذر : أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . ومما قال له : طف الصاع . طف الصاع . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح » (٢٩) وقد ندم أبو ذر على فعلته . وأثرت كلمات الرسول ﷺ فى نفسه ؛ فألصق خده بالأرض وقال للأسود : « قم فطأ

على خدى » وبهذا التعليم البين الحاسم محا الإسلام من المجتمع كل نزعة إلى التفرقة العنصرية (٣٠) .

ولم يكتف الرسول ﷺ بممارسة هذا المبدأ مع أصحابه وأقاربه وأهل بيته بل امتد إلى ممارسته مع جلسائه من عامة المسلمين ، وعلمهم كيف يطبق هذا المبدأ على الجميع دون أن يفرق بين غنى أو فقير ولا قوى أو ضعيف ، فقد جاء عن النبى ﷺ أنه سأل جليسا له وقد مر بهما رجل ما رأيك فى هذا ؟ فقال : هذا رجل من أشراف الناس ، هذا والله حرى إن خطب أن يزوج ، وإن شفع أن يشفع . وإن قال أن تسمع لقوله . فسكت رسول الله ﷺ ثم ما رأيك فى هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، هذا رجل من فقراء المسلمين . هذا والله حرى إن خطب ألا يزوج ، وإن شفع ألا يشفع وإن قال ألا يسمع لقوله . فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا (٣١) .

وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص قال : رأى سعد أن له فضلا على من دونه ، فقال رسول الله ﷺ : « هلى ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم (٣٢) » وقال : « ابغونى فى ضعفائكم ، إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم (٣٣) »

وهكذا يتتبع الإسلام كل ناحية من حياة الناس الوجدانية والاجتماعية ، ليؤكد فيها معنى المساواة توكيدا ، وما كان فى حاجة كما قلنا لأن يتحدث عن المساواة لفظا وصورة ، بعد ما حققها معنى وروحا .. ولكنه يحرص علي المساواة حرصا شديدا ، ويريدها إنسانية كاملة غير محدودة بعنصر ولا قبيلة ولا بيت ولا مركز .

والخدمة الاجتماعية عندما تمارس العلاج الإسلامى لمعالجة المشكلات الاجتماعية فإنها تلتزم بمبدأ المساواة وتمارسه مع كل الناس الذين يتعاملون مع الأخصائى الاجتماعى الذى ينظر إليهم جميعا على قدم المساواة ويتقبلهم جميعا كما خلقهم الله لا كما يجب أن يكونوا. فقد خلقهم سواسية كأسنان المشط . ولذلك يحترم كل واحد منهم كنفس بشرية وكقيمة إنسانية باعتبارها أثمن شئ فى الوجود ويهتم كثيرا باحترام كرامة الإنسان باعتباره مخلوقا أدميا له كرامته وفرديته التي تميزه عن غيره من الناس ، وليس معني المساواة إلغاء الفروق الفردية بل لكل قدراته وصفاته الشخصية التى خلقه الله بها لتميزه عن الآخرين .

ولذلك فإن مبدأ المساواة كمبدأ إسلامى مهم يلزم الأخصائى باحترام كل فرد من عملائه والاهتمام به وإبداء الرغبة الصادقة فى مساعدته والمحافظة على كرامته وقيمته الانسانية بغض النظر عن كونه أميراً أم خفيراً، غنياً أم فقيراً ، سليماً أم مريضاً جميلاً أم قبيحاً . فكل ذلك ليس له تاثير على عملية المساعدة لأن الأخصائى الاجتماعى ليس له إلا هدف واحد وهو تقديم المساعدة المطلوبة للعملاء مهما كلفته من جهد ووقت ؛

وهو يقدم مساعدته لهم حسب احتياجاتهم لاحسب مراكزهم ومميزاتهم وهو لا ينتظر منهم جزاء ولا شكورا . واحترام الأخصائى الاجتماعى للعميل بهذه الصورة يشبع عنده عاطفة اعتبار الذات ويشعره بأنه إنسان له كرامته وله كيانه وقيمته وبذلك يتمكن الأخصائى من امتصاص مشاعر القلة والدونية التى يشعر بها العميل . حيث أن هذه المشاعر السلبية تعتبر من أهم العقبات التى تعترض جهود الخدمة الاجتماعية الإسلامية .

وتطبيق مبدأ المساواة الذى يفرض احترام العملاء والمحافظة علي كرامتهم وقيمتهم الإنسانية ويوجب على الأخصائى الاجتماعى الاهتمام بهم وإبداء الرغبة الصادقة فى مساعدتهم ليس كلاما يقال ولكنه سلوك إسلامى يمارس يبدأ منذ أول لقاء مع العميل حيث يقابله الأخصائى الاجتماعى بالبشاشة والترحاب ويدعوه للجلوس فى المكان المعد لاستقباله . وبذلك يشعره بأن هناك من يحترمه ويقدره ، ثم ينصت إليه باهتمام بالغ مبديا رغبة صادقة فى مساعدته ، باذلا من أجله كل جهد ، مضحيا فى سبيله بكل وقت ، وعندها يشعر العميل بنوع آخر من المعاملة التى لم يألفها من قبل ، ويبدأ فى تغيير نظرته لنفسه ويشعر بذاته ويحس بكرامته وقيمته الإنسانية كبقية الناس بعد أن تمتع بحقه فى المساواة المطلقة دون قيود أو استثناءات ، وبذلك تتوطد العلاقة بينهما ويبدأ التعاون من خلال علاقة محبة أخوية إسلامية ، تؤدى إلى نجاح العلاج الإسلامى.

والأخصائى الاجتماعى الإسلامى الذى اتسع قلبه لحب كل عملائه ، وأحبهم حبا صادقا ، ووجه تلك المشاعر الصادقة إليهم مهما كانت عيوبهم أو نوعياتهم ، ما هو إلا بشر كبقية الناس ينفعل مثلهم ويثور ويغضب ، ويمل ويتعب ولكنه مختلف عنهم فى مطالب مبادئه الإسلامية التى يعد لها ويدرب على ممارستها والتى تجعله عندما ينفعل كبقية البشر حليما صابرا متحكماً فى انفعالاته ومشاعرهم بحيث لا يظهر ضيقه أو تعبه أو مله لمن يقدم لهم المساعدة ، بل يقدر مشاعره السلبية فى المواقف الانفعالية المختلفة كالغضب والخوف والحزن والقلق ، فلا يتأثر بثورتهم ، ولا يضيق بإنفعالهم ولا يتحامل عليهم ، بل يقبلهم كعملاء يعانون من مشكلات ولا ينظر إليهم كعملاء مشكلين .

وعندما يلتزم الأخصائى بتطبيق مبدأ المساواة عندما يمارس العلاج الإسلامى فسيحترمه العملاء كما يحترمهم ، وسيحبونه كما يحبهم ، وعندئذ يثقون فيه ويقعون تحت تأثيره ، ويسهل بعد ذلك تغيرهم وعلاج مشكلاتهم ، وإنماء شخصياتهم ، وينفذون كل المسئوليات التى يفرضها عليهم العلاج الإسلامى بتعاون مثمر وروح طيبة وأخوة ومحبة صادقة ، متخذين من الأخصائى الاجتماعى الإسلامى القدوة الحسنة والمثال الطيب الصالح للتقليد والتقمص .

المبدأ الرابع : الحرية

مبدأ الحرية من أهم المبادئ الإسلامية التى جاءت بها الشريعة وقررتها فى أروع مظاهرها ، فقررت الحرية الدينية ، والحرية السياسية ، والحرية المدنية ، وحرية الرأى والفكر، وحرية الإرادة ، وكل هذه الحريات ما هى إلا مكونات للحرية الإنسانية التى هى كل لا يتجزأ ، وأى مساس بجانب منها عدوان علي شرف الإنسان وتعطيل لمسئوليته وليست الحرية منحة وعطاء يقصد بها الفوضى والتحلل، وإنما هى فرض مقرر أكدته الشريعة الإسلامية كما جاء فى القرآن والسنة وكما سمعنا عنها فى التراث الكبير لأئمة السلف الصالح الذين ناضلوا ودافعوا عن حرية الإنسان .

فحرية التفكير جاءت بها الشريعة الإسلامية لتحرر العقل من الأوهام وتخلصه من الانقياد الأعمى للعادات والتقاليد ، وتعيد إليه نشاطه وفاعليته حتى يصبح قادراً على أداء وظيفته ، فوظيفة العقل أن يفكر كما أن وظيفة العين أن تبصر، والشريعة الإسلامية تدعو إلى نبذ كل شئ لا يقبله العقل وتحث على التفكير الدائم فى كل شئ وتؤمن بكل ما يؤمن به العقل، والإنسان الذى يعيش بعقل معطل التفكير كمن يسير على قدم واحدة ، أو كمن يعمل بأيد مغلولة ، أو كمن يعيش بأعين مغمضة وكل ذلك ضد طبيعة الأشياء .

وتأكيداً لأهمية هذا المبدأ الإسلامي المهم نص القرآن الكريم فى سور كثيرة علي استخدام العقل وتحرير الفكر . قال تعالى : (**إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** [٣٤] وقوله : (**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثني وفرادي ثم تتفكروا** [٣٥] وقوله تعالى : (**أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمي** [٣٦] وقوله تعالى : (**قل انظروا ماذا في السماوات والأرض**) [٣٧] وقوله تعالى (**فلينظر الإنسان م خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب**) [٣٨] وقوله تعالى : (**أفلا ينظرون إلي الإبل كيف خلقت ، وإلي السماء كيف رفعت ، وإلي الجبال كيف نصبت ، وإلي الأرض كيف سطحت**) [٣٩] .

ومن كل تلك الآيات رأينا كيف أكد القرآن الكريم على ضرورة التفكير كوظيفة للعقل تساعد الإنسان على أن ينظر ويرى ويفكر ويتدبر ، لأن العقل هو الميزة الوحيدة التى ميز الله بها الإنسان على غيره من المخلوقات ، فإذا لم يفكر وإذا لم يحسن استغلال عقله ، فسيضل الطريق ، ويصبح تائها يتخبط ، ينساق وراء الخرافات والأوهام ويقلد غيره فى عاداتهم وتقاليدهم دون وعى أو فهم ، بعد أن أصبح له عقل لا يفهم ، وعين لاتبصر ، وأذن لا تسمع ، وقلب لا يعقل ، وبذلك يتساوى بالأنعام بل يصبح أضل سبيلا منها.

وقصة اهتداء إبراهيم إلى الحق - فيما تلاه علينا كتاب الإسلام - بدأت بالحيرة والشك الذى هو مظهر لرشد العقل وحرية التفكير . ومن الشك طال تأمله فى الكون وإصراره على طلب الهدى والتماس اليقين (٤٠) .

أما الحرية الدينية « فهى أخطر صور الحرية الفكرية وأشدها حساسية فإذا ضمنها الإسلام فقد بلغ الذروة فى ضمان حرية التفكير .. وحرية ممارسة الدين وشعائره هى أخطر صور إعلان الرأى ، فإذا ضمنها الإسلام فقد بلغ الذروة فى ضمان حرية الرأى والتعبير » (٤١) ، إن الشريعة الإسلامية هى أول شريعة أباحت الحرية الدينية وأقرتها ، وعملت على حماية هذه الحرية وصيانتها ، فلكل إنسان أن يعتنق من العقائد ما شاء وليس لأحد أن يحمله على ترك عقيدته أو اعتناق غيرها أو يمنعه من إظهار عقيدته .

« والفكرة العامة عن تسامح الإسلام واحترامه لحرية الاعتقاد والتدين ، لا تكفى لبيان الأفق الرحب العالى الذى استشرف بالإنسانية إليه - فالحق أن الإسلام فى إقراره لحرية التدين ، يلزم أتباعه بهذا الإقرار دينا وعقيدة وسلوكا ، لا لمجرد التسامح أو المجاملة أو المسالمة » (٤٢).

إن الإيمان الصحيح المقبول يجئ وليد يقظة عقلية واقتناع قلبى أنه استبانة الإنسان العاقل للحق ، ثم اعتناقه عن رضا ورغبة . وقد عرض الإسلام نفسه على الناس فى دائرة هذا المعنى المحدد ، غير متجاوز له فى قليل ولا كثير ، حتى يوضح مبادئه ، ويمكن الآخرين من الوقوف عليها فإذا شاءوا دخلوها راشدين ، وإذا شاءوا تركوها وافرين(٤٣)، (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)(٤٤) .

وأول من مارس هذا المبدأ الإسلامى المهم هو الرسول ﷺ اتقاء لما قد يدفعه إليه الإيمان من أخذ الناس قسراً بالدين الحق ، وهو ما يأباه الإسلام نصاً وروحاً ، إلزاماً للإنسان بحمل الأمانة ، وتقديراً لأن العقيدة لا تكون عقيدة حتى تصدر عن اعتقاد ، والإيمان لا يكون إيماناً حتى ، ينبع من القلب والضمير عن رضى خالص وطمأنينة صادقة . يقول سبحانه وتعالى : (لا إكراه في الدين) (٤٥) . ويقول تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين) (٤٦) وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) (٤٧) ويقول سبحانه وتعالى (ما علي الرسول إلا البلاغ المبين) (٤٨) .

أما حرية الرأى والقول فقد أباحتها الشريعة الإسلامية وجعلتها حقا لكل إنسان ، بل جعلت القول واجبا على الإنسان فى كل ما يمس الأخلاق والصالح العام والنظام العام وفى كل ما تعتبره الشريعة منكراً . وذلك فى قوله تعالى : (ولتكن منكم أمة

يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(٤٩) وقوله تعالى : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وكذلك قول الرسول ﷺ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك هو أضعف الإيمان » وقوله عليه الصلاة والسلام « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » وقوله ﷺ « الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ، قال لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

وإذا كان لكل إنسان أن يقول ما يعتقد أنه الحق ويدافع بلسانه وقلمه عما يكتب أو يقال خارجا عن حدود الآداب العامة والأخلاق الفاضلة أو مخالفا لنصوص الشريعة(٥٠) .

ومن حرية الرأى والقول ما أقرته الشريعة الإسلامية من حق الجدال فى الأمور الدينية وما يتصل بها من مسائل عملية ، حيث أن الجدال ظاهرة إنسانية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات ، وحيث أن الإسلام هو دين الفطرة فقد قدر طبيعة الإنسان التى تختلف عن طبيعة الملائكة وبقية الكائنات ، فلم ينكر عليه الجدال وسمح له بأن يقول ما يشاء دون أن يكون شتاما ولا عيابا ولا قاذفا ولا كاذبا ، وأن يدعو لرأيه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجادل بالتي هى أحسن وبهذا أمر نبى الإسلام : (ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (٥١) وقال تعالى (ولا تجادلوا أهل لكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) (٥٢) .

أما الحرية المدنية « فيقصد بها كل التصرفات النابعة من شعور الإنسان بذاته وضرورة اعتراف الجماعة بشخصيته وأهليته المطلقة للتصرف وفق ما يريد » (٥٣) .

الشريعة الإسلامية أباحت هذه الحقوق بحيث يصبح الإنسان حراً فى حياته يعيش حيث يشاء ويسكن حيث يريد ، ويتنقل من مكان لآخر متى يشاء وأين يشاء ، حراً فى معاملاته وفى اختياره للمهنة التي يحبها ، يجمع المال ما يستطيع ويتصرف فيه كما ينوى ما دام كل ذلك فى صالحه وصالح المجتمع وليس فيه أذى له ولا لغيره ، وليس من حق أحد أن يقيد تلك الحرية أو يسلبها إلا إذا كان ظالما لا يعرف حقوق الآخرين ولا يعرف أصول دينه .

والله عز وجل خلق الإنسان كامل المسئولية وشرع له التكاليف الدينية ورتب عليها المثوبة والعقوبة ، على أساس إرادته الحرة وامتلاكه المطلق للاتجاه ذات اليمين أو ذات اليسار .

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) (٥٤) **(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى)** (٥٥) .

وهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية حينما أباحت الحرية المدنية فإنها كانت تهدف إلى بناء الشخصيات الإسلامية التى تشعر بذاتها وقيمتها الإنسانية بعد أن تأخذ مكانتها بين الجماعات الإسلامية بحيث يشعر كل إنسان منهم بانتمائه إليها فيخلص لها ، ويتفانى فى سبيل إنمائها وبنائها حتى تصبح خير أمة أخرجت للناس .

وأخيراً نصل إلى حرية الإرادة وهى ليست فى الواقع إلا عنصراً جوهريا من كل لا يتجزأ هو الحرية الكاملة للإنسان بمقتضى اضطلاعه بحمل الأمانة . ونحدد مفهوم الإرادة فنقول أنها لا تعنى مجرد الرغبة والميل ولا هى تقف عن التفكير والاتجاه إلى عمل ما ، إنما تكون الإرادة حين تنتقل النية إلى عمل ، ويستقر العزم عليه فى تصميم مهما تكن العوائق والموانع .وإذا كانت الرغبة تمهيداً للإرادة ، وكان العزم من لوازمها، فمن الضرورى أن نتدبر استعمال القرآن لكل من الرغبة والعزم ، لعله يضئ لنا سبيلنا إلى تدبر موقفه من الإرادة .

ويشهد التتبع الدقيق ، بأن الرغبة لم تأت إطلاقا فى القرآن الكريم مسندة أو مضافة إليه تعالى ، وإنما جاءت مادة « رغب » فى كتابه المحكم ثمانى مرات ، كلها بلا استثناء للمخلوقين لا للخالق .

وكذلك الأمر فى العزم ، لم يأت قط مضافا أو مسندا إلى الله ، ولا وصف سبحانه بأنه ذو عزم ، وإنما العزم فى كتاب الله لعباده بصيغة الفعل أو بصيغة المصدر.

والعزم فى القرآن يأتى بمعنى التصميم والنفاذ : (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) (فإذا عزمت فتوكل على الله) وهذا الاستقراء جدير بأن يلفتنا إلى ملحظ دقيق ، هو الفرق الجوهرى بين مفهوم الإرادة حين تكون من الخالق حكما وقضاء ، ومفهوم الارادة حين تكون من المخلوقين رغبة واختيارا وإدارة المخلوقين إدارة كسبية ، مصحوبة بعزم مسبق برغبة وتفكير، وليست كذلك عزما . وإرادة الله حيث لا يجوز عليه تعالى أى عمل أو صفة كسبية ، على ما هو مقرر فى علم التوحيد ... وإنما تفهم إرادة الله ، فى القرآن كله على انها حكم نافذ وقضاء مبرم ، وليست كإرادتنا عزما على أمر أو سعيا وراء مراد نصمم على أنفاذه » (٥٦)

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (٥٧) .

(إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٥٨) .

والخدمة الاجتماعية عندما تمارس العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية فإنها تعتمد اعتمادا كبيرا على تطبيق المبادئ الإسلامية وبخاصة مبدأ الحرية سواء كانت

حرية دينية أم حرية مدنية أم حرية التفكير أم حرية الرأى والقول أم حرية الإرادة ، فالحرية كل لا تتجزأ ، وحق لكل مسلم يجب أن يتمتع به ويمارسه وإذا صادفه بعض العقبات أو بعض المشكلات التى تعوق ممارسته لهذا الحق فإن الخدمة الاجتماعية تقف بجانبه وتساعده حتى يحصل على حقوقه كاملة ويستفيد منها الاستفادة المرجوة ما دامت الخدمة الاجتماعية تسعى لإنماء الشخصية وبناءها عن طريق العلاج الإسلامى .

أن الاخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية ويطبق مبادئه الإسلامية عند ما يطبق مبدأ الحرية فإنه يساعد العميل على ممارسة حقه فى حرية اتخاذ القرارات المناسبة لمصلحته ومصلحة المجتمع ويشاركه فى تحمل الجزء الأعظم من مسئولية توجيه حياته ، لأن العميل الذى يشترك فى اتخاذ القرارات التى تناسبه سوف يتحملها وينشط لتحقيقها ويجند كل طاقاته وقدراته لنجاح أى مسئولية قررها بنفسه وتحملها بدافع من نشاطه الذاتى ورغبته الشخصية ، وبذلك تظهر الرغبة فى طلب العلاج الإسلامى وتقوى العزيمة ويتم التعاون المشترك بين الأخصائى الاجتماعى الإسلامى والعميل بعد أن نشطت إرادته وتحررت .

والعلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية لن ينجح ويؤتى ثماره المطلوبة إلا بتعاون العميل بجدية وإيجابية دون أى ضغط أو إكراه ، لأنه مطالب باستغلال نشاطه الذاتى فى توجيه أمور حياته ومطالب بالاشتراك فى اتخاذ القرارات المناسبة التى يتقرر بها مصيره .

والأخصائى الاجتماعى عندما يطبق مبدأ الحرية ويساعد العملاء على ممارسته ، فإنه يعرف جيدا أن الشريعة الإسلامية أباحت هذا الحق للإنسان العاقل الناضج ذو الأهلية الذى يستطيع استغلال تلك الحرية لما فيه صالحه وصالح المجتمع ، وحتى العميل الناضج ذو الأهلية فإنه لا يمنح حقه فى ممارسة الحرية بصورة مطلقة بل تقيد تلك الحرية حتى تصبح حرية اجتماعية وليست حرية مطلقة وهذه القيود التى تقيد بها حرية العملاء تتمثل أولا فى قيود المجتمع الإسلامى الذى يعيش فيه وتتمثل فى أخلاقياته وقوانينه وعاداته التى أقرتها الشريعة الإسلامية.

ولكى يطبق الأخصائى الاجتماعى الإسلامى مبدأ الحرية بما يساعد العميل على الاستفادة من ممارسته حرية تقرير مصيره بالصورة التى أباحتها الشريعة الإسلامية فلا بد أن يكون فى حالة نفسية حسنة تسمح له بالتفكير السليم فيما يتخذه من قرارات وما يتحمله من مسئوليات حتى ينجح العلاج الإسلامى فى تحقيق أهدافه ، والأخصائى الاجتماعى الإسلامى يعرف جيدا أن العميل عندما يلجأ إليه طالبا العون والمساعدة ما لجأ إليه إلا بعد أن أصبح عاجزا عن اتخاذ القرارات السليمة وغير قادر على تحمل المسئولية لأنه يقع تحت الضغوط الداخلية المتمثلة فيما يعانيه من مخاوف وقلق وتوترات نفسيه ناتجة عن تلك الضغوط وكانت السبب فى تعطيل تفكيره وتقييد إرادته وشل عزيمته بحيث لم يعد يعرف ما يرغبه ، فكيف يمارس حقه فى الحرية وهو فى مثل هذه الحالة السيئة .

المبدأ الخامس : الإخاء

إن من يدرس الدين الإسلامي يتأكد تماماً أن قوة الإسلام وعظمته جاءت نتيجة حتمية لتطبيق مبادئه الإنسانية ، تلك المبادئ التي نادى بها الإسلام منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة ، وسبق المدنية الحديثة والأمم المتحضرة في النداء بها ، وقد رأينا في الصفحات السابقة كيف نادى الإسلام بمبدأ المساواة ومبدأ الحرية وكيف مارس الرسول ﷺ تلك المبادئ وطبقها بنفسه وكيف تبعه أصحابه واستمروا في ممارستها، وسنرى الآن في الصفحات التالية مبدأ آخر من أهم المبادئ الإسلامية وهو مبدأ الإخاء الذي أكدته الشريعة الإسلامية حتى صارت روح الإسلام روح مساواة وحرية وإخاء .

إن الإسلام دين الإخاء كما كان دين الحرية والمساواة فالمسلم أخو المسلم ، يفرح لفرحه ، ويحزن لحزنه ويشاركه شعوره ، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويقول رسول الله ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وبذلك يحث الرسول ﷺ أتباعه وأصحابه ليضع كل منهم نفسه موضع غيره دائما. ويعامله المعاملة الحسنة التي يحب أن يعامل بها ، وكان هو ﷺ أول من فعل ذلك وأول من طبق هذا المبدأ ، بل كان يؤكد قيمته حتى آخر حياته كما قال في خطبة الوداع ، « أيها الناس ، إنما المؤمنون أخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه . فلا ترجعن بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى – كتاب الله – أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى » .

وكما رأينا قبل ذلك كيف مارس الرسول ﷺ بنفسه المبادئ الأخرى وكيف ترجمها من قول إلى عمل ، سنرى الآن كيف مارس مبدأ الإخاء وذلك « عندما آخى بين المهاجرين والأنصار وحالف بينهم في دار أنس بن مالك ، كما أخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف ، حتى قال سعد لعبد الرحمن ، خذ شطر مالي واختر إحدى زوجتي حتى أطلقها وتنكحها » فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في مالك وأهلك دلوني على السوق . وكما آخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء وهذا كله في الصحيح ..[٥٩] « كما كان الرسول ﷺ هو وعلى بن أبي طالب أخوين . وكان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين ، وكان أبو بكر وخارجة بن زيد أخوين .وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجي أخوين . وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين – الذين كثر عددهم بيثرب ، بعد أن تلاحق إليها سائر من كان منهم بمكة في أعقاب هجرة الرسول إياها – مع واحد من الأنصار إخاء جعل له الرسول حكم إخاء الدم والنسب . وبهذه المؤاخاة ازدادت وحدة المسلمين توكيدا » .[٦٠] .

وهكذا يعلن الإسلام الأخوة مبدأ وينادى بها فريضة ترتقى إلى درجة العقيدة وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه (**إنما المؤمنون أخوة**) ويقول سبحانه وتعالى : (**يا أيها**

الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ويعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الأخوة بين البشر مع أركان العقيدة الإسلامية الصحيحة فكان يقول فى دبر صلاته « اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه أنا أشهد أنك الله وحدك لا شريك لك ، اللهم ربنا ورب كل شئ أنا أشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة».(٦١) وقال ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه(٦٢) ولا يظلمه ، والذى نفسى بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

إن مبدأ الإخاء الذى مارسه الرسول الكريم ﷺ لم يؤاخ بين أحرار المسلمين فقط، بل « إنه عليه الصلاة والسلام شد عرا الأخوة بين الموالى والعبيد أيضا ، فقال ﷺ إخوانكم خولكم .(٦٣) جعلهم الله تحت أيديكم » وشدد كل التشديد على كل من يحاول تحقير أخيه المسلم ، فقال : « كل المسلم على المسلم حرام : ما له وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم وقال ﷺ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة « قال الله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) الآية .(٦٤). وفى ذلك تأكيد من الله سبحانه وتعالى للأخوة الإسلامية الصادقة التى تمنع الغيبة بمعناها الذى حدده الرسول ﷺ بأنها « ذكرك أخاك بما يكره » قيل وإن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته » .(٦٥) وزاد فى التشديد والوعيد فى هذا الأمر ، حتى قال عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليزنى فيتوب الله عليه . وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه » .

وفى سبيل تقوية الأخوة الإسلامية وتدعيمها « حرم الإسلام كل التحريم إثارة الحقد والبغضاء والصراع بين الناس وأوجب التدخل بكل طاقة ممكنة لوقف الخصومة وطرد شيطان العداوة وزرع الحب بدل البغض ، وإحلال الوئام بدل الخصام والسلام محل النزاع » (٦٦) ، يقول الله فى كتابه الكريم : (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ويقول سبحانه وتعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) ويقول : (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ولذلك عدلت الخدمة الاجتماعية مسيرتها وعدلت أساليبها الفنية وعرفت مكانتها على الطريق السليم طريق الشريعة الإسلامية لأنه الطريق الوحيد المناسب للبناء والإنماء ، وفى سبيل هذا التعديل جعلت من المبادئ الإسلامية مبادئا لها ومن العلاج الإسلامى أسلوبا فنيا لممارستها بحيث تصبح الخدمة الاجتماعية الإسلامية قادرة على تحمل مسئولياتها فى بناء المجتمعات وإنماء الشخصيات ، وهكذا تنجح فى ممارسة أدوارها الإسلامية فى بناء وإنماء المجتمع الإسلامى .

وكما مارس الأخصائى الاجتماعى المبادئ الإسلامية السابق ذكرها يمارس مبدأ الإخاء ويعتمد عليه فى بناء علاقة متينة قوية مع عملائه تساعده وتمكنه من التأثير فيهم بحيث يصبح قادرا على تغييرهم ، وخصوصاً وأن العملاء الذين يلجأون إليه طالبين مساعدته ، أو الذين يتقدم هو لمساعدتهم حتى لو لم يطلبوا منه المساعدة ، مروا بخبرات سيئة مع الناس الذين تعاملوا معهم فلم يتذوقوا طعم الأخوة الإسلامية ولم يلمسوا قيمتها الإنسانية ولذلك أصبحوا مشحونين بشحنة كبيرة من المشاعر السلبية التى جعلتهم ينفرون من الناس وينظرون إليهم كأعداء يكرهونهم لا كإخوان يحبونهم .

ولذلك يتقدم الأخصائى لمساعدتهم كإنسان يحبهم وأخ لهم فى الإسلام يتفانى فى سبيل مساعدتهم مضحيا بوقته وجهده لإسعادهم ، فيعاملهم المعاملة الطيبة التى لم يتعودوا عليها مع الآخرين ويحترم كرامتهم التى طغى عليها الآخرون ، ويقدس قيمتهم الإنسانية التى تحيى فيهم الشعور بالذات ، وتعيد إليهم الثقة فى الناس ، بعد أن وجدوا بجانبهم أخاً يشاركهم أفراحهم ، وأتراحهم ، ولا يبغى من وراء ذلك منفعة شخصية ولا ينتظر منهم جزاءً أو شكورا، لأنه يطبق المبادئ الإسلامية التى تجعله مثالا طيبا وقدوة حسنة ، كما كان الرسول ﷺ مع أتباعه ممارسا لتلك المبادئ ومطبقا لها ، فقرب بين القلوب المتنافرة ، ووحد بين النفوس المتحاربة وجعل منهم قوة متماسكة متعاونة تتكاتف للبناء وتتعاون للإنماء .

وعندما يمارس الأخصائى الاجتماعى مبدأ الإخاء ويثبت لعملائه قيمة الأخوة الإسلامية بالقول والفعل سيحترمه العملاء ويثقون فيه ويقعون تحت تأثيره وعندئذ تكون الفرصة المناسبة للتأثير عليهم وتغييرهم فيجعلهم قادرون على تعميم حبهم له وثقتهم فيه إلى بقية الناس الذين سيتعاملون معهم وعندها سينظرون إليهم نظرة جديدة ، ملؤها الحب والمودة الإخاء بحيث يصبح الجميع أخوة متحابين وأفراداً متعاونين فتقوى شبكة العلاقات فى نسيج المجتمع ، ويصبح كل فرد منهم متحمساً لتحمل مسئولياته وقادراً على أداء أدواره بنجاح وتوافق .

إن الأخوة الإسلامية كمبدأ إسلامى عظيم يستغله الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى ليشبع حاجة عملائه إلى التقدير من خلال تشجيعهم وتقديرهم أثناء تفاعلهم معه . وبعد مساعدتهم على النجاح فى تحمل المسئوليات التى يسندها إليهم مراعياً تدرجها ومناسبتها لقدراتهم وإمكانياتهم ، كما يستغل هذا المبدأ ليشبع حاجتهم إلى الانتماء عن طريق انتمائهم للجماعات التى يكونها خصيصاً لذلك والتى يصمم لها الأنشطة المختلفة التى تساعده على تحقيق أهدافه . كما يستغل الاخصائى مبدأ الإخاء ليشبع من خلاله حاجة العملاء إلى الحب فكل منهم فى حاجة إلى أن يحب ويحب وذلك عن طريق حبه لهم وحبهم له بالإضافة إلى تبادل الحب بين أعضاء الجماعات المختلفة التى يكونها الأخصائى لإشباع تلك الحاجات .

المبدأ السادس : الحب

الحب هو الذى يبنى المجتمعات ، ويزرع الثقة ، ويدفع للعطاء ويجعل الناس يتعاطفون مع الآخرين ويحبونهم بعد أن يجعلهم يحسون بقيمتهم وقيمة الناس من حولهم، وإذا تحاب الناس وتآلفوا تكونت بينهم علاقة المحبة الأخوية ، علاقة الاحترام والحب والثقة ، تلك العلاقة التى يعتمد عليها العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية فى تغيير الناس والتأثير فيهم بهدف تعديل سلوكهم وإنماء شخصياتهم حتى يصبحوا أقوياء متضامنين وأخوة متحابين .

لذلك احتفى الإسلام بروابط الصداقة النقية ووشائج الحب الصادق ، وطالب بالحرص عليها لله وفى الله ، وجعله إحدى خصال ثلاث يدرك بها المسلم حلاوة الإيمان ولذلك ، قال ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » (٦٧) وهذا ثواب الله وأجره فى الآخرة للمتحابين » (٦٨) .

يقول الله تعالى فى الحديث القدسى : « المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى»

وقال ﷺ « إن من عباد الله ناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ، قالوا يا رسول الله فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، والله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٦٩) .

« ولذا يرى ابن تيمية أن من شروط الإيمان التحاب والتواد ، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، والمحبة والمودة التى بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبهم لله تعالى ، فإن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله . فالحب لله من كمال التوحيد ، والحب مع الله شرك ، قال تعالى : (**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والذين آمنو أشد حباً لله**) ومن أحب الله أحبه الله ، ومن ود الله وده الله فعلم أن الله أحبهم ودهم بعد التوبة كما أحبوه ودوه . بل يدل كل من الكتاب والسنة على أن الله يحب التوابين ويفرح بتوبة التائبين » (٧٠) .

إن المجتمع المتحاب بروح الله الملتقى على شعائر الإسلام ، يعتمد فى بنائه على المحبة الصادقة والمودة المخلصة ، فهى أقوى الدعامات التى يرتفع عليها بنيانه ، وقد رأينا كيف كانت أواصر المحبة فى الله هى التى جمعت أبناء الإسلام أول مرة . وأقامت دولته ، ورفعت رايته ، وعليها إعتمد رسول الله فى تأسيس أمة قوية كانت خير أمة أخرجت للناس .

إن محبة المسلم الصادقة ومودته المخلصة لإخوانه فى الإسلام ما هى إلا دليل على محبة الله ومودته ، لأن الله إذا أحب عبداً من عباده جعله محبوباً من كل الناس ومحبا لهم .

« ومحبة الله هى الغاية القصوى وهى من الدرجات العلى وما عداها من الشوق والأنس والرضا تابع للمحبة ... قال الله تعالى : (**والذين آمنوا أشد حباً لله**)(٧١) وقال تعالى : (**يحبهم ويحبونه**) (٧٢) وفى الحديث الشريف « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه من أهله وما له والناس أجمعين** » .

وهذ هو الحب الذى أباحته الشريعة الإسلامية وأقرته كمبدأ مهم من المبادئ الإسلامية التى يعتمد عليها العلاج الإسلامى لمواجهة المشكلات الاجتماعية . حيث أن تلك المبادئ الإسلامية وعلي رأسها مبدأ الحب هدفها البناء والنماء للأفراد والمجتمعات بما يحقق سعادة الدنيا والآخرة .

إن الشريعة الإسلامية عندما أقرت الحب كمبدأ إسلامي مهم إنما كانت تهدف إلى تدعيم العلاقات الإنسانية وتقوية أواصر المحبة والمودة بين كل الناس لينهض المجتمع الإسلامي ويرتفع بناؤه معتمداً فى ذلك على أسس متينة ودعامات قوية هى تلك المبادئ الإنسانية التى تهتم بالإنسان وقيمته . والتى جعلت هدفها الرئيسى إنماءه وبناء شخصيته.

وحيث أن الخدمة الإجتماعية تسعى لتحقيق هذا الهدف فقد أمنت بتلك المبادئ الإسلامية واعترفت بقيمتها وأهميتها ، بل وجعلت تلك المبادئ مبادئاً لها وصارت تمارسها وتطبقها ، وبذلك تنجح فى تحقيق أهدافها ، ولكى تنجح فى تحقيق أهدافها فقد جعلت أسلوبها فى العلاج أسلوباً استمدته من كتاب الله الكريم ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتجهت بكل إمكانياتها إلى ممارسة العلاج الإسلامى لحل المشكلات الاجتماعية التى تعوق إنماء وبناء الشخصية .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية قد جندت كل إمكانياتها لتصبح قادرة ومؤثرة ، وأصبح لها باع طويل فى هذا التغيير حيث أن هدفها الأول هو تغيير الإنسان حتى يمكن بناؤه وإنماؤه ، ولن يتغير الإنسان إلا إذا كانت هناك وسيلة قوية فعالة مؤثرة تساعد على هذا التغيير، ووسيلة الخدمة الاجتماعية الإسلامية هى الحب .

وعندما مارس الرسول ﷺ مبدأ الحب لم يميز أحداً عن الآخر بل تساووا جميعاً أمامه ، فقيرهم كغنيهم ، ومريضهم كصحيحهم ، ورئيسهم كمرءوسهم لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى ، كما آخى بينهم جميعاً حتي صارت رابطة الأخوة فى الإسلام أقوى من أخوة الدم، وجعلهم جميعاً أحرار كرماء أعزاء ، وبذلك انتشر الحب

وملأ القلوب ، والتف الجميع حول الرسول المحبوب ، وتغير الناس من الجاهلية إلى الإسلام ، وخرجوا من الظلمات إلى النور ، وظهرت خير أمة أخرجت للناس ، لواؤهم الإسلام ، وشعارهم الحب والسلام ، وقدوتهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد كان يحب الجميع حباً خالصاً لله وفى الله وكانوا جميعاً يحبونه حباً خالصاً لله وفى الله حتى صارت رابطة الإيمان أقوى من رابطة النسب.

والخدمة الاجتماعية الإسلامية التى بدأت تمارس العلاج الإسلامى وتعتمد علي تلك المبادئ الإسلامية فى ممارستها أخذت على عاتقها نشر هذا الحب والدعوة إليه اقتداء بالرسول ﷺ فقد كان الأخصائى الاجتماعى الأول الذى طبق هذه المبادئ واعتمد فى علاج المشكلات الاجتماعية جميعا على مبدأ الحب حيث كان يعتبر هذا المبدأ دعامة قوية من دعامات العلاج الإسلامى .

والأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية ويطبق مبادئه الإسلامية يقتدى برسول الله ﷺ فيظهر مشاعر الحب الصادق والمودة الخالصة لعملائه الذين يحضرون إليه طالبين عونه ومساعدته ، فهو يقابلهم بالبشاشة والترحاب محترما لهم ، محافظا على كرامتهم مبديا الرغبة الصادقة فى مساعدتهم وعندئذ يمتص مشاعرهم السلبية التى نتجت مما عانوه من ضغوط داخلية وخارجية وعندها يشعرون بالراحة والطمأنينة ويبدأون فى مبادلته مشاعر الحب والود وتنمو الثقة وتبدأ علاقة المحبة الأخوية فى الظهور ، ويحرص الأخصائى الاجتماعى على تقويتها وتدعيمها .

إن علاقة المحبة الأخوية التى نادى بها الإسلام ، هى التى يبينها الأخصائى الاجتماعى على المحبة والثقة والاحترام المتبادل ، لأنها ستكون وسيلته للتغيير ، وهى التى ستمده بالقدرة على التأثير .

وعندما تربط علاقة المحبة والمودة بين الأخصائى الاجتماعى والعميل سيثق فيه ويصبح واقعاً تحت تأثيره ، يطيعه إن أمر ويأخذ بمشورته ويقتنع بكلامه وعندئذ يصبح قابلا للتغيير وعندها يبدأ الأخصائى الاجتماعى فى تغييره . إن كان سلبياً يعيد إليه إيجابيته ، وإن كان حزيناً يعيد إليه ابتسامته ، وإن كان يائساً يعيد إليه الأمل ، وإن كان خائفاً يعيد إليه الأمن وإن كان قلقاً متوتراً يعيد إليه الاستقرار والراحة النفسية .

المبدأ السابع : الإخلاص

« الإخلاص روح الدين ولباب العبادة وأساس أى داع إلى الله ... فإذا غاض هذا المعنى أو تضاءل لم يبق هنالك ما يستحق الاحترام لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ... فى أعمال الحياة المعتادة قد يكون الإخلاص شرطا لإتقانها وتجويدها وضمان ثمرتها . ولكن فى ميدان الدين لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية صالحة ، وما لم يقترن بإرادة وجه الله وحده ، والإخلاص فريضة على كل عابد ، وهو فى محرابه الخاص ، يتعامل مع ربه فحسب » (٧٣) .

« وقال سهل رحمه الله تعالى - الاخلاص هو أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى ، وقال إبراهيم بن أدهم الإخلاص هو صدق النية مع الله تعالى - وقال آخر الإخلاص فى العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضاً فى الدارين » (٧٤) .

ويقول الإمام الغزالى فى حقيقة الإخلاص « اعلم أن كل شئ يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفى عن شوبه وتخلص عنه سمى خالصاً ، ويسمى الفعل الصفى المخلص إخلاصاً (٧٥) قال الله تعالى : (**بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين**) (٧٦)

من هذه التعريفات يتضح لنا أن مبدأ الإخلاص يقصد به الإخلاص لله فى القول والإخلاص لله فى النية والإخلاص لله فى العمل .

والإخلاص فى القول والعمل هو من أسس الإيمان ، ومن مقتضيات الإسلام ، لا يقبل الله العمل إلا به ، جاء الأمر به جزما وتأكيداً فى كتاب الله عز وجل ، وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام (٧٧) .

قال الله تعالى : (**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**) (٧٨) .

وقال عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الشيخان - « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه - وفيما رواه أبو داود والنسائى: « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه »

وبذلك تؤكد الشريعة الإسلامية على كل مسلم أن يحرر النية ويقصد بها وجه الله فى كل قول وفى كل عمل يقوم به ليكون عند الله من المقبولين وعند الناس من المحبوبين والمؤثرين ... وبذلك يصبح مبدأ الإخلاص من الدعامات الأساسية للعلاج الإسلامى الذى يهدف إلى إكتساب حب الناس والتأثير فيهم ليسهل تغييرهم وتعديل سلوكهم .

وممارسة العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية عندما تعتمد فى ممارستها على مبدأ الإخلاص فإنها تهدف إلى الإخلاص فى القول والعمل بنية خالصة لوجه الله حيث

أن الممارس الإسلامى لا ينتظر أجراً علي عمله ولا يبغى جزاء أو شكورا وإنما يجد ويتعب ويضحى بجهده ووقته ابتغاء مرضاة الله وقاصدا وجهه عز وجل .

وروى عن الامام أحمد أنه قال أصول الإسلام ثلاثة أحاديث : حديث إنما الأعمال بالنيات ، وحديث عائشة من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد ، وحديث النعمان أن الحلال بين والحرام بين ، فإن الدين كله يرجع إلى فعل المأمورات وترك المحظورات والتوقف عن الشبهات وهذا كله تضمنه حديث النعمان ، وإنما يتم ذلك بأمرين أحدهما أن يكون العمل فى ظاهره على موافقة السنة وهو الذى تضمنه حديث عائشة ، والثانى أن يكون العمل فى باطنه يقصد به وجه الله وهو الذى تضمنه حديث عمر إنما الأعمال بالنيات ، فحديث عمر ميزان الأعمال الباطنة وحديث عائشة ميزان الأعمال الظاهرة ، وقال الفضيل فى قول الله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه وقال أن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا وصوابا قال والخالص إذا كان لله عز وجل والصواب إذا كان على السنة وقد دل على كلام الفضيل قوله تعالى : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ونخلص إلى أن العمل الصالح ما كان خالصا لله متابعا للرسول صلي الله عليه وسلم » (٧٩).

والطريقة التى يتحصل بها العبد على الإخلاص فى عمله ، هى كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة ، بحيث يغلب ذلك على القلب ، فعندها يتيسر الإخلاص . لأنه لا يرى أمامه إلا الله تعالى وما سواه فهو باطل ، فيخلص وتخلص أعماله ، فكم من أعمال يتعب فيها العبد ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا ، لأنه لا يرى طريق الآفة فيها .

فطريق الإخلاص شاق وصعب يحتاج إلى نتقية القلب ، وتطهير النفس ، ونقاء الضمير ، بحيث يعمل الإنسان لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداء والقليل من يتنبه لذلك وهو من وفقه الله تعالى ولذلك فإن تطبيق هذا المبدأ الإسلامى المهم يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها بحيث يصبح الإنسان شديد النقد والمراقبة لها ، وبذلك يصير من عباد الله المخلصين.

وهكذا نرى أن ممارسة مبدأ الإخلاص يؤدى إلى فضائل كثيرة منها : حسن العقيدة وحسن العمل وحسن النية وحسن الجزاء .

ولذلك اتخذت الخدمة الاجتماعية من العلاج الإسلامى منهجا لها ومن المبادئ الإسلامية مبادئاً لها حيث أنها مبادئ إنسانية أوجدتها الشريعة الإسلامية لرفاهية المجتمعات وسعادة الإنسان إن المجتمعات الإسلامية اليوم أصبحت فى مسيس الحاجة

لتلك المبادئ بعد أن اضطربت المجتمعات وكثرت فيها المشكلات التى هددت سعادة الإنسان وأضعفت جوانب شخصيته سواء كانت نفسية أو عقلية أو جسمية أو اجتماعية حتى صار عاجزا عن التوافق فى المجتمع بعد أن عجز عن أداء أدواره الاجتماعية .

ولهذا السبب ظهرت الخدمة الاجتماعية الإسلامية كنظام اجتماعى مستحدث يساعد النظم الأخرى ويساندها ، ويتساند تلك الأنظمة وظيفيا وتكاملها بنائيا يرتفع صرح المجتمع الإسلامى ويشتد بنيانه بعد أن انصهرت لبناته فى بوتقة العلاج الإسلامى وتم إعادة تشكيلها عن طريق ممارسة المبادئ الإسلامية التى تنتج أمتن اللبنات وأقوى الشخصيات .

وفى سبيل هذ ا الهدف العظيم يمارس الأخصائى الاجتماعى الإسلامى مبدأ الإخلاص ويبدأ بتطبيقه على نفسه أو لا قبل أن يطبقه على الآخرين ، لأن فاقد الشئ لا يعطيه ، وعندما يبدأ بتطبيقه فإنه يروض نفسه على المجاهدة ، ويظهر قلبه بالإيمان ويخلص لله وحده فى القول والنية والعمل وبذلك يكون مخلصا لله ، يعبده حق العبادة ، فيلتزم بأوامره ويبتعد عن نواهيه ، فتسمو روحه وتصفو نفسه ويتسع قلبه لحب الناس، فيحبهم ويحبونه ، ويحترمهم ويحترمونه ، ويثق بهم ويثقون به وتتكون العلاقة الأخوية الجياشة بالحب الصادق ، حب الإنسان المسلم لأخيه الإنسان ، ذلك الحب النقى المخلص الذى يبغى من ورائه وجه الله وحده ، وعندئذ يهب لمساعدته عندما يطلب المساعدة ويسارع لنجدته عندما تواجهه المشكلات ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه وهذا يكون الإخلاص لله والإخلاص لطاعته وعبادته .

وعندما يخلص الأخصائى الاجتماعى لربه ويحرص على مرضاته فسوف يخلص بالتالى لمجتمعه الإسلامى ، ويسعى جاهداً إلى إنمائه ، مضحيا بكل وقته وجهده فى سبيل البناء والإنماء ، مستعينا بمبادئه الإسلامية لإنماء الشخصيات الإسلامية وتقويتها ، وبالعلاج الإسلامى فى بناء المجتمعات وتعلية بنائها ، وعندما يعلو مجتمع المحبة الإسلامية ، وتتوثق رابطة العلاقة الأخوية ستنجح الخدمة الاجتماعية فى تحقيق أهدافها .

وبعد أن يطبق الأخصائى الاجتماعى مبدأ الإخلاص على نفسه ينتقل إلى ممارسته وتطبيقه على عملائه بحيث يعلمهم الإخلاص عن طريق التقمص والامتصاص بعد أن يصبح القدوة الصالحة والمثال الطيب ، فيقتدون به ويتقمصون صفاته ، لأنه مخلص القول والنية والعمل ، والتعليم عن طريق الامتصاص والتقمص أكبر تأثيرا من أى أسلوب آخر .

إن العميل عندما يأتى للأخصائى الاجتماعى طالبا العون والمساعدة لا يأتى إليه إلا بعد أن تعقدت مشاكله وإزدادت الضغوط المحيطة به داخليا وخارجيا وأصبح عاجزاً عن مواجهتها ، وكيف يواجهها وقد اضطربت شخصيته وتعطل تفكيره وساءت نفسيته ، إنه فى هذه الحالة يحتاج فعلا لمساعدة صادقة مخلصة تفتح أمامة طريق الأمل بعد أن ارتطم بجدران اليأس ، والأخصائى الاجتماعى المسلم هو القادر على تقديم تلك المساعدة المخلصة التى يسعد بأدائها دون أن ينتظر من ورائها جزاء أو شكورا ، لأنه يبغى وجه الله وحده ولا يبغى سواه فلا عجب إذن أن ضحى بكل وقته وجهده فى سبيل إسعاد الآخرين ؛ بل يؤثرهم على نفسه التى لا يتأخر فى التضحية بها هى الأخرى فى سبيل اكتساب رضا الله والفوز بمحبته .

المبدأ الثامن : العدل

« ... لقد اختلف أهل العلم فى تفسير العدل ، فقيل : العدل لا إله إلا الله وقيل العدل الفرض ، وقيل العدل استواء العلانية والسريرة، وقيل العدل الإنصاف ، والأولى تفسير العدل بالمعنى اللغوى وهو التوسط بين طرفى الإفراط والتفريط ، فمعنى أمره سبحانه بالعدل أن يكون عباده فى الدين على حالة متوسطة ، ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم فى الدين ، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشئ مما هو بالدين » (٨٠) .

« أما المفكرون فينظرون إلى العدل - باعتباره فضيلة يؤدى بها كل ذى حق حقه دون أن يظلم أو يظلم - نظرات مختلفة باختلاف مشاربهم ، وضروب ثقافاتهم ، وصبغة بيئاتهم ، وألوان تربيتهم وطرائق سلوكهم في الحياة فمن غلب عليه جانب من جوانب الحياة ، وصبغت بيئته بلون ذلك الجانب رأى أن العدل هو تحقيق المساواة فى هذا الجانب ، فالذى يسود بيئته ومجتمعه الذى يحيا بين أفراده الحياة المادية ، يري أن هذه المادية هى مجال العدل الذى يصبح فى نظر هؤلاء الماديين عملية حسابية تقوم على أساسها النظم الاقتصادية التى تعطيك لتأخذ منك ، وتأخذ منك لتعطيك ، دون نظر إلى قيم أخرى وراء ذلك .

والذى يسود بيئته ومجتمعه جانب الفكر والروح يرى أن العدل فى هذا الجانب مقامه ومثواه ، فلا ينبغى أن تتغلب فكرة على فكرة ، ولا مذهب على مذهب ، بأمر خارج عن حقيقته ، ويجب أن تتاح لكل فكرة أو مذهب فرصة البيان الحر عن ذات نفسه حتي تعرف صلاحيته إن كان صالحاً للبقاء ، أو ينكشف زيفه فيذهب مع الذاهبين » (٨١) .

والذى تسيطر عليه سياسة الأمم وقيادة الشعوب يرى أن العدل فضيلة الولاة والحكام والقادة من أصحاب السلطان وحماة القانون ، لا يشاركهم فيها أحد غيرهم لأنهم رعاة الناس وقادتهم الذين يسوسونهم بسلطان القانون ، يردون الحق إلى أهله ويأخذون من القوى إلى الضعيف ، ومن القادر للعاجز ، فلا تظلم نفس شيئا فى دائرة سلطانهم .

والذى تشغله الحياة الاجتماعية يرى أن العدل يقوم على تحديد علاقات عناصر المجتمع تحديداً يرفع التمييز بين الأفراد والجماعات ويحقق المساواة بينهم في كل شأن من شئون المجتمع وهكذا . وهكذا حتى حبس كل فريق فضيلة العدل فى مجاله الخاص لا يراها إلا هناك » (٨٢) .

أما الإسلام فقد نظر إلى العدل نظرة عامة شاملة كان لها أكبر الأثر فى توجيهه التشريع العام الذى ينظم كافة العلاقات والمعاملات الإنسانية ، ولم تقف نظرة الإسلام

للعدل عند حياة الناس ، ولكنها اشتملت الكون كله ، انظر قول الله سبحانه وتعالى : (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق) (٨٣) .

وقد نص القرآن على تكليف المؤمنين بأن يكونوا قائمين بالعدل بين الناس مع صرف النظر عن جميع الاعتبارت التى تحد من سلطانه ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولي بهما فلا تتبعوا الهوي أن تعدلوا . وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) (٨٤) .

وقد كثرت في القرآن آيات الحث على العدل حتى جاء فيه (٨٥) : (ولا يجر منكم شنآن قوم علي ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون(٨٦) وقال تعالى : (إن الله يأمر كم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . إن الله نعما يعظكم به ،إن الله كان سميعاً بصيراً) (٨٧) .

وبالعدل والنظام قامت السماوات والأرض ، ومبدأ القرآن فيما يتعلق بالنظام الاجتماعى دائر على محور إقامة العدل ، وحسن تدبير الشئون فى سياسة الخلق . «ومن هنا جعل الله العدل واسطة حبات العقد ، الذى كون به لرسوله منهج الدعوة الإصلاحية ، التى حملها إياه ، إنقاذاً للبشرية من ظلمات الجهل والبغى والعدوان (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير) (٨٨) .

وضع الله العدل هكذا ، وجعل إقراره بين الناس هو الهدف من بعث الرسل وإنزال الشرائع والأحكام (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (٨٩) ولقد نرى فى ذكر الحديد هنا ، إيحاء قويا واضحاً ، إلى أن إقرار العدل فيما بين الناس ، واجب إلهى محتم ، للقائمين به أن يستعينوا عليه باستعمال القوة .

لقدجاء الإسلام بفكرة العدل وحقق وجودها كمبدأ تأسيسى منظم للفضيلة الخلقية بمعني العدالة المعروف منذ الأزل ، والمحقق لاتزان الكون وانسجامه بأوضح ما يكون عليه الأتزان وبأدق ما يتم فيه الإنسجام (٩٠) قال سبحانه وتعالى : (فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم)(٩١) وقال تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (٩٢) ، وتوسعا فى إظهار معنى فكرة العدالة هذه بأوضح الصور عمد الإسلام إلى قرن معنى العدل بالحث على عمل الخير المتضمن لكل

ما أمر الله به . والنهى عن الشر المتضمن لكل ما نهى الله عنه بالإضافة إلى المعانى السابقة التى تضمنها مبدأ العدل .

إن مبدأ العدل كما جاءت به الشريعة الإسلامية يأمر المسلمين جميعاً بالعدل المطلق حتى على النفس أو الوالدين أو الأقربين « وهم مطالبون بهذا العدل المطلق فى العلاقات الفردية ، والعلاقات الدولية علي السواء ، وهم مطالبون به قضائيا وقانونيا وسياسيا واجتماعيا ، بغير تفرقة بين الأفرد أو الفئات أو الطبقات أو الأديان ، أو الأجناس أو الألوان أو اللغات ، أو الأغنياء أو الفقراء أو الأصدقاء أو الأعداء ، إنه العدل المطلق»(٩٣) .

ومن هنا كان العدل أصلا من أعظم أصول التشريع فى الإسلام ، بل هو أصل الأصول فى الإسلام فأينما تحقق العدل كان التشريع الإسلامي معه « فالعدل فى الإسلام هو الميزان الذى تعتمد عليه السياسة التشريعية في هذا الدين القيم ، تلك السياسة التي تقصد إلى تحقيق ما يصلح الحياة ويرقيها وينمى الشعور بحب الخير والحق فى قلوب الأفراد والجماعات ، ويجعل من الأمة وحدة متعاونة على البر والتقوى ، متكافلة فى مصالحها » (٩٤).

هذا هو العدل كما جاء فى القرآن ، أما فى السنة الشريفة فقد مارسه الرسول ﷺ أحسن ما تكون الممارسة ، وبدأ بتطبيقه على نفسه وأهل بيته قبل أن يطبقه على أصحابه وأتباعه ، وقصة المرأة المخزومية خير دليل على عدله « عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب الرسول ﷺ فكلمه أسامة. فقال رسول الله ﷺ أتشفع فى حد من حدود الله تعالي . ثم قام فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم . أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». (متفق عليه) وفى رواية : « فتلون وجه رسول الله ، فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ فقال أسامة استغفر لى يا رسول الله . قال : ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها »(٩٥) .

أما مع أهله وقومه فقد طبق عليهم مبدأ العدل عندما نزل عليه قول الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٩٦) ناداهم بطنا بعد بطن ، فقال : يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغنى عنكم من الله شيئا – يا بنى عبد مناف ، لا أغنى عنكم من الله شيئا – يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئا . يا صفية عمة رسول الله ، لا أغنى عنك من الله شيئا . يا فاطمة بنت محمد ، سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً (٩٧) .

أن الرسول ﷺ مارس العدل وعلمه لأصحابه وأهل بيته كما مارسه وعلمه لأتباعه من المسلمين حتى يمارسوه بدورهم في جميع معاملاتهم .

قال النعمان بن بشير : أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة ، لا أرضى حتى تشهد رسول الله ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله ، فقال الرسول : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال النعمان : لا ، قال الرسول : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، فرجع أبي فرد عطيته (٩٨)

ولم يكتف الرسولﷺ بتطبيق هذا المبدأ الإسلامي العظيم مع أهله وأصحابه ، وأتباعه من المسلمين فحسب بل تعداه إلى ممارسته مع أعدائه من اليهود . فقد وجد من خيار أصحابه قتيلا بين اليهود – هو عبد الله بن سهل الأنصاري – فلم يجر على اليهود في تقدير الدية ، ولم يزد على الحق والعدل ، بل طلب ديته مائة ناقة ، كما كان العرب يفعلون ، في الوقت الذي كان أصحابه في حاجة إلى بعير واحد يتقون به (٩٩) .

ولقد استقى النبي العدل من التربية الإلهية والأخلاق القرآنية التي أعدته ليحمل مشعل الإنارة لظلمات الدنيا ، وصار مبدأ العدل من المبادئ الإسلامية التي صارت راسخة القواعد ، ثابتة الأصول تخدم الذات البشرية وترأف بها أنى كان وضعها بل حتي ولو كانت من غير أهل الإيمان .

وإذا كانت الأخلاق القرآنية والتربية الإلهية أعطت لمبدأ العدل كل هذا الاهتمام أليس هذا دليلا كافيا على قيمته الإنسانية ؟ إن المبادئ الاسلامية كلها بصفة عامة ومبدأ العدل بصفة خاصة تهدف إلى بناء الشخصية الإسلامية وإنمائها ، وبنموها ينمو المجتمع ويرتفع بناؤه .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية تسعى لتحقيق نفس الهدف ولذلك جعلت من تلك المبادئ مبادئا لها ومن العلاج الإسلامي منهجا لها – ولذلك تعد جيلا من الأخصائيين الاجتماعيين المؤمنين لممارسة العلاج الإسلامي للمشكلات الاجتماعية ، حتى يمارسوا الخدمة الاجتماعية الإسلامية عن اقتناع كامل وعقيدة قوية راسخة لأنها مهنة شاقة تحتاج إلى صبر ومثابرة . لأن الممارس لهذه المهنة السامية يعرف جيداً أنه لابد أن يكون مثالا صالحا وقدوة طيبة .

إن الأخصائي الاجتماعي الذي يمارس العلاج الإسلامي يبدأ بممارسة المبادئ الإسلامية وتطبيقها على نفسه أولا ثم بعد ذلك يطبقها على عملائه حتى يشعروا بأن هذه المبادئ ليست شعارات ترفع وليست كلاما يقال ولكنها أسلوب يمارس بحيث يصبح التأثير قويا والإقتناع كاملاً وعندها يسهل التعديل ويتم التغيير وتنجح الأهداف المأمولة للعلاج الإسلامي .

وعندما يمارس مبدأ العدل بين العملاء جميعاً ويتقبلهم كما خلقهم الله لا كما يجب أن يكونوا بحيث لا يكون هناك تفرقة من أي نوع ، فكل العملاء متساوون فى إنسانيتهم التى يقدرها الأخصائى الاجتماعى كل التقدير لأن القيمة الإنسانية هى أثمن شئ فى الوجود وما وجد مبدأ العدل إلا للحفاظ عليها . ولذلك نرى الأخصائى الإجتماعى يحترم العملاء ويحافظ على كرامتهم عن طريق المعاملة العادلة ، فهو لا يتسرع فى أحكامه ولا يدين عملاؤه ، وإنما يدرس بدقة ويتأنى فى الدراسة حتى تأتى أحكامه عادلة .

وممارسة مبدأ العدل تتطلب فعل الخير والمسارعة بتقديمه لمن يستحق سواء طلب من الأخصائى الاجتماعى أو تقدم به دون أن يطلب منه ما دام فى صالح الفرد وصالح المجتمع ، وعندما يمارس الأخصائى فعل الخير فإنه لا يبغى من ورائه سوى وجه الله سبحانه وتعالى ولا ينتظر غير ذلك جزاء ، ولذلك يقدمه لكل الناس دون تميز لأحد على الآخر بعد أن استبعد كل ميوله الشخصية وأهوائه الذاتية وأصبح عادلا منصفا.

ولكى يكون الأخصائى الاجتماعى عادلا منصفا فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحاول تغييره عملا يقول الرسول ﷺ « من رأى منكم منكرا فليغيره ... الحديث » وهذا ما يجعل الأخصائى الاجتماعى - عندما يتقبل الناس كما خلقهم الله ويساوى بينهم - يرفض السلوك الخاطئ ويظهر رفضه واضحا للعملاء ، وبعدها يبحث عن دوافعه وأسبابه تمهيدا لعلاجه .

وعندما يمارس الأخصائى مبدأ العدل فإنه يساعد العملاء على أن يظفر كل ذى حق بحقه ، ويؤدى كل إنسان واجباته بأمانة وعدل ، فلا يجوع إنسان ويتخم أخر ، ولا يترف فرد فى الأمة ويعيش غيره من إخوانه فى الإنسانية على الكفاف والشظف ، ولا يعان كسول على كسله ، ولا يهضم عامل من عمله .ويغبن كادح فى أجره ، ولا يحابى قريب لقرابته ، أو صديق لصداقته ، بل يجب أن يتساوى الناس فى أتاحة الفرص للعمل ثم يجزى كل عامل على عمله وجهده ، وما يقدم للحياة من منفعة تعود عليه وعلى المجتمع .

كما يجب على الأخصائى الاجتماعى ألا يتحيز لفكرة علي أخرى حتى لوكانت فكرته ، كما لا يتحيز لديانة على أخرى حتى لو كانت ضد ديانته ، ولا يتحيز لجنس على حساب الجنس الآخر .. بل يجب عليه أن يكون منصفا أمنا صادقا ، يزن كل شئ بميزان العدل الذى لا يخطئ.

كما يجب أن يكون مؤمنا صادقا بدون إفراط أو تفريط ، فلا يكون متشددا متزمتا (فلا رهبانية فى الإسلام) ولا يكون متساهلا لينا بما يضعف إشراقة الروح ، بحيث

يكون لا صلبا فيكسر ولا لينا فيعصر ، لأ ن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة إنسانية تتطلب تحقيق العدل بين جسمه وروحه ، فميزان العدل يبغى شخصية متزنة متكاملة .

كما يجب على الأخصائى الاجتماعى وهو يمارس مبدأ العدل أن يسعى إلى تدعيم العلاقات الاجتماعية التى تربط بين الأفراد والجماعات برباط المحبة الأخوية فيسود التعاون والعدل والمساواة ، فلايشعر فرد بأنه مغبون فى نيل حقوقه لعقيدة ، أو لون ، أو مذهب ، أو فكرة ، ولا تشعر جماعة في الأمة بالظلم يقع عليها من أجل دين أو فكرة أو مذهب ، ولا يسمح لفرد أو جماعة أن يقصر فى أداء واجباته نحو المجتمع الذى ينتمى إليه ، فالعدل أخذ وعطاء ويسر وعناء ، وإذا ساد العدل فى أى مجتمع فستصبح تربته صالحة للنماء وستنمو فيه الحرية والإخاء والمساواة ، وعندها يصبح العدل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء .

المبدأ التاسع : مكارم الأخلاق

إذا حسنت الأخلاق ، وظهرت الأنواق ؛ وصلحت الأنفس ، وتعودت على المبادئ الإسلامية الحقة ، وصارت لها مبدأ وعقيدة تمارس بالقول والعمل ؛ كان أصحابها قدوة لمن يسمع قولهم ويطيع أمرهم .

وقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق ؛ فتلا قوله تعالى : **(خذ العفو ، وأمر بالعرف ؛ وأعرض عن الجاهلين)** (١٠٠) . ثم قال ﷺ « هو أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك » .

كما عرفه الحسن قائلا : « حسن الخلق : بسط الوجه ، وبذل الندى ، وكشف الأذى» وقال على رضى الله عنه : « حسن الخلق فى ثلاث خصال : اجتناب المحارم ، وطلب الحلال ، والتوسعة على العيال » وقال الواسطى : « هو إرضاء الخلق فى السراء والضراء.

لقد بلغ من أهمية هذا المبدأ الإسلامى العظيم أن الرسول ﷺ كان يقول فى دعائه: « اللهم كما حسنت خلقى ، اللهم جنبنى منكرات الأخلاق ، اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت » (١٠١) هذا هو دعاء الرسول ﷺ الذى اصطفاه ربه وكرمه ، وتعهده فى طفولته وشبابه إلى أن اختاره ليكون مبشرا ونذيرا ، فرباه أشرف تربية وأدبه أحسن تأديب وقال فيه تعالى : **(وانك لعلي خلق عظيم)** « وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم وقال إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » .. وفى حديث أبى ذر الذى رواه الترمذى وصححه ، " وخالق الناس بخلق حسن " وعن إبن عمر مرفوعا سئل رسول الله ﷺ أى المؤمنين أفضل قال : أحسنهم خلقاً ورواه ابن ماجه ، قال الحسن البصرى : حقيقة حسن الخلق ، بذل المعروف ، وكف الأذى واحتماله ، وطلاقة الوجه ، رواه الترمذى » (١٠٢)

« وللرسول ﷺ فى هذا أحاديث كثيرة ، منها قوله :

« إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وقوله : « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم بالليل الظامى بالهواجر » وقوله : « من سعادة المرء حسن الخلق وقوله : أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق « وقوله : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق » (١٠٣) .

وكما اهتمت الشريعة الإسلامية كل هذا الاهتمام بمبدأ مكارم الأخلاق فقد نهت عن سوء الخلق ونفردت منه ، وكما كان الرسول ﷺ شغوفا بمكارم الأخلاق فقد فهم من

بعض أحاديثه أن سوء الخلق يمحق الحسنات ، ويبطل الطاعات ، فقد قيل له : أن فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وهى سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها ، فقال لا خير فيها ، هى من أهل النار وقال : « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وقال إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم (١٠٤) .

ومن حسن الخلق أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وتكرم ضيفك ، وتكرم جارك ، وتقول خيراأو تصمت ، وتصبر على الأذى ، قال ﷺ ، أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقاً . إن الشريعة الإسلامية نصت على الأخلاق الكريمة كمبدأ من أهم المبادئ الإسلامية وأعطته كل هذا الاهتمام لأنها تدرك جيدا أن الأخلاق الكريمة عليها مدار الأمور كلها ، فأى أمر فى الحياة لا يصاحبه حسن الخلق سوف لا يكون مقبولا ولا نافعا .. وأي عمل جاء مع الخلق الكريم كان موصلا للغاية محققا لأهدافه مقبولا عند تطبيقه وتنفيذه .. وأى أمة توافر لها حسن الخلق فى أفرادها كانت أمة متماسكة مترابطة تسودها المحبة والوئام .. متفرغة للبناء والنماء والرخاء .

والخدمة الاجتماعية الإسلامية تهدف من وراء تطبيق المبادئ الإسلامية إلى تحقيق أهداف العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية عن طريق تقوية الشخصية وإنمائها وعندئذ يصبح الإنسان قادراً على أداء أدواره الاجتماعية وقادراً على التوافق فى المجتمع .

ومكارم الأخلاق من أهم المبادئ التى تساعد على تحقيق هذه الأهداف فعندما يقابل الأخصائى الاجتماعى العميل الذى يحضر إليه طالبا العون والمساعدة - بالبشاشة والترحاب فإنه يدخل السرور على نفسه ويشعره بالراحة والطمأنينة لان الوجه البشوش المبتسم يساعد على ذلك ، وكذلك المقابلة التى تتصف بالترحاب والاهتمام تشعر العميل بصدق مشاعر المودة والمحبة التى هو فى مسيس الحاجة إليها بعد أن صارت المشكلة التى يعاني منها تسبب له الكثير من المشاعر السلبية والتى يحرص الأخصائى الإجتماعى كل الحرص على تخليصه منها وإمتصاصها .

ومن مكارم الأخلاق الصبر واحتمال الأذى ، ومهنة الخدمة الاجتماعية مهنة شاقة ومتعبة لمن يخلص لها ويمارسها بأمانة وصدق لانه سيبذل فيها كل جهده ويضحى فيها بكل وقته ويرهق فيها جسمياً وصحياً ونفسياً فى بعض الأحيان ، لأنه سيقابل العديد من العملاء مختلفى الطباع والبيئات ، فمنهم من يعامله بجفاء ومنهم من يتطاول عليه بسب أو أذى والأخصائى الاجتماعى محتمل لكل ذلك وصابر عليه لأنه يعرف دوافع سلوك العميل ويقدر ظروفه الصعبة ويقدر ما يعانيه من ضغوط داخلية وضغوط خارجية قد يحتملها أحيانا وقد لا يحتملها أحياناً كثيرة وعندها تفلت أعصابه فتجعله يعامل الأخصائى بمثل هذه المعاملة السيئة.

والأخصائى الاجتماعى – الذى يمارس العلاج الإسلامى ويطبق مبادئه – من دم ولحم كبقية البشر ، وينفعل ويثور وقد يعانى من بعض الضغوط هو الآخر ولكن مبادئه الإسلامية وعلى رأسها مبدأ الأخلاق الكريمة تتطلب منه الحلم والصبر وتحمل الأذى ولذلك نجده يتحكم فى مشاعره ولا يقابل ثورة العملاء بثورته ولا يقابل ضيقهم وتذمرهم بضيقه وتذمره . بل نراه على العكس من ذلك بشوش الوجه هاشا فى كلامه حليما فى تصرفاتاه وعندئذ ينجح فى امتصاص مشاعرهم السلبية ويخلصهم من ضيقهم وتوتراتهم فيشعرون بالراحة ويحسون الأمن والطمأنينة .

ولو لم يلتمس الأخصائى الاجتماعى لعملائه العذر ، ولو لم يقدر مشاعرهم لوجدناه يتحامل عليهم ويقسو عليهم فى المعاملة وهذا يتنافى مع مبدأ مكارم الأخلاق الذى يتطلب منه اللين فى المعاملة وكف الأذى عن الناس بصفة عامة وعن عملائه بصفة خاصة ، وذلك أقتداء برسول اللهﷺ الذى قال له ربه سبحانه وتعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

ولذلك عندما يمارس الأخصائى مبدأ مكارم الأخلاق تجده حريصاً على أن يكون لبقا فى كلامه ولينا فى تعامله صادقا فى كل ما يقول ويفعل ، لا يعطى لأحد وعداً إلا إذا كان قادرا على تنفيذه ، ولا يتكلم كثيرا فخير الكلام ما قل ودل ، وخصوصاً وأن طبيعة عمله تتطلب منه أن يسمع أكثر مما يتكلم ، حتى يستطيع دراسة الموقف بعمق ووعى وبعدها ينجح فى تشخيصه وعلاجه . وليس معنى قلة كلام الأخصائى الاجتماعى التعالى والتكبر على عملائه ، بل المقصود من ذلك عدم الثرثرة وعدم التدخل فيما لا يعنيه ، لأن مكارم الأخلاق تتطلب منه العمل الكثير بدلا من كثرة الكلام ، ولذلك نراه يتفانى فى عمله ويضحى فى سبيله بكل مرتخص وغال، وبالإضافة إلى أنه يعمل بما يعرف ، فهو يعمل بممارسة المبادئ الإسلامية ويعمل بممارسة أساليب العلاج الإسلامى الذاتية والبيئية ، فثمرة العلم هى العمل ، ولا فائدة من علم لا يستفاد منه ولا يعمل به .

وعندما يمارس الأخصائى الاجتماعى مبدأ مكارم الأخلاق فإنه يحب كل الناس ويتفانى فى خدمتهم ويحب لهم ما يحبه لنفسه حبا لله وفى الله لا يبغى من ورائه جزاء أو شكورا ، وعندئذ ينجح فى تكوين علاقة المحبة الأخوية التى يعتمد عليها العلاج الإسلامى فى تغيير الأفراد وتعديل سلوكهم – وبخاصة مع العملاء الذين حرموا من الحب ولم يتذوقوا طعم المودة والحنان نتيجة الخبرات السيئة التى مروا بها مع من تعاملوا معهم في مراحل العمر المختلفة مما ترتب عليه الكثير من مشاعر الكراهية والعداء للناس وللمجتمع .

المبدأ العاشر : التقوى

قال الله سبحانه وتعالى (**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ..**) وقال تعالى : (**يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ..**) وقال تعالى : (**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ..**) وقال : (**إن الله يحب المتقين**) .

إن الله يأمر نا – فى هذه الآيات – بتحصيل التقوى لأنها الصورة العملية الراشدة للعقيدة ، يدين بها الإنسان .

والتقوى كمبدأ إسلامى مهم ، حركة دافعة ثائرة على الفساد والظلم ، تفتح أمام الإنسان باب الترقي وتصعد به إلى مجالات الكمال ، وتغزو به مواطن العزة والسيادة . إنها ليست حركة ضعيفة باهتة ، ترضى بالضعف والذل والتواكل والخنوع ، هى مد زاحف ومواكبة جادة لمعالى الأمور وعظائم الشئون ، لأن التقوى سلاح عزة ، وطريق فلاح ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله » وقال وهب بن منبه الإيمان عريان ولباسه التقوى ، وقال لقمان لابنه يا بنى اتخذ تقوى الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة ، التقوى امتثال الأوامر واجتناب المناهى ، والورع ترك ما يخشى ضرره فى الآخرة ، وقد قرن الله التقوى مع الصلاة فى مواضع من كتابه ، وتكون التقوى فى الظاهره والباطن ، ففى الظاهر تقوى العين غضبها عن الحرام وحفظها عما لا تؤمن عاقبتة ، وتقوى اللسان حفظه عن فضول الكلام ، والمتقى ينظر فى الكلام قبل النطق به ويترك ما لا فائدة فيه (١٠٥).

والتقوى فى الأصل – ومثلها الاتقاء – هى اتخاذ الوقاية وهى حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره ، ومنه قوله تعالى : (**فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا**) . ولأن التقوى فيها معنى الوقاية قال الإمام على رضى الله عنه : « كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ » أى جعلناه وقاية لنا من العدو على الشدة ، وكذلك جاء فى الحديث : « *من عصى الله لم تقه من الله واقية* » ، والتقوى فى الشرع : جعل النفس فى وقاية من عذاب الله تعالى وغضبه باتباع أوامره ولزوم طاعته وتجنب معصيته ، والأصل فى التقوى أن يجعل الإنسان بينه وبين ما يخشاه من ربه تقية ، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات .

« وليس الإيمان مجرد تصديق بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث فقط ، وإنما هو فوق ذلك التزام بأوامر الله ، وانتهاء عن حرمات الله ، وخوف من حدود الله وحرص على صون حرمات الناس وحمايتها من الاعتداء عليها ، وليعلم الناس أن فى اتقاء المحارم سعادة ما بعدها سعادة وقرب من الله إلى أبعد الحدود فمن اتقى المحارم كان أعبد الناس » (١٠٦) .

وموجبات التقوي ستة عشر (١٠٧)

الهدى ، لقوله تعالى : (هدى للمتقين)

والنصرة ، لقوله تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا) .

والولاية ، لقولة تعالى : (والله ولى المتقين).

والمحبة ، لقوله تعالى : (إن الله يحب المتقين).

ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، لقوله تعالى : (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) .

والمخرج من الغم وجلب الرزق ، لقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

وتيسير الأمور ، لقوله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)

وغفران الذنوب وإعظام الأجور ، لقوله تعالى : (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) .

وقبول الأعمال ، لقوله تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين) .

والفلاح ، لقوله تعالى : (واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

والبشري ، لقوله تعالي : (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) .

ودخول الجنة ، لقوله تعالى. (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) .

والنجاة من النار ، لقوله تعالى : (ثم ننجي الذين اتقوا ، ونذر الظالمين فيها جثيا) والفوز بحدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وكأسا دهاقا ، لقوله تعالى : (إن للمتقين مفازا) ونفى السوء والحزن ، لقوله تعالى : (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) .

ودرجات التقوى خمسة : أن يتقى العبد الكفر وذلك مقام الإسلام .

وأن يتقى المعاصى والحرمات وهومقام التوبة .

وأن يتقى الشبهات وهو مقام الورع .

وأن يتقى المباحات وهو مقام الزهد .

وأن يتقى حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة .

كذلك فإن هذا المبدأ الإسلامى العظيم يحتاج إلى الصبر ، لأن المسلم التقى يحتاج إلى جرعات وجرعات من الصبر الحازم ، والعزم الصارم ، حتى يتخطى العقبات الكأداء ، ويعبر جسور المشقات ، ليحظى بعد ذلك بالراحة الكبرى ، راحة الأنس بالله

والاحتماء به ، والحياة فى كنفه ، ولن تتم تلك الراحة الكبرى إلا على جسر من التعب وجرعة كبيرة من الصبر .

وإذا نظرنا إلى أهداف الخدمة الاجتماعية لرأينا نفس المبادئ ونفس الأهداف ولذلك صححت مسيرتها وعدلت من أساليبها الفنية وعادت إلى أصولها لتظهر من جديد كخدمة اجتماعية إسلامية تمارس العلاج الإسلامى كما جاء فى القرآن وكما وضحته السنة النبوية الشريفة وكما ذكره السلف الصالح معتمدة فى تحقيق أهدافها العلاجية على تلك المجموعة السامية العظيمة من المبادئ الإسلامية التى صارت مبادئا لها ، تعتمد عليه كركيزة قوية راسخة تساعدها على النجاح فى ممارسة العلاج الإسلامى لمواجهة المشكلات الاجتماعية .

ولذلك فان الأخصائى الاجتماعى الإسلامى عندما يجعل من التقوى مبدأ أساسيا من مبادئه ويبدأ فى ممارسته فإنه يتطلع بأنظاره إلى الرسول الكريم ﷺ كأسوة عظيمة وقدوة صالحة يسير على منوالها ، فقد كان الرسول ﷺ أول من مارس العلاج الإسلامى وأول من طبق مبادئه وبذلك مهد الطريق ووضع عليه الأضواء الكاشفة ليسير فى نورها ويهتدى بها كل من يريد أن يعالج المشكلات الاجتماعية بشتى صورها وبجميع أنواعها ، فالعلاج الإسلامى كما تعلمناه من الرسول ﷺ كفيل بمواجهة كل هذه المشكلات وقدير على علاجها .

والأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى عندما يطبق مبدأ التقوى فإنه يحرص على التزام بأوامر الله ويعمل على مرضاته فى كل سلوكه وتصرفاته وينتهى عن محرماته ويبتعد عن كل ما يغضبه ، ويطرز قلبه بالإيمان حتى يعرف الله بصفاته ، ويراقبه فى كل حال ويخاف منه ويرجوه ، ويرغب فيما عنده ، ويرهب مما لديه ، ويعتمد عليه فى كل الأمور .

وعندما يمارس العلاج الإسلامى ويطبق مبادئه مع عملائه الذين يأتون إليه طالبين عونه ومساعدته يحرص علي صون حرماتهم وخصوصاً وأنه بحكم عمله سيطلع على الكثير من أسرارهم وسيعرف المكنون من صفاتهم وسماتهم الشخصية وسيأتمنوه على أنفسهم وبيوتهم ، ولذلك يلزمه مبدأ التقوى بالأمانة الكاملة حتى يثقوا به ويطمئنوا إليه، ومن التقوى أيضا أن يكون صادقا معهم كل الصدق ، فلا يقول الإصدقا، ولا يعد إلا بما هو قادر على تنفيذه ، وكما يمارس تقوى اللسان يمارس أيضا تقوى العين فيغض بصره عن الحرام ويحفظه عمالا تؤمن عاقبته ، ولا يسعى إلى أى عمل إلا إذا تأكد من أنه يرضى الله كما يحب عملاءه حبا خالصا لله وفى الله ، وعندما يحبهم سيخلص فى مساعدتهم وسيضحى بكل جهده ووقته فى سبيل علاج مشكلاتهم وإسعادهم ، ولن يستطيع الأخصائى الاجتماعى الوصول إلى هذه الدرجة العظيمة من الإخلاص إلا إذا قوي إيمانه ، وازداد يقينه ؛ ورسخت خشيته من الله ، واشتدت مراقبته له .

ومن يطبق مبدأ التقوى لا بد أن يكون حليما ، فيتقبل الناس بعيوبهم ولا يضيق بهم مهما كان سلوكهم ، فيقدر مشاعرهم ويتعاطف معهم ، وعندما يعفو عن أخطائهم وهو قادر على الانتقام بما فى يده من سلطة ويصبر على مضايقاتهم ، ويتسامح عما يصدر منهم ، سيشعرون بمدى حبه الخالص ، ومدى حرصه على مساعدتهم وسعيه إلى إسعادهم ، عندها سيقتنعون به مثلا طيبا يحتذى به ، وقدوة صالحة يتأثرون بها، فيطيعون أوامره وينفذون مشورته ويتبعون إرشاداته وتوجيهاته ويصبح قادرا على تغييرهم.

كما أن مبدأ التقوى يتطلب من الأخصائى الاجتماعى أن يكون صابرا ومزودا بجرعة كبيرة من الصبر ، لأن مسئولية العلاج الإسلامى مسئولية كبيرة وممارسته عملية شاقة ومتعبة لأنها تهدف إلى تغيير الإنسان هو ليس بالأمر الهين اليسير ، ولن يستطيع الأخصائى الاجتماعى ممارسة الصبر وتحمل مشقته إلا إذا اتقى الله حق اتقاته وعمل بقول الرسول ﷺ : « من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله » وبتقوى الله يكمل إيمانه ويقينه ويثبت عمليا خوفه من الله ومراقبته ، ويصدق فعلا فى حب الله وترك كل شئ من أجله حتى لا يراه حيث نهاه .

وصدق الله سبحانه وتعالى فى قوله : (**ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**) .

المراجع

(١) سيد قطب العدالة الاجتماعية فى الإسلام .

(٢) سورة آل عمران : (١٥٩) .

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية : السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية .

(٤) سورة الشورى . (٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨) .

(٥) الإمام الشوكانى - نيل الأوطار . مرجع ما سبق ذكره ص ٣٢٠.

(٦) أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى . سراج الملوك ص ١٣٢ .

(٧) محمد الغزالى . خلق المسلم ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ ص ٣٦٤ .

(٨) سورة الزمر : ٩ .

(٩) سورة المجادلة : ١١ .

(١٠) سورة طه : ١١٤ .

(١١) سورة العنكبوت : ٤٣ .

(١٢) سورة الأعراف : ٥٢ .

(١٣) سورة العنكبوت : ٤٩ .

(١٤) سورة الرحمن : ٣ .

(١٥) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول ص ٩ .

(١٦) سورة الأنبياء : ٧ .

(١٧) إحياء علوم الدين ، الجزء الأول : ص ١١ -١٢ .

(١٨) محمد عطية الإبراشى : التربية الإسلامية وفلاسفتها . مكتبة عيسى الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٥٠ .

(١٩) محمد الغزالى ، خلق المسلم ، مرجع سابق ذكره ،ص ٢٦٩.

(٢٠) الحافظ أبى بكر البغدادى . اقتضاء العلم والعمل . نقلا عن كنوز السنة رسائل أربع تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ص ١٩٦ .

(٢١) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢٢) سورة الإسراء : ٧٠ .

(٢٣) محمد البهى : الدين والدولة ؛ مرجع سابق ذكره ص ٢٧٣ .

(٢٤) عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامى . مرجع سابق ذكره ص ٢٦ .

(٢٥) البخارى .

(٢٦) أبو داود والترمذى .

(٢٧) متفق عليه .

(٢٨) محمد فتحى عثمان : أصول الفكر السياسى الإسلامى ص ٢٦٧ .

(٢٩) البخارى .

(٣٠) محمد الغزالى : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص١٩.

(٣١) البخاري .

(٣٢) البخاري .

(٣٣) أبو داود.

(٣٤) سورة البقرة : ١٦٤ .

(٣٥) سورة سبأ : ٤٦ .

(٣٦) سورة الروم : ٨ .

(٣٧) سورة يونس : ١٠١ .

(٣٨) سورة الطارق : ٦.

(٣٩) سورة الغاشية : ١٧ .

(٤٠) عائشة عبد الرحمن : مقال فى الإنسان ، دراسة قرآنية : دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ,٩٣.

(٤١) محمد فتحى عثمان ، من أصول الفكر السياسى الإسلامى - مرجع سابق ص٢٣٣ .

(٤٢) عائشة عبد الرحمن : مقال فى الإنتنان . دراسة قرآنية ، مرجع سابق . ص ٧٧.

(٤٣) محمد الغزالى ، حقوق الإنسان ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٤٤) سورة الكهف : ٢٩ .

(٤٥) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٤٦) سورة يونس : ٩٩ .

(٤٧) سورة الغاشية : ٨ .

(٤٨) سورة النور : ٥٤ .

(٤٩) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٥٠) عبد القادر عودة : التشريع الجنائي الإسلامي . مرجع سابق ص ٣٢ .
(٥١) سورة النحل : ١٢٥ .
(٥٢) سورة العنكبوت : ٤٦ .
(٥٣) محمد الغزالي : حقوق الإنسان . مرجع سابق ص ١٠٦ .
(٥٤) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(٥٥) سورة النجم : ٣٩ – ٤١ .
(٥٦) عائشة عبد الرحمن : مقال في الإنسان . مرجع سابق . ص ١٠٨ – ١١٠ .
(٥٧) سورة يس : ٨٢ .
(٥٨) سورة النحل : ٤٠ .
(٥٩) محمود علي قراعة : الأخلاق في الإسلام ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ٦٣ ، ص ١٣٩ .
(٦٠) محمد حسين هيكل : حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق ص ٢٢٣ .
(٦١) رواه أحمد من حديث زيد بن أرقم .
(٦٢) يسلمه : يتركه للحوادث من غير مساعدة .
(٦٣) خولكم : حشمكم وخدمكم .
(٦٤) محمد المثل الكامل : نفس المرجع ، ص ٣١٥ .
(٦٥) بهته : نسبت إليه مالم يفعل .
(٦٦) يوسف القرضاوي : الحل الإسلامي فريضة وضرورة . مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٦ .
(٦٧) البخاري .
(٦٨) كمال محمد عيسى : العقيدة الإسلامية : سفينة النجاة . دار الشروق ، بيروت ، ٨٠، ص ٤٩٨ .
(٦٩) أبو داود .
(٧٠) فتاوى ابن تيمية ، الجزء الثاني ص ٢٩٠ .
(٧١) سورة البقرة : ١٦٥ .
(٧٢) سورة المائدة : ٥٤ .
(٧٣) مع الله : مرجع سابق ذكره ص ١١٣ .
(٧٤) طب القلوب : مرجع سابق ذكره ص ١٨١ .

(٧٥) مختصر إحياء علوم الدين : مرجع سابق ذكره ، ص ٢٦٩ .

(٧٦) سورة النحل : ٦٦ .

(٧٧) عبد الله علوان : تربية الأولاد فى الإسلام دار السلام للطباعة والنشر بالقاهر ١٩٧٩ الجزء الثانى ص ٧٨١ .

(٧٨) سورة البينة : ٥ .

(٧٩) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة : مرجع سابق ذكره ، ص ٣١٩ .

(٨٠) الشوكانى : فتح القدير ، الجزء الثالث ، مطبعة الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ ص ١٨٨ .

(٨١) محمد الصادق عرجون : الموسوعة فى سماحة الإسلام ، المجلد الأول ، مؤسسة سجل العرب - القاهرة ص ٢٦٥ .

(٨٢) الموسوعة فى سماحة الإسلام : نفس المرجع السابق ص ٢٦٦ .

(٨٣) سورة الحجر : ٨٥ .

(٨٤) سورة النساء : ١٣٥ .

(٨٥) محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم ، الأجزاء العشرة الأولى ، دار الشروق الطبعة السابعة ، ١٩٧٤، ٢٠٦ .

(٨٦) سورة المائدة : ٨ .

(٨٧) سورة النساء : ٥٨ .

(٨٨) سورة الشورى : ١٥ .

(٨٩) سورة الحديد : ٢٥ .

(٩٠) مؤيد الكيلانى : كيف أنتشر الإسلام ، دار الكتاب العربى ، بيروت ص ٦٥ .

(٩١) سورة النحل : ٩٠ .

(٩٢) سورة الشورى : ١٤، ١٥ .

(٩٣) الإسلام وحقوق الإنسان : مرجع سابق ذكره ص ٦١٧ .

(٩٤) الموسوعة فى سماحة الإسلام : مرجع سابق ذكره . ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٩٥) رياض الصالحين (باب تحريم الشفاعة فى الحدود) ص ٧١ ، ٥٧٢ .

(٩٦) سورة الشعراء : ٢١٤ .

(٩٧) عبد الله الشرقاوى : فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى لصحيح البخارى - مطبعة مصطفى الحلبى ، ١٣٢٩ هـ - جـ ٢ ص ٢٥٠ .

(٩٨) فتح المبدى . مرجع سابق ذكره ص ٣٢٩ .

(٩٩) إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ جـ ٢ .

(١٠٠) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(١٠١) شرح الزرقانى على المواهب المدنية : الجزء الرابع ص ٢٤٤ .

(١٠٢) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة ، مرجع سابق ذكره ص ٢٥٩ .

(١٠٣) الشيخ علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندى : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيد آباد ، ١٣١٢ هـ ، جـ ٢ ص ٣ .

(١٠٤) إحياء علوم الدين ، الجزء الثالث ، ص ٤٣ .

(١٠٥) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٦٠ .

(١٠٦) دراسات فى السنة النبوية الشريفة ، مرجع سابق ذكره ، ص ٣١١ .

(١٠٧) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة ، نفس المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

الرعاية الاجتماعية فى الإسلام

د. مصطفى أحمد محمّد حسّان

مقدمة :

تعتبر الرعاية الاجتماعية بمثابة تلك النشاطات التى تقوم بها الدولة أو منظمات غير حكومية لتأدية خدمات لمواطنين يحتاجون إليها ، وتتميز الرعاية الاجتماعية الحكومية بالذات بأنها تؤدى فى ظل سياسة قوميه وخطة عامة بغرض توفير خدمات أساسيه للمواطنين كافه كالتزام من جانب الدول إزاء مواطنيها (١) .

ويمكن القول أن الرعاية الاجتماعية إحدى النظم الاجتماعية التى نشأت مع المجتمع الإنسانى وتطورت بتطوره ، وهى تؤدى وظائف لاغنى عنها لحياة الناس فى المجتمع شأنها فى ذلك شأن النظم الاجتماعية الأخرى ، وهى فى نفس الوقت ترتبط مع سائر النظم بشبكة من العلاقات التى تشكل معالم البناء الاجتماعى (٢) .

ومنذ ظهور الحضارات على وجه الأرض ظهرت أشكال من الرعاية الاجتماعية ارتبطت بنوعية هذه الحضارة وأسلوب الحياة فيها ، كما ازداد تطور الرعاية الاجتماعية بظهور الأديان السماوية ويعزى جلبرت وسبكت نشوء الرعاية الاجتماعية تاريخيا إلى أن الأنظمة الاجتماعية وبصفه أساسية الاسرة والدين كانت تقوم بإمداد العون كوظيفه ثانويه لها (٣) .

ولما كان الدين الاسلامى خاتم الأديان فى خط التطور الذى جاءت به الديانات السماوية لتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس لذلك قام على تأكيد قواعد العدالة والتعاون والاخاء والمساواة بين الناس ومصدرا لتهذيب السلوك وتقويم الأخلاق وتحقيق خيرية المعادلة ، وإقامة قواعد الحق والعدل فى محيط الجماعة ومقاومة الفساد والفوضى والربط بين قلوب أفراد المجتمع الواحد برباط المحبة والتراحم والبر والتعاون والاحترام المتبادل ، وإلى هذا المعنى يشير الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول (المؤمن الف مألف ولاخير فمن لايؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس) .

لذلك كان التعامل الإنسانى فى الإسلام يقوم على الأخوه والحب الأكيد والاحترام المتبادل دون النظر إلى فوارق اللون أو الجنس أو اللغة أو الحدود الجغرافية .

ولقد أقام الإسلام المجتمع الإسلامى على مجموعه من المقومات جعلت الرعاية الاجتماعية تطبيقا فعليا لكل معطيات الدين الإسلامى ، ويمكن أن نشير باختصار إلى هذه المقومات حتى يتبين لنا الارتباط بين الرعاية الاجتماعية والدين الإسلامى وأثر ذلك على المجتمع الإسلامى .

(١) الأخلاق والقيم العليا:

وهى فى الإسلام تنبثق عن العقيدة فلا تمليها المصلحه ولاتسيرها المنفعه فالإسلام دعا إلى الصدق والبر والعدل وأداء الواجب والحلم والحياء ورعاية الحوار وصدق

اللسان وكظم الغيظ وعمل المعروف وضيافه الفقراء واغاثة الملهوف وعيادة المريض والتصدق على المحتاجين .. الخ .

ومن النصوص الجامعه للقواعد الأخلاقية قول الله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال علي حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (آية ١٧٧ - البقرة) . وقول الله تعالى ﴿ لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف وإصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ (آية ١١٤ النساء) .

(٢) الأنظمة التي تنظم علاقات الأفراد :

وتشمل الأنظمة التجارية والاقتصادية والمعاملات وأنظمة الأسره والقضاء والوصايا والميراث والنفقات وأنظمة الحكم والسياسة وغيرها .

(٣) تنفيذ هذه الأنظمه ومباشرة تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي :

قال تعالى ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (آية ٦٥ النساء) .

(٤) العبادات والأعراف السلبيه التي لاتتناقض مع العقيده والتعاليم الإسلاميه :

أبعاد الرعاية الاجتماعية في الإسلام

أولا : تنبع هذه الرعاية من تعاليم الدين الإسلامى والتى تقوم على القرآن والسنة وبالتالى فهى تقوم على مجموعة من التشريعات نذكر منها [٤]

١ - تشريع المساعدة وهو يشمل المدين والغارم واليتامى والقاتل الخطأ والمنقطع فى بلد غير بلده يسمى ابن السبيل .

٢ - تشريع الجوار قال تعالى : ﴿ اعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم ﴾ (آية ٣٦ النساء) .

٣ - تشريع الماعون ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾ (آية ٤ - ٧ الماعون) .

٤ - تشريع المشاركه وذلك عندما تحين المواسم الزراعيه قال تعالى : ﴿ كلوا من ثمره اذا اثمر واتو حقه يوم حصاده ﴾ (آية ١٤١ الانعام) .

٥ – تشريع الضيافه : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » قالوا ما جائزته يارسول الله قال يومه وليلته والضيافه ثلاثه أيام فيما كان وراء ذلك فهو صدقه . وفى رواية لمسلم « لايحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولاشيئ له يقربه به » رواه البخارى ومسلم .

٦ – تشريع الإعفاف : ﴿ وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (ايه ٣٢ النور) .

٧ – تشريعات الإسعاف فى حالات الجوع والعطش والمنهكه .

« أى رجل مات ضياعا بين أغنياء فقد برئت منهم ذمه الله ورسوله » .

٨ – تشريعات الطوارئ ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾ (آية ٤١ التوبه) كما قال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام «من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » رواه مسلم .

٩ – تشريعات الإعانات العائليه كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد . فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أتاه فى قسمه يومه فأعطى الأهل حظين وأعطى الأعزب حظا واحدا ، وكان عمو رضى له عنه يفرض لكل مولود عطاء يزاد إلى عطاء ابيه (مائة درهم) يزاد كلما نما الولد .

ثانيا : التشريعات المالية اللازمه لتنفيذ الرعايه الاجتماعية :

١ – تشريع الزكاه : وهى تؤخذ بنسبه محدودة من النقدين (الذهب والفضة) وعروض التجارة والزروع والثمار وكل مايستنبت من الارض ، وتصرف لفئات معينة على انها فريضة من الله تؤخذ منهم ويحاربون عليها إذا امتنعوا عن أدائها [٥] قال تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ (التوبة ١٠٣) .

والأصل أن الدولة هى التى تجبى الزكاة وتوصلها إلى المستحقين ولايجوز صرفها لغير أهل الاستحقاق وللدولة ان تنظم جبايتها وتوزيعها بما يكفل إيصالها إلى الفقراء وسائر المستحقين ، الزكاة ضمان اجتماعى عام للفقراء [٦] .

فعلى مستوى الدولة يمثل الضمان الاجتماعى الزكاة ، التى هى الركن الثالث في الإسلام وتقرن دائما بالصلاة وتقرن دائما بالصلاة وهى تصرف لكل فرد يعيش في المجتمع الإسلامى أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته حد الكفاية لا حد الكفاف بحيث إذا لم تسعفه ظروفه الخاصة كمرض او شيخوخه أو تعطل عن العمل من تحقيق هذا

المستوى اللائق للمعيشة والذى يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان تكفلت بذلك الدولة عن طريق مؤسسة الزكاة .

إن هذه الزكاة لم تكن مجرد مئونة وقتية لسد حاجه عاجلة للفقير وتخفيف شئ من بؤسه ، ثم تركه بعد ذلك لأنياب الفقر والفاقة ، بل كان هدفها القضاء على الفقر ، وإعفاء الفقراء إعفاء دائما يستأصل شأفة العوز من حياتهم ، ويقدرهم على أن ينهضوا وحدهم بعبء المعيشة وذلك لأنها فريضة دورية دائمة الموارد ومهمتها أن تيسر للفقير قواما من عيش لا لقيمات أو دريهمات (٨) .

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير العاجز بل إعطاء فرصة العلم للقادر عليه ، فكثيرا ما أعطى الفقير ما يمكن أن تسميه برأس مال ليبدأ تجارة فينميها أو يشتر آلات لصناعة يعرفها (٩) .

وهنا يجب الإشارة أن الزكاة فرضت كأساس ضرورى لمعالجة خطر التمزق كأقل مايجب أن يوجد فى صندوق الدولة للرعاية الاجتماعية الأولية وبذلك لم يغط بالزكاة كل صنوف الرعاية وكل ضروب الحاجة فى سبيل تقوية الأمة معنويا وماديا ، ووكل إلى الإحسان بعدها أن يتكفل بما زاد عن هذا القدر الضرورى فى سبيل المحافظة على كيان المجتمع وبقائه عزيز الجانب (١٠) .

وليست الزكاة احسانا فرديا ، وقد بدأ ذلك واضحا في مصارفها وفى التكليف بها فلم تعتبر إحسانا شخصيا عند جمهور الفقهاء بل اعتبروها حقا ماليا كيفما كانت حال مالكه من الأهلية للتصرفات .

لذلك تعتبر الزكاة من الموارد المستمرة والدائمة لدعم الرعاية الاجتماعية طالما فى المجتمع أفرادا يعملون وينتحون ويتبقى فى حوضتهم حد النصاب .

٢ – **تشريع الوقف** : يقوم هذا التشريع تنفيذا لقول الرسول الكريم ، ففى حديث عن ابى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له » رواه مسلم .

لذلك أصبحت فى المجتمعات الإسلاميه العديد من المؤسسات وقدمت الكثير من أشكال الرعاية الاجتماعية التى أوقفت عليها الأوقاف التى كانت تدر عليها الموارد المالية بصفة مستمرة ، لذلك ازدهرت الأوقاف الإسلاميه فى كل مجتمع إسلامى حيث أوقفت هذه المؤسسات للقيام بالخدمات الصحية والتعليمية وسد حاجة العاجزين عن الكسب ومن يقصر دخلهم عن العمل عن حاجاتهم الواقعية، وتعريض الذين ضحوا فى سبيل المصلحة العامة والدفاع عن الأمة (١١) .

٣ - تشريع النفقة : حيث يقول الله تعالى ﴿ لينفق ذو سعه ﴾ (آية ٧ الطلاق) والنفقة فرض على المسلم القادر لصالح المحتاجين من ذوى قرباه لتوفير الاحتياجات الضرورية لهم .

٤ - تشريع الوصية : حيث يقول الله تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا علي المتقين ﴾ (آية ١٨٠ البقرة).

٥ - تشريع الغنائم : حيث يقول الله تعالى : ﴿ واعلموا إنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ (آية ٤١ الأنفال) .

٦ - تشريع الركاز : والركاز هو كل ماعثر عليه فى باطن الأرض جامداً كان أم مائعا كالبترول .. الخ . وفى الركاز الخمس .

٧ - تشريع النذور : حيث يقول الله تعالى ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ايه ٢٩ الحج .

٨ - تشريع الكفارات عن الذنوب والإيمان والظاهر ومخالفات الحج والصوم : قال تعالى ﴿ انا اعطيناك الكوثر ، فصلى لربك وانحر ﴾ آية (٢) الكوثر .

٩ - تشريع الأضاحي : حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « يا أيها الناس على أهل كل بيت فى كل عام أضحية » .

١٠ - تشريع صدقة الفطر : حيث فرض الرسول عليه الصلاة والسلام زكاة الفطر فى رمضان على كل مسلم .

١١ - تشريعات الخزانة العامة بالنسبه لمواردها العامه المتعددة فى الزكاة وخمس غنائم وركائز خراج الأرض وتركة من الإدارات له .

١٢ - تشريع الكفايه : إن الله فرض على أغنياء المسلمين من أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يضع أغنياءهم ، إلا وأن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما ...

ثالثا : مؤسسات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام :

من الخصائص التى تتميز بها الرعاية الاجتماعية فى الإسلام أنها تقوم فى كثير من أوجه نشاطتها على الجهود التطوعية للأفراد وكذلك على تفنيذ الكثير من هذه الأنشطه من خلال الجمعيات والمؤسسات الأهليه والحكومية التى تجعل غايتها وهدفها مساعدة الناس وتخفيف الويلات والمصائب عنهم واغاثتهم وازالة سرجهم أو تعليمهم وتثقيفهم أو إنشاء المستشفيات أو المستوصفات الطبية لهم أو توفير أسباب الراحة واللهو البرئ والرياضة أو تحقيق غايات الخير والبر والرحمة بالضعفاء أو الشيوخ أو الأرامل والمطلقات أو رعاية السجناء وهذه الجمعيات والمؤسسات تعتبر من أهم مايعمل

على تعاون المجتمع وتضامنه وتكامله (١٢) حيث يقول الله تعالى : ﴿ وتعاونوا علي البر والتقوي ولاتعانوا علي الاثم والعدوان ﴾ (الآية ٥٢ المائدة) .

لذلك زخرت المدن الإسلامية بالعديد من المؤسسات ذات الصفة الاجتماعية البحتة – كالحمامات والأسبلة والبيمارستانات – ومنها ما كان ذا صفة تجارية او دينية ولكنه احتوى نشاطا اجتماعيا ملحوظا وأدى رسالة ذات صيغة اجتماعية واضحة كالفنادق والوكالات والجوامع والمدارس ومكاتب الايتام وغيرها ويبرز الطابع الاجتماعى لهذا النوع الاخير فى إنه استهدف التقرب إلى الله تعالى بفعل الخير سواء بالعناية باليتيم والضعيف أو بالمسافر والتاجر أو بطالب العلم والمريض .. إلخ ولعل الظاهره الواضحة فى التاريخ الإسلامى هى إن هذه المؤسسات الاجتماعية استطاعت البقاء والاستمرار طويلا دون أن تتوقف عن أداء رسالتها عقب وفاة مؤسسيها ذلك أنه من الملاحظ فى كثير من حلقات التاريخ وعديد من بلاد العالم توقف المؤسسات الخيرية عن اداء رسالتها بعد فترة من الزمن بسبب وفاة مؤسسيها ونضب مواردها وعدم توفر الامكانات المادية التى تمكنها من الاستمرار في أداء الرسالة ، أما فى ظل الحضارة الإسلامية فانه قبل ان تصادفنا هذه الظاهرة وذلك بفضل نظام الأوقاف الذى ازدهر مع ازدهار هذه الحضارة .

ذلك ان مؤسسى المنشأة – حاكما كان أو ثريا من الخيرين – كما يوقف على منشأته غالبا وقف يدر عليها مورداً ثابتا يضمن لها البقاء ويكفل لها أداء رسالتها دون حاجة إلى طلب المعونة بين حين وأخر بما يحققه من خلال دخل ثابت منتظم تستعين به المؤسسة (١٣) . على قيامها بدورها بطريقه منظمة ومستمرة .

مما يدل على إن الرعاية الاجتماعية فى الإسلام تمتعت برعاية مؤسسية خلال التاريخ الإسلامى وكانت هذه المؤسسات تؤدى دورها بطريقة مستمرة ومنتظمة .

رابعا : نوعية المستفيدين من الرعاية الاجتماعية في الإسلام :

تتصف الرعاية الاجتماعية فى الإسلام بأنها رعاية شاملة فهى لاتقتصر على رعاية الإنسان بل يمتد إلى رعايه الحيوان بل تمتد إلى النبات .

حيث نرى إن الإنسان فى كافة حالاته تقدم له الرعاية فى حاله قوته وحالة ضعفه ، في حاله طفولته وشيخوخته ، وفى حاله فتوته وشبابه سواء كان ذكرا أو انثى ، طفلاً أو رجلاً مهما كان جنسه أو نوعه او دينه أو لونه مع مراعاة وقوف الرعاية الاجتماعية بشكل واضح مع الفئات الأكثر احتياجا مثل الفقراء والمساكين والمرضى والمكفوفين والمقعدين والشيوخ والمشردين واللقطاء واليتامى والأسرى .

كذلك يدخل فئه المستفيدين من الرعاية الاجتماعية فى الإسلام المدين والقاتل خطأ وابن السبيل والجار القريب والضيف علاوة على الأفراد الذين يتعرضون للكوارث والنكبات .

وهناك العديد من الحالات التى سوف نذكرها بالتفصيل عند الحديث عن مجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام .

علاوه على ذلك شملت الرعاية الاجتماعية فى الإسلام رعاية الحيوان وطلب الرفق به والتوصية بحسن معاملته ، حيث دعت الأحاديث الشريفة الى ذلك وتم تطبيق هذه الرعاية ، فهذا عمر بن الخطاب يداوى إبل الصدقه ولما قال له رجل من القوم يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك قال عمر وأى عبد هو أعبد منى « إنه من ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده فى التضمية وأداء الأمانة » (١٤) .

وقد أوقفت لرعاية الحيوان الأوقاف مثل توفير المياه لينتفع الدواب المارين والمترددين على الأسبلة من الاستفادة منه وغيرها من الأوقاف التى أوقفت على الحيوانات .

ومن ذلك نرى أن الرعايه الاجتماعيه فى الاسلام هى رعايه شامله لكل الاحياء خاصه الانسان فى كل حالاته والحيوانات والنبات ..

خامسا : دور الجهود الأهليه والحكومية فى تقديم الرعاية الاجتماعية :

تقوم الرعاية الاجتماعية فى الإسلام من خلال الجهود الأهليه وكذلك الجهود الحكومية حيث نرى أن فى القرآن الكريم والسنة المطهرة يدعو الله الناس إلى المسارعة فى الخيرات والأصل فى ذلك قول الله تعالى ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر والملائكة والنبين وآتي المال علي حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين و ابن السبيل والسائلين وفي الرقاب** ﴾ (١٧٧ البقرة) .

كما تقوم الدولة بتقديم الرعاية الاجتماعية من خلال جمع الأموال المفروضة على المسلمين ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم** ﴾ (آية ١٠٤ التوبة) .

والدوله هى التى تتولى جمع الزكاة وإنفاقها على مستحقيها علاوة على إقامة المؤسسات الاجتماعية لرعاية بعض أفرادها الذين لا يستطيعون العمل أو أعوزتهم الظروف القاسية إلى رعايه المجتمع لهم مثل رعاية الصغار واليتامى واللقطاء والمطلقات والمشردين والعجزة وغيرهم ممن سوف يتضح فى مجالات الرعاية الاجتماعية .

سادسا : التطوع والرعاية الاجتماعية في الإسلام :

يعتبر التطوع للمشاركه فى أوجه مجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام بين الخصائص المميزة لهذه الرعاية حيث يحض الإسلام على التطوع حيث يقول الله تعالى

﴿ فمن تطوع خيرا فهو خير له ﴾(آية ١٨٤ البقرة) . كما يقول سبحانه وتعالى ﴿ ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾ (آية ١٥٨ البقرة) . كما يقول سبحانه وتعالى أيضا ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آية ١٠٤ آل عمران) .

فالتطوعية بمعنى فعل الخيرات والدخول فى أنشطة إيجابية من جهه ثم الاحجام عن فعل الشرور والأعمال السلبية من جهه أخرى أمر كامل الوضوح فى صميم الإسلام » (١٥).

وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آية ١١٠ آل عمران) .

ولقد ربط الإسلام التطوع بالإيمان ويقدر مساهمه الانسان وعطائه وبذله ودرجة إيمانه عن ابى هريره رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدنها إماطه الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » متفق عليه .

ولايستصغر الإسلام العمل التطوعى مهما كان ويدعو إلى بذل الجهد الطواعى مهما كان تقدير الإنسان له ففى ذلك يقول رسول الله ﷺ « لاتحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك بوجه طليق » رواه مسلم .

واعتبر الإسلام أن كل عمل تطوعى يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى صدقه يأخذ عنها المسلم أجرا فى الاخره وفى ذلك يقول الرسول عليه الصلاه والسلام « كل معروف صدقة » رواه البخارى وعن ابى ذر جندب بن جناده رضى الله عنه قال « قلت يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال أنفسها عن أهلها وأكثر ثمنا قلت فإن لم أفعل قال تعين صانعا أو ـــــ ، قلت يارسول الله أرأيت أن صنعت عن بعض العمل ؟ قال كف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك » متفق عليه .

ومن الواجبات اليومية التى لايجوز للمسلم أن ينساها او يهملها واجبه نحو خدمة المجتمع ومساعدة أفراده على قضاء حوائجهم وتسهيل أمورهم ليكون له بذلك صدقة(١٦) .

روى الشيخان عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « على كل مسلم صدقه ، قالوا يارسول الله فإن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال يعين ذا الحاجه الملهوف قالوا فإن لم يفعل قال فليأمر بالمعروف قالوا فإن لم يفعل قال فيمسك عن الشر فإنه صدقة» متفق عليه .

هذا التطوع للعمل الاجتماعي يعتبر صدقة أو ضريبة اجتماعية مفروضة على كل مسلم فى كل يوم بل صح الحديث أنها واجبة على كل مفصل من مفاصله أو منسم من مناسمه مع اشراقة كل شمس وبهذا يصبح المسلم ينبوعاً يفيض الخير والسلام لمن حوله وماحوله .

فالإنسان المسلم لابد وأن يتطوع وأن يساهم فى رعاية مجتمعه وأن يؤدى لمجتمعه الضريبة الاجتماعية المفروضة عليه ، وهى لاتسقط عن أى فرد فى المجتمع الإسلامى سواء كان فقيرا أو غنيا ، فالغنى يبذل من ماله فى سبيل الخير والفقير يبذل من وقته ليحث الأغنياء على فعل الخير ويأمر بالمعروف ماوسعه الجهد ويعمل إن استطاع فى كل لحظة للاصلاح بين الناس . وفى ذلك يقول الله تعالى ﴿ **لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه أو معروف او إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** ﴾ (آية ١١٤ النساء) .

لذلك تقوم الرعاية الاجتماعية فى الإسلام بدورها معتمدة على الجهود التطوعية فى جزء كبير منها سواء كانتا هذه الجهود فردية ام جماعية ، مالية أم من خلال المشاركة بالجهد والعمل ولايقتصر التطوع على مجال بعينه بل قد يكون فرديا صغير العائد أو جماعيا من خلال المشاركة فى مجال من التنمية والرعاية الاجتماعية والتى قد تشتمل الإنسان والحيوان من خلال فعل الخيرات لكل المخلوقات .

سابعا : الحسبة والرعاية الاجتماعية فى الإسلام :

الحسبة واحدة من النظم الإسلامية الأساسية التى وضعتها الشريعة الإسلامية وانفردت بتطبيقها الأمه الإسلامية (١٧) .

ولقد لعبت الحسبة دورا كبيرا فى حياة المجتمع الإسلامى عبر العصور فقد وفر هذا النظام الحياة السليمة القويمه للمجتمع الإسلامى فإلى جانب نظم الرعاية الاجتماعية التى عاش فى ظلها المسلم فقد وجد الفرد نظاما آخر يرفع عنه الظلم ويحميه من الغش والتدليس من الناحية الاقتصادية ، كذلك نظاما يرفع ذوى النفوس المتردية وتوجيهها توجيهاً سليماً لها نحو جادة الصواب بدلا من التخبط فى دروب الكسب المحرم (١٨)

ولقد عرفت الحسبة بتعريفات متعددة ، فلقد عرفها الماوردى بأنها « أمر بالمعروف إذا ظهرت تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس » (١٩) .

كما عرفها الامام ابن تيميه ، هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من اختصاص الولاة والقضاة والديوان ونحوهم (٢٠) كما عرفها ابن خلدون بقوله « أما

الحسبة فهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين » (٢١) .

ومن المؤكد أن الحسبة تعدت أصولها المثالية وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى واجبات عرضيه يتفق والمصالح العامة للمسلمين .

وتحت هذه الوظيفة ينمو المجتمع الإسلامى ، وتطورت نظمه الاقتصادية وأوضاعه الاجتماعية واتسعت رقعته حتى أصبحت من أهم دعائم النظام الاقتصادى والاجتماعى فى الدول الإسلامية كما شهد بذلك المؤرخون (٢٢) نشأة الحسبة .

تضاربت أقوال المؤرخين فى نشأة الحسبة فالبعض يقول ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان أول محتسب إذ نهى عن الغش حين قال « من غشنا فليس منا » ، وورد فى صحيح مسلم « أن الرسول عليه الصلاة والسلام مر على صبرة طعام فأوصل يده بها فسالت أصابعه بللا فقال ما هذا ياصاحب الطعام ، فقال أصابته السماء يارسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ، من غشنا فليس منا » .

وتلى ذلك قيام عمر بن الخطاب فى وضع نظام الحسبة بنفسه حيث كان يطوف الشوارع والأسواق ودرته معه فإن رأى غشاشا خفقه بها مهما كان شأنه (٢٣) .

ويرى المؤرخون المحدثون والمستشرقون أن لفظ المحتسب لم يظهر فى الخلافة الاسلامية إلا فى العصر العباسى وفى عهد الخليفة المهدى بالذات (٢٤) .

ومن استعراضنا لمفهوم الحسبة وتاريخها نرى أنها قامت منذ ظهور الإسلام بدور مراقبة ومتابعة تنفيذ أوامر الله وهدى ورسوله فيما يخص برعايه شئون الناس سواء كان ذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولقد اتضح ذلك من خلال وظائف المحتسب التى ركزت على متابعة قيام النظم المختلفة فى المجتمع لدورها بحيث تناولت النظم الاجتماعية والاقتصادية والصحية والدينية فأعمال المحتسب كثيره تشمل نواحى ادبية ودينية وعمرانية وأخلاقية ولانجد فى الوقت الحاضر موظفا حكوميا أو دائرة رسمية بها سلطة شبيهه المحتسب فى بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة التى تركت هذا النظام الاجتماعى ، فإنه يشبه رئيس البلدية أو مدير الإعاشة أو مدير الشرطة القضائية أو مدير الشئون الاجتماعية وغير ذلك من الوظائف مع الفارق(٢٥) .

وظائف المحتسب :

وظيفة المحتسب فيما يتعلق بالمجال الدينى :

يمكن ذكر بعضها باختصار فى الاهتمام بالمساجد وعمارتها ونظافتها والمحافظة على الصلاة فى جماعة والتعاون مع الامام والمؤذن والواعظ وكل الأمور التى تدعم القيم الدينية .

وظيفة المحتسب فيما يتعلق بالمجال الاقتصادي :

نشأت وظيفة المحتسب فى بداية أمرها متصلة بالجانب الدينى ثم بالمجال الاقتصادى خاصة الاشراف على المكاييل والموازين ثم ازدادت اختصاصته لزيادة المشاكل الناجمة عن الصناعات والسوق . وكثرة أهل السوق وأثرهم فى الحياة العامة فى توجية الاخلاق العامة لذلك فأن وظيفة المحتسب أخذت تدريجيا تتعدى مسئولياتها إلى ضبط الأخلاق العامة والإشراف عليها (٢٦) .

كما أن للمحتسب أن يراعى الوفرة والتقصير والأمانة والخيانة والجودة والرداءة أما الوفرة فتنطبق على الأطباء والمعلمين فمن واجبه أن يتأكد من وجود هؤلاء خدمة للمجتمع (٢٧) .

وظيفة المحتسب فيما يتعلق بالمجال الاجتماعي :

يمكن تحديد هذه الوظيفة فى النص الذى أورده العلامة ابن خلدون بقوله « يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة فى المدينة ، مثل المنبع من مضايقة فى الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار فى الحمل والحكم على أهل المبانى المتداعية للسقوط بيدمها وازالة مايتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدى المعلمين فى المكاتب وغيرها فى الإبلاغ فى ضربهم لصبيان المتعلمين (٢٨) .

وظيفة المحتسب فى المجال الصحى :

اهتمت الحسبة بمراقبة ومتابعة القواعد الصحية التى تهدف إلى المحافظة على سلامة السكان ونظافة المدن وخططها وشوارعها والقيم الحالية فيها فكان المحتسب يأمر بازالة الطين من الأسواق والطرقات وشوارع المدينة إذا أكثر وإذا تراكمت الأزبال والأتربة ونحوها ، وكان المحتسب يعين من يقوم بتنظيف الشوارع ويرشها كل يوم ، وكذلك ينطبق على المرضى الذين يبيعون الأطعمة فى السوق فهو يرى أن المحافظة على الصحة العامة تقضى منعهم من ذلك (٢٩) .

ومن هذا العرض المختصر يرى المحتسب يعتبر بمثابة رقيب أو ممثل للسلطة التنفيذية فى الرقابة على مدى الالتزام على قيام الأفراد والمنظمات المختلفة فى المجال الدينى والاجتماعى والاقتصادى والصحى .

حق الفرد فى الرعاية الاجتماعية فى الإسلام

يراد بهذ الحق ان الفرد يجد ضمانا عاما من الدولة الإسلامية وهى تنظر الية وتعرف مكانه وتحس بعجزه وحاجته وعجزه ، وأساس هذا الحق أن المجتمع الإسلامى

يقوم على أساس التعاون استجابة لأمر اللة تعالى ﴿ وتعاونوا علي البر والتقوي ولاتعاونوا علي الاثم والعدوان ﴾ (آية ٢ المائدة) .

ولكن قبل أن تقدم الدولة الدعم والرعاية فهى تنظر إلى ان هذا الحق يسبقه جملة تعليمات وحقوق جاءت بها الشريعة وهذة التنظيمات هى :

أولا : الاكتفاء الذاتى للأفراد :

الأصل أن الإنسان يكفى نفسه بنفسه بأن يعمل ويكتسب ولايسأل الناس حيث يقول اللة تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل اللة ﴾ (آية ١٠ : الجمعة) وعن ابى عبدالله الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لإن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبعها فيكف الله بها وجهه خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه » رواه مسلم .

وعن المقدام بن معد يكرب رضى اللة عنه عن النبى ﷺ « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه وان نبى الله داود علية السلام كان يأكل من عمل يده » رواه البخارى .

فالإسلام يدعوا الناس إلى العمل والاجتهاد والتعفف وذم السؤال من غير ضرورة ، حيث يقول الله تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا علي الله رزقها ﴾ (آية ٦ هود) كما يقول الله تعالى : ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لايستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس الحافا ﴾ (آية ٢٧٣ البقرة) . وعن حكيم بن جزام رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ماكان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغنى يغنيه الله » متفق عليه .

والإسلام لايحبذ بل ينفر الناس من الكسل وطلب الإحسان والشفقة من الآخرين بل يدعوا إلى العمل والاجتهاد فعن أبى عبدالرحمن معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ « لاتلحنوا فى المسألة فوالله لايسالنى أحد منكم شيئا فتخرج له مسألته منى شيئا وأنا له كاره فيبارك له فيها اعطيته » رواه مسلم.

وعن ثوبان رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « من تكفل لى أن لايسأل الناس شيئا واتكفل له بالجنة فقلت أنا فكان لايسأل أحد شيئا » رواه أبوداود باسناد صحيح .

لذلك فإن سؤال الناس أو سؤال من يمثلهم وهى الدولة ، غير مرغوب فيه مادام الإنسان قادرا على العمل والاكتساب .

ثانيا : في حالة تقدم الفرد بطلب المساعدة :

عندما يتقدم الفرد بطلب للمساعدة لاحساسه باحتياجه الى المعونة فإن الدولة لاتقدم المساعدة والرعاية دون دراسة لموقف الفرد وحالته لتقرير احتياجه للمساعدة ويمكن أن تتخذ من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من أبى بشر قبيصه بن البخارق عندما تقدم بطلب المساعدة صورة لدراسة الحالة والأسس التى يجب أن تقوم عليها والأسس التى عليها تتقرر المساعدة .

فعن أبى بشر قبيصه بن المخارق رضى الله عنه قال « تحملت حمالة فأتيت رسول اللة ﷺ اسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ثم قال ياقبيصة إن المسألة لاتحل إلا لأحد ثلاثة ، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت مالة فحلت لة المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش ورجل أصابتة فاقة حتى يقول ثلاثة من نوى الحجى من قومة لقد أصابت فلانا فاقة فحلت لة المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سداداً من عيش فما سواهن من المسألة ياقبيصه سحت يأكلها صاحبها سحتا (رواه مسلم).

وتتطلب المساعدة لتقديم الخدمات الاجتماعية التأكد من المعلومات عن العميل حتى لايبنى الحكم على أساس غير سليم ويتطلب الأمر دراسة جميع الجوانب المرتبطة بالموقف ، فعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه فإنما اقطع له من النار متفق عليه . كذلك يتطلب دور الدولة السعى والبحث لدراسة الحالات التى تحتاج إلى المساعدة الأمر الذى يتطلب من ممثلى الدولة الإسلامية الإيجابية فى الدراسة والمساعدة والتقصى بالنسبة للحالات الاجتماعية لافراد المجتمع فعن ابى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقيمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لايجد غنى يغنيه ولايفطن له فيتصدق عليه ولايقوم فيسأل الناس » متفق عليه .

ثالثا : مساعدة الفرد على الاستفادة من قدراته للتغلب على مشكلته :

روى أبوداود عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رجُلا من الانصار أتى النبى ﷺ يسأله فقال : أما فى بيتك شئ ؟ قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء قال ائتنى بهما فأتى بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا أخذهما بدرهم قال رسول الله ﷺ : من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا أخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه . فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى وقال اشترى بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر

قدوما فائتني به ، فأتاة به فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل فجاء وقد اصاب عشرة دراهم فاشترى ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله ﷺ : هذا خير لك من ان تجئ المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، ان المسألة لاتصلح إلا لثلاث لذى فقر أو لذي غرم مفظع أو لذى دم موجع» متفق عليه.

ومن هذه الحالة يمكن أن نخرج ببعض النقاط التى يقوم المنهج الإسلامى عليها فى تقديم المساعدة الذاتية :

١ - تقدم الفرد المتعطل الذى لديه فضل طاقة ولكن بلا عمل إلى الدولة أو إلى ولى الأمر بشكوى لتدبر له أمره .

٢ - وعندما تصل الشكوى إلى المسئول ، ينظر فى مشكلته وتوضع الحلول المناسبة لها وهو فى ضوء ذلك يضع الخطة السليمة بما يصون للفرد كرامته من خلال إنشاء مشروع استثماري يسلكه فى صف العاملين الذين يأكلون مما عملته أيديهم

٣ - الاستفادة من إمكانيات الفرد دون الاعتماد على الاحسان او التبرع من الحاضرين لتغطية نفقات المشروع ولكن الاعتماد على أن يكون المشروع من رأس مال الفرد نفسه حتى لو كان خرقته التى يتغطى بها واناءه الذى يشرب به .

٤ - مساهمة الدولة ممثلة فى الرسول عليه الصلاة والسلام كذلك أفراد المجتمع المحلى طرفا فى المساعدة حين عرض على الناس السلعة ولم يتركه يعرضها هو فأعفاه من الإحراج مع ملاحظة أن الرسول لم يفرض السلعة ولم يحدد الثمن ليكون البيع والشراء حرا الأمر الذى جعل مساهمة الناس غير مقيدة بالحياء بل مشروعا خالصا من كل شبهه .

٥ - عندما توفر للرجل قدرا من المال ثمن مناعة لم تتركه الدولة بلا ارشاد ضمانا لنجاح المشروع أرشده الرسول عليه الصلاة والسلام أن يشتري بالنصف طعاما لعياله تأمينا لظهره حتى اذا انطلق فى الأرض ساعيا كان زمنا ، وكذلك طلب الرسول عليه الصلاة والسلام ان يشترى بالنصف الثانى فأسا هى أداته للعمل المثمر الشريف .

٦ - حيث أثبت الرجل صلاحيته للمعونة ساعدته الدولة بخشبة الفأس وضعها الرسول عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة تقديرا له .

٧ – تحديد العمل المناسب والمكان الذى يمكن ان يمارس فيه هذا العمل وهو الاحتطاب حيث أن الرجل حديث عهد بالعمل فى بيئة صحراوية .

٨ – وضع خطة لمتابعة العمل وإعطاء مهلة من الوقت لحداثة الرجل بالعمل واعطاء مهلة خمسة عشر يوما حتى يتمرس بالتجربة فى هذه الفترة .

٩ – فى ضوء نتائج التجربة وضعت ميزانية للعامل تكفل سد حاجاته .

١٠ – تحريم السؤال تحريما قاطعا دون استثناء إلا فى حالات محددة ونادرة .

رابعا : تهيئة الدولة سبل كسب العيش للأفراد :

إذا كان العمل مشروعا فى نظر الشرع والسؤال محظورا والأصل هو السعى للكسب والاجتهاد فى سبيل الرزق ، كان من المسلم به أن تقوم الدولة الإسلامية بتسهيل سبل العمل والكسب للأفراد ، وإيجاد العمل للمتعطلين وإيجاد المشاريع النافعة لتشغيل الأفراد وفى ذلك تقوم الدولة باقراض الأفراد من بيت المال ، وقد صرح بهذا الفقيه المعروف أبويوسف صاحب أبى حنيفة فقال « إن صاحب الأرض الخراجية إذا عجز عن زراعة ارضه لفقرة ، دفع الية كفايته من بيت المال قرضا ليعمل ويستغل ارضه (٣٠) .

خامسا : حق النفقة :

ينبغى على الدولة ان تهيئ لكل فرد من أفرادها مستوى معين من الحياة تضمن له الضروريات الأساسية للحياة بأي وسيلة مشروعة ولكن إذا لم يوجد عمل أو وجد وكان الفرد عاجزا عنه وجب على الدولة ان تفرض النفقة على الأقارب الأغنياء حيث يقول الله تعالى ﴿ **وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ (١٩ الذريات) .

وهذا الحق غير الزكاة الواردة فى الآية الاخرى ﴿ **والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ (٢٤ ، ٢٥ المعارج) . قال عبدالله بن عمرو الشعبى والحسن ومجاهد « هو حق سوى الزكاة واجب فى المال ، وقال أبوبكر الجصاصى : وفي المال حق سوى الزكاة باتفاق المسلمين منه مايلزم من النفقة على والديه إذا كانا فقيرين وعلى ذوى ارحامه ومايلزم من إطعام المضطر وحمل المنقطع بة وماجرى ذلك من الحقوق اللازمة عندما يعرض من هذه الأحوال (٣١) وهذا التضامن بين أفراد العائلة وسائر الأقارب لايقوم على فحص الرغبة فى الإحسان بل يقدم على الوجوب والالزام .

سادسا : الزكاة

عندما لايستطيع الفرد العمل والاكتساب أو لا يوجد مايكسب به ومنه أو كان يعمل ولايفي دخله لضروريات الحياة وإذا لم يوجد من أقاربه من ينفق عليه أمكن سد حاجته

من أموال الزكاة التى هى حق للفقير فى أموال الأغنياء والأصل أن الدولة هى التى تجبى الزكاة وتوصلها إلى المستحقين ولايجوز صرفها لغير أهل الاستحقاق وللدولة أن تنظم جبايتها وتوزيعها بما يكفل ايصالها إلى الفقراء وسائر المستحقين فالزكاة ضمان اجتماعى يضمن لكل فرد يعيش فى المجتمع الإسلامى أيا كانت ديانته وأيا كانت جنسيته حد الكفاية لأحد الكفاف بحيث إذا لم تسعفه ظروفه الخاصة كمرض أو شيخوخة أو تعطل عن العمل من تحقيق هذا المستوى اللائق للمعيشة والذى يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان . تكلفت بذلك الدولة عن طريق صندوق الزكاة [٣٢] .

سابعا : كفالة الدولة للأفراد من بيت المال :

إذا لم تف الاجراءات والتنظيمات والحقوق السابقة فى سد حاجة المحتاج تدخلت الدولة وقامت بكفالة المحتاج لتضع مبدأ التعاون الواجب على أفراد المجتمع الإسلامى موضع التنفيذ وقد نفذ الرسول ذلك فى حياته ، قال عليه الصلاة والسلام « أنا أولى بكل مسلم من نفسه من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو ضياعا فالى وعلى » والمراد بالضياع الأسرة والذرية المعرضة للضياع لعدم الموارد وفقد العائل مما يدل على أن من لامال لهم وذوى الحاجة والمدينين يجدون مايسد حاجتهم من بيت المال .

وكفالة الدولة رعايتها الفقراء على المسلمين فقط بل تشمل غير المسلمين « الذميين » أيضا ماداموا فقراء يستحقون العون ، فقد روى أبو يوسف أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً يهودياً كبيرا السن يسأل الناس فطلب من خازن بيت المال إعطائه وأشباهه مايغنيهم عن السؤال » [٣٣] .

كذلك كتب خالد بن الوليد كتابا لأهل الحيرة جاء فيه « وجعلت لهم أى شيخ ضعيف عن العمل أو اصابتة آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتصرفون عليه ، طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار السلام » [٣٤] .

لذلك كان واجب الدولة كفالة الأفراد المحتاجين من بيت المال قدر حاجاتهم ويقول فى ذلك الامام ابن تيمية « والمحتاجون إذا لم تكفهم الزكاة أعطوا من بيت المال على وجه التقديم على غيرهم من وجوه الصرف على رأى [٣٥] .

ولقد كان لسيدنا عمر بن الخطاب منهجا فى ذلك حدد فيه حقوق الأفراد فى بيت المال فيقول « فالرجل وبلاؤه والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته .. وذلك فى عام الرمادة حيث عم القحط وانحبس المطر فلقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضع الطعام للمحتاجين وينادى مادية : من أحب ان يحضر طعاما فليأكل ومن أحب أن يأخذ مايكفيه وأهله فليأخذه [٣٦] .

ورعاية الدولة فى الإسلام لمواطنيها لاتتوقف عند حدود امكانياتها المالي اذا عجزت الدولة عن الانفاق عليهم ، بل هناك حق يجب على المواطنين أن يطالبوا به إذا عجزت عن رعايتهم حتي تنتقل كفالتهم ورعايتهم إلى القادرين من أفراد المجتمع الإسلامى ، إذ المفروض أن صاحب الزائد عن حاجته عليه ان يقدمه لأخيه لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لازاد له » رواه أحمد بن حنبل فى مسنده لذلك فرض الإسلام على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا برعاية فقرائهم ويجبرهم ولى الأمر على ذلك إذا لم تقم الزكاة بهم ولا فى سائر أموال المسلمين بهم فيقدم لهم المآكل الضرورى والملبس والمسكن .

مجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام :

فى هذا الجزء سوف نتناول باختصار بعض مظاهر ومجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام ، وذلك ليس بغرض السرد التاريخى لتلك المظاهر وهذة المجالات ولكن لبيان الأسس التى قامت عليها هذه المجالات إسلاميا وتميزها عن غيرها من مظاهر الرعاية فى الأديان الأخرى وكذلك إظهار علاقتها بالخدمة الاجتماعية على أساس أن هذه الرعاية تمثل الجذور أو البذرة الأولى للخدمة الاجتماعية ولمجالات الممارسة فى الخدمة الاجتماعية لما احتوت علية هذه المجالات من أسس علمية وتطبيق سليم خلال مرحلة طويلة من الزمن فى مؤسسات متعددة ومتنوعة .

مع التأكيد أن هذه الرعاية فى مجالاتها المختلفة شملت كل حياة الإنسان وكذلك امتدت إلى كافة أنحاء العالم الإسلامى من أصفهان إلى مراكش إلى الأندلس وقرطبة لفترة طويلة من الزمن استمرت ما يقرب من ألف عام .

وفى تناولنا لمجالات الرعاية الاجتماعية فى الإسلام سوف يكون التأكيد بالدرجة الأولى على مايتصل برعاية الإنسان وخدمته أكثر من الرعاية المتخصصة مثل الرعاية الطبية أو التعليمية ولكن الاهتمام فى هذه الدراسة ينصب بالدرجة الأولى على أوجه الرعاية والخدمات التى تقدم للإنسان من خلال مجالات الرعاية الاجتماعية الإسلامية المختلفة .

أولا : مجال الرعاية الاجتماعية للمرضى :

يحظى المرضى فى الإسلام برعاية اجتماعية كبيرة فلقد دعى الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين إلى التماس العلاج والتداوى فقد روى النسائى وابن ماجة والحاكم وصحة أنس وابن مسعود « أن النبى ﷺ قال : ان الله لم ينزل داء إلا انزل له شفاء فتداووا » كما روى عن جابر ان رسول الله ﷺ قال « لكل داء دواء فاذا أصاب دواء

الداء برئ بإذن الله » رواة مسلم . كما حث الرسول عليه الصلاة والسلام على الاشتغال بالطب وإجادته حتى انه روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه قال «العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان » .

جاءت هذه الرعاية الطبية محصوية بإقامة مؤسسات لمداوة المرضى وعلاجهم وهى التى أطلق عليها اسم بيمارستانات ، البيمارستانات هى احدى المنشآت والعمائر كالمساجد والتكايات والقباب والمدارس التى كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء واهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليدا لذكراهم ولم تكن مهمة هذة البيمارستانات قاصرة على مداوة المرضى ، بل كانت فى نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب ، واسم دور المرضى بيمارستانات وهو فارسى معرب لا أصل له فى لغة القرآن (٣٧) .

ولايتوقف الاهتمام برعاية المريض اجتماعيا على المؤسسات الطبية فقط بل دعى الإسلام إلى مساهمة الأفراد فى توفير الرعاية للمريض وجعل عيادة المريض سنة وحق من حقوق المسلم على أخيه المسلم وقد حث الإسلام على الاهتمام بهذا الحق والقيام به حتى يشعر المسلم عند مرضة بروح الأخوة من إخوانه تسرى عنه وتخفف من الآمه وتعويضه ما حرمه من القوة والصحة مما يبعث فيه الأمل فى اللة وفي رحمته وكرمه .

وتدل الأحاديث على أن عيادة المريض فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

ويلحق بعيادة المريض تعهده وتفقد احواله والتلطف به وربما كان ذلك فى العادة سببا لعودة نشاطه وانتعاش قوته وسرعة شفائه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال : حق المسلم على المسلم خمس رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » متفق علية . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من عاد مريضا أو زار أخا له فى الله ناده مناديان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » رواه الترمذى .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ « عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العانى » رواه البخارى .

ثانيا : مجال رعاية طلاب العلم

اهتم الإسلام بالعلم ودعى المسلمين إلى السعى الحثيث فى طلب العلم كما أتاح الإسلام المناخ الفكرى الحر الذى مكن طلاب العلم من البحث والدراسة والتقصى وأول

آية من آيات الذكر الحكيم نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام كانت ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ (العلق : ١) كذلك رفع الله سبحانه وتعالى من قدر العلماء ﴿ يرفع اللة الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (آية ١١ المجادلة) .

كذلك حث على الاستزادة من العلم ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (اية ٨٥ الإسراء) كذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين » متفق علية . كذلك فى حديث آخر عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ قال : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعة لاينقص ذلك من أجورهم شيئا » رواه مسلم.

وعنه أيضا قال رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع بة ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

وتنفيذاً لهذه التعاليم السامية ابتدع الإسلام خلال عصور طويلة نظاما يشجع على التعليم والكتاتيب وظل هذا النظام متبعاً فى مصر إلى عهد قريب (٣٨) .

ولقد كان المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقة واللغة وغيرها من العلوم ، واصبح كثير من المساجد مراكز هامة للحركة العلمية ، وانصرف فقراء المسلمين لطلب العلم فى المسجد النبوى الشريف حيث بنى الرسول ﷺ مكانامظللاً فى شمال المسجد يأوى اليه فقراء المسلمين الذين حبسوا انفسهم لطلب العلم (٣٩) .

وعمرت المساجد الإسلامية بجلسات العلم وحلقات الدرس ورتب الخلفاء الرواتب والأرزاق للعلماء وطلاب العلم (٤٠) .

وفى الأزهر كان الخلفاء والسلاطين والأمراء يشجعون الطلاب من وطنين وأجانب فيقدمون اليهم المأكل والمسكن وكل مايوفر عليهم وسائل الراحة من غير أجر (٤١) .

كذلك كانت تقدم الرعاية لطلاب العلم غير القادرين والمعتكفين . فلقد أدرك خلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين إلى هذا الإنزواء فأنشأوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد.

ولم يكن هذا النشاط هو الشكل الوحيد من الرعاية الاجتماعية للطلاب فى الأندلس ولكن كان هناك نوعا آخر من النشاط يربط بين الناحية العلمية والاجتماعية وهو نظام الرحلات ، فالرحلة سمة من سمات التعليم الإسلامى فى العصور الوسطى وتتخلص فى قيام الطلاب بالانتقال من مكان إلى آخر بحثا عن مزيد من العلوم ومن أفضل المعلمين المنتشرين فى كافة البلاد العالم الإسلامى .

من ذلك نرى تعدد أنواع الرعاية الاجتماعية لطلاب العلم فى بلاد العالم الإسلامى خلال التاريخ الإسلامى مثل توفير الحياة الكريمة الآمنة للطالب والحرص على توفير

المأكل والمأوي والمشرب والملبس وإقامة الاحتفالات فى المناسبات الدينية والعلمية وإيجاد جو من العلاقة الاجتماعية العلمية بين الطلاب والمدرسين وتنظيم الرحلات الاجتماعية العلمية مما يعبر عن شكل راق من أشكال الرعاية الاجتماعية للطلاب .

ثالثا : مجال رعاية الفئات الخاصة :

(أ) رعاية المسجونين :

المعروف فى اللغة أن السجن هو الحبس وقد روى عن أبى هريرة « أن الرسول عليه الصلاة والسلام حبس فى تهمة » والحبس معناه تعويق الشخص ومنعة من التصرف بنفسه ، وليس حجزة فى مكان ضيق وكان هذا الحبس الشرعى يتم فى أول الأمر في بيت أو مسجد على ان يقوم الخصم أو وكيله بملازمة الشخص المحتجز ، ولهذا أسماه النبى ﷺ أسيرا ، واستمر الأمر على ذلك فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه إذ لم يكن هناك محبس بعد لحبس الخصوم ولكن حدث عندما اتسعت الدولة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثرت الرعية إن ظهرت الحاجة إلى مبنى قائم بذاته يستخدم سجنا – يحتجز فيه من يراد حبسة ولهذا الغرض اتباع الخليفة من صفوان بن أمية دارا بمكة بأربعة الاف درهم ، ولم يلبث أن تطور الأمر فى عهد الخليفة معاوية بن ابى سفيان ، عندما ازداد خصوم الدولة وتعددت مشاكلها حتى قيل أنة أول من وضع السجن بمعناه المعروف وخصص الحراس لحراسة المسجونين (٤٢) .

ولقد عنى الإسلام برعاية السجين بتوفير الحياة الكريمة له داخل السكن وعدم التطرف فى ايذائه .

وانقسمت السجون فى العصور الإسلامية الأولى إلى صنفين رئيسيين هما :-

أولا : سجون الحقوق الدينية ويحبس فيها المحكومون بالديون المالية والتجارية ونحوها .

ثانيا : سجون الحقوق الجزائية ويحبس فيها المحكومون بجرائم الاعتداء على الأبدان والأعراض ونحوها .

ولكل صنف من أصحاب المسجونين معاملة خاصة تتناسب مع نوع حبس ولقد حرصت الشريعة على ان يمنع أصحاب الجرائم غير المتجانسة من الاختلاط ببعضهم مخافة انتقال العدوى .

كما حرص الإسلام على رعاية المسجونين صحيا ومعاملة تتناسب مع ظروفهم وحالهم فالمروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حبس ثمامة فى المسجد وكان عليلا فقال لأصحابه (أحسنوا اساره) كما أوكل إلى بعض أصحابه القيام على حفظ امرأتين

حبلتين من الزنى حتى تضعا حملهما ، وكذلك كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يتفقد السجون ويشاهد من فيها من المسجونين ويفحص أحوالهم ، كذلك فإن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى عماله يقول « انظروا من فى السجون وتعهدوا المرضى [٤٣] .

ولقد كان اهتمام المسلمين بصحة السجناء الشخصية ونظافة سجونهم وحرصهم على معالجة المرضى فى السجون من الامور الشائعه كذلك أفرد الأطباء لعلاجهم وتم تخصيص الأموال للانفاق على الأدوية والعلاج وغير ذلك من الاحتياجات الطبيه والصحيه [٤٤] .

وإذا كان الإسلام قد شجع على الاستفاده من جهود المساجين فى التعليم حتى لايكونوا فريسة للجهل فإنه شجعهم على الاستفاده من جهود المساجين فى التعليم حتى لايكونوا فريسة للجهل فانه شجعهم أيضا على ذلك طاقاتهم فى تعليم غيرهم وجعل ذلك سبيلا إلى انقاض مدة حبسهم والإفراج عنهم ، روى أن ناسا من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل الرسول عليه الصلاة والسلام لهم فداءهم أن يعلموا عشرة من أولاد المسلمين الكتابه ففعلوا فكان من تعليم منهم زيد بن ثابت [٤٥] .

ولم يتوقف التعليم بالسجون على الكتابه والقراءه فقط بل تعدى ذلك إلى تعليم المسجونين الحرف والصناعات مما يحتاجها أهل البلد وليس من ذلك تشغيل السجين فى الأمور التافهة الخشنة احتقار له وإهانة لشخصه ، لقد اهتم المسلمون بتشغيل السجناء وبخاصه فى عصور الحضاره الذهبيه أيام العباسيين فكان المحبوسون يكلفون بالعمل فى السجون لصنع السلال ونسج التكك وغيرها من الأعمال الخفيفة التى تحتاج إلى حذق وخبرة وأناة ويعتبر هذا المبدأ أساس تأخذ به المؤسسات العقابية المعاصره حيث يتم فيها تعلم السجين حرفه تؤمن له دخلا بعد خروجه من الحبس حيث تعود أثمان السلع لحساب السجناء لا لحساب الدولة [٤٦] .

ومن الأمور التى تميزت بها الرعاية الاجتماعية للمساجين فى الإسلام التأكيد على العلاقات الأسرية وذلك بتمكين السجين من وطء زوجته فى السجن إذا كان فيه موضع لايطلع عليه أحد ولايمنع وتحقيق الخلوة الشرعية ، واستدلوا على ذلك بأنه غير ممنوع من قضاء شهوة البطن وكذلك شهوة الفرج اذ لاموجب لسقوط حقه فى الوطء فالوطء من الحقوق الزوجيه المشتركة والمقاصد الشرعية المعتبرة فضلا عما فى السماح به للسجين من المحافظة على صحته البدنية والنفسية بل أن منعه من ذلك قد يدفعه إلى الاستمناء أو الشذوذ الجنسى وهما من المحرمات .

علاوه على ذلك هناك صور متعدده لدعم العلاقات الاجتماعية فى السجن مثل :-

أ - إتاحة الفرصة للسجناء للاتصال بعضهم ببعض .

ب – حبس الأقارب مع بعضهم فلا يفرق فى السجن بين الأقارب كالاخوين .

جـ – التقاء الزوجين المحبوسين ببعضهما .

د – مساعدة المحبوس على توثيق صلته بأهله عن طريق إتاحة الفرصة لأقاربه وأصدقائه لزيارته .

هـ – إتاحة الفرصة للمحبوس بمراسلة أهله وإطلاعه على وسائل الإعلام .

و – خروج السجين لعيادة قريبه المريض وحضور جنازته .

ومن الأمور التى أعط منها الرعاية الاجتماعيه للسجين أهمية كبيرة إعداد السجين للخروج من السجن وذلك لرفع الروح المعنوية للسجين قبل الإفراج عنه بتوجيهه إلى النظر إلى المستقبل وإلى الحياة الجديدة وذلك عن طريق الدعاء له وتبشيره بالمغفره والرحمة استدلالا بنهى الرسول ﷺ أصحابه عن سب المعاقب وقوله لهم (قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه) ولايتوقف الأمر عند ذلك بل على الإسلام بمساعدة السجين على بدء حياة جديدة من خلال مساعدته عند خروجه من السجن عن طريق اعطائه كسوه ونفقه واعانته على الوصول إلى أهله إن كان محتاجا إلى جميع ذلك مما يساعد المفرج عنه على الشعور باهتمام المجتمع به واكتسابه ثقه فى نفسه الأمر الذى يؤدى إلى سرعة اندماجه فى الحياة العامة للمجتمع ولنا فى تصرف الرسول عليه الصلاة والسلام مع ابنة حاتم عندما افرج عنها من الحبس وأمر لها بكساء وأعطاها نفقة وأمر لها بظهر يحملها إلى أهلها .

وقد ذكر الفقهاء أنه يندب تسلية المحبوس ومواساته وتهنئته بخروجه من الحبس واذا كان كذلك فبذل المال له مواساه ، وتشغيله مواساه ورعايته اجتماعيا مواساة والكف عن ذكر ماضيه الإجرامى مواساه (٤٧).

ب – رعاية المرضى العاقلين (المجانين)

الأصل فى الإنسان اتصافه بكمال الأهليه بأنواعها المختلفة سواء ما كان منها أهليه تكليف أو استحقاق أو وجوب أو أداء .. إلخ غير أن حكمة الله تعالى ورحمته بعباده اقتضت اختلاف النظرة إلى بعض الفئات فإما أن يكون الموقف منها هو الإعفاء المطلق من المسئولية وهو مانجده بالنسبة للامراض العقليه التى تفقد التحكم الإرادى بصعوبه دائمة او منقطع وفى ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث – منها المجنون حتى يفيق ، أما بالتخفيف من المسئولية وإيجاد الرخصة المبيحة أو المسقطة فى بعض الامور التى تجب على الآخرين تأصل التكلف وهو مانجده فى بقيه المعوقين كل بحسب العائق ومداه وكل من هذا الاعفاء وذلك التخفيف مبعثه الرحمة لا الحرمان وعدم الاعتبار (٤٨) .

ولقد حرم الإسلام كل مايخل بتكريم الإنسان الذى جعله الله مكرما فى آدميته وكان ذلك فى النص القرآنى صريحا « لايسخر قوما من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب » وحرم الإسلام الشماتة والسخرية من هؤلاء الأفراد بل دعى إلى التعاون معهم والاهتمام بأمورهم .

جـ - رعاية المسنين :

أوجب الإسلام ضرورة رعاية المسنين والاهتمام بهم وفى ذلك الشأن يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وقضى ربك ألاتعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ (٢٣ : ٢٤ الإسراء) .

كذلك دعا الرسول الكريم إلى العنايه والاهتمام بكبار السن حيث تعددت الأحاديث التى تدعوا إلى الاهتمام برعاية المسنين وبذل الوقت والجهد لمساعدتهم فلقد روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله (أى قدر) له من يكرمه فى سنه » كذلك روى أبو داود والترمذى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا » وروى أبوداود عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبه المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه وإكرام ذى السلطان المقسط » .

وجعل الإسلام رعاية كبار السن خاصه الوالدين تعادل الجهاد فى سبيل الله فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال اقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغى الأجر من الله تعالى فقال « فهل من والديك أحد حى؟ قال نعم بل كلاهما قال فتبغى الأجر من الله تعالى ؟ قال نعم قال فارجع الى والديك وأحسن صحبتهما » متفق عليه .

ولقد أكد الإسلام على إنزال كبار السن المنازل اللائقه بهم فى كل الأمور فقد روى أبوداود عن ميمون بن أبى شيب رحمه الله « أن عائشه رضى الله عنها مر بها سائل فأعطته كسرة (قطعه خبز) ومر بها رجل على ثياب وهيئه فأقعدته فاكل فقيل لها فى ذلك ، فقال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام انزلوا الناس منازلهم » ، وفى رواية أمرنى رسول الله ﷺ أن تنزل الناس منازلهم » .

ومن رعاية الإسلام للمسنين الأخذ برايهم ومشورتهم فى الأمور الهامة وتقديمهم فى المجالس والبدء بهم فى الضيافة وتقديمهم فى صلاة الجماعة وفى التحدث إلى الناس

وفى التعامل . والتأكيد على عدم الاستخفاف بهم خاصه من الصغار فلقد روى عن أبى أمامه عن رسول الله ﷺ أنه قال « ثلاث لايستخف بهم إلا منافق : الشيبه فى الإسلام، وذو العلم ، وإمام مقسط » .

ومعرفة حق المتقدمين فى السن ورعايتهم كان موضع التنفيذ فى المجتمع الإسلامى الأول حكاما وأفرادا وجماعات للمسلم وغير المسلم على السواء ويخدمونهم ويلتزمون برعايتهم والأخذ بأيديهم ولايحوجونهم الى العمل .

ولقد كان الحكام والولاة يفرضون للعجزة من المسنين رواتب من بيت المال إذا لم يكن هناك من يتفق عليهم فلقد أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه للشيخ اليهودى من بيت المال مايكفيه ويسد حاجته حينما رأى أنه ذلك الشيخ لايستطيع العمل وليس له من يتكفل به ، ولقد سبق ذلك قيام عمر بن الخطاب بفرض رواتب للشيوخ المسلمين .

وقد جاء فى كتاب خالد بن الوليد الى أهل الحيره « وجعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل إذا أصابته آفة من الآفات إذ كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجره ودار الإسلام (٤٩) .

وهذا الرعاية تعبر ولاشك عن روعة الإسلام فى تقريره مسئولية الدولة والمجتمع نحو هذه الفئة من الناس .

رابعا : الرعاية الاجتماعيه للعمال :

العمل من أهم ما حث عليه الإسلام واعتبره من اهم وسائل الكسب ، قال تعالى ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ (الجمعة : ١٥) .

وقال رسول الله ﷺ : إن الله يحب العبد المحترف ويكره العبد الباطل « ودعى إلى السعى والكد حيث يقول عليه الصلاة والسلم » لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره فيبيعه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه . رواه البخارى .

وحث الإسلام على العمل والكسب يعنى انه لايريد من الناس أن يكونوا عالة متعطلين يسألون الناس أعطوهم أو منعوهم وهو الذى يجعل اليد العليا خير من اليد السفلى ويعتبر أن الإنسان إذا احترف السؤال زاده الله فقرا حيث يقول عليه الصلاة والسلام « وما فتح عبد باب مسألة إلا زاده الله بها فقراً » رواه البخارى .

كذلك روى ابن الجوزى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إنه لقى قوما لايعملون فقال « ما أنتم قالوا متوكلون فقال كذبتم .. إنما المتوكل رجل ألقى حبه فى الأرض ثم

توكل على الله » ، كما نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات فكان يقول فيه قولته « يامعشر الفقراء استبقوا الخيرات ولاتكونوا عيالا على المسلمين »(٥٠).

لقد أدرك الإسلام منذ البداية أن مشكلة الفقر لن يحلها الإحسان الفردى ولن تتداركها الإجراءات الإصلاحيه التى تستهدف تسكين الآلام أو تخفيف الحرمان بل لابد من حل جذرى ومن هنا كانت نقطه البدايه فى الاقتصاد الإسلامى فى البحث على العمل واتقانه وزياده الإنتاج ورفع التنمية الاقتصادية إلى مرتبة العبادة ثم يأتى ماتقرره الدولة عن مؤسسة الزكاة وذلك إذا لم تمكنه ظروفه الخاصه من مرض أو شيخوخة أو تعطل عن العمل (٥١) .

ولقد شملت رعاية الإسلام للعمال نواح متعددة فبعد أن أكدت على أهمية العمل والسعى على اكتساب الحلال وكراهية السؤال اهتم الإسلام بحماية العامل وإعطائه الأجر المناسب لعمله والذى يكافئ جهده الذى يبذل قال تعالى ﴿ ولاتبخسوا الناس اشياءهم ﴾ (١٩٥ آل عمران) كما طلب ألا يرهق العامل بالعمل حيث يقول الله تعالى : ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (٢٨٦) البقرة .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « ولاتكلفوهم ما لايطيقون » رواه مسلم .

كما دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى حماية العامل وراحته ويؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام « إن لنفسك عليك حقا» رواه البخارى .

كذلك اهتم الإسلام برعاية الظروف المعيشيه للعامل وتوفير الظروف الملائمة له حيث نرى الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « ومن ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا أو ليس له زوجة فليتزوج أو ليس له دابه فليتخذ دابة » وذلك لتحقيق كفايه العامل واستقراره وليس معنى ذلك الزام صاحب العمل بتوفير كل هذه الأمور للعامل ولكن يجب على الدوله أن تضمن للعامل هذا الحق إذا كان أجر العامل لايكفيه ولاتتوقف الرعاية الاجتماعية للعامل على وجوده على قيد الحياه فقط بل تمتد هذه الرعاية لتشمل أسرته بعد وفاته إذا كان العامل قد توفى ترك أسره ليس لها مورد أو دخل حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام « من ترك مالا فلورثته ومن ترك ضياعا (أى ورثه لا مال لهم) او كلا (أى ذرية ضعيفة) . فليتأتنى فأنا مولاه » رواه البخارى . فهى رعاية تشمل العالم حال حياته وصحته وعند شيخوخته فهى تضمن التأمين على العامل فى الضعف والعجز والشيخوخة وعند الوفاة وترك الورثه الفقراء .

الأمر الذى يدل ليس فقط على الاهتمام بصحة العامل وعلاجه حتى يشفى بل ومتابعة علاجه فتقدم العون المالى الذى يمكنه من النقاهة وعدم اللجوء إلى العمل مباشرة بعد خروجه من المستشفى مما قد يؤدى إلى انتكاسته وعودة المرض إليه ثانيا.

ولقد راعى الإسلام العامل وحماه من جشع صاحب العمل فقد قال رسول الله ﷺ « إياكم والقسامة قالوا وما القسامة ؟ قال الرجل يكون على طائفه من الناس فيأخذ من حظ هذا وحظ هذا » كذلك حماية العامل من مماطلة اصحاب العمل فى دفع الأجور ففى الحديث « مطل الغنى ظلم » رواه الشيخان .

ومن أشكال الرعاية الإسلامية للعمال مساعدة الشباب والفتيات على الزواج إذا كان ظروفهم المادية ضعيفه فلقد أوقفت الأوقاف الإسلامية لمساعدة الشباب والفتيات على الزواج من خلال منسجهما الإعانة المناسبة سواء كانت ماليه أو عينية ، والتقاليد الإسلامية تدعوا إلى هذا منذ القدم ، ومن الأوقاف الإسلامية ما هو محبوس على تجهيز الفتيات من القدره لأهليهن على تجهيزهن (٥٢) .

وكان عمر بن عبدالعزيز فى كل يوم ينادى أين الفارقون ؟ أين الناكحون ؟ اين المساكين ؟ اين اليتامى ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء .

ولذلك يمكن القول بأن عمر كان يعتبر الحاجه الى الزواج فى صف حاجة المدين المضطر المحتاج إلى أداء دينه وفى صف حاجة المسكين وحاجة اليتم إن لم يكن يقدم عليهما (٥٣) الأمر الذى يدل على مدى الاهتمام برعاية العمال بعامة والشباب بخاصة والحرص على توفير سبل الحياة الكريمة الشريفة لهم بما لايؤدى إلى الانحراف

المراجـع

أ – القرآن الكريم .

ب – كتب السنه النبويه .

١ – عبدالحليم رضا عبدالعال : الخدمة الاجتماعية المعاصره ، ١٩٩٠ ص : ١٦٥ .

٢ – الفاروق زكى يونس : الخدمة الاجتماعية والتغيير الاجتماعى ، الطبعة الثانية عالم الكتب ، ١٩٧٨ ، ص : ٧

3 - Neil Gelbert and Hàry Specht Dimensions of Social Welfare Policy, N.Y, Prentece Hall, 1974, P.9.

٤ – محمود شلتوت : الإسلام والتكافل الاجتماعى، مكتبة الكليات الأزهرية .

٥ – عبدالعزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام ، الطبعه الثالثه ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

٦ – عبدالكريم زيدان : الفرد والدولة فى الشريعة الإسلامية ، الجماعة الإسلامية ، جامعة القاهرة ، كتاب إسلامى دورى رقم ١٤ ص : ٧٧

٧ – محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والتأمين ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩ ، ص ص : ٢٥ – ٢٧ .

٨ – يوسف القرضاوى : فقه الزكاة ، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها فى ضوء القرآن والسنة ، الطبعة السادسة ، الجزء الأول ، مؤسسة الرسالة ١٩٨١ ص:٨٧.

٩ – محمد شوقى الفنجرى : المدخل إلى الاقتصاد الإسلامى ، دار النهضة المصرية ١٩٧٢ ص : ١٧ .

١٠ – محمد البهى : دور الإسلام فى حل مشاكل التجمعات الإسلامية المعاصرة ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبه ، ١٩٧٨ ص : ١٣٧ .

١١ – محمد البهى : المرجع السابق ص : ١٧١ .

١٢ – عبدالعزيز الخياط : مرجع سبق ذكره ص : ٢٤٤ .

١٣ – سعيد عبدالفتاح عاشور واخرون : دراسات فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، منشورات دار السلاسل ، الكويت ص : ٨٩ .

١٤ – ابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ، مكتبة صبيح ، القاهرة ،١٩٢٩ ص :٦٢.

١٥ – عبدالمنعم بدر : اللاتطوعيه وأزمة التنمية فى العالم العربى والإسلامى ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٣٤ ، ربيع الثانى ، جماد الثانى ١٤٠٣ ، مؤسسة المسلم المعاصر ، بيروت ص ١٢٤ .

١٦ – يوسف القرضاوى : الوقت حياة المسلم ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ، ٢٨ .

١٧ – فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، الدار السعودى للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥ ، ص : ١١٧ .

١٨ – رشاد عباس معتوق : نظام الحسبة فى القرآن حتى بمقر المأمون ونشأته وتطوره رسائل جامعية رقم ٨ ، تهامة للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

١٩ – الماردى : الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، طبعة القاهره ، ١٩٦٦ ص:٢٤٠ .

٢٠ – ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، دار الكاتب العربى ص : ١٤ .

٢١ – عبدالرحمن ابن خلدون : المقدمة الجزء الثانى ، تحقيق د. على عبدالواحد وافى ، القاهرة ، ١٩٥٨ ص : ٣٩٢ .

٢٢ – المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق د. زياد الشال ، ١٩٤٠ ص:٢٠.

٢٣ – يحيى احمد الكعكى : معالم النظام الاجتماعى فى الإسلام ، دار النهضة العربية بيروت ، ١٩٨١ ص: ٩٢ .

٢٤ – احمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضاره الإسلامية ، الجزء الخامس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣ ص : ٥٥ .

٢٥ – يحيى أحمد الكعكى : مرجع سبق ذكره ، ص : ٦٤ .

٢٦ – سهام أبوزيد : الحسبة فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ .

٢٧ – فتحية النبراوى : مرجع سبق ذكره ، ص : ١٣١ .

٢٨ – ابن خلدون : المقدمة جزء ٢ مرجع سبق ذكره ، ص : ٥٧٦ .

٢٩ – سهام مصطفى ابوزيد : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠١ .

٣٠ – عبدالكريم زيدان : مرجع سباق ذكره ، ص : ٧٧ .

٣١ – عبدالعزيز الخياط : المرجع السابق ص : ٩١ .

٣٢ – محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والتأمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مرجع سابق ص : ٢٧ .

٣٣ – يعقوب ابراهيم : الخراج ، المطبعة والسلطة ومكتبها ، القاهرة ، ١٣٩٢ ، ص: ١٥٠ .

٣٤ – يعقوب ابراهيم : المرجع السابق ص : ١٤٤ .

٣٥ – ابن تيمية : السياسة الشرعية ، المطبعة السلفية ، القاهره ، ١٣٨٧ ، ص ٥٣.

٣٦ – أمين سعد : الطبقات الكبرى ، الجزء الثالث تبدن مطبعة مرسله ، ص : ٣١١

٣٧ – آدم ميتز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أى بمقر النهضه فى الإسلام ترجمه محمد عبدالهادى أبوزيده ، المجلد الثانى ، دار الكتاب العربى ص : ١٣٨ .

٣٨ – أحمد فؤاد الأهوانى : التربيه فى الإسلام ، دار المعارف ، ص : ٢٨ .

٣٩ – المقريزى : مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ، ص : ٤٢١ .

٤٠ – فتحية النبراوى : مرجع سبق ذكره ، ص : ١٨١ .

٤١ – المقريزى : مرجع سبق ذكره الجزء الثانى ، ص : ٣٦٢ .

٤٢ – سعيد عاشور وآخرون : مرجع سبق ذكره ، ص : ٣٠٩ .

٤٣ – أنور الرفاعى : الإسلام فى حضارته ونظمه ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٣ ، ص:١٥٢ .

٤٤ – حسن أبوغده : أحكام السجن ومعاملة السجناء فى الإسلام ، الطبعة الأولي ، مكتبة المنار ، الكويت ، ١٩٨٧ ص ٣٧٧ .

٤٥ – ابن كثير : البداية والنهاية ، الطبعة الثانيه ، بيروت ١٩٧٧ ص ٣٥٦ .

٤٦ – أحمد مجدوب : معالم الأصالة فى النظام العقابى الإسلامى ، مقال منشور فى مجلة الوعى الإسلامى ، عدد يونيو ١٩٨٤ ، ص ٣١ .

٤٧ – حسن أبوغده : مرجع سبق ذكره ص : ٥٨٨ .

٤٨ – عبدالستار أبوغده : رعاية المعوقين فى الإسلام ، مقال منشور فى مجله المسلم المعاصر العدد ٣٤ ، جمادى الثانية ١٤٠٣ مصدرها ، مؤسسة المسلم المعاصر ، بيروت ص : ١١٤ .

٤٩ – يعقوب بن ابراهيم يوسف : مرجع سبق ذكره ، ص : ١٤٤ .
٥٠ – عبدالله ناجح علوان : تربيه الاولاد فى الإسلام ، دار السلام للطباعة والنشر الجزء الأول ، الطبعة الثالثه ، ١٩٨١ ، ص ١٣٢ .
٥١ – احمد شوقى الفنجرى : الإسلام والضمان الاجتماعى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٠ ، ص ٤١ .
٥٢ – ابن بطوطه : تحفه الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، الجزء الأول ، دار التحرير ، القاهرة ، ص ٦٠ .
٥٣ – لبيب العبد : دراسة اسلاميه فى العمل والعمال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ ص ص : ٦٧ – ٦٨ .

الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج :

دليل الملاحظة كنموذج للتعرف على شخصية الطفل المسلم

د. زين العابدين محمد على رجب

مقدمة :

إن بناء الشخصية الإسلامية وخاصة فى البداية أى فى مرحلة الطفولة ليس مسألة - كما يتوقع البعض - وليدة الواقع ومسيرة البيئة وخاصة ونحن في زمان اختلطت فيه الثقافات والديانات واهتز فى الكيان الإنسانى تقوى الله ، دون أن تكون هناك أدوات ووسائل تساعد على تحقيق هذه الشخصية بل وترسى القواعد والأسس الإسلامية فى جنباتها من مرحلة الطفولة حتى مرحلة الكهولة .

ولقد تعددت الوسائل الإسلامية لتحقيق ذلك سواء أكان ذلك عن طريق القدوة أو الملاحظة أو الموعظة أو العقاب أو هما معا جميعا ، يشكل تكامل يحقق بناء الكيان الإسلامى فى الطفل منذ بداية حياته .

وتعتبر الملاحظة إحدى الوسائل الأساسية للتنشئة الاجتماعية للطفل تنشئة إسلامية إيمانية ، بل من أهم الوسائل التى تساعدنا على التعرف على المدى الذى وصلت إليه الشخصية من إيمان وما تحتاجه إليه وما الذى يمكن أن نفعله لها ، وهذا ما دفعنا أن نستلهم التراث الاسلامى فى الكتاب والسنة لكى نقيم على أسس ومنه أحد الأساليب الا وهو أسلوب الملاحظة ، مقتنعين أن الكتاب فيه كل شئ وفقا لقول الله تعالى ﴿ انا انزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ﴾ [1] محاول تكوين وأقامة دليل للملاحظة يمكن استخدامه كنموذج وكمقياس التعرف على شخصية الطفل المسلم ووضع إطار تصورى لدور الأخصائى الاجتماعى يوضح متى وكيف وأين ولماذا يستخدم هذا الدليل فى مجال الطفولة .

أولا : الخدمة الاجتماعية الإسلامية والملاحظة :

تعتبر الخدمة الاجتماعية الإسلامية هى طوق النجاة ، الذى يمكن من خلاله وفى تصورى أن نحدد الشكل والمضمون السليم لعملنا كأخصائيين اجتماعيين ، وليس فى هذا خلط كما يقول البعض بين الأعمال المهنية والدين .

فالدين الإسلامى كدين للمعاملة ، قد حدد كل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين البشر أجمع ويكفى أن نقرر فى الجانب الاجتماعى ، أن الإسلام نظام التكامل الاجتماعى الذى لو عمل به ، لحققنا حياة سعيدة ليس لمجتمعنا ولكن للبشرية جمعاء ... وقد وضع أسس ووسائل يمكن من خلالها تحقيق كل أهداف الغاية الإسلامية ومن بينها وسيلة الملاحظة .

(١) الملاحظة :

تعريف الملاحظة :

تعرف الملاحظة بأنها " رصد مركز للوقائع بهدف معرفتها بشكل أفضل " (٢)

وهناك نوعان من الملاحظة ، الأولى الملاحظة الحسية ، والثانية الملاحظة العلمية فالملاحظة الحسية هي سابقة على العلم يقوم بها الملاحظ دون تحضير سابق ، ودون خطة محددة ، ولكن يقوده في ملاحظاته فقط الحدس والخيال .

أما الملاحظة العلمية ، فهي ملاحظة منظمة سبق الأعداد لها وهي منظمة تسعى إلى كشف ورصد كافة أبعاد الظاهرة محل الدراسة (٣) .

لذا كلما كانت الأبعاد والجوانب لهذه الظاهرة محددة ، كلما أحاط الباحث نفسه بأكبر قدر ممكن من الضمانات ليطمئن إلى صدق النتائج التي يتوصل إليها . وهذا ما سوف نتبعه ، حيث نجعل الملاحظة ملاحظة علمية وفق برنامج محدد هو دليل يسمى دليل للملاحظة كنموذج محدد، يوضح أبعاد الشخصية الإسلامية للطفل ، يمكن أن يعطي نتائج أكثر تحديداً ووضوحا وأكثر فاعلية .

أهمية الملاحظة :

يمكن تحديدها في الآتي : -

أ - أنها أسلوب يكشف لها عن كلمات الإنسان (وخاصة العميل) المسموعة وغير المسموعة ، وما وراء هذه الكلمات من ء عان وما يختفي خلف هذه المعاني من دلالات ، بل وما وراء السلوك من أحاسيس (٤) .

ب - هناك اتفاق عام حولها بأنها من أهم الأسس الفنية والعملية التي تفيد كل من الأخصائيين الإجتماعيين والباحثيين والمهنيين في التعرف على حقائق ومعلومات لها أهمية خاصة يريدون معرفتها .

جـ - لا يمكن للباحث أو للمهني أو للمربي أو للمعلم أن يلاحظ بطريقة عرضية أو ارتجالية ، طالما أردنا أن نتحرك ونعمل بأسلوب علمي ، وإنما لابد وأن يعرف أياً منهما ، وبالتحديد ما الذي يركز انتباهه عليه وكيف يسجل ما يراه وما يسمعه وما يحسه بدقة تامة (٥) .

وهذا هو ما تعرف به الملاحظة .

د - تتميز الملاحظة عن غيرها من الأسس الفنية وأدوات جمع البيانات بأنها تستخدم لجمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي ، وكذلك يستخدمها الباحث في دراساته الكشفية والوضعية والتجريبية (٦) .

هـ - علي الرغم من قيام المتخصصين والمهنيين باستخدم هذا الأسلوب الفنى المهارى فى المجالات المهنية المتنوعة ، إلا إن استخدامه هنا ، له آهميته حيث أنه يتم بناء تحضيراته النظرية وفق الأسس والقواعد الإسلامية الواضحة والمحددة تحديدا دقيقا وفق المنهج الربانى وإطاره يستخدم كدليل يسمى دليل الملاحظة وكنموذج من خلاله يتم التعرف على شخصية الطفل المسلم كما رسمها الإسلام فى كل من الكتاب والسنة .

٢ - الخدمة الاجتماعية والملاحظة :

تعتبر الملاحظة أحد الأساليب الفنية الأساسية للخدمة الاجتماعية بصفة عامة ولخدمة الفرد والجماعة بصفة خاصة ، حيث يعتمد عليها الاخصائيون الاجتماعيون فى التعرف على سلوك الأفراد والجماعات والمجتمعات ، ومن خلالها يتم تحديد سلوكهم وتحديد أبعاد السلوك ومداه وقربه أو بعده من السلوك السوى أو اللا سوى ومن السلوك الايجابى أو السلبى .. ومن ثم التعرف على السلوك الذى يحتاج إلى تدعيم والسلوك الذى يحتاج إلى تعديل .

واذا كنت أرى أن الخدمة الاجتماعية هى " عملية إحداث تغيير اجتماعى مقصود للأفراد والجماعات والمجتمعات ، حتى يمكنهم القيام بمسئولياتهم على أكمل وجه ممكن"(٧) .

وأن عملية التغيير الحادثة والتى يجب أن يقوم بها الاخصائى الاجتماعى لم تأت من فراغ ولكن جاءت نتيجة لملاحظة الأخصائى الاجتماعى بأنهم لا يقومون بمسئولياتهم على أكمل وجه ممكن .. لذلك نجد أن الأخصائى يستخدم حواسه المختلفة وخاصة حاسة البصر بشكل مقصود وارادى لخدمة أغرض عمله وعميله من خلال المقابلات المهنية والأنشطة الفعلية ... وفيها يحاول الأخصائى توظيف حواسه كالسمع والبصر واللمس والشم والتذوق ، حتى يمكن أن يقيم ملاحظاته ويقيمها ويفسر ما تعرفت عليه هذه الحواس ، وكلما كان هناك نموذج للملاحظة واضح محدد لموضوع معين ، كلما كانت ملاحظاته أكثر إفادة وقيمة .

ولما كان من الأهمية عند القيام بعملية الملاحظة التفرقة بين التعبير الصادق والمصطنع وبين الواقع والخيال وبين السلوك الفعلى والمستتر وخاصة ونحن نلحظ أوجه التناقض والاختلاف بين القول والفعل، وبين اتجاه الفرد وسلوكه ، لذلك سوف نعتمد على السلوك الفعلى فى رصدنا للوقائع المختلفة المتمثلة فى الأسس والقواعد الإسلامية فى إطار واحد محدد للتعرف على شخصية العميل الطفل الذى يتعامل معه الأخصائى الاجتماعى فى دليل يسمى دليل الملاحظة.

ولما كانت الخدمة الاجتماعية ، وهى تتعامل مع الأفراد لا تنظر إلى زاوية واحدة من الشخصية ، بل تنظر الى جميع الزوايا والجوانب المختلفة من الشخصية وترى أبعادها وتفاعلها مع الجوانب الأخرى فى البنيان الشخصى وعند مواجهتها للواقع أو تفعلها معه ، لذلك يكون استخدام الأخصائى الاجتماعى لأسلوب الملاحظة بغرض التعرف على كل من : -

(١) الجوانب المختلفة من الشخصية ، الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية .

(٢) حقيقة التفاعل بين الجونب المختلفة من الشخصية .

(٣) الشخصية ككيان كلى تفاعلى .

(٤) اقتراب هذا الكيان الكلى من الشخصية .

(٥) اقتراب الشخصية من الكيان الاجتماعى الإسلامى .

الإسلام وأسلوب الملاحظة :

تعتبر الملاحظة أحد الأساليب فى الإسلام ، حيث أكدت عليها النصوص الدينية سواء فى الكتب أو السنة ، وقد جاء هذا التأكيد اما بشكل واضح مباشر أو بشكل استنباطى غير مباشر أى يمكن استنباطه من معنى الكلام ، لنقف كباحثين لنتعرف عليه ، حتى يمكننا استخدامه ، كما استخدمه المسلمون الأوائل فى بناء الإنسان المسلم أو فى التنشئة الاجتماعية للطفل أو فى تعديل سلوكه أو فى توجيه للصراط المستقيم .. ولقد مدنا الإسلام بالعديد من الآيات والأحاديث التى يمكن أن توجهنا إلى استخدام أسلوب الملاحظة ، للتعرف على شخصية الطفل المسلم ، وكيفية التعامل معه وكذلك قد حددت لنا الأعمار التى نحاسبها على عدم اتباعها الأسس والقواعد الإسلامية .

حيث نجد الله عز وجل يقو ل : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهم ..﴾ (٨) وهذا يعنى أن الراعى عليه أن يأمر أهله بالصلاة ولا يتم ذلك إلا إذا لاحظهم بأنهم لم يصلوا، وكذلك اصطبر عليهم ، تعنى انه على الراعى ان يصطبر عليهم وهو يلاحظهم حتى يتأكد من أنهم يصلون ، أو لا يصلون حتى يواجههم .

كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام " علموا الصبى الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر سنين " (٩).

وكيف يضربه والده على الصلاة ابن عشر سنين إلا إذا لاحظ انه لا يصلى ولذا أرشدنا الإسلام إلى استخدام أسلوب الملاحظة حتى نرى حدود الله تنفذ وأن القائم بها لا يقيمها بشكل سليم .

كما أن أسلوب الملاحظة فى الإسلام لم يقتصر على جانب واحد ألا وهو الجانب الدينى الإيمانى من الشخصية والسلوك ، بل تعداه ليشمل جميع الجوانب الأخرى سواء فى الشخصية الإسلامية أو فى السلوك المجتمعى ، حتى يكون أساساً للاصلاح الشامل فى الكيان الإسلامى الفردى والجماعى ، الدينى والدنيوى ، ومن ثم فى كيان الأمة الإسلامية جمعاء .

لذلك سوف نأخذ اتجاه الإسلام فى ملاحظته لجوانب شخصية الطفل البالغ من العمر ما بين سن السابعة والرابعة عشر وبصفة خاصة من ١٠ - ١٤ سنة أو من عشر سنوات حتى قبل البلوغ أى أن الطفل فى المرحلة الاعدادية حيث نرى أن هذا الطفل قد أمره الله باتباع قواعده طالما وصل الى مرحلة التمييز والأمر ، وهى المرحلة التى يأمر الإسلام بإتباع وتنفيذ حدود الله فيها وفيها نجد أن حدود الإسلام تشتمل على كل جوانب الشخصية وليس جنبا واحد منها وهذه الجوانب هى : -

(١) ملاحظة التكوين الجسمى و الصحى .

(٢) ملاحظة الإعداد النفسى الانفعالى .

(٣) ملاحظة الإعداد الاجتماعى التعاملى .

(٤) ملاحظة التكوين العقلى المعرفى .

(٥) ملاحظة الإعداد الايمانى الأخلاقى .

وفى كل جانب من الجوانب السابقة ، نجد أن الإسلام قد أشار بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر على كيفية الإعداد والتكوين والتعديل والتغيير فى هذه الجوانب مستخدما أسلوب الملاحظة فيه ومحددا المرحلة العمرية له .. ويتضح ذلك من خلال النصوص الدينية فى الآيات والأحاديث على النحو التالى : -

١) ملاحظة التكوين الجسمى والصحى :

حيث ركز على ذلك من خلال العديد من القواعد الصحية فى كل من المأكل والمشرب والمنام .

ماروراه البخارى ومسلم عن عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ (أى تحت نظره) ، وكانت يدى تطيش (تتحرك) فى الصحفه (فى وعاء الطعام) ، فقال لى رسول الله ﷺ " يا غلام سم الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك " (١٠) .

حين رأى عليه الصلاة والسلام من يشرب الماء شربا واحدا كشرب البعير (الجمل) فقال لهم - كما روى الترمذى " لا تشربوا شربا واحدا كشرب البعير

ولكن اشربوا مثنى وثلاث ... وسموا اذا أنتم شربتم ، واحمد إذا أنتم رفعتم"(١١)

روى الامام أحمد والترمذى وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ما ملأ أدمى وعاءا شرا من بطنه ، بحسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه " ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه في الشراب ، والشرب مثنى وثلاث ... والنهى عن التنفس فى الإناء والشرب قائما" (١٢) .

روى مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " .

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال قول" الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قو ة ، ثم قال ألا أن القوة الرمى ، ألا أن القوة الرمى ، ألا أن القوة الرمى " .

وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الولاة ما يلى : أما بعد فعلموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل " .

وعن عقبة بن عامر قال ، قال رسول الله ﷺ : ارموا واركبوا وان ترموا خير من ان تركبوا " .

وكذلك تعويد الطفل على ممارسة الرياضة لتقوية الجانب الحركى وألعاب الفروسية تحقيقا لقول الله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ (١٣) وكذلك ما رواه البخارى فى صحيحه " ان النبى ﷺ كان يمر على أصحابه فى الرمى فيشجعهم ويقول لهم ارموا وأنا معكم كلكم " (١٤) كما روى الإمام أحمد وابن نعيم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه مرفوعا : " إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين " (١٥) .

(٢) الإعداد النفسى الانفعالى :

مسئولية التنشئة الأجتماعية الإسلامية تتحدد فى خلق شخصية الطفل ، شخصية تتميز بالالتزام والهدوء ، وتتحرك بالإقدام والجراءة ، والصراحة والشجاعة ، والشعور بالكمال والكرامة (١٦) .

وبالتالى أتت التنشئة الإسلامية وتوجيهاتها لكى تضع ركائز أساسية حتى تكون الشخصية متزنة منذ البداية أى فى مراحل تكوينها الأولي وتبعد الاهتزاز عن الكيان الإنسانى كله على أساس إيمانى سليم .. حيث قال الله تعالى : ﴿ إن الانسان خلق

هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ (١٧) من هذا المنطلق نجد أن التحرك نحو تنشئة الأولاد على حياة الاتزان والالتزام بالصلاة والتقوى هى البداية الحقيقية للإعداد النفسى السليم للطفل المسلم .

(٣) ملاحظة الإعداد الاجتماعى التعاملى :

يعتبر إعداد الإنسان المسلم فى جانبه الاجتماعى هو جوهر الإسلام ، نظرا لأن الإسلام هو دين معاملة فى المقام الأول تحريكا وتشريعا وتيسيرا لأمور المسلمين ولم يترك الإسلام تعاملا إلا وقد وضع له كياناً وحدوداً ونصوصاً وحسن معاملة .

وقد حدد الإسلام أسلوب التعامل الاجتماعى فى الجوانب الآتية ...:

- التقوى : وتتحدد فى عدم المساس بكرامة الناس أو الاضرار بهم .
- الأخوة : وهى معاملة المسلمين بعضهم لبعض كأخوة وهى واضحة فى قول الله تعالى : " إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " (١٨) وكذلك سورة الحجرات ١٠ والقصص ٣٥ .

  كما تأكدت هذه المعانى ، فيما أخرجه البخاري ومسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه " (١٩) .
- الرحمة : وهى تعنى الرأفة فى التعامل مع الأخرين ، وقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام مثل هذه المعانى من خلال ما رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام انه قال " لا تنزع الرحمة إلا من شقى " .
- الإيثار : وهو إحساس اجتماعى يترتب عليه تفضيل الإنسان غيره علي نفسه فى الخيرات والمصالح الشخصية النافعة وأكد الله سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم﴾ (٢٠)
- العفو : وهو يعني التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المبتدى ظالما وجائرا بشرط أن يكون المعتدى قادرا على الانتقام ، حيث أوضح ذلك العلى القدير بقوله : ﴿ وأن تعفوا أقرب إلي التقوي ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ (٢١)، وكذلك ما جاء فى سورة الفرقان ٦٣، آل عمران ١٣٢ وفصلت ٣٤ .

(٤) التكوين العقلى المعرفى :

إن الاهتمام بهذا الجانب ، ودفع الأسرة والمؤسسات التعليمية للطفل لكى يتعلم وينمى قدراته العقلية له من الأهمية حتي نصل من خلاله إلى نضج العقول وإظهار

العبقريات ونجد أن هذا الجانب كان له التكوين الأول فنزلت الأيات الأولى تدل على ذلك دلالة لا جدال فيها حيث قال الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ **اقرأ بإسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم**﴾ (٢٢) وقد أكدت هذه المعاني وغيرها في هذا الجانب في كل من سورة الزمر ٩ ، طه ١١٤، المجادلة ١١، والقلم (١، ٢) وغيرها .

إن مسئولية الاهتمام بالجانب الفكرى والتعليمى يجب أن تبدأ من الصغر، ويجب أن تكون إجبارية وهى تعتبر أمانة كبرى فى عنق الآباء والمربيين والمعلمين منذ نعومة أظافر الطفل ، الى أن يصل إلى سن الرشد يبدأ هو - الإنسان - بتحمل مسئوليته نحو ذلك ويستكمل جوانب حياته العلمية لأن الاهمام بهذا الجانب يبدأ منذالبداية تركيز أذهان الأطفال على الفهم المستوعب والمعرفة المجردة والإدراك الناضج الصحيح ، والمسئولية هنا يجب أن توجه نحو إرتباط الطفل منذ بداية حياته بالإسلام ووعيه به دينا ودولة ، وبالقرآن الكريم نظاما وتشريعا وبالتاريخ الإسلامى عزا ومجدا ، وبالثقافة الإسلامية العامة روحا وفكرا والإرتباط الحركى بالدعوة الإسلامية اندفاعا وممارستنا(٢٣) .

٥) ملاحظة الجانب العقائدى (الإيمانى) :

وهى ملاحظة ارتباط الطفل المسلم بالله ربا ، وبمحمد رسولا ونبيا بالإسلام دينا وروحا. وذلك من خلال : -

ملاحظة الجانب الروحى .. والذى يلاحظ من خلال ذكر الله تعالى فى بداية كل عمل أو عند تأدية أى حاجة ، وذكر رسول الله ﷺ عند سماعه اسمه والثناء عليه وتعامله بروح القرآن وآياته قراءة وتلاوتا وحفظا وشكراً لله وحمده له عند نجاحه فى عمله أو إتمام عمله أو تأدية حاجته .

ملاحظة الجانب الخاص مع العبادة وتطبيقها .. والذى نلاحظ فيه سلوك الطفل عند تأديته للعبادة من صلاة وصوم وذهاب إلى مجالس العبادة والعلم والفقه للتعبد والتفقه فى الدين وأحكام العبادات .

وملاحظة تأديته الأدعية المأثورة بما يتناسب مع سنه .. وهى فى المجالات العديدة وفى بداية كل حاجة ونهايتها ، ففى الصباح والمساء وعند النوم وعند الاستيقاظ ، وعند الشرب والشبع ودخول البيت والخروج منه فى السفر وكذلك المطر والتعرض للأخطار والمهالك ، وكذلك عند الأرق أو المرض أو الخوف .

وملاحظة الجانب الخاص بالأخلاق .. والمرتبط بالصدق فى القول والعمل . وكذلك الاخلاص والوفاء وحفظ الأمانة وتأديتها ، وحفظ اللسان وعفته من أى سباب أو شتائم أو ألفاظ قبيحة .

وقد قمت بتجسيد الأحاديث والآيات القرآنية وتحويلها إلى سلوك فى محاولة للاحظتة فى الدليل الهادف إلى التعرف على شخصية الطفل المسلم .

ثانيا : دليل الملاحظة (كنموذج) :

يمكن القول أن دليل الملاحظة (كنموذج) بعد إطارا من الأسس والقواعد الإسلامية التى من خلالها يتم التعرف على شخصية الطفل المسلم .

حيث أرى أن الملاحظة تفيد بعد تقنيتها وتحديد الأبعاد الأساسية التى يجب أن تلاحظ أو التى يمكن وضعها فى نطاق الملاحظة والقياس .. فى التعرف على شخصية الطفل المسلم .. مما يساعدنا ويمكننا من السيطرة على هذه الأبعاد وتحديدها وكذلك توجيهها وفق الأسس والقواعد الإسلامية فى حالة عدم تواجداها أو تواجدها بشكل غير إسلامى .

ولقد قمت بتحليل العناصر الأساسية للشخصية فى ضوء التراث الإسلامى ... متمثلة فى سلوك الطفل فى محاولة لتحديده وملاحظته ومن ثم تفسيره ، ومعرفة قبله أو بعده من السلوك الإسلامى فى هذه المرحلة .

وكانت هذه المحاولات بهدف : -

مراعاة الدقة فى الملاحظة والتسحيل والقياس .

ضرورة التحكم فى الظروف التى يمكن أن تؤثر في عملية الملاحظة وخاصة فى عنصرها البشرى المتمثل فى الملاحظ .. مما يساعد بقدر الامكان على تجنب أى نوع من أنواع التحيز الشخصى فى التقدير .

تحديد الأبعاد والجوانب التى تخضع للملاحظة حتى نرى مقدار ما يتكشف لنا من ملاحظات بناء على تجانس بناء الأبعاد الفرعية فى كل جانب أى تجانس الملاحظات وتركيزها فى جوانب وأبعاد متقاربة ومتلاصقة .

الوصول إلى الموضوعية .. اعتمدت على تحليل المصادر المعرفية الإسلامية فى تصوره لأبعاده الشخصية ، مركزا على الاستعانة بالأحاديث المحمدية كقواعد وأسس مع الآيات القرآنية كإطار عام ، ونحن كمسلمون لا نستطيع أن نشك لحظة فى الأسس الإسلامية وقوعدها ، حيث أنها تحدد لنا الأطر التى يجب أن نتحرك من خلالها والسلوك الذى يجب أن نفعله وكذلك لا نستطيع أن نشك فى علميتها ، وسلامة قيمه .

كما أن القيام بإجراء الملاحظة يعنى أننا يجب أن نحدد ما هو الشئ الذى يجب أن نلاحظة ونتعرف على أبعاده ونحدده بدقة ووضوح وموضوعية ونخرج من

خلال ذلك بإطار محدد لظاهرة أو موضوع أو كيان إجتماعى أو شخصية بوضوح للملاحظة .. وهنا نحدد شخصية الطفل فى الإطار الإسلامى أو شخصية الطفل المسلم .

١- الهدف من النموذج :

يتحدد هدف النموذج (الدليل) فى المقام الأول فى توجيه الأخصائى الإجتماعى الذى يعمل فى مجال الطفولة للتعرف على سلوك الطفل وتصرفاته وأفعاله والتى يمكن من خلالها فهم أبعاد هذا التكوين الشخصى للطفل ، ومداه وقربه أو بعده عن شخصية الطفل المسلم ، كما جاء فى الكتاب والسنة ،

أما بالنسبة للأهداف العملية الأخرى .. يمكن تحديدها فى الآتى : -

إن أقامة هذا الدليل يعبر عن محاولة تأصيل مجال من أهم مجالات العمل المهني ألا وهو مجال الطفولة ، فى المصادر المعرفية الإسلامية .

إنه يحدد لنا أبعاد شخصية الطفل المسلم وجوانبها وبتطبيقة يعرفنا مدى قرب شخصية الطفل من الشخصية الإسلامية أو بعده عنها .

يساعدنا بتحديد الأبعاد الإسلامية الناقصة فى شخصية طفلنا المسلم على العمل على معالجة هذا النقص أو جوانب الإنحراف ، قبل أن تتوغل فيه فتحدث خللا فى الكيان الإنسانى الشخصى للطفل المسلم . وحتى لا تضيع كل الأبعاد فى زماننا هذا .

كما أن استخدام هذا النموذج لأطفال مدرسة أو مؤسسة يوضح لنا إلى أى مدى ترتبط هذه المدرسة أو المؤسسة بمناخها وبيئتها التى تحتويها مع الإطار الإسلامى وهذا ما نتعرف عليه من خلال قرب وبعد الأطفال فى كل منهم من هذا الدليل.

كما أن استخدام هذا الدليل لاطفال بيئة معينة ، يوجهنا إلى علاج البيئة كلها فى الجوانب الناقصة أو المنحرفة بدلا من العمل على التعامل الفردى مع كل طفل على حده .

كما يمكن إستخدام عناصر هذا النموذج وأبعاده فى تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة وخاصة للأطفال الذكور .

وهذا النموذج وهذه الأهداف من وراء استخدامه توجهنا نحو الاهتمام بشخصية الطفل المسلم ، وكذلك إلى الأهتمام بالبيئة الأسرية أو المدرسية أو المؤسسة التى تكون هذه الشخصية ، حيث يعتمد تكوينها على هذه البيئة .

وكذلك يبين لنا استخدامه إلى أن دور الإخاء يتعدى تعامله مع الطفل وكذلك مع الأسرة والمدرسة والمؤسسة ، الى التعامل في بعض الأحيان ، وان كان فى تصورى فى الكثير من الأحيان ، مع البيئة كلها وخاصة لو استخدم التعامل مع البيئة المحلية يكون التأثير أقوى .

٢- بناء الدليل (النموذج) :

فى إعتقادى ، أنه على الرغم من وجود مقومات الشخصية الإنسانية كاملة الأبعاد ، متكاملة الجوانب فى الإسلام ، منذ نشأتها وكذلك فى مرحلة طفولتها وشبابها ورجولتها ، كأحد الأطر فى الدليل والذى أخذنا منها موضوع شخصية الطفل المسلم ، بناء على القواعد والأسس الإسلامية فى الكتاب والسنة ، ووجود الأبنية الأساسية لهذه الشخصية فى أبعادها الجسمية والنفسية والعقلية والإجتماعية والإيمانية فى نطاق العقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك والأخلاق والفكر والمعرفة ، ومن ثم المطلوب عند بناء الدليل من وجهة نظرى أن على وسائلنا المهنية وأساليبها أو آلياتنا المهنية العمل على التأصل لبناء نسيج إجتماعى إنسانى علي أسس إسلامية وقواعد إيمانية وكذلك العمل على تأصيل كيفية التفاعل والإنسجام والتلاحم والإنصهار مع الكيان الإسلامى فى عقيدته وأسسه وقواعده .

وعلى الرغم من إعتقادى بأن تكامل بناء الشخصية فى الإسلام فى مراحلها المتعددة ، قد حددها الله سبحانه وتعالى فى قوله : **﴿ صبغه الله ومن أحسن من الله صبغة﴾** (٢٤) إلا أنه يبقى المطلوب منا هو محاولة تشكيل الكيان المهنى فى ضوء الأصول الإسلامية ، كما يبقى علينا أيضا أن نحاول تفريغ الشكل المهنى من المواريث الفكرية المنقولة أو المنظوره والتى يجب أن يتم تمحيصها وتنقيتها من الأصول غير الإسلامية ، والتي يمكن بوجودها أن تشكل عائقا بل عوائق تقودنا إلى انهيار المجتمع الإسلامى ، إذا لم نتمكن من وضع المواريث فى موقعها المناسب الصحيح الذى يتماشى مع الإسلام.

ولبناء دليل الملاحظة " كنموذج " لنتعرف على شخصية الطفل المسلم .. فقد اتبع الباحث عدد من الخطوات ، المتابعة ، سوف نقوم بإستعراضها على النحو التالى : -

تحديد الموضوع الرئيسى ، الذى يتم على أساسه بناء هذا الدليل ، ألا وهو ملاحظة شخصية الطفل المسلم .. بل والتأكد من قابلية النصوص والقواعد والأسس المحدده للملاحظة ، بإعتبارها سلوك يعبر عن كيان شخصية الطفل المسلم .

تم تحديد المرحلة العمرية التى من خلالها يتم تحديد الأبعاد الأساسية للشخصية وقد تم تحديد العمر من عشر سنوات حتى الرابعة عشر وهى المرحلة التى يكون أوامر الدين بدأت تنفذ وتجدها فى سلوك الطفل قبل البلوغ .

على ضوء ذلك ، قام الباحث بإستعراض الإطار المعرفى الإسلامى فى أسسه وقواعده وأحكامه .

تم تحديد الأبعاد الأساسية للشخصية فى الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية والإجتماعية والإيمانية العقائدية ، وقد تم تحديد العبارات الخاصة والدالة فى كل جانب من الجوانب السابقة بناء على دراسة موضوع الشخصية فى الإسلام فى مرحلة الطفولة ، وفى العمر المحدد، وعلى الأسس والقواعد الإسلامية التى يجب أن تكون فى سلوك الطفل فى هذه المرحلة العمرية ، وقد تحقق من ذلك الصدق الموضوعى للنموذج .

تم عرض هذا النموذج - بعد صياغة عباراته ، والتحقق من الصدق الموضوعى بالرجوع إلى العديد من المراجع الإسلامية - على هيئة من المحكمين من أعضاء هيئة التدريس بكلية الخدمة الإجتماعية - عشرة من أعضاء هيئة التدريس - حتى يمكن أن أحقق الصدق الظاهرى لهذا النموذج أيضا، وقد تم الإسترشاد بآرائهم وخاصة فى صياغة بعض العبارات أو حذف بعض العبارات .

قام الباحث بمراعاة مجموعة من الإعتبارات فى وضع الصورة النهائية للنموذج يمكن عرضها على النحو التالى : -

- أن تكون الأبعاد الأساسية معبره عن أبعاد الشخصية الإسلامية .
- أن تكون التقسيمات الفرعية - داخل كل بعد أساسى - شامله ومعبره عن البعد الأساسى.
- روعى فى العبارات التعبير الدقيق الصادق - قدر الإمكان - عن الشئ وإرتباطها بالبعد إرتباطا أساسياً ، كما أن محتواها لا يعبر إلا عن البعد نفسه .
- تم وضع بعض العبارات فى بعدها الأساسى ، على الرغم من وجودها فى أكثر من بعد وفي مقدمة بعض الأبعاد ، وذلك نظرا لإنتهائها إلى البعد الذى وضعت فيه فمثلا : " سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك " وضعت سم الله فى البعد الإيمانى العقائدى وليس البعد الخاص مع القوعد الصحية المرتبطة بالجانب الجسمى " . وهكذا .

قام الباحث بصياغة النموذج كمقياس فى شكله النهائى ، ثم قام بوضع الأوزان على إعتبار أربع أوزان أساسية للملاحظة وهى " دائما ، أحيانا ، نادرا ، لا .

نظام تصحيح النموذج (كمقياس) :

١- يتم تصحيح النموذج بناء على أربع مستويات متدرجة وهذه المستويات هى : -

دائمـــــا	٣	ثلاث درجـات
أحـــيـــانا	٢	درجـــتـــان
نـــــادرا	١	درجة واحدة
لا		

هناك بعض العبارات سالبه ، ويتم تصحيحها عكسيا ، أى أن :

دائمـــــا	صفر	
أحـــيـــانا	١	درجة واحدة
نـــــادرا	٢	درجـــتـــان
لا	٣	ثلاث درجـات

الأرقام السلبية :

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٩٥ ، ..

الأبعاد الأساسية للنموذج وتقسيماتها ويمكن إيضاحها بهذا الشكل فى الجدول الآتى :

م	الابعاد	عدد العبارات	الأبعاد الفرعية	أرقام العبارات	عدد العبارات الفرعية
١	الجسمى	٣٠	أ) القواعد الصحية الجسمية . ب) سلامة الجسم وقوته .	١ – ٢٢ ٢٣ – ٣٠	٢٢ ٨
٢	النفسى	٢٢	أ) الذات النفسية . ب) بعض الظواهر النفسية .	٣١ – ٣٥ ٣٦ – ٥٢	٥ ١٧
٣	العقلى	١٢	أ) اقبـاله على العلم وخـاصـة الدينى . ب) وعيه بالاسلام فكريا	٥٣ – ٥٨ ٥٩ – ٦٤	٦ ٦
٤	الاجتماعى	٣٦	أ) تعاملاته الاجتماعية ب) تفاعلاته الاجتماعية جـ) مشاعره مع الآخرين	٦٥ – ٧١ ٧٢ – ٩٤ ٩٥ – ١٠٠	٧ ٢٣ ٦
٥	الايمانى	١٧	أ) الجانب الروحى ب) تطبيقه للعبادة جـ) الجانب الأخلاقى .	١٠١ – ١٠٤ ١٠٥ – ١٠٩ ١١٠ – ١١٧	٤ ٥ ٨

يتكون المقياس من ١١٧ عبارة ، تعبر عن شخصية الطفل المسلم ، ومدى اقترابه أو ابتعاده عن الأسس والقواعد الإسلامية فى الكتاب والسنة ، وقد قسمت ووضعت فى أبعاد تدل عليها ، وداخل كل بعد ، أبعاده الفرعية الدالة عليه .

ينبغى أن نوضح في هذا الشأن الدرجة النهائية على النموذج (المقياس) وهى التى يتم وضعها بناءً من ملاحظتنا للسلوك وتصرفات الطفل وفقا للعبارات الموضوعة ، على أساس أن الدرجة الكلية للمقياس هى عبارة عن عدد العبارات × الدرجة الكبرى للعبارة الواحدة ...أى

= ١١٧ × ٣ = ٣٥١ .

أى أن لو إستكملت ملاحظتنا تماما لشخصية الطفل ورصدنا التزامه التام بالنهج الإسلامى يحصل على ٣٥١ درجة ، وهى تعبر عن الدرجة النهائية ، إلا أن حسابنا للدرجة الكلية لملاحظتنا وفقا للقياس .. تحسب على النحو التالى: -

$$\text{الدرجة الكلية :} = \frac{\text{درجة ملاحظة الأبعاد}}{\text{الدرجة النهائية للمقياس}} = \cdots \%$$

$$\text{أو الدرجة الكلية :} = \frac{\text{درجة ملاحظة الأبعاد}}{351} = \cdots \%$$

كما يمكن حساب كل بعد فرعى على حدة من خلال عباراته ونعطى مثالا لذلك :

$$\text{الدرجة الكلية للبعد الجسمى :} = \frac{\text{درجات ملاحظة البعد الجسمى}}{\text{الدرجة النهائية للبعد}} = \cdots \%$$

$$\text{الدرجة الكلية للبعد الجسمى :} = \frac{\text{درجات ملاحظة البعد الجسمى}}{30 \times 3} = \cdots \%$$

وهكذا يمكن حساب كل الأبعاد الفرعية بل الجوانب الفرعية للأبعاد .

نود أن نشير إلى أن هناك أبعاداً جزئية فى بعض الأبعاد الفرعية بالنموذج يمكن توضحيها على النحو التالى : -

- ففى البعد الجسمى وفي بعده الفرعى أو الخاص بالقواعد الصحية الجسمية ، نجد أنها قسمت إلى ثلاثة أجزاء ، الأول خاص بالمأكل (١ - ١٤) والثانى خاص بالمشرب من (١٥ - ١٨) ، والثالث خاص بالنوم من (١٩ - ٢٢) .

– وفي البعد النفسى وفى بعده الفرعى ب والخاص ببعض الظوهر النفسية نجد أنه يقسم إلى أربعة أجزاء وهى خاصة بكل من : –

ظاهرة الخـــجل من (٣٦ – ٤٠)

وظاهرة الخــوف من (٤١ – ٤٣)

وظاهرة النقص من (٤٤ – ٤٩)

وظاهرة الغــضب من (٥٠ – ٥٢)

وهذا التوضيح بغرض سهولة إستخدام بعض جوانب المقياس الفرعية بصفة خاصة.

وسوف نقوم بعرض النموذج بأبعاده الأساسية والفرعية على النحو التالى :

دليل الملاحظة (كنموذج)*
للتعرف على شخصية الطفل المسلم

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمى	يلاحظ			
		دائما	أحيانا	نادرا	لا
أ	ملاحظات خاصة بإتباعه القواعد الصحية الجسمية				
١	يغسل يده قبل الأكل .				
٢	يأكل بهدوء .				
٣	يأكل مما يليه (أى من الطعام الذى أمامه مباشرة).				
٤	لا يسبق غيره فى تناول الطعام .				
٥	يتناول الطعام بيمينه .				
٦	يمضغ الطعام جيدا.				
٧	لا يأكل متكئا .				
٨	لا يأكل أكثر من حاجته .				
٩	لا يأكل الفاكهة وهى فجة .				
١٠	لا يأكل الخضار قبل غسله .				
١١	لا يعيب على طعام يقدم إليه .				
١٢	لا يستهزأ بالنعمة .				
١٣	يتحدث على الطعام (فهو شئ مستحب).				
١٤	يغسل يده بعد الأكل .				
١٥	يشرب بهدوء .				
١٦	يشرب مثنى وثلاث (فى المرة الواحدة).				
١٧	لا يتنفس فى الاناء .				
١٨	لا يشرب فوق حاجته .				

* لقياس مدى اتباع الطفل الأسس والقواعد الإسلامية .

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمى	يلاحظ			
		دائما	أحيانا	نادرا	لا
١٩	ينام علي الجانب الأيمن .				
٢٠	ينام مبكرا.				
٢١	يستيقظ من النوم مبكرا .				
٢٢	لا ينام بعد الأكل مباشرة .				
	ب – ملاحظات خاصة بسلامة الجسم وقوته :				
٢٣	يحرص على ممارسة الرياضة .				
٢٤	يمارس حياة الجد .				
٢٥	يمارس أنشطة التسلق والقفز والجرى .				
٢٦	يمارس الرماية .				
٢٧	يمارس ألعاب الفروسية أو ركوب الخيل.				
٢٨	يمارس السباحة .				
٢٩	لا يدخن .				
٣٠	لا يتناول المسكرات أو المخدرت .				
ثانيا	ملاحظات خاصة بالجانب النفسي				
	أ – ملاحظات خاصة بالذات النفسية :				
٣١	يثق فى نفسه .				
٣٢	يحترم نفسه .				
٣٣	يشعر بحاجته للنجاح .				
٣٤	يعتمد على نفسه فى القيام بواجباته .				
٣٥	لا يقبل الفشل ويصر على النجاح .				
	ب – ملاحظات خاصة ببعض الظواهر النفسية :				
٣٦	ينكمش على نفسه (ولا يتفاعل مع أقرانه) .				

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ: دائما	أحيانا	نادرا	لا
٣٧	ينطوى على نفسه (ولا يرغب فى التعامل مع الآخرين) .				
٣٨	يبتعد عن مواجهة الناس .				
٣٩	لا يرغب فى الدخول فى علاقات حتى مع أقرانه.				
٤٠	لا يبدى رأيه أمام الناس.				
٤١	يشعر بالجبن من أى شئ .				
٤٢	يتردد فى إتخاذ أى موقف .				
٤٣	يهرب من تحمل المسئولية .				
٤٤	يتردد فى إتخاذ قرار بنفسه .				
٤٥	يقبل قرار أقرانه دون مناقشة .				
٤٦	لا يشارك أقرانه فى المناقشة .				
٤٧	يكثر من التحدث عن نفسه .				
٤٨	يلفت الأنظار إليه بأى وسيلة .				
٤٩	ليس له صاحب .				
٥٠	يغضب لأتفه الأسباب .				
٥١	يثور بما لا يتناسب مع الموقف .				
٥٢	لا يملك زمام نفسه عندما يغضب مع زملائه .				
ثالثا	ملاحظات خاصة بالجانب العقلي				
	أ – ملاحظات خاصة بإقباله علي العلم وخاصة العلم الديني				
٥٣	يحفظ القرآن .				
٥٤	يتعلم أحكام العبادات .				
٥٥	يقرأ الكتب الدينية .				
٥٦	يحفظ الأحاديث الدينية .				

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمى	يلاحظ: دائما	أحيانا	نادرا	لا
٥٧	يتعلم تفسير الأحاديث الدينية .				
٥٨	يقدم بجراءة على العلم وخاصة العلم الدينى .				
	ب – ملاحظة وعيه بالإسلام فكريا				
٥٩	يستشهد بالآيات القرآنية عند حديثه مع زملائه .				
٦٠	يستشهد بالأحاديث النبوية مع زملائه .				
٦١	يلجأ إليه زملاؤه لتفسير بعض الأحاديث الدينية .				
٦٢	يحتكم إليه زملاؤه في بعض المواقف الدينية .				
٦٣	يستشهد بالتاريخ الإسلامي فى بعض المواقف .				
٦٤	يسرد قصص الرسول والأنبياء .				
	ملاحظات خاصة بالجانب الإجتماعي				
	أ – ملاحظات خاصة بتعاملاته الاجتماعية				
٦٥	يحسن معاملة والديه أو من يقوم مقامهما.				
٦٦	يحسن معاملة ذوى الأرحام .				
٦٧	يحسن معاملة جاره .				
٦٨	يحسن معاملة معلمه . (يحترمه ويوقره) .				
٦٩	يحسن إختيار الرفيق والجليس الصالح.				
٧٠	يحترم الأكبر سنا ويوقره .				
٧١	يطيع الأكبر سنا .				

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمى	يلاحظ			
		دائما	أحيانا	نادرا	لا
	ب - ملاحظات خاصة بتفاعلاته الإجتماعية :				
٧٢	يلقى السلام .				
٧٣	يرد على التحية بأحسن منهما .				
	يحسن آداب المجلس من حيث :				
٧٤	يصافح من يلتقى به من بنى جنسه .				
٧٥	يجلس فى المكان الذى يخصص له .				
٧٦	لا يجلس بين اثنين إلا بعد إستأذانهم .				
٧٧	يستأذن قبل انصرافه من المجلس .				
	يراعى أداب الحديث عند التحدث مع الاخرين .				
٧٨	يتحدث باللغة العربية الفصحى (لأنها لغة القرآن) .				
٧٩	يتمهل فى الكلام أثناء الحديث .				
٨٠	يخاطب الآخرين على قدر الفهم .				
٨١	يصغى إلى المتحدث .				
٨٢	يقبل كمتحدث علي الجلساء جميعا .				
٨٣	بسيط فى حديثه .				
٨٤	مهذب فى سؤاله .				
٨٥	يحسن الوصول لما يريده فى رقة وأدب .				
٨٦	يمسح أثار الخطأ فى حديثه إذا صدر منه .				
٨٧	يحسن الاعتذار للآخرين .				
	يراعى أداب المزاح :				
٨٨	حسن المزاح .				

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمي	يلاحظ			
		دائما	أحيانا	نادرا	لا
٨٩	لا يكذب فى مزاحه				
٩٠	لايجادل فى مزاحه (حتى وان كان صادقا) .				
٩١	يحسن تهنئة الناس ببشاشة وسرور .				
٩٢	يقدم على زيارة المريض بحب وتعاطف .				
٩٣	يحمد الله عند العطاس والتثاؤب .				
٩٤	يرد علي الأخرين عند العطاس يرحمكم الله .				
	جـ - ملاحظات خاصة بمشاعره النبيلة مع الأخرين .				
٩٥	أنانى فى تعامله مع الاخرين .				
٩٦	يحب للآخرين كما يحب لنفسه .				
٩٧	يعامل الآخرين بحب ورفق وموده .				
	يتقبل القضاء والقدر .				
٩٨	لا يحزن إذا مرض .				
٩٩	لا يغضب إذا انفعل عليه أحد .				
١٠٠	لا يعترض عند وفاة أحد والديه أو عزيز عليه .				
خامسا	**ملاحظات خاصة بالجانب العقائدي الإيماني**				
	أ - ملاحظات خاصة بالجانب الروحي الإيماني :				
١٠١	يذكر اسم الله فى بداية أى عمل أو				
١٠٢	تأدية أى حاجة *				
١٠٣	يصلى على الرسول عند ذكر إسمه .				
	لا يتحدث عند سماعه القرآن يتلى .				

* قبل الأكل والشرب والنوم أو المذاكرة .

تابع دليل الملاحظة كنموذج

أولاً	ملاحظات خاصة بالجانب الجسمى	يلاحظ			
		دائما	أحيانا	نادرا	لا
١٠٤	يحمد الله عند قضائه حاجة أو الإنتهاء من عمل .				
	ب – ملاحظات خاصة بجانب تطبيقه للعباده :				
١٠٥	يؤدى الصلاة بإنتظام فى أوقاتها .				
١٠٦	يصوم فى شهر رمضان .				
١٠٧	يذهب إلى مجالس العبادة .				
١٠٨	يذهب إلى مجالس العلم والفقه .				
١٠٩	يؤدى الأدعيه * .				
	جـ – ملاحظات خاصة بالجانب الأخلاقي :				
١١٠	لا يكذب فى أقواله .				
١١١	لا يخلف فى وعوده .				
١١٢	يؤدى الأمانة إلى أصحابها .				
١١٣	لا يسرق (ولو كانت أشياء تافهة) .				
١١٤	لا يتلفظ بالسباب .				
١١٥	لا يتفوه بالشتائم .				
١١٦	يحترم من هم أكبر منه .				
١١٧	يعطف على من هم أصغر منه .				

ثالثا : إطار تصوري لدور الأخصائي الإجتماعي في إستخدامه لدليل الملاحظة كنموذج ومقياس .

تعتبر الملاحظة من أهم المهارت الأساسية التي يجب أن يتميز بها الأخصائى الاجتماعى فى عمله ، حيث أن مهارة الأخصائى الإجتماعى فيها تحدد فى الشفافية الحسية فى التعرف على سمات شخصية العميل بصرف النظر عن نوع العميل وسنه

* مثل الدعاء عند النوم والأستيقاظ والإفطار وفى حالة الأرق والحزن والهم والسفر ..

ومشكلته أو حاجته ، ومحاولة استنباط العلاقات بحسه المهنى بما يمكنه من تحقيق عملية المساعدة بأحسن صورة ممكنة .

من هذا المنطلق يتوقع الكثير من المهنيين وربما الأخصائيين الأجتماعيين أن أسلوب الملاحظة بما فيه من مهارة يستخدمها الإخصائى الاجتماعى لا يستخدمه إلا لفهم أبعاد الشخصية وعلاقاتها بالموقف الاشكالى وغالبا ما تكون هذه الأبعاد قد رسمتها علوم النفس والاجتماع ... إلا أنه يجب أن تتنبه الأذهان أن إستخدام أسلوب الملاحظة يختلف بإختلاف الاتجاه الذى يتحرك به الأخصائى الاجتماعى وكذلك بالشئ الملاحظ ولذلك سوف نوضح هذا الدور من خلال إرتباطه بمجموعة من المتغيرات الأساسية التى تحركنا فى إستخدام أسلوب الملاحظة وبالتالى دليل لملاحظة .

ويمكن لنا إستعراض هذه المتغيرات بما فيها من تصور للأدوار على النحو التالى:-

(١) إرتباط دور الإخصائى الإجتماعى بمبادئ أساسية :

لكى يتحرك الإخصائى الاجتماعى فى عمله ويقوم بدوره ، لابد أن يلتزم بمبادئ أساسية ، اتفقت عليها غالبية كتب الخدمة الإجتماعية دون شك أو تناقض بينهم ، ودون تفضيل احداهما على الآخر ، وهذه المبادئ هى الالتزام الدينى فى المقام الأول ثم الالتزام الأخلاقى ثم الالتزام المجتمعى . وفى تصورى أن الألتزام الأخلاقى ما هو الا ترجمة عملية للإلتزام الدينى إلا أن توضيحه والتركيز عليه هو عبارة عن الأعتراف بالكيان الأجتماعى وما انتجه من نسيج أخلاقى .. وأن الالتزام المتجتمعى لابد وأن يضع الدين فى مقامه الحقيقى ...

ويعود التزام الإخصائى الإجتماعى بمبدأ الإلتزام الدينى إلى إعتبار أساس ألا وهو " إن فلسفة الوجود الإنسانى من المنطلق العقائدى هى الإيمان بالله وتوحيده والعمل على تحقيق سننه على الأرض ، لأن الإنسان ما هو إلا خليفة الله علي الأرض . وعليه أن يقوم فى حياته ملتزما بما أنزله الله ، وبما يدعو إليه نبيه . ونود الإشارة إلى أنه بدون أن ننادى به لابد من تطبيق هذا المبدأ فى عملنا مع جميع عملائنا وأفراد المجتمع، إلا أن التأكيد عليه يعنى أن هناك مؤثرات متعددة تدعونا إلى ذلك وهى : -

تزايد النزعات الفردية الذاتية ، مغريات الوجود الإنسانى ، مما دفع بعض الناس، بل الكثير منهم نحو الابتعاد عن الإلتزام بالأسس والقواعد الدينية .

تزايد جهل الناس بالنواحى الدينية وذلك نظرا لانشغالهم بأمورهم الدنيوية وخاصة المادية وبالتالى تكوين النشأة بعيداً عن الإطار الإسلامى .

تفسير بعض الناس لبعض الجوانب الدينية بطريقة خاطئة أو غير سليمة نظرا لنقص الدعاة أو تزايد الناس أو عدم التركيز فى الفهم أو عدم الرغبة فى فهمها إلا بالشئ الذى يحقق بعض الأغراض الوقتية بما يجعل تنشئة الطفل تنشئة مهزوزة دينيا أو مضطربة فى جانبها الدينى .

(٢) إرتباط دور الأخصائى الإجتماعى بمجال الطفولة :

يعمل الإخصائى الإجتماعى فى العديد من المجالات ومن بينها مجال الطفولة وتوجد العديد من المشكلات فى مجال الطفولة من بين هذه المشكلات اهتزاز الكيان الاجتماعي للطفل أو اهتزاز بنائه الشخصى نتيجة لتنشئته على أساس برامج وأساليب ومناهج وضعية وربما غربية ، زاد هذا الإهتزاز ، تداخل الثقافات الغربية بعرضها العديد من البرامج والأفلام ليست من قيمنا وديننا واطارنا الثقافى وتنوع المدارس وخاصة للأطفال بمناهجها الغربية والتى ربما يكون فيها جانب علمانى .. مما يخلق تناقضا بين الوجود الإجتماعى الذى يعيشه الطفل فى بيئته الإجتماعية وبين ما يتعلم ويسمعه من البرامج المدرسية أو الإعلامية ... وهنا تضطرب شخصية الطفل ويدخل فى العديد من المشكلات والإنحرافات السلوكية .. ويتحرك الإخصائى الإجتماعى فى عمله معه .. لذلك لابد وأن يبدأ الإخصائى فى معرفة إلى أى مدى تقترب هذه الشخصية من كيانها الطبيعي القيمى أى إلى أى مدى تقترب من شخصية الطفل المسلم ... وهنا يتحدد دور الإخصائى الإجتماعى فى جانبين أساسيين :

إما أن يساعد الأبوين على فهم كيفية تحقيق ملاحظتهم للتعرف على شخصية طفلهم ..

أو يقوم أثناء تواجده فى المدرسة بملء هذا الدليل أو النموذج وهنا يبدأ دور الإخصائى الاجتماعى فى إستخدام ملاحظته نحو العميل على التعرف على شخصية الطفل .

إلا أننا نوجه الأذهان إلى أن ملاحظات الإخصائى الإجتماعى فى هذا الشأن كثيره ... ويمكن له إقامة ملاحظاته وتسجيلها أولاً بأول وذلك من خلال :

أ - قيامه بنفسه أثناء تواجده مع الأطفال فى الجماعات المختلفة بالمدرسة وخاصة فى أنشطتها التى يمكن أن تستغرق ساعات أو أيام مثل الرحلات أو المعسكرات أو الأندية الصيفية حتى يكون مساعدته لأطفالنا مبنية علي أساس إسلامى سليم من خلال ملاحظته والتعرف على الجوانب الناقصة فى شخصيته

ب - مساعدة الأبوين أو المعلمين عن طريق تعليمه (وهنا يقوم بدور الخبير) بملأ دليل الملاحظة .

جـ - يمكن أن نستعين بأكثر من شخص يملء دليل الملاحظة ، وإن كان هذا يمكن أن يعطى إنعكاسا خاطئا لإختلاف الملاحظين ولذلك أرى أنه يمكن أن يملء دليل الملاحظة وفق ملاحظاته ويستعين بالأبوين أو من يقوم مقامهما وبالمعلمين والمربيين ويقارن الملاحظات أو يأخذ متوسط درجة الملاحظة بين الملاحظين .

(٣) تنوع المؤسسات التى يعمل معها :

نجد أن هنالك العديد من المؤسسات التى يتاح فيها تعامل الإخصائى تعاملاً لصيقاً مع الأطفال لفترات طويلة ، وعلي سبيل المثال كما قلنا المدرسة إلا أن هنالك مؤسسات أكثر من بينها مؤسسات الأحداث والمؤسسات الخاصة باليتيم ولو أضفنا الأندية والساحات الشعبية ... لوجدنا أن الإخصائى الاجتماعي يقضى وقتا طويلا ملاحظا لسلوك أعضاء هذه المؤسسات خاصة مؤسسات الأحداث بالذات نظرا لإنحراف سلوكهم ، فهم بدرجة أو بأخرى بعيدين عن النهج الإسلامى ، لذلك لابد وأن يحدد الأخصائى الإجتماعى إلى أى مدى يكون هذا البعد من خلال تواجده المتلاصق بهؤلاء الأحداث وعلى ضوء ملاحظاته يكون قياسه لأبعاد الشخصية الإسلامية فى الطفل ثم يبدأ فى بناء برامجه العلاجية مستخدما أسلوب القدوة فى علاج الكثير من جوانب الانحراف .

(٤) تنوع الأهداف التى يسعى لتحقيقها :

هناك العديد من الأهداف التى يسعى الإخصائى الإجتماعى لتحقيقها ومنها الأهداف العلاجية والوقائية والانشائية ، ونجد أن دوره فى الاستخدام لدليل الملاحظة كمقياس .. يساعد على قيامه بالدور الوقائى حتى لا تنحرف شخصية الطفل عن الشخصية الإسلامية .. إلا أننى أرى أن وجود الدليل مع الإخصائى الإجتماعى يمكن أن يقوم بأهدافه الإنشائية ، بناء علي برامج اجتماعية تتحرك فى الكثير من البرامج المهنية ، وتتحرك أدوار الإخصائى الإجتماعى نحو :

دفع الأفرد إلى إختيار برامج تلفزيونية لها الصبغة الدينية في الكثير من الأوقات.

دفع أعضاء الجماعات المدرسية إلى إختيار رحلات فيها طابع إسلامى وفى حالة إختيارهم رحلات إلى مدن للترفيه ، يمكن أن يضع فى البرنامج زيادة بعض المتاحف الإسلامية أو الآثار الإسلامية داخل برنامج الرحلة .

عند قيام جماعات المدرسة أو المؤسسات أو الأندية أو الساحات الشعبية بعمل حفلات لابد وأن يوجههم الإخصائى إلى القيام بحفلات لها طابع إسلامى ويساعدهم على سرد القصص الإسلامية والسيرة النبوية وسيرة الأنبياء .

كما نود الإشارة إلى أن قيامه بدوره الإنشائى يمكن أن يتحدد بناء على استخدام الدليل ، لتحديد أى جانب يحتاجه إلى المساعدة نتيجة لبعده أكثر عن الكيان والنهج الإسلامى، مستثمرا برامجه المتنوعة وأنشطته المختلفة وأدواره المتعددة فى تحقيق أهدافه العلاجية والوقائية والانشائية .

من خلال هذه العملية البسيطة يتضح لنا أن استخدام الأخصائى الأجتماعى لهذا النموذج كمقياس يفيد ليس فقط لمرحلة الطفولة فى مجالها المدرسى ولكن لمرحلة الطفولة فى مجالات ومؤسسات متنوعة وبأهداف عديدة أهمها المحافظة على شخصية الطفل المسلم .

الهـــوامش

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) ج. ل. لوبيه ميل : مقدمة فى مناهج بحث العلوم الإجتماعية ى ض علا مصطفى أنور : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، سنة ١٩٨٥ ، ص ٦

(٣) المرجع السابق ، ص ٦ .

(٤) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد بالمجتمع المعاصر القاهرة : الأنجلو المصريه ، جـ ٣ سنة ١٩٧٣ ، ص ٢٤٥ .

(٥) ديوبولدن . ن فان دالين ، مناهج البحث الأجتماعى فى التربية وعلم النفس ، ترجمة محمد نبيل نوفل وأخرون ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، بدون ص ٤٩١ .

(6) Selltiz, G,et.sl. Reseorch Methods in Social Relation, Henrs Holt, 1961, p 404.

(٧) عبد الفتاح عثمان : مقدمة فى الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩، صـ ١٧٩ .

(٨) سورة طه ١٣٢ .

(٩) فتح البارى ، جـ ١ صـ ٥٠٣ .

(١٠) الأمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى : رياض الصالحين: القاهرة دار التراث ط ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م -ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(١١) النووى الدمشقى : المرجع السابق ص ٢٨٢.

(١٢) فتح البارى : جـ ٩ ، ص ٤٣٨ .

(١٣) سورة الأنفال ، ٦٠ .

(١٤) صحيح البخارى .

(١٥) فتح البارى صـ ٩٧ .

(١٦) عبد الله صالح علوان : تربية الأولاد فى السلم " الجزء الأول والثانى بيروت - دار الطباعة للنشر والتوزيع ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م .

(١٧) سورة المعارج ١٩ - ٢٣.

(١٨) سورة آل عمران ١٠٣ .

(١٩) صحيح البخارى ، حـ ١ صـ ٧٣.

(٢٠) سورة الحشر ١٠ .

(٢١) سورة البقرة ٢٣٧ .

(٢٢) سورة العلق ١ – ٥ .

(٢٣) عبد الله علوان : مرجع سبق ذكره صـ ٢٥٩ .

نحـو مكنـز إسـلامى
للخدمة الاجتماعية

أ. زينب عطيه محمد

المستـــوى الأول

أولا : النظرية

ثانيا : المنهـج

ثالثا : التطبيق

المستـــوى الثانى

أولا : النظرية :

أ – سنن الله فى النفس والمجتمع .

ب – الضوابط الشرعية .

جـ – مقاصد الخدمة الاجتماعية .

د – موضوعات الخدمة الاجتماعية .

ثانيا : المنهج :

أ – مبادئ الخدمة الاجتماعية .

ب – طرق وأساليب الخدمة الاجتماعية .

جـ – أدوات الخدمة الاجتماعية .

ثالثا : التطبيق :

أ – الخدمة الاجتماعيه كمهنه .

ب – مجالات الرعاية الاجتماعية .

المستـــوى الثالث

أولا: النظرية :

أ – سنن الله فى الأنفس والمجتمع .

١ – سنن فطرية .

٢ – سنن ذات علاقة سببية .

ب - الضـــوابط الشـــرعـــيـــة .

١ - عـــقـــيـــدة .

٢ - قـــيم أخـــلاقـــيـــة .

٣ - أحكام تكليـــفـــيـــة .

جـ - مـقـاصـد الخـدمـة الاجـتـمـاعـيـة .

١ - جانب وقائى .

* سـد خلة المجتمع (التكافل الاجـتـمـاعى) .

* سد ذرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية) .

٢ - جانب علاجى .

* الإصلاح الاجتماعى (علاج المشكلات الاجتماعيه) .

* تفريج الكرب (علاج المشكلات الفردية) .

* إغاثة الملهوفين (نجده ضحايا الكوارث) .

٣ - جانب إنمائى .

* عمارة الوقت .

- تزكية النفس (الارتقاء الأخلاقى) .

- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعى) .

د - موضوعات الخدمة الاجتماعية .

١ - الرعاية الاجتماعية .

٢ - التنمية الاجتماعية .

٣ - المشكلات الفردية الاجتماعية .

٤ - الاصلاح الاجتماعى .

ثانيا : المنهج :

أ - مبادئ الخدمة الاجتماعية .

١ - الرفق فى المعاملة (التقبل) .

٢ - التدرج فى تعديل السلوك .

٣ - مراعاة اختلاف البشر (الفروق الفردية) .

٤ - الستر والسرية .

٥ - المحاسبة والمراقبة (التقويم الذاتى) .

٦ - المجاهدة واستفراغ الوسع (المساعدة الذاتية) .

٧ - التعاون والمشاركة الايجابية .

٨ - لاضرر ولاضرار (المصلحة الشخصية فى إطار المصلحة العامة) .

ب – طرق وأساليب الخدمة الاجتماعية .

١ – العمل مع الأفراد .

٢ – العمل مع الجماعات .

٣ – تنميه المجتمع المحلى .

٤ – التخطيط والسياسة الاجتماعية .

٥ – الإدارة فى الخدمة الاجتماعية .

٦ – البحوث فى الخدمة الاجتماعية .

جـ – أدوات الخدمة الاجتماعية .

١ – المقابلة الفردية .

٢ – الزيارة المنزلية .

٣ – المقابلة الاجتماعية .

٤ – اجتماعات الجماعة .

٥ – تصميم البرامج .

٦ – التسجيل .

ثالثا : التطبيق :

أ – الخدمة الاجتماعية كمهنة .

١ – سمات شخصية (الأخصائى الاجتماعى) .

٢ – الإعداد العلمى .

٣ – التدريب الميدانى .

٤ – التنظيم المهنى .

ب – مجالات الرعاية الاجتماعية .

١ – المساعدات العامة .

٢ – رعاية الأسرة .

٣ – رعاية الطفولة .

٤ – رعاية الشباب .

٥ - رعاية المسنين .

٦ - رعاية المعوقين .

٧ - رعاية الأحداث .

٨ - رعاية المسجونين .

٩ - الرعاية الصحية الاجتماعية .

١٠ - الرعاية النفسية الاجتماعية الطبية .

١١ - الرعاية الطبية الاجتماعية .

١٢ - مجال مكافحة المخدرات وعلاج الإدمان .

١٣ - مجال التربية والتعليم .

١٤ - الرعاية العمالية .

١٥ - الرعاية الاجتماعية فى مجال القوات المسلحة .

١٦ - المجال الأمنى والشرطة .

١٧ - الكوارث والإغاثة والتجهيز .

١٨ - الإسكان والمواصلات .

١٩ - تنمية المجتمعات الريفية والصحراوية والحضرية .

٢٠ - التعاون الدولى والاقليمى .

٢١ - مجال الدعوة إلى الله .

٢٢ - رعاية معتنقى الإسلام حديثا .

المســـتوى الرابع

أمثلة من النظرية :

أ - سنن الله فى الناس والمجتمع .

١ - سنن فطرية : أمثلة منها .

- العبودية لله وحده .
- الاستخلاف فى الأرض .
- الهداية العامة (هداية النجدين) .

- أمانة الفطرة (الاختيار - الإرادة) .
- وحدة الإنسان (جسد - روح - وجدان - عقل) .
- الإنسان عرضه للأغيار (التغير النفسى والبدنى) .
- حب الشهوات (النفس - الحس - الإنجاب - المال - الجاه) .
- الاختلاف بين البشر (الخَلق - الخُلق - الأرزاق - الآجال) .
- القابلية لتعديل السلوك (الاستعداد الفطرى) .
- التعارف والتكامل والتعاون (الانسان كائن اجتماعى) .
- الانسان عرضه للفناء (إخفاء مكان وزمان وكيفية الموت) .
- القضاء والقدر (الابتلاءات) .
- مداولة الأيام بين الناس (التغير الاجتماعى) .
- الرزق (ضمانه - تقديره - إخفاؤه - التفاوت فيه) .

٢ - سنن ذات علاقه سببيه .

- السلوك الانسانى والأحداث الكونية .
- التغير النفسى والتغير الاجتماعى .

ب - الضوابط الشرعية .

١ - العقيده .

- التوحيد .
- الإيمان بالله تعالى .
- الإيمان بالملائكة .
- الإيمان بالكتب المنزلة .
- الإيمان بالرسل .
- الإيمان باليوم الآخر .
- الإيمان بالقدر خيره وشره .

- الأسوه الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - القيم الأخلاقيه :

- بر الوالدين .
- صلة الرحم .
- التعاون على البر والتقوى .
- الإحسان .
- الخير والبر .
- المعروف .
- الإيثار والعطاء .
- نصرة المظلومين .
- إغاثة الملهوفين .
- تفريج الكرب .
- الستر للمسلم ورعاية الحرمات الخاصة .
- إصلاح ذات البين والإصلاح بين الأخوة .
- الإصلاح بين الناس .
- النصيحة .
- التنافس المحمود والمساعدة فى الخيرات .
- التواصى بالحق والصبر والرحمة .
- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- كف الأذى عن الناس .
- الأمانة فى المعاملات.
- الصدق والأخلاص .
- الوفاء بالوعد .
- التسامح والعفو والحلم وكظم الغيظ .
- التواضع .
- العدل الاجتماعى والمساواة .

- الرضا بقضاء الله وقدره .

- المسئولية الفردية والاجتماعية .

- الشورى .

- تأكيد قيمة العمل .

- تأكيد قيمة الوقت .

٢ - أحكام تكليفية لها علاقة بالخدمة الاجتماعية .

أ - فيما يتعلق بالسنن الفطرية .

- الميثاق الفطرى .

- عمارة الأرض والاصلاح .

- تجنب الإفساد فى الأرض .

- التكليف والمسئولية والجزاء (التكليف بالوسع - رفع الحرج) .

- التوازن فى إشباع الملكات .

- التحكم فى الانفعالات .

- الفلاح لمن زكى نفسه .

- الخيبة لمن دس نفسه .

- مشروعية التوبة (المحاسبة - المراقبة - المجاهدة)

- عقدالزواج بشروطه - الاتيان المشروع للزوجة .

- الإنجاب المشروع - تجنب أبناء السفاح .

- حفظ العائلة - القيام بمسئوليتها .

- حفظ النفس (من المكروه والانتحار والإدمان والضياع).

- حفظ المال (الكسب الحلال - الإنفاق فى الحلال الاعتدال فى الانفاق - مراعاة مصالح الآخرين أداء حق الآخرين فى المال - الشكر لله) .

- تسخير الكون للانسان لعمارته .

- تسخير البشر بعضهم لبعض للتكامل والتعاون بينهم .

- تقسيم المعيشة بين الناس للابتلاء والرضا بالمقسوم .
- تداول الأيام بين الناس للابتلاء .
- تفاوت الدرجات بتفاوت المساعى .
- الرزق على قدر الهمة .
- الأخذ بالأسباب وربط الأسباب بالمسببات .
- التوكل على الله والتسليم له وتفويض الأمر لله .
- فتنه الناس بعضهم لبعض للابتلاء .
- ابتلاء الشهوات (السراء والضراء - الرخاء والشدة) .
- ابتلاء الشبهات (الشك - الكفر - النفاق) .

ب - فيما يتعلق بالسنن ذات العلاقة السببية .

١ - السلوك الانسانى والأحداث الكونية - المعاصى والكوارث .

الأحكام التكليفية - تقوى الله - انتشار الفساد والإهلاك بالذنوب

٢ - التغير النفسى والتغير الاجتماعى - الاستغناء والطغيان

- البسط والبغى فى الأرض .
- الترف والظلم .
- الانعام والاعراض .

الأحكام التكليفية - السراء والبطر .

- الشكر فى السراء - الضراء والقنوط .
- الصبر فى الضراء - التمتع والعتو ونسيان الذكر .
- اداء حق الله فى المال - الإعطاء والاكداء .

جـ - أحكام لها علاقة بموضوعات الخدمة الاجتماعية .

١ - الرعاية الاجتماعية

فيما يتعلق برعاية الحقوق الانسانية .

- حقوق الوالدين :

البر والإحسان بهما - الطاعة - النفقة الإرث من الأبناء .

- حقوق الزوج :

القوامة

الطاعة

إحسان العشرة

الاستمتاع

قرار الزوجة فى البيت – السكن والمودة والرحمة

العدة والاحداد عند الوفاة – الإرث فى حالة وفاة الزوجة

- حقوق الزوجة :

الصداق

النفقة

الاستمتاع – عدم العزل

إحسان العشرة – المودة والرحمة

العدل بين الزوجات – الإرث فى وفاة الزوج

- حقوق المطلق :

العدة

الإمساك

عدم كتمان مافى الأرحام

- حقوق المطلقة :

نفقة العدة – المتعة

التسريح بإحسان

عدم الإضرار بها أو العضل

الخلع – الافتداء

- حقوق الحوامل والمرضعات :

الإنفاق عليهن .

مشروعية أخذ أجر على الإرضاع

السكنى المناسبة

استئجار مرضع

- حق الجنين :

الحياة وتحريم الاجهاض

- حق الأيامى (العوانس والمطلقات والأرامل)

التزوج للعفة والإحصان والستر

- حق الطفل :

الحياة

الانبات الحسن

صلاح الأم

العدل بين الأبناء

الإنفاق عليهم - الولاية والرعاية

الإرث من الوالدين

- حق ذوى القربى :

صلة الرحم

الإنفاق الواجب

الستر والمواساة

- حق اليتامى :

الولاية والكفالة .

الرفق والرحمة بهم .

- حق المساكين والفقراء : سد الخلة .

- حق السائل والمحروم : العدل الاجتماعى .

- حق القانع والمعتر : توفير حد الكفاية

- حق الجار :

الاحسان إليه

أمن البوائق

- حق أبناء السبيل : الإعانة والإيواء .

- حق الضيف : القرى والضيافة والإكرام .

- حق الغارمين : سداد ديونهم

- حق المشردين

الإيواء

إكرام المثوى

- حق المسنين

الإكرام والرعاية

- حق المرضى

العـلاج

العيادة

- حق المنبوذ

الإلتقاط

الكفالة والولاية

- حق الملهوفين

الإغاثة

- حق المظلومين

النصرة

- حق المستضعفين

الرعاية والولاية

- حق الخدم

الإحسان

الرفق

الإعانة على ماغلبهم

- حق ضحايا الحروب والكوارث

النجدة

الإيواء

العلاج

التأهيل

التهجير والتوطين والتعمير

- حق العامل

الأجر العادل الفورى

الراحة

عدم السخرة

- حق العمل

الإتقان

الإخلاص

- حق الصحبة

النصيحة

الإعانة

الأخوة

- حق المواطن

القرار فى وطنه

- حق أهل الذمة

التسامح

الحماية نظير الجزية

- حق الناس

الإصلاح بينهم

كف الأذى عنهم

- حق الطريق

غض البصر - كف الأذى - إماطة الأذى عن الطريق - هداية الأعمى - إعانة المظلوم - إرشاد السبيل - إعانة على الحمولة - حسن الكلام - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

- حق الموتى

الغُسل

التكفين

الصلاة عليه

إكرامه بالدفن – مواراته التراب

سداد ديونه

إنفاذ وصيته

حق الحيوان

الرفق به

٢ – التنمية الاجتماعية

أحكام تكليفية لها علاقة بالتنيمة الاجتماعية

– استباق الخيرات (المبادرة والتنافس المحمود)

– تسخير الناس بعضهم لبعض (تحقيق التكافل الاجتماعى)

– تكريم الانسان (توفير حد الكفاية للفرد)

– التعاون على البر والتقوى (المشاركة الإيجابية)

– الإيثار رغم الخصاصة (التطوعية والغيرية)

– الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله

– لاضر ولاضرار (مراعاة مصالح الآخرين)

– استفراغ الوسع (استثارة الطاقات المعطلة والموارد الكامنة)

– نبذ الاسراف والتقتير – الاعتدال والقوام

– نبذ التواكل والبطالة والكسل والعجز

– الكدح والكد (تأكيد قيمة العمل وإتقانه والمثابرة عليه)

– استثمار وعمارة الوقت (تأكيد قيمة الزمن تربويا واجتماعيا)

– الأمر بالعُرف – العادة محكمة (العادات والتقاليد والأعراف – الدارسة – الترشيد – التحكيم)

٣ – المشكلات الفردية والاجتماعية :

أحكام تكليفية لها علاقة بالمشكلات

– النهى عن الأضرار بالذات (الانتحار – الإدمان – الضياع)

– النهى عن الأضرار بالغير (القتل – الايذاء – المكر السئ)

- النهى عن التقصير فى حقوق ذوى القربى (قطيعة الرحم)
- النهى عن عقوق الوالدين .
- النهى عن أكل الأموال بالباطل (الميسر - الربا - السرقة - السحت - النصب والاحتيال)
- النهى عن استغلال أموال اليتامى إلا بالتى هى أحسن - النهى عن دع اليتيم.
- النهى عن انتهاك حرمة الأعراض (الزنا - النظر للمحرمات - هتك الأعراض - قذف المحصنات الجنسية المثلية)
- النهى عن انتهاك حقوق الغير (الغيبة والنميمة - الاحتيال والطمع والجشع - السخرية - التجسس - الحقد والحسد) .
- النهى عن انتهاك حقوق المجتمع (الرشوة - الوساطة والشفاعة السيئة - استغلال النفوذ) .
- النهى عن الإفساد فى الأرض (الحرابة - شهادة الزور - تهريب وتجارة المخدرات)

٤ - الإصلاح الاجتماعى

أحكام تكليفية لها علاقة بالإصلاح الاجتماعى

- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
- التعزيز (الدفاع الاجتماعى)
- الحدود
- التحكيم فى الخلافات الزوجية
- الإصلاح بين الناس (الإصلاح بين الاخوة - إصلاح ذات البين)
- الكفارات (جزاءات مادية وعينية)
- أساليب العلاج الفردى : مشروعية التوبة - التطهير النفسى - تزكية النفس - الصدقة تطهير وتزكية - الترغيب والترهيب - تقوية الإرادة بالمجاهدة بالصوم والصبر - ذكر الله (الصلاة وقراءة القرآن الدعاء - التسبيح والتحميد والاستغفار) .

د - أحكام تكليفية لها علاقة بمقاصد الخدمة الاجتماعية :

- سد ذرائع الحاجة :

التكافل الاجتماعى

– المال مال الله والانسان مستخلف فيه

– إداله الثروة

– الزكاة فريضة اجتماعية

– نوافل الصدقات

- الإنفاق الواجب

- الإنفاق فى سبيل الله

– إنفاق العفو

– القرض الحسن

– الحض على طعام المسكين

– سد ذرائع الفساد : درء المفاسد

– حماية الأعراض (تحريم الزنا – غض البصر – حفظ الفرج – الحجاب – تضيق دائرة الاختلاط) .

– حماية الأنساب (حفظ العائلة – تشجيع الزواج)

– حماية النفس

– حماية العقل

– حماية الدين

هـ – أحكام تكليفية لها علاقة بمنهج الخدمة الاجتماعية

١ – المبادئ :

– الرفق والتيسير ورفع الحرج – المشقة تجلب التيسير (التقبل)

– التدرج فى تعديل السلوك (آيات تحريم الخمر على مراحل تدريجية)

– اختلاف البشر – كل ميسر لما خلق له – كل يعمل على شاكلته (الفروق الفردية)

- المحاسبة والمراقبة الذاتية (التقويم الذاتى)
- المجاهدة واستفراغ الوسع (بذل الجهد والمساعدة الذتية)
- الستر ورعاية الحرمات الخاصة (السرية)
- لاضرر ولاضرار (المصلحة الشخصية فى إطار المصلحة العامة)
- التعاون والتنافس واستباق الخيرات (المشاركة الايجابية)

٢ - الطرق والأساليب :

- العمل مع الأفراد : الدين النصيحة (الأرشاد والتوجيه الاجتماعى)
- العمل مع الجماعات : التواصى والتناهى والأخوة الإسلامية (التفاعل الجماعى الموجه)
- تنمية المجتمع : الدعوة إلى الخير - التعاون على البر
- إدارة المؤسسات الاجتماعية : الولاية على النفس (الناقص الأهلية)
- تخطيط وسياسة اجتماعية : درء المفاسد مقدم على جلب المنافع
- بحوث اجتماعية : حصر مصارف الزكاة فى ثمانية يقتضى البحث الاجتماعى «إنما الصدقات ...» إنما تفيد الحصر

٣ - الأدوات :

المقابلة الشخصية : الستر ورفع الحرج

الزيادة المنزلية : عيادة المريض - المواساة - تفقد الأحوال

المقابلة الجماعية : التواصى والتناهى

الاجتماعات : الشورى - الجدال بالتى هى أحسن

تصميم البرامج : التعارف - استثمار الوقت - السير والنظر والاعتبار

التسجيل : تاكيده « كتابة الدّين »

و – أحكام تكليفية لها علاقة بالتطبيق :

– المهنيون :

أحكام تكليفية خاصة بهم

– مشروعية أخذ الأجر على الخدمة الاجتماعية

بتخصيص مصرف للعاملين عليها « انما الصدقات ... والعاملين عليها ..

– التصدى لتحمل المسئولية « اجعلنى على خزائن الأرض ..»

– المبادرة والنجدة « فاستبقوا الخيرات .. »

مدخل جديد فى علم الترويح
من خلال النظرة الإسلامية

أ. يحيى بسيونى مصطفى

مفهوم علم الترويح

علم الترويح ، من أحدث العلوم الانسانية التى تهتم ببرامج شغل أوقات فراغ الانسان ، والنشاطات التى يقوم بها ، والنظريات التى تحدد أنواع وأشكال وأساليب هذه النشاطات ، حتى يتحقق للانسان التوازن المطلوب فى حياته ، ليواصل المهام العملية الجادة فى حياته ...

والمعروف أن المرء يعمل ويكدح وينتظر وقت الفراغ ليستمتع بنشاط مغاير ينعشه ويسريه ، ويزيل عنه المشقة والتعب البدنى أو العقلى الذهنى أو النفسى ، فتتحقق له الراحه . والنشاط الترويحى هو الحالة التى تصاحب الانسان عند ممارسته لنشاط محبب لديه يأنس له ويستمتع به . وقد يكون هذا النشاط جسمياً أو عقليا أو وجدانيا وقد استخلص هذا العلم الحديث من عدة علوم انسانية وفنون مثل علم الاجتماع وفن الخدمة الاجتماعيه فى مجال خدمة الجماعة Group Work وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم الاتصال ، والنظريات التربوية ، وفنون الادب والدراما ، والتربية الرياضية ، وفنون الصياغة السينمائية والتليفزيونيه والاذاعة ، ويعتبر الترويح علماً ، وفنا وطريقة ..

أ – فمن حيث انه علم انه قائم على نظريات أسست بالتجريب والممارسات وتلافى الأخطاء حتى رسخت المبادئ والأسس التى يقوم عليها .

ب – ومن حيث أنه فن فذلك يرجع إلى مايكتنف النشاطات الترويحية من عمليات إبداعية قد تكون فى معظم أحوالها جمالية وتكوينية ، وقد تعتمد على المهارات الفردية والجماعية ، وتخضع للذوق الشخصى أو الجماعى .

جـ – ومن حيث أن الترويح عملية Process . فذلك لاعتماد الترويح على طرق محددة واضحة يظهر فيها المؤثر والمتأثر وموضوع الاثارة أو أداتها ..

تعريف الترويح

اختلف المتخصصون فى تفسير معنى الترويح وتعددت تعريفاتهم فهناك من يربط بين الترويح والغرض الذى يؤديه ، ويعبر عن ذلك بأن الترويح هو التسرية عن النفس...(١) .

وهناك آخرون يعرفون الترويح بأنه الرياضة أو النشاط البدنى [٢]

وهناك من يعتبرون الترويح (التعبير المضاد للعمل) على أساس أن الإنسان قليلا مايجد فى عمله نوعا من الترويح .[٣]

وهناك من يعرف الترويح بأنه (التسلية أو التغيير)

ومعظم هذه التعاريف وغيرها لها صفة العمومية ، ولاتعطينا المعنى الوافى الجامع المانع ، لأن الترويح فى حد ذاته ، هو إشباع لحاجة من حاجات الانسان الأساسية ، وشأنه فى هذا كالحاجة إلى الطعام ، أو الحاجة إلى الأمن والطمأنينة .. إلى غير ذلك من حاجات الانسان ..

والواقع أن الترويح يشمل كل مايقوم به الانسان من نشاط لمجرد رغبته التلقائية الحرة .. على أن يكون هذا النشاط مقبولا ومفيدا واستجابة لدافع نفسى ، وليس للكسب المادى ..[٤]

وقد توصل الباحث لتعريف يشمل معظم التعريفات السابقة مستفيدا بالمعانى الاصطلاحية واللغوية ويوفق بين النظريات التى عرفت الترويح ويتلخص فى الاتى :-

(الترويح هو طريق للحياة الانسانية) يتحقق بأداء انشطة بدنية أو عقلية أو فنية ، تغير نوع العمل ، وتتم وفق الرغبة التلقائية الحرة ، وتحقق النفع العام أو الشخصى ، فى اطار الضوابط الخلقية والاجتماعية المنبثقة من الدين والعرف . ،،

أهمية الترويح فى حياة الانسان

يعتبر الانسان المؤثر الحقيقى لتوجيه الحضارات ، حيث وهبه الله نعمة قوة البدن ونعمة العقل والفكر ، واضافة إلى القدرات الخاصة والمهارات وهو بهذا يعتبر المؤثر فى الحياة واتجاهاتها . فكرا وعملا وانتاجا وعلى هذا فالدراسات الانسانية تهتم بموضوع الانسان من كل جوانبه بدنه وأجهزته وأعضائه ، للتعرف على طبيعته ونظامها ووظائفها ومايعرى الجسم من علل أو قصور .. بقصد زيادة كفاءة هذا الجسم ووقايته .. وأيضا تهتم الدراسات الانسانية بالنفس الانسانية من حيث طبيعتها وخصائصها وتأثيرها ، وسلوكها ، ودوافعها ، والذكاء الموروث والمكتسب ومايطرأ عليها من أحوال أو جنوح .. بل أحداث التكيف المناسب مع البيئة والظروف والمجتمع لتحقيق الطمأنينة والاستقرار النفسى ، فيزيد عطاء الانسان للمجتمع بصفاء نفسه وأمنها وسلامها .

ويشمل اهتمام تلك الدراسات مجال تربية الانسان وتعليمه لاكساب الانسان مجموعة المعارف والمهارات والأساليب الحياتية ، ودراسة قدراته العامة وتنميتها والافادة منها ، والتوصل إلى القواعد والقوانين التى تعلم حسن انتظام الفرد مع المجتمع وادائه واجباته وأخذه حقوقه . وتمتد دراسة العلوم الانسانية إلى الاقتصاد والسياسة ، والاجتماع وعلوم الاتصال .. وكلها تسعى إلى دراسة الانسان وامكانية تحقيق أكبر نفع له ليتحقق بالتالى النفع الأعم على المجتمع ..

وتهتم هذه الدراسات بعامل الوقت لدي الانسان فتدرس مدده فى العمل ، ومدد الفراغ ، والأنشطة المناسبة التى تشغل مدد الفراغ .. ولقد حظى موضوع الترويح باهتمام المفكرين منذ أوائل القرن العشرين حيث أن الإنسان يعيش فى حياته باذلا جهدا وطاقة فى اداء عمل يعيش من ناتجه وتعارف الناس على أن هذا الوقت يسمى وقت العمل او الشغل وماتبقى بعد ذلك ، يسمى وقت الراحة والفراغ .. وقضاء الفراغ ضرورة حيوية لاتقل عن ضرورة انجاز الأعمال والانتاج حيث ان الاستمرار الالى فى نشاط العمل يورث الملل والكلل وقد يؤدى إلى فتور الهمة واسترخاء العزيمة ، والترويح ضرورى للنفس لشعورالانسان بالرضا والسعادة والاستجمام فيتجدد النشاط وهذا يدفع إلى العمل من جديد ، ومع تعاقب اللونين من ألوان الحياة ، شغلها وراحتها ، ومع حسن استخدام تلك الألوان الحياتية يتحقق الانتـ ج الأوفر والسعادة والصحة واستدامه العمل ..

وللترويح قيمة علاجية لمن وقعوا فريسة للأمراض النفسية والاكتئاب ، بجانب القيمة الوقائية فى حياة الناس ، وقد توصل علماء النفس إلى حقيقة أنه من الممكن دراسة شخصية الفرد وتحليلها وعلاج انحرافها عن طريق دراسة أنواع سلوكه وتصرفاته فى أوقات فراغه ، أى عندما يكون حرا طليقا على سجيته بعيدا عن قيود العمل والتزاماته . وقياسا على ذلك من الممكن تقويم حضارة شعب معين عن طريق معرفة وسائله فى استخدام وقت الترويح ..

ولاتوجد أساليب موحدة فى الترويح لكل الشعوب على الأرض، حيث أن أساليب الترويح تختلف باختلاف الشعوب والأقوام ، وحيث ان لكل شعب شخصيته المتميزة . لذلك فانه من الخطأ أن تستهوينا بعض أساليب الترويح فى المجتمع الأمريكى أو الأوروبى مثلا فننقلها بحذافيرها إلى بلادنا الإسلامية دون التفكر فى مدى توافق تلك الاساليب الترويحية مع شعوبنا وتقاليدنا وعاداتنا وثقافتنا ودون تحوير تلك الأساليب حتى تتفق مع واقعنا الإسلامى .

السياسة العامة الترويحية المفقودة فى العالم الإسلامى

من العجيب الغريب ان دول العالم الإسلامى لاتملك (سياسة عامة للترويح) داخل حكوماتها ، بل ترك أمر الترويح على أنه فضل زائد لاشأن للدول به .. اللهم إلا بعض الدول التى أقامت منشئات رياضية أو اجتماعية للشباب فقط.. وهذا أيضا قد تم بعيدا عن (سياسة عامة) مرسومة بالشكل الشمولى أدى لتتم خدمة قطاعات الشعوب وفئات أعمارهم وجنسهم .. واعتمدت الخطط الترويحية - إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير على مايوجد من خدمات متقطعة غير ثابتة - على المستورد - المنقول بحذافيره من فكر غير إسلامى ومن مصادر غير إسلامية .

إن غياب (السياسة العامة الترويحية) عن المساحة الاجتماعية بشكل أمرا له خطورته ، وسياسة الارتجال والاجتهاد اللحظى الذى تقوم بشكل انفعالى بين عام واخر تحت مسميات خدمة ورعاية الشباب أو انشاء مسرح الطفل أو بناء داراً للترفيه وانشاء حديقة عامة أو تكوين معسكر دائم للكشافة - كلها مشروعات لها فضلها وخدمتها ولكن غياب (السياسة العامة) الشاملة والتى تفى بحاجات القطاعات المختلفة تجعل إنشاء مثل هذه المشروعات - أمرا مقطوع الصلة بالخطة العامة للدول ، وتغفل أهمية الخدمة الترويحية ودورها فى التنمية البشرية واسعار المواطنين .... (والسياسة العامة) فى مفهومها العام .. لاتعطى جانبا من الأهمية لنشاط دون اخر ، ولا لفئة دون اخرى ، ولكن الفيصل فى الأمر للآراء العلمية ولنتائج البحوث والدراسات واستطلاعات الرأى والتعرف العلمى على احتياج القطاعات والفئات وعلى مستوى المدن الكبرى والقرى وتتبع الانسان فى كل مكان .

واذا كانت الدول عامة تحتاج إلى (سياسة عامة ترويحية) فإن دول (العالم الاسلامى) فى مسيس الحاجة إلى هذه السياسة العامة للأمور الاتية :-

(١) المجتمعات الإسلامية مستهدفة للتأثير على عقيدة شعوبها ، ثم لسحب مؤسساتها وتنظيماتها إلى النظم والمعسكرات الشرقية أو الغربية واتباع سياسات تبعد كل البعد عن الدين والإسلام .. ويستخدم هذا التأثير المجالات الثقافية والاجتماعية من خلال البرامج الترويحية التى تعمل بالتدريج على الايمان بفكرة الانسلاخ عن السلوك الإسلامى ، وفكرة حصر الدين فى الجانب التعبيرى فقط وجعله علاقة

شخصية بين الفرد وربه .. ثم الترويح للأفكار المادية والنظرية النفعية والدعوة غير المباشرة الى الصراحة الجنسية والإباحة ، والمبادئ الأخرى التى تضاد الإسلام فكرا واعتقاداً وسلوكا .. وتلعب القصة والرواية والمسرحية والفيلم السينمائى والمسلسلة التليفزيونية اليومية واللوحات التشكيلية المرسومة والاغانى ذات - المضامين المنوعة .. دورا له خطورته فى التأثير ..

وهذا يتطلب من الدول الإسلامية ان تضع الأسس القوية الشاملة لرعاية أفرادها وجماعاتها حسب فئاتهم المختلفة .. وتكون (السياسة الترويحية العامة) بأسسها وخططها ومايتبع ذلك من نشاطات وبرامج وقاية ضد تيارات الغزو الفكرى .

(٢) لقد سيطر الإستعمار على كثير من دول العالم الإسلامى خلال حقبة طويلة من الزمن . وعمل المستعمرون على القضاء على اللغة العربية التى هى لغة دين الإسلام. كما عملوا على تسفية العادات والقيم التى تسود مجتمعات المسلمين وعلى تحطيم الشعور بالولاء للأفكار والثقافة بالتخلف مرة ووسموها بالرجعية مرات وأقاموا - هم وأتباعهم - الحرب الضارية الواضحة والمستترة على كل من ينادى بالعودة الى منابع الدين أو تجديد الفكر الإسلامى أو الدعوة إلى الحفاظ على الكيان الإسلامى .. وقد أدت هذه الحروب إلى انحراف كثير من الناس عن الأخلاقيات الإسلامية والتقاليد والعادات الإسلامية .

اما وقد تطهرت هذه الدول من رجس الاستعمار ، فقد آن لها أن تتجه نحو التقدم معتمدة على (سياسات عامة) وخطط بعيدة الان ، وقصيرة ومرحلية فى شتى مجلات الحياة ، هذه السياسات ترتكز أولا وأخرا على التراث الاسلامى الأصيل ، والقيم الإسلامية المستمدة من توجيهات رب العالمين وسنة الرسول الخاتم .

(٣) بلاد العالم الإسلامى تمتاز بصيف طويل ، وعطلات دراسية كثيرة مع جهل الكثير من الناس بقيمة الاستفادة من أوقات الفراغ ، وعدم وجود (سياسة عامة) تضم توجيه الفتيان والفتيات لاستثمار تلك الثروة الهائلة من هذاالوقت الثمين فى ترويح يعود على الأفراد وعلى المجتمع بالنفع .. ولاشك لدى أن سوء استخدام هذه الثروة الطائلة من الوقت يؤدى إلى كثير من المشكلات الاجتماعية

والاقتصادية والخلقية ، وكل هذا يؤدى إلى تهديد كيان الأمة ، ومعروف قيمة الوقت والمحافظة عليه فى التصورات الإسلامية (٥) .

إن غياب (السياسة الترويحية العامة) مع الجهل لأصول الاستمتاع بوقت الفراغ يؤدى بالناس إلى نوع من الكسل والجمود وفى هذا السلوك تخلف للأمة وتعطيل للملكات يجب أن تستثمر ومواهب يلزم ان تكتشف وتتطور ، وطاقات من الأهمية تفجيرها والاستفادة من ورائها وفى وجود السياسة العامة للترويح ستتم عمليات التوعية بقيمة ووقت الفراغ واستثماره وتوضيح مردوده على الاتزان النفسى وأثره على الأفراد والجماعات والمجتمع الأكبر .

أنواع النشاط الترويحي

قد يكون تقسيم النشاط الترويحى إلى أنواع مختلفه من الضرورات التى يتطلبها البحث العلمى ، إلا أن الهدف من التقسيم هو الذى ينبغى أن يحدد الطريقة التى نتبعها ومن ثم تتعدد الأقسام بتعدد الزوايا التى ينظر فيها إلى ذلك الهدف وتلك الأهداف .

فيمكن مثلا تقسيم النشاط الترويحى - من زاوية أنه نشاط إنساني : إلى نشاط فردى وجماعى ، كما يمكن أن يكون سلبيا أو ايجابيا ، تلقائيا أو موجها .

ويمكن من ناحية مراحل النمو : أن يقسم إلى ترويح خاص بالأطفال أو - بالفتيان أو الشباب أو الشيوخ والكهول ، ويكمن من ناحية الطابع البيئ ، أن ينقسم إلى ترويح ريفى أو حضرى او بدوى ، زراعى أو عمالى .. إلى غير ذلك من أقسام لاتقع تحت حصر ، ولكل منها قيمة تحليلية معينة ..

وفى هذا البحث المختصر يرى الباحث أن يكون التقسيم على أساس الغرض أو على أساس أنواع الخدمات والفوائد التى يمكن أن يحققها النشاط الترويحى للانسان فقد يؤدى الترويح خدمات بدنية أو نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية ..

وعليه .. فإنه يمكن تقسيم النشاط الترويحى إلى أربعه أنواع رئيسية هى :

الترويح البدنى أو الجسمانى والترويح النفسى والترويح الاجتماعى والترويح الاقتصادى .

وهناك حقيقتان ينبغى أخذهما فى الاعتبار عند تقسيم أنواع النشاط الترويحى على أية صورة من صور التقسيم هى :-

أولا : أن كلا من تلك الأنواع لايمكن أن يكون مستقلا بذاته دون أن تدخل فيه عناصر أخرى بشكل أو آخر ، فالترويح النفسى قد يحقق فوائد جسيمة أو اجتماعية أو اقتصادية .. ومن المؤكد ان النشاط الثقافى سيدخل ضمن النشاط الاجتماعى وأن النشاط الكشفى سيدخل ضمن النشاط البدنى أو الجسمى .

ثانيا : أن الطريقة التى اتبعت فى هذا التقسيم لاتمنع الاستعانة بالتقسيمات الأخرى التى سبق ذكرها باعتبارها تقسيمات فرعية يتضمنها كل نوع من الأنواع الأربعة وسوف يلجأ الباحث إلى هذه التقسيمات كلما دعت الضرورة إلى ذلك ...

(١) الترويح البدنى أو الجسمانى :

يعرف الانسان منذ العصور الأولى للتاريخ قيمة الحركة فى تنمية العضلات واكتساب القوة ، وقبل اكتشاف طاقات البترول والبخار واختراع الالات التى خففت عن الانسان المجهود البدنى فى شتى مجالات الحياة اليومية ، كان على الانسان ان يعتمد كثيرا على قوته البدنية وعضلاته مما ساعد على سلامة أعضائه وأجهزته البدنية .. وبظهور الطاقات المختلفة والسيارات والالات - ودخولها فى حياة الانسان .. قل المجهود البدنى مع زيادة وقت الراحة والفراغ .. وأصبحت حياة الانسان مهددة بالخطر. لذا أصبح من مسلمات الأمور أن يحصل كل فرد على قدر من الترويح الجسمى أو البدنى الذى يتناسب مع سنه وحالته .. للوقاية أو العلاج .

وينبغى أن يخضع الترويح البدنى لتحقيق أهداف بعينها منها (١) مساعدة الجسم على النمو الطبيعى فى الأعمار المختلفة . (٢) تقوية كفاءة العضلات وأجهزة الجسم . (٣) تنمية التوفيق الحسى العصبى والحركى . (٤) بث الحيوية فى الجسم . (٥) الوقاية من الأمراض . (٦) تنمية القدرة على الدفاع عن النفس . (٧) استكمال تناسق الجسم وتجميل القوام وتحسين اللياقة .

(٢) الترويح النفسى .

وينطوى تحته كل نشاط ترويحى تبرز فيه العوامل النفسية بشكل واضح . ويكاد يكون لعب الأطفال الصغار تعبيرا نفسيا، وأما الكبار فيتمثل الترويح عندهم فى كثير

من أنواع التسليات البريئة الهادئة التى قد تحتاج إلى عنصر التفكير والذكاء أو تتمثل فى ميل الانسان إلى المرح والضحك والاستماع إلى النوادر والفكاهات أو الاسترواح باشباع حب الاستطلاع كما فى ارتياد المتاحف والمعارض وقراءة القصص والمغامرات. والترويح النفسى إما أن يكون تلقائيا أو موجها . والنوع الأول يأخذ طابع اللعب الحر ، وإذا استخدمت القياسات والتسجيلات كانت له فائدة تشخيصية أو تحليلية .. ومن المعروف أن بعض اختبارات الذكاء ووسائل التحليل النفسى تعتمد على التداعى الطليق الحر للمعانى والأفكار التى تتوارد على ذهن الفرد حينما يكون في حالة استرخاء وهدوء . فإذ احسنت طريقة استخدام التداعى الطليق فى اللعب مع استخدام دراسة سلوك الفرد عن كتب كانت تلك وسيلة هامة من وسائل تفهم الشخصية .

أما الترويح النفسى الموجه فهو الذى يتدخل فيه الرائد بتوجيه مباشر أو غير مباشر ولهذا النوع وظائف هامة فى الناحيتين الوقائية والعلاجية ..

(٣) الترويح الاجتماعى والثقافى :

أ - الاجتماعى : ويهدف إلى تدعيم العلاقات بين الأفراد والجماعات على أساس الصداقة والتعاون ويهدف أيضا إلى تشجيع التطوع للخدمات الاجتماعية بمختلف أنواعها . ويعد هذا النوع من أعظم أنواع الترويح شأنا وأكثرها دلالة على رقى المجتمع ونضوجه (٦). حيث أن الترويح الاجتماعى ايجابى بطبعه وهو يتوقف على مايبذله الأفراد من تضحية فى سبيل خدمة المجتمع ، وقد تختلف تلك التضحية من فرد لآخر كما وكيفا وسواء كانت التضحية بالوقت أو الجهد أو المال أو به جميعا كما تختلف أيضا من ناحية الدوافع من دينية أو أخلاقية أو عنصرية أو غير ذلك .. ولكنها مهما اختلفت تنتهى دائما عند هدف واحد هو السعادة والشعور بالارتياح بعد الاحساس بإسعاد الآخرين أو التخفيف عنهم أو مساعدتهم ..

ويمتاز الترويح الاجتماعى باتساع ميادينه وتعدد ألوانه وفروعه وأساليبه كما يمتاز بالمرونة لخضوعه لعوامل تغير المجتمع وتطور وسائل الرعاية الاجتماعية .

ب - الثقافى : ويندرج تحت هذا النوع ، الترويح عن طريق ممارسة أو تذوق مختلف الفنون التشكيلية أو التعبيرية وموضوعات الثقافة المقروءة أو المسموعة أو

المرئية (كقراءة القصص والمقالات الأدبية وتأليفها أو ترجمتها وفرص الشعر ومشاهدة التليفزيون والسينما والفيديو والمسرحيات المختلفة والعروض الفنية) .. وماتقدمه وسائل الاعلام على مختلف صورها من مواد وبرامج ومسلسلات وبرامج دينية وندوات او الاسترواح عن طريق تلاوة القرآن الكريم أو سماعه أو زيارة المساجد والساحات الدينية .

ويدخل فى هذا النوع أيضا الهوايات العلمية فى الفلك والكيمياء والميكانيكا والكهرباء والالكترونيات وغير ذلك .

(٤) الترويح الاقتصادى :

ويتضمن هذا النوع كل نشاط ترويحى يؤدى إلى جلب منفعه اقتصادية بحيث لايكون الكسب المادى هو الهدف كما فى العمل الجدى اليومى .. ولكن الهدف أو استرواح الفرد من ممارسة هواية تدر نفعا ماديا ويعتبر الترويح هنا حلقة تربط الهواية بالاحتراف .. كم يحقق فكرة التكامل فى الحياة بين عناصر العمل والترويح ..

وتعد هوايات الفنون الجميلة والأشغال الفنية اليدوية أمثلة واضحة لهذا النوع من الترويح كذلك هواية صيد الأسماك وتربية الخيول والمناحل والدواجن والكتابات الفنية والأدبية التى يؤجر عليها صاحبها ..

وقد تتطور الهوايات لدى بعض الناس وتصبح عملا أساسيا نتيجة للنبوغ والتفوق الفنى وفى حياة المشهورين من الأدباء والفنانين أمثلة تدل على صدق هذه الدعوى ..

واذا تناول هذا اللون من الترويح سياسة منظمة كان له الأثر الملحوظ فى رفع مستوى معيشة الأفراد .

وقد تعتبر بعض نظريات الترويح الغربية أو الشرقية مجال مراهنات سباق الخيل أو لعب الميسر أو مراهنات سباق السيارات من أنواع الترويح الاقتصادى . إلا اننا ننكر هذا اللون لاعتبارات أن الربح المادى العائد يخضع لعوامل الصدفة ولادخل لهواية أو مهارة أو خدمة فنية مفيدة فيه .. والأهم من ذلك أن الميسر والمراهنات من الارجاس المحرمة شرعا وهى تدفع بمقترفها إلى غياهب القلق النفسى والتوتر العصبى دون إعلاء قيمة او استفادة عامة .. ويعتبر ذلك من أكل الأموال بالباطل .

وهناك عوامل فى تنظيم النشاط الترويحى وأسس تراعى عند وضع السياسة الترويحية من أهمها هدف مساعدة الأفراد والجماعات على اختيار مايناسبهم من نشاط. ومعاونتهم على تحصيل أكبر قدر من الفائدة وذلك بدراسة العوامل الذاتية والبيئية للفرد والجماعة من حيث السن والجنس ونوع العمل والثقافة والظروف والقدرات ..

العوامل التى تؤثر فى الترويح المعاصر

لم تتخلف حضارة قديمة من الحضارات عن الأخذ بأشكال تروحية مارسها الشعب فى مصر القديمة وبلاد الفرس والصين وعند الاغريق والرومان وفى العصور الوسطى وعند العرب قبل الإسلام وبعده ، وفى عصر النهضة فى أوروبا .. وفى العصر الحديث.

ولاشك أن الشكل العام للممارسات الترويحية كان يتأثر بالثقافات والديانات والعادات والتقاليد التى كانت تسود كل مجتمع وتتمشى مع متطلبات النظام العام السائد وفى حدود الاطار الأخلاقى والقيمى لكل حضارة ..

وفى العصر الحديث : ومع بداية القرن العشرين تطورت الحياة وأنشطة الانسان وتطور معها الترويح ووسائله ومجالاته .. وظهر بالنشاط الرياضى فى المدارس وبدأت الأفكار التحررية فى الظهور وملأت نفوس الأوروبيين والأمريكيين بضرورة الاهتمام بالفروسية وحياة الجلاء والمصارعة والرقص والصيد .

ولقد قادت اوروبا حركة تطوير الترويح فى المانيا والسويد وانجلترا .. عقب الحرب العالمية الأولى . وأشرفت الدولة فى المانيا على نشاط الترويح فى عهد النازى اشرافا كاملا .. وانشأ (هتلر) حركة (القوة من السرور) (٧) حيث ينظم الشباب في هذه الحركة التى نظمت لها برامج واسعة ومتنوعة – كما بدأت المانيا زيادة حركة (بيوت الشباب) .. وتابعت المسيرة انجلترا وظهرت فيها(حركة الكشافة) التى انتشرت فى العالم ، وتاكيد مشاركة طلاب الجامعة فى الأنشطة الترويحية كجزء هام لصقل شخصياتهم .. وبالمثل قامت حكومات السويد والدانمرك .. وتعتبر أمريكامن أعرف البلاد فى الانشطة الترويحية المنظمة على المستوى الحكومى والأهلى . والاهتمام بنظريات الترويح ودراسة وأنواعه – وتدريس هذه العلوم فى الجامعات والمعاهد المتخصصة .

الآراء والفلسفات والأفكار التى تسود الترويح والاعلام :

الحياة الاجتماعية المعاصرة تقوم على نظريات وفلسفات وأفكار ومبادئ كثيرة ومتعددة . وأغلبها يقوم على أسس مادية بحته ، وقد انطلق الناس ينسلخون من الدين وينفلتون من قيود الأخلاق انسياقا وراء تلك الاراء والنظريات والفلسفات التى نبتت فى أوروبا أو فى بلاد الشيوعية التى لاتعترف بالأديان .. وسادت هذه الفلسفات برامج الاعلام وغيرت فلسفته ، وصبغت المواد المقدمة فى وسائله بصبغة هذه الاراء - والعقائد وبخاصة فى مجال التليفزيون والسينما .

(١) نظرية العلمانية (أي اللادينية)

وهى تعنى عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، وتعنى أن العقيدة الدينية والهدى السماوى ومايتبع ذلك من طاعة الله والوقوف عن شرعه ، لايجب الالتزام به إلا فى حياة الأفراد الشخصية أما ما عدا ذلك من شئون العالم فى حياة الناس فانه يجب أن يعالج على اساس المادية البحته ، ووفق رغبات البشر ووجهات نظرهم وميولهم ..

وعلى هذا المبدأ أرسى الترويح والأعلام مراسيه وتم التحرير من السلطة الالهية والتشريعة .. وتأثرت حياة العالم الإسلامى ونقلت العلوم الاعلامية والترويحية كما هى مدونة دون دراسة أو تمحيص ولازالت تدرس فى كليات الجامعات الإسلامية بحذافيرها بعيدة عن التصور الإسلامى .

(٢) نظرية التفسير المادى للانسان :

وتتلخص هذه ما النظرية التى يطلق عليها (نظرية دارون فى التطور) ... « انه لاشئ ثابت على وجه الأرض ولاقصد على الاطلاق من الخلقة وانه لايوجد اله خالق بل الخالق هو الطبيعة ولم تقصد ان تخلق انسان ، وانما جاء الإنسان هكذا نتيجة عملية التطور البطيئة التى استغرقت ملايين السنين وان الانسان فى نشأته الأولى لم يكن على صورته الحالية ، وانما كان اصله حيوانا لاينطق ولايعقل ويمشى على أربع ولم تكن لديه تصورات دينية ولا أخلاقية ».

ومع هذه النظرية ولد التفسير المادى والاقتصادى للتاريخ .. وظهر الرأى الذي يقول ان الأفكار والمشاعر والعقائد ليست هى التى تحرك الناس أو ترسم سلوكهم العملى

فى حياتهم وانما هى تجئ لاحقة لكل وضع اجتماعى أو اقتصادى فهى ليست قوة موجهة ولاتثبت على حال وتاثر الترويح والاعلام بالتفسير المادى الذى واكب التفسير الحيوانى .. للانسان ، فليس سعى الانسان للحق والعدل الازليين وانما يسعى للطعام بلاعقيدة ولا مبدأ ولا شعور .. وانما خيوان يعيش فى شهوة البهائم .

(٣) نظرية وآراء فرويد في الجنس :

وسائل الترويح المعاصرة قد تقدم باستدراج الناس واستجلابهم إلى فكرة الانسلاخ عن الدين فى أسلوب ارضاء الاشهواء ويظهر هذا بوضوح فى الأعمال (الدرامية) اى أفلام السينما ومسلسلات التليفزيون وافلام (التليسين) التى تحول الشرائط السينمائية إلى أفلام (فيديو) ويدعى صناع المواد الترويحية بأنهم يحققون مبدأ الحرية والتقدم والتحرر من القيود التى تحد من تصرفات الانسان الطبيعية ويرهق هؤلاء ان فى الصراحة الجنسية والاباحة الجنسية متنفس للنفس البشرية ..

ويرتبط موضوع الجنس والصراحة الجنسية بالعالم اليهودى (فرويد) الذى ولد بعد (دارون) وتاثر بفكره وآرائه فيما يتعلق بحيوانية الانسان وطلع (فرويد) على البشرية بتفسيره للسلوك البشرى على أساس حيوانية الانسان المطلقة دون نظر الى ميزة الانسانية أو رفعة الانسان وتفضيله . وذكر فى نظرياته وآرئه ان الجنس بمعناه الحيوانى وعن طريق الشهوة الجنسية ومشاعر الجسد هو الدافع والمحرك الأساسى للكيان البشرى وان الجنس هو كل شئ فى الانسان ، وهو المشاعر والأحاسيس .. ان السلوك البشرى أولاً وأخراً نابع من الجنس .. والعلاقة القائمة بين الطفل وأمه وبين البنت وأبيها وغير ذلك كل علاقات قائمة على الجنس .

(٤) ظروف وفلسفات أخرى أثرت فى الاعلام والترويح :

لقد تاثرت برامج الاعلام وبخاصة البرامج الترويحية منها – فى ظل المدنية المعاصرة – بأفكار وآراء وظروف كثيرة لايمكن للباحث فى هذا المجال أن يلم بها كلها ولكن يمكن التركيز على تلك الظروف والفلسفات التى أثرت فى تلك البرامج مثل :

(١) ميلاد الثورة الصناعية وتحول الناس من الاقطاعيات الى المدن وما صاحب ذلك من دخول المرأة ميدان العمل ومطالبتها بالمساواة مع الرجل فى الأجر والحقوق السياسية وما صاحب تلك الثورة من تخلخل فى العادات والتقاليد ثم التحلل من الدين .

(٢) تحلل الأسرة وفقدها لقيمة ترابط أعضائها مع ضعف سلطة الوالدين وسيطرة الانانية والوصولية والانتهازية والنفاق وانكار القيم الجماعية .

(٣) ظهور الفلسفة الطبيعية التى توهم الانسان بأنه نتيجة لعلاقات طبيعية ضرورية وثابتة وليس هناك آله يحكم كل صغيرة وكبيرة فى الكون .. والغايات الأخلاقية وهم من اختراع الانسان .

(٣) الفلسفة الاجتماعية : وهى فلسفة توحى بأن الانسان يكون كما يريده المجتمع خاضعاً للظروف الاقتصادية والسياسية والصناعية وتتجاهل الفطرة البشرية وخضوع الانسان لغير الله .

(٥) الفلسفة العامة وهى تهتم بتجارب الانسان فى الحياة ، وتفسيره الذى يستخلصه منها . دون مراعاة لتوجيه من خارج أسرة أو طائفته المهنية أو حزبه أو جماعته وهى تطالب بذوبان الانسان فى المحتوى الذى ينتمى إليه .

مجالات الترويح المعاصرة

مجالات الترويح المعاصرة متنوعة وكثيرة ومتداخلة وهناك عدة وسائل يمكن اتخاذها أساسا لتقسيم الترويح والنشاطات الترويحية إلى مجالات مختلفة وانما متباينة لايتسع هذا البحث الموجز لحصرها بالتفصيل . ويمكن تقسيم مجالات الترويح من حيث الرعاية والعناية : إلى خدمات ترويحية حكومية تنفق عليها الدول من موازناتها وخدمات تقوم بها هيئات ومؤسسات للخدمة العامة شبه حكومية . وهناك الترويح التجارى الذي يقوم به أفراد لامتاع الناس لقاء ربح مالى .

ومن الممكن ان نقسم مجالات الترويح من زاوية النشاط الانسانى فنقول الأنشطة الفردية ومجال الأنشطة الجماعية ويمكن أن يتم التقسيم باعتبار مراحل النمو الى ترويح خاص بالأطفال وآخر للفتيان أو الفتيات وثالث للمسنين والشيوخ ومن حيث البيئة يمكن التقسيم إلى ترويح ريفى وحضرى وعمالى ومدرسى وأسرى .

والذى يهتم به من بين التقسيمات المختلفة تحديد مجال الترويح من حيث المواد الترويحية أو موضوعات الترويح وهو ما تأثر بالفلسفات والآراء والنظريات والملابسات والظروف التى ظهرت فى بلاد إسلامية وهى المجالات التى يعنى الباحث باستحداث مدخل إليها لاسلمتها وإعادتها فى ثوب جديد كعلم وفن وطريقة تدرس المتخصصين فى مجال الترويح والاعلام من حيث الأسس النظرية والتطبيقات العملية .

ويمكن تقسيم هذه المجالات إلى :

الأدب وفنونه : والصياغات التى تعبر عن النفس والواقع والحياة والمشكلات ويشمل القصة والشعر والمقال والمحاضرة والمسرحية والتمثيلية الإذاعية والرواية المقروءة (السيناريو) للمصورات السينمائية والتليفزيونية ، كما يشمل الغناء والموسيقى والفنون الشعبية . والرياضة البدنية والأنشطة الخلوية .

وهناك تقسيم من حيث الأجهزة التى تقدم ألوانا من الترويح كمجال الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح .

المبادئ العامة لإسلامية الترويح وتطبيقها

(١) موقف الإسلام من الترويح :

لاينظر الإسلام إلى الدنيا على إنها تلك الضرورات الملحة التى يكدح الناس وراءه ولكنها إلى جانب ذلك - مجال لاشباع النفس وشرح الصدر لكى يثار فى النفس البشرية مشاعر الاحساس بالجمال - ولقد أودع الله فى كل مخلوقاته جوانب الجد وجوانب الترويح حتى الأرض الخصبة قد أودعها الأمرين معا فهى تنبت الحبوب والخضر والفاكهة لغذاء الأجسام وهى تنبت الزهور والورود والأوراق الجميلة والسوق المختلفة الأشكال ومايشبع السرور والابتهاج فى أرجاء القلب والوجدان من جمال وزينه قال تعالى :-

﴿ وأنزل لكم من السماء ماء ، فانبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ (٨)

ولايعتبر الإسلام الحياة جامدة كالحة ولكن يرى المرفهات والمبهجات والترويح اضافات لاتستغنى عنها الحياة فى مسيرتها .

والإسلام فيما افترض على الناس من عبادات - يرعى حقيقة - ان لكل انسان طاقة يستطيع ان يؤدى فى نطاقها مايكلف به من أعمال أحسن اداء ولكن إذا تواصلت جهوده ونفذت طاقته وأدركه الملل أو التعب فإنه ينفد السيطرة على أعصابه ويقل منه التفكير وتكثر عنده الاخطاء .. حتى يصل إلى درجة أن يصبح العمل الاضافى لاجدوى منه ، بل ربما ينقلب إلى ضرر .. ولذا فالإسلام لايكلف الانسان ما لايطيق .. يقول تعالى : ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا لاتحمل علينا إصراً كما حملته علي الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . ﴾ (٩)
وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « إن المنبت لاأرضاً قطع ولاظهر أبقى » (١٠) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليصل أحدكم نشاطه فاذا كل أو فتر فليرقد » (١١)
وقال : « لاتشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم ، فشدد عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع والديارات ، رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم » (١٢).

وجاء فى الأثر : « روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب تمل ، واذا ملت كلت ، فإذا كلت عميت » .. ولقد كانت حياة الرسول صلي الله عليه وسلم مثلا رائعا لحياة الانسان المتوازن فكان حين يصلى يطيل الخشوع والقيام حتى تتورم منه الأقدام

ولكنه مع أصحابه فى الحياة العامة يحب الطيبات ويمشى فى الأسواق ويهش ويبتسم ويداعب ويمزح ولايقول إلا حقا، وكان يكره التجهم والحزن ومايدفع إليه من دين أو متاعب ويستعيذ بالله من شره ويقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوز بك من غلبة الدين وقهر الرجال»(١٣) .

وإذا كان الإسلام فى واقعه ومنهاجه يتسع لكل حاجات البشر المتعددة ويضع للأفراد والمجتمع المبادئ العامة الرشيدة للتكيف فى هذه الدنيا والحياة ، فإنه بذلك يتداخل مع كل فروع المعرفة ومع أغلب نشاطات الانسان فى النواحى النفسية والاجتماعية والسياسية والثقافية ويمس كل زوايا الحياة وفى هذا تثبيت لدعائم العقيدة فى نفوس الناس عن طريق الممارسات.. إذ الإسلام ليس طقوسا تعبدية وتكاليف تربط العبد بربه فحسب ولكنه دين ممارسة الحياة فى شتى مجالاتها وقد نظم الإسلام كل المجالات لينتظم الفرد والجماعة كل يعرف مسئوليته الكاملة وواجبه فى الأداء . ولايضع الإسلام قيودا للعقل ولايحبس الفطرة فى سجن .. وممارسة الأنشطة الترويحية فى حدود أوامر الدين ونواهيه .. وهى أوامر ونواه لاتعارض العقل ولا الفطرة.

(٢) التزام الترويح بالرأى العام الفاضل :

المجتمع الإسلامى يسوده قول الرسول صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وقوله : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) . هذا المجتمع تسوده توجيهات رب العالمين من حيث الاستقامة والتعاون والتكافل ويسوده الرأى العام الفاضل والمستنير الذى يؤثر فى الفرد وفى الجماعة .. والرأى العام من أشد العناصر لاقامة المجتمع الصالح وإذا كانت أهميته الإعلامية والترويحية تأتى فى مقدمة أهميته الاجتماعيه والاقتصادية ، فإن ذلك لشدة تأثيره وتغيير أنماط السلوك وتوحيدها نحو الاستفادة والهدى والحياء ..

أ - يقيم الإسلام المجتمع الفاضل الذى تتعاون فيه كل القوى بحيث لايطغى جانب على جانب وأول مظاهر هذا المجتمع هو سيادة الرأى العام الفاضل الذى تترعرع فى ظلاله الفضيلة وتختفى منه الرذيلة كنتيجة حتمية لتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي هذا المناخ يتشجع صاحب الخير باعلان خيريته واحسانه واجادته للعمل لا للرياء والتظاهر ولكن للتذكير والاقتداء وأيضا ينطوى صاحب الشر على نفسه فلا يظهر استحياء من الله ومن الناس ومن نفسه .

وبتطبيق هذا المبدأ نلمس تهذيب الأفراد لأنه يعلن الكلمة الطيبة والفعل الطيب ويشيع فى الناس الأحسن وموجبات التراحم والتعاضد والسلوك القويم « والقرآن الكريم يذكر ان الجماعة الإسلامية تعد خير أمة أخرجت للناس إذا تمسكت بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. » يقول تعالى :-

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١٤).

ب - الأخذ على يد الآثمين : تعتبر الأمة كلها آثمة اذا سكتت وتسترت على الآثمين ولقد ذم القرآن بنى اسرائيل لأنهم كانوا يتناهون عن منكر فعلوه » قال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل علي لسان داود وعيسي بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾ (١٥) .

وإذا ترك الاثمون من غير رادع فإنهم يهدمون المجتمع وإذا لم يأخذ الفضلاء على أيديهم سقطوا معا فى الهاوية . قال صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى . (مثل المدهن فى حدود الله ، مثل قوم استهموا فى سفينة ، فصار بعضهم فى أسفلها وبعضهم فى أعلاها فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذين فى اعلاها فتأذوا به ، فاخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فاتوه فقالوا : مالك؟ قال تأذيتم ولابد لى من الماء . فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا بأنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » (١٦) .

جـ - الحث على الحياء .. إذ الحياء يعطى صورة للمجتمع النظيف السليم ويدفع إلى السلوك والذوق الرفيع .. قال صلى الله عليه وسلم « الحياء والايمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » (١٧) والحياء مبدأ من مبادئ الترويح الإسلامى يعمل كقيد نفسى ضابط بضبطها باللياقة الاجتماعية .

د - عدم اشاعة الفحشاء .. حيث ان الإسلام يحرص على إظهار الفضائل وستر الجرائم فلا يكشف الرأى العام أستار المخازى أمام الناس ولادقائق الهبوط الجنسى وقد تكون العقوبات علنية بقصد الردع فى إقامه حدود الزنا والقتل والسرقة ولكن ملابسات الجريمة ووقائها يجب ان تكون بمنأى عن الرأى العام ويكون الاعلان عنها وقت تطبيق الحدود باقتضاب وذلك لان إعلان الجريمة يفسد الجو الخلقى ويظهر الشر مما قد يودى إلى الاغراء بتقليده يقول تعالى : ﴿ ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لاتعلمون ﴾ (١٨) .

(٣) عنصر الايجابية :

واجب المؤمنين التضافر لايجاد المجتمع الفاضل والدعوة إلى ذلك والتفاعل مع الأحداث لإحقاق الحق وإبطال الباطل دون أن يتصف الفرد بالانعزالية أو الركون إلى الحياد والسلبية فى معركة الخير والشر قال صلى الله عليه وسلم : « لايكن أحدكم أمعة فيقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أحسنتم ، وإن اساءوا فتجنبوا الإساءة » (١٩) .

وبرامج الترويح فى التصورالإسلامى لابد أن تلتزم هذا الاطار حتى يكون الإسلام شاملا لحياة الفرد الجادة والترويحية .

(٤) حدود الترويح الإسلامي :

إن حدود الترويح الإسلامى شأنها حدود الجوانب الهامة فى حياة الانسان وكلها تدور فى ذلك التشريع الإسلامى العام – وهو كما أسلف الباحث تشريع قائم على أساس تحقيق الخير للبشر، ودفع الحرج والعنت عنهم ، وارادة اليسر بهم ويقوم على درء المفاسد وجلب المصالح للانسان : جسمه وروحه وعقله ومصلحة الجماعة كلها ، أغنياء وفقراء حكاما ومحكومين ورجالا ونساء ومصلحة النوع الانسانى كله بمختلف أجناسه وألوانه وفى شتى البيئات والأقطار وعلى مرالعصور والأجيال ..

لأن الإسلام جاء رحمة ألهية شاملة لعباد الله حيث قال خالقهم :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . وقال رسوله صلي الله عليه وسلم : « إنما أنا رحمة مهداة » (٢٠) .

وكان من آثار هذه الرحمة ان وضع الله عن هذه الأمة الخاتمة كل العنت والتشديد وأوزار الاباحية والتحلل التى أدخلها الوثنيون والكتابيون على الحياة ، فحرموا الطيبات وأحلوا الخبائث . قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوارة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ..﴾ (٢١)

ومن ألزم الأمور أن نستند إلى الآيتين الكريمتين الآتيتين لنجعلهما أساسا لحدود الترويح الإسلامى ودستورا لبيان حلال الترويح وحرامه .. يقول تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبادة والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها

ومابطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون . ﴾ (٢٢) .

وعلى الترويح وتطبيقاته المعاصرة فى عالمنا الإسلامى يستقى برامجه ومواده من خلال التصورات الأمريكية أو الغربية أو من خلال الفكر الشرقى الملحد ، ويحاول أبناء العالم الإسلامى أن يوجدوا نوعا من التوفيق بين ماتتلمذوا عليه من فكر ونظريات وبين مايواجهونه من مشكلات ويضعون النظريات المستوردة كقضايا مسلمة شأنهم شأن زملائهم فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة والاعلام وشتى المعارف الانسانية . وهم حينما يجدون بعض فقرات ماعلموه من قضايا فكرية يوافق الإسلام ، فلا بأس ، وان عارضها ، يحاولون التقريب والتأويل والتحايل أو التبرير والتحريف ليطوعوا الإسلام لما منوا به وتعلموه .. وكأن هؤلاء قد نسوا أن كلمة الله هى العليا دائما وأنها هى التى ينبغى أن تعلوا وتتبع لأنها هى التى تهدى للفلاح ..

ولايخضع الخالق لأهواء المخلوقين ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ (٢٣) .

ومن أول المبادئ التى أقرها الإسلام ، أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحل والإباحة ، طالما انه لايوجد نص صحيح وصريح من الشارع بتحريمه ، والترويح شأنه شأن المنافع المباحة الاخرى . وقد أوجد الله النعم للانسان وسخرها له وما كان ليحرمه منها بتحريمها عليه . وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عافيته » (٢٤) .

كيفية تأثير تطبيق مبادئ الترويح على طرق البحث فى مجال الترويح

هناك أثر فعال لتطبيق المبادئ العامة الإسلامية على طريقة البحث فى مجال الترويح .. تتمثل فى الاتى :-

١ - ان التحليل والتحريم حق لله وحده .. وان الباحث أو الفقيه عليه أن يلتزم ببيان حكم الله فيما أحل أو ما حرم من مواد الترويح ، باعتبار أن الباحث أو الفقيه ليس من مهمته التشريع للناس فيما يجوز لهم وما لايجوز ، وقد كان الائمة ومنهم ابن تيمية يرون أن السلف لم يطلقوا الحرام الأعلى ما علم تحريمه قطعا ، وكانوا يتورعون فى اطلاق كلمتى الحلال والحرام ..

٢ - رحابة الصدر والبعد عن التنطع والتزمت والتشدد .. باعتبار أن الرسول قد حارب هذه النزعة ، وذم المتنطعين وتوعدهم بالهلاك اذا يقول : « ألا هلك المتنطعون وكررها ثلاثا » (٢٥) . وأعلن عن رسالته فقال : « بعثت بالحنيفية

السمحة » (٣٦) والباحث العلمى يتخذ هنا الموضوعية والحيدة متأثرا بهذه المبدأ متخذا الوسطية دون غلو أو تعد مادامت المواد الترويحية فى حدود تقوى الله والايمان به وعدم الاضرار بالناس .

٣ - الاستفادة من علل الأحكام ، فإن رحمة الله بعباده ان عمليات التحليل والتحريم جاءت لعلل معقولة راجحة المصلحة للبشر ، فلم يحلل سبحانه الا طيبا لو يحرم إلا خبيثا . وكل ما كان ضرره أكبر فهو حرام ، وماكان نفعه أعم وأشمل أكبر فهو حلال . يقول تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما ﴾ (٢٧) .

٤ - مبدأ التعويض .. ويؤخذ فى الاعتبار ان الله تعالى حينما يضيق على عباده فى أمر من الأمور ، فإنه يوسعه فى جانب آخر من جنسه ، لإن الله لايريد بعباده الضيق ولا العسر ولا الارهاق يقول تعالى : ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم . والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا﴾ (٢٨).

ويبين ذلك ابن القيم حين قال إن الله حرم الربا وعوض عنه بالتجارة الرابحة، وحرم القمار وعوض عنه بالمسابقات النافعة بالخيل والإبل والسهام ، وحرم الحرير وعوض بالملابس الفاخرة من الكتان والصوف والقطن وحرم الزنا وعوض بالزواج ، وحرم المسكرات وأعاض بالاشربة الطيبة(٢٩).

٥ - تحريم مايؤدى إلى الحرام .. يتأثر البحث العلمى فى موضوع الترويح بمبدأ الإسلام إذا حرم شيئا ، فإن مايقضى إلى هذا الشئ من وسائل تكون حراما وعلى الباحث ان يعمل على سن الذريعة الموصلة إليه . مثال ذلك أن الزنا محرم ، وعليه فإن كل مقدماته ودواعيه من تبرج وزينه وخلوة بأجنبى وخضوع بالقول أو اختلاط عابث أو صور عارية أو أدب مكشوف أو غناء فاحش يكون محرما ، ويقع الوزر على كل من شارك فيه بجهد فنى أو أدبى و من يشارك بالرؤية أو القراءة .. وكل من أعان على هذه الوسيلة .

٦ - التحايل على الحرام . . حرم الاسلام التحايل على ارتكاب المحرمات بالوسائل غير المشروعة الخادعة ونعى على اليهود ماصنعوه من استباحة ماحرم الله بالحيل .. ومن الحيل الآثمة تسمية الشئ الحرام بغير اسمه ، وتغيير صورته مع بقاء حقيقته فسميت الخمور باسم المشروبات الروحية والصور العارية

بالفن الحى والربا بسعر الفائدة وفى الحديث « ليستحلن طائفة من امتى الخمر يسمونها بغير اسمها » (٣٠) ، رواه احمد ، « يأتى على الناس زمان يستحلون الربا باسم البيع » (٣١) رواه البخارى .

٧ – قد يكون الترويح عبادة وقربه إلى الله بالنوايا الطيبة قد تتحول المباحات والعادات إلى طاعات لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لك امرئ مانوى » فمن صاغ مسرحية أو قصة بقصد توجيه الأمة إلى فضيلة وكانت نيته خالصة لله ، فإن عمله يعتبر عبادة وقربة إلى الله .. وليست النوايا الطيبة وحدها تبرر الصياغات المحرمة سواء في الدراما أو الأسلوب الأدبى .. ومبدأ (الميكافيلية) الذى يقول بأن الغاية تبرر الوسيلة مبدأ مرفوض على الساحة الإسلامية .

٨ – الحلال بين والحرام بين . . من الورع أن يتجنب المسلم الشبهات حتى لاتجره إلى الوقوع فى الحرام . وهو نوع من سد الذرائع ولون من ألوان التربية ، وأصل هذا المبدأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم «الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، لايدرى كثير من الناس : أمن الحلال هى أم من الحرام ؟ فمن تركها ، استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم ، ومن واقع شيئا منها يوشك أن يوقع الحرام ، كمن يرعى حول الحمى ، أوشك أن يواقعه ، ألا وان لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله محارمه » (٣٢) .

٩ – المساواة أمام الحرام بين الجميع . . فالسرقة حرام على المسلم وغير ذلك وكذلك بقية المحرمات والجزاء لازم على من ارتكب المحرم مهما كان نسبه أو مركزه أو عقيدته . والدليل قول الرسول صلي الله عليه وسلم : « وأيم الله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (٣٣)

١٠ – الضرورات تبيح المحظورات . . عند اضطرار المسلم لحفظ الحياة مثلا ، فانه قد يتعاطى المحظور خوف الهلاك أو فقد الحياة شرط أن يكون المضطر (غير باغ ولا عاد) ويكون هذا التعاطى بقدر مايدفع الضرر فقط ، وهذا من تيسير الله ورحمته والتخفيف عن الانسان الضعيف . ولهذا قال الله تعالى بعد ان ذكر محرمات الطعام من الميته والدم ولحم الخنزير :﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ (٣٤) .

النتائج المتوقعة لتطبيق المبادئ

وأفضل نتيجة متوقعه لتطبيق مبادئ الترويح المعدل على ضوء الإسلام أننا سنعد الانسان الصالح الأتقى الذى يعبد الله بما شرع من عبادات وبكل عمل وفكر وشعور

وبالنشاط الحيوى الذى يرضي به الله وأن يتوجه بكل عمل يقوم به إلى الله ، مستهديا فى كل الأعمال بهدى الله وبهذا يستعيد مكانته من القرب إلى الله حتى يستحق خلافة الأرض . ويمكن تلخيص مردود التطبيق فى النقاط الاتية :

١ - تفجير طاقات الانسان كلها لترقية الحياة وتنميتها والاتجاه نحو القوة الكاملة قوة البدن والروح والتفوق العلمى والتقنى وكل مايؤدى إلى القوة .

٢ - حدوث التوازن النفسى الذى هو من سمات الانسان الصالح والتوازن بين كافة العقل وطاقة الجسم وطاقة الروح ، أى بين ماديات الانسان ومعنوياته . وفى هذا القضاء على القلق والاضطراب .

٣ - الوصول بالانسان إلى الايجابية السوية الفعالة فى الحياة والتى تأخذ حياتها أساسا بمبدأ إقامة الرأى العام الفاضل والمستنير فى إطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٤ - إحياء المعانى الربانية من الايمان والتقوى لله والإخلاص له .

٥ - تثبيت دعائم الحق والخير والجمال في نفوس الناس على ضوء الإيمان بعيدا عن المذاهب الفلسفية والفكرية الغربية عن روح الإسلام .

٦ - إبراز القدوة الحسنة من التاريخ ومن الحياة الواقعة المعاصرة .

٧ - الاعتزاز بالإسلام ورسالته وعقيدته وشريعته وحضارته ونظمه الشامله المتكاملة.

٨ - مقاومة البدع والخرافات والشوائب التى جلبتها الفرق والرجوع إلى نبع الإسلام الصافى .

٩ - احترام وقت الفراغ مثل وقت العمل .. والعمل على الاستفادة منه .

ولا يمكن تحقيق هذه النتائج إلا حين يكون الإسلام هو الموجه والقائد لمجال الترويح وغيره ، وأن يتجه الترويح فى هذا الإطار مع ما تتجه اليه الحياة كلها إلى الوجهة الإسلامية وإن تصبغ مجالات الحياة كلها من حيث التأسيس والعرض والإطار شكلا ومضمونا بالصبغة الإسلامية .

الثمار المتوقعة للثورة المعرفية الحالية للترويح المعاصر

والثمار المتوقعة للثورة المعرفية فى مجال الترويح يمكن تلخيصها فى الآتى :-

١ - تقدير قيمة الكلمة وقوتها فى التوجيه ، واستثمار الكلم الطيب الصادق فى مختلف صور الكلمة للهداية الانسانية والبشرية .

٢ – ستقوم دعوة كبرى لمجاهدة النفس وتصحيح مسارها وتعديل سلوكها وعدم اتباع هواها ، وتحكيم العقل والشرع وتنقية النفس من أوهان الاضطرابات وإرجاع التوازن إليها واعتدالها بعيدا عن العلل والتفكك .

٣ – والثمرة المرتقبة هى التوجيه لاستثمار أوقات الفراغ حيث ان قيمة الوقت فى الإسلام لها أهميتها وأن عمر الانسان مسئولية كبرى سوف يسأل الفرد عنها.. كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع «عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من اين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن عمله ماذا عمل فيه » (٣٥) .

٤ – التوجيه بعدم السخرية واللمز .. وخاصة بعد استغلال عاهات الناس أو فقرهم أو جهلهم أو انتماء اتهم كوسيلة لصياغة (الدراما) التى تثير الضحك من هؤلاء ، وتوجيه السخرية إلى أصحاب التدنى الخلقى والمخالطين .

٥ – إبعاد الهم والحزن عن الناس .. لأن منهج الترويح الإسلامى يستقبل الحياة بالبشر والأمل والبشاشة ، ويكره لأفراده القنوط والتشاؤم والحزن والعبوس . وذلك لادراك الإسلام بأن الاستسلام إلى الكآبة والتقطيب مؤداه إلى الانهيار الشامل فى حياة الانسان وارادته .. والمنهج الإسلامى بقدر ما تشيعه البهجة والبسمة والطلاقة والسرور من شرح الصدور وتنقية النفس من كدر التجهم والعبوس .

٦ – نتيجة ادراك منهج ومبادئ الترويح الإسلامى ما للقلق والهم والحزن من نتائج سيئة على الأفراد وللجماعات وتحطيم نفوسهم مع إبدانهم فقد استمد الإسلام منهجه لمحاربة القلق والحزن من قصص الأنبياء وسير الصالحين كقصة يعقوب ويوسف . وغيرها للتسلية والتوجيه والاطمئنان .

الخطط المقترحة لتحريك المفهوم الجديد للترويح

١ – هناك حاجة ماسة وضرورية إلى البحوث الميدانية والعملية فى مدة الترويح وموضوعاتها على ضوء الإسلام ، ولايتسنى ذلك إلا بتدريس مادة الترويح فى كليات أصول الدين والشريعة والدعوة والاعلام والخدمة الاجتماعية ودار العلوم ومعاهد السينما والفنون المسرحية ، وتخصيص الأقسام العلمية فى هذه المعاهد بكافة بلاد العالم الإسلامى لإعداد الباحث فى هذا المجال وتأهيله فى الدراسات العليا لمواصلة البحث والدروس فى موضوعات ومجالات الترويح .

٢ - لاتستغنى الحياة فى العالم أجمع والعالم الإسلامى عن الجانب الترويحى لحياة الناس ولايمكن إن يقف العالم الإسلامى موقفاً سلبيا أو عاجزا أمام متطلبات المسلمين من ترويح يناسب سلوكهم وعاداتهم الإسلامية ومقتضيات أوامر ونواهى دينهم ، ولايستقيم الأمر إلا بإقامه عدة اكاديميات فى عواصم العالم الإسلامى حتى تتوفر فى المساحة الترويحية الاسلامية الأعداد المناسبة من مختلف المتخصصين .

٣ - دعوة الجامعات الإسلامية فى العالم واقسام الدراسات الدينية فى جامعات اوروبا وامريكا والكتلة الشرقية إلى مؤتمر يتبناه المعهد العالمى للفكر الإسلامى ليعرض بطرق غير مباشرة منهاج الترويح من المتطور الإسلامى ومشاركة الجمعيات الدولية للترويح والمنتشرة فى أمريكا وأوروبا فى تقديم آرائهم حول النظرية ومطالبة هذه الجمعيات بمحاولة التطبيق .

٤ - مخاطبة دول العالم الإسلامى بضرورة رسم سياسة ترويحية متكاملة على النحو الذى عرضناه ، ومساعدة تلك الدول بتقديم المقترحات وإيفاد الخبراء .

٥ - مخاطبة أجهزة الاعلام فى شكل نشرات دورية توضح الدور الهائل الذى يتردى فيه العالم الإسلامى بانجراف وسائل اعلامه وأجهزته فى تيار الفكر غير الإسلامى الناتج من الاعتماد على البرامج المستوردة دون العناية بإنتاج محلى مبهر وقوى وقادر على المواجهة والصمود والتحدى ومتميز بجذب الإنتباه والإثارة ومتداخل مع حياة الناس اليومية .

٦ - الاستفادة من أصحاب الأموال المسلمين فى انتاج برامج ترويحية إعلامية ذات مستوى راق فى التأليف والاخراج والتنفيذ ، دون الاعتماد على المصادر التاريخية لانتاج اعمال إسلامية قبل انتاج أفلام معاصرة تغسل أوزار ما يقدم على الساحة العربية من اعمال هابطة .

٧ - توصية أجهزة التليفزيون الإسلامية والعربية بضرورة اختيار مراقبى البرامج والمسلسلات من بين ذوى الدراسات الاجتماعية الإسلامية لمنع عرض الهابط والمؤثر سلبا فى عقائدنا وخاصة شبابنا وأطفالنا .

٨ - عقد اجتماعات مع وزارات الشباب والرياضة وعرض نماذج من الفكر الإسلامى فى مجال الترويح لمحاولة التطبيق ، وعقد دورات تدريب لقادة الترويح على مستوى دول الخليج ودول الجامعة العربية والدول الإسلامية للاستفادة من المنهج المقترح .

٩ - التخطيط على مستوى العالم الإسلامى للانتاج الفنى والأدبى والرياضى ويشترك فى التخطيط مفكرون وعلماء وأدباء وأصحاب رؤس أموال ، مع الاستفادة من التجارب العالمية والخبرات السابقة .

١٠ - الالحاح فى مخاطبة الحكومات التى تسمح بإقامة محلات الترويح السلبى والمحرم والتى تشيع فيها الفاحشة وتنتهك فيها الحرمات .

١١ - مخاطبة دور الانتاج العربى والعالمى عن طريق المنشورات والتوجيهات والخطابات الهادئة ، للارتقاء بالفنون التعبيرية والتشكيلية لكى يؤدى الفن رسالتة فى الارتقاء بالانسان وقيمه العليا بعيدا عن التدنى وراء الغرائز وتلويث الأفكار .

١٢ - إقامة مهرجانات للمسرح والسينما والمسلسلات التليفزيونية ورصد جوائز مختلفة للذين اتبعوا المنهج الأخلاقى وحاربوا التحلل الأخلاقى والذين أقاموا من الفن الاعلامى وسيلة لهداية الناس ومساعدتهم فى أى عاصمة إسلامية أو عالمية .

الهوامش

(١) تعريف G. ELYOT - Commen Kuman Needs - P. 13

(٢) تعريف جوث روستى – النشاط الترويحى وبرامجه صـ ١٤.

(٣) تعريف جورج باتلر ـ المرجع السابق .

(٤) تعريف المجلس الأعلى للشباب والرياضة بالقاهرة فى المؤتمر الأول للتربية الاجتماعية فى مايو سنة ١٩٦١ م.

(٥) يتناول الباحث موضوع الوقت وحياة المسلم فى غير هذا الموقع من البحث .

(٦) محمد على حافظ وآخرون : الترويح وخدمة الجماعة ، ص ٤٥ .

(٧) محمد عادل خطاب : النشاط الترويحى وبرامجه ، ص ٥٥ .

(٨) النحل : ٦٠ .

(٩) البقرة : ٢٨٦ .

(١٠) رواه البخارى .

(١١) رواه مسلم .

(١٢) رواه مسلم .

(١٣) رواه أبو داود .

(١٤) آل عمران : ١١ .

(١٥) المائدة : ٧٨ – ٧٩ .

(١٦) الطبرانى .

(١٧) الحام والطبرانى .

(١٨) النور : ١٩ .

(١٩) رواه الترمذى .

(٢٠) رواه الحاكم .

(٢١) الأعراف : ١٥٦ .

(٢٢) الأعراف : ٣٢ – ٣٣ .

(٢٣) المؤمنون : ٧١ .

(٢٤) رواه الحاكم .

(٢٥) رواه مسلم وأحمد وأبو داود .

(٢٦) رواه أحمد .

(٢٧) البقرة : ٢١٩ .

(٢٨) النساء : ٢٦ – ٢٨ .

(٢٩) ابن القيم : روضة المحبيين .

(٣٠) اغاثة اللهفان جـ ١ ، صـ ٢٥٢ – ابن القيم .

(٣١) البخارى .

(٣٢) رواه الترمذى .

(٣٣) رواه البخارى .

(٣٤) البقرة : ١٧٣ .

(٣٥) رواه الترمذى .

مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنظور الإسلامى

- المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية .
- العلاج الاسلامى للحالات الفردية .
- الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامى .
- الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية .
- المدخل الوقائى للخدمة الاجتماعية في رعاية الطفل إسلامياً .
- تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتنقى الإسلام حديثاً .
- المعاونة المهنية من الخدمة الاجتماعية لإحدى مؤسسات العمل : دراسة حالة .
- دور الخدمة الاجتماعية فى العمل مع المنحرفين منظور إسلامى .

المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية

عفاف بنت ابراهيم بن عبد الله الدباغ

تحاول الخدمة الاجتماعية فى الأونه الأخيره أن توجه الهدف من أنشطتها الى مشكلات الفرد الأجتماعيه ، ذات الصلة بتفاعله مع الآخرين فى المواقف المختلفة ، حتى يمكن الفصل بينها وبين المهن الآخرى التى تهتم بمشكلات الفرد ذات الصبغة الذاتية ، إلا أن الهدف القائم لمعظم الأنشطة المهنية - فى المجتمعات الغربية وغيرها - مازال يركز على احداث تغيير فى الشخصية والسلوك . ولذلك يحتفظ مفهوم المشكلات الفردية بأهميته البالغه فى ممارسة الخدمة الاجتماعية حتى وقتنا الحاضر .

وعلى الرغم من تعدد وأختلاف المشكلات التى يتعين على الأخصائى الأجتماعى أن يتعامل معها ، وتداخل العوامل المسببة لها ، الا أنه من الضرورى أن تعتمد ممارسة المهنة على قاعدة معرفية أساسيه واحدة لفهم الدوافع والعلاقات الانسانيه ، ومن ثم تفسير المشكلات بناء على ذلك .

ولاشك أن المشكلات الفرديه تؤثر وتتأثر بالمشكلات الأجتماعية ، بل قد تعتبر جزءاً منها ، إلا أن وضع تصور نظرى يفسرها كوحدة واحدة ، يعتبر عملا شاقا ومعقدا، لم تنجح العلوم الإنسانيه حتى الآن فى الوصول إليه . وعليه يصبح النظر إلى تفسير كل منها على حده ، أمرا مقبولا ، خاصة ونحن فى أولى مراحل التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية.

ويهدف هذا البحث إلى الإسهام فى الكشف عن بعض الأسس الإسلامية التى يمكن تفسير المشكلات الفرديه فى ضوئها . محاولا - بقدر المستطاع - الالتزام بمنهج التأصيل الإسلامي الذى يعمل على استخلاص الأصول الإسلاميه من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وتراث السلف ، مع الاستفادة من أفضل ما توصلت إليه العلوم الانسانية.

ويلاحظ أن البحث قد توجه نحو التركيز على العوامل التى يمكن أن يعتبرها القارىء ذاتيه خاصة بالفرد صاحب المشكلة ، إلا أن هذا التوجه لم يكن مخططا له . ولكنه جاء نتيجة تلقائيه تظهر طبيعة المعلومات المتوافره فى المصادر الإسلامية ونوعيتها .

المنظور الغربى للمشكلات الفردية

تعريف المشكلة :

تنوعت تعريفات " المشكلة " تبعا لتنوع وجهات النظر العلمية ، فمن وجهة النظر النفسية ، عرف أحمد عزت راجح ، المشكلة بأنها كل " موقف غير معهود لاتكفى لحله الخبرات السابقة والسلوك المألوف " (١) . وعرفها أحمد زكى بدوى من وجهة النظر الاجتماعية .. بقوله : : إنها ظاهرة تتكون من عدة أحداث أو وقائع متشابكة وممتزجه بعضها ببعض لفترة من الوقت ويكتنفها الغموض واللبس ، تواجه الفرد أو الجماعة ويصعب حلها قبل معرفة أسبابها والظروف المحيطه بها وتحليلها للوصول إلى إتخاذ قرار بشأنها (٢) . ويفرق رايت ميلز (Wright Mills) بين المشكلات الشخصية (Personal Troubles) والقضايا العامة (Public Issues) قائلا أن المشكلات تظهر فى شخصية الفرد وفى علاقاته المباشرة مع الآخرين ، فهى تتعلق بنفسه وبالحياة الاجتماعية المحدودة التى يدركها هو شخصيا ، وهي أمر خاص يجعل الفرد يشعر بتهديد موجه للقيم التى يعتز بها (٣) . كما تصف هيلين نورثن (Helen Northen) المشكلات التى يتقدم بها العملاء إلى الأخصائى الاجتماعى ، طالبين المساعدة فى حلها ، بأنها : أوضاع أو مواقف محيرة ، أو صعبة أو غير مرغوب فيها . وهى تمد الأخصائى بنقطة البداية فى عملية تقدير حاجات العميل (٤) .

هذا ويربط كثير من علماء النفس والتربية المشكلات الشخصية بالحاجات الإنسانية، وبمقدرة الشخص على التوافق ، فقد وصف جيمس كولمان (.James C Colemon) الحياة بأنها عمليات توافق مستمره ، يكافح فيها الناس لمقابلة حاجاتهم، وبقاء علاقات منسجمة مع بيئاتهم ، وعندما يتعامل الفرد بفاعلية مع مشكلاته يوصف بأنه فى حالة توافق جيد ، حيث يتكيف بنجاح مع الضغوط الداخلية والخارجية الموضوعة عليه : أما حين تكون المشكلة أكبر منه ، ويظهر عليه القلق ، وعدم الكفاءة ، وعدم السعادة ، أو أعراض أخرى أخطر من تلك ، فيوصف بأنه فى حالة سوء توافق(٥).

تفسير المشكلات الفرديه فى مداخل ممارسة الخدمة الاجتماعية:-

لقد استمدت الخدمة الاجتماعية تفسيرها للمشكلات الفرديه من النظريات النفسية والاجتماعية المتوافره ، ولذلك نجد العديد من مداخل الممارسة قد اختلفت مواقفها من ذلك باختلاف توجهها النظرى . ويمكن تصنيف هذه التوجهات حسب منطلقاتها الأساسية إلى ثلاث فئات ، فئة تفسر المشكلات على أساس ترجيح العوامل الفردية ، وأخرى ترجح العوامل الاجتماعية ، وثالثة تجمع بين الاثنين فى إطار تكاملى .

وفيما يلى تعريف موجز بكل فئة وأمثلة لها .

الفئه الأولى : وهى التى أخذت بالتفسير الفردى ، ومنها :-

١- مدخل التحليل النفسى (Psychoanagytic Approach) .

اعتمد فى تفسيره للمشكلات الفردية على مفاهيم نظرية فرويد المعروفة والمكونات الشعوريه واللاشعوريه . وهذا المدخل يرجع ما يقابل الناس من صعوبات أومشكلات إلى مايحدث من إعاقة ونكوص فى عمليات النمو ، عندما لا تبنى مكونات الشخصية (الأنا الدنيا - الأنا - الأنا العليا) البناء السليم فينتج صراع بين هذه المكونات وتظهر الحيل الدفاعيه اللاشعوريه - مثل الإسقاط والتحويل - بحيث تتحكم فى الأداء الوظيفى للفرد (٥) .

٢ - مدخل سيكولوجية الذات (Ego - PsychoLogy) .

ينظر إلى المشكلة التى تواجه الفرد على أنها مشكلة نفسية - اجتماعية ، فالإنسان يمثل المنطقه التى ترتبط بالواقع ، وتتوقف قوة الذات على مدى إدراكها لهذا الواقع الذى يمثل الجوانب الاجتماعية للفرد والبيئة التى يعيش فيها . لذلك يتم فهم الإنسان ومشكلته فى ضوء تفاعل العوامل البيئية الخارجية بالعوامل الذاتية (٧) .

غير أن المقارنة بين هذا المدخل والمداخل التى ركزت على العوامل البيئيه ، تظهر تركيز هذا المدخل على العوامل النفسية وإرجاعه القصور الذى يحدث فى الأداء الوظيفى للفرد عند تفاعله مع البيئة إلى وظائف الذات (الإدراك - الإحساس - التفكير - التنفيذ) فهى التى تعمل على توازن شخصية العميل .

٣ - المدخل الوظيفى أو النظرية الوظيفية (Functional Theory) .

ترجع السبب فى حدوث المشكلة إلى عطل أوضعف فى إرادة الإنسان أثناء موقف معين ، يرجع غالبا إلى التجارب السلبية فى علاقات الفرد المبكرة ، خاصة علاقاته الحيويه مثل علاقاته بوالديه ، مما يجعل إرادته ترفض عملية الانفصال الضرورية للنمو، ولذلك ينظر إلى المشكلة على أنها أزمة نمو ، فالإنسان منذ تجربة الانفصال الأولى (Birth Trauma) يمر بتجارب مؤلمة من الانفصال والاتصال ، والبداية والنهاية فهو يدخل فى علاقات متكررة مع الأخرين يتصل بهم ثم ينفصل عنهم . وانطلاقا من هذه القاعدة جاءت النظرية بمفاهيم منها : الإرادة المضادة (Counterwill) والصراع (Conflict) والمقاومة (Resistance) التى تراها حيوية وضرورية لنمو الإنسان (٨)

٤ – المدخل الوجودى (Existential Apprach)

والمدخل المعرفى (Cognitive Approach)

تقع النظريه الوجوديه تحت التصنيف المعرفى ، لذلك نجد هذا المدخل يتفق إلى حد كبير مع المدخل المعرفى فى تفسيره للمشكلات ، فالمدخل الوجودى يحلل المشكله فى ضوء المعتقدات والقيم التى يعتنقها الفرد ، وهدفه فى الحياة ونظرته إلى نفسه (٩) . والمدخل المعرفى يفسر المشكلة فى ضوء الأهداف التى توجه الفرد ، ومدى إدراكه للحقيقه وأسلوبه فى الحياة (١٠) .

الفئة الثانية : وهي التى أخذت بالتفسير الاجتماعى والبيئى ومنها :-

١ – المدخل السلوكى (Behavioral Approach)

ولقد أطلق سيبورين (Siporin) على هذا المدخل اسم " المدخل السلوكى الاجتماعى"(Sociobehavioral Approach) نظرا لأنه يعتمد على نظريات التعلم وتعديل السلوك ونظريات التنشئه الاجتماعية (١١) . ويربط هذا المدخل وجود المشكلة الفردية بأحد أو بعض أو كل العوامل التالية :-

أ) عدم قدرة المثيرات القائمة على إحداث الاستجابة المطلوبة .

ب) وجود مثيرات من شأنها إحداث استجابات مشكلة.

ج) وجود نقص فى الأدلة التى تساعد على التمييز .

د) تدعيم نتائج السلوك المشكل .

هـ) عدم كفاية تدعيم السلوك السوى.

و) وجود وقائع عقابية تكف السلوك السوى (١٢) .

٢ – مدخل الإمدادات الاجتماعية (Social Provision Approach)

ينظر هذا المدخل إلى الفرد بصفته مواطنا له احتياجات يجب إشباعها من قبل النظم الاجتماعية المختلفه ، ولذلك يركز على الحقوق الاجتماعية والمساواة . ويرجع أسباب المشكلات التى يعانى منها الناس إلى سوء الأداء الوظيفى للبناء الاجتماعى والنظم الاجتماعية ، خاصة نظام الرعاية الاجتماعية والمتمثل فى عدم توفير الموارد الكافية وعدم إعطاء فرص متكافئه للمعيشة على مستوى مناسب . ولقد وصف هذا المدخل بأنه حركة اجتماعية ضد الفقر ، وقدم لوتز (Lutz) هذا المدخل كنموذج

للمساعدة فى خدمة الفرد ، بينما قدمه بابل روثمان (Papell Rothman) باسم نموذج الأهداف الاجتماعية فى خدمة الجماعة . وهو منظور تقليدى فى حركة تنظيم المجتمع ، للإبقاء على التكيف الفعال بين مصادر الرعاية الاجتماعية وبين احتياجاتها [١٣].

٣ - **المدخل الإيكولوجى** (Ecological - Systems Approach) .

يعتمد هذا المدخل على مزيج من نظرية الأنساق الاجتماعية ، ونظرية الأنساق العامة ، والنظريات الإيكولوجية الإنسانية .وهو ينظر للمشكلات على أنها تظهر نتيجة للعمليات الانتقالية التى تحدث للفرد أثناء حياته ، ولعمليات التفاعل بين الأفراد ، كما ترجع إلى بعض القضايا البيئيه[١٤] .

الفئة الثالثة : هى التى أخذت بالاتجاه التكاملى ومن أهمها وأكثرها انتشارا : المدخل النفسى الاجتماعى (Psychosocial) . وهو يميل إلى إرجاع المشكلة إلى تفاعل العديد من العوامل المادية ، والجسمية ، والبيولوجية ، والشخصية ؛ مع العوامل البيئية المختلفة . ولذلك تسعى الممارسة القائمة على هذا الاتجاه إلى فهم متكامل للفرد فى مواقفه النفسية الاجتماعية كى تستطيع تقديم أفضل مساعدة له لاستغلال طاقاته بطريقة مرضية [١٥] .

وعلى الرغم من وجود أكثر من اثنين وعشرين مدخا أو نظاما فكريا - كما يسميها تيرنر (Turner) - لممارسة الخدمة الاجتماعية تختلف فيما بينها بدرجات متباينة ، فإن هناك إدراكا متزايدا واتفاقا على أهمية التركيز على الموقف النفسى الاجتماعى للعميل (Psychosocial Situation) أكثر من التركيز على الوظائف الداخلية له (Inner - Functioning) ، وأهمية فهم الموقف الحالى للعميل ؛ بدلا من الرجوع إلى تفاصيل مطولة لماضيه . كذلك فإن الاتفاق يفوق الاختلاف فيما يختص بأهمية العناصر المميزة لبيئة العميل وتداخلها [١٦] .

أنواع المشكلات الفردية :

تصنف بيرلمان (Perlman) ، أهم المشكلات التى تواجه عملاء الخدمة الاجتماعية والمتعلقة بأدائهم لأدوارهم إلى :

١ - ضعف الوسائل المادية الملموسة أو عجزها ، وضعف فى القدرات الشخصية يحد من أداء الدور ، وضعف فى المعلومات والاستخدامات .

٢ - اضطراب الشخصية ، والضعف العقلى .

٣ – التناقضات التى توجد فى الدور ، وتشمل التعارض بين عدة أدوار ، والتعارض بين توقعات الفرد والآخرين ، أو بين الاحتياجات الشخصية ومتطلبات الدور: أو التعارض الناتج عن غموض تعريفات الدور وتناقضها .

كما صنف ريد (Reid) المشكلات التى يتعامل معها الأخصائى الاجتماعى كما يلى :– صراعات بين الأشخاص ، وعدم الرضا فى العلاقات الاجتماعية ، ومشكلات مع المؤسسات الرسمية ، وصعوبات فى أداء الدور ، ومشكلات خاصة بالقرارات ، ورد فعل للضغوط الانفعالية ، ونقص الموارد ، ومشكلات نفسية أو اجتماعية أو سلوكية أخرى مما لم ترد فى الأنواع السابقة . والتعريف المأخوذ به هنا للمشكلات هو : أنها رغبات غير مشبعة (١٧).

يلاحظ مما سبق أن المنظور الغربى وإن كان قد أرجع حدوث المشكلات الفردية إلى العديد من العوامل ، إلا أنه أكد على العلاقة الطردية بين المشكلات والنقص فى إشباع الحاجات الإنسانية ؛ ولذلك لابد من عرض مفهوم الحاجات الإنسانيه فى النظريات الغربية ، ثم محاولة اكتشاف التصور الإسلامى لهذه الحاجات حتى يكون مدخلا لتفسير المشكلات الفردية من المنظور الإسلامى .

الحاجات الإنسانية فى العلوم الاجتماعية :

مفهوم الحاجة (Need) :

اختلفت تعريفات الحاجة باختلاف العلوم المعرفه لها . ففى علم النفس نظر إلى الحاجة على أنها مفهوم فرضى ، أى حالة مجردة أو فرضية ، ولكنه يرتبط بالعمليات الفسيولوجية الكامنة فى الدماغ . ويرى موراى أن الحاجات إما أن تستثار داخليا ، أو أن تأخذ فى التحرك نتيجة لتنبيه خارجى . وفى أى من الحالتين تؤدى الحاجة إلى نشاط من جانب الكائن ، يستمر حتى يتغير موقف الكائن – البيئة بحيث تقل الحاجة. فالحاجة مفهوم دافعى يماثل الاصطلاحات الأخرى كالدافع أو الرغبة أو الباعث أو المحرك (١٨) .

وفى مجال السياسة الاجتماعية ظهر مفهوم الحاجات الأساسيه (Basic Needs) وقسمت الحاجات الإنسانية الأساسية إلى نوعين : الأول : الحاجات المادية (Material Needs) الضرورية لبقاء الإنسان على قيد الحياة مثل : الطعام ، المسكن، الملبس، سهولة التوصل للماء ، الصحة والأحوال المفضية إليها . والثانى : الحاجات غير المادية : (Non Material) مثل : التعليم ، الحقوق الإنسانية الأساسية بمعناها الواسع الذى يشمل مثلا الحق فى العمل ، والحق فى الاشتراك فى إصدار القرارات السياسية والمشاركة فى الحياة الثقافية القومية (١٩).

ويعتبر تعريف الحاجة من المشكلات التى تتحدى البحوث فى هذا المجال والتى لم تحل إلى الآن . والحقيقة الهامة التى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند محاولة تعريف الحاجات هى أنها - أى الحاجات - عبارة عن أبنية نظرية (Theoretical Constructs) ولذلك فإنه لايمكن إثبات وجودها بالطرق الفيزيائيه المباشرة (٢٠) . والحكم على شخص ما انه فى حاجة إلى أشياء ضرورية لن يكون حكما قائما على حقيقة موضوعية ، ولكنه سيكون وجهة نظر ، لأن هناك متسعا للاختلافات حول القيم التى بنى عليها هذا الحكم (٢١) .

تحديد الحاجات :

اختلف أصحاب نظريات الشخصية فى وضع تصور لتحديد الحاجات التى يمكن من خلالها دراسة السلوك . فمنهم من أخذ بتنوع الدافعية وتعددها لدى الإنسان ، ومنهم من أخذ بعدد قليل من التصورات الدافعية .

ويعتبر موراى من ممثلى الفريق الأول حيث توصل نتيجة لدراساته إلى قائمة تتكون من عشرين حاجة ، ميز بينها على عدة أسس ، منها التفرقة بين الحاجات الأولية التى ترجع إلى إشباعات بدنية (مثل الحاجة إلى الطعام ، الهواء ، الجنس ، الرضاعة) . الحاجات الثانوية ذات الأصل النفسى (مثل الحاجة إلى الإنجاز ، والتقدير ، والسيطرة) . وهو يرى أن الحاجات لاتعدل منعزلة عن بعضها ولكن فى تفاعل وتأثير متبادل ، ولقد بذل محاولات جادة لكى يصف ذلك التفاعل الجارى بين محددات السلوك ، فأقام الحجة على أن الحاجات تعمل دائما فى خدمة بعض القيم ، أو يهدف تمهيد السبيل للوصول إلى حالة نهائية . وبذلك فإن القيمة يحب أن تكون جزءاً من تحليل الدوافع (٢٢) .

أما الفريق الثاني فمن أشهر ممثليه جولد شتين الذى يري أن تحقيق الذات هو الدافع الوحيد لدى الكائن العضوى ، وما يبدو أنه تحركات مختلفة كالجوع والجنس والإنجاز ؛ ليس إلا مظاهر لغرض أسمى للحياة ، وهو تحقيق المرء لذاته . فعندما يكون الشخص جائعا فإنه يحقق ذاته بتناول الطعام . ويحتل إشباع أى حاجة نوعية المقام الأول عندما تكون شرطا لتحقيق الذات للكائن العضوى بأسره (٢٣) .

نظرية ماسلو : (Maslow Theory)

اشتهرت نظرية ماسلو فى الدافعية الإنسانية ؛ واتفقت العديد من الآراء على أنها يجب أن تكون الأساس للبحوث والمناقشات . فالنظام الهرمى الذى وضعه ماسلو يمثل نقطة انطلاق هامة ومثمرة لعملية التنظير للعلاقة بين الحاجات الإنسانية وبين السياسة والمشكلات الإنسانية . وقول باى (Bay) أنه على الرغم من عدم وجود إثبات علمى

كاف لصدق هذا النظام إلا أنه لاتوجد أي نظرية بديلة فى الحاجات الإنسانية أفضل من نظريته (٢٤) .

لذلك يفضل تناولها بقليل من التفصيل فيما يلي :-

يقرر ماسلو أن الحاجات الإنسانية تنتظم فى تسلسل هرمى تبعا لأولويتها . وأطلق اسم الحاجات الدنيا على الحاجات الأكثر إلحاحا ولها الأولوية ، وهى منظمة حسب قوتها كما يلى :

الحاجات الفسيولوجية أولا ، ثم الحاجات المتعلقة بالأمن ، تليها الحاجات المتعلقة بالانتماء والحب ، ثم الحاجات المتعلقة بالقيمة والتقدير . وظهور أى حاجة للفرد يتوقف على إشباع الحاجة السابقة لها، لذلك فإن الإنسان الذى فى حاجة إلى الطعام والأمن والحب والتقدير ، سوف يسعى إلى الحصول على الطعام بقوة أكبر من سعيه إلى إشباع الحاجات الأخرى .

أما الحاجات العليا فهى الحاجات المتعلقة بتحقيق الذات ، فإذا أشبعت لدى الإنسان الحاجات الدنيا ، ولو بدرجة جزئيه ، عندها فقط يمر بتجربة الحاجات العليا (تحقيق الذات) ، حيث لايكون قلقا على حياته وعلى بقائه .

ويمكن إعطاء أمثلة من كل نوع : فالحاجات الفسيولوجية مثل الحاجة للتخلص من الجوع والعطش ، والحاجة للنوم ، والحاجة للجنس ، والحاجة للتخلص من الألم . ومن الأمثله على حاجات الأمن : الحاجة للحماية ، والبعد عن الأخطار ، والاطمئنان علي المستقبل .

أما حاجات الحب والانتماء فمن أمثلتها الحاجة للأصدقاء ، والأسرة ، والانتماء لجماعة . ومن الأمثلة على حاجات القيمة والتقدير : الحاجة للاحترام ، وللإعجاب ، والجاجة للشعور بالإعجاب بالنفس وبقيمتها ، والحاجة للشعور بالرضى عن الذات .

أما الحاجات العليا وهى حاجات تحقيق الذات ، فمن أمثلتها الحاجة لتحقيق الطاقات الشخصية، وتطوير الطموح والقدرات ، والقيام بالعمل الذى يناسب الشخص، والحاجة إلى إنماء وتوسعة الاحتياجات العليا عن طريق اكتشاف الحقائق ، وإيجاد النظام ، وإظهار العدالة .

هذا ولم يضع ماسلو الحاجة إلى المعرفة والفهم فى مكان محدد من التسلسل الهرمى للحاجات ، إلا أنه يؤكد أن الرغبة للمعرفة والفهم هى دوافع حقيقية نابعة من الحاجات الأساسية . فالإنسان العادى لا يستطيع أن يأخذ موقفا سلبيا تجاه العالم الذى يعيش فيه . كما أنه لايأخذ الأمور على علاتها ولكنه يستفسر ويطالب بمعرفة الأسباب . ولقد صنف ماسلو الحاجات المعرفية فى تسلسل هرمى أيضا . فتعتبر -

مثلا – الحاجة إلى معرفة العالم أساسية بشكل أقوى من الحاجة إلى ترتيب الأحداث في إطار . ومن أمثلة الحاجات المعرفية : الحاجة إلى التحليل ، الحاجة إلى إجراء تجارب ، وهى تظهر واضحة لدى الأطفال خاصة ، كذلك الحاجة إلى تفسير للأحداث وليس معرفتها فقط ، والحاجة إلى إيجاد معنى للحياة (٢٥).

ولم يذكر ماسلو أن هذه هى كل الحاجات الإنسانية ، لكنه أكد أن كل إنسان لديه هذه الحاجات . كما أنه أشار إلى أنه فى حالة كون الحاجات العليا فى مرحلة من مراحل عمر الإنسان نشيطه للغاية ، ثم تبعها حرمان من إشباع الحاجات الدنيا ، فإنه ليس من الضرورى أن تُطفأ أو تخمد الحاجات العليا . ومثل على ذلك بشخصية غاندى الذى كان يحرم نفسه من الطعام فى سبيل أهداف سامية ، لأن الحاجات العليا أصبحت أكثر أهمية لديه ، إلا أنه يقول إن الشخص الذى عاش حياته ولم يكن لديه قط طعام يكفيه – أى عاش فى حرمان مستمر – لن تنشط عنده الحاجات العليا أبدا (٢٦).

ولقد وجه أنصار علم النفس التحليلى وعلم النفس السلوكى النقد إلى ماسلو ، كما وجهوه إلى علم النفس الإنسانى بصفة عامة ، فوصف السلوكيون مفاهيم نظرية ماسلو بأنها غامضة وميتافيزيقية ، وعارضوا قوله بأن الحاجات الأساسية هى حاجات غريزية عالمية . كما قال البعض أن نظريته تعتبر حيوية (Vitalist) وغائية (Teleogical) خاصة فيما يتعلق بمفهوم تحقيق الذات ، وأنها محملة بالقيم . وهناك من يدافع عن نظرية ماسلو أمثال ميس (Mace) ، وتايلور (Taylor) ، فيعرف ميس الحاجة بأنها عمليات غرضية ، تهدف إلى توجيه السلوك إلى النهاية التى تقود إليها دينامية الاتزان. وهو يحل مشكلة الفرق بين القيمة والحقيقة بقوله أن هذا الفرق يتضاءل جدا حتى يصبح خير الإنسان يتمثل فى إشباع حاجاته . وإذ يعترف ماسلو بأن نظريته محمله بالقيم ولا يوجد غضاضة فى ذلك ، نجده يطالب بأن تؤخذ – وبجدية – إمكانية تعامل العلم مع القيم بل إمكانية اكتشاف القيم بواسطة العلم ، إلا أن روس (Ross) يرى أن العلم الذى يصفه ماسلو ليس له علاقة بالقيم ، وأن أى اهتمام بالقيم غير علمى ، أما العلوم ذات الطبيعة فإنها درست القيم باعتبارها حقائق . وعندما هاجم تايلور وجهة النظر التى تقول أن التفسير الغائى لا يمكن ادراكه بالحواس Non - Epirical وأنه ميتافيزيقى ، علق روس قائلا أنه حتى لو كان التفسير الغائى مقبولا ، فأن هذا لا ينقذ نظرية ماسلو ، حيث أن المشكلة الأساسية – من وجهة نظره – لازالت قائمة والمتمثلة فى التساؤل الذى لم يجب عنه ، والخاص بكيفية تحديد الهدف أونموذج السواء أو المعيار الذى نقيس عليه إشباع حاجات الإنسان (أى كيف نقرر إن كان على مستوى راقى أو دون ذلك) .

أما عن التسلسل الهرمى للحاجات فقد لقى التأييد من العديد من المختصين حيث أثبتت التجارب العملية أولوية الحاجات الدنيا مثل الجوع والعطش والحاجة إلى الأمن عن بقية الحاجات (٢٧) . وعندما سئل ماسلو عن السبب الذى جعل من الوصول إلى تحقيق الذات أمرا نادرا جدا بين الناس حيث تقل نسبته عن ١ ٠/ ، أجاب بأن الحاجة إلى تحقيق الذات تقع فى أعلى درجات السلم الهرمى لذلك فهى أضعفها ، كما أن مايحدث أثناء التنشئة الاجتماعية من نقص فى إشباع الفسيولوجية والحاجة إلى الأمن والتقدير يجعل من تحقيق الذات أمرا صعبا للغاية، بالإضافة إلى أن تحقيق الذات يحتاج إلى كثير من الشجاعة ، ولا يكفى إشباع الحاجات الدنيا جميعها لكى ينشط تحقيق الذات ، بل يحتاج الأمر إلى بذل جهد وضبط للنفس ، ونظام ، وعمل شاق بل قد يكون الأمر مؤلما فى بعض الأحيان . لذلك فمن الأيسر على الإنسان أن يتخذ الموقف الأسهل الذى لا يحتاج فيه إلى بذل جهد ، ويضمن له الأمن والسلامة بعيدا عن أى تحديات ، فالشخص المحقق لذاته يختبر نفسه باستمرار ويتحداها ، ولديه الشجاعة الكافية التى تجعله يسلك بطريقة بعيدة عن الروتين الذى يعبده ويضمن نتائجه (٢٨) .

هذا أهم ما يمكن ذكره عن المفهوم الغربى للحاجات الإنسانية وفيما يلى محاولة للنظر إليها من المنظور الإسلامى ، يسبقها إشارة إلى موقف المختصين المسلمين فى علم النفس والتربية تجاه هذه القضية .

الحاجات الانسانية من المنظور الإسلامى

كتب العديد من المختصين المسلمين فى علم النفس والتربية فى قضية الحاجات والدوافع من المنظور الإسلامى ، ولقد اتسمت طبيعة كتاباتهم بالسمات التالية :-

١- الأخذ بمفهوم الحاجة وفقا للتعريفات الواردة بالنظريات الغربية .

٢- الالتزام بالتصنيف المعتاد عند أصحاب النظريات الغربية للحاجات (حاجات جسمية ، نفسية ، اجتماعية) مع تفسيرها والتدليل عليها من القرآن والسنة .

٣- إضافة ماأسموه الحاجات الروحية ، وهنا نجد أن بعضهم قد أفردها وميزها عن الحاجات النفسية (أمثال يالجن) ، والبعض الآخر ضمها للحاجات النفسية (أمثال نجاتى) ، وآخرون ضموها للحاجات الاجتماعية (أمثال محمد عوده وكمال إبراهيم).

وقد عبر أصحاب الاتجاهين الأخرين عن تلك الحاجات الروحية بالحاجة إلى الدين ، أو الدافع إلى التدين والدوافع الأخلاقية .

٤- الالتزام بالمصطلحات الغربية على الرغم من اختلاف مضمونها فى بعض الأحوال عن المضمون المقصود من وجهة النظر الإسلامية (مثال على ذلك مصطلح تحقيق الذات) . كما قد يختلف بعضها الآخر فى معناه اللغوى ، مثل مصطلح " صراع " الذى يستخدم كثيرا ، فهو يعنى - كما جاء بالقرآن الكريم - أن يصارع طرف الطرف الآخر بهدف أن يصرعه ، فيفنيه (٢٩) .

ونظرا لأن الأخذ بمفهوم الحاجة كما جاءت به النظريات الغربية ، والمحدد فى المتطلبات الضرورية للحفاظ على سلامة حياة الإنسان ونموه فى الحياة الدنيا ، لايتضمن الإشارة إلى ضوابط الإشباع ، بل تحدث عن الإشباع مطلقا ، كما لو كان خيرا كله ، فإنه يبتعد بهذا عن المنظور الإسلامى ، لذلك فلعله من الأفضل وضع تعريف للحاجة يمثل النظرة الإسلامية ، ويمكن أن يكون كما يلى :-

الحاجة :- هى " كل ماتستقيم به مصالح الإنسان فى الدنيا والآخرة " . والإنسان وفقا لهذا التصور يكون فى حاجة إلى كل مايجلب له المصلحة ، وإلى كل مايدفع عنه المفسدة فى الدنيا والآخرة . وتقدير المصالح هذا يتم فى ضوء التوجيه الآلهى ، ولا يترك للعقل الانسانى حرية تقديره منفردا . وهى بهذا تختلف عن الأهواء والرغبات ؛ فقد يرغب الإنسان فى شىء يجلب إليه لذة مؤقته - حتى لو كانت مستمرة طوال عمره - دون أن يكون فى هذا مصلحته الحقيقية ، سواء أدرك ذلك أم لم يدركه . ومصلحة الإنسان الحقيقية - فى التصور الإسلامى - هى فى نعيم الدنيا والآخرة ، وليس الدنيا وحدها . لذلك فإن المصلحة الأخروية الدائمة تصبح الهدف الصحيح الذى يجب أن يسعى إليه الإنسان من تحقيق مصالحه أو رغباته الدنيوية . وكما يقول الشاطبى : «إن المصالح المجتلبة شرعا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى ، لا من حيث أهواء النفوس فى جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية » (٣٠) . أى أن مجرد كونها مصلحة فى نظر الشخص لا يعتبر ، والمعتبر هو أن تكون بحيث تقوم بها الحياة الدنيا للأخرى .

وبذلك نرى أن تضمين المفهوم الإسلامى للحاجة لبعد الإيمان بالآخرة ووجوب طاعة الله عز وجل - قد منح المفهوم ضابطاً واضحاً وبيناً لإشباع الحاجات . وهو بذلك لايسمح بحدوث أى اختلافات حول القيم التى يبنى عليها الحكم في كون حاجة ماضرورية أم لا ، لأن القيم الإسلامية ثابت لاخلاف عليها ، على عكس القيم فى الثقافات الأجنبية غير الإسلامية التى تختلف من مجتمع إلى آخر . كما أنه يحدد لنا نموذج السواء ، أو المعيار المثالى الذى نقيس عليه مدى سلامة ورقى الأسلوب المتبع لإشباع الحاجات والذى تساءل عنه روس ، حيث لم تتمكن النظريات الغربية من

الوصول إليه ، والله جل قدره ، عليم ورحيم بعباده ، لذلك حدد فى شريعته هذا النموذج السوى وأرشد إلى كيفية الأخذ به على يد رسله ، (فلا حجة لنا بعد الرسل). كذلك فإن ربط الحاجة الإنسانية بالمصلحة الشرعية يجعل لها محتوى موضوعيا يمكن تحديده وإثباته من القرآن والسنة . وبذلك لا تصبح هناك قيمة للرأى المذكور سابقا والقائل بأنها أبنية نظرية لا يمكن إثبات وجودها بالطرق الفيزيائية .

تحديد الحاجات من المنظور الإسلامي :

بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم ، يتضح لنا أن هناك حاجة أساسية ومهيمنة على جميع الحاجات – لأنها ضامنة لإشباعها جميعا – ألا وهى الافتقار إلى الله عز وجل :

قال تعالى : ﴿ ياأيها الناس أنتم الفقراء إلي الله والله هو الغني الحميد﴾ (فاطر : ١٥) ويفسر ابن كثير قوله تعالى ﴿ أنتم الفقراء ﴾ أى أنتم محتاجون إليه فى جميع الحركات والسكنات [٣١] .

كما يفسر الرازى قوله تعالى " إلى الله " إعلام بأنه لا افتقار إلا إليه ولا اتكال إلا عليه ، وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرا إليه ، وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار إلى غيره . كما أن المعنى المقصود بقوله تعالى " والله هو الغنى الحميد " هو : فلستم أنتم فقراء والله مثلكم من الفقر بل هو غنى على الإطلاق ، ولستم أنتم لما افتقرتم إليه ترككم غير مقضى الحاجات بل قضى فى الدنيا حوائجكم وإن آمنتم يقضى فى الآخرة حوائجكم فهو حميد [٣٢] . فالإنسان فى حاجة إلى الله ، لأنه تعالى هو الذى خلق وسخر مافى السموات مافى الأرض لإشباع حاجات الإنسان الدنيويه ، وهو فى حاجة إلى شكر الله (بعبادته) حتى تقضى احتياجاته فى الدنيا وأيضا فى الآخرة .

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التى توضح فضل الله على عباده ، وحاجتهم إليه ، من أمثلة هذه الآيات :

﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾ (الملك : ١٥ ، ١٦) كما قال عز وجل ﴿ قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴾ . (الملك : ٣٠) كما قال فى سورة النحل : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ﴾ كما قال تعالى " والله جعل لكم من بيوتكم سكنا " (النحل : ٨٠) والآيات من ٥ –١٦ من سورة النحل أيضا توضح فضل الله وتسخيره للسماوات والأرض من أجل الإنسان ومن أجل قضاء حاجاته الدنيوية . ثم قال عز من قائل ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ كما قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم : ﴿ قال أفرأيتم ماكنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا

رب العالمين . الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين﴾. (الشعراء : ٧٥ – ٨١) . إذن فالله خالق الإنسان وخالق كل شيء ، مقدر الحاجات علي الناس لعلمه ، ورازقهم بما يشبعها برحمته ، حتى أصبحت كل الحاجات إليه وحده وكل التوجه إليه وحده سواء أعطى أومنع بحكمته، فإن أعطى مايشبع الحاجات ، فلا يجوز إشباعها إلا وفقا لأمره وإن منع فلا راد لقضائه ، وتكون استجابة الإنسان القبول لحكم الله واليقين بما عنده .

ويمكن تحديد الحاجات الإنسانية بالنظر إلى مقاصد الشريعة الإسلامية كما صنفها الشاطبى فى الموافقات ، وذلك على الوجه التالى :-

الحاجات الأساسية من منظور المصالح المقصودة من التشريع :

قسمت المصالح المقصودة من التشريع باعتبار آثارها فى قوام أمر الأمة . إلى ثلاثة أقسام : ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية . والمصالح الضرورية هى التى تكون الأمة بمجموعها وآحادها فى ضرورة إلى تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام بإخلالها . وليس المقصود باختلال نظام الأمة . هلاكها واضمحلالها – لأن هذا قد سلمت منه أعرق الأمم الوثنية والهمجية – ولكن المقصود أن تصير أحوال الأمة شبيهة بأحوال الأنعام بحيث لا تكون على الحالة التى أرادها الشارع منها .

وقد مثل الغزالى والشاطبى هذا القسم الضرورى بما يلى :-

حفظ الدين – حفظ النفس – حفظ العقل – حفظ المال – حفظ النسل[٢٣] .

وبالنظر إلى هذه الضروريات على أنها تمثل الحاجات الأساسية للإنسان ، وذلك باعتبار الحالة التى يريدها الله للإنسان وهى : أن يعرف الحق ويعتقده ، ويعرف الخير ويعمل به حسب وسعه ، فيحقق بذلك إنسانيته بعبوديته لله ، على عكس حالة الإنسان الذى انسلخ من إنسانيته لعدم قيامه بعبادة الله ، فصار حيوانا أو دون الحيوان كما وصف الله تعالى الكفار ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾ (الفرقان : ٤٤) .

فعلي هذا الأساس يصبح ترتيب الحاجات الإنسانية كما يلى :

أولا : الحاجة إلى حفظ الدين :

والدين هو عقيدة وشريعة ، والحفاظ عليه يقتضى الحفاظ على كل منهما . وحفظ العقيدة هو حفظ فطرة الإنسان السليمة (التوحيد) من أن يدخل عليها ما يفسدها وحفظ تصوراته من الفساد أو دخول الشك والريبة بها ، وحفظ الشريعة أى حفظ إرادة الإنسان وتوجهاته وأعماله من الفساد والإنحراف عما شرعه الله .

ثانيا : الحاجة إلى حفظ النفس :

أى حفظها عن التلف قبل وقوعه (٣٤) . ويتضمن هذا توفير الأمن على الحياة وهو من أعظم حاجات الكائن الحى .

ثالثا : الحاجة إلى حفظ العقل :

أى حفظه من أن يدخل عليه خلل ، لأن دخول الخلل على العقل مؤد إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف . فالإنسان فى حاجة إلى أن يبقى عقله فى حالة صحية جيدة (الصحة العقلية) لكى يستطيع أن يقوم بمهام التكليف .

رابعا : الحاجة إلي حفظ المال :

والمقصود بالمال هو مايقع عليه الملك ، ويستوى فى ذلك الطعام أو الشراب واللباس وجميع المتمولات التى لا غنى عنها لبقاء الإنسان على قيد الحياة (٣٥) .

خامسا : الحاجة إلي حفظ النسل :

والنسل هو حفظ أفراد النوع ، فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع وانتقاصه (٣٦) . هذه هى الحاجات الأساسية أو الضرورية التى لا تستقيم مصالح الإنسان فى الدنيا والأخرة إلا بإشباعها .

أما مستويات الإشباع فيمكن تقسيمها كما يلى :-

المستوى الأول :

هو حفظها من العدم ، فلو عدم الدين عدم ترتب الجزاء المرتجى (وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار) ، ولو عدمت النفس ، عدم من يتدين . ولو عدم العقل ، إرتفع التدين (لأن العقل من شروط التكليف) ، ولو عدم المال لعدم العيش ، ولو عدم النسل لم يكن هناك بقاء .

المستوى الثانى :

ويتمثل فى حفظ استمرار إشباع الحاجات الضرورية دون حرج أو مشقة ؛ بحيث يؤدي إلى انتظام المصالح على وجه حسن . ولهذا قد تتفرع من الحاجات الضرورية الخمس حاجات أخرى مكملة لها ، فتحسن من مستوى الإشباع .

المستوى الثالث :

ويتمثل فى حفظ استمرار إشباع الحاجات الضرورية بأحسن صورة ممكنة ، أى فى أعلى المستويات . وغالبا مايحتاج الإنسان إلى أنواع أخرى من الحاجات متفرعة من الحاجات الضرورية الخمسة ، ومتممة لها ، وهذا المستوى يقابل المصالح

التحسينية التى تقع موقع التحسين والتيسير للمزايا ، ورعاية أحسن المناهج فى العادات والمعاملات .

هذا والآيات من ٣٥ إلى ٤٠ من سورة إبراهيم ، تشير إلى أهم الحاجات التى طلب سيدنا إبراهيم من الله عز وجل إشباعه له ولأهله ، وهى لا تخرج عن الحاجات السابقة الذكر ، فالحفاظ على الدين يتمثل فى طلب سيدنا إبراهيم العصمة من الشرك أى التوحيد وذلك فى قوله تعالى : ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ . وطلبه أن يوفقه الله للأعمال الصالحة أهمها الصلاة فى قوله تعالى : ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ . وكذلك فى طلبه أن تتقبل عبادته وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ والحفاظ على النفس يتمثل فى طلبه الأمن ، كما جاء فى قوله تعالى ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾. حيث ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هنا جعل أهلها آمنين . والحفاظ على المال يتمثل فى طلبه الرزق فى قوله تعالى : ﴿ وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾. أما الحفاظ على النسل فيتضح فى دعائه لبنيه وذريته .

ويذكر الرازى فى تفسيره لقوله تعالى : " وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " أنه يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لأداء العبادات وإقامة الطاعات، فإن إبراهيم عليه السلام بين أنه إنما طلب تيسير المنافع على أولاده لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداء الواجبات (٣٧) . ومن هنا يتضح السبب من تقديم الحاجة إلى صيانة الإنسان من الشرك عن الحاجة إلى الطعام ، حيث إشباع الحاجة إلى الطعام وغيرها من الضروريات المعيشية ، هى وسيلة لتحقيق الهدف الذى من أجله خلق الإنسان ، وهو عبادة الله . كما أن التوحيد وعدم الشرك هو الأساس الذى تقوم عليه سائر العبادات والطاعات والأعمال الصالحة المقبولة ، فلن ينفع الإنسان أن يبقى على حياته بتوفر وسائل العيش ، إذا لم يكن موحدا بالله ، لأن ذلك سيجعل نهايته النار فى الحياة الأخرى . فالله يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به . وبهذا نرى أن هذا الترتيب للحاجات يدعم مفهوم الحاجة ، كما سبق ذكره من المنظور الإسلامى .

يتضح من كل ما سبق، أن المنظور الغربى يغفل تماما البعد المتعلق بصلة الإنسان بخالقه والإيمان باليوم الآخر فى تفسيره للمشكلات الفرديه وتناوله للحاجات الإنسانية.

كما أنه من هذا المنظور يتصور أن بيئة الإنسان - مهما بلغت من كفاية - لن يمكنها إشباع كافة حاجاته ورغباته بصورة تشعره بالرضى والسعادة ، نظرا لتنوع هذه الحاجات وتغيرها وتجددها بين لحظة وأخرى (٣٨) . ولا شك أن هذا الرأى - من المنظور الإسلامى على الأقل - قد جانب الصواب ، فتصور الرضى والسعادة بأنها لاتتحقق إلا إذا أشبعت حاجات الإنسان المادية والاجتماعية ، تصور غير صحيح ، وهو

التصور الدنيوى البحت الذى يأخذ به من لا يؤمن بالآخرة وبالثواب والعقاب ، أما من يؤمن بها فإنه يرى فى عدم إشباع حاجاته - لأى سبب كان - ابتلاء إذا صبر عليه سيلقى خيرا فى الدنيا والأخرة ، فإن الله عز وجل - إن أراد - يهد قلب المؤمن لليقين فديطمئن ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر . فكان خيرا له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (٣٩) فالمؤمن يصبر على الضراء وقلبه يملأه الرضى واليقين بثواب الله له فى الأخرة .

هذا وعلى الرغم من إشارة بعضهم إلى أهمية القيم ووجوب أخذها فى الأعتبار عند تحليل الحاجات ، مثل مورای الذى أكد على أن الحاجات تعمل فى خدمة القيم ، وماسلو الذى دلل على ذلك ؛ إلا أن الأهداف فى النهاية هى أهداف دنيوية فقط مهما كانت محملة بالقيم ، فالحياة الأخرى لم تدخل فى اعتبارهم أصلا وكأن حياة الإنسان فى هذه الدنيا هى نهاية المطاف وأنه خلق عبثا .

كما أن قول ماسلو بأن الإنسان الذى عاش حياته فى حرمان مستمر ولم تشبع لديه الحاجة إلى الطعام ، لن تنشط لديه الحاجات العليا وبالتالى تحقيق الذات ، قول لا يتفق مع المنظور الإسلامى ، فالمعروف عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا يجوعون كثيرا . (نتيجة نقص الموارد) . كما ورد فى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : " ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من خبز بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض " (٤٠) .

ويشير محمد عودة ، وكمال ابراهيم - إلى هذه الفئة من المسلمين الأوائل أنهم كانوا يجدون تحقيق ذواتهم فى الالتزام بما فرضه الله من عبادات ومعاملات ، ويجدونها فى التوبة والاستغفار بالليل والنهار ، ويجدونها فى الحمد والشكر فى السراء، والصبر والاحتساب فى الضراء . فتحقيق الذات عند المؤمن يكون فى بقاء نفسه على مستوى حسن من الإحساس الدائم بالله ، والمصاحبة المستمرة له ، والشعور بالمسئولية الكبيرة والواجب العظيم والأمانة السامية التى يحملها الإنسان فى الحياة (٤١) .

إذا فتحقيق الذات عند المؤمن هو تحقيق العبودية لله عز وجل . وبذلك يظهر الفرق بين المنظور الغربى والمنظور الإسلامى لمضمون تحقيق الذات . وبينما يضع ماسلو الحاجة إلى تحقيق الذات فى أعلى درجة للحاجات الإنسانية ، يضع المنظور الإسلامى الحاجة إلى حفظ الدين - الذى يتمثل فيه تحقيق ذات المؤمن أو العبودية لله - فى أول درجات سلم الحاجات .

كما اتضح أن إشباع الحاجة إلى حفظ الدين تعتبر الهدف من إشباع الحاجات المادية الأخرى التى تحافظ على بقاء الإنسان ؛ لذلك يمكن اعتبارها وظائف غائية (Consummatory Functions) واعتبار إشباع الحاجات المادية الأخرى وظائف وسيلية (Instrumental Functions) وذلك على غرار التصنيف الذى وضعه بارسونز(Parsons) لوظائف النظم الاجتماعية التى تعمل على بقائها واستمرارها[٤٢] .

فإذا تصورنا الإنسان كنسق له وظائف غائيه وأخرى وسيلية ، تنشأ المشكلات المختلفة بأختلاف نوعية الخلل ودرجته . فإذا كان هناك خلل فى الوظائف الغائية ، أى فى إشباع الحاجة إلى حفظ الدين ، إما بفساد فى التصور (أى فى الاعتقاد) أو بفساد الأعمال (السلوك المنحرف عن الشريعة) أو بكليهما ، وذلك مع صحة وسلامة الوظائف الوسيلية المتمثلة فبإشباع الحاجات المتصلة بالبقاء . سينتج هناك مشكلات ، قد تكون واضحة وملموسة ، وذلك فى حالة كون الفساد فى الأعمال ؛ أو غير ملموسة ، أو غير مدركة فى حالة كون الفساد فى الاعتقاد . وهنا يظهر مرة أخرى الفرق بين النظرة الإسلامية للمشكلات والنظريات الغربية التى لاتعتبر هناك مشكلة فى مثل هذه الحالة حيث الحاجات المادية المشبعة بطريقة سليمة لم تدفع الإنسان إلى الخروج عن السواء أو تعدى القوانين المجتمعية ، أما سلامة الإعتقاد وصحة تصور الإنسان للخالق وعلاقته به ، لاتدخل أصلا ضمن الوظائف الغائية للنسق الإنسانى من المنظور الغربى . لذلك لايرونها مشكلة ، فسلامة الإعتقاد أو فساده ، لا تهم مادام الإنسان قادرا على التوافق مع بيئته الاجتماعية . أما المنظور الإسلامى فيراها مشكلة عظيمة ، وذلك لأنه يأخذ فى اعتباره الحياة الأخرى ، فإذا فسدت عقيدة الإنسان بالكفر بالله أو الشرك به فإن عاقبته النار . فمهما تمتع فى حياته الدنيا فإنها فانية والحياة الأخرى هى الباقية. يقول عز من قائل :

﴿ لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جنهم وبئس المهاد ﴾ (آل عمران : ١٩٦، ١٩٧) وفى آية أخرى يتضح بجلاء أهمية صحة الإعتقاد وسلامة الوظائف الغائية ، حيث تعقد مقارنة بين مجموعة من الناس وظائفهم الغائية سليمة بجانبيها (اعتقاد – وسلوك) وبين مجموعة أخرى وظائفهم الوسيلية سليمة ولديهم خلل فى وظائفهم الغائية خاصة الجانب الإعتقادى .

قال تعالي :

﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ (محمد :١٢) .

فالإيمان والعمل الصالح يمثلان الوظائف الغائية السليمة لدى المجموعة الأولى ، والكفر يمثل فساد الوظائف الغائية لدى المجموعة الثانية كما يمثل تمتعهم بالمأكل والمشرب فى الحياة الدنيا بسلامة الوظائف الوسيلية .

أما إذا كان الخلل فى الوظائف الوسيلية ، أى يكون هناك نقص فى إشباع الحاجات المادية والنفسية الضرورية ، مع سلامة الوظائف الغائية بجانبيها ، فلا شك أن الإنسان سيكون معرضا لمشكلات ، مثل : الفقر ، الشعور بالظلم الاجتماعى ، قد يتعرض للمرض ، الجهل ، وهو قد يستطيع أن يتغلب على هذه المشكلات بفضل الله عن طريق قوة الوظائف الغائية أى قوة الإيمان بالله والتوكل عليه وطاعته وعدم الوقوع فى المعاصى . ومن الأمثله على ذلك ماجاء فى قصص الأنبياء عن ابتلاء الله تعالى لهم ، وكيف صبروا على ذلك وتوجهوا لله عز وجل يدعونه رغبة ورهبة وكانوا له خاشعين ،

فأستجاب لهم ربهم ونجاهم ، وأعطى لكل طلبه فى الدنيا قبل الآخرة .. (الأنبياء : ٨٣ - ٩٠) كما يقول تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ (الأنبياء ٣٥) ، ﴿ ولنبلونكم حتي نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ (محمد : ٣١) .

وتظهر من هذه الآيات أهمية مجاهدة النفس والصبر حتى ينال الإنسان رضى الله فيستطيع بفضله أن يتغلب على مشكلاته . ويتفاوت الناس فى مدى استطاعتهم التغلب على مشكلاتهم نظرا لتفاوتهم فى المقدرة على جهاد النفس والصبر المتوقفة على قوة إيمانهم بالله وتوكلهم عليه والتزامهم بطاعته أى على مستوى إشباعهم الحاجة لحفظ الدين (الوظائف الغائية) ، فقد يكون الفساد تاما فلا يشكل لدى صاحبه مشكلة لأنه لا يشعر بإزعاج بل يتمتع بحياته الدنيوية ، أو ربما لا يكون الفساد تاما بحيث يشكل لديه نوعا من القلق والشك وعدم الإطمئنان بما وجد عليه نفسه من كفر أو شرك . وتؤكد النتائج التى جاءت بها الدراسة التى قام بها سوليفان على أشخاص مسلمين يمرون بأزمات ويشعرون بتوتر نتيجة عدم استطاعتهم تحمل أعبائهم ، أن السبب فى ذلك يرجع إلى العديد من العوامل التى أهمها تفسيرهم الخاطىء لأحداث الحياة وللودائع التى يمنحها الله لهم (الثروة ، القوة ، العقل) باعتقادهم أنها إنجازات بشرية . كما أنهم يوجهون اعتمادهم وخضوعهم إلى الوجهة الخاطئة (الشرك) . وتقرر الدراسة أيضا أن الشخص الذى يعانى من الاضطراب العصبى أو الاختلال العقلى هو شخص إما أنه قد أنكر الإيمان بالله ، أو أن توجهه لعبادة الله والإيمان به تتخلله تناقضات ، ومعتقدات خاطئة [٤٣] .

وبهذا نرى أنه لكى نحدد أبعاد المشكلة الفردية ونتوصل إلى مسبباتها ، لابد من التعرف على مدى قوة إيمان الفرد بالله عز وجل وصحة اعتقاداته وتوجهاته ، والقلب

كما جاء فى الكتابات الإسلامية هو محل معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به . لذا فمن خلال دراسة أحوال القلوب نستطيع أن نكون خلفية معرفية تمكنا من تقدير موقف الفرد من حيث معرفته بالله واستعانته به .

فما هي أحوال القلوب ؟

لقد أوجزها الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى صح عن حذيفة رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج مزهر ، فذلك قلب المؤمن . وقلب أغلف فذلك قلب الكافر . وقلب منكوس ، فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمى . وقلب تمده مدتان : مدة إيمان ، ومدة نفاق ، فهو لما غلب عليه منهما " (٤٤) وفيما يلى شرح لهذا الحديث :

أولا : حالة قلب المؤمن :

هو قلب أجرد أى متجرد عما سوى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلوات الله عليه ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق ، وفيه سراج يزهو وهو مصباح الإيمان (٤٥) .

والإيمان هو اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان . وعن الشافعى أنه قال : الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص . يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٤٦) . ولقد حدد ابن تيمية أصول الإيمان وقواعد الدين فى :

محبة الله ورسوله ، والتوكل على الله ، وإخلاص الدين لله ، والصبر على حكمه ، والشكر له ، والخوف منه والرجاء له ، ومايتبع ذلك . وقسم الناس بالنسبة إلى قيامهم بهذه الأعمال على ثلاث درجات هى :-

١ - ظالم لنفسه : العاصى بترك مأمور أوفعل محظور .

٢ - المقتصد : المؤدى الواجبات والتارك المحرمات .

٣ - السابق بالخيرات : المتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب والتارك للمحرم والمكروه (٤٧) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار. " ويذكر ابن حجر فى شرح هذا الحديث عن الشيخ محى الدين أنه قال : معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات ، وتحمل المشاق فى الدين ، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا ، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك الرسول . كما قال البيضاوى : المراد بالحب هنا الحب العقلى الذى هو إيثار مايقتضى العقل السليم

رجحانه ، وإن كان على خلاف هوى النفس ؛ كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله . فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل ، والعقل يقتضي رجحان ذلك ، تمرن على الإئتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ، ويلتذ بذلك التلذذ عقليا ، إذ الالتذاذ العقلى إدراك ماهو كمال وخير من حيث هو كذلك (٤٨) .

ويقول الغزالى ان المحبة هى علامة المعرفة ، فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لايؤثر عليه الدنيا ولاغيرها . من المحبوبات (٤٩) كما يقول ابن تيمية أنه كلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية (طاعة وتقوى) ، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه (٥٠) .

هذا ويذكر الرازى ماقاله الواحدى فى تفسير قوله تعالى :

﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ إن كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان أزيد إيمانا ، لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين . (٥١) ولقد جاء في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم مايفيد أنه أعلم الناس بالله عز وجل وأتقاهم . (٥٢) وبهذا يتضح أن هناك علاقة طردية بين معرفة الإنسان لله عز وجل وبين إيمانه وتقواه .

كما يمكننا أن نحدد مدى قوة أو ضعف إيمان الفرد بدقة أكبر إذا ما استطعنا الاستفادة من مفهوم شعب الإيمان . حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة . فأفضلها قول لا إله إلا الله . وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان . (٥٣)

يقول ابن حجر أن معنى الشعبة القطعة ، ولكن المراد هنا الخصلة . ولقد قسم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شعب الإيمان إلى :

- فرائض أى أعمالا مفروضة - شرائع أى عقائد دينية - حدود أى منهيات ممنوعة - سنن أي مندوبات .

كما قسمها القاضى عياض إلى :

- أعمال القلب الذى فيه المعتقدات والنيات ، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة - أعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال - أعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة (٥٤).

ولقد ذكر جميع الخصال بالتفصيل .

فإذا أمكن الاستفادة من هذه التقسيمات بالإضافة إلى تقسيم ابن تيمية للناس - سابق الذكر - فى تصميم آداة أو أكثر لقياس مدى التزام العميل المسلم بشعب

الإيمان وتحديد مواطن الضعف والقوة لديه ، وتحديدماينقصه من معرفة بالله أو ماهو غافل عنه . فإن ذلك دون شك سيساعد على التشخيص السليم لما يعانيه من مشكلات أو أزمات .

والجدير بالذكر أن هناك من قام بالفعل بتصميم مقياس لمستوى التدين يمكن الاستفادة منه وتطويعه ليناسب عمل الأخصائي الاجتماع (٥٥) .

ثانيا : – حالة قلب الكافر :

وهو قلب أغلف لأنه داخل في غلافه وغشائه ، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان (٥٦). وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ، ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾ . (البقرة: ٦، ٧) الختم هو الطبع ، قال ابن جرير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها مخلص (٥٧) .

هذا كما جاء في العديد من آيات القرآن الكريم أوصاف لقلوب الكفار حددها القرطبي في تفسيره بعشرة أوصاف هي : الختم ، والطبع ، والضيق ، والمرض ، والرين ، والموت ، والقساوة ، والإنصراف ، والحمية ، والإنكار . (٥٨)

والكفر كما سبق الإشارة يمثل فساد الوظائف الغائية لدى الإنسان لذلك فهو أعظم المشكلات ولا سبيل لحلها سوى التحول من حالة الكفر إلى حالة الإيمان بتوفيق من الله عز وجل .

ثالثاً : حالة قلب المنافق :

وهو القلب المنكوس أي المكبوب ، وهذا أشر القلوب وأخبثها فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه ، والحق باطلاً يمادي أهله (٥٩) .

قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول أمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين . يخادعون الله والذين أمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** ﴾ . (البقرة : ٨– ١٠).

ولقد أجمع المفسرون أن هذه الآيات جاءت في وصف المنافقين والمنافق هو من يقول بلسانه أنه مؤمن وضميره يخالف ذلك (٦٠) وتأويل المرض الذي وصف الله أنه في قلوب المنافقين هو الشك في اعتقادات قلوبهم وأديانهم وماهم عليه في أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته وما جاء به (٦١) .

ولقد وُصف قلب الكافر والمنافق بالموت لأنه لا يعرف ربه ، ولا يعبده بأمره ، وبما يحب الله ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته وإرادته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه،

لعدم مبالاته إذا فاز بشهواته رضى ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله ، فهو إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وكذلك منعه وإعطاؤه. وهو على عكس قلب المؤمن الذى سلم من كل ذلك وأخلص عبادته وعمله لله (٦٢) .

رابعاً : قلب له مدتان :

وهو القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ، ولم يزهر فيه سراج ليدفع شبهات الباطل ، وشهوات الغى ، بل فيه مدة من الإيمان وهو كونه يشهد لله بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، وأنه من أمته التابعين لظاهر شريعته ؛ وفيه مدة من خلافه ، وهى ظلمات الجهل ، وغيم الشبهات ، وهوى الشهوات الذى أطفأ مصباح بصيرته (٦٣) . ومدة النفاق المذكورة فى الحديث يقصد بها نفاق العمل ؛ فكما ذكر ابن كثير أن النفاق أنواع :" اعتقادى" وهو الذى يخلد صاحبه فى النار وعملى وهو أكبر الذنوب . (٦٤) وكما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان " . فهذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم ، والتحذير له من أن يعتاد هذه الخصال ، فتقضى به إلى النفاق ، لا إن من بدرت منه هذه الخصال أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق ويدل عليه التعبير بإذا ، فإنها تدل على تكرار الفعل (٦٥) .

ولقد وصف هذا النوع من القلوب بالمرض لأنه قلب له حياة وبه علة ، فله مدتان يمد بهذه مرة وبهذه أخرى فهو ممتحن داعيين ، داع يدعوه إلى الله ورسوله والدار الآخرة ، وداع يدعوه إلى العاجلة . فما يلقيه الشيطان فى الأسماع والأذهان من الألفاظ ، وفى القلوب من الشبه والشكوك والظنون والتخيلات الباطلة ، فتنة للقلب الميت والقلب المريض ، وقوة للقلب الحى السليم ، لأنه يرد ذلك ويكرهه ويبغضه ، ويعلم أن الحق فى خلافه ، فيخبت للحق قلبه ويطمئن وينقاد ، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان من سؤ الاعتقاد ، فيزداد إيمانا بالحق ومحبة له ؛ وكفراً بالباطل وكراهة له (٦٦) .

وهكذا يظهر دور الشيطان فى إبقاء القلب الميت على حالته ، وإبقاء المريض على مرضه أو زيادته سوءاً ، فتزداد المشكلات حدة وإزماناً .

هذا ولعل دور الشيطان كأحد العناصر المسببه للمشكلات من أبرز الفروق بين التفسير الإسلامى والتفسير الغربى . ونحن نجد الشخص المسلم العادى يضعه فى اعتباره دائماً ويرجع حدوث العديد من المشكلات إليه . لذلك فإنه من المفيد الإشارة بإيجاز شديد الى دور الشيطان فى حدوث المشكلات وتعقيدها :-

أولا : موقع الشيطان من الإنسان :

قال الله تعالى : **﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾** . (يوسف : ٥) وفى آية أخرى يوضح الله عز وجل الموقع الذى يجب أن يتخذه الإنسان من الشيطان : **﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ﴾** (فاطر : ٦) . كما جاء فى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم : " أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم "[٦٧] وفى حديث آخر : " كل بنى آدم يطعن الشيطان من جنبيه بأصبعبه حين يولد " ...."[٦٨] .

ثانياً : يتحدد دور الشيطان في أهم الأعمال التالية :

١ – التزيين والاغواء والاستهواء [٦٩] .

٢ – الوعد ، والتسويل ، والتخويف [٧٠] .

٣ – النزاع بين الناس وإيقاع العداوة بينهم والحزن [٧١] .

٤ – مس الإنسان بالنصب والعذاب [٧٢].

٥ – إيقاع النسيان لذكر الله بالإنسان [٧٣].

٦ – تعليم الناس السحر [٧٤].

ويقول عز وجل : **﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴾** (النساء: ٨٣) كما يقول تعالى : **﴿ إنه ليس له سلطان علي الذين آمنوا وعلي ربهم يتوكلون ﴾** (النحل : ٩٩) . فالله بفضله يمن على المؤمنين المتوكلين عليه بدفع الشيطان عنهم . إلا أن هذا لايدل على أنه لا يتعرض لهم أبداً ، بدليل قوله تعالى :**﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾** (الأعراف : ٢٠١) . فطائف من الشيطان هنا مس المتقين ، إلا أن الله بفضله جعلهم يتذكرونه فيبصرون ، ويذهب ذلك الطائف . ولقد تفضل الله عليهم بذلك لأنهم متقون . فلا بد للإنسان المؤمن المتوكل على الله أن يحافظ على هذه النعمة ويتقى الله حتى ينال فضل الله فى دفع الشيطان عنه ، ويغلق هذا الباب من أبواب دخول المشكلات .

ولقد فصل الغزالي مداخل الشيطان إلى القلب ، بطريقة توضح كيفية قيام الشيطان بدوره مع الإنسان بشكل يفيد فى تفسير المشكلات الفردية . فلقد مثل القلب بالحصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن عن طريق أبوابه ومداخله . التى تتمثل فى صفات العبد وهى كثيرة ، نشير إلى أهمها :-

الغضب ، والشهوة ، والحسد والحرص ، والشبع من الطعام ، وحب التزين من الاثاث والثياب والدار ، والطمع فى الناس ، والعجلة وترك التثبت من الأمور ، وحب الأموال من العروض والعقار وغيره ، والبخل وخوف الفقر [٧٥] .

فالشيطان يدخل إلى قلب الإنسان من خلال صفاته هذه الذى طبع عليها ويستخدم أساليبه فى التزيين والاستهواء ، والتخويف والتسويل ، حتى يوقع الإنسان فى معصية الله عز وجل فيتجاوز حدود الله ويأخذ الشئ من حيث حذره الله عليه . وبذلك تحدث المشكلات .

ولكن الشيطان ليس هو العدو الوحيد للإنسان ، فهناك النفس المذمومة فإنها تأمر بكل سوء ، هذا من طبيعتها ، فما تخلص أحد من شرها إلا بتوفيق الله . قال تعالى على لسان نبيه يوسف : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ (يوسف : ٥٣) وفى حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ بالله من شرور الأنفس ومن سيئات الأعمال . فالشر كامن فى النفس ، وهو يوجب سيئات الأعمال ، فإذا خلىّ الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه الله وأعانه نجا من ذلك كله . والنفس الأمارة بالسوء هذه ، جعل الشيطان قرينها ، فهو يعدها ، ويمنيها ، ويقذف فيها بالباطل ، ويأمرها بالسوء ويزينه لها[٧٦] .

ننتهى مما سبق إلى أن المشكلات الفردية غالباً ماترجع إلى أحد أو بعض العوامل التالية :-

١ - الفساد التام فى الاعتقاد الذى أساسه عدم التوحيد بالله سبحانه ، وعدم الإيمان باليوم الآخر . (موت القلب).

٢ - أنواع من الفساد فى الاعتقاد وفى الإرادة (مرض القلب : مرض شبهه ، ومرض شهوة) .

٣ - النفس الأمارة بالسوء .

٤ - الشيطان .

وهذا لايعنى أن الإنسان المؤمن التقى لاتعرض له المشكلات ، فكما سبق الذكر أن النسق الإنسانى إذا كان سليماً تماماً فى وظائفه الغائية ، وأصابه خلل فى وظائفه الوسيلية ، فلا شك أن هذا الخلل ينتج عنه مشكلات . فالرسول صلوات الله عليه ذو القلب السليم ، الذى تغلب على نفسه ، وتغلب على شيطانه فجعله مسلماً كما ورد فى الحديث الشريف [٧٧]. كان يتعرض للعديد من المشكلات مثل : أذية المشركين له ، ونقص فى الموارد المادية ، والمرض ؛ إلا أنه بفضل الله عليه كان يواجهها بقوة وثبات . وإذا كان هذا حال الرسول صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه الله على العالمين ، فإن حال الصحابه والصالحين كان قريباً من حال الرسول صلى الله عليه وسلم بدرجة أو بأخرى . ولعل الموقف الذى تعرض له الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر عندما كانا مختبئين فى غار ثور هرباً من المشركين ، وشعور أبو بكر بالجزع ، فطمأنه

الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما " (٧٨). ولقد قال تعالى فى ذلك ﴿ إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا﴾ (التوبه : ٤٠) . يوضح هذا الموقف قوة وسكينة الرسول صلى الله عليه وسلم أمام جزع وحزن أبى بكر ، فالاستجابة للموقف وللمشكلة الواحدة اختلفت لاختلاف ثبات قلب كل منهما .

والنظر إلى المشكلات الفردية من المنظور الإسلامى لابد أن يعتمد على قاعدتين أساسيتين هما :-

١ – أن الله تعالى هو مالك الضر والنفع ، وأنه المتصرف فى خلقه بما يشاء لامعقب لحكمه ولا راد لقضائه . يقول عز وجل ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ (الأنعام : ١٧ ، ١٨) .

٢ – قول الله عز وجل : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ . (النساء : ٧٩) يقول الطبرى فى شرح هذه الآية : مايصيبك يامحمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك ، وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك يعنى بذنب استوجبتها بما اكتسبته نفسك (٧٩) أى بذنبك وأنا الذى قدرتها عليك (٨٠) وعن قتادة : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك عقوبة ياابن آدم بذنبك . وذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول : لايصيب رجلاً خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر (٨١) .

وأخيراً يجب ألا يُظن أن المنظور الإسلامى فى تفسيره للمشكلات الفردية لا يأخذ فى اعتباره البيئة الاجتماعية التى ينشأ فيها الفرد ، فلا شك أن للعوامل البيئية والتى أهمها التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعى ، دوراً بالغ الخطورة ، والقول بأن الفرد هو نتاج بيئته قول صحيح إلى حد كبير من وجهة النظر الإسلامية . فلقد جاء فى الحديث الشريف : " مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء ، حتى تكونوا أنتم تجدعونها " (٨٢) فقلب الإنسان عند ولادته قلب سليم مهيأ لتوحيد الله عز وجل فإذا مانشأ فى بيئة تحافظ على الفطرة السليمة وتنميها بتعليمه العلم النافع وتربيته على الأخلاق الحميدة والعادات الحسنة التى منها تعوده على التحكم فى شهواته ورغباته لكى يتغلب على نفسه اللوامة ويكسب معركته مع الشيطان ، فإنه يمكن أن يكون بذلك عبداً صالحاً ، يقوم بما كلفه الله ، ويلجأ إلى الله عند تعرضه للمشكلات مع أخذه بالأسباب . أما إذا نشأ فى بيئة لم تحافظ على صفاء قلبه وسلامته ، وانحرفت به فى أى اتجاه آخر غير الإسلام لله وتوحيده ، فإن قلبه سيمرض أو يموت غالباً ، وعندما يتعرض للمشكلات سوف يلجأ لغير الله . وقد يشاء الله غير ذلك، فيهدى قلبه للإيمان ، والله يفعل مايشاء.

المـــراجع

١ – احمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، ط ٧ . القاهرة : دار الكتاب العربى . ١٩٦٨ م ، ص ٢٨٩ .

٢ – أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٧م ، ص ٣٢٧ .

3 - Allen Pincus and Anne Minahan , Social Work Practice : Model & Method, 12th, Printing Itasa , Illinois: F . E . Peacock Publishers, Inc., 1980, p . 13.

4 - Hellen Northen, " Assessment in Direct Practice " Encyclopedia of Social Work, 18th ed. Maryland : National Association of Social Workers , 1987, Vol. 1, p. 172.

5 - James W. Cogeman and Donald R. Cressey, Social Problems, 3rd Ed. New York : Harper & Row Pubishers, Inc ., 1987, p. 337.

6 - Max Siporin, Introduction to Social Work Practice , New York : Macmillan Publishing Co , Inc ., 1976, p. 143.

7 - Sidney L. Wasserman, " Ego Psychology " Social Work Treatment, Ed . By Francis J. Turner . New York , Macmillan Publishing Co ., Inc. 1974, p. 50.

8 - Shankar A. Yelaja, " Functinal Theory for Social Work Practice " , Social Work Treatment, 3rd Ed., By Francis J. Turner, New York : Macmillan Pubgishing Co., 1986, p.p.55 - 56

9 - Max Siporin, op. cit., p.144.

10 - Harild D. Werner, "Cognitive Theory", Social Work Treatment, 3rd Ed., op. cit., p. 115.

11 - Max Siporin, op. cit., p. 145.

١٢ – عبد العزيز فهمى ابراهيم النوحى ، نظريات خدمة الفرد ، ط ٢ . بدون دار للنشر ، ١٩٨٣ م ،ص ص ٥٩ – ٦١

13 - Max Siporin, op. cit., p. p. 139 - 141 .

14 - Carel B. Germain, " Introduction : Ecology and Social Work" , Social Work Practice : People and Environments, Ed. By Carel B. Germain, New York : Columbia University Press, 1979. p. 18 .

15 - Francis J. Turner, " Psychosocial Theory" , Social Work Treatment, 3rd ,Ed. , op. cit., p. 486 .

16 - Francis J. Turner, " A Multitheory Perspective for Practice", Social Work Treatment, 3rd ,Ed. op. cit., p. p. 646 - 647 .

17 - Hellen Northen, op. cit., p. 173 .

١٨ - ك . هول ، ج . لندزى ، نظريات الشخصية ، ترجمة : فرج أحمد فرج وقدرى محمود حنفى ولطفى محمد فطيم . بدون دار للنشر ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٣١ ، ص ٣٠١ .

19 - Micheal Mann, Macmillan Student Encyclopedia of Sociology London : Macmillan Press, 1983 , p. 259 .

20 - Katrin Lederer, " Introduction " , Human Needs, Ed. By Katrin Lederer. Cambridge, Massachusetts : Oelgeschlager, Gunn & Hain, Publishers, Inc., 1980, p. 3 .

21 - Micheal Mann. op. cit., p. 258 .

٢٢ ، ٢٣ - ك . هول ، ج . لندزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٣١ - ٢٣٧ ، ص ٢٤٦ ، ٢٩٨ .

24 - Ross Fitzgerald, " Abraham Maslow's Hierarchy of Needs An Expositition and Evaluation", Human Needs and Politics. Ed. By Ross Fitzgerald , New York : Pergamon Press, 1977 , p. 51 .

25 - Nicholas S. Dicaprio, Personality Theories , Philadelphia : W. B. Saunders Company, 1974, p. p. 236 - 244.

26 & 27 - Pross Fitzgerald, op., cit., p. p. 37 - 38 , p. p. 39 - 44 .

28 - Duane Schultz, Theories of Personality, Socond Ed. Monterey, California : Brooks/ Cole Publishing Company , 1981 , p. 253 .

٢٩ – محمد عمارة ، " منهج فى التعامل مع المصطلحات " ، الجزائر : ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي ، ١٩٨٩ م ، ص ٩ .

٣٠ – أبو اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد الشاطبى ، الموافقات في أصول الشريعة ، ٣ ج . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، بدون سنة النشر ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

٣١ – أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى ، تفسير إبن كثير ، ٤ ج ، ط ١ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٠ ﻫ – ١٩٨٠ م ، ج ٣، ص ٥٥٢.

٣٢ – محمد الرازى فخر الدين أبن ضياء الدين عمر ، تفسير الفخر الرازى ، ١٦ م ، ط ٣ . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥ﻫ –١٩٨٥م ، م١٣ ،ج ٢٦ ، ص ١٣ .

٣٣ – محمد الطاهر بن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٨م ص ص ٧٨ –٨٠ .

٣٤ – محمد الطاهر بن عاشور ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

٣٥ – أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبى ، مرجع سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١٧ .

٣٦ – محمد الطاهر بن عاشور ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨١.

٣٧ – محمد الرازى فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، م ١٠ ، ج ١٩ ، ص ١٤٠ .

٣٨ – عبد الفتاح عثمان ، خدمة الفرد والمجتمع المعاصر ، ط ٦ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧م ، ص ١٦ .

٣٩ – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، صحيح مسلم ، ٤م ، ط ٢ . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ ﻫ – ١٩٧٨م ، م ٤ ، كتاب الزهد ، باب ١٣ .

٤٠ – أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، المرجع السابق ، م ٤ كتاب الزهد .

٤١ – محمد عودة محمد ، كمال ابراهيم مرسى ، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والاسلام ، ط ٢ . الكويت : دار القلم ، ١٤٠٦ﻫ – ١٩٨٦م ، ص ١٠٨ .

42 - Fred M. Cox, "Introduction", Strategies of Community Organization, Ed. By Fred M. Cox, and others, Itasca, ILLnois: F. E. Peacock Publishers, Inc., 1987, p. 192 .

٤٣ – جون أ ، سوليفان ، " وجهة النظر الإسلامية بالنسبة للأشخاص المعرضين للأزمة " ، المسلم المعاصر ، العدد ٢١ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ص ص ١٢٨ – ١٣٠ .

٤٤ ، ٤٥ – محمد السفاريني الحنبلي ، شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، ٢ ج ، ط٢. بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٣٩١هـ ، ج ١ ، ص ٥٤٦ .

٤٧ أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٦ ج ، ط ١ ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد . الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨١هـ ، ج ١٠ ، ص ص ٦ – ٧ .

٤٦ – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٣م . بيروت : دار المعرفة ، ١٣٧٩ه م ١ ، ص ص ٤٦ – ٤٧.

٤٧ – أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ٣٦ ج ، ط ١ ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد . الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨١هـ ، ج١٠ ، ص ص ٦ – ٧ .

٤٨ – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ص ٦٠ – ٦١.

٤٩ – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٤ ج . دمشق : مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ٥٤ .

٥٠ – أحمد بن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، م ١٠ ، ص ١٩٣ .

٥١ – محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، م ٨ ، ص ١٢٢ .

٥٢ – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٧٠ .

٥٣ – أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، كتاب الإيمان .

٥٤ – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٤٧ ، ص ٥٢ .

٥٥ – صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الصنيع ، " العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامي " ، رسالة دكتوراة ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم النفس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٩ه – ١٩٨٩م .

٥٦ – محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤٦ .

٥٧ – أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ٣٠ ج ، بيروت : دار المعرفة ، ط ١ ، ١٤٠٩ه ، م ١ ص ٨٧ .

٥٨ – أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠ ، ج ط ٢ . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥ه . ١٩٨٥م ، ج ١ ، ص ١٨٦ .

٥٩ – محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤٧ .

٦٠ - محمد الرازى فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ، ص ٦٤ .

٦١ - أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، م ١ ص ٩٤ ،

٦٢ - محمد السفارينى الحنبلى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

٦٣ - محمد السفارينى الحنبلى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٤٧ .

٦٤ - أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٤٨ .

٦٥ - أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ، **شرح السنة** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش ، ٦ ج . بيروت : المكتب الاسلامى ، ١٩٧١م ، ج ١ ، ص ٧٦ .

٦٦ - محمد السفارينى الحنبلى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٤٤ -٥٤٥.

٦٧ - أحمد بن على بن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ١٣ ، كتاب الأحكام ، ص ١٥٩.

٦٨ - أحمد بن على بن حجر ، مرجع سبق ذكره ، م ٦ ، كتاب بدء الخلق ، ص ٣٢٧.

٦٩ - القرآن الكريم : (الحجر : ٣٩) ، (النساء : ٦٠) ، (الأنفال : ٤٨) .

٧٠ - القرآن الكريم : (النساء : ١٢٠) ، (البقرة : ٢٦٨) ، (محمد: ٢٥) ، (آل عمران : ١٧٥)

٧١ - القرآن الكريم : (الاسراء : ٥٣) ، (يوسف : ١٠٠) ، (المائدة : ٩١) ، (المجادلة : ١٠)

٧٢ - القرآن الكريم : (ص : ٤١) ، (الأعراف : ٢٠١) .

٧٣ - القرآن الكريم : (يوسف: ٤٢) ، (المجادلة : ١٩) .

٧٤ - القرآن الكريم : (البقرة : ١٠٢) .

٧٥ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، ج ٣ ، ص ص ٢٧ - ٣١ .

٧٦ - ابن رجب الحنبلى ، ابن القيم ، أبو حامد الغزالى ، **تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف** ، تحقيق ماجد بن أبى الليل ، جمع وترتيب أحمد فريد . بيروت : دار القلم ، بدون تاريخ ، ص ص ٧٣ - ٧٤ .

٧٧ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، كتاب المنافقين ، باب ١٦ .

٧٨ - أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، مرجع سبق ذكره ، م ٨ ، كتاب التفسير ، ص ٣٢٥ .

٧٩ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ، ج ٥ ص ١١١ .

٨٠ - أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، مرجع سبق ذكره ، ج ١.

٨١ - أبو جعفر محمد بن جرير بن الطبرى ، مرجع سبق ذكره ، م ٤ ،ج ٥ ، ص ١١١ .

٨٢ - أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، مرجع سبق ذكره ، م ١١ ، ص ٤٩٣ .

العلاج الإسلامى للحالات الفردية

د. محمد سلامة غباري

مقدمة

التربية الإسلامية هى تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا متكاملا من جميع نواحيه المختلفة ، من الناحية الجسمية والعقلية والروحية والأخلاقية فى ضوء المبادئ التى جاء بها الإسلام وفى ضوء وأساليب وطرق التربية التى بينها (١) .

من هذا التعريف للتربية الإسلامية وغيره من التعريفات الأخرى ، نرى أن الإسلام يقدم لنا منهجا تربويا متكاملا تجد فيه الانسانية علاجا شافيا لمشكلاتها ، ينتشلها من طريق البؤس والتيه والشقاء ، وينتقل بها إلى طريق العزة والكرامة والمحبة والهناء ، فهو يهدف إلي تربية النشء على الايمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده ، وهو الذى يربى الانسان على أن يحكم شرعية الله فى جميع أعماله وتصرفاته ، ثم لايجد حرجا فيما حكم الله ورسوله ، بل ينقاد مطيعا لأمر الله ورسوله . قال تعالى : « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

ولما كان الإسلام هو المنهج الربانى المتكامل المواتى لفطرة الإنسان ، والذى أنزله الله لتربية وتنمية الشخصية الانسانية حتى تصبح شخصية متزنة كاملة ، لتصبح خير نموذج على الأرض ، يحقق العدالة الالهية فى المجتمع الإسلامى ، وذلك عن طريق التربية الإسلامية التى تغرس فى الانسان العزة والكرامة ، بل الاستماتة فى سبيلها . مهما أحاطت به الشدائد ، أو أبعدته عنها المغريات (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (٣).

والأخصائى الاجتماعى الذى يسعى لتطبيق العلاج الإسلامى مع عملائه فإنه يهدف إلى تعديل شخصياتهم وتنميتها عن طريق إكسابهم خبرات جديدة من خلال التربية الإسلامية تساعدهم على تعديل سلوكهم وتقويم إنحرافهم ، وانتشالهم من الهوان والضياع بعد أن ضيعتهم فلسفات التربية الغربية التى كان من نتيجتها ما نسمعه من جرائم الأحداث وتعاطيهم المخدرات ومن تدخين جماعى فى معسكرات الأطفال فى بعض دول أوروبا ومقاطعات أمريكا ، ومن جرائم جنسية يندى لها الجبين .

لقد عقدت مقارنات مفيدة بين خصائص التربية الغربية وأهدافها وأساليبها ، وبين ما اتسمت به التربية الإسلامية من خصائص وأساليب وأهداف ، فاتضح أن التربية الإسلامية هى الطريق الوحيد للخلاص من هذا الضياع ، وهى المنقذ للطفولة الضائعة والبشرية المتردية .

والخدمة الاجتماعية عندما خذلتها وسائل العلاج التقليدية بأساليبها المستوردة من المجتمعات الغربية ، بدأت تبحث لنفسها عن أساليب مؤثرة بالعلاج الإسلامى ، الذى يعتمد على التربية الإسلامية ، فهى الوسيلة الوحيدة القادرة على إعادة التوزان إلى المجتمع الذى اضطرب واهتز . ولذلك اتجهت الخدمة الاجتماعية للعلاج الإسلامى لتنمى فكر الانسان ، وتنظم سلوكه وتعدله ، وتحرك فى نفسه الأحاسيس والمشاعر ، وتغرس العواطف الجديرة بأن تدفعه إلى السلوك الذى نظمت الشريعة الإسلامية قواعده وضوابطه ، وعن طريقه تصل إلى تنمية شخصية الانسان من جميع جوانبها فى إنسجام وتكامل .

والخدمة الإجتماعية عندما تطبق العلاج الإسلامى لعلاج المشكلات الاجتماعية ، فأنها بذلك تستبدل العلاج الاجتماعى الغربى الذى لايناسب مجتمعاتنا الإسلامية ، بالعلاج الإسلامى الشرقى النابع من الدين الإسلامى معتمدة فى ذلك على مصدرين هامين هما القرآن والسنة وهما مصدر الدين الإسلامى نفسه .

وحاولت الخدمة الإجتماعية أن تصنف أساليب العلاج الإسلامى إلى مجموعة أساليب علاجية مناسبة لشخصية الانسان بمكوناتها البنائية والوظيفية ، نجملها فيما يلى :

١ – العلاج الإسلامى بتنمية العقيدة الدينية .
٢ – العلاج الإسلامى بتنمية القيم الخلقية .
٣ – العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية .
٤ – العلاج الإسلامى بتنمية العلاقات والقيم الاجتماعية .
٥ – العلاج الإسلامى بالتنمية النفسية .
٦ – العلاج الإسلامى بالتنمية الجسمية .

وفى الصفحات التالية يوضح الباحث بالتفصيل كل نوع من هذه الأنواع بأساليبه الفرعية المختلفة .

العلاج الإسلامى بتنمية العقيدة الدينية

يقصد بتنمية العقيدة التسامى بروح الإنسان إلى الأفق الأعلى من خلال القرآن والتوحيد والفقه والتفسير والسيرة النبوية والثقافة الإسلامية حتى تربى الأجيال على الإسلام ، وعلى تحقيق العبودية لله جل جلاله بكل مافى هذه الغاية من معنى ومدلول ، وبكل ماتؤدى إليه من نتائج فى الحياة ، والعقيدة ، والعقل ، والتفكير .. والعبودية لله هى التلقى من الله وحده فى أمر الدنيا والاخرة .. ثم هى الصلة الدائمة بالله فى هذا كله . وهذه الصلة فى الحقيقة هى المنهج الإسلامى كله ، تتفرغ منه جميع التفريعات وتعود فى النهاية كلها إليه والعبودية لله والصلة الدائمة به تتم عن طريق العبادة .. والعبادة لاتقتصر على اللحظات القصيرة التى تشغلها مناسك التعبد ، وما كان هذا

هو القصد من الآية الكريمة « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٤) ، وإلا فما قيمة لحظات عابرة فى صفحة النفس وفى صفحة الكون ، لاتترك لها أثراً وتضيع فى الفضاء ؟ وإنما قيمتها أن تكون منهجاً حيا ، يشمل كل الحياة قيمتها أن تكون خطة سلوك وخطة عمل وخطةفكر وخطة شعور ، قائمة كلها على منهج واضح ، يتبين فيه - فى كل لحظة - ماينبغى ومالاينبغى أن يكون (٥) .

وفيما يلى أساليب تنمية العقيدة الإسلامى .

العلاج الإسلامى بالقرآن الكريم :

العلاج بالقرآن غايته القريبة إتقان تلاوته ، وحسن فهمه ، وتطبيق تعاليمه ، وهذا فيه العبودية والطاعه لله ، والاهتداء بكلامه ، والخوف منه وتنفيذ أوامره ، والخشوع له.

ويقول الإمام الفخر الرازى (٦) « اعلم أن القرآن شفاء . من الأمراض الروحانية ، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمية ، أما كونه شفاء من الأمراض الروحانية فظاهر ، وذلك لأن الأمراض الروحانية نوعان : الاعتقادات الباطلة ، والعادات المذمومة .. وأما الأخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف مافيها من المفاسد والإرشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة ، فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض . فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الروحية » . ويجب أن نوضح هنا أنه ليس معنى أن القرآن شفاء لهذه الأمراض أن قراءته على المريض أو تعليق المكتوب من الآيات عليه ، وما أشبه ذلك شفاء أيضا كما يفهم ذلك بعض الجهل وإنما معنى الشفاء أنه جاء فيه من المبادئ التى تكفى لوقاية الإنسان من تلك الأمراض إذا إلتزم بها الناس ظاهرا وباطنا (٧) .

أى أن دروس القرآن لو حققت غاياتها لكانت من أفضل الوسائل لتحقيق الهدف الأسمى (٨) للعلاج الإسلامى .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى بالقرآن على عملائه يستطيع أن يحبب إليهم دراسة القرآن ، ويساعدهم على فهمه ، عن طريق الأنشطة والبرامج الدينية التى يستعين فيها بمن يختارهم من رجال الدين المتخصصين المفقهين القادرين على أداء هذه المهمة الجليلة ، على أن يراعى فى هذه الأنشطة مناسبتها لأعمارهم ومستوياتهم العقلية ، بحيث يتم ذلك بصورة سهلة مبسطة وبطريقة جذابة شيقة ، حيث أن العلاج بالقرآن أنسب أساليب العلاج الإسلامى للمشكلات الاجتماعية ، وبذلك يهتدى العملاء إلى الطريق المستقيم ، فيعبدون الله ويطيعونه ، ويهتدون بكلامه ، ويخافون منه ، ويخشعون له ، وينفذون أوامره ، وبعد ذلك يتم علاج مشكلاتهم ويقوم سلوكهم ، ويعتدل تفكيرهم عندما يسمعون قوله تعالى « ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها

ومابطن» (٩) « وسيعرفون أن ارتكاب الفواحش ، وهى الجرائم الاجتماعية » .. من شأنه أن يثير الاضطراب ، ويزيد الحقد فى العلاقات بين الأفراد ، والاضطراب والحقد فى العلاقات الاجتماعية من أشد العوامل فتكا فى تقويض المجتمع » (١٠) .

٢ – العلاج الإسلامى باتباع الرسول ﷺ :

أما تنمية العقيدة باتباع الرسول ﷺ فهى التى تعلم الأطفال القيام بالعبادات والمعاملات وكل شئون الحياة : على هدى هذا الرسول الذى أرسله ربه ليطاع بإذن الله . فدروس الحديث والسيرة ، غايتها اتباع الرسول ﷺ لأنه مبين للقرآن ولتفاصيل شريعة الله عز وجل .

لقد كان رسول الله ﷺ أقدر الناس على تربية العواطف الربانية والاعتماد عليها عند الضرورة ، فقد كان بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ، ترجمه عملية بشريه حية لحقائق القرن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ، ولذلك بعثه الله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوى الإسلامى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه » (١١) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى على عملاء المؤسسات الاجتماعية يحاول تخييرهم وعلاجهم من خلال أنشطة دينية تحتوى على دروس الحديث والسيرة النبوية التى يعدها لهم مستعينا فى ذلك بعالم مسلم يساعده فى تصميم وتنفيذ تلك الأنشطة والبرامج الدينية التى تمكن الأحداث من فهم السيرة النبوية ودراسة وفهم الأحاديث سواء كان ذلك من خلال قصة أو تمثيلية تعد خصيصا لذلك، أو من خلال زيارات للمساجد فى مواعيد الصلاة والدروس الدينية وبذلك يتيح لهم الفرصة لاستماع لتلك الدروس والأحاديث وهو معهم يشجعهم ويعاونهم ويبسط لهم بعض المعانى التى يصعب عليهم فهمها ، وبذلك يدعم حب الرسول فى قلوبهم فيهتدون به ويتبعون تربيته بعد أن أحبوا الله واهتدوا بقرآنه .

٣– العلاج الإسلامى بدروس التوحيد :

بعد أن يحقق العلاج الإسلامى باتباع الرسول أهدافه ، يأتى دور تنمية العقيدة الإسلامية عن طريق دروس التوحيد ، وهى تبدأ من توضيح الهدف الأسمى للتربية الإسلامية ، أى من توضيح معنى الألوهية والربوبية ، ومعنى عبودية الإنسان لله وحده، وما هى الصفات الإلهية التى لايجوز إسنادها لغير الله .

ومن خلال دروس التوحيد تنمى العقيدة الإسلامية التى تتغلغل إلى أعماق الحدث «وترتبط كل الارتباط بكيانه وتكون مقوما ضروريا بطبيعته .. وليس فى مقدوره أن ينفصل بفكره ووجوده عن رباطها الوثيق وصلتها العميقة بالنفس ، وعندئذ يستشعر المرء فى نفسه من الخضوع والاذعان لأوامرها والوقوع تحت تأثيرها بمقدار مايتجلى

ـه من حقيقتها وماينكشف له من معانيها ، وأيضا بمقدار ماينطبع عنها في ذهنه من أثار ، ومايكون لها في وجدانه من انفصال ، ثم مايقول لها في قلبه في قداسة ، واعتبار (١٢) .

ولكي تنجح دروس التوحيد في تنمية العقيدة الإسلامية لعملاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية فلا بد أولا أن يستخدم الاخصائي الاجتماعي كل قدراته وأساليبه المهنية في تكوين الرغبة في الاعتقاد ، والامتناع بكل جانب من جوانب العقيدة ، لأن العملاء لن يؤثر فيهم ذكر أدلة الاعتقاد قبل أن تتكون الرغبة لديهم . الرغبة في الاعتقاد والامتناع الكامل بكل جوانبه .

ذلك أن من لايرغب أولا في الاعتقاد لايعتقد ولو ذكرت له جميع الأدلة العقلية والعملية ، ولهذا لما تكلم الله تعالى عن هؤلاء الذين لايريدون أن يؤمنوا إلا لعدم وجود الأدلة وإنما لعدم رغبتهم في الإيمان (١٣) فقال تعالى « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ماكانوا ليؤمنوا » (١٤) كما قال سبحانه وتعالى «وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها » (١٥) .

والعقيدة الإسلامية هي اخلاص العبودية لله وحده ، فهي تعرف الانسان بكل مقاصد العبادة والسلوك في الحياة ، وتعرفه بما يجب أن يحذره من كل مظاهر الشرك وعقائده .

هذا الجانب الإعتقادي من دروس الدين الإسلامي ، هو أهم وأول مايجب الإهتمام به ، على أن تكون ثمراته ، ونتائج فهمه مطبقة على جميع جوانب الحياة ، فيعرف العميل أنه يتعلم القرآن ويعظمه لأنه كلام الله ، ووسيلة لمناجاته ومعرفته والخضوع له وتحقيق أوامره .

والأخصائي الإجتماعي الذى يطبق العلاج الإسلامي لتقويم السلوك المنحرف عن طريق تنمية العقيدة الدينية يستعين بأهل الخبرة والمتفقهين في الدين ، ليقدموا للعملاء ، دروس التوحيد اللازمة لتنمية إيمانهم والأخصائي دائما معهم في جميع هذه الأنشطة الدينية حتى يشجعهم على استمرار الاستفادة منها ويبسط لهم مايصعب عليهم فهمه وبذلك يستفيدون من هذه الفرص التى تساعد على تنمية شخصياتهم وتقويم إنحرافهم وتعديل سلوكهم .

٤ - العلاج الإسلامي عن طريق دروس الفقه :

أما دروس الفقه في أسلوب آخر من أساليب تنمية العقيدة الدينية ، فهي التى تربى السلوك الإسلامي الفردي والاجتماعي ، بما تقدمه للعملاء من قواعد تفصيلية ، مستقاة من القرآن والسنة ، لبيان أساليب العبادة والسلوك التى يرضاها الله في جميع شئون

الحياة ، ولبيان نظم العلاقات الإجتماعية ، كما يأمرنا الله أن تحققها فى كل اتصالاتنا بالآخرين ، فيجب ربطها دائما بهدفها الأسمى ، طاعة الله ، والأهتداء بهدى رسوله ، وتحقيق الخضوع بالعبودية لله ، كما يريد الله .

ولكى تحقق دروس الفقه أهدافها العلاجية المطلوبة ، فإن الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج المشكلات الإجتماعية فإنه يختار لهم من يقدم لهم دروس الفقه ويوضحها ويبسطها لهم ويوصلها إليهم بطريقة محببة حتى يستفيدون منها أحسن إستفادة ممكنة ، وعندما يختار أحد المتخصصين فى دروس الفقه فإنه يخطط ويرسم معه أحسن البرامج وأنسب الأنشطة الدينية التى توصل لهم المطلوب من دروس الفقه بصورة سهلة مبسطة .

والخدمة الاجتماعية عندما تطبق العلاج الاسلامى مع عملائها فإنها تسعى إلى هدفين متكاملين فى أن واحد : أحدهما على المدى القريب وهو علاج المشكلات الاجتماعية ، والهدف الثانى على المدى الأبعد وهو بناء الجيل المسلم الذى يبنى حياته على تحقيق عبادة الله وهو الهدف الأسمى للتربية الإسلامية .

والأخصائى الاجتماعى عندما يطبق العلاج الإسلامى على عملاء مؤسسات الخدمة الاجتماعية فإنه يتعاون معهم فى وضع الأنشطة والبرامج المختلفة التى تساعدهم فى ذلك .

والتنمية الخلقية هي التدريب على السلوك الرشيد ، وتكوين الخلق الحميد ، وهى المصباح الكاشف لمسالك الرشد والغى ؛ وهى المعيار الذى توزن به نوايا العاملين وبواعثهم ، وهى التوجيه المستمر لأعمال الانسان على طريق الاستقامه .

والتنميه الخلقية كما جاءت فى الإسلام لها هدفان أحدهما على المدى القريب والآخر على المدى البعيد .

أما الهدف القريب فهو تكوين الانسان الخير الذى حدده الرسول ﷺ شخصيته بأنه يصبح « مفاتيح للخير مغاليق للشر » (١٦) يتميز بالانفتاح للخير عن حب للخير والاسراع إليه عن رغبة فيه والاجتناب للمعاصى عن كره لهما ، لا إتباعا للعادة ولاخوفا من عقاب القوانين أو تغيير المجتمع ، يحبون الفضيلة ويؤثرون مصلحة غيرهم على أنفسهم كما جاء فى قوله تعالى : « يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» (١٧) ثم إلى جانب هذه الصفات الخيرة النيرة يتسابقون فى عمل الخيرات « أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » (١٨) .

أما الغاية البعيدة للتنمية الخلقية كما أرادها الإسلام فهى الوصول بالانسانية إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وقد أكد الرسول ﷺ صراحة أن حسن الأخلاق طريق سعادة الانسان وسوء الأخلاق طريق شقائه . فقال ﷺ : « من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق » (١٩) .

تلك حقيقة واضحة إذا أمعنا النظر فى حكمة الأخلاق الإسلامية والقيم التى تحملها ، وكذلك تجدها واضحة وصريحة فى كثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية ، لما لها من قيم صحية واقتصادية وإنسانية وإبداعية ومادية ومعنوية واجتماعية . الأمر الذى يجلعنى أقول بكل تأكيد بأنه لايمكن تحقيق السعادة بدون اتخاذ هذه الأخلاق طريقاً ومنهجاً فى الحياة الفردية والاجتماعيه معاً (٢٠) .

ويعلل الإسلام لماذا كانت الأخلاق الحسنة طريق السعادة والأخلاق السيئة طريق الشقاوة بأن مبادئ الأخلاق الحسنة تحمل فى طياتها أسباب السعادة وسوء الأخلاق تحمل أسباب الشقاوة فمن أسباب السعادة ، وجود الصحة الكاملة من الناحية النفسية والجسمية ، وانعدام هذه الصحة يؤدى إلى التعاسة والشقاوة والإسلام قد قرر ذلك ، وبين العلاقة بين الانحراف الأخلاقى والأمراض النفسية ثم بين الأمراض الجسمية بشكل واضح وصريح فقال الرسول ﷺ « من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر همه سقم بدنه» (٢١) .

ولذلك فإن العلاج الإسلامى الشافى لكل هذه الأمراض جاء واضحا صريحا فى القرآن الكريم بمبادئه العظيمة التى لاشفاء بدونها فقال سبحانه وتعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خسارا» (٢٢) .

إن روح الإسلام هى الأخلاق الفاضلة الكاملة التى تستدعى من المسلم أن يخاف الله فى السر والعلانية ، فى ظل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ، ويتقى الله حق تقاته ، ويفكر دائما فى النواحى الانسانية ، والأغراض النبيلة الإسلامية ويبتغى كل عمل يفكر فيه ، أو يقدم عليه ، ويتقى الله حق تقاته ، ويفكر دائما فى النواحى الانسانية ، والأغراض النبيلة الإسلامية ويبتغى كل عمل إرضاء لله ، ويدعو إلى الخير ، ويستنكر كل شر ، ويعين أخاه المسلم ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ولايتعاون على الإثم والعدوان ، ويخلص فى أفعاله وأقواله الإخلاص كله (٢٣) . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاتة ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون » (٢٤) .

وهكذا نرى أن الإسلام يوجب علينا تنمية الخلق ، وحسن السلوك ، وتهذيب الإرادة ، وتمييز الغث من الثمين ، والحسن من القبيح ، واختيار الفضيلة وتجنب الرذيلة ، حتى يربى رجالا كريمى الأخلاق ؛ أقوياء العزيمة ، مهذبين فى أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء فى تصرفاتهم وخلقهم ، صفاتهم الحكمة والفضيلة ، والأدب والاخلاص والطهارة .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج الانحرافات الخلقية للعملاء الذين انحرفت أخلاقهم ، وفسدت طباعهم . يحاول إصلاح مافسد ، وتقويم ما انحرف عن طريق التنمية الخلقية التى تسعى إلي تثبيت القيم الأخلاقية الأصلية التى توارثتها الأمة الإسلامية جيلاً بعد جيل ، مهتديه بكتاب ربها وسنة نبيها ، الذى بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق ، وإزالة ما تراكم عليها من رواسب عصور التخلف ، ومادخل عليها من تقليد الأمم الأخرى ؛ قديما وحديثا ، فالسماء والايثار ، والحياء ، والصبر على المكاره والثبات فى الشدائد والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والاحسان الى الجار وإكرام الضعيف ، الملهوف . والصدق فى القول والأمانة فى العمل والعدل فى الحكم ، الشهادة بالحق ، ورحمة الصغير ، وتوقير الكبير ، وإعطاء كل ذى حق حقه ، وخفض الجناح ، وعزة النفس ، والقصد والاعتدال فى كل شئ .. إلى غير ذلك من فضائلنا العظيمة الأصيلة التى يجب أن تسود وتبقى وتعمق جذورها وتمتد فروعها (٢٥)

ويرى المؤلف أن التنمية الأخلاقية كأهم أسلوب من أساليب العلاج الإسلامى يمكن تحقيقها عن طريق عدة أساليب فرعية يوضحها كما يلى :-

١ - التنمية الخلقية بتكون العادة :

يتكون الخلق بالممارسة والاعتياد وبكثرة تكرار الفعل والمواظبة عليه . ولعل ذلك من الملاحظ عند هؤلاء الذين عرفوا الخلق بأنه (عادة الإرادة) فعندما يراد تحويل الإنسان من خلق ذميم إلى خلق آخر حميد ، أو يراد تكوين خلق معين له لم يكن موجوداً من قبل ، يحمل الانسان على تكرار هذا العمل وفعله باستمرار ، مع استعمال وسائل الإغراء والترغيب ، التى من شأنها أن تحبب إليه إتيان هذا الفعل الحميد والإقبال على ممارسته برغبه صادقة وميل أكيد وإستخدام وسائل التنفير من ضده ، بحيث تصير نفرته والمداومة على هذا الفعل الحميد ، يصبح إتيانه وممارسته عادة لازمة ، وطبعاً دائما ، أى يصير خلقا له (٢٦) .

ويصدر عنه تلقائيا من غير أن يسبقه تفكير وتقدير بحيث يكون انطباعا من إنطباعات النفس وحالاتها ، وتحملها على الفعل من غير حاجة إلى تأمل أو روية (٢٧).

وقد بدأ الإسلام - وهو ينشأ فى الجاهلية ، بإزالة العادات السيئة التى وجدها سائدة فى البيئة العربية . واتخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل . وإما التدرج البطئ ، حسب نوع العادة التى يعالجها ، وطريقة تمكنها من النفس (٢٨) .

فالقطع الحاسم استخدمه الإسلام بالنسبة للعادات التى تتصل بالعقيدة والارتباط المباشر بالله مثل الشرك بكل عاداته ، لأنه لايمكن أن يستقيم إيمان وشرك ، وعبادة لله

وعبادة لغيره من الكائنات ، وكذلك بالنسبة لوأد البنات أو بعض العادات النفسية من كذب وغيبة ونميمة وغمز ولمز وكبر .. الخ من مثل هذه الأمور التى تشبه الأورام الخبيثة التى لاعلاج إلا بالحسم والبتر من أول لحظة ، بضربة قاطعة حاسمة .

أما وسيلة التدرج البطئ فقد استخدمها الإسلام مع بعض العادات الاجتماعية التى لم تكن عادات فردية بقدر ماكانت عادات منتشرة فى المجتمع ومن أمثلتها : الخمر والزنا والميسر والرق والربا .. الخ وكلها عادات لايمكن منعها دفعة واحدة ولاتستطيع أى نفس أن تحسم موقفها منها فى لحظة .

أما بذر العادات الصالحة ، فله كذلك عدة طرق وعدة مراحل ، فمثلا بالنسبة للعادات النفسية كالصدق والوفاء ، والمحبة والعطف ، والبذل والإيثار ، فقد لجأ الإسلام فى ذلك أولا إلى إثارة الوجدان وإنشاء الرغبه فى العمل ، ثم يحول الرغبة إلى عمل واقعى ذى صورة محددة واضحة السمات ، فيلتقى الظاهر والباطن ويتطابقان ويتكافآن : رغبة وسلوكا ، ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية الى رباط اجتماعى[٢٩] .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى فى علاج المشكلات الاجتماعية لعملاء الخدمة الاجتماعية ، يسعى جاهدا لتنمية أخلاقهم عن طريق مساعدتهم على ممارسة الفضائل الأخلاقية بصفة مستمرة ، بعد أن يستثير مشاعرهم ويحرك وجدانهم ويوجد الرغبة لديهم ثم يحول هذه الرغبة إلى عمل يمارسونه فعلا عن طريق أنشطة وبرامج يصممها خصيصا لذلك .

٢ - التنمية الخلقية عن طريق القدوة الحسنة :

إن القدوة الحسنة تعتبر من الأساليب الهامة للتنمية الخلقية التى تهدف إلى إزالة الخلق السئ[٣٠] ويرى الامام الغزالى أن تغيير الخلق ممكن ويقول ذلك تعليقاً على قوله عليه الصلاة والسلام : « حسنوا أخلاقكم » لو لم يكن ممكنا لما أمرنا الرسول ﷺ به ، ولو امتنع ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، فإن الأفعال نتائج الأخلاق .

والتنمية الخلقية بالقدوة الحسنة هى التى غرست أخلاق الإسلام فى النفوس عندما اقتدوا برسول ﷺ « وكم فشل فلاسفة ومفكرون تخيلوا مناهج للتربية وخططوا مدنا فاضله ، فبقيت مناهجهم ومدنهم خيالا هائما ، وتصوروا عقليا لم يتحول إلى واقع أبدا

يتحول إلى واقع أبدا .. وحين أنزل الله كتابه لم يرد أن يكون نظرية تحفظ ، وإنما أراد أن يكون سلوكا يترجم فى واقع الحياة فاختار من بين الناس محمدا ﷺ ليكون السراج المنير والمثل الأعلى والقدوة العظمى للانسانية كلها (٣١) .

لقد اختار الله الرسول ﷺ من علم كما قال سبحانه : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣٢) واختاره بعد أن رباه وأدبه .. « أدبنى ربى وأحسن تأديبى » (٣٣) ، ولذلك كانت حياته مشرقة مضيئة لايخفى منها شئ حتى يكون الاقتداء به على أتم وجه وأكمله. « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**»(٣٤) .

إن أسلوب التنمية الخلقية بالقدوة الحسنة كأسلوب هام من أساليب العلاج الاسلامى هو الذى عالج أمة كادت تموت فأحياها رسول الله ﷺ بروح القرآن فإذا هى تبعث من جديد تنقض غبار الزمن وتصنع الحياة والأحياء على خير وأجمل طريق وأروع مسلك ، وصدق قوله فى رسوله الحبيب « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**»(٣٥).

« لقد زكاهم هذا الرسول وطهر أخلاقهم وسلوكهم وعقائدهم ورفعهم من الوهدة الهابطة والضياع القاتل إلى القمة العالية ، فإذا الأمة الأمية رائدة وقائدة تفيض حكمة نابعة من الكتاب الخالد .. الذى بعثها وأحياها وقد كانو من قبل فى ضلال مبين » (٣٦).

هذا العلاج الإسلامى الذى تحاول الخدمة الإجتماعية تطبيقه فى علاج المشكلات الإجتماعية لعملاء الخدمة الاجتماعية بهدف تعديل سلوكهم وتقويم إنحرافهم عن طريق التنمية الخلقية بتكوين العادات الخلقية الصالحة تارة بالقدوة الحسنة وتارة بالعادة لايستطيع تطبيقه إلا الأخصائى الاجتماعى الذى يعرف الآثار والأسس التربوية للقدوة الحسنة وعندئذ يعرف جيدا أن حياة الأخصائى الاجتماعى المسلم – الذى يطبق العلاج الإسلامى لحل مشكلات المجتمع – هى حياة الداعية إلى الله بحيث يكون قدوة أمام عملائه « فيتحلى بأفضل الأخلاق ، يستلهمها من القرآن ومن سيرة الرسول ﷺ ويصبر على تطبيقها والتحلى بها .

٣ – التنمية الخلقية بالترغيب والترهيب :

إن الترغيب والترهيب كأحد أساليب التنمية الخلقية قد لجأت إليه كل الأديان السماوية فى دعوتها ، فرغبت بالثواب بالجنة ، ورهبت وخوفت من العقاب بالنار والخوف من العقاب المؤجل ، والطمع فى الثواب المؤجل ، أرقى من الخوف والطمع فى الأشياء العاجلة لأنه يعتمد على مبادئ عقلية وفضائل نفسيه وخصائص إنسانية ، فالعاقل لايبيع الحاضر بالغائب ، والمصلحة العاجلة بالمصلحة الآجلة إلا إذا فكر فى

عواقب الأمور ، وكانت له عقيدة ثابتة فى العاقبة ، وكانت ثقته بما عند الله أشد من ثقتـه بما فى يده وكـان له من قـوة الضـمـيـر ، وضـبط النفس مـايدفع عنه منتظر المغريات(٣٧) ، لذلك لاتجد خلقا حميدا إلا وحث عليه القرآن ، ولاتلقى خلقا سيئا إلا ونهى عنه .. وفى كل ذلك يبنى قاعدته الكبرى التى قام عليها كل أوامره ونواهيه ، ألا وهى الايمان بالله واليوم الآخر .. وبين الجنات والخلود ، والأمان والرضا ، والسلام والنعيم ، والتعاسة فى الآخرة . والنار الموقدة ، والعذاب والهوان ، والشقاء فى الدنيا ، وبين هذا وذاك يضـرب القـرآن على أوتار القلب المشدود من هنا بالخوف ومن هناك بالرجاء ، فتصدر عنها أنغاما متناسقة ليس فيها نغمة نشاز، إنما هو الأحكام فى كل تصرف ، والارتباط بكل خير ، والابتعاد عن كل شر (٣٨) .

إن التنمية الخلقية عن طريق الترغيب والترهيب ، قد تنجح فى تعديل الأخلاق الفاسدة وتغييرها ، إلا أنها تعتبر أضعف أنواع التربية أو أبعدها عن القيم الانسانية ، وفى الوقت نفسه هى أضعف أنواع العلاج أثراً ، وأسرعها تقلباً ، وأقلها ثباتاً .

ولذلك فـإن هذا الأسلوب العـلاجى لايسـتـخدم إلا بعـد مـحـاولات مـتكررة بشـتى الأساليب الأخرى ، وعندئذ يصبح هذا الأسلوب مناسبا لتلك الفئة التى لم تستجب لأساليب التنمية الخلقية الأخرى ، لأن هناك « درجات متفاوتة لدرجات من الناس ! فمن الناس من تكفية الاشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من إنحراف ، ومنهم من لايردعه إلا الغضب الجاهر الصريح ، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربه منه ، ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكى يستقيم»(٣٩).

والإسلام يتبع جميع وسائل التربية ، فلا يترك منفذاً فى النفس لايصل إليه إنه يستخدم القدوة والموعظة ، والترغيب والثواب .. ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلي التنفيذ .

والاخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى لعلاج مشكلات عملاء الخدمة الإجتماعية ، قد يلجأ أحيانا إلى هذا الأسلوب كمحاولة أخيرة لتقويم الإنحراف وتربية الأخلاق ، وخاصة وأن هناك صنف منهم لاينصلح حالة إلا عن طريق الرغبة حينا والرهبة أحيانا أخرى ، وأنه لابد من إصلاحه من استعمال وسائل الترغيب والترهيب .

والأخصائى الاجتماعى عندما يطبق هذه الأساليب العلاجية المختلفة لعلاج عملائه فإنه يطبقها بما يناسب فرديتهم الخاصة ، وذلك بعد دراسة صفاتهم الشخصية، ويعرف قدراتهم وإمكانياتهم ومدى إستعدادهم وطرق التربية التى شبوا عليها وعندئذ

يختار الأسلوب العلاجي المناسب لكل فرد منهم ، فليس من الضروري أن يطبق كل أساليب التنمية الخلقية على الجميع ، وليس من الضروري أن يطبق كل أساليب العلاج الإسلامي عليهم ، بل يختار منها مايراه مناسبا للتأثير في كل فرد على حده حتى ينجح في تغييرهم ويتمكن من تعديل سلوكهم ، ويصل إلى تقويم إنحرافهم ، ثم يعمل على تكوين العادات الأخلاقية الصالحة .

٤ - التنمية الأخلاقية بالأضداد:

إن طريق تنمية الأخلاق وتهذيبها عن طريق المضادات الخلقية ، هو أحد أساليب العلاج الإسلامي لكثير من الانحرافات والمفاسد الخلقية . وقد نجح هذا الأسلوب في علاج الأجسام عندما تعالج الحرارة بالبرودة ، والبرودة بالحرارة .. الخ . فإن الأخلاق تنمى وتهذب أيضا الأضداد ، وقد أشار إلى هذا الأسلوب العلاجي الإمام الغزالي عندما قال : « وكما أن العلة المغيرة لإعتدال البدن والموجبة للمرض لاتعالج إلا بضدها : فإن كانت من حرارة فبالبرودة ، وإن كانت من برودة فبالحرارة ، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب ، علاجها بضدها : فيعالج مرض الجهل بالتعلم ، ومرض البخل بالتسخي ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض البشر بالكف عن المشتهى تكلفا ، وكما أنه لابد من احتمال مرارة الدواء ، وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة ، فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر ومداومة مرض القلب بل أولى ، لأن مرض البدن يخلص المرء منه ، بخلاف مرض القلب فإنه يدوم ، وكما أن كل مبرد لايصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ، ويختلف ذلك بالشدة والضعف ، والدوام وعدمه ، وبالكثرة والقلة ، ولابد من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد ، فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق لابد لها من معيار » (٤٠) .

فالمدين مدينا مابقى عليه درهم .. ومحبة الشئ تلزمه العبودية له .. فاجعل محبتك خالصة لمن تلزمك عبوديته .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي مع عملاء الخدمة الاجتماعية عن طريق وتنمية الأخلاق وتهذيبها بأسلوب المضادات الخلقية ، فإنه يسعى إلى تعديل سلوكهم وتقويم أخلاقهم ، ورد إنحرافاتهم عن طريق هذا الأسلوب .

وهكذا يعالج الأخصائي مفاسد الأخلاق بأضدادها ، فالعميل الجبان الخائف يعالج بتعريضه لمواقف تتطلب الشجاعة ، والعميل الكاذب يعالج بالصدق ، والعميل الذي

يشعر بالاضطهاد والظلم فى حاجة إلى الأمن والطمأنينة من خلال علاقة المحبة الصادقة التى تكونت بينه وبين الأخصائى الاجتماعى ومن خلال المحبة التى يساعده الأخصائى الاجتماعى على تكوينها مع زملائه ورؤسائه بالمؤسسة ، وذلك يستبدل الخوف بالأمن ، والكراهية بالحب ، والسلبية بالايجابية ، والشر بالخير ، والالحاد بالإيمان ، وعندئذ تتغير أخلاقه وتهذب ويصبح العميل ، المنحرف حسن الطباع ، طيب الأخلاق ، ويعود إلى فطرته السليمة التى خلقه الله فيها ، وينجح العلاج الإسلامى فى الأخذ بيد العملاء وتوجيهم إلى الطريق المستقيم ، طريق الهدى والحب والإيمان .

العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية

التنمية العقلية أسلوب آخر من أساليب العلاج الإسلامى ، « حيث أن العقل البشرى طاقة من أكبر طاقاته ، ونعمة من أكبر نعم الله عليه ، (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون » [٤١] (والفؤاد) يستخدم فى القرآن بمعنى العقل أو القوة الواعية فى الإنسان أو القوة المدركة على وجه العموم [٤٢] ولذلك كرم الله الإنسان بهذا العقل وما أودعه فيه من قدرات كثيرة منها القدرة على التعلم تثقيفاً لهذا العقل وتسديداً لتفكيره وأحكامه ، ولهذا جاء الإسلام يحض على النظر العقلى والتفكير حتى جعل التفكير والتعلم فريضتين إسلاميتين [٤٣] ولذلك كان الدين الإسلامى دين علم ونور ، لادين جهالة وظلمة فأول آية نزل بها الوحي فيها أمر للرسول بالقراءة وتكرير لذلك الأمر ، وتنويه بشأن العلم والتعليم الذى تم إسناده إلى الله :

« إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » [٤٤] والإسلام دين الفطرة الذى يحترم الطاقات البشرية كلها .. ومن ثم فهو يحترم الطاقة ويشجعها ، وينميها لتتجه فى طريق الخير .. ويبدأ الإسلام التنمية العقلية بتحديد مجال النظر العقلى ، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التى لاسبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها ، وهو يعطى الإنسان نصيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذى يلبى ميله للمجهول ، ولكنه يكل أمر ذلك إلى الروح ، فهى القادرة على ذلك ، المزودة بوسائل الوصول ، أما العقل فوسيلته إلي الله وإلى معرفة الحق ، هى تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل ، ومن ثم يحدد الإسلام مجاله بهذا النطاق ، ولايتركه يغرق فى التيه الذى غرقت فيه الفلسفة واللاهوتيات .. ثم بعد ذلك يأخذ فى تدريب الطاقة العقلية على طريق الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة ، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين . الوسيلة الأولى هى وضع المنهج الصحيح للنظر العقلى . والوسيلة الثانية هى تدبر نواميس الكون وتأمل مافيها من دقه وارتباط [٤٥] .

وبعد أن أعطى الإسلام كل هذا الاهتمام للتنمية العقلية ، اهتم أيضاً بتثقيف هذا العقل ، وتسديد تفكيره عن طريق العلم ، والعلم فى نظر الرسول ﷺ قوام الدنيا وقوام الدين حيث قال: « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » كما دعا الرسول إلى التعليم وأوجبه فقال : « علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » ولم يقف عند الدعوة إلى نشر التعليم فحسب ، بل دعا إلى الاستمرار فى طلب العلم والتعلم ، والبحث والاطلاع فقال : « لايزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل » ، ولذلك صار طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال تعالى : « وهو الذى بعث في الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» (٤٦) .

واهتمام العلاج الإسلامى هذا الاهتمام الكبير ، بالتنمية العقلية يرجع إلى قول كثير من العلماء بأن العامل المؤثر فى تكوين العقيدة هو العقل فما دام الارتباط بين العقل والعقيدة قائما على أوثق وجه ، كان لابد من إرجاع العقيدة فى تكوينها وتكيفه وأوجه التأثير إلى عامل العقل (٣٧) . والعقيدة الدينية لشدة فاعليتها وقوة سلطانها على الأفراد والجماعات ، احتلت المكانة الأولى فى دائرة النفوذ بين غيرها من العقائد ، خاصة إذا كانت راسخة ثابتة تقوم على إدراك واضح وعلم يقين ثابت .

واهتمام العلاج الإسلامى بالتنمية العقلية ، يرجع لما لها من تأثير كبير فى تكوين شخصية الفرد وذلك عن طريق العناية بقيادته الفكرية (العقل)، وصيانتها من كل مايلحق بها ، أو يؤثر فيها تأثيرا ولو طفيفاً فى قدرتها على التمييز بين الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب ، أو الضار النافع ، فى التصرفات ، قولية كانت أو فعلية .

ولهذا كله لجأت الخدمة الاجتماعية إلى العلاج الإسلامى لعلاج المشكلات الاجتماعية ، متبعة فى ذلك كل أساليبه المختلفة ومنها التنمية العقلية ، حيث أن هؤلاء العملاء ، قد اضطرب تفكيرهم ، وعجزت عقولهم عن التمييز بين الحق والباطل فى المعتقدات ، والخطأ والصواب ، ولذلك انحرفوا ، وعندئذ ظهرت الحاجة الملحةإلى تنمية عقولهم والعناية بها وصيانتها حتى يستقيم تفكيرها .

ولذلك يحاول الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى مساعدة هؤلاء العملاء على الاستفادة من الفرص التعليمية ، إن كانت موجودة باكبر قدر ممكن ، أو يحثهم على استكمال تعليمهم إن كانوا توقفوا عن التعليم مستعينا فى اقناعهم بعلاقة الحب والمودة التى كونها معهم ، كما أنه يستطيع تنظيم بعض البرامج والأنشطة لمحو

أمية الأميين منهم والاستعانة ببعض الخبرات التى تعينه فى ذلك ، لأنه عن طريق التعليم يساعدهم على اكتساب الخبرات الكثيرة التى تساعد على علاج المشكلات . ولكى يحقق الأخصائى الاجتماعى الهدف من التنمية العقلية فى علاج عملائه فإنه يمارس معهم عمليات تعليمية وتربوية .

وأساليب الأخصائى الاجتماعى لتعليم هؤلاء العملاء يمكن حصرها فيما يلى :[٤٨]

١ - أسلوب التنبيه :

« التنبيه هو الأسلوب الذى يمارسه الأخصائى الاجتماعى لإيجاد الدافع للتعلم ، فوجود الدافع شرط أساسى لتحرير طاقة العميل وتوجيهها وجهة خاصة ، ويتم التنبيه بوسائل مختلفة أهمها : توضيح فوائد التعلم ثم توضيح إخطار عدم التعلم ، ثم إتاحة فرصة التعلم ، وتتم هذه العمليات تصريحا أو تلميحا ، حسب درجة نضج العميل ودرجة فاعليته .

٢ - أسلوب التوضيح :

أسلوب التوضيح يعقب أسلوب التنبيه ، حيث يتطلع العميل إلى الخبرة والمعرفة تلقائيا ، سواء كانت خبرة خاصة بالمؤسسة أو بالأخصائى الاجتماعى ، أو بالموقف أو بجوانب عامة مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية ، وللتوضيح ثلاث مناطق رئيسية هى : تزويد العميل بمعلومات جديدة ، كتعريف الحدث طريقة استخراج كعب العمل أو تفسير لأسباب موقف معين ، أو كتوضيح أسباب حرمان الحدث من الخروج من المؤسسة أو تصحيح معلومات خاطئة لدى العميل ، أو كتصحيح معلومات الحدث وتفهيمه بأن إخلاء سبيله ليس رهناً بقضاء مدة العقوبة ، بل بتحسن سلوكه حسب تقرير المؤسسة أو كتوضيح مايغمض عليه من أساليب التنبيه السابقة التى قد يصعب على الحدث فهمها وتكون سبباً فى مقاومة عملية التعلم .

٣ - أسلوب الإقناع:

الإقناع هو تأثير عقل على آخر ، وهذا الأسلوب يمارسه الأخصائى الاجتماعى عندما تلقى الخبرة المعرفية مقاومة من العميل ، مع مراعاة أن يكون هذا التأثير معتمداً على المنطق والواقعية وحسن التقدير ، وهذا الأسلوب يتطلب من الأخصائى الاجتماعى رحابة الصدر واللياقة عند مناقشة العميل فى المعتقدات الخاطئة ونواحى عدم صوابها ، كما أنه يمارس مع العميل الذى يتمتع بقدر مناسب من الذكاء وتكامل الشخصية .

٤ - أسلوب التدعيم :

إن استجابة العميل لأساليب التوضيح والامتناع يتحدد بناء على مايعقبها من تثبيط والمقصود بالتدعيم هو مكافأة الفعل أو الثواب الذى يعقب الاستجابة .

٥ - أسلوب التعميم :

والتعميم هو العملية النفسية المسئولة عن نقل ما اكتسبه العميل من عادات جديدة فى موقف معين إلى غيره من المواقف المتشابهة ، والأخصائى الاجتماعى لايهدف إلى إكساب العميل عادات معينة فحسب بل إلي انتقال أثر السلوك إلى العديد من المواقف سواء واجهته أو واجهت آخرين من المحيطين به (٤٩).

العلاج الإسلامى بتنميه العلاقات والقيم الاجتماعية

والإسلام كما اهتم بالتنمية الخلقية والعقلية والدينية ، اهتم أيضاً بالتربية الاجتماعية إهتماما كبيراً ، كما لها من أثر كبير على كل من الفرد والمجتمع ، وقد أوضح لنا الإسلام مجموعة من الأساليب العلاجية التى عن طريقها يتم العلاج بالتربية الاجتماعية نوردها فيما يلى :-

١ - تنمية القيم والعلاقات الاجتماعية بالحب :

ونبنى العلاج الاسلامى على أساس عواطف إجتماعية أهمها المحبة كاحتياج أساسى لكل إنسان ، لابد من إشباعه وبذلك يصبح الانسان على استعداد لمحبة الآخرين ، وإذا لم يشبع هذا الاحتياج الهام فسيشعر بكراهية الآخرين ، والضيق منهم والتبرم والسخط عليهم ، وعندئذ يصير عدوانياً يصب عدوانه على المجتمع بصفة عامة ، وعلى نفسه فى أحيان كثيرة ، فيعوج سلوكه ويصبح إنساناً منحرفا .

ولذلك اهتم العلاج الإسلامى باشباع تلك العاطفة السامية ، التى إن صلحت صلح كل شئ وإن طلحت فسد كل شئ ، فبدأ بالتأكيد على محبة الوالدين ، لما لها من أثر على الصحة النفسية للفرد ، ثم أضافت عليه ينبوعا لاينضب من ينابيع العاطفة الصادقة ، وهو محبة الله الذى أنعم علينا ، والذى يرحمنا فى المحن ، عندما نلجأ إليه وندعوه فيكشف السوء .

وعلى أساس محبة الله يحب المؤمن كل من يشاركه الولاء لله ومحبة الله وطاعته ، والانقياد لشريعته ، والاعتزاز بالسير تحت لوائه ، وهذا مايسمى بالحب فى الله .

وقد جعل رسول الله ﷺ محبة قوم ثبتت نصرتهم لله ورسوله من علامات الايمان ، وبغضهم من علامات النفاق .

عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال فى الأنصار : « لايحبهم إلا مؤمن ولايبغضهم إلا منافق . من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » (٥٠) . كما جعل مصير الانسان يوم القيامة مرتبطا بمصير من يحبهم ويتعلق بهم ، ويرتبط بهم برباط إجتماعى فى الدنيا ويعمل بعملهم ويبدل من أجلهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله عبادا ليسوا بأنبياء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل من هم لعلنا نحبهم ؟ قال هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور ، لايخافون إذا خاف الناس ولايحزنون إذا حزن الناس « ثم قرأ » « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون » (٥١) . رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ « متى الساعة » ؟ قال وما أعددت لها ؟ قال : لاشئ إلا إنى أحب الله ورسوله « قال : أنت مع خير من أحببت » رواه البخارى وسلم (٥٢) .

إن الحب فى الإسلام يستمد وجوده من الحب الإلهى ، فإذا تحققت منه لذة فهى وسيلة لغاية مرادة لله ، وليست اللذة من أجل اللذة ، إنما هى ثمرة لاتباع أمر الله ، كما أنه إذا بغض شيئاً ، فانما يبغضه بأمر الله ، لأ ، فيه إسراف أو إفساد أو خيانة أو إثم أو اعتداد أو ظلم ، فالبغض ما يبغضه الله وينهى عن فعله ، كما ورد فى كتابه الكريم .والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى مع العملاء عن طريق الحب ، فإنه يبدأ بنفسه أولا ، فعمله معهم وتأثيره فيهم يرتبط ارتباطا وثيقا بحبه لهم وحبهم له ، فهو يحبهم فى الله ولذلك يشقى ويتعب من أجلهم ، ويبذل الجهد ويضحى بالوقت فى سبيل علاج مشكلاتهم وهو لاينتظر من وراء ذلك جزاء أو شكورا ، فجزاءه على الله وجزاءه من الله وحبه فى الله ولله .

وعندما ينجح الأخصائى الاجتماعى فى اكتساب حبهم ، فسيصبح القدوة الحسنة أمامهم ، فيتعلمون منه الحب ، ويبدأون بحبه ثم يحبون بعضهم البعض ثم ينتشر الحب حتى يشمل كل الناس ويعم المجتمع ، وعندئذ تصفوا قلوبهم وتتطهر نفوسهم ويقوم انحرافهم ويتعدل سلوكهم وتعالج مشكلاتهم .

٢ - تنمية العلاقات والقيم والاجتماعية بالتعاون :

من القدر أن الحياة فى أى جماعة من الجماعات لاتقوم دون أن يتحقق تعاون بين أفرادها ، وهذا التعاون لابد من أن ينظم وتوضع له الروابط والضوابط التى تجعل عمله عملاً نافعاً مثمراً ، وتقيمه على أسس من العدل والمحبة والإخاء (٥٢) .

وقال الله تعالى « وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان » فالله يأمر

بالتعاون على البر وعمل الخير ومعاونة المعوزين والعاجزين والمساكين ، كما يأمر بالتعاون على التقوى والعمل الصالح وينهى عن التعاون على الإثم والشر والعدوان .

وقال سبحانه وتعالى « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

فمن تمسك بالإيمان وفعل الخير ، والتزم بالحق ، والصبر ، نجح فى حياته وعمله . ولن تهلك أمة يتواصى أفرادها بالإيمان ، ويتناهون عن الباطل . وكثيراً ما سقطت الأمم لأن أبناءها كانوا لايجدون من يرشدهم إلى الطريق المستقيم وينهاهم عن الشرور التى يرتكبونها ، والآثام التى يعترفونها . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه » .

إن الفطرة البشرية قد جعلت تحقيق الخيرات لايمكن أن يستقل به إنسان ، ينفرد بنفسه ويكون فى معزل عن الناس ، فلقد كان من مقتضيات الطبيعة البشرية ، والفطرة الانسانية أن يتعاون الناس على تحقيق خيراتهم مجتمعين ، كل يقوم بما يختص به من فروعها ونواحيها ، لذلك كان من المحتم بل ومن أوجب الواجبات على الناس أن يحب بعضهم بعضا ، وبدون تلك المحبة ينفروا عقد المجتمع وتذهب كثير من الخيرات . (٥٣)

وقد ربط الله واجب الايمان فى النفس والجماعة بأسس من واقع الإنسان وهو : أن للانسان جانبين من جوانب شخصية إحدهما انفرادية بها يخاطب وبها يكلف ، وبها يتصرف فى شئونه الخاصة فى دائرة أحكام الله وارشاده ، وبها يسأل عن نفسه أين وضعها ؟ وعن عمله ماذا قصد به ، وعن ماله فيم أنفق وعن عمره فيما أفناه ؟

والأخصائى الاجتماعى الذى يعالج العملاء عن طريق التعاون ، فإنه يبدأ بتدريبهم على ممارسة التعاون فيما بينهم عن طريق بعض الألعاب الرياضية التى تتطلب روح الفريق ، والتى لابد أن يتعاون فيه العضو مع بقية أعضاء الفريق ، وعندئذ يعرف قيمة التعاون بالممارسة ، ثم يدربه على التعاون عن طريق تحمل بعض المسئوليات الجماعية مثل مسئولية الإعداد لرحلة بعقد تقسيم المسئوليات ومعرفة كل عضو لمسئوليته التى تكمل المسئولية الجماعية ، أو توزيع مسئوليات الاشتراك فى حفلة والإعداد لها، وفى كل ذلك يوضح لهم الأخصائى الاجتماعى قيمة التعاون وآثاره الايجابية ونتائجه الطيبة على الفرد والجماعة . وبعد ذلك يتدرج معهم الأخصائى فى اسناده بعض المسئوليات إليهم خارج المؤسسة على أن تكون مكملة المسئوليات أخرى فى مكان آخر وعندئذ يعرف العميل قيمة التعاون خارج المؤسسة ، كما عرفها داخل المؤسسة ، وبالتالى يعرف قيمة التعاون بالنسبة للمجتمع ككل . وبعد ذلك نجده يقلع عن السلوك المنحرف

ويبتعد عنه ، ويتجه إلى البناء بدلا من الهدم ، والنماء بدلا من الضياع ، والايجابية بدلا من السلبية ، ويصبح إنسانا صالحا متعاونا فى حقوقه وواجباته ، ويصير لبنة من لبنات بناء المجتمع .

٣ – تنمية القيم الاجتماعية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فالأمر بالمعروف وسيلة إصلاح الأفراد والجماعات والمجتمع ، كما أن النهى عن المنكر وسيلة يستطيع بها من أتى منكراً أن يجد من ينهاه عنه ، ويرشده إلى الصواب ، ويأمره بالمعروف ، فيعتدل ويفيق إلى الحق ، وهو أسلوب رائع جميل فيه المحبة للناس ، وفيه المحبة للفضائل ، وفيه الكراهية للرذائل ، ومنع الناس من أدائها . وقد ورد الحديث الشريف « من رأى منكم منكراً فليغيره » وهذا الأسلوب لو أهمله المسلمون لعمهم البلاء ، ولفسد المجتمع فقد قال الرسول ﷺ « ما أقر قوم المنكر بين أظهرهم ، إلا عمهم الله بعذاب محتضر » . وهذا الأسلوب (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) يشترك فى أدائه الأفراد فى المجتمع فى المجال الفردى ، والهيئة الحاكمة فى المجال الجماعى .

وقال الرسول ﷺ « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٥٤) .

وقال الله سبحانه وتعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٥٥) فالله أمر بالدعوة إلى الإسلام وفعل الخير من صدقه ، وإيثار ، وتعاون ، وترابط وتضامن ، وأمر بالمعروف وهو ما استحسنه الشرع : كالتواصى بالحق والرحمة والإحسان والصبر ، ونهى عن المنكر ، وهو ما استقبحه الشرع : كالظلم ، وعدم إخراج الزكاة ، وكالخيانة والغدر والكذب .

٤ – تنمية القيم الاجتماعية بتطبيق الحدود الشرعية :

المرحلة الاجتماعية الأخيرة فى ضبط السلوك وعلاج المشكلات هى الحدود الشرعية ، فمن الناس من لاينفع معه وازع العقل ولا وازع الضمير ، ولاوازع الترهيب ولاوازع الكفارات والمحاسبة الشخصية على الأخطاء المستورة ، وكان سلوكه معوجا حتى احتاج إلى من ينهاه عن المنكر ويأمره بالمعروف ، فلم يرتدع وأصبح مصدر عدوان على نفسه وعلى المجتمع ، فلابد هنا من حدود وقائية وعلاجية تشرع لإكراهه بالقوة إلى اتخاذ المسالك الحسنة فيقام عليه الحد ، وأسلوب الحدود الشرعية هو أسلوب الحاكم وحده ، وان الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، فأعطى الله السلطان تنفيذ حدود الله وقد قال تعالى « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » (٥٦) فمن قتل يقتل ، ومن سرق يقطع يده ، ومن كان متزوجا وزنى يرجم ، ومن شرب

الخمر يجلد .. وهكذا باقى الحدود ، فالحدود تطهيرللشخص مما ارتكب من الذنب ، وحفظ للمجتمع من الفساد والرذيلة ، إذ أن الحدود جوابر ، أى تجبر ماحصل من الإنسان ، وتكون واعية للاعتبار بها ، أى زواجر للناس ، فمن فضل الله أنها جوابر لمن يرتكبها ، وزواجر لمن يفكر الاتيان بها ، وبذلك يحفظ المجتمع من الفساد والإفساد ، وهكذا يصبح الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع ، ويصبح المجتمع رقيبا على الأفراد(٥٧) .

أما أسلوب تنمية العلاقة والقيم الاجتماعية عن طريق الحب ، فالأخصائى الاجتماعى يعتمد فى عمله كله على العلاقة الطيبة التى يكونها بينه وبين هؤلاء العملاء ، وهى علاقة حب صادق ، ومودة خالصة والتى يلمسها العلماء ويحسون بها بل وعيشيونها ، وعندئذ يعممون الحب على الآخرين الذين يتعاملون معهم . بعد أن افتقدوا الحب وحرموا من المودة ، وكان ذلك من أسباب مشكلاتهم ، ثم يتدرج هذا الحب إلى أن يصل إلى أعظم درجاته وهى المحبة الصادقة لكل الناس ، تقربا إلى الله واكتسابا لمحبته .

أما تنمية القيم الاجتماعية عن طريقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن الأخصائى يمارس هذا الأسلوب معهم ، ويستغله ليعيد العملاء إلي فطرتهم الطاهرة ، ويصونها عن التدنس ، وارتكاب الأخطاء ، والتى تقيهم من الانحراف ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بأن الأخصائى الاجتماعى يستغل هذا الأسلوب ، ليغرس فى قلوب العملاء معانى الإيمان بشتى الطرق وفى مختلف المناسبات ، فهو يلفت أنظارهم إلي كل ظاهرة من ظواهر الكون ، الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته وبعد ذلك يوجه سلوكهم بآداب الاسلام .

أما عن تنمية القيم الاجتماعية عن طريق الحدود الشرعية فإن الأخصائى الاجتماعى ما هو إلا ممثل للمجتمع ، يطبق دابه ، ويرتبط بقيمه ، ويرجع إلى أمر الله ، ويحكم شريعته فى تنظيم المجتمع ، حيث أن ذلك يعتبر من أهم مصادر الروابط والأهداف الاجتماعية ، لأنه يهدف إلى تربية الأفراد وتأديبيم بطلب مرضاة الله ، فاذا انحرف الفرد عن هذا الهدف ، أدانة المجتمع ، وأصبح من حق الأخصائى الاجتماعى أن يتخذ معه شتى الأساليب التربوية كمحاولة أخيرة للتأثير فيه أو تغييره ، وإذا لم تجد معه كل هذه الأساليب أصبح من حق الأخصائى الاجتماعى تسليمه للسلطة التى تنفذ أوامر الله ، لتطبق عليه أى نوع من أنواع الحدود الشرعية ، حتي يعود الأفراد إلى خطيرة الإيمان والتوبة والندم ، ويرجعون إلى العمل بمقتضى الشريعة وآدابها .

العلاج الإسلامى بالتنمية النفسية

من نظر فى تعاليم الدين الإسلامى وتأمل مقاصده ، ليدرك أنه يرمى إلي غرض واحد هو توفير الكمال النفسي للإنسان ، وتيسير أسباب السعادة له فى دنياه واخرته متمثلا فى تنظيم سلوكه وضبطه (٥٨) .

إن الإسلام يقدم بتعاليمه الكاملة السليمة أفضل العون للنفوس ، وما العبادات فى الإسلام إلا وسائل ربانية لتربية النفس وتنظيم طاقاتها ، وهو إذا يحصنها بهذه العبادات لايقتل حيويتها ولايضعف منها أبداً حتى تلك الغرائز الجنسية الشهوية ، لايقف منها موقف العداء ، وإنما يعمل على تنظيمها ، فتتحول بذلك إلى طاقة بناءة للحياة .

إن القرآن أسلوبٌ رائعٌ للتنمية النفسية ، فهو يربى المرء على الإيمان بوحدانية الله وباليوم الآخر . ويقول « محمد اقبال » فى كتابه إعادة بناء الفكر الإسلامى « ما يأتى به الدين من علم والايمان به هو تجربة نفسية تخضع للممارسة الداخلية للانسان ، أى تخضع لجهاد النفس ، وترويضها ، فكلما جاهد الانسان شهوات نفسه ، ووقف فى سبيل هواها ، كلما زاد ادراكه وضوحا وعمقا للطريق السوى فى الحياة ، وكلما زاد إيمانه قوة بالله وبرسالته . ونهاية هذه التجربة النفسية يتجلى فى الصفاء النفسى (٥٩)

إن أسلوب القرآن فى تنمية النفس ، يفرض الاقناع العقلى مقترنا بإثارة العواطف والانفعالات النفسية ، فهو بذلك يربى العقل والعاطفة معا ، متمشيا مع نظرة الانسان فى البساطة وعدم التكلف ، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة .

يبدأ القرآن من المحسوس والمشهود المسلم به : كالمطر ، والرياح ، والنبات ، والرعد ، والبرق . ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله ، وعظمته وقدرته ، وسائر صفات الله – مع اتخاذ أسلوب الاستفهام أحيانا ، إما للتقريع وإما للتنبيه وإما للتحبيب والتذكير بالجميل .. أو نحـــو ذلك . مما يثير فى النفس الانفعالات الربانية : كالخضوع ، والشكر ، ومحبة الله ، والخشوع له ، ثم تأتى العبادات والسلوك المثالى تطبيقا عمليا للأخلاق الربانية (٦٠).

إن الدين الاسلامى يعتمد فى إصلاحه على تهذيب النفس الانسانية ويكرس جهودا ضخمة للتغلغل فى أعماقها وغرس التعاليم فى جوهرها ، فالنفس الانسانية هى موضوع عمله ومحور نشاطه ، لأن الإسلام دين الفطرة ، قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » (٦١) .

والنفس المنحرفة تثير الفوضى فى حكم النظم وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة ، والنفس الكريمة ، ترقع الفتوق ، وتحسن التصرف فى الأمور ، وتسير وسط الزوابع والأعاصير (٦٣) .

والعلاج الإسلامى لكى يصل إلى تحقيق أهدافه فى التنمية النفسية « فإنها تنطلق من محركين أساسيين ، محرك ترغيب ، ومحرك ترهيب ، فالنفس تنزع بفطرتها إلى الهوى ، وتميل إلى الشهوة ، وتركن إلى تحقيق ذلك ركونا عظيما » .

والتنمية النفسية كأسلوب هام من أساليب العلاج الإسلامى يمكن تحقيقها بالأساليب التالية :

(١) تنمية الارادة :

لقد أوضح الإسلام المنهج العلمى لتنمية الإرادة (٦٤) ، وتدريبها على الالتزام بموقف الحكمة والهدى والثبات أمام تيار الهوى كما يلى :

أ – تنمية الإرادة بالتحكم في المشاعر (كظم الغيظ والحد من الغضب) .

وهنا يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب ، ما دمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا ، أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ويحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا .

وبالمثل نستطيع أن نتصرف فى مواقف الغضب لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقاومة حركتها الطبيعية فى بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ؛ وتحويل خط سيرها على النمط الذى رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه ، فلنستمع إلى شئ من إرشاداته الحكيمة التى يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهى إرشادات تبرهن على مالصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، لمدى هذه القوى النفسية فى حدودها الطبيعية وفيما وراء تلك الحدود ، ففى اللحظة التى يدفعنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة ننفس بها عن غضبنا ، لا يأمرنا الرسول الكريم بأن نسكت ونحبس أنفاسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئا ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الانفعال وهى « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذى يغلى فى الصدور ، وتخفيف الضغط الذى كان يولد فيه الانفجار .

فإذا ما دعتنا حدة الغضب إلى شئ أكثر من القول ، وانبعثت فينا نزعة قوية إلى البطش باليد أو غير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوى يساير هذه الحركة الطبيعية أيضا فى مبدئها ، ولكنه لايلبث أن يحول مجراها برفق بعيدا عن هدفها ، ولنستمع اليه ﷺ حين يقول « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعد ، ليذهب عنه الغضب ، وإلا فليضجع » (٦٥) .

وللغضب أنواع متعددة من العلاج :[٦٦]

أولهما : كظم الغيظ الذى يرد الغضب ويسكنه فانه أعظم وسيلة لرده وأعظم علاج لدفعه ، قال الرسول ﷺ « إذا غضبت فاسكت » وقال ﷺ « من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » وقال الله تعالى فى معرض المدح لهم «والكاظمين الغيظ » .

ثانيهما : هو الحلم عند الغضب ، وقد أجمع العلماء على أن أفضل الأحلام ، الحلم عند الغضب ، والصبر عند الجزع . وقال الرسول ﷺ « إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحكم ، ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه » وقال الرسول ﷺ : « ابتغوا الرفعة عند الله » قالوا وما هى يارسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم على من جهل عليك » وعلى ذلك يكون الحلم أفضل من الكظم مثوبة وأين أهل الدرجات من أهل المثوبات .

ثالثهما : هو العفو والصفح ، وهى درجة لايقدر عليها إلا من اتصفوا بالايمان واليقين ويتضح عظيم درجتها من قوله تعالى « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، وقال «وإن تعفوا أقرب للتقوي » وقال « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » .

رابعهما : وإذا لم يستطع الانسان أن يكظم غيظة أو يحلم أو يعفو ويصفح فعليه أن يتبع الأساليب الأخري التى أشار بها الرسول ﷺ وهى تغير الوضع أو القيام للوضوء فقد قال الرسول ﷺ « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء ، فانما الغضب من النار » .

(ب) تنمية الإرادة بممارسة الحب :

الحب والكره حالتان نفسيتان وليدة أسباب يبدو لنا بعضها ويخفى عنا البعض الآخر ، فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرها ، أو إلى تقارب الأزواق والآراء أو تباعدها أو إلى غير ذلك من البواعث ، وأما ما كان منهما من صنع الله مقلب القلوب وكذلك مايتبعها من الآثار الجبلية التى لاتنكر قرة عين ، وإشراق جبين ، وانفساح صدر ، وراحة ونعيم فى لقاء من تحب ومناجاته . وأضداد ذلك فى لقاء من تبغض . إلى هنا يقف عمل الفطرة التى رفعت عنها الأقلام ، ولكننا فى غالب الأمر نضيف إليها آثارا من صنعنا ، إذ نفرق فى المعاملة بين من نحب ومن نبغض ، ولا نسوى بينهما فى الحكم ، بل نكيل لهما بكيلين ونزن بميزانين ، فنحابى من نحب ، ونغضى عن هفواته ، ونتحامل علي من نكره ، ونغطى على حسناته . وهذا هو الحوار الذى نهانا الله عنه، إذ يقول عز شأنه « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي » [٦٧] ويقول «ولايجرمنكم شنآن قوم علي ألا تعدلوا » [٦٨] هكذا يحملنا الإسلام مسئولية عملنا ،

وعافانا من كسبنا ، فلم يكلفنا اقتلاع عاطفة الرضا ونازعة السخط من أنفسنا ولا كف آثارهما الجبلية ، ولكن كف آثارهما الاختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا فى ذلك الأسوة الحسنة بصاحب الخلق العظيم فقد كان الرسول ﷺ يعد حق العدل بين زوجاته ثم يقول « اللهم هذا جهدى فيما أملك ولاطاقة لى فيما تملك ولا أملك » (٦٩)

جـ - تنمية الإرادة بالصبر والتنفيس عن المشاعر :

ترى الناس إذا أصابهم مايكرهون أندفعوا فى هلع هالع ، وجزع خالع اعتذروا بشدة الصدمة الأولى ويعجزهم عن الصبر والتحمل ، كلا أنها حجة داحضة ولله الحجة البالغة ، فإن للحزن أثراً طبيعيا لاجناح فيه ، وإنما السبيل على قول الهجر ، وفعل المنكر الذى تبرأ منه الفطرة .

ها هنا أيضا تجد فى مشكاة الشريعة من الأضواء الباهرة ، مايكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود ، ففى أمر الصحيح الذى يرويه البخارى أن النبى ﷺ دخل على إبنه ابراهيم وهو يعالج سكرات الموت ، فلما رآه رق له قلبه ، وجعلت عيناه تذرفان الدموع ، فقال له عبدالرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله !! فقال ياابن عوف إنها رحمة ، ثم قال « *انها العين تدمع . والقلب يحزن ولانقول إلا مايرضى ربنا* وإننا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية *والنفسية التى* ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال *التى* تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها محض علمنا ، واقعة تحت مسئوليتنا(٧٠).

وهكذا نتعلم من الرسول ﷺ الصبر عند الشدائد، والصبر يأتى بتنمية الإرادة وتدريبها وتكرار هذه التدريب فى كثير من المواقف حتى يصبح الصبر عادة للإنسان وصفة من صفاته ، ولن يتحقق ذلك إلا بتنمية الإرادة .

كما تعلمنا من الرسول ﷺ كيف نعبر عن مشاعرنا ، وكيف ننفس عن مشاعرنا وخاصة السلبية منها مثل الحزن ، فالتعبير عنها وتنفيسها فيه راحة للنفس ، وتنمية للإرادة ، وقد وصفه الرسول ﷺ بأنه خير ، خير للانسان ، وخير للمجتمع الذى يحيط به ، ولكن يصاحب هذا التنفيس للتحكم فى أقوالنا وأفعالنا المصاحبة لهذه المواقف المحزنة حتى لانفعل ما يغضب الله أو نتلفظ بما لايرضيه ، وأى تنمية للإرادة بعد ذلك إن الشريعة الباهرة وضحت لنا مسئولياتنا وحدود سلوكنا فى مثل هذه المواقف بما يؤدى إلى تنمية الإرادة .

ان الله سبحانه وتعالى لايطلب منا أن نكبت غرائزنا ، ونغير من تكوينها ، ولكنه يعلمنا كيف نوجهها ، ونضبط سلطانها ، وننظم آثارها العملية حتى لانصبح عبدا لغرائزنا ، وصفافا أمام مشتهياتها ورغباتها ، وبدلا من ذلك علمنا كيف نغير اتجاهها ونحوله إلى مسار آخر إن استطعنا ، أو نوقف سيرها فى الظروف التى تتطلب ذلك .

د- تنمية الإرادة بتحويل اتجاه بعض الغرائز أو وقف سيرها :

فقد علمنا القرآن الكريم كيف يكون موقفنا أمام الحاح رغباتنا الجامحة ، فطورا يأذن لنا أن نشبع رغباتنا بأسلوب آخر نستبدل فيه الحلال بالحرام ، والطيب بالخبيث ، وطورا يوجهنا نحو معالى الأمور وأسماها شأنا وأرفعها قدرا ، وهذه هى رتبة الصفوة الخاصة ، ولكنه لا يأمرنا بترك التشهى والتمنى اطلاقا ، ولكنه يرسم لنا أهداف هذا التمنى ، فلنستمع له حين يقول ، ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض (٧١) ثم يقول : « واسألوا الله من فضله » (٧٢) . وهذا نفسه هو الأدب الذى أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه إذ قال : « ولاتمدن عينيك إلي مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . ورزق ربك خير وأبقي » .

(هـ) تنمية الإرادة بالإيحاء :

كثيراً ماينصح رجال التربية باستخدام الإيحاء عامة والإيحاء الذاتى خاصة فى تنمية الإرادة ، ويعرفه بعضهم « بأنه فكرة أو تنبيه عقلى ينادى المشاعر أكثر مما ينادى العقول » (٧٣) .

ويعرفون الإيحاء الذاتى بأنه « هو إيحاء نوجهه إلى أنفسنا » (٧٤) ويشترطون لتأثير الإيحاء فى أى ميدان من الميادين بوجود رغبة فى عمل ماقبل الإيحاء ، كما يجب أن تكون الرغبات والعادات الشعورية مهيأة لقبول تلك الأفكار الموحى بها ، كذلك يجب ألا تتعارض تلك الإيحاءات الجديدة مع الإيحاءات الأخرى العميقة التى ثبت الامتناع بها قبل الإيحاء الجديد (٧٥) .

والشرط الأخير الهام لتأثير الإيحاء أو ذاك يمكن تحقيق الرغبات به عملياً (٧٦) .

أما تنمية الإرادة بالإيحاء كما جاءت فى التربية الإسلامية ، فإنها تشبه الوسائل الإيحائية لدى علماء النفس غير أن نظرة الإسلام تختلف من حيث المصادر التى يستوحى الإنسان منها الشعور بقوة الإرادة ، فإن علماء النفس إذا كانوا ينصحون بصفة عامة بالإيحاء الذاتى ، فإن الإسلام ينصح بهذا الإيحاء على أساس استمداده من القوة الروحية مثل الاستعانة بالله وبقوته ، ولهذا قال الرسول لابن عباس عندما كان صغيرا « ياغلام إنى معلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك » (٧٧) .

وعن مصادر الإيحاء الذاتي بالقوة الاعتزاز بالإيمان بالله يقول تعالى « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب . والعمل الصالح يرفعه . والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور» (٧٨) .

وإن من حق المؤمن أن يعتز بايمانه بالله وباتباعه الطريق السوى طريق الهدى والصلاح وهو طريق الإسلام « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون»(٧٩). ولهذا أمر الإسلام أن يكون المؤمن قويا لأن المؤمن القوى أحب إلى الله وخير من المؤمن الضعيف فقال الرسول ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف (٨٠) » . ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيذ من الضعف والعجز أو الشعور بالضعف والعجز وكان يقول « اللهم أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل » (٨١).

و – تنمية الارادة بالزهد في متع الدنيا :

إن الزهد فى متع الدنيا والتقليل من العادات الضارة فى المأكل والمشرب والملبس مثل الافراط والشره والطمع والحرص على جمع المال يجعل الإرادة الإنسانية تخضع لصوت العلم والعقل والأخلاق لا الغرائز والدوافع الفطرية وهذا يقتضى تدريبها أو لإخضاعها لهذه الأمور ، وتربيتها بالسير فى ضوء الحكمة والأخلاق ، لابد الارادة إذا أصبحت حرة بدون قيد أو شرط قد تستقيم ، وقد تنحرف ولاضمان للاستقامة المستمرة ما لم تتدرب على التقيد بالقيود الفعلية والعملية والأخلاقية .

فإن لم يدرب الانسان إرادته على مغالبة تلك الدوافع البيولوجية والسيكلوجية سيكون مغلوباً على أمره ، ولايمكن أن يكون صاحب خلق ، لأن كثيرا من مبادئ الأخلاق لاتتكون إلا عن ذلك الطريق أى بمخالفة الدوافع الطبيعية (٨٢) .

ز – تنمية الإرادة بالتأمل والتفكر :

إن الإرادة تقوى بالتأمل والتفكر وذلك عن طريق أعمال الفكر بالإرادة مدة معينة فى كل ساعة أو فى كل يوم فى موضعات معينة ، لأن التفكير والتأمل المركز على ذلك النحو يقوى الإرادة من ناحيتين :

١ – العمل العقلى كالعمل العضوى فيما ينفق فيه من بدل الجهد وتوجيهه إلي موضوعات معينة بإرادة ، فكلاهما رياضة بالنسبة للإرادة ، ولهذا نجد بعض علماء النفس ينصحون بذلك لتقوية الإرادة (٨٣) .

٢ – إن الإرادة تقوى إزاء عمل أو أعمال يرى الإنسان وضوح الحق فيها وزوال الشك منها ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للإرادة ، ودافعة إلى العمل بموجبها ، وتوجية التفكير والتأمل إلى الموضوعات وسيلة لجلاء الحقائق فيها ، ولإدراك مايترتب عليها .

ولهذا نجد الإسلام يدعونا باستمرار إلى التأمل والتفكير فى الموضوعات المختلفة وفى المناظر المثيرة والمدهشة فى الكون وفى المبادئ التى جاء بها فيقول تعالى مثلا « قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثني وفرادي ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة» (٨٤).

ويبين الله أن من يتفكر فى دلائل الله وآياته يهتدى إلى الحق فقال : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذا النار » (٨٥) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج العملاء عن طريق تنمية الإرادة كأسلوب هام من أساليب التنمية النفسية ، يعرف جيدا أن هذه الفئة من الناس أحاطت بهم الضغوط البيئية القاسية ، والتى ترتب عليها الكثير من الضغوط الداخلية النفسية ، والمؤلمة التى جعلتهم يندفعون وراء أهواء الشيطان وأهوائهم وميولهم الشخصية فينحرفون ويرتكبون شتى أنواع السلوك المنحرف أو تواجهه الكثير من المشكلات ، مما يجعلهم فى مسيس الحاجة إلى من يقف بجانبهم ويساعدهم ويحررهم من تلك الضغوط المؤلمة سواء كانت بيئية أو نفسية ، وهنا يظهر دور الأخصائى الاجتماعى الذى يحاول تقوية إرادتهم وتربيتها عن طريق مساعدتهم أولاً على التحكم فى مشاعرهم ، وخاصة السلبية منها مثل كظم الغيظ والحد من الغضب .

ولكن الأخصائى الاجتماعى يحاول مساعدة العملاء فى إفراغ هذه الشحنات الأنفعالية بصورة إيجابية بدلا من إفراغها بصورتها السلبية ، فهو يعلمهم أولا كيف يواجهون الشيطان ووساوسه عن طريق الوصفة النبوية الشريفة ، وهى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، ثم بعد ذلك يتيح لهم الفرص التى تسمح لهم بالحركة والنشاط الذى يغير من وضعهم الذى كانوا فيه عند ثورة الغضب ، ثم يطلب منهم الوضوء ، لأن الماء يطفئ نار الغضب وثورته كما قال الرسول ﷺ ، ثم يخطط فهم بعض البرامج والأنشطة المختلفة التى تمتص هذه المشاعر ، وتنفس تلك الأنفعالات .

فعل الرسول ﷺ عندما توفى ولده إبراهيم فقد أدمعت عيانه وأحس بمشاعر الحزن والألم على فراقه ولكنه تحكم فى هذه المشاعر السلبية وأفرغ تلك المشاعر بتعبيرات لفظية ، ولكن بما يرضى الله ولايغضبه والتربية الإسلامية لاتمنعنا من التألم والتعبير عن المشاعر وفى نفس الوقت تعلمنا كيف نتحكم فيها وتغير من نتائجها بما يعود على نفس الراحة والطمأنينة دون انحراف ودون أى معصية لله .

ثم يلجأ الأخصائى الاجتماعى لتنمية إرادة العملاء بالأسلوب الثانى ، وهو الحب وذلك عندما ينشط إرادتهم بالعلم الذى يمنحها القدرة على العمل ، فيعلمهم كيف يتحاب، وكيف يتساوون جميعا فى الحقوق والواجبات جاعلاً من نفسه القدوة الحسنة

والمثال الطيب الذى يتعلمون منه ويقلدونه ، فهو يحبهم جميعا كما خلقهم الله ، لا كما يجب أن يكونوا .

وليس معنى ذلك أنه يحب ولايكره ولاينفعل ، فهو كبقية البشر يحب ويكره ، يسعد ويشقى ، يرضى ويغضب ولكن الصورة التى يتحكم فيها فى مشاعره وانفعالاته ، لأن العلاج الإسلامى علمه كيف يتحكم فى تلك المشاعر ، وليس معنى ذلك أنه يكبت المشاعر الإنسانية ويمنعها ، ولكن يتحكم فيها ويعبر عنها بالانفعالات والكلمات التى لاتؤذى أحداً ولاتغضب الله وفى نفس الوقت لديه القدرة على استغلال النتائج وتطويعها لصالح العلاج .

وعندما يظهر الأخصائى الاجتماعى بهذه الصورة أمام هؤلاء العملاء المنحرفين ، سيتعلمون منه الحب ، ويتأثرون بارادته القويه ، فتقوى إرادتهم ويصبحون قادرين على التحكم فى مشاعر البغض والكراهية حتى لاتتصرف بالسلوك المنحرف ، بل يعرفون كيف يوجهونها الوجهة التى تعود عليها بالفائدة ، وهذا ما يسمى بتغيير الاتجاه وهو الأسلوب الثالث من أساليب تنمية الإرادة ، أما بعض الغرائز التى لايمكن إشباعها عن طريق تحويل الاتجاه ، ولايمكن التحكم فيها فإن الأخصائى الاجتماعى يساعدهم على وقف سيرها ، ومنعهما عن طريق تربية النفس ومجاهدتها بألوان العبادات المختلفة مثل الصوم والصلاة والزكاة .

كما يمكن للأخصائى الاجتماعى تقوية الإرادة وتربيتها عن طريق الإيحاء الذى يستمد من القوة الروحية مثل الاستعانة بالله وقوته والإيمان به والاعتزاز بقدرته وقته ، باتباعه الطريق السوى ، طريق الهدى والصلاح ، وهو طريق الإسلام ، وكثيراً ما ينجح الايحاء فى المواقف التى لايصلح فيها التصريح والتوجيه المباشر ، وعندما يحاول الأخصائى تطبيق الإيحاء فى تقوية إرادة العملاء ، فإنه يساعدهم على أن يتخيلوا بعقولهم مايريدون عمله ويعبروا عنه تعبيراً دقيقاً ، ثم يساعدهم على أن يذكروا بدقة وعناية فى العقبات والأسباب التى تمنع تحقيق مايريدون ، وماهى المشاعر التى تحول دون السير فى خطوات العلاج المناسبة ، ثم يساعد كلا منهم على أن يستشعر فى نفسه القوة والقدرة ، على ممارسة تلك الأساليب العلاجية ، وعندئذ تقوى إرادته ويصبح على استعداد لممارسة الأساليب العلاجية التى يقترحها عليه الأخصائى الاجتماعى ، وبذلك يتم تقويم الانحراف وتعديل السلوك وعلاج المشكلات .

أما أسلوب الترك والمنع والزهد فيما ترغبه النفس وتهواه ، فهو أسلوب آخر من أساليب تنمية الإرادة وتقويتها .

ولذلك فان الأخصائى يقف بجانبه يشجعه ويوجهه ، يساعده ويعينه ، مستعيناً بالحب والمودة والثقة فى مساعدته على رياضة النفس ومجاهدتها عن طريق كفها ومنعها عما تحبه وتشتيه ، ويدربه على ذلك بالصبر والتدريب إلي أن يصبح قادراً على الاستغناء عن كثير من ملذاته ، متحكماً فى كثير من غرائزه وشهواته ، ويستعين الأخصائى الاجتماعى فى ذلك بممارسة العبادات المختلفة مثل الصوم والزكاة والصلاة.

وعندما تقوى الإرادة تنضج الشخصية وتنمو ، ونمو الشخصية ونضجها هو هدف العلاج الإسلامى ، حيث الشخصية الناضجة قادرة على مقاومة الانحراف والابتعاد عن السلوك المنحرف ، وتصبح شخصية متوافقة تلتزم بآداب التربية الإسلامية .

وهناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها ، وهو التأمل والتفكر فى الموضوعات المختلفة ، لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك مايترتب عليها من خير وشر ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكثر جاذبية للإرادة ، ودافعه إلى العمل بموجبها .

وبهذا الأسلوب الإسلامى فى تنمية الإرادة يستطيع الأخصائى الاجتماعى مساعدة العملاء وتنمية نفوسهم بما يساعد على تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم ويصبحون قادرين على أداء أدوارهم الاجتماعية فى المجتمع كأفراد أسوياء بعد أن عرفوا مكانهم على الطريق المستقيم الذى وجهتم إليه التربية الإسلامية .

وهناك أسلوب آخر لتقوية الإرادة وتربيتها وهو التأمل والتفكير فى الموضوعات المختلفة ، لأنها وسيلة لجلاء الحقائق وإدراك مايترتب عليها من خير وشر ، لأن الحقيقة كلما كانت واضحة يقينية كانت أكير جاذبية للإرادة ، ودافعه إلى العمل بموجبها .

وبهذا الأسلوب الإسلامى فى تنمية الإرادة يستطيع الأخصائى الاجتماعى مساعدة العملاء ، وتنمية شخصياتهم ، وتنمية نفوسهم بما يساعد على تقويم انحرافهم ، وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم ويصبحون قادرين على أداء أدوارهم الاجتماعية فى المجتمع كأفراد أسوياء بعد أن عرفوا مكانهم على الطريق المستقيم الذى وجهتهم إليه التربية الإسلامية .

٢ - تنمية الضمير :

الضمير هو صوت ينبعث من أعماق الصدور ، آمراً بالخير أو ناهياً عن الشر ، وإن لم ترج مثوبة ، أو تخش عقوبة .

وخلاصة مايمكن استخلاصه من تعريفات للضمير هو الرأى المختار الذى يأخذ من كل من الآراء المتقدمة بطرف ويطرح منها ما كان مثاراً وكان مثاراً للنقد والاعتراض وذلك هو القول بأن الضمير قوة فطرية فى كل إنسان ، وإن كان للتنمية العقلية والأدبية

دخلا فى نموها وتحقيق كمالها ولعل هذا ما أراده الإمام الغزالى عندما سماه أولا (نورا إلهياً) مما يمكن تفسيره بأنه قوة فطرية وثانياً (معرفة) مما يبيح لنا القول بزنه قابل كذلك للتأثير فى نموه وكمال حقيقته بعوامل التربية (٨٦) .

ان التربية القرآنية اهتمت بقيمة الضمير وتهذيب الشعور الأخلاقى ، ومن أمثلة هذه التربية قوله فى التنفير عن الغيبة « ولاتجسسوا ، ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخية ميتا فكرهتموه» (٨٧) وبذلك صور هذه الجريمة فى أبشع صورة تتقزز منها النفوس ، وفى النهى عن الكبر والعجب والخيلاء « ولاتمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » (٨٨) .

ومن التحذير فى التسرع على الآخرين قوله تعالى « فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي مافعلتم نادمين » (٨٩) .

فانظروا كيف حذرنا مقدما من عمل ماقد يترتب عليه تأنيب الضمير ووخزه ثم انظر كيف نفرنا القرآن من جريمة الزنا « ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » (٩٠) وفى الحث على غض البصر وطهارة الذيل « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكي لهم » (٩١) هذه قطرات من بحر ، ففى القرآن الكريم أكثر من ألف موضع يدعو فيها إلى الفضيلة لما فيها من طهر وسمو ، وينهى فيها عن الرذيلة لما فيها من فحش وسقوط ، بغض النظر عن كل اعتبار آخر غير الاعتبار الأخلاقى ، هذاهو تقدير الأعمال بقيمتها الذاتية وذلك كله ايقاظا لضمائرنا وانارة السبيل أمام أحكامنا الأدبية .

فى كل هذه الأمثلة رأينا القرآن يزود محكمة الضمير بالمصابيح التى تبرز أمامها كل عمل من أعمالنا ، وتصور ما فى طبيعته من حسن وجمال ، أو تشويه ودمامة ، أو خير وشر ثم رأيناه يعرض علينا عمل هذه المحكمة فى تحضير قضاياها ، وفى أصول أحكامها (٩٢) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى فى علاج المشكلات الاجتماعية يعرف جيدا أن القانون الأخلاقى قد طبع فى النفس الانسانية منذ نشأتها «ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها » (٩٣) غير أن هذا القانون الأخلاقى المطبوع فينا ناقص وغير كاف وذلك لأن هناك مؤثرات كثيرة قد تكون بيئية أو وراثية ، أو مصالح مباشرة أو عادة من العادات المؤثرة ، وكلها تلقى أنواعا من الظلال على نور البصيرة الفطرى ، كما أن الضمير فى بعض الأحيان ، قد يتأثر بدرجة كبيرة بتلك المؤثرات المختلفة ، وعندئذ يقوم الأخصائى الاجتماعى بمحاولة ايقاظ تلك الضمائر ، وازالة الغشاوة عن النور الفطرى الذى أودعه الله فى الناس جميعا ، وبذلك يظهر النور الفطرى وينتشر ، ويملأ جوانب النفس .

هكذا يستطيع الأخصائي الاجتماعي تقويم علاج مشكلات عملائه ، وتعديل سلوكه بعد أن أيقظ الضمير النائم ، وأنار البصيرة المظلمة وأصبح للإرادة قوة وفعالية تحفزها للعمل . والأخصائي الاجتماعي يستعين في ذلك بشتى أساليب التربية الإسلامية لتحقيق هذا الهدف ، وليس معنى ذلك أن الأخصائي يسعى إلى الأخلاق المثالية ويطلب الوصول إلى الكمال حيث أن الكمال لله وحده ، ولكنه يسعى إلى الأخلاق الحقيقية التي تضع الضمير الانساني في وضع متوسط بين المثالي والواقعي ، وتجعله يدمج بينهما ، النفس ، قوى الأرادة ، متزن الضمير .

والأخصائي الاجتماعي الذي يطبق العلاج الإسلامي عن طريق التنمية فإنه يسترشد بالتربية القرآنية في تنمية الضمير وتدريب الإرادة وتقويتها ، وذلك عن طريق العبادات المختلفة مثل تنمية الإرادة بالصوم والصلاة والزكاة .. الخ من بقية العبادات .

فمثلا تنمية الإرادة بالصوم الذي يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات (أذق بنفسك ألم الجوع والعطش بامتناعك عن الشراب والطعام خلال ساعات محدودة ، إنه أولا ، وقبل كل شئ ،نوع من التدريب المفروض على الإرداة الانسانية ، حتى تحصل منها على قدر من الانتظام والثبات في خضوعها للارادة الالهية . ولما كانت ارادتنا سيدة نفسها ، من حيث سيطرتها على البدن ، ولكنها نائبة الرئيس إن صح هذا التعبير – أمام الخالق – فان مهمتها أن توفق بين هذين الأمرين ، باتباع احدهما للآخر ﷺ وخيرها يكمن في التزام بدور الوسيط الذي يعرف قدر نفسه . وشرها في ان تقلب هذا النظام الأصلي ، فتتردى إلى أسفل ، وتكون مسترقة للشهوات .

وهكذا تلتقي نائبة الرئيس (أي الإرداة) بمناسبة عمل أحد أمرين متعارضين ، في كل يوم مرتين ﷺ أحدهما بأن تكف ﷺ والآخر بأن تعمل فإذا ماحرصت ارادتنا على القيام بتنفيذ هذين الأمرين في مجالها الخاص ، ومن أن تعيد نفس التدريب خلال الشهر ؟ فياله من ترويض لتلك الإرادة !! » (٩٤) .

أما إيقاظ الضمير وتنميته فيستطيع الأخصائي الإجتماعي تحقيقه بتعليم الصلاة وتعويدهم عليها ، ووجوده معهم باستمرار أثناءها وخاصة بالمسجد ، ثم يقوم بتوضيح أهدافها وفوائدها ، حتى يتوجه إلى الله بفكر خالص .

وعندما يتعلم العميل الصلاة ويخلص في أدائها ، سيستيقظ ضميره ، وتقوى إرادته ، وينجح الأخصائي الإجتماعي في تقويم إنحرافه وتعديل سلوكه وعلاج مشكلاته .

٣ – رياضة النفس ومجاهدتها :

رياضة النفس ومجاهدتها هي محاولة السيطرة عليها والتحكم فيها « بفطمها عن العادات المألوفة ، والشهوات المرذولة ، واللذات المحرمة ، وتدريبها على مخالفة ماتهواه

فى كل وقت وحين ، فاذا انهمكت النفس فى الشهوات وحب احكام لجامها بالتقوى والخوف من الله وإذا توقفت عن القيام بالطاعات ساق الإنسان نفسه بسياج الخوف ، فخالف هواها ومنع عنها حظوظها » (٩٥) .

ورياضة النفس ومجاهدتها تتم بالمراقبة والمحاسبة ، لأن الانسان عندما يعلم أن الله يراقبه ويطلع على سره وجهره ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد عندئذ يحاسب نفسه ويضبط جنوحها ويلتزم طريق الحق فيعتدل السلوك ويقدم الانحراف .

والنفسى اذا تركت دونما تهذيب وتربية وتأديب ، انحرفت عن الاستقامة ، وسارت فى طريق الغواية ، واندفعت إلى النقائص ، وابتعدت من السواء .

هذه الحالةالسيئة للنفس البشرية ، ومايترتب عليها من شحنات المشاعر السلبية التى ظهرت فى صورة القلق والاضطراب ، والرعب والفزع ، والحقد والحسد والعدوان ، من الأعراض التى يعانيها العملاء ، وتجعلهم فى مسيس الحاجة إلى العون والعلاج ، وعندئذ يقوم الأخصائى الإجتماعى بتطبيق مراحل الرياضة النفسية كما يلى :-

أ - تفريغ الطاقة النفسية :

من وسائل الإسلام فى تربية الانسان وفى علاجه كذلك ، تفريغ الشحنات المتجمعة فى نفسه وجسمه أولا بأول ، وعدم اختزانها إلا ريثما تتجمع للانطلاق ، وبذلك يقى النفس من كثير من أنواع الانحراف المعروفة فى علم النفس .

وهذه العملية هى التى يسميها علم النفس بالإفراغ الوجدانى أو التنفيس الوجدانى لتلك المشاعر والأحاسيس - التى تمثل ضغوطا داخلية على نفس الانسان وتجعله يعانى من التوتر والقلق ، ذلك التوتر الذى يدفعه إلى الانحراف أو ارتكاب السلوك المنحرف - أو الوقوع فى المشكلات من أساليب تفريغ الطاقة ولكن بطريقة سلبية .

ولذلك يحرص الإسلام على افراغ النفس من سلبياتها وتحليتها بأضدادها وبذلك يملأ فراغ النفس بما يدعمها ويطهرها وينقيها ﷺ فيستبدل الخوف أمنا ، والكراهية حبا ، وتتبدل النفس الأمارة بنفس لوامة ، تتقبل كل تعديل ، وتسعى لكل تغيير يعود عليها بالنجاح والفلاح ، وعندئذ تبدأ النفس فى الرياضة والمجاهدة .

والعلاج الإسلامى يفرغ هذه الطاقة ، ويطلق شحنتها بطريقة إيجابية يحقق فيها الإنسان كيانه ، ويحسن بذاته .

والأخصائى الإجتماعى يحاول اتباع نفس الأسلوب مع الأحداث المنحرفين ، فهم غالباً مايعانون من مشاعر الكراهية لأنفسهم وللمجتمع ، فتدفع بهم تلك المشاعر إلى

الانتقام من المجتمع بارتكاب أساليب السلوك المنحرف التي يسعى الأخصائي الإجتماعي إلى علاجها ولذلك يعمل على تفريغ تلك الطاقة ، وتخلية النفس من مشاعر الكراهية ، بتوجيهها للشيطان تارة ، ولاعداء الإسلام تارة أخرى ، ولكل سلوك منحرف أو صفات مذمومة أو أخلاق سيئة وبذلك يتحررون من ضغوطها ويستريحون من توتراتها ويستبدلونها بألوان أخرى من المشاعر الايجابية التي تدعم كيانها وتبنى نفوسهم فلا تنحرف ولايصيبها الاضطراب .

وعلى هذا النحو ذاته يفرغ الاسلام الطاقة الحيوية فى الجهاد والزرع والانتاج والتعمير تفريغا بنائيا إنشائيا ، يهدم الباطل ويزيل مايخلفه من أنقاض ، ويبنى فى مكانه الحق والعدل ويعالج بذلك بناء النفس فلا تنحرف ولايصيبها اضطراب [٩٦] .

والأخصائى الإجتماعى الذى يستخدم العلاج الإسلامى لعلاج عملاء الخدمة الاجتماعية فإنه يسير على نفس النهج ويهتدى بتربية الإسلام ، ويعمل على افراغ الطاقة والتنفيس عن المشاعد السلبية منها والايجابية ، حتى لاتسبب ضغوطا نفسية ، توترات واضطرابات تدفع العميل إلى افراغها فى ألوان السلوك المنحرف الذى يهيأ له.

ب - شحن الفراغ النفسي :

كما يفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس كلما تجمعت ، ولايحتزنها دون ضرورة ، فإنه في الوقت ذاته يكره الفراغ ، فالفراغ مفسد لا فس ، إفساد الطاقة المختزنة بلاضرورة ، وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية ، لملء الفراغ ، ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الانسان لملء الفراغ [٩٧] والإسلام حريص على تحلية النفس بالأوصاف المحمودة كالمحبة ، والشفقة ، والرحمة ، والتسامح ، والايثار ، والاخلاص والصدق فى مجاهدة النفس .

وكما إهتم العلاج الإسلامى بملء الفراغ الذاتى للانسان فقد اهتم أيضا بملء الفرغ البيئي ، لأن كلا منهما يتمم ويكمل الآخر ، ولذلك أوضح لنا بعض أساليب ملء الفراغ عن طريق العبادة وذكر الله فى القلب ، وغفوة الظهرية فى الهاجرة ، السمر البرئ مع الأهل والأصحاب ، وزيارة الأقارب والمعارف والأصدقاء ، والدعابة اللطيفة النظيفة ... إلى آخر أنواع الترويح .

ولكن المهم ألا يوجد فى حياة الإنسان فراغ لايشغله شئ ، أو فراغ يشغله الشر والفساد والتفاهة ، وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلين وأعيادها ومواسمها وطرائق حياتها ، لم يترك ذلك فراغا يتحير المسلمون فى ملئه أو يملاؤنه ، دون شعور منهم فيما لايفيد، بل جعل لهم فى الحال عادات أخرى وأعياد ومواسم وطرائق حياة ، تملأ الفراغ .

وتلك من أنجح الوسائل فى تنمية النفس وعلاجها ، وخاصة حين تمنع النفس – لتقويمها – من شئ من رغائبها فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة هى إيجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها ، أو لرغبة سواها فالنفس من الداخل كلها وثيقة الاتصال (٩٨) .

وتحلية النفس بالتوقى ومخافة الله ومحاسبتها وضبط جنوحها وإلزامها بطريق الحق وحفظها عن الآفات والنقائص، بعد تخليتها من عيوبها ليست بالعملية السهلة على الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى تقويم انحراف عملائه ، لأنها عملية متصلة بعيوبهم وذنوبهم وسلوكهم الانحرافى والتى غالبا ماتكون مخجلة ومؤلمة ، وكثيرا ماقابلها المجتمع بالعقاب أو التأنيب والتوبيخ ، ولذلك يظهر العميل كثيرا من ألوان المقاومة لعملية التخلية والتحلية « وعندئذ يبذل الأخصائى الاجتماعى مزيدا من الجهد إلى أن ينجح فى تكوين علاقة المحبة والمودة والاحترام المتبادل ، التى تكسبه ثقه العميل كاملة ، فينجح الأخصائى فى تحطيم كل ألون المقاومة ويبدأ فى عملية التغيير ، فيشعر بالزمن والطمأنينة بدلا من الخوف والقلق وهنا ينتهز الأخصائى الاجتماعى الفرصة ليشحن فراغ النفس بعد تحليتها بمفاهيم إيجابية جديدة ، ومبادئ سامية قوية ، وعندئذ تتغير حال النفس وتتطبع بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة ، وتسلك طريقا أكثر أمنا وأعظم أملا وأكثر سعادة .

جـ – التوبة :

التوبة هى الأسلوب الثالث من أساليب الرياضة النفسية بعد عملية افراغ الطاقة وعملية ملء الفراغ ، حيث يصبح الإنسان فى حالة نفسية جيدة تجعله قابلا للتعديل والتغيير ، ومن هنا يبدأ العلاج الإسلامى عن طريق التوبة .

فهى أسلوب علاجى مضمون يغفر به الله ذنوب من أساء ، وهى أسلوب وقائى مضمون يمنع الإنسان من العودة إلى الذنوب ، وهى رصيد مفتوح لمن يخطئ فيستغفر الله ، فيغفر له ، لأن الله يغفر الذنوب جميعا ، لأن الله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وقد ورد في الحديث الشريف « التائب حبيب الرحمن ، التائب من الذنب كمن لاذنب له » والنبى ﷺ كان يستغفر فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة .

وجاء فى معنى الحديث الشريف « من لزم الاستغفار يجعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ويرزقه من حيث لايحتسب »

ومن ذلك نرى أن التوبة هى الباب المفتوح للعاصين ، كما أنها الدرع الواقى للمؤمنين الصالحين ، وقد ورد ما معناه لو لم تذنبوا ، وتستغفروا لذهب الله بكم ، ولأتى بغيركم يذنبون ويستغفر الله لهم .

د – الرياضة النفسية بالأضداد :

الرياضة النفسية هى مجاهدة للنفس المريضة بأضدادها وذلك برياضة النفس الشحيحة على الانفاق ، واكراه النفس الشهوانية علي التعفف ، ودفع النفس الأنانية إلى البذل والتضحية ، وحث النفس المختالة المزهوة على التواضع واستنهاض النفس الكسولة إلى العمل ، وبمعالجة الضدد بالضدد تصل النفس إلي الوسط العدل ، وهو صراط الحكمة وهو حظ الناصحين من البشر .

ولاتتم المجاهدة إلا بالمراقبة ، والمراقبة هى أن يعلم الإنسان أن ربه يطلع على سره وجهره ، وأنه يصل إلى تمام المراقبة إلا بعد المحاسبة ، والمحاسبة عملية ضبط لجنوح النفس والتزام طريق الحق ، وحفظها عن الآفات والنقائص .. (٩٩) .

والأخصائى الإجتماعى الذي يطبق العلاج الإسلامى مع العملاء ، يساعدهم على فطام أنفسهم عن كل سلوك منحرف ، وذلك عن طريق التربية الإسلامية فى تعالجهم بالأضداد كما سبق ذكره ، وتعلمهم تقوى الله والخوف من عقابه ، ويقوى فى نفوسهم الإيمان الذي يجعلهم يوقنون بأن الله مطلع على سرهم وجهرهم ، وعندئذ يعرفون طريق الحق ويصلون إلى درجة المحاسبة . وعندها يتم ضبط جنوح النفس ، ويتم علاج السلوك المنحرف ، عن طريق رياضة النفس ومجاهدتها .

ويصدق فيها قول الحق سبحانه وتعالى :

« يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلي ربك راضية مرضية ، فإدخلى في عبادئ وادخلى جنتي » .

ولكى ينجح الأخصائى الإجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج الصلاة عن طريق الرياضة النفسية ، فلا بد أن يعلمهم خصال أربعة (١٠٠) .

١ – معرفة الله تعالي :

ومعرفة الله لاتقتصر على القول والامتناع والاعتقاد فحسب ، بل الإيمان قولاً وفعلاً أن لا إله إلا الله وهذا هو ذروة التوحيد .

٢ – معرفة عدو الله إبليس :

وتصدق معرفة الإنسان لعدو الله وعدوه إبليس بمحاربته فى الظاهر والباطن ، ومخالفة كل خاطر شيطانى ، يهجم على النفس ، والتعوذ الدائم من وسوسة الشيطان وتهاويله وأباطيله « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » (١٠١) .

٣ - معرفة النفس الأمارة بالسوء :

لقد تعلمنا من القرآن الكريم أن النفس أمارة بالسوء فى قوله تعالى «وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » (١٠٢) وكل نفس لها أمانى تود تحقيقها ، وشهوات لاتشبع منها ، وآمال فى الدنيا لاتنتهى والعملاء المنحرفون قد أطاعوا نفسهم الأمارة بالسوء ولم يستطيعوا مجاهدتها، لأنهم مازالوا يعانوا من شتى الضغوط الداخلية والخارجية وينقصهم النضج وفى حاجة إلى التربية الإسلامية ، وعندما لم يجدوها ضلوا وانحرفوا .

ولهذا فإن الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يحاول إعادة تربيتهم واستكمال تنميتهم عن طريق التربية الإسلامية التى لم يتعلموها ولم يسمعو عنها من قبل ، والتربية الإسلامية قادرة على إصلاح مافسد ، وقادرة على تعليمهم كيف يجاهدون أنفسهم وكيف يعرفون أنها أمارة بالسوء وعندئذ يخالفونها فى كل ماتهوى ويجاهدونها بالتقوى والخوف من الله ، بعد أن عرفوا الله حق المعرفة ، وعرفوا عدو الله وعدوهم ابليس الذى زين لهم انحرافهم ، عرفوا النفس بدوافعها وشهواتها ، وعندئذ اتجهوا إلى رياضتها ومجاهدتها .

٤ - معرفة العمل لله تعالي :

إن الدين الإسلامى دين يقوم على علاقة متينة بين الإنسان وربه خالق الأكوان ، وهو دين يطالبنا بالأعمال الصالحة التى يرضاها الله ، كما يطالبنا أن نوجه كل سلوكنا وغرائزنا وحياتنا ، توجيها يحقق الآداب والتشريعات الإلهية تحقيقا عمليا .

ذلك أن الكائن البشرى مكون من روح وجسد والإسلام أقام توازنا بين الروح والجسد ، بين الواقع البشرى الاجتماعى ، والأهداف والتشريعات الإلهية فى وقت معا.

لذلك كان لأعمال الإنسان المكانة الأولى فى نجاته من عقاب الله يوم الحساب(١٠٣) ولذلك اهتم الإسلام بالعمل لأنه مجاهدة للنفس وجهاد أكبر فى سبيل الله « وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١٠٤) ، كما قال سبحانه وتعالى « ولكل درجات مما عملوا » (١٠٥) ، « إنا لانضيع أجر من أحسن عملا » (١٠٦) « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » (١٠٧) ولقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة للعمل والجهاد تطبيقاً لمبادئ الإسلام وتحقيقاً لأحكامه .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج عملاء الخدمة الاجتماعية يعلمهم كيف يوجهون سلوكهم وأعمالهم وغرائزهم ، توجيها يحقق الآداب الإلهية تحقيقاً عمليا ، ويؤكد لهم قيمة الأعمال الصالحة وما لها من مكانة فى حق

الانسان من عقاب الله ، حيث أن العمل الانسانى هو عمل لخير الدنيا والاخرة ، ويحثهم على أن يعمل كل منهم الآخره كأنه يموت غدا ، كما يعمل كل منهم لدنياه كأنه يعيش أبداً، وعندئذ يهجرون السلوك المنحرف ، ويتوبون عن الاثم والمعصية وتعالج مشكلاتهم ويقبلون على عمل الخير ، ويكون عملهم خالصا لله تعالى .

ولذلك يجب أن تكون الرياضة النفسية نابعة من المعرفة : معرفة الله تعالى ومعرفة عدوه إبليس ؛ ومعرفة النفس الأمارة بالسوء ، ومعرفة للعمل لله تعالى ، وهو الجهاد الأكبر فى سبيله .

وإذا استطاع الأخصائى الاجتماعى تعليم العملاء وخاصة الأحداث المنحرفين تلك الصفات الطيبة ، فسينجح فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم ، ولكي ينجح فى ذلك، فلابد أن يكون القدوة الحسنة أمامهم لأن ماينشر به الأحداث يتقمصونه من القدوة الحسنة ، أكثر تأثيرا وثباتا مما يسمعونه بالقول ، ولابد من تدعيم القول بالفعل ، بذلك بعينهم على رياضة النفس ومجاهدتها .

العلاج الإسلامى بالتنمية البدنية

إن التربية الإسلامية لاتنسى تقوية البدن وتنميته حتي توجه هذه الطاقات والقدرات نحو خير الانسان وخير المجتمع ، وذلك استكمال للتنمية العقلية التى أولتها اهتماما كبيرا ، حتى تربى الإنسان المؤمن الناضج ، العقل السليم التفكير ، ولكن هل يصح العقل إذا اعتل الجسد ؟ بالطبع لن يحدث ذلك لأن العقل السليم فى الجسم السليم .

وقد عنيت الشريعة الاسلامية بكل مايكفل للانسان قوة الجسم وقوة الروح ففرضت العبادات وفرضت التذكر والتدبر فى ملكوت السموات والأرض ، وفرضت النظر والاعتبار بسنن الله فى الكائنات ، وكان فى ذلك كله تصفية الروح من أخلاق الهلع والجزع واليأس ، والجبن ، والشح ، وما إلى ذلك من الأخلاق الرديئة التى تؤدى بعزة النفس وسعادتها ، وجمال الروح وحلاوتها ، وكان فيه غرس الأخلاق الفاضلة من الصبر والمصابرة ، ورباطة الجأش والتعاون وقوة الإيمان ، والتى تدفع بالإنسان إلى عمل الخير والركون إلى جانب التقوى .

ولم تكن عناية الشريعة الإسلامية بما يحفظ على الإنسان قوة بدنه ، بأقل من عنايتها بما يحفظ عليه قوة روحه ، فقد أمرت بنظافة الجسم واعتدال المأكل والمشرب ، وطيب المسكن والهواء ، وأمرت بالعلاج عند المرض ، وبالوقاية للمرض (١٠٨) .

ثم لم تخل الارشادات الواردة فى أقوال الرسول ﷺ عن لفت الأنظار إلى أنواع الرياضة البدنية ، وقد صح أن النبى ﷺ باشر بعض تلك الأنواع بنفسه .

ومن الأنواع التى لفت الرسول ﷺ إليها الأنظار ما يلى :

أولا : الرياضة بالرمي : ويه فسر النبى ﷺ القوة المأمور باعدادها فى قول تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (١٠٩) وقال ﷺ « ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى » وكرر النبى عبارته للترغيب فى تعليم الرمى .

ثانيا : الرياضة بالسباحه : وقد روى أيضا أنه ﷺ قال « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى » فالكتابة طريق العلم والمعرفة ، والسباحة طريق الصحة والعافية ، والرماية طريق القوة والنصر على الأعداء .

ثالثا : الرياضة بالعدو (الجري) والمصارعة : كما أوصى ﷺ بالرمى والسباحة فقد ورد أن النبى ﷺ كما يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام (الجرى) ويقرهم عليه ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنا قالت : « سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته ، ثم سباقنى فسبقنى ، فقال هذه بتلك ، وروى أن النبى ﷺ صارع رجلا معروفا بالشدة فصرعه النبى ﷺ ، فقال عاودنى فى أخرى فصرعه النبى ﷺ فى الثانية ، فقال عاودنى ، فصرعه النبى ﷺ فى الثالثة : فقال الرجل : ما أقول لأهلى ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت ، فماذا أقول فى الثالثة ؟ فقال النبى ﷺ ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ، فنغرمك ﷺ خذ غنمك وأنصرف » .

رابعا : رياضة المبارزة : عن أبى هريرة أنه قال : « بينما الحبشة يلعبون عند النبى ﷺ بحرابهم ، دخل عمر ، فأهوى إلي الحصباء ، فحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ « دعهم ياعمر » وقد قال العلماء : (اللعب بالحراب ، فيه تدريب للشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو) .

خامسا : الرياضة بركوب الخيل : وقد نوه القرآن بالخيل وذكر رباطها فى إعداد القوة للجهاد « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»(١١٠) .

وصح أن النبى ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق ، وأنه كان يسابق على ناقته العضباء وكانت لاتسبق .

وإذا كان وضع الرياضة البدنية فى نظر الإسلام بهذه المكانة ، وقد نظمت فى عهدنا الحاضر هذا التنظيم الذى نشاهده، حتى سهل على الانسان أن ينتفع بها وهو فى بيته ، فجدير بالإنسان أن يحرص عليها لنفسه ولأبنائه ، وأن يقوموا بها في وقتها فينعموا بقوة الجسم ، وقوة الروح ، وبذلك يأخذون إلى السعادة طريقا وإلى الخير سبيلا ، فالتربية البدنية مكملة لأساليب التربية الأخرى .

وعندما يحاول الأخصائى الاجتماعى تطبيق العلاج الإسلامى على الأحداث المنحرفين ، فإنه يمارس معهم أساليب التربية الاسلامية المتعددة، ومنها التربية البدنية.

ولذلك يهتم الأخصائى الاجتماعى بالتنمية الجسمية للعملاء ، ويساعد على الاستمتاع بالرياضة البدنية لما لها من أثر عظيم فى تقوية الجسم ومناعته ، كما أن الرياضة الروحية ، أثر عظيم فى قوة الروح وعزيمتها .

وكما يستعين الأخصائى الاجتماعى بالخبراء والمختصين فى تنمية العقيدة الدينية والصحية والنفسية ، فإنه يستعين أيضا بالخبراء والمختصين فى التنمية البدنية حتي يدرب العملاء على أنواع الرياضة المختلفة ، بما يناسب أعمارهم وميولهم واستعدادهم ، وبذلك يشغل فراغهم فى أنشطة نافعة ومفيدة يصممها خصيصا لتحقيق أهدافه العلاجية ، وعن طريقها يعلم العملاء الكثير من العادات الطيبة والاتجاهات الصالحة ، ويبث فيهم القيم المختلفة .

وأخيرا نقول أن الخدمة الاجتماعية بأساليبها العلاجية التقليدية المستوردة من الغرب ، لم تؤت بالنتائج المطلوبة فى علاج المشكلات الإجتماعية وخاصة مشكلات الطفولة ، ولذلك اتجهت إلى التربية الإسلامية وأمنت بأنها طريق الخلاص وسبيل النجاة لكل مشكلات المجتمع ، كماأنها تشتمل على الوقاية والعلاج لما تعانية الإنسانية اليوم من ضياع الطفولة .

وكا فشلت التربية الحديثة فى تربية الأجيال ، وفشلت الخدمة الإجتماعية بأساليبها الغربية المستوردة فى علاج مشكلاتهم ، ولم تجد بدا من البحث عن بديل عنها .

وقد وجدت الخدمة الاجتماعية أن العلاج الإسلامى هو البديل الوحيد ، والدواء الناجح ، والبلسم الشافى لجميع أنواع المشكلات التى يعانى منها المجتمع والعلاج الإسلامى يقدم لنا منهجا تربويا متكاملا وأسلوبا علاجيا صالحا لعلاج كل مشكلات الخدمة الاجتماعية ، لذلك فآمنت به ، وسارت فى طريقه ، واهتدت بهديه ، واقتنعت بتأثيره ، شمرت عن ساعديها ، وقامت تحاول تطبيقه ، وتلك هى المحاولة الأولى لتطبيقه فى علاج الأحداث المنحرفين (١١١) .

ثانيا : العلاج البيئى الإسلامي

اهتم العلاج الإسلامى أيضا ببيئه الإنسان ، سواء كانت بيئة داخلية متمثلة فى الأسرة أو بيئة خارجية متمثلة فى كل الجوانب البيئية المحيطة بالإنسان وأسرته ، والتى يمكن التأثير فيها والإستعانة بها بما يساعد على نجاح أساليب العلاج الاسلامى البيئى

والعلاج الإسلامي البيني يمكن عرضه كما يلي :

١ - البيئة الخارجية :

إن الأخصائى الاجتماعى الذي يطبق العلاج الإسلامى في المؤسسات الاجتماعية مع عملائه ، يهتدى بعلاج « المنهج القرآنى الذى لم يغفل أثر البيئةوما تتركه فى النفس

من انطباعات وانفعالات ، إنها المدرسة الحقيقية التى يأخذ عنها الانسان عاداته وتقاليده ، وأن البيئة الفاسدة تدعو إلي الفساد وتجر إلي الهلاك ، وأن الانسان – لضعفه – يندر أن يقاوم عوامل الفتنة والاغراء ، ومن الصعب تكليفه بالإعتدال » (١١٢)

ولذلك أراد المنهج القرآنى ، وهو يربى خير أمة أخرجت للناس . أن توجد البيئة المناسبة لإخرج هذه الأمة وأن ييسر لها الطريق ، ويذلل لها عقباته ، ولم يفرض عليها مافرض من حدود إلا بعد أن أصلح لها ماحولها وسد عليها أبواب الشهوات . وهذه البيئة التى أنشأها القرآن والتى تمثلت فى المجتمع الاسلامى الأول هى الهواء النقى الذى يستنشق المسلم فيه عبير الحياة فيحس بالنشوة والارتياح ، فهو حيثما سار وأينما نظر لايجد إلا دوافع الطهر ودواعى العفة .

ولانجاة للإنسان إلا إذا عاد لمنهج القرآن ، وخلق البيئة الصالحة التى تنبت فيه الأخلاق الكريمة (١١٣) .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يعرف جيدا أن البيئة هى السبب الرئيسى فى انحراف الأحداث وهى المؤثر الرئيسى فى علاجهم ، ولذلك فهو يحاول تعديل البيئة المحيطة بهؤلاء الأحداث حتى تصبح بيئة نظيفة خالية من المؤثرات التى تسبب الانحراف سواء كانت بيئة داخلية مثل الأسرة أو بيئة خارجية مثل المجتمع والعمل والمدرسة والمؤسسة .. الخ من المؤثرات البيئية ، وكذلك كل المشكلات التى يعانى منها العملاء لاتحلو من تلك المؤثرات.

والمؤلف يرى تصنيف ألوان العلاج البيئى الاسلامى – الذى يصلح ممارسته فى علاج عملاء الخدمة الاجتماعية – كما يلى :

أولا : البيئة الخارجية :

١ – العلاج الإسلامي عن طريق المسجد :

كان المسجد أول مؤسسة أنشأها رسول الله ﷺ في تنظيمات المجتمع الجديد بعد الهجرة ، تعمل فى بناء الحياة الإسلامية المطهرة على أسس التوجيه السماوى رابطا عن طريقها دنيا الناس بآخرتهم ، فأصبح المسجد مركز الاشعاع الذي يزود الأفراد بالمفاهيم الصحيحة لحقائق الحياة ، فيعرفون الحلال والحرام ، والحق والواجب ، والمباح والمحظورات ، ومايستحسن ومايستهجن ، ثم أنه مركز التدريب على تحقيق معانى الإسلام فتتلاقى فيه الجماعة من الناس فتتعارف قلوبهم ، وأجسامهم ، وتتقارب مستوياتهم إذ يجد الضعيف نفسه بجانب القوى ، والحاكم بجانب المحكوم ، والفقير

على قدم المساواة مع الغنى فلا يلبثون أن تمتلئ نفوسهم بشعور الوحدة التى تفتت الفوارق ، حتى يستيقنوا أنهم كتلة متضامنة كل جزء منها لخدمة الكل وبذلك تتلاشي من نفوسهم أية مكانات أو أختلافات أو فوارق كانت موجودة ومؤثرة خارج المسجد .

والمسلم الذى يرتبط قلبه بالمسجد يعتبره نقطة الإنطلاق الأولى فى طريق الحياة الأبدية ، منها يبدأ سعيه إلى الآخرة وهو مطمئن لأنه سار فى الطريق الذى لايضل سالكوه .

لهذا كله يستعين الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى مع العملاء بالمسجد كوسيلة علاجية هامة من وسائل العلاج البيئي الإسلامى ، حيث أنه من أعظم المؤثرات التنموية فى نفوس العملاء ، ففيه يرون الراشدين مجتمعين على الله ، فينمو فى نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم ، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية ، وفيه يسمعون الخطب والدروس العملية ، فيبدأون بوعى العقيدة الإسلامية ، وفهم هدفهم من الحياة ، وما أعده الله لهم فى الدنيا والآخرة ، وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه ، فيجمعون بين النمو الفكرى والحضارى والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم .

وفيه يتعلمون الحديث والفقه ، وكل مايحتاجون من نظم الحياة الإجتماعية ، كما أراد الله أن ينظمها للانسان ، ومن هداية الله وسنة رسوله ﷺ (١١٤) .

وعندئذ يتعودون على المسجد ، ويستشعرون بنور الإيمان يملأ قلوبهم ، فتصفوا نفوسهم ، وتستيقظ ضمائرهم ، ويتعلمون طاعة الله وتحقيق شريعته وعدالته ورحمته بين البشر .

وهكذا نربى العملاء فى المسجد فى ظل مجتمع إسلامى رباه القرآن وهذبه الإسلام، فيعرف طريقه المستقيم ، ويتحرر من وسوسة الشيطان الرجيم ويرتبط بطاعة الرحمن الرحيم ، الغفور الكريم وعندئذ يتعدل سلوكهم وتعالج مشكلاتهم ، ويصبح كل منهم قادرا على أداء وظائفه الاجتماعية بما يرضى الله ويرضى رسولهﷺ.

والأخصائى الاجتماعى الذى يعالج عملاء الخدمة الاجتماعية بالعلاج الإسلامى عن طريق المسجد يحرص دائما على مصاحبتهم في كل أوقات الصلاة إلى المسجد وخاصة يوم الجمعة وفى المناسبات الدينية المختلفة ، ويشرح لهم باستمرار مايصعب عليهم فهمه ، ويعمل على توعيتهم التوعية الدينية السليمة التى تحبيبهم فى المسجد وتربطهم به ، فيستقيم تفكيرهم ، ويقوى ضميرهم ، وتنشط ارادتهم فيسهل تقويم انحرافهم ، وتعديل سلوكهم ، وعلاج مشكلاتهم .

٢ – العلاج الإسلامى البيئى عن طريق المدرسة :

إن الوظيفة الأساسية للمدرسة فى نظر الإسلام هى تحقيق التربية الإسلامية بأسسها العقيدية والتشريعية وبأهدافها ، وعلى رأسها هدف عبادة الله وتوحيده والخضوع لأوامره وشريعته أو تنمية كل مواهب النشئ وقدراته على الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، أى صون هذه الفطرة من الزلل والانحراف ، حذرا مما حذرنا من رسول الله ﷺ عندما قال « كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وأراد بذلك أن يحذر المربين من انحراف الناشئ عن فطرته[١١٥] ، مما يساعد على المحافظة على سلامة فطرتهم وتزكيتها وحفظها من الانحراف ، وذلك عن طريق خطة علاجية تتطلبه التربية الإسلامية يتطبع بطباعها ، ويتصف بأهم صفاتها ومميزاتها ويحقق أهدافها ، ويبنى على أسسها وتصوراتها الفكرية عن الكون والحياة والإنسان على أن يكون فى ترتيبه وموضوعاته موافقا للفطرة الإنسانية ، يعمل على حفظها وحمايتها من الانحراف ، وأن يكون محققا لهدف التربية الإسلامية الأساسى وهو إخلاص الطاعة لله وعبادته ولجميع أهدافها الفرعية التى ترمى إلي تقويم الحياة وتوجيهها لتحقق هذا الهدف فى جميع جوانب الثقافة والتربية ، التى وضع خطة لعلاجه لتعهدها والنهوض ببها ، كالجانب العقلى والجانب الجسمى ، والجانب النفسى والجانب الاجتماعى ، على أن يراعى فى تطبيق العلاج وأنشطته وأمثلته ونصوصه حاجات المجتمع الواقعية والمعاشية ومنطلقاته الإسلامية المثالية كالإعتزاز بالأمة الإسلامية والولاء لها وذلك بتحقيق الولاء لله ، والطاعة لرسوله الذى أرسله الله ليطاع باذن الله ، ومراعاة الاختصاصات التى تحتاجها الأمة الإسلامية فى كل بقعة بحسب ظروفها الطبيعية التى يسرها الله ، على أن يكون منهجا واقعيا ممكن التطبيق ، وأن يكون مرنا في أسلوبه يمكن تكييفه مع مختلف الظروف حتى يصبح فعالا ، يعطى نتائجه التنموية ويترك أثاره فى نفوس الأجيال ، بما يمتاز به من أساليب علاجية سليمة بعيدة الأثر ، ونشاطات إسلامية عظيمة الأثر ، سهلة المنال والتطبيق ، وأن يكون جزء منه مناسبا للمرحلة التى يوضع لها من مراحل أعمارها العملاء .

الأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى فى علاج عملائه من التلاميذ ، فإنه يعرف أن الكثير منهم مقيدون فى مدارس مختلفة ولكنهم تعثروا فيها ، ولذلك من واجبه تجاههم هو المساعدة على الانتظام بالمدرسة ، حتى تصبح المدرسة المكان المناسب للاستفادة من الخبرة التعليمية ، وحتي تصبح بيئة محبة للتلاميذ ، وعندئذ يحضرون إليها ، وهم فى شوق إليها ومحبة لها.

ومن الممكن أيضا أن يخطط الأخصائى الاجتماعى لبعض الندوات والمحاضرات الدينية بالمدرسة يدعو إليها بعض المتخصصين من رجال الدين ، بحيث تختار

موضوعاتها وتوجه لتحقيق أهداف الخطة العلاجية التى يسعى الأخصائى الاجتماعى لتحقيقها .

كما يستطيع الأخصائى الاجتماعى أن يتفق مع مدرس اللغة العربية على بعض الأنشطة والبرامج الثقافية التى تخدم أهداف العلاج الإسلامى مثل تنظيم زيارات للمكتبة المدرسية ، بمرافقة مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية الذى يساعدهم على اختيار الكتب والموضوعات المناسبة للعلاج الإسلامى ويقوم بتفسير وتوضيح مايصعب عليهم ، ولامانع من اختيار بعض التمثيليات الدينية والتدريب عليها وممارستها على أن ترسم الأدوار لكل حدث بما يناسب نوعية المشكلة ونوعية خطتها العلاجية ، أو يختار لهم مجموعة من القصص التى تصلح للتربية الدينية بعدها الأخصائى ، ويختارها بالاشتراك مع مدرس اللغة العربية أو مدرس التربية الدينية حيث أن القصة تعتبر من الأساليب التربوية الهامة المؤثرة فى نجاح العلاج الإسلامى

كما يستطيع الأخصائى الاجتماعى استغلال مسجد المدرسة ليعود الأحداث على ممارسة العبادات المختلفة مثل الصلاة فى المسجد مع جماعة من الطلاب ، مع توضيح مميزاتها الدينية ، ويرشدهم إلي كيفية الاستفادة منها في تكوين بعض العادات والقيم الصالحة .

كما يوضح لهم الأخصائى الاجتماعى كيف يستعد العميل لدخول المسجد عن طريق الوضوء الحسن ويعرفهم الحكمة العظيمة من وراء الوضوء ، لأن الكثير منهم يظن الوضوء نظافة صحية فقط ، ويغفل عن أنها نظافة روحيه أيضا ، فغسل اليدين تنظيف لها من الأوساخ ، وتنظيف لها من الذنوب التي إرتكبتها ، وتذكير لصاحبها بعدم ارتكابها مرة ثانية .

٣ - العلاج الاسلامي البيئى عن طريق العمل :

إن الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى مع عملائه عندما يحاول الإستفادة من المدرسة كبيئة خارجية فى تعديل السلوك ، فإنه يقابل بعض أحداث العملاء الذين لايذهبون إلي المدرسة بعد أن فشلوا فيها ، وبالتالى التحقوا ببعض الأعمال ، سواء كانت هذه الأعمال تناسبهم أو لاتناسبهم ، عندئذ يصبح من دور الأخصائى الإجتماعى أولا تعديل بيئة العمل ، بما يناسب قدرات وميول واتجاهات هؤلاء العملاء ، بحيث يتم وضع كل واحد منهم فى العمل الذى يناسبه ، ثم يساعدهم على الحصول على الأجر المناسب ، ويشجعهم ويحثهم على الأمانة والإخلاص والأداء الطيب للعمل ، ويذكرهم باستمرار بقول الرسول ﷺ « الدين المعاملة » ويطالبهم بتنفيذ تعاليم التربية الإسلامية التى تقول « من أخذ الأجر حاسبه الله على العمل » .

أما الفئة التى لاتجيد أى عمل وفشلت أيضا فى المدرسة ، فالأخصائى يحاول تدريبهم مهنيا فى ورش المؤسسة أو فى الورش الخارجية على الأعمال والمهن التى يميلون إليها والتى تتناسب مع قدراتهم ومهاراتهم ، ويقف بجانبهم فى كل ذلك موجها ومشجعا ومساعدا ومعينا ، إلى أن يتقن كل منهم الحرفة المناسبة ، وعندئذ يصبحون قادرون على الاعتماد على أنفسهم فى الانفاق والمعيشة ، وبذلك يجنبهم أهم عامل من عوامل الانحراف .

كما يحرص الأخصائى الاجتماعى أيضا على أن يحصلوا على وقت كاف للراحة بالإضافة إلى الحصول على الأغذية المناسبة ، كما يساعدهم على الاستمتاع بوقت الفراغ بالطريقة المفيدة ، وبذلك يغلق أمامهم أبوب الانحراف بابا بعد الآخر ، إلى أن يصل فى النهاية إلي تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم وعلاج مشكلاتهم ويصبح كل منهم انسانا صالحاً ، يتمتع بشخصية ناضجة ، كما يريده له العلاج الإسلامى أن يكون .

والعلاج الإسلامى عندما يسعى إلى إعداد الإنسان الصالح ، لايترك الناس حيارى يتخبطون ، كل منهم يرسم الصورة على هواه ، وانما يحدد لهم مواصفات هذا الإنسان فى دقة ووضوح ويتضح أمامهم المنهج الإسلامى الذى يصلون به إلى تحقيق تلك الغاية ، ومواصفات هذا الانسان تتجمع فى كلمة واحدة وهى التقوى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (١١٦) والانسان التقى هو الذى يعبد الله ويهتدى إليه « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (١١٧) ولكن العبادة ليست مقصورة على المناسك التعبدية المحدودة ، وانما هى شاملة وواسعة جدا ، بحيث تشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها، وتشمل كل عمل وكل فكرة وكل شعور : وهى التوجه بكل نشاط حيوى إلى الله ومراعاة ما يرضى الله فى هذا النشاط ، ومايغضبه ، وتوقي غضبه ويعمل على رضاه ، وبذلك يصل العلاج الإسلامى بالإنسان إلى انسان تقى يعبد الله ويهتدى بهداه « فأما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » (١١٨) بحيث يستمد هذا الإنسان من هذا الهدى منهج حياته ومنهج شعوره ومنهج سلوكه ، ولايتلقى من مصدر سواه(١١٩).

٤ - العلاج الإسلامي البيئي باستغلال امكانيات المؤسسة :

المؤسسة هى المكان الذى تم اعداده لعلاج عملاء الخدمة الاجتماعية والتى يمارس فيه الاخصائى الاجتماعى عمله ، مستعينا بشتى الامكانيات والوسائل التى تساعد على تحقيق أهداف وفلسفة المؤسسة .

والمؤسسة كاحدى عناصر البيئة الخارجية يستغلها الأخصائى الاجتماعى الذى يمارس العلاج الإسلامى ، فعن طريقها يستطيع تصميم وتنفيذ الكثير من الأنشطة والبرامج المختلفة التى تحقق له أهداف الخطة العلاجية .

وهذه الأنشطة والبرامج تتكون من أنشطة ثقافية مثل المكتبة التى يحرص الأخصائى على تدعيمها بالعديد من الكتب الدنيية المبسطة التى تتناسب مع أعمار وثقافة العملاء ومستوى تفكيرهم مثل قصص الأنبياء والرسل ، حيث أن القصة من أنجح الأساليب التى تستخدم فى التربية الإسلامية ، حيث أنها تتعامل مع النفس البشرية فى واقعيتها وخاصة وأن القصة القرآنية جاءت علاجها لواقع البشر ، وعلاج الواقع البشرى ، لايتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ فى طبيعته ، ثم يوصف الجانب الواقعى المتسامى الذي يمثله الرسل المؤمنون ، الذى تنتهى به القصة بعد الصبر والمكابرة والجهاد والذي ينتهى عنده علاج النقص البشرى ، علاجا ينهض بالهمم ، ويدفع النفس للسمو والتأمل بما فيه من محاورات فكرية ينتصر فيها الحق ، ويصبح مرموقا محفوفا بالحوادث والنتائج التى تثبت صحته وعظمته في النفس وأثره فى المجتمع .

وعلى نفس المنوال يستغل الأخصائى الأجتماعى بقية ألوان الأنشطة الثقافية ، سواء كانت ندوات دينية أو محاضرات قيمة التركيز فيها علي التربية الإسلامية ، بضرب الأمثال أو عن طريق الموعظة التى تربى عند العملاء الأخلاق السامية والعواطف الربانية ، كما يمكن تحقيق نفس الأهداف عن طريق الحفلات والمسابقات الدينية وبرامج الاذاعة الموجودة بالمؤسسة أو التمثيليات التى تصمم بصورة خاصة تتناسب مع أهداف العلاج الإسلامى . وبذلك يجعل الأخصائى الاجتماعى من المؤسسة بيئة صالحة لتحقيق أهداف خطة العلاج .

أما النشاط الاجتماعى داخل المؤسسة ، فمن الممكن استغلاله أيضا فى العلاج الاسلامى عن طريق الرحلات إلى الأماكن الدينية أو الأماكن التى يرى فيها العملاء عظمة الله وقدرته .

كما أن النشاط الاجتماعى يشتمل أيضا التزاور فى المناسبات ، وحضور الاجتماعات الدينية ، والقيام ببعض الحفلات فيها حتى يشعر الأحداث فيها بالبهجة والسرور عن طريق البرامج المخططة خصيصا لذلك ، وبما لايجعل أيام بقائهم بالمؤسسة تمر عبثا ولهوا ، وإنما جعلها أيام فرح وشكر ، عبادة « وقد حدد الإسلام أيام الأعياد والمناسبات الدينية ومظاهرها – ولم يجعل من حق الناس أن يبتكروا لهم أعياد يخلصون عليها صبغة دينية ويحيون لياليها وأيامها، بعبارات يلتزمون بها من تلقاء أنفسهم على أنها من وجوه القربى إلى الله – وبذلك يكون العيد فى الإسلام وصفا إلهيا لايملك الإنسان فيه حق التغيير والتبديل .

والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى يحاول الاستفادة من احياء هذه المناسبات والذكريات بالصورة التى تربى فى نفوس الأحداث عقيدة وعبادة وقدوة وأهتداء ، وبذلك يقوى إيمانهم ، ويشعل جذوته فتلتهب الجوارح ، وتبذل الأنفس ، وتصبح التربية الإسلامية ماثلة فى كل شئ ، فى أقوالهم إذا انطقوا ، وفي حركاتهم إذا تحركوا ، وفى سكوتهم إذا سكتوا، وفى جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، والسرية والعلنية والدنيوية والأخروية أساسها هذا النور المبين الذى جاء به محمد عن ربه فكان دستور الحياة ، وينبوع العزة والقوة والسعادة « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذي يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (١٢٠) .

أما الأنشطة الرياضية : التى تصمم وتنفذ ليمارسها العملاء داخل المؤسسة أو خارجها فإنه يراعى مناسبتها لخطة العلاج الإسلامى بحيث تربى فيهم روح التعاون والمحبة وتكسبهم الكثير من المهارات والخبرات التي تصنع منهم الرجال الأقوياء والأسوياء وعن طريق تلك الأنشطة الرياضية يستطيع الأخصائى الاجتماعى امتصاص الطاقات الزائدة لديهم ، وافراغ مشاعر العدوان التى تضغط عليهم بحيث تتم بطريقة ايجابية تعود عليهم بالفوائد الكثيرة ، بدلا من افراغها بطريقة سلبية عن طريق الانحراف والضياع .

وهكذا تصبح المؤسسة مكانا صالحا وبيئة مناسبة لتطبيق العلاج الإسلامى مع العملاء ، وبذلك ينجح الأخصائى الاجتماعى فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم بعد أن غيرت التربية الإسلامية في كثير من طباعهم وصفاتهم ، فقد بدلت خوفهم أمنا وكراهيتهم حبا، وانحرافهم استقامة ، بعد أن وضعوا أقدامهم على الطريق المستقيم ، فأمتلأت قلوبهم بالايمان وظهرت العبادات نفوسهم ، أنار القرآن صدورهم .

٥ - أساليب أخري للعلاج الإسلامي البيئي :

ومن المؤثرات البيئية الأخرى التى يتم الأخصائى الاجتماعى باستغلالها فى العلاج الإسلامى هم الأصدقاء ، حيث أن لهم تأثيراً مزدوج على العملاء ، فهم يتأثرون بهم فى القول مرة وفي المحاكاة مرة أخرى ، وشر بلاء ينزل بالإنســان أن يكون له صديق سوء ، يسلم له زمامه ، ويكون قدوته وامامه .

كما أن الأخصائي الاجتماعى يدرك جيداً أن شغل أوقات الفراغ بصورة ايجابية وبطريقة مخططه يساعد كثيرا فى علاج العملاء وفى تعديل سلوكهم وكذلك يخطط وينفذ معهمالكثير من الأنشطة المناسبة لشغل وقت الفرغ . وكل الأنشطة السابق ذكرها تصلح لتحقيق هذا الهدف ، لأن الأحداث المنحرفين لو وجدوا من البداية مايشغل فراغهم ويستغله بصورة إيجابية ، ماتعرضوا للانحراف ، لأن السلوك المنحرف للاحداث المنحرفين ، ما هو إلا شغل لوقت الفراغ بطريقة سلبية .

وهكذا تصبح البيئة الخارجية بكل مكوناته المختلفة بيئة صالحة ومناسبة لممارسة العلاج الإسلامى البيئى للعملاء وينجح الأخصائى الاجتماعى عندئذ فى تقويم انحرافهم وتعديل سلوكهم وعلاج مشكلاتهم .

وبعد ذلك يأتى دور العلاج الإسلامى للبيئة الداخلية وهى الأسرة .

ثانيا : البيئة الداخلية (والأسرة) :

« الأسرة التنظيم الاجتماعى الذى يقام عليه نظام الأمة كلها ، وهى المحضن الرئيسى للأجيال الناشئة ، والخلية الأولى فى البناء الاجتماعى . وكذلك نرى أن كتاب الله الخالد يفيض شرحاً وتفصيلا ، وهداية في كل شأن له علاقة بالأسرة ، ويتقيمها على الوضوح الكامل حتى لايدع مكانا فيها للتصدع ، ولايترك ثغرة يمكن أن ينفذ منها أحدا لهدم هذا الأساس .

ومثل هذا الإسهاب فى بيان أمور الأسرة دليل على أهمية هذا الكيان الأسرى ووضعه فى المكان اللائق به ، وذلك أنه أساس البناء كله ، فإذا ما تطرق إليه الخلل والوهن هدى البناء وضاعت معالمه » (١٢١) .

والأسرة المسلمة هى التى تحافظ على تحقيق شرع الله وموصفاته فى شئونها وعلاقاتها الزوجية ، وهذا معناه إقامة البيت المسلم الذي يبنى حياته على تحقيق عبادة الله ، أى على تحقيق الهدف الأسمى للتربية الإسلامية ، وبذلك ينشأ الطفل ويترعرع فى بيت أقيم على تقوى الله ورغبة فى إقامة حدود الله ، وتحكيم شريعته ، فيتعلم ، بل يقتدى ويمتص عادات أبويه بالتقليد ، ويقتنع بعقيدة الإسلام حين يصبح واعيا .

والأسرة المسلمة هى التى توفر لأبنائها كل احتياجاتهم وتشبعها لهم وتحقق لهم السكون النفسى والطمأنينة ، وقال تعالى « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل لها زوجها ليسكن إليها » (١٢٢) وقال سبحانه وتعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (١٢٣) فاذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسى المتبادل ، فحينئذ يتربى الناشئ فى جو سعيد ، يهيئه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة ، بعيداً عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية ، التى تضعف شخصيته وتجعله سهل الاستهواء ، وعندئذ يتعرض للانحراف والضياع .

كما تتحمل الأسرة إشباع الحاجه إلى الحب والحنان والرحمة والعطف على الأبناء لأن هذا كله من أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسى والاجتماعى ، نموا قويما ، وإذا لم تتحقق المحبة للأطفال بالشكل الكافى المتزن ، نشأ الطفل منحرفا فى مجتمعه ، لايحسن التآليف مع الآخرين ، ولايستطيع التعاون معهم أو تقديم الخدمات والتضحيات .

كما اعتبر الإسلام الأسرة مسئولة عن فطرة الطفل ، واعتبر كل انحراف يصيبها مصدره الأول الأبوان ، ومن يقوم مقامهما من المربي ، ذلك أن الطفل يولد صافى السريرة سليم الفطرة ، وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ فيما رواه عنه أبوهريرة « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ثم يقول أبوهريرة رضى الله عنه « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم» .

ولذلك تهتم الخدمة الاجتماعية بالأسرة اهتماما كبيرا ، وتعتبرها المؤثر الأول فى انحراف الأحداث ، بل فى كل المشكلات التى يعانى منها العملاء فى علاجها لهم على الأسرة ، وتحاول تدعيمها بشتى الأساليب العلاجية والوقائية والانمائية ، والأخصائى الاجتماعى الذى يطبق العلاج الإسلامى عملاء الخدمة الاجتماعية فانه يكون على صلة وثيقة بأسرهم ، ويكتسب ثقتهم ويكون معهم علاقة مهنية قوية قوامها الثقة والحب والمودة ، وتنظم معهم زيارات منزلية ليذكرهم بواجبهم نحو تعويد الطفل على تذكر عظمة الله ونعمه ، والاستدلال على توحيده من آثار قدرته ، وتفسير مظاهر الكون من بر وبحر وليل ونهار وزلازل وأعاصير ونحو ذلك ،تفسيرا يحقق هذا الغرض .

وذلك يستكمل الأخصائى الإجتماعى علاج انحرافهم وينجح فى تقويم سلوكهم ، كما أنه بعد الأسرة لاستقبالهم بعد أن يتم علاجهم بالمؤسسة ، محاولا استكمال مقومات الأسرة ويكون على صلة دائمة بهم حتى يتابع باستمرار نتيجة الخطة العلاجية وحتى يجعل من الأسرة عنصرا هاما من عناصر تدعيم الخطة العلاجية . وقد يتفق الأخصائى الاجتماعى مع والد العميل على خطة علاجية معينة مثل اصطحابه معه دائما الى المسجد للصلاة فى جماعة واصطحابه معه دائما في المناسبات الدينية المتعددة شارحا له مايصعب عليه فهمه أو يصطحبه معه الى محاضرة أو ندوة دينية ، وبذلك يستكمل العلاج الإسلامى للحدث بما تقوم به الأسرة من دورها فى الخطة العلاجية وتتحمس إلى تربية أبنائها التربية الإسلامية التى فيها الوقاية والعلاج للسلوك المنحرف ، وفيها طريق الخلاص والهداية لهم .

الخاتمة

إن المنهج الإسلامى هو المنهج المناسب للحياة بما فيه من علاج ووقاية وانماء بصورة كافية لعلاج كل المشكلات الاجتماعية ، ولذلك اتجهت إليه الخدمة الاجتماعيه وتحمست لممارسة العلاج الإسلامى وتطبيقه فى المؤسسات الاجتماعية لعلها تجد فيه أسلوب العمل المناسب وطريقة العلاج الأمثل بعد أن ضاقت لها السبل وعجزت أساليبها التقليدية من علاج المشكلات الاجتماعية .

والدين ليس علاجا لتلك المشكلات فحسب ، بل هو العامل الحاسم في تطور المجتمعات ، ونهضة الحضارات على مر العصور وهو جوهر التقدم الذى يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات ، وهو الباعث الأساسى للتغير الاجتماعى .

وفى هذا المعنى يقول « توبسى» ان نمو الحضارة للتوقف فى حالات الاخفاق ، ويعقب الاخفاق حالة تفكك اجتماعى .. والملاحظ أن خلال فترة تفكك الحضارة ، أن الثقافة لم تعد تنمو ككل ، وانما بشكل غير منسق وقد تؤدى الى تطورات فى الفن والاقتصاد والدين . والسبيل الوحيد للخلاص فى هذه المرحلة هو تغيير الشكل على أساس دينى ، على انتشار اتجاه دينى جديد لن يؤدى إلى اتعاظ الحضارة المحتضرة فحسب ولكنه قد يمهد السبيل لظهور أسلوب جديد ناجح من أساليب الحياة .

وقد وقفنا من قبل رأى «دور كايم » الذى يؤكد أن الدين يمثل ضرورة اجتماعية هى ايجاد التماسك الاجتماعى والحفاظ على المجتمع .

ولذلك اهتم المؤلف بالعلاج الإسلامى ومبادئه الأساسية كأنسب وسيلة علاجية تمارس فى المؤسسات الاجتماعية .

الهوامش

(١) مقداد يالجن « التربية الأخلاقية الإسلامية » ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣ ص ٥٤ .

(٢) سورة النساء : ٦٥ .

(٣) سورة المنافقون : ٨ .

(٤) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٥) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .

(٦) تفسير الفخر الرازى ، ٣٤٢١ .

(٧) د. مقداد يالجن ، التربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة ١٩٧٣ ، ص ١١١ .

(٨) عبدالرحمن الحلاوى ، أصول التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١١٥.

(٩) سورة الأنعام آية (١٥١) القاهرة ، مكتب وهبه ، ١٩٧٩.

(١٠) د. محمد البهى ، نحو القرآن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، ص ١١٣ .

(١١) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .

(١٢) دكتور : محمد بيصار ، العقيدة والأخلاق وأثرها فى حياة الفرد والمجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ .

(١٣) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٩١ .

(١٤) سورة الأنعام : ١١١ .

(١٥) سورة الأنعام : ٢٥ .

(١٦) المقاصد الحسنة ص ١٢٩ رواه ابن ماجه والطيالسى .

(١٧) سورة الحشر : ٩ (١٨) سورة المؤمنون : ٦١ .

(١٨) منتخب كنز العمال فى هامش سند الإمام أحمد ١٣٢١ ، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٩ .

(١٩) الاتجاه الأخلاقى فى الإسلام ، مقداد يالجن ، مصدر سابق ص ٣٠٧ ، ٣٥١ .

(٢٠) منتخب كنز العمال فى هامش مسند الإمام أحمد ٥٨/١ .

(٢١) سورة الإسراء : ٨٢ .

(٢٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٢٣) سورة البقرة : ١١٢ .

(٢٤) يوسف القرضاوى : الحل الاسلامى فريضة وضرورة ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧ ، ص ٤٠٧ .

(٢٥) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

(٢٦) القعيدة والأخلاق مصدر سابق ، ص ٢٠٩.

(٢٧) منهج التربية . مصدر سابق ، ص ٢٤٧ .

(٢٨) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢٥٠ .

(٢٩) زكى مبارك ، « الأخلاق عند الغزالى » ، المكتبة الرحمانية بمصر ، بدون ، ص ١٦٥ .

(٣٠) د. عبدالفتاح عاشور ، « منهج القرآن فى تربية المجتمع» مكتبة الخانجى بمصر، ١٩٧٩ ، ص ٢٣٥ .

(٣١) الأنعام : ١٢٤ .

(٣٢) رواه ابن السمعانى فى أدب الإسلام عن ابن مسعود رضى الله عنه .

(٣٣) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٣٤) سورة الجمعة : ٢ .

(٣٥) منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .

(٣٦) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

(٣٧) منهج القرآن فى تربية المجتمع نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٣٨) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ١٣٦ .

(٣٩) احياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٤٠) سورة الملك : ٢ .

(٤١) منهج التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٨٢ .

(٤٢) الحل الإسلامى ضرورة وفريضة ، مصدر سابق ، ص ٥١ .

(٤٣) سورة العلق : ١ – ٥ .

(٤٤) منهج التربية الإسلامية ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٤٥) سورة الجمعة : ٢.

(٤٦) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٥٦ .

(٤٧) عبدالفتاح عثمان « خدمة الفرد فى المجتمع النامى » ، ص ٣٧٩ .

(٤٨) المرجع السابق ، ص ٣٨١ .

(٤٩) يحيى بن أشرق النووى « أيا من الصالحين » الشمرلى بمصر ، بدون ناشر ، ج٣ ص ٨٧ .

(٥٠) سورة يونس (٦٢) .

(٥١) « الترغيب والترهيب » ج٣ ، ص ٢٦٢ .

(٥٢) العقيدة والأخلاق ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

(٥٤) روح الإسلام ، مصدر سابق ، ص ٢٥٤.

(٥٥) سورة البقرة (١١٩) .

(٥٦) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق . ص ٢٠٤ .

(٥٧) المرجع السابق ، ص ٨ .

(٥٨) نحو القرآن ، مصدر سابق ، ص ١٤٩ .

(٥٩) التربية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

(٦٠) سورة الروم (٣٠) .

(٦١) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .

(٦٢) دراسات إسلامية فى العلاقات الاجتماعية والدولية ، مصدر سابق ، ص ص ٤٥ – ٥٠ .

(٦٣) دراسات إسلامية ، مصدر سابق ،ص ٥٠ .

(٦٤) السلوك الاجتماعى بين علم النفس والدين ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

(٦٥) سورة الأنعام (١٥٣) .

(٦٦) سورة المائدة (٨) .

(٦٧) دراسات إسلامية . مصدر سابق ص ٣٧ .

(٦٨) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٦٩) سورة النساء : آية ٣٢ .

(٧٠) سورة النساء آية ٣٢ .
(٧١) كيف تمارس الإيحاء الذاتى ، ص ١٧ .
(٧٢) نفس المصدر ، ص ١٩ .
(٧٣) نفس المصدر ، ص ٣٠ .
(٧٤) نفس المصدر ، ص ٦١ .
(٧٥) مسند الإمام أحمد : ٢٩٣ .
(٧٦) سورة فاطر : ١ .
(٧٧) سورة المنافقون . ٨ .
(٧٨) صحيح مسلم ٤/٢٠٥٢ كتاب القدر باب فى الأمر بالقوة .
(٧٩) الجامع الصغير ١/٦١ .
(٨٠) التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصدر سابق ، ص ٦٣٣ .
(٨١) الفلسفة العملية للحياة ، ص ١٨٢.
(٨٢) سورة سبأ : ٤٦ .
(٨٣) سورة البقرة : ١٦٤ .
(٨٤) العقيدة والأخلاق ، مصدر سابق ، ص ٢٢٥ .
(٨٥) سورة الحجرات : ١٢ .
(٨٦) سورة الاسراء : ٣٧ .
(٨٧) سورة الحجرات : ٦ .
(٨٨) سورة الاسراء : ٣٢ .
(٨٩) سورة النور : ٣٠ .
(٩٠) سورة الشمس .
(٩١) الدستور الأخلاقى ، مصدر سابق ، ص ٦٣٨ .
(٩٢) عبدالقادر الجيلانى « الغنية » ، ص ١٨٣ .
(٩٣) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٥٣ .
(٩٤) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٥٢ .
(٩٥) محمد قطب ، مصدر سابق ، ص ٢٠٣ .
(٩٦) حسن محمد الشرقاوى ، مصدر سابق ، ص ٢٥٢ .

(٩٧) حسن محمد الشرقاوى ، نفس المصدر ، ص ص ٢د٢ - ٢٥٣ .

(٩٨) سورة فاطر : ٦

(٩٩) سورة يوسف : ٥٣ .

(١٠٠) عبدالرحمن النحلاوى ، مرجع سابق ، ص ٢١٦ .

(١٠١) سورة التوبة : ١٥٥ .

(١٠٢) سورة الأحقاف : ١٩ .

(١٠٣) سورة الكهف : ٣٠ .

(١٠٤) سورة الزلزلة : ٧ - ٨ .

(١٠٥) محمود شلتوت « توجيهات الإسلام » مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ .

(١٠٦) سورة الأنفال : ٦٠ .

(١٠٧) سورة الأنفال : ٦٠.

(١٠٨) انظر : العلاج الإسلامى لانحراف الأحداث للمؤلف، مرجع سابق ذكره .

(١٠٩) عبدالفتاح عاشور « منهج القرآن فى تربية المجتمع » ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٩ ، ص ٢٦٦ .

(١١٠) عبدالفتاح عاشور « منهج القرآن فى تربية المجتمع » ، مصدر سابق ، ص ٢٧١.

(١١١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، نفس المصدر ، ص ١٢١ .

(١١٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، مصدر سابق ، ص ١٣٤ .

(١١٣) سورة الحجرات ١٣ .

(١١٤) سورة الذاريات : ٦ .

(١١٥) سورة البقرة : ٣٨ .

(١١٦) منهج التربية الإسلامية : مصدر سابق ، ص ١٥ .

(١١٧) سورة الإسراء : ٩ .

(١١٨) منهج القرآن فى تربية المجتمع ، مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .

(١١٩) سورة الأعراف : ١٨٩ .

(١٢٠) سورة الروم : ٢١ .

الإنسان وعلاقته بالبيئة من منظور إسلامى

د. أحمد يوسف بشير

تمهيد :

– شغلت البيئة كل البشر عبر جميع عصور التاريخ ، فكانت الطبيعة مصدر خوف وفزع حينا ومهبط الوحى حينا آخر، ولكنها فى جميع الأحوال دفعت الإنسان للتأمل فى الكون خارج ذاته، وحاول أن يترجم تأملاته إلى أنظمة عقائدية أو فكرية أعطته التوازن مرة ودفعته إلى الصراع مرات .. وسوف تظل البيئة بوجه عام مسرح الخلق الإنسانى وملتقى ما يسطره التاريخ من صفحات تعكس نضال الإنسان معها من أجل استخدام أفضل لها ، ويتبارى البشر فى إكتشاف أسرارها وبناء التكنولوجيا من موادها ، وهنا يتدرج الإنسان من أعلى سلم التقدم إلى أسفله من خلال مجتمعات يحكم مكانها فى هذا السلم مبلغ ما استطاعت أن تطوع جانبا أو آخر من الطبيعة لخدمة مصالحها (١١) ص : ١) حيث أن الإنسان – منذ بدء الخليقة – وهو يسيطر قصة كفاحه المستمر مع الطبيعة سعيا لفهمها ، والتعرف علي أسرارها ، واستهدافا للسيطرة عليها وتسخيرها لخدمته ورفاهيته ، وما التاريخ البشرى إلا سجل حافل بمنجزات الإنسان فى هذا المضمار كما أن مراحله المختلفة – بدءا بالعصر الحجرى القديم وانتهاء بعصر الفضاء – ليست إلا قفزات واسعة إستطاع الإنسان قطعها على طريق التوافق مع البيئة من حوله ، أو التعرف على أسرارها ، أو السيطرة عليها ..(١١ص : ٥) .

فالبيئة تمثل بالنسبة للإنسان ذلك الإطار الذى يستمد منه مقومات حياته ، وعوامل قوته وأسباب نموه الفكرى والمادى والأخلاقى والإجتماعى والروحى والإنسانى ، بما وهبه الله من خصائص بيولوجية تميزه عن باقى المخلوقات ، يعيش بإستمرار فى مستوى طاقة إحتمال بيئته ، بينما باقى المخلوقات تعيش دون مستوى طاقة إحتمال بيئاتها .

ولقد أدى التقدم الهائل الذى أحرزه الإنسان فى مجالات العلم والتكنولوجيا إلى إحداث إخلال ، بل تدهور فى مكونات البيئة بحيث أصبح خطر العيش فوق طاقة إحتمال البيئة متوقعا ، بل لعله واقعاً فى بعض المجالات وفى بعض الأقطار إذ بدأنا نعيش ونسمع عن "مشكلة الغذاء "، "ومشكلة السكان" و" مشكلة التلوث" وهى مشكلات ناجمة فى المقام الأول عن النشاطات البشرية فى البيئة (٢) ص: ٥٠) ومن هنا تنبه الإنسان أخيرا إلى ما أدى إليه تعامله غير الرشيد وغير العقلانى مع النظم البيئية التى يعيش فيها ويتعامل معها، وأصبحت قضايا البيئة ومشكلاتها هى الشغل الشاغل للدول المتقدمة والدول النامية على حد سواء ، وتحقق المسئولون من أن تلك المشاكل قد أصبحت تهدد حياة الإنسان على هذا الكوكب، ومن أنه إذا لم يتكاتف بنو البشر – لا

فرق في ذلك بين مجتمعات متقدمة أو متخلفة – لإيجاد الحلول المناسبة وتلمس سبل الوقاية من هذه المشكلات فإنها سوف تتحول إلى كوارث محققة تهدد حياة الإنسان وغيره من الكائنات الحية على كوكب الأرض .

ويلخص البعض هذه القضية بقوله : إن الإنسان بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمى نفسه من غوائل الطبيعة وانتهى به الأمر بعد آلاف السنين ، وهو يحاول أن يحمى الطبيعة من نفسه (٣) ص : ١٩) .

وينطلق البحث الراهن – استناداً إلى ما سبق من أعتقاد مؤداه :

إن الإنسان يعتبر المسؤل الأول والأساسى ، عما تتعرض له البيئة من إختلال وتدهور نتيجة لتدخله غير العقلانى فى النظم البيئية ، كما أنه وفى ذات الوقت المتضرر الأول مما يحدث فى البيئة من مشكلات ، أى أن الإنسان هو المتسبب فى مشكلات البيئة وهو أول الكائنات تأثرا بها ، ومن هنا تبرز مسؤلية الإنسان تجاه البيئة ، وأهمية إيجاد علاقات متوازنة بين الإنسان والبيئة أساسها المصلحة المتبادلة ، وأهمية إيجاد علاقات متوازنة بين الإنسان والبيئة أساسها المصلحة المتبادلة التى تتيح للإنسان إستمرار العيش المريح وللبيئة إستمرار التوازن وتدفق العطاء ، وهو ما يعرف بالتعايش الإيجابى مع البيئة .

ومن هنا كان هذا البحث الذى يستهدف التعرف على طبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة فى التصور الإسلامى ، وما إذا كان الإسلام قد رسم حدوداً وأطراً معينة ينبغى أن تنتظم فيه علاقة الإنسان بالبيئة التى يعيش فيها تحقيقاً لرسالة الإنسان فى التصور الإسلامى ، وتأكيداً لأهمية البيئة ، بإعتبارها مسرح تحقيق هذه الرسالة .

هذا ويستند البحث الراهن إلى عدة اعتبارات ينبغى التأكيد عليها، والتى تشكل مبررات وبواعث اختيار هذا الموضوع على النحو التالى :

أ – ما تشهده الأونه الحالية من اهتمام كبير من جانب العلماء والمخططين والسياسيين ورجال الإقتصاد وعلماء الإجتماع والنفس والتربية والخدمة الإجتماعية والبيولوجيين والفيزيائيين وغيرهم بالبيئة ومشكلاتها والتغيرات التى تطرأ عليها وأساليب التعامل معها والأضرار التى تلحق بها نتيجة مبالغة الإنسان والمجتمع ، أومحاولة الكشف عما لحق بالبيئة من أضرار وأذى قد يصعب علاجها أو تلافيها نتيجة لسوء الإستغلال وسوء الفهم .

ب– أن المشكلة البيئية ، مهما تعددت مجالاتها ومهما كانت درجة خطورتها فهى مشكلة سلوكية فى المقام الأول ، ومن ثم إذا ما أردنا مواجهة مشكلات البيئة ، فإن الأمر يستلزم بداءة تعديل سلوكى للإنسان المتعامل مع البيئة والمتفاعل معها، بحيث يتبنى قيماً بيئة إيجابية وسلوكيات تستهدف، حماية البيئة والمحافظة عليها .

جـ- واستناداً إلى النقطة السابقة تأتى أهمية دور الخدمة الإجتماعية باعتبارها مهنة إنسانية تتعامل مع الإنسان وسلوكه فى تعامله مع البيئة .

د- أن جهل الإنسان بتواميس الكون التى سنها الله من ناحية وجهله برسالته فى الحياه التى من أجل تحقيقها خلقه ، ومكنه فى الأرض من ناحية أخرى ، وسعيه المستمر - فى ضوء هذا الجهل - وراء المتعة الدنيوية التى تتميز بالأنانية من ناحية ثالثة كل ذلك أدى إلى ما أصبح العلماء يحذرون منه من مشكلات وأخطار بيئية ، ومن هنا كان التأكيد على ابراز وتوضيح هذه الأمور من الأهمية بمكان فيما يتعلق بالجهود المبذولة لحماية البيئة والمحافظة عليها .

هـ- أنه إذا كانت التربية البيئية تحتل أهمية كبرى ضمن وسائل وأساليب مواجهة المشكلات البيئية والوقاية منها، فإن الباحث يعتقد أن القيم الدينية والتأكيد عليها يلعب دورا هاما فى نجاح التربية البيئية وتحقيق أهدافها ، فى ضوء هذه الإعتبارات عند الباحث إلى تناول علاقة الإنسان بالبيئة من منظور إسلامى كموضوع لهذا البحث ، ولذا سوف نعالجه من خلال العناصر التالية : -

المفاهيم الأساسية .

الخدمة الاجتماعية والإهتمام بالتربية البيئية .

مهمة الإنسان فى البيئة ، كما حددها الإسلام .

مكانة الإنسان المتميزة فى البيئة .

مكونات المنهج الإسلامى فى رعاية البيئة .

أولا : تحديد المفاهيم الأساسية

(١) مفهوم البيئة

- البيئة لفظة شائعة الإستخدام ، يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها ومن هنا تعددت تعريفات البيئة بتعدد هذه العلاقات ، فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى ، والمدرسة بيئة والحى بيئة والقطر بيئة والكرة الأرضية بيئة والكون كله بيئة .. وهكذا ، كما يمكن النظر إلى البيئة من خلال النشاطات البشرية المختلفة ، فنقول البيئة الزراعية والبيئة الصناعية ، والبيئة الثقافية ....الخ (٢ ، ص ١٢) .

- وبصفة عامة يعرف البعض البيئة بأنها : " مجموع الظروف والعوامل الخارجية التى تعيش فيها الكائنات الحية ، وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها " .

(٤ ، ص : ١) ومن الملاحظ أن هذا التعريف يركز على البيئة الطبيعية ، بينما أهمل العوامل الإجتماعية والعلاقة المتبادلة بين الكائن الحى وبيئته .

- ويتسع تعريف آخر ليشمل هذه الجوانب حيث ينظر للبيئة على أنها : " الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بنى البشر " (٥ ص ك ٣٧٢) .

- ويوضح هذا التعريف أن البيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته ، وربما يؤكد التعريف على أن البيئة تشتمل علاقة الإنسان بالإتصال والتى تنظمها المؤسسات الإجتماعية والعادات والتقاليد والأخلاق والقيم والأديان ، فالبيئة وفقا لهذا التعريف كل متكامل يشمل اطارها الكرة الأرضية ، وما يؤثر فيها من المكونات الأخرى للكون ومحتويات هذا الاطار ليست جامدة بل أنها دائمة التفاعل مؤثرة ومتأثرة والإنسان واحد من مكونات البيئة يتفاعل مع مكوناتها بما فيها من يمثل بنى جنسه .

- ولقد حدد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة (البشرية والذى انعقد فى أكتوبر سنة ١٩٧٢م بمدينة أستكهولم ، مفهوما شاملاً للبيئة ، بحيث أصبحت تدل على أكثر من مجرد عناصر طبيعية (ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة ونباتات وحيونات) بل هى "رصيد الموارد المادية والإجتماعية المتاحة فى وقت ما ، وفى مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته " (٢ ، ص : ٢٥) .

ويتبنى هذا البحث تعريفا شاملاً للبيئة يتسق وأغراض البحث وموضوعه إذ ينظر إلى البيئة على أنها : " ذلك الوسط الذى يعيش فيه الإنسان بما يتضمنه من إمكانات وموارد طبيعية وإجتماعية يتفاعل معها الإنسان مؤثراً ، ومتأثراً بغرض إشباع إحتياجاته وإستمرر حياته والبيئة ، بهذا المعنى هى كل ما يحيط بالإنسان فى هذا الكون سوى الإنسان نفسه.

(٢) مفهوم تلوث البيئة

- المعني اللغوي : جاء فى المعاجم : لَوَّث الأمر أى لَبَسه ، ولَوَّث التبن بالقت أى خلطه ، وتلوث بالطين ، وتلوث بغلان رجاء متعة ، أى لاذ به وتلبس بصحبته ، ولوث الماء أى كدَّره ، ويقال التاثت عليه الأمور أى التبست ، والتاث فى عمله أى أبطأ والتاث بالدم أى تلطخ به وفلان به لوثة أى به جنون (٦ ، ص : ٦٧) وتستنتج من هذا أن التلوث له معنيان فى اللغة معنى مادى : وهو إختلاط أى شئ غريب عن مكونات المادة بالمادة مما يؤثر عليها ويفسدها كتلوث الماء والتلوث بالتلوث بالطين . وأما التلوث المعنوى فهو يعنى ذلك التغير الذى ينتاب النفس ،

فيكدرها أو يكون تغيراً من أجل غرض ما ، التلوث بنوعية المادى والمعنوى يعنى فساد الشئ سواء كان هذا الشئ كائناً حياً كالإنسان أو الحيوان أو جسماً غيرحى كالهواء والماء والتربة وغيرها (٧ ، ص : ١١) .

- المعني الإصطلاحي لتلوث البيئة : " هو كل تغير كمى أو كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا تقدر الأنظمة البيئية على إستيعابه دون أن يختل توازنها، أو هو وجود أية مادة أو طاقة فى غير مكانها وزمانها وكميتها المناسبة (١، ص ص: ١٤٩ - ١٥٠). ووفقا لهذا التعريف ، فإن أى تغير كمى أو كيفى فى مكونات البيئة إذا كانت النظم البيئية تستطيع أن تستوعبه دون أن يختل توازنها لا يعتبر تلوثا، وعلى ذلك فالإنسان فى عصر ما قبل الثورة الصناعية لم يتعرض لمشكلة التلوث لأن كل مخلفات نشاطاته كانت مما تستطيع الدورات الطبيعية للأنظمة البيئية أن تستوعبه وتجريه فى سلاسل تحولاتها . ولذلك حظيت هذه المشكلة بالدراسة والاهتمام لأن آثارها الضارة شملت الإنسان نفسه وممتلكاته كما أخلت بالكثير من الأنظمة البيئية السائدة والخطورة التلوث فلقد طفى على كل قضايا البيئة ومشكلاتها وإرتبط بكل حديث عنها حتى رسخ فى أذهان كثيرة أن التلوث هو المشكلة الوحيدة للبيئة ، ومع أن الواقع يؤكد غيرذلك ، إذ أن هنالك العديد من المشكلات البيئية الأخرى كنقص الطاقة ومشكلة الغذاء واستنزاف المصادر الطبيعية ...الخ .

(٣) التربية البيئية :

- تعددت الآراء فى معنى التربية البيئية ومدلولها بتعدد مدلول العملية التربوية وأهدافها من جهة ، ومدلول البيئة من جهة أخرى ومن تعريفات التربية البيئية أنها : "عملية تعليم المجتمع كيفية حماية نفسه من الأمراض والمشاكل البيئية " .

- كما يعرفها البعض بأنها " عملية تغير أفكار وأحاسيس وسلوك الناس فيما يتعلق بصحتهم وبيئتهم " (٨ ، ص ص : ٢٥ : ٢٧) .

- ويرى آخرون أن التربية البيئية هى العملية الأساسية التى تعنى بإعداد المواطنين الواعين بالبيئة البيوفيزيقية (البيولوجية - الطبيعية) وما يرتبط بها من مشكلات ، وبحيث يتكون لديهم المعرفة والمهارة والرغبة والإلتزام بالعمل على حل المشكلات الراهنة والمستقبلة (٩ ، ص ١٣٠) .

- ويمكن القول من خلال إعادة النظر فى هذه التعريفات أنها تقصر التربية البيئية - وفقا للمفهوم الجزئى للبيئة - على تناول البيئة من جوانبها البيولوجية والفزيائية ، فى حين أن المفهوم الشامل للبيئة ، يتضمن بالإضافة إلى ذلك - كما

سبق أن أشرنا – الجونب الإقتصادية والإجتماعية والثقافية ويبرز ما يوجد بين هذه العوامل المختلفة من ترابط، ولذلك يمكن تعريف التربية البيئية في إطار المفهوم الشامل للبيئة على أنها :

" عملية تكوين القيم والإتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التى تربط الإنسان ، وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان وحفاظا على حياته الكريمة ، ورفع مستويات معيشته " (١، ص : ٢٢٤) . ومن هذا التعريف يتضح أن التربية البيئية هى عملية إعداد الإنسان للتفاعل الناجح مع بيئته بما تشمله من موارد مختلفة وتتطب هذه العملية العمل على تنمية جوانب معينة لدى الإنسان منها توضيح المفاهيم وتعميق المبادئ اللازمة لفهم العلاقات المتبادلة بين الإنسان وثقافته من ناحية وبين الوسط البيوفيزيقى من حوله من ناحية أخرى ، كما تتطلب أيضا تنمية المهارات التى تمكن الإنسان من المساهمة فى حل ما قد تتعرض له بيئته من مشكلات وما يتهددها من أخطار والمساهمة فى تطوير ظروف هذه البيئة ، وتستلزم التربية البيئية أيضا تكوين الإتجاهات والقيم التى تحكم سلوك الإنسان إزاء بيئته وأثاره ميوله وإهتماماته نحو البيئة وإكتسابه أوجه التقدير لأهمية العمل على صيانتها والمحافظة عليها ، وفى تصور الباحث فإن ذلك لن يتأتى إلا إذا إرتكزت عملية التربية البيئية على القيم الدينية وإستثارتها فى نفس الإنسان بحيث تصبح هذه القيم هى الموجهه لتصرفات الإنسان وسلوكه حيال البيئة التى يعيش فيها .

ثانيا – الخدمة الإجتماعية والتربية البيئية

– سبق أن أوضحنا أن مهنة الخدمة الإجتماعية تعد من بين المهن التى تعطى إهتماما واسعا للبيئة – فى الوقت الحالى – وموقف الإنسان منها وتأثره بها وتأثيره فيها ، وتسعى إلى الإسهام فى مواجهة ما يترتب على ذلك من مشكلات ملحة مثل التلوث وإستنزاف المصادر الطبيعية وإختلال قوانين التوازن الطبيعى بين الأنظمة الأيكولوجية المختلفة ، وكذلك تبصير الإنسان بحقوقه البيئية وواجباته إزاءها ، وإعداد المواطن البيئى الصالح ، فلم تعد الخدمة الإجتماعية كمهنة تقصر إعتمامها على الجوانب العلاجية على مستوى الفرد أو الجماعة فقط ، وإنما تطورت المهنة ، وأخذت تبلور لنفسها أساليباً وأدواراً جديدة ، حيث أصبحت تركز تدخلها المهنى على محاولة أحداث تغييرات مرغوبة فى الأفراد أو فى العلاقات الإجتماعية بين الأفراد والجماعات ، أو فى المجتمعات المحلية والنظم الإجتماعية (١٠، ص : ٩) ، ومن هنا تؤمن الخدمة الإجتماعية بأهمية البيئة فى حياة الإنسان ، سواء نظرنا إلى البيئة بمفهومها الضيق فى الخدمة الإجتماعية (البيئة الإجتماعية التى يعيش فيها الإنسان ويتفاعل معها) أو بمفهومها

الواسع والشامل (حيث تتضمن كل ما هو خارج عن كيان الإنسان ذاته ، أى كل ما يحيط بالإنسان من موجودات حية وغير حية). وتأتي أهمية الخدمة الإجتماعية كمهنة تتعامل مع الإنسان والبيئة من عدة جوانب :

أولها : أن الخدمة الإجتماعية كما يصفها (فدريكو) هى أكثر مهن الرعاية الإجتماعية تعاملا مع المواطنين بنظرة شمولية متكاملة ، إذ أنها تتعامل مع مجال حياة الإنسان كليا ومحاولة فى نفس الوقت إستخدام موارد المجتمع وإمكانياته لإشباع إحتياجاته (١١ ، ص : ٢٣٠) ويؤكد آخرون على أهمية الخدمة الإجتماعية للمجتمع حيث يصفونها بأنها الضمير الإجتماعى للأمة (١٢ ، ص : ٣) .

ثانيها : اعتماد الخدمة الإجتماعية كمهنة على نظرية الإتساق الإجتماعية كنظرية قاعدية ، حيث أنها تحقق التكامل المعرفى للمحنة بجانب توحيد نظرتها وتحليلها للوحدات الإجتماعية التى تتفاعل معها ، كما أن هذه النظرية تحقق رغبة الخدمة الإجتماعية التى تتفاعل معها ، كما أن هذه النظرية تحقق رغبة الخدمة الإجتماعية فى النظر إلى الفرد (الإنسان) متفاعلا ومتكاملا مع بيئته (١٣، ص ص : ٦١ – ٦٦) ومن هنا تأتى أهمية النظر إلى البيئة عند التعامل مع الإنسان كفرد أو كعضو فى جماعة أو كمواطن فى مجتمع محلى أو قومى .

ثالثها : إن الخدمة الإجتماعية تهدف ضمن ما تهدف إليه إلى إحداث تغييرات مرغوب فيها فى الإنسان وذلك بقصد إيجاد تكيف متبادل بين الأفراد وبيئاتهم الإجتماعية بمكوناتها الإجتماعية والطبيعية لحل المشكلات المختلفة والوقاية منها وهى فى ذلك تنظر إلى الإنسان بإعتباره المكون الأساسى للبيئة وأهم عناصرها .

رابعها : أن للخدمة الإجتماعية دورها الهام فى التربية البيئية من خلال العمل فى المجالات والمؤسسات المختلفة وتؤكد على أن التربية البيئية عملية مستمرة من المهد إلى اللحد ، وتستهدف تعريف الإنسان بحقوقه البيئية ، وتوضيح أساليب حمايتها والمساهمة فى خلق رأى عام مستنير نحو البيئة ، وإستثارة الإنسان للمشاركة فى حماية البيئة ومواجهه مشكلاتها ، وهى فى سبيل ذلك تؤمن بأهمية الجوانب التالية :

الإسهام فى إحداث تغيير حقيقى فى سلوك الناس تجاه بيئتهم ، بحيث يؤدى ذلك إلى إيجاد الشخصية المنضبطة ذاتها والتى تتصرف فى البيئة بروح المسئولية .

مساعدة الناس على إدراك المشكلات البيئية المختلفة وخطورتها وأسبابها ودورهم فى إحداث هذه المشكلات ، وكيفية الوقاية منها ومواجهتها .

مساعدة الناس على تبنى مشروعات وبرامج تستهدف حماية البيئة وتحسينها .

النظر إلى الفقر على أنه نوع من تدهور البيئة ، وبالتالى فإن حماية البيئة فى المجتمعات النامية والأحياء المتخلفة يتطلب تحقيق التنمية كشرط لازم لذلك .

أن الإنسان هو الكائن الحى الوحيد الذى لا تقيده بيئته ، ومن ثم فهو يستطيع أن يغير فيها ولا ينبغى له أن يحميها فقط، بل عليه أيضا أن يعمل على تحسينها.

دراسة المشكلات البيئية دراسة شاملة متكاملة لبحث العلاقات المتبادلة بينها ودور الإنسان فى خلقها وكيفية التخطيط لمواجهتها .

إن المشكلات البيئية ليست قاصرة على مشكلات الإستخدام الضار أو غير الرشيد للموارد الطبيعية أو مشكلات التلوث ، بل تمتد لتشمل العديد من مشكلات التخلف مثل نقص السكن ، وسوء ظروف الصحة العامة وسوء التغذية ، وقصور أساليب الإدارة والإنتاج ، وبعبارة أخرى تشمل جميع المشكلات الناجمة عن الفقر والتخلف .

ثالثا مهمة الإنسان فى البيئة كما حددها الإسلام

- خلق الله الكون بما فيه ومن فيه - كم يقرر القرآن الكريم - قبل أن يخلق الإنسان فالإنسان هو الحلقة الأخيرة فى سلسلة المخلوقات فى هذا الكون الرحب الفسيح ، وفى ذلك إشارة إلى أمرين من الأهمية يمكن إبرازهما ، الأمر الأول : أن هذا الكون كله مخلوق للإنسان ليؤدى مهمته المقدسة فى هذه الحياة : ففى الحديث القدسى : " يا ابن آدم خلقت الكون من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تنشغل بما هو لك عمن أنت له ". ((٤) ص : ٤٦) ، والأمر الثانى : أن الإنسان هو سيد هذا الكون وأرقى المخلوقات مرتبة ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم : ﴿ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في البرِّ والبحرِ ورزقناهم من الطيبات وفضَّلناهم علي كثيرٍ ممَّن خلقنا تفضيلا﴾(سورة الإسراء : ٧٠) .

- ويوضح القرآن الكريم كيف أن الكون كله خلق قبل خلق الإنسان فى قوله تعالى: ﴿ هو الذي خلَق لكُم ما في الأرض جميعاً ثم استوىَ إلي السَّماء فسوهنَّ سبع سماوات وهو بكل شئ عليم ﴾ (سورة البقرة : ٢٩) ، ففى هذا دلالة على أنه تعالى إبتدأ أولاً بخلق الأرض سبعاً وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك (١٥ ص : ٤٨) ثم يعقب القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى: ﴿وإذ قَالَ ربُّك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً قَالُوا أتجعلُ فيها من يُفسد فيها ويَسفكُ الدِماءَ ونحنُ نُسبِّح بحمدكَ ونقدِّس لَكَ قَالَ إني أعلمُ مالا تعلمُون ﴾ (سورة

البقرة : ٤٠) ، ولا شك أن المراد بالخليفة هنا ، كما أجمع العلماء ليس آدم فحسب ، وإنما المراد هو جنس الإنسان كله (١٥ ،ص : ٤٩) .

- وهكذا خلق الله الكون ، ثم خلق الإنسان من أجل مهمة أوضحها القرآن فى كونه خليفة لله فى هذه الإرض ، تلك هى وظيفة الإنسان وهذه الخلافة تعنى أول ما تعنى تعمير الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها والعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الإنتفاع الإيجابى بكل ما خلقه الله. ويتجلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ أنشأكُم مِنَ الأرضِ واستعمَرَكُم فيها ﴾ (سورة هود : ٦١) ، ومعنى استعمركم أى طلب منكم عمارتها وذلك لا يتأت إلا بأمرين : أولهما أن تبقى الصالح على صلاحة ولا تفسده وأن تصلح الفاسد وتزيد إصلاحه (١٦ ص : ١٥) .

- ويحدد القرآن الكريم - إلى جانب هذه الوظيفة ، الغاية التي خُلق الإنسان من أجلها فى قوله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليَعبُدُون ، ما أُريدُ منهم من رزقٍ وما أريدُ أن يُطعمُون ، إنَّ اللهَ هو الرزَّاقُ ذو القوة المتينْ ﴾ (سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨) ، فعبادة الله إذًا هى الغاية التى يجب أن تكون هدف الإنسان فى حياته - نحن إذاً أمام وظيفة للإنسان يؤديها فى هذا الكون (البيئة) بوحى من خالقه وغاية نهائية يرمى إلى تحقيقها من خلال (وأثنا ء أدائه لهذه الوظيفة ، ولا شك أن الوظيفة مرتبطة بالغاية إرتباطاً وثيقاً ولا تنفصل عنها، كما سيتضح فيما بعد.

العلاقة بين الوظيفة والغاية :

- إن وظيفة الإنسان تقوم - كما أوضحنا - علي تحقيق مبدأ الإستخلاف الذى يقوم على أن الإنسان هو خليفه الله فى هذا العالم (البيئة) بعث لتطويره وإعماره وتذليل صعابه والإستجابة لتحدياته من أجل تسوية أرضية كى تكون أكثر ملائمة لحياة مطمئنة تعلو على الضرورات بعد أن تحرر منه وتكون أكثر قدرة للتوجه إلى خالقها جل وعلا ، أن فمسألة الإستخلاف هذه تتكرر أكثر من مرة في القرآن الكريم : ﴿ هُو الذي جَعلَكم خَلائفَ في الأَرضِ فَمَن كفَر فعليه كُفرهُ ولا يزيدُ الكَافرينَ كُفرهم عند ربهم إلا مَقتا، ولاَ يزيد الكافرين كفرهم إلا خَسَاراً ﴾ (سورة فاطر : ٣٩) ، وغير ذلك من الآيات(١٧) .

- على أن مبدأ الإستخلاف هذا يبدو خلال هذه الآيات مرتبطاً بمتصل ، يتمثل أحد طرفيه فى العمل الجاد والتعمير والإبلاغ ومجانية الإفساد فى الأرض ، ويتمثل

الطرف الآخر فى تلقى القديم والتعاليم والشرائع عن الله والإلتزام الجاد بها خلال ممارسة الجهد البشرى فى البيئة بمفهومها الشامل فى إطار قوله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ (سورة الذاريات : ٥٦) .

– ونود أن نؤكد على أنَ العلاقة بين هذين الطرفين علاقة أساسية متبادلة (ذات ... إتجاهين) بحيث أن إفتقاد أى منهما فى مسيرة الإنسان فى الكون سيؤول إلى الخراب والضياع فى الدنيا والآخره معا .

– وفى هذا الإطار فالإنسان مطالب بتعمير الدنيا وإحيائها كى ينعم الجميع بخبراتها وتسخير طاقاتها وإمكاناتها التى خلقها الله له لخدمته وخدمة الأجيال التى تعقبه وفى هذا المعنى ورد الحديث الشريف : " إن الدنيا حلوةٌ خَضِرَة ، وأنَّ الله مُستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون " (١٨) وهو فى سعيه نحو هذا الهدف لابد أن يلتزم بمنهج الله الذى أنزله اليه ليضبط حركته فى الكون كما أراد له خالق الكون –

ولكن يقوم الإنسان بأعباء قضية الإستخلاف فإن ذلك يستلزم عدة أمور نوضحها فيما يلى :

١ – الخبرة والعلم : أى أن يكون للإنسان الخبرة والعلم الكافى بما يمكنه من أداء هذه المهمة المقدسة ، ولقد أنعم الله على الإنسان بما يحتاج إليه فى هذا السبيل، فمنحه القدرة على التعليم والإنتفاع بكل ما تقع عليه حين منحه المعرفة التامة لخصائص الأشياء وأسمائها :

﴿ وعلَّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثمَّ عرضهم علي الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كُنتم صادقين ، قالوا سبحانَكَ لا علمَ لَنا إلا ما علَّمتنا إنك أنتَ العليمُ الحكيمُ ، قالَ يا آدمُ أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بإسمائهم قال ألمْ أقُل لكُم إني أعلم غيْبَ السماواتِ والأرضِ وأعلمَ ما تُبْدُونَ وما كُنتم تكتمون ﴾ ، (سورة البقرة : ٣١ – ٣٣) .

– وتوضح الآية الكريمة أن الإنسان لم يبدأ من فراغ، بل خلقه عالماً مزوداً بالقدرات التى تمكنه من القيام بواجبات الإستخلاف فى الأرض وعمارة الحياة ، حيث كانت بداية المعرفة الإنسانية بهذا الكون ذلك العلم الوهبى لأبينا آدم عليه السلام ويفسر العلماء تعبير " الأسماء كلَّها " الوارد فى الآيات السابقة بأنها : (١٩ ص: ٣٢) ، أسماء كل الكائنات الحية والجمادات التى خلقها الله تعالى وألهم أبانا أدم معرفة ذواتها وخواصها وصفاتها فى شمول يقتضية لفظ . كلَّها . أى المعرفة اللازمة لحياته على الأرض والقيام بواجبات الإستخلاف فيها وعبادة الله كما أمر، وبالطبع – فلقد علم أدم بنيه ما تعلمه من علم لله، وورث بنوه ذلك العلم جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة بأن القدرة على التعلم وإكتساب المعرفة هى ميزة أساسية فى الإنسان وضرورة من ضرورات وجوده ، ومن هنا كان طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمة .

- وبالإضافة إلى هذا العلم الوهبى ، فقد أوكل الله تعالى الناس على ما وهبهم من قدرات على إكتساب المعرفة عن طريق النظر والتدبر فى أشياء ومكونات هذا الكون وإستقراء سنن الله فيه ونواميسه ، وحتى هذا العلم الكسبى المؤسس على النظر والتأمل والتفكر والإستنتاج أو الذى يتم التوصل إليه استجابة لإلحاح الحاجة ، لم يخل فى أحيان كثيرة عن ومضة من ومضات الإلهام الربانى من قبل ذلك الذى حدث لإبنَىْ آدم قابيل وهابيل حين اعتدى الأول على الثانى وقتله ثم حار فى أمر جثته ماذا يصنع بها ﴿ فبعثَ اللهُ غراباً يبحثُ فى الأرضِ ليريَهُ كيف يوارِى سَوْأَةَ أخيه قال يأويلتا أعجزت أن أكونَ مِثْلَ هذا الغُرابِ فأوارى سَوأةَ أخى ﴾ (سورة المائدة : ٣١) .

٢- تسخير المخلوقات للإنسان :

- ولتتم خلافة الإنسان عن الله فى الأرض كان لابد أن تخضع له المخلوقات الأخرى ليتم انتفاعه بها كما ينبغي، وتلك نعمة أخرى أسبغها الله عليه إذ سخرنا له وأسس قيادها لنفعه، ومن اليسير أن ندرك أن تسخير هذه المخلوقات للإنسان يتم بأحد سبيلين :

أ- **أولها** : القوانين التى خلق الله العالم عليها وجعلها بحيث تسد حاجات الإنسان المتباينة دون أن يكون له يد فى تسخيرها أو تسييرها أو قدرة على تغيير مجراها وقد عبر عنها القرآن الكريم فى أكثر من موضع مثل قوله تعالى : ﴿ اللهُ الذي خَلَقَ السماوات وَسَخَّر لكُم الفُلكَ لتجري في البَحرِ بأمره وسخَّرَ لكُم الأنهارَ وسخَّرلكُم الشَمسَ والقَمَرَ دائبين وَسَخَّر لكُم اللَّيلَ والنَّهارَ ﴾ (سورة إبراهيم ٣٢ - ٣٣) ، وغيرها من الآيات التى تشير إلى هذا المعنى (٢٠) .

ب- والطريق الثانى لتسخير المخلوقات الأخرى للإنسان هو القدرة على التعلم التى وهب الله الإنسان إياها وبواسطتها يستطيع أن يخضع هذه المخلوقات لإرادته ويوجهها الوجهة التى تصلح من شأنه وتسد من حاجته، وقد عبر القرآن الكريم عنها بمثل قوله تعالى : -

﴿ والأنعامَ خَلَقَهَا لكُم فيها دفءٌ ومنافعُ ومنها تأكُلون، ولكم فيها جمال حين تريحونَ وحين تسرحون ، وتحملُ أثقالكمَ إلي بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوفٌ رحيم ، والخَيلَ والبِغَال والحَميرَ لتركبُوها وزينة وَيخلُقُ مالاَ تَعلمُون﴾ (سوررة النحل ٥- ٨) (٢١) .

- ولما كان النوع الثانى من التسخير - والذى للإنسان يد فى بعض نواحيه - مبنيا على النوع الأول ومعتمداً عليه - إذ لولا خلق الله العالم وما فيه لما كان هناك

مكان للإنسان ولا مجال لإستعمال قدراته - كان من الحق أن يكون كلاهما من فضل الله على النوع الإنساني وهو ما تجده في قوله تعالى : ﴿ ألم تَرَوْا أن اللهَ سَخَّرَ لكُم ما في السموات وما في الأرضِ وأسبغَ عليكُم نعمَهُ ظَاهرةً وبَطنَهُ﴾ (سورة لقمان : ٣٠) ، وقوله تعالى : ﴿ وسخَّرَ لَكُم ما في السماوات وما في الأرضِ جميعاً منهُ إنَّ في ذلك لأياتٍ لقوم يتفكَّرون ﴾ (سورة الجاثية : ١٣) .

- وهكذا يتبين من العرض السابق أن الله خلق الإنسان من أجل وظيفة يؤديها في هذا الكون وهي القيام بأعباء الإستخلاف في الأرض ، كما أراد الله ولقد وهبه الله - كما بينا - كل ما يمكنه من القيام بهذه المهمة .

- ونأتي إلى الغاية من وجود هذا الإنسان في الكون والهدف من أداء هذه الوظيفة تلك الغاية وذلك الهدف الذي يتمثل في قوله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدُون ﴾ (سورة الذاريات : ٥٦) فعبادة الله إذاً هي الغاية التي يجب أنَ تكون هدف الإنسان في حياته ، ولكن ما معنى هذه العبادة ؟

معنى العبادة في الإسلام :

- إننا نعرف أن الإسلام لا يقر الإنقطاع الكلي عن العلم بإسم الدين وعبادة الله ، لان ذلك لا يحقق المهمة الأولى للإنسان في الأرض وهي خلافته لله عز وجل كما بينا، أن تعاليم الإسلام تأبى أن تحدد العبادة المطلوبة منا بما هو شائع من أن العبادات شئ والمعاملات شئ آخر، وهو ما يفهمه البعض من كتب الفقه الإسلامي عندما تفصل في تبويبها بين العبادات والمعاملات ، وتأبى كذلك تعاليم الإسلام أن تحدد العبادة بأنها الصلة بين الإنسان وربه فحسب بغض النظر عن نوع الصلة التي تكون بينه وبين بني جنسه ، وغيرهم من مخلوقات الله في هذا الكون .

- وإذا كان ذلك كذلك .. فما المعنى المقصود بالعبادة ؟

إن العبادة التي يتطلبها الإسلام من أتباعه هي السير في الطريق التي تؤدي إلى تحقيق خلافتهم عن الله في الأرض، ومن لوازم هذا - بعد الإيمان بالله وأداء العبادات المشروعة والمقررة - الضرب في الأرض والتعاون مع الغير وأداء الواجب والمحافظة على حقوق الآخرين وإستخدام ما سخر الله له فيما يرضي الله تعالى، والالتزام بإن يكون عضواً فاعلاً ونافعاً في هذا الكون ومصلحاً إليه لا مقصداً فيه ، وهكذا يتضح لنا ذلك الإرتباط الوثيق بين الوظيفة والغاية.

الوظيفة : هي تحقق مبدأ الإستخلاف القائم على النظر في الكون والكشف عن أسراره والتعريف على نواميس الله فيه، لتطبيق تلك الكشوف والقوانين في استثمار

ثروات الأرض وإحكام السيطرة عليها ... وكل هذه الأمور هي من واجبات الإستخلاف، ولا تتوقف هذه الجهود عند هذا الحد فحسب وإنما ينبغي أن يكون ذلك كله طريقا للإنسان للتعرف على خالقة وإعجازه في خلقة وهما من واجبات العبودية لله.

الغاية : تلك العبودية التي تمثل الضمان الوحيد لعدم إستخدام معطيات الجيد الإنساني والعلم والتقليدية في غير طاعة الله فضلا عن سوء توظيفها في العديد من صور الفساد والإفساد المنتشرة في عالمنا اليوم .

- ومن هنا فإن الإنسان وفقا للتصور الإسلامي لا يرى في الكون عدواً له من الواجب أن يقهره ويقف في وجهه ويتحداه ، وإنما يرى فيه خلقاً سخره الله له ينسجم معه بالطاعة ، كما ينسجم بتفهم السنن الإلهية التي تحكمه ويتوافق مع ظروفه بالإلتزام بالحق ، كما يتوافق بتفهم القوانين التي تحكم تلك الظروف ويرضى بكل مجريات الأمور فيه بعد استنفاد طاقته وأقصى جهده لا رضاء المقهور ، ولكن رضاء المستسلم لله الذي يؤمن بأن أمور الكون ، وما فيه كلها بيد الخالق (١٩، ص : ٧٢) .

- ومن هنا فإن كل جهد للإنسان في هذا الكون ينسجم مع الغاية التي من أجلها خلق يصبح جهداً مأمور به شرعاً في التصور الإسلامي ، والعكس صحيح فإن كل جهد لا ينسجم مع هذه الغاية يصبح لوناً من ألوان الفساد والإفساد الذي يحاربه الإسلام ويؤثر من يقوم به .

ويرتبط بذلك أمران أساسيان هما :

أ- أن عبودية الإنسان لله : وهي جوهر الدين ومحور التدين وأولى عقائد الإسلام والمدخل إلى رحابه - هذه العقيدة الدينية العظمى على أهميتها هذه نجد أن الإسلام قد اعتبرها الحق الذي استوجبه الله سبحانه وتعالى على الإنسان لقاء إنعامه عليه بضرورات الحياة المادية والمعنوية ، فلقاء النعم المادية ولقاء نعمة " الأمن " استحق الله سبحانه وتعالى من الإنسان أن يفرده بالألوهية والعبادة قال تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ (سورة قريش) .

ب - الأمر الثاني : أن صلاح أمر " الدين " بهذا المعنى موقوف على صلاح أمر "الدنيا " ويستحيل أن يصلح أمر الدين إلا اذا صلح أمر الدنيا ، أي إلا اذا تمتع الإنسان بهذه الضرورات التي أوجبها الإسلام (٢٢ ص : ١٦) .

ويعبر الإمام الغزالي عن هذه الحقيقة الإسلامية عندما يقول : إن نظام الدين لا يعمل إلا بنظام الدنيا ، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل اليهما إلا بصحة

الأبدان وبقاء الحياة وسلامتها قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن ، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية ، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة متى ينفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة ، فأذن إن نظام الدنيا أعنى مقادير الحاجة شرط لنظام الدين (٢٣ ص : ١٢٥) .

رابعا : مكانة الإنسان المتميزة فى البيئة

من أجل أداء الوظيفة الأساسية للإنسان - التى سبق الإشارة إليها - ومن أجل تحقيق الغاية التى خلق من أجلها كان لابد وأن يكون للإنسان موقفاً متميزاً بين غيره من عالم الأحياء الذين يشاركونه الحياة علي كوكب الأرض ، فالإنسان فى الواقع كائن حى يشترك مع الأحياء الأخرى بمجموعة الخصائص التى تعرف بمظاهر الحياة ، والإنسان يصنف ضمن العالم الحيوانى لانه يشترك مع الحيوانات بخصائصها الأساسية ، من حيث نمط بناء الجسم والأسلوب الذى تتم فيه النشاطات الحيوية ، إلا أن الله تعالى وهب الإنسان من الخصائص البيولوجية التى جعلت منه سيد الخلائق ، والتى يمكن أن نجملها فيما يلى : (٢ ،(ص ص : ١٢٩ - ١٣٢) .

١- أنتصاب القامة : حيث أثر انتصاب قامة الإنسان فى تكيفات عديدة فى الهيكل والعضلات وتوزيع الأحشاء الداخلية ، ولعل من أبرز هذه التكيفات : المشى على قدمين وترك اليدين حرتين ليستعملان إستعمالات مفيدة ودقيقة ، ولعل الإنسان مدين إلى "القبضة الدقيقة " فى اختراع الكتابة التى هى مجموعة من الأساليب يقوم بها الكلام المنطوق بطريقة رمزية تجعل من الممكن توفير الأتصال البعيد المدى على مدونات دقيقة وتوفير نظم التعليم والبحث ، وهذه كلها وظائف حيوية للثقافة الإنسانية ، والإنسان أيضا مدين للتكوين الخاص ليده الذى مكنه من الوصول الى عصر الحضارة العلمية والتكنولوجية ، التى هى سبيل الإنسان إلى فهم البيئة وتسخير القوى والطاقات الموجودة فيها لمصلحته .

٢- طول مدة إستكمال النمو بعد الولادة : إن هذه الميزة تجعل مدة الرعاية التى يحاط بها الإنسان كبيرة بالمقارنة بالرئيسيات الأخرى ، مما يساعد على أن يبدأ حياته وقد أخذ خبرات متعددة فالإنسان يحتضن صغيره حتى سن الحادية والعشرين ، مؤدباً ومعلماً وهى فترة تعادل ثلث حياته فى المتوسط يتعرض فيها ويعدها لعملية تعلم مستمرة يتزود خلالها بأساليب الحياة الملائمة للبيئة التى يعيش فيها .

٣- تعقيد الدماغ : ونمو جهاز صوتى راق مكنا الإنسان من النطق بلغة واضحة بيِّنه ، كان لها الأثر فى نشوء الثقافة الإنسانية ، التى جعلت من الصعب فصل "

الإنسان البيولوجي " عن الإنسان الثقافي ، حيث أنهما متداخلان بشكل كبير، ومن هنا يرفض الكثيرون القول بأن الإنسان حيوان ناطق لأن الإنسان قادر على تحقيق درجة عالية من تمايز السلوك على أساس سيكولوجي ، يتجاوز كثيرا حدود التنظيم البيولوجي الصارمة التي نجدها في بعض المجتمعات الحيوانية المنظمة كمجتمعات النمل والنحل - هذا هو الإنسان كائن حي فريد متميز بين أحياء البيئة المتعددة والمتنوعة لا يرقى إلى إمكانته وقدراته أي منها، فهو غير مقيد في بيئة واحدة بل يعيش في كل البيئات ويغير فيها حتى تناسبه ولا يتغير من أجلها ، كما تفعل الحيوانات المتكيفة مع ظروف بيئتها .

- وإلى جانب هذه المميزات والخصائص البيولوجية ، فإن الله قد ميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية بعدة مميزات أخرى ، نذكر منها : -

أ- إن الله تعالى عندما خلقه نفخ فيه من روحه ، فهو الكائن الوحيد من بين الكائنات الحية الذى إختص بهذه الخصوصية ، قال تعالى : ﴿ ذلك عالمُ الغيب والشَهَادة العزيز الرَّحيم ، الذي أحَسنَ كلَّ شئٍ خَلَقة وبَدأ خَلق الإنسان من طين َ، ثم جَعلَ نسلَه منَ سلالةً من ماء مهين ثم سَوَّاه ونفخ فيه من روحه ﴾ (سَورة السجدة : ٦ - ٩) وهكذا فإن روحَ الله التى نفخت فيه تفضله عن سائر المخلوقات وتهبه علاقته فريدة بخالقه أنه كائن قادر على السلوك العقلى والحكم على الأشياء والتقرير الإرادى والإختيار الأخلاقى .

ب- إن الإنسان هو كائن مكلف : وهى خاصية ينفرد بها الإنسان بين سائر المخلوقات والكائنات الحية قال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانةَ على السماوات والأرضَ والجبالِ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملَها الإنسانُ إنَّه كَانَ ظَلوما جهُولا ﴾ (سَورة الأحزاب : ٧٢) ، والأمانه كما يرى علماء التفسير هى أمانة التكليف ، حسب منهج الله تعالى : افعل ولاتفعل (٢٤ ، ص ٣٢) .

جـ- أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يصنع الحضارة من بين المخلوقات جميعاً بما وهبه الله من خصائص وإمكانات تميزة عن غيره من المخلوقات ، هذه الخصائص جسمية كانت أو ذهنية مكنت له من التوصل إلى إكتشاف فوائد كثيرة فى أشياء متعددة مما كان حوله وتحت بصره كالنار وبعض المعادن، ومكنته من إبتكار أشياء أعانته على تيسير حياته كالأسلحة والفخار ، وهذه الأشياء نفسها شحذت ذهنه ، وأطلقت عقله ، فمضى يستزيد من الاكتشافات والمبتكرات زماناً بعد زمان (٢٥ ص ص: ٣١) .

تفاعل الإنسان مع البيئة :

وتأسيساً على ما سبق ، يمكن لنا أن تقرر أن التفاعل بين الإنسان ، قدم ظهور الجنس البشرى على كوكب الأرض ، منذ أن هبط أدم ليلتقى بحواء على الأرض -

لتبدأ مسيرة الجنس البشرى على هذا الكوكب ، وتبدأ في نفس الوقت رسالة هذا الجنس كما أرادها الخالق .

وكما سبق أن أشرنا فلقد شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يجعل من الأرض محورا للحياة الإنسانية فى هذا النسق الكونى العظيم فغمرها بجميع ما يحتاج إليه الإنسان من نبات وحيوان وثروات طبيعية وطاقة ، وأدار الحياة على الكرة الأرضية فى تناسق بديع وتوازن محكم لا تكاد تجد له شبيه فى هذا الكون ، فتجسدت المعجزة الإلهية الكبرى فى تجدد الحياة فى دورات متتابعة متكاملة مكنت الإنسان من الإفادة من الثروات الطبيعية الهائلة والتمتع بما فى الأرض من مياه وغابات ومعادن وغيرها من المكونات الحية أو غير الحية، ومن تطوير حضارات متقدمة أثرت الحياة البشرية وأتاحت لها فرصة الإرتقاء بالجهاد الإنسانى لتحقيق التنمية والتقدم المضطرب والرفاة للملايين من سكان هذا العالم ، وتحقيق التقارب الذى نعيشه بين أجزاء الكرة الأرضية بفضل التقدم الذى أحرزه الإنسان فى وسائل الإتصال والمواصلات الحديثة (٢٦ ص٨) .

واذا نظرنا إلى علاقة الإنسان بالبيئة وتطور هذه العلاقة منذ بدء الخليقة ، لوجدنا أنها مرت بمراحل تروى على شكل قمة تعكس هذا التطور وندرة ظهور المشكلات البيئية وتعقدها ، كما تعكس تحول الإنسان فى موقفه من البيئة المحيطة .

ويمكن استعراض تاريخ علاقة الإنسان بالبيئة والمراحل التى مرت بها هذه العلاقة بإيجاز على النحو التالى : (٢٧٨ ،ص ٢٠) .

(١) مرحلة الصيد والجمع : حيث كان الإنسان يعيش وحشياً معتصما بالغابات يعيش على أغصانها وثمارها أول الأمر ، إذ أنه تميز فى هذه المرحلة بالعجز والضعف عن حماية نفسه ، فلجأ إلى أمن الأشجار فى الغابات ، وكان يجمع طعامه من ثمار النباتات أو أوراقه ، وكذلك يجمع ما يحتاجه للملبس والمسكن من ألياف الأعشاب على البيئة خيناً وضعيفاً لا يجاوز أثر غيره من أكلات العشب أو الحيوانات التى تجمع العسل (رحيق الأشجار) أو بيض الشجر ، وكان الإنسان فى هذه المرحلة مشغول بحماية نفسه من غوائل البيئة التى تهدده ليل نهار فى صورة أمطار وعواصف وثلوج وحيونات متوحشة ....الخ .

– ثم تحول الإنسان بعد ذلك بمرور الوقت وتطور الحياة البشرية إلى مرحلة أخرى يعبر عنه بمرحلة " الصيد والقنص " ويشير حسين مؤنس إلى هذه المرحلة ، حين يقرر قائلا : (٢٧ : ٧٠ – ٧٢) .

" ولا سباب لم يكشف النقاب عنها حتى اليوم بارح الإنسان الغابات والأشجار ونزل إلى البطاح وهام على وجهه فيها ، طالباً قوته بالصيد وجمع الثمار فإذا جن الليل لجأ إلى النيران والكهوف يحتمى بها ، وأنقضت دهور متطاولة وهو على هذه الحالة " .

والذى يهمنا التأكيد عليه فى هذا الصدد أن آثر الإنسان فى البيئة أصبح فى هذه المرحلة يجاوز أثر آكلات العشب التى تميزت به المرحلة السابقة ، وانتقل إلى أثر آكلات اللحوم ، وهكذا تقدم الإنسان خطوة إلى الأمام فى مجال علاقته بالبيئة وتفاعله معها وتأثيرة فيها والبدء فى إحكام سيطرته على بعض إجرائها وعناصرها، حيث تعلم الإنسان فى هذه المرحلة أساسيات التخطيط للقنص والصيد ، لانه جهد يحتاج إلى العمل المشترك لجماعة متعاونة واستحدث الإنسان تكنولوجيا الصيد ، وطور أدواته من مصيد وفخاخ ورماح وأهم من ذلك كله أن الإنسان اكتشف فى هذه المرحلة النار وبها أصبحت له قدرة على التأثير البيئى تزيد بكثير عن قوته العظيمة .

(٢) مرحلة إستئناس الحيوان والرعى :

وفى هذه المرحلة تحول إطار العلاقات البيئية للإنسان تحولاً بالغاً ، حين حول الإنسان أنواعاً من الحيوانات من الحياة البرية إلى حياة الإعتماد على الإنسان وجعل من هذه الحيوانات قطعاناً متكاثفة العدد ومتكاثفة الأثر البيئى على الكساء النباتى ، وتعلم الإنسان حياة الرحلة الموسمية من المرابع إلى المصايف ، سعياً وراء التحولات الموسمية فى الكساء النباتى ، وتميزت هذه المرحلة بإتساع مدى تأثير الإنسان فى البيئة من حوله .

(٣) مرحلة الزراعة والإستقرار :

حيث إستكمل الإنسان - فى هذه المرحلة - سيادته على الأحوال والمكونات البيئية وبدأ يتحول من جمع الطعام إلى انتاجه ، واستطاع أن يبدل الكساء النباتى البرى بألوان وأنماط من الكساء النباتى يزرعها ويفلحها وهو يستعمل مياه الأنهار وضبطها بما ينشئه من سدود وما يشقه من قنوات وترع لرى الأرض التى استزرعها ، وهو يبنى القرى التى يعيش فيها حيث تتكاثف الجماعة الإنسانية ، واستحدث الإنسان الآت الحرث والرى والحصاد واستخدام الحيوان فى عمله ، أى أنه استخدم مصادر القوة والطاقة البيولوجية ، بالإضافة إلى قوة عضلاته .

- ومماسبق نلحظ أن الإنسان فى مرحلة الزراعة، أصبحت له أثار بيئية هائلة، وأنه أحدث تغيرات بيئية بارزة المعالم ، ولكننا نتبين أنه لم ينشئ فى عمله مواداً كيمائية

غريبة علي النظم البيئية ، وهذا يعني أن مخلفات العمل والحياة الإنسانية والنشاط البشرى ، كانت مما تستطيع الدورات الطبيعية ان تستوعبه وتجريه فى سلاسل تحولاتها بفعل الكائنات الأرضية التى تتم عمليات التحلل الطبيعى .

(٤) عصرالصناعة :

ثم يجئ عصر الصناعة وما اتصل به من عمران تميزت به حياة الحضر الصناعى عن حياة الريف الزراعى ، وأصبح فى إمكان الإنسان أن يعيش فى بيئة من صنعه بما يبنى من مساكن ويهئ لها من وسائل التدفئة التبريد والإضاءة ، وطوع الإنسان مصادر القوة والطاقة التى جعلت بين يديه من آلالات الهائلة ما جعل الآثار البيئة إمتداداً على مساحة من الأرض وفى البحار والهواء وعلى جميع مكونات البيئة .

– ويجدر بنا أن نؤكد فى هذا الصدد على عدة أمور لها أهميتها فى مجال علاقة الإنسان بالبيئة فى هذه المرحلة : –

أ– أن الإنسان تمكن فى هذه المرحلة من استغلال مصادر حفرية للوقود هى الفحم والبترول ، وبذلك أصبح يحرق مواداً كربونية أكثر بكثير من قدرة النظم البيئية على الإستيعاب ونتج عن ذلك تزايد مضطرد من أكاسيد الكربون فى الهواء الجوى (تغير كمى فى البيئة) .

ب– أن الصناعة أصبحت قادرة على إنشاء مركبات كيميائية طارئة على النظم البيئية غريبة عليها ، أى أن التحولات الطبيعية فى دورات المواد البيئية غير قادرة على استيعابها ، إذ أن النظم البيئية لا تشتمل على كائنات قادرة على تحليلها وإرجاعها إلى عناصرها الأولى كما تفعل بالمركبات العضوية الطبيعية .

جـ– أن الإنسان أصبح يعتمد فى مجال توليد الطاقة على مصادر مغرية غير متجددة بالإضافة إلى المصادر المتجددة ، مما ينتج عنه خطر استنزاف هذه المصادر غير المتجددة للنظام البيئى (٢٨) .

– ومع تطور الحياة الإنسانية والتقدم العلمى والتكنولوجى الذى يحرزه الإنسان يوماً بعد يوم ازداد تأثير الإنسان على البيئة ، وتحكمه فيها ، وأصبح الإنسان يمثل فى نظر العلماء والمهتمين بالبيئة – مشكلة البيئة .

ولقد ترتب على تطور العلاقة بين الإنسان والبيئة العديد من المشكلات التى يمكن أن يميز أهمها على النحو التالى : –

١– النمو الانفجارى فى عدد السكان وما يترتب عليه من صعوبة توفير الغذاء ومتطلبات الحياة الأخرى فضلاً عن الأثر التى يحدثها هذا العدد الهائل من السكان فى النظم البيئية .

٢- الثورة العلمية والتكنولوجية ، وتسارع التغيرات التى أحدثتها وتحدثها هذه الثورة فى البيئة وضخامتها وشمولية بعض أثرها ، حيث برزت قضيتان أو مشكلتان على جانب كبير من الخطورة هما : تلوث البيئة ، واستنزاف المصادر والموارد الطبيعية ، وهما قضيتان أبسط ما يمكن أن يقال عنهما أنهما تهددان حياة الأجيال القادمة .

٣- اختلال التوازن الطبيعى فى البيئة حيث تعرضت الأنظمة البيئية ولازالت تتعرض لتغييرات من صنع الإنسان لم تقدر فى الكثير من الأحيان على استيعابها في سلاسلها ودوراتها الطبيعية ، كما أدى الى ارباكها أو تدهورها.

خامسا : مكونات المنهج الإسلامى فى رعاية البيئة

إن الله وهبنا الكون بكل مظاهر جماله وأنماط بيانه لا لنلهو به ونعبث بل لنعايشه فى سلام ووئام ، تلك حقيقة ينبغى أن تقررها بداءة ذلك لأنه إذا كان الإنسان – كما أشرن – هو ذلك الكائن الحى الذى شاءت القدرة الإلهية أن تكونه وترفعه فوجد كثيراً من الكائنات الأخرى فسخرت له الوجود كله حتى يمكنه تحقيق خلافته لله على هذا الكوكب الأرضى ، فإنها قد حملته مسؤلية حمايته ورعايته ، ومن هنا كان على الإنسان العاقل الرشيد أن يقابل النعم بالشكر والعرفان لا بالجحود والنكران أو التمرد والعصيان ، إن الشريعة الإسلامية هى أعظم نظام للحياة وأنسب شرائع العالم حتى آخر يوم فى الدنيا ، انها الشريعة التى نفت فوقية الظواهر الطبيعية ، فلم يعد لها قصر يؤدى بالإنسان إلى السجود لها ، كما كان يحدث فى عهود غابرة ثم هى أيضا دعت إلى معايشة هذه الظواهر الطبيعية والمكونات البيئية فى سلام وحسن جوار ونبذ كل صنوف العداء لعناصر البيئة أو إضاعة التناغم والإنسجام الذى أودعه الله فى كل جزئية فيها .

إنها علاقة ألفة ومحبة واحترام وتواد تلك التى نظمها الإسلام بين الإنسان وما تحتويه بيئته من موجودات حية وغير حية ، إن الإسلام تتسع دائرته لتشمل كل نواحى الحياة فلا تجد خيراً أو سعادة إلا وقد وجه لها ودفع للأخذ بأسبابها ولا تجد فسادا الا وقد نهى عنه وحذر منه ولعل دعوته إلى حسن تعامل الإنسان مع بيئته لواحدة من شمولية هذا الدين الحنيف .

ويمكن أن نجمل الجوانب الأساسية التى تشكل منهج الإسلام فى رعاية البيئة على النحو التالى :

تتصور أن هذا المنهج الذى يضبط علاقة الإنسان بالبيئة يتكون هيكله من ثلاثة أجزاء رئيسية هى : الأسس والأهداف والمنهج أو الإجراءات . وهذه الإجراءات فى الواقع مبنية على مجموعة من المعتقدات الإسلامية التي تحدد المنهج الإسلامى الذى يرمى الى تحقيق الأهداف الإسلامية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان بالبيئة ويمكن أن نوضح النقاط الثلاث على النحو التالى :

أولا – الأسس (المعتقدات) :-

وتقوم على أمرين أساسيين يشكلان حدود وضوابط علاقة الإنسان بالبيئة وهما : –

أ- الإيمان بنظام إسلامى فى السلوك والتصرف حيال البيئة .

ب- الإيمان بنظام إلهى فى الثواب والعقاب فى ضوء الإلتزام بالسلوك الإسلامى من عدمه .

وهذا يعنى أن الإنسان مطالب (وفقا للتصور الإسلامى) بأن يقيم علاقته بالبيئة التى يعيش فيها ملتزما بألوان من السلوكيات والتصرفات التى رسمها المنهج الإسلامى المتمثل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، والتى تحكم هذه العلاقة وتضبط مسارها ، وإن هذا الإلتزام بالنظام الإسلامى فى السلوك لن يتأثر إلا بعد الإيمان بنظام إلهى فى الثواب والعقاب ، والثواب لمن التزم بالسلوك الإسلامى نحو البيئة والعقاب لمن خالف هذا السلوك .

وفى ضوء هذا الفهم يمكن لنا أن نحدد الأسس التى يستند إليها التصور الإسلامى فى هذا الصدد فى النقاط التالية :

(١) تبصير الإنسان بنواميس الكون ومكوناته :

أ – التوازن الطبيعى للكون :

يوجب الإسلام على الإنسان أن ينظر ويتأمل ويتدبر فى نواميس الكون من حوله وتتجلى أهمية ذلك التوجيه إذا ما علمنا أن البيئة الطبيعية (الكون) تتميز بتوازن دقيق محكم بين عناصرها المختلفة ، فلو أن ظرفا ما أدى إلى إحداث تغيير من نوع ما فى أحد هذه العناصر ، فإنه بعد فترة قليلة قد تؤدى بعض الظروف الطبيعية الأخرى إلى تلافى آثار هذا التغيير ليعود النظام البيئى إلى صورة أخرى من صور التوازن ، ومن الأمثلة على ذلك أن النار إذا دمرت جزءا من احدى الغابات ، فإنه بعد عدة أعوام قليلة تعود هذه الأرض التى احترقت أشجارها إلى طبيعتها الأولى تنمو بها الحشائش والأعشاب ثم سرعان ما تكتسى بالأشجار الباسقة مرة أخرى (٣ ص : ١٨) وهكذا فلقد خلق الله هذا الكون بمكوناته بمقدار وميزان وترتيب وحساب دقيق ،

بحيث يتلائم كل شئ مع مكانه وزمانه وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه فلا يعطل وظيفته أو يعوق سيرها لما خلقت له وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل ينتظم به سير الوجود كله بما في ذلك الإنسان نفسه .

والأمثلة على ذلك كثيرة نعرض هنا لبعض منها : -

- فالماء مثلا : باعتباره مكون من مكونات البيئة غير الحية خلقه الله بقدر وأنزله بقدر بحيث لا يقل عن حاجة الكائنات الحية فيكون الجدب والقحط والهلاك ، ولا يزيد عنها فيكون الغرق والضرر ولا تطغى المحيطات على اليابسة ولا الملح على العذب وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماءِ ماءً بِقَدَرٍ ﴾ (سورة المؤمنون : ١٨) .

- والشمس : باعتبارها احد مكونات الكون أحسن الله خلقها لتؤدى وظيفتها فى امداد الحياة بالطاقة الضوئية والحرارية ولكنه خلقها بحيث تجرى إلى غايتها فى مدار محدود لا تصطدم بكوكب آخر ولا تقترب من الأرض قرباً يحرق أحياءها ولا تبعد عنها بعداً يحرمنا الحرارة اللازمة للحياة فيها. وإلى ذلك يشير القرآن الكريم ليبصر الإنسان بهذه الحقيقة فى قوله تعالى : ﴿ والشمسُ تجرى لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيزِ العليم ، والقمرَ قدرناهُ منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌ فى فلكٍ يسبحون ﴾ (سورة يس : ٣٨ - ٤٠) .

وفى هذا الصدد يقول احد علماء الطبيعة : تدور الكرة الأرضية حول محورها مرة فى كل ٢٤ ساعة أو بمعدل نحو ألف ميل فى الساعة ، ولو افترضنا أنها تدور بمعدل مائة ميل فقط فى الساعة فماذا سيحدث عندئذ يكون نهارنا وليلنا أطول مما هو عليه الآن عشر مرات ، وفى هذه الحالة قد تحرق شمس الصيف الحارة نباتاتنا فى كل نهار وفى الليل قد يتجمد كل منبت فى الأرض (٢٩ ص ص : ٤١ - ٤٢) .

* سبحانه خلق فقدر : ﴿ وخَلَقَ كلَّ شئٍ فَقَدَّرهُ تَقْديراً ﴾ (سورة الفرقان : ٢) ﴿فالقُ الإصباحِ وجَعَلَ اللَّيلَ سكنا والشمسَ والقمرَ حُسباناً ذلك تقديرُ العزيزِ العَليم ﴾ (سورة الإنعام : ٩٦) .

وهكذا فإن الإسلام يوجب على الإنسان أن تتناغم حركته فى الكون مع قانون التوازن بحيث تؤدى تصرفاته إلى الحفاظ على التوازن البيئى لا الإخلال به .

ب- الإلتفات إلى مكونات البيئة :

حيث نجد فى القرآن الكريم العديد من الآيات التى تلفت نظر الإنسان إلي هذه المكونات حية كانت أو غير حية : فإلى الماء وأهميته كعنصر من عناصر البيئة يشير

القرآن الكريم بقوله : ﴿ وجعلناً من الماء كلَّ شيءٍ حيٍ أفلا يؤمنون ﴾ (سورة الأنبياء : ٣٠) ولقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم ثلاثة وستين موضعا وقد جاء فيها بمعان مختلفة.

– وإلي الأرض : يلفت نظر الإنسان فى عدة مواقع : ﴿الذي جعَل لكُم الأرضَ فراشاً والسماءَ بناءً ﴾ (سورة البقرة : ٢٢) ، وقوله : ﴿ وتري الأرضَ هامدةً فإذا انزلنَا عليها الماءَ اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ (سورة الحج : ٥)

– وإلى الأنواع المختلفة من النباتات يشير القرآن الكريم فى العديد من آياته : ﴿وهو الذى أنشأ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشاتٍ ، والنخلَ والزرعَ مختلفاً أكُلُه والزيتونَ والرمانَ متشابهًا وغيرَ متشابه كُلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقَّه يوم حصاده ولا تُسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ (سورة الإنعام : ١٤١) .

– وإلى الفضاء الكونى بما يحويه من مكونات وعناصر يشير قوله تعالى :

﴿ وهو الذي جعل الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدَّره منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ ، ما خلق اللهُ ذلك إلا بالحق يفصِّلُ الآيات لقومٍ يعلمون ، إن في اختلاف اللَّيل والنَّهار وما خلَقَ اللهُ في السماواتِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يتقونَ ﴾ (سورة يونس : ٦) .

– وإلى عالم الحيوان يشير القرآن الكريم بقوله :

﴿وما من دابةٍ فى الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أُمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (سورة الإنعام : ١٣٨) .

وغير ذلك كثير من أيات القرآن الكريم التى تلفت نظر الإنسان إلى ما يحيط به من مكونات بيئية وتدعوه إلى إعمال فكره فيها واستثمارها فى تحقيق أعباء الخلافة وعمارة الأرض .

(٢) الإيمان بأن أى سلوك يصدر عن الإنسان لابد وأن يكون لصالح البيئة ومدعما لها ومضيفا إليها ، وأن أى سلوك ضار بالبيئة هو سلوك مرفوض إسلامياً يستحق به عقاب الله عز وجل يوم القيامة .

(٣) وفى المقابل فإن الإنسان فى الإسلام غير مطالب بأن يقف مكتوف الأيدى أمام النظم البيئية ومكوناتها وإنما هو مطالب شرعاً بأن يعمل ويتخذ الأسباب فى استثمار هذا المكونات لصالح البشرية ومن أجل حياة كريمة لبنى البشر على هذا الكوكب .

ثانيا – الأهداف

وتتمثل فى هدفين أساسيين بينهما إرتباط وثيق وهما : –

(١) تحقيق المنفعة الدينية والأخلاقية .

(٢) تحقيق المنفعة الدنيوية .

فالمنفعة الدينية والأخلاقية إنما تحقق بتحقق الغاية التى من أجلها خلق الإنسان فى هذا الكون وهي تحقيق مبدأ العبودية لخالق هذا الكون سعياً لكسب رضوانه وثوابه ، **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين حنفاء....﴾**.(سورة البينه : ٥) .

وأما المنفعة الدنيوية فهي تحقيق التنمية والتقدم فى إطار التصور الإسلامى الذى يعتمد على ركيزتين أساسيتين ينبغى أن يتنبه لهما الإنسان المسلم فى سعيه لتحقيق التنمية المرجوة وهما: –

أ– الإعداد الذاتي : ويتجلى فى قوله تعالى : **﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيلِ ترهبون به عدوَ الله وعدوكم ﴾** (سورة الأنفال : ٦٠) .

فالآيه تحث على الإعداد بكافة جوانبة ومجالاته إقتصادياً وإجتماعياً وبيئياً وسياسياً ونفسياً وعسكرياً وأخلاقياً وعلمياً ، مع التأكيد على الأخذ بأسباب العلم الحديث ، وابتكار الوسائل والأساليب التى تختزل آثارها الضارة بالبيئة (٣٠ ص : ٢٠٢) ولا شك أن سلامة البيئة يعد من العناصر الضرورية لتوفير مقومات الحياة المطلوبة شرعاً، والإهتمام بالبيئة بالوسائل الوقائية والعلاجية يعد خطوة ضرورية في سبيل تحقيق هذا الإعداد .

ب– التغيير الذاتي : والذى يتمثل بوضوح فى قوله تعالى : **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** (سورة الرعد : ١١) .

والذى يوضح حد التغيير الإيجابى ، وقوله تعالى : **﴿ .. ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها علي قوم حتي يغيّروا ما بأنفسهم ﴾** (سورة الأنفال : ٥٣) . على أنه ينبغى أن تلفت النظر إلى أن التغيير المطروح فى القرآن الكريم يمتد إلى كافة المساحات ، وسائر المكونات النفسية والجسمية والروحية والعقلية والبيئية ، وكل العلاقات الداخلية والخارجَة مع الذات أو مع الأخرين أو مع البيئة المحيطة والتى تمكن الإنسان المسلم من مواجهة حركة الحياة (٣٠ ص : ٣٠٣) .

ثالثا – المنهج أو الإجراءات لتحقيق هذه الأهداف :

ويمكن القول أن المنهج الإسلامى فى رعاية البيئة والحفاظ عليها يقوم على عدة مفاهيم أساسية :

١– مفهوم الإعتدال :

ونعنى به الإعتدال والتوسط فى تعامل الإنسان مع مكونات البيئة ، فلقد أجمع علماء العالم وفلاسفته على أن الإنسان يعد من أكبر عوامل اضطراب التوازن الطبيعى

في هذا الكون ، ذلك التوازن المحكم الذى وهبه الله لكوننا الأرضى الذى شاء سبحانه أن يكون توازناً مضبوطاً بقوانين وأسس دقيقة فهو القائل : ﴿ وأنبتنا فيها من كُل شئ موزون ﴾ (سورة الحجر : ١٩) إلا أن الإنسان عاقلاً كان أو جاهلا ، يتدخل فى دولاب البيئة بما يفسد عليها نظامها المحكم الدقيق ، وهو ينسى أو يتناسى أنه هو نفسه الضحية فى نهاية المطاف ، ولقد صور القرآن الكريم هذا الموقف وتنبأ به فى قوله تعالى : ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ (سورة الروم : ٤١) .

ومن هنا أمر الإسلام بالتوسط والإعتدال فى كل تصرفات الإنسان ، بل أن الإسلام هو دين الوسطية والإعتدال : قال تعالى : ﴿ وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ (سورة الأعراف : ٣١) . فالإسلام لا يقر وقوف الإنسان مكتوف الأيدى إزاء النظم البيئية المحيطة به فإن ذلك يتنافى مع مهمة الخلافة ، وكذلك فهو لا يقر استنزاف هذه النظم والجور عليها بما يوثر على التوازن البيئى ، وإنما على الإنسان أن يتعامل مع هذه النظم بما يمكنه من تطوير حياته ، وأن يضع نصب عينه أن يكون عنصراً فاعلاً فى المحافظة على التوازن البيئى ، لا أن يكون مسرفاً يعطى لنفسه كل شهوانها ، دون ضابط من عدل أو احترام لحقوق الناس وفق منهج الله .

وهكذا نهى الإسلام عن الإسراف " ولا تسرفوا " الذى يعنى الإفرط ومجاوزة الحد ووضع الشئ فى غير موضعه ، وسبق أن أوضحنا أن من أخطر نتائج عدم الإعتدال في علاقة الإنسان بالبيئة هو تدمير التوازن البيئى ذلك التوازن الذى يعتبر أحد النواميس التى سنها الخالق لإستمرار الوجود واستمرار الحياة علي كوكب الأرض ، وأجمعت كل الدراسات التى دارت حول تلوث البيئة أن هناك علاقة وثيقة بين إسراف الإنسان فى تناوله المكونات البيئية وبين التلوث ، كما أن الإسراف يقضى إلى مشاكل بيئية أخرى متعددة لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده بل يمتد ليشمل باقى الأحياء التى تشاركنا الحياة على الأرض ، وخير وسيلة لتجنب الأثار البيئية الناجمة عن الإسراف واستنزاف الموارد الطبيعية دون فائدة أو دون ادراك لخطورة ذلك تكون بإتباع النهج السليم الذى سنته الشريعة الإسلامية ألا وهو القصد والإعتدال ، والذى أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ (سورة البقرة : ١٤٣) . وأشار إليه قول الإمام الشاطبى : (٣٢ ص : ٦٥) .

الشريعة جارية فى التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل ، الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه ، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضى من جميع المكلفين غاية الإعتدال " .

(٢) مفهوم المسئولية الجماعية :

بمعنى مسؤلية الجماعة البشرية فى الحفاظ على البيئة ، ذلك لأن الضرر الناجم عن سوء التعامل مع مكونات البيئة لا يصيب المتسببين فى هذا الضرر فحسب ، وإنما يصيب الأخرين الذين تقاعسوا عن القيام بدورهم فى المحافظة على البيئة ومنع هذه التصرفات ، ولذلك أوجب الإسلام على أهل الخير أن يمنعوا أهل الفساد عن الإفساد ففى الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : " مثل القائم على حدود الله (الإنسان المستقيم) والواقع فيها (المنحرف أو الفاسد) كمثل قوم استهموا علي سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء ، مروا على من فوقهم فقالوا لو آنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن اخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعا " (٣١ ص : ٢٩) .

ولقد روى الإمام مالك في الموطأ عن بى سعيد الخدرى رضي الله عنه ان رسول الله صلى لله عليه وسلم قال : " لا ضرر ولا ضرار " ، وقال " من ضَارًّ لله به " (٣١ : ص ٢٨) .

وهناك قاعدتان يجعلهما كل مسلم أساساً في الحكم على كل ما يصدر عنه من قول أو فعل : الأولى هى " درء المفاسد " أى دفع الفساد ور.ه ومنعه حتى لا يقع بالبلاد والعباد فيؤذيهم ، ومنع الشرور والمحافظة على الفرد والمجتمع والبيئة من كل ما يعود عليهم من ضرر حيث لا ضرر بالنفس ولا ضرار بالغير .

أما القاعدة الثانية فهي " جلب المصالح " وبذل كل الجهود التى من شأنها أن تحقق منفعة للفرد والمجتمع ، على أن القاعدة الأولى مقدمة على الثانية ، ومن هنا تأتي أهمية مسئولية الإنسان بل والجماعة المسلمة أمام خلقها لا عن الأمتناع عن الأضرر بالبيئة والإفساد فيها فحسب ، بل يتعدى الأمر ذلك إلى ضرورة منع الغير من الإضرار والإفساد بالنظم البيئية وذلك تحت قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي الآية : ﴿ كُنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهونْ عن المنكر وَتؤمنون بالله ﴾ (سورة آل عمران : ١١٠) .

(٣) تقديم الجانب الوقائى على الجانب العلاجى :

اهتم الإسلام بإرساء الأسس والقواعد التى تنظم علاقة الإنسان بالبيئة والتى تجعل منه عضوا نافعا لا مفسدا فيها ، بأن يتفادى كل ما يمكن أن يحدث فى البيئة من المشكلات قبل وقوعها خاصة اذا علمنا ان الإنسان فى الواقع هو المشكلة الرئيسية للبيئة كما يقرر علماء البيئة ، وإن المشكلة البيئية هي مشكلة سلوكية فى المقام الأول

ومن هنا اهتم الإسلام بضبط سلوك الإنسان وتصرفاته إزاء مكونات البيئة وعناصرها بما يجنبه الوقوع فى المشكلات التى يمكن أن تترتب على سوء تصرفه فيها .

ويمكن أن نذكر هنا بعض الأمثلة فى هذا الصدد :

أ- في مجال الإهتمام بالنظافة العامة والصحة :

هناك العديد من التعاليم الدينية التى تنظم هذا الأمر ، فلقد نهى الإسلام عن قضاء الحاجة فى الطريق العام أو حتى فى الظل الذى به يستظلون وكذلك شواطئ الترع والأنهار والقنوات : ففى الحديث : " اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد وقارعة الطريق ، والظل " (٣٣) وقد أطلق الحديث على هذه السلوكيات " ملاعن " لانها تسبب لعن الناس لمن يفعلها ، وقد ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية والمتوطنه وتساعد على انتشارها .

كما حث الإسلام على النظافة وأكد على أن " الطهور شطر الإيمان " وفى القرآن ﴿ وثيابك فطهر ﴾ (سورة المدثر : ٤ ، وقوله : ﴿ أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة : ٢٢٢) " ونهى الرسول ﷺ عن التبول فى الماء سواء كان راكدا أو جاريا (٣٣ : ص ٢٤) .

ولقد أمر الإسلام فى الوضوء للصلوات الخمس بغسل الوجه والأيدى والأرجل ومسح الرأس والأذن ، كما طلب منا السواك والمضمضة والإستنشاق حفظا للفم والأنف والأسنان ، ففى الحديث " لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " (رواه الشيخان) كذلك أمر الإسلام بغسل اليدين قبل وبعد تناول الطعام ففى الحديث : " بركة الطعام الوضوء قبله وبعده " (رواه احمد الترمذى) .

وأمر بنظافة البيوت والشوارع ، وأوصى بالإمتناع عن إلقاء القاذورات في الشوارع والطرقات ففى الحديث : " نظفوا بيوتكم ولا تشبهوا باليهود التى تجمع الأكباء فى دورها " (رواه مسلم والترمذى) والأكباء أى القاذورات ، ويأمرنا بنظافة الشوارع ، وإماطة الأذى عن طريق الناس ففى الحديث : " من سمى الله ورفع حجراً أو عظماً أو شجراً من طريق الناس مشى وقد زحزح نفسه عن النار " (رواه مسلم والنسائى) .

ويقول أيضا : " من أذى المسلمين فى طريقهم وجبت عليه لعنتهم " (رواه ملسم) وغير ذلك من التعاليم والتوجيهات الإسلامية ، ويكفى أن نعلم أنه ورد فى القرآن الكريم الفاظ التطهر والتطهير والطهارة فى أكثر من ثلاثين أية ، لإيجاب طهارة النفس المؤمنة والبيئة الإنسانية فى الظاهر والباطن .

ب- وفى مجال انتاج الغذاء والوقاية من المجاعات ونقص الغذاء : وهو من المشكلات البيئية فإن الإسلام أعلى شأن الزراعة وجعلها من أصول المكاسب ، ففى الحديث : " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة " (رواه البخارى) وهو حديث يدعو صراحة إلى الاهتمام بالزراعة ويبين الغاية منها بالنفع للإنسان والحيوان ويرغب فيها .

كما نهى الإسلام عن ترك الأرض بغير زراعة وتبويرها : ففى الحديث : من كانت له أرض فليزرعها او ليمنحها أخاه، فإن ابى فليمسك أرضه " وفى الحديث أيضا " من أعمر أرضا ليست لأحد فهو بها أحق " (رواه البخارى) ، وشجع الإسلام على استصلاح الأرض " وكذلك جاء فى الحديث : " من أحيا أرضاً مواتاً فهى له " .

وأكثر من هذا بلغت عناية الإسلام بالزراعة والغرس وتعمير الأرض ، ان ينبهنا إلى ذلك حتى ولو بدت علامات القيامة ، ففى الحديث : " اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها " ، والأحاديث فى شأن رعاية النبات الأخضر والإبقاء على الأشجار والعناية بالنخيل عديدة ويضيق المقام عن سردها وتقصيها .

جـ- وفى مجال المحافظة على مكونات البيئة وعناصرها : فقد عنى الإسلام بذلك عناية بالغة ، فلقد أمر بالرحمة والأشفاق على الحيوانات بإعتبارها أحد العناصر الحية فى البيئة ، ففى الحديث : " بينما رجل يمشى بطريق أشتد عليه العطش ، فوجد بئرا، فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفمه ، حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم لأجراً قال فى كل كبد رطبة أجر " وسمى الحيوان كبداً رطبة ، اشارة إلى جسده كله ، فهو رطب ما دام حياً ، فإذا مات جف .

وهكذا كلما أمعنت النظر فى نصوص الشريعة الإسلامية رأينا كيف ينهى الإسلام الإنسان عين العبث بالبيئة المحيطة به أو افسادها وكيف يحثه على المحافظة على مكوناتها ، بل ينهى عن الإفساد فى البيئة ، حتي فى أشد الحالات وأحلك اللحظات خلال المعارك والجهاد ضد الأعداء فيقول : الرسول صلى الله عليه وسلم آمراً جنده - والمجاهدين معه : " لا تقتلوا امرأةً ولا وليداً ولا شيخاً ولا تحرقوا نخيلاً ولا زرعاً " (رواه أحمد) وفى وصية أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد حين وجهه إلى الشام يقول:

" لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا أمرأةً ، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً ،ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا للأكل، واذا

مررتم بقوم فرغوا لأنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم من أجله .(٢ ص: ٢٢٣ - ٢٢٤) .

إنها لوصية فذة تحمل كل معانى القيم التى أراد أبو بكر الصديق من أسامة ابن زيد وصحبه الإلتزام بها وأنها فى فقرة منه ." لا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل " - تنم عن وعى بيئى عميق وهى فى ذلك بمثابة درس فى التربية البيئية جاء فى زمن لم تكن البيئة تشكو من تدخل الإنسان الجائر فى أنظمتها ، انه درس يجب أن يبقى فى ذهن وفكر كل من يخطط لبرامج التربية البيئية على أى مستوى .

كما أن دائرة الرحمة شملت أيضا المحافظة على ما خلق الله من جمال فى المخلوقات كالحيوانات ، فلقد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن وشم الحيوان أو قطع بعض أجزائه ، فإذا به يرى حمارا ذات يوم وقد وُشم وجهه فقال لعن الله من وشمه (رواه مسلم) .

أن الإسلام حين ينهى عن العبث بجماليات الحياة ووفق البيئة ، فإنه يفرض بذلك قاعدة جلية تُستمد منها التشريعات والقوانين ، ألا وهى الدعوة للعناية بالمخلوقات وكافة الموجودات التى خلقها الله فى البيئة خاصة إذا كانت لا تؤدى إلى إيذاء الإنسان وإيقاع الضرر به ، ثم تعويد الإنسان لأن يكون عنصر خير وعامل أصلح فى بيئته المحيطة به ، وتعميقا لهذه القاعدة الجليلة يلفت الرسول نظرنا بقوله " عذبت امرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض " (رواه مسلم) .

وهكذا نهى الإسلام عن الإفساد فى البيئة ويحض على المحافظة على عناصرها ومكوناتها وبالنظر إلى البيئة على أنها نعمة الله للإنسان وعليه أن يحصل على رزقه ويمارس علاقاته دون إتلاف أو إفساد مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (سورة البقرة : ٦٠) .

وما التلوث الذى نراه ونلمسه ونعيشه فى مكونات البيئة ماء كانت أم هواء أم تربة إلا مظهراً من مظاهر الإفساد فى الأرض الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله : ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد ﴾ ، (سورة البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٥) .

خاتمة :

وهكذا حاولنا فى الصفحات السابقة أن نلقى الأضواء على كيفية معالجة الإسلام وتنظيمه لعلاقة الإنسان بالبيئة على اعتبار أنها الوسط أو الإطار الذى يعيش فيه الفرد

(الإنسان) ليستمد مده مقومات حياته ويمارس فيه علاقاته ، ورأينا كيف أن الإنسان من المنظور الإسلامى إنما خلق المهمة وغاية أما المهمة فهى خلافة الله فى أرضه ، والخليفة مؤتمن على ما استخلف فيه ، والغاية هى تحقق العبودية لله تعالى ، بما يعنية ذلك من الإلتزام بالمنهج الذى وضعه الخالق للإنسان فى هذه الحياة .

وفى ضوء هذه المهمة والغاية .. تأتى علاقة الإنسان بالبيئة والنظم البيئية التى تمثل مكونات هذا الكون بما فيها من عناصر حية أو غير حيه وتبين لنا أن – الإنسان يأتى على رأس قائمة هذه المكونات فهو الكائن المسيطر والمتحكم والمؤثر فى بقية المكونات ، ومن هنا كانت خطورة وضع الإنسان فى البيئة إلى الدرجة التى أصبح علماء البيئة والمهتمين بقضاياها يطلقون على الإنسان أنه (مشكلة البيئة) ومن هنا أيضا تأتى أهمية التعرف على منهج الإسلام فى رعاية البيئة وضبط تصرفات الإنسان وفقا لمقتضيات المنهج الإلهى الذى يشكل قوامه القرآن الكريم والسنة المشرفة .

وإذا كان العلماء والمفكرون والعاملون فى شئون البيئة يختلفون فيا بينهم فيما يتعلق بالأجراءات التى ينبغى اتخاذها لحماية البيئة ورعايتها والمحافظة عليها ، فهناك من يرى حماية البيئة عن طريق تكنولوجيات جديدة . وأخرون يركزون على التنظيمات التشريعية والقوانين الصارمة ، وهناك من يؤكد على تعديل أنظمة الإدارة البيئية وزيادة الإعتمادات المالية اللازمة لاحداث الاصلاحات المناسبة فى البيئة وبناء أنماط بديلة من التنمية تعتبر حماية البيئة ورعايتها بعداً أساسيا من أبعادها ، إلا أن الجميع يتفقون على أن الاهتمام ببرامج التربية البيئية يعد حجر الزاوية فى هذا المجال . ومن هنا تأتى أهمية دراسة المنهج الإسلامى في رعاية البيئة على اعتبار أن ذلك يشكل جانباً ساسياً فى برامج التربية البيئية ينبغى التركيز عليه جنبا إلى جانب مع المحتويات الأخرى لهذه البرامج .

الهــوامش

(١) السيد عبد العاطى السيد " الإيكولوجيا الإجتماعية " دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ .

(٢) رشيد الحمد – محمد سعيد صبارينى : " البيئة ومشكلاتها " سلسلة عالم المعرفة العدد (٢٢) ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، اكتوبر ١٩٨٩ .

(٣) أحمد مدحت اسلام : " التلوث مشكلة العصر " سلسلة عالم المعرفة ، العدد (١٥٢) يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت ، أغسطس ، ١٩٩٠ .

(٤) على كامل فرج " البيئة والنظام البيئي " دليل الشاب فى رعاية البيئة ، المجلس الأعلى للشباب والرياضة ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

(٥) محمود سامى عبد السلام " مشاكل تلوث الهواء في بعض البلدان العربية " في " الإنسان ..البيئة ..التنمية " مؤتمر الخرطوم فبراير ١٩٧٥ ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٥ .

(٦) " مختار الصحاح " الطبعة الثامنة ، وزارة المعارف العمومية ، القاهرة ١٩١٩.

(٧) محمد عبد القادر الفقى " القرآن الكريم وتلوث البيئة " ، مكتبة المنار الإسلامية الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨٥ .

(٨) فيولا الببلاوى : " التربية البيئية ومقومتها السلوكية " مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ .

(٩) William Stapp; "The Concept of Environmental Education" in The Journal of Environmental Education, Vol.1, 1969.

(١٠) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : " نماذج ونظريات تنظيم المجتمع " سلسلة قراءات فى تنظيم المجتمع ، الكتاب الثانى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٨٣.

(١١) Ronald C. Federic; " The Social Welfare Institution; An Introduction " (Lexington : DC. Health and Company, Third edition 1980) .

Dean H. Hepworth & J. Ann Larsen , Direct Social Work(١٢) Practice: Theory and Skills" , (III, : The Dorsey Press, 1982)

Beulah Roberts Comptan & Burt Galaway; " Social Work(١٣) Processes" (III : Dorsy Press 1975).

(١٤) محمد متولى الشعراوى " الطريق الي الله " ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٤٠٠ هـ .

(١٥) محمد على الصابونى " مختصر تفسير ابن كثير " جـ المجلد الأول ، المكتبة الفيصلية مكة المكرمة ، بدون تاريخ .

(١٦) أحمد زين " حوار مع الشيخ الشعراوي " المختار الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٧ .

(١٧) ومن الآيات التي تؤكد علي معني الإستخلاف قوله تعالي :

﴿ وهُوَ الذي جعلكم خَلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجاتٍ ليبلُوَكُم فيما آتاكم إن ربك سريعُ العقابِ وانه لغفور رحيم ﴾ (سورة الأنعام : ١٦٥).

– ﴿ واذكروا إذجعلكم خلفاءَ من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ (سورة الأعراف : ٦٩) .

– ﴿ ثم جعلكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعلمون ﴾ (سورة يونس ١٤) .

– ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله .. قليلا ما تفكرون ﴾ (سورة النمل : ٦٢)

– ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي أرتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (سورة النور : ٥٥) .

(١٨) رواه مسلم والنسائى :

(١٩) زغلول راغب النجار : " قضية التخلف العلمى والتقنى فى العلم الإسلامى المعاصر ، " سلسلة كتاب الأمة ، تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر ، ط ١ ، الكتاب رقم (٢٠) ، اكتوبر ١٩٨٨.

(٢٠) انظر ايضا قوله تعالى :

– ﴿ وهو الذي انزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجرٌفيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لأية لقوم يتفكرون ،

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (سورة النحل : ١٠ - ١٢) .

- ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ، وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيلٍ وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبتُ بالدهنِ وصبغٍ للأكلين ﴾ (سورة المؤمنون : ١٨ - ٢٠) .

- ﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقي في الأرض رواسيٍ ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ (سورة لقمان : ١٠).

(٢١) أنظر أيضا قوله تعالى :

- ﴿ وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (سورة النحل : ١٤) .

- ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الإنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعاً إلي حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ (سورة النحل : ٨٠ - ٨١) .

- ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون ﴾ (سورة يس : ٧١ - ٧٣) .

- ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ﴾ ، (سورة الملك : ١٥) ، وغير ذلك من الآيات التى تذخر بها سور القرآن الكريم ولا يتسع المقام لحصرها . .

(٢٢) محمد عمارة : " الإسلام وحقوق الإنسان " سلسلة عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت مايو ١٩٨٥ ،

(٢٣)أبو حامد الغزالى " الإقتصاد في الإعتقاد " مطبعة صبيح ، القاهرة بدون تاريخ .

(٢٤) جلال العشرى " الإنسان في الإسلام " مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية السعودية ، العدد (٥٩) السنة الخامسة ، مارس ١٩٨٢ .

(٢٥) حسين مؤنس " الحضارة " سلسلة عالم المعرفة ، العدد (١) ، الكويت ، يناير ١٩٧٨ .

(٢٦) اللجنة العالمية للبيئة والتنمية " مستقبلنا المشترك " ترجمة محمد كامل عرف ، سلسلة عالم المعرفة ، الكتاب رقم (١٤٢) ، الكويت ، ١٩٨٩ ج .

راجع أيضا فى هذا العدد كل من : - رشيد الحمد - محمد سعيد صباريني " البيئة ومشكلاتها " ، مرجع سبق ذكره ، ص ص : ١٣٤ - ١٣٨ .

- محمد عبد الفتاح القصاص : " الإنسان والبيئة " من منشورات اليونسكو بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ص : ٥١٥ - ٥١٧ .

(٢٧) حسين مؤنس " الحضارة " سلسلة عالم المعرفة ، الكتاب رقم (١) الكويت ، ١٩٧٨ .

(٢٨) حيث تصنف المصادر الطبيعية فى البيئة إلى ثلاثة انواع من الموارد هى :

أ- موارد دائمة : وهى المصادر التى لا تنضب ، مهما استهلك منها الإنسان وستظل متوفرة (حسب التوقعات العلمية) دائما وهذه الموارد من قبيل الشمس والهواء والماء .

ب- موارد متجددة : وهى المصادر الطبيعية التى تمتلك القدرة على التجدد باستمرار وتمثلها : النباتات وصور الحياة الأخرى وكذلك التربة .

جـ - الموارد غير المتجددة : هى مصادر طبيعية لاتتجدد أو تجدد ببطء حيث توجد بكميات محدود ة فى البيئة من شأنها ان تختفى ، ان أجلا أو عاجلا ، مثل الفحم الحجرى ، البترول ، الغاز الطبيعى ، والخامات المعدنية .

(٢٩) يوسف القرضاوى " وجود الله " مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

(٣٠) أحمد يوسف محمد بشير " القيم الدينية كمتغير للتخطيط لتنمية المجتمع المحلي " (رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الخدمة الإجتماعية ، جامعة حلوان) القاهرة ، ١٩٨٨ .

(٣١) وهبة الأصيلى : " حفظ الصحة وسلامة البيئة " ، مجلة الوعى الإسلامى تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، العدد (٢٧٩) ، نوفمبر ، ١٩٨٧.

(٣٢) محمد عبد القادر الفقى : " الإسراف وتأثيره علي البيئة واستنزاف مواردها " مجلة منار الإسلام ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبى ، العدد (٨) السنة (١٨) مارس ، ١٩٨٩ .

(٣٣) رواه أبو داود وأحمد ومسلم .

انظر : السيد سابق " فقه السنة " العبادات " المجلد الأول ، دار التراث العربى ، بدون تاريخ ، ص : ٢٤ .

الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية

د. محمد أحمد عبد الهادي

تلعب المهن دورا هاما فى حياة المجتمعات الحديثة ، وعلي قدر ما تؤديه المهنة من أدوار ووظائف فى المجتمع على قدر ما تكون مكانتها ومكانة العاملين بها ولا يقتصر الأمر على المهن التى تتعامل مع أشياء مادية محسوسة ، كالهندسة والطب والتجارة وغيرها ، بل يمتد ذلك إلى مهن جديده أصبحت المجتمعات الحديثه لا تستغني عنها كالتربية ، والخدمة الإجتماعية ، ومهنة الخدمة الإجتماعية تستمد وجودها واستمرارها فى أى مجتمع من تبنيها للقضايا والمشكلات الإجتماعية التى تهم المجتمع ولم تعد أدوار الخدمه الإجتماعية قاصره على المجالات التقليديه على الرغم من أهميتها كرعاية الأحداث والمعوقين والسنين ، بل بدأت تهتم بمجالات السياسة وحماية البيئه ، كما أنها تهتم بما يمكن أن يؤثر علي مستقبل عملها المهنى فى المجتمع ، حيث تناول بعض الكتابات الأن تلك العوامل التى ستشكل مستقبل مهنة الخدمة الإجتماعية بتحديدها بثلاثة عوامل هى الدين والسياسه والاقتصاد ، وأن غياب المهنه عن فهم تلك العوامل والتعامل معها سيؤثر بشكل واضح على دور المهنه فى المجتمع .

ولقد شكل الدين أحد الدعامات الرئيسية التى قامت عليها مهنة الخدمة الإجتماعية فى الخارج وما زال يؤثر ويتأثر بممارسة الخدمة الإجتماعية هناك وسيمتد فى المستقبل بشكل أكثر وضوحا على الممارسة المهنية للخدمة الإجتماعية ، ولذلك فليس غريبا علينا أن تهتم دراسات الخدمة الإجتماعية بالدين الإسلامى وتعمل على الاستفاده منه وإفادة المجتمع الإسلامى بما يمكن أن تقدمه مساهمة منها فى حل مشكلاته وإشباع احتياجاته.

ويمكن القول بشئ كبير من الثقه بأن جذور الخدمة الإجتماعية لن تضرب فى المجتمعات العربية والإسلامية طالما أنها بعيده عن الدين الإسلامى ، ولن ترتفع مكانتها وتحل كثيرا من مشكلاتها المهنيه التى تعوق العمل المهني ذاته فكراً وعملاً إلا بالإرتباط بالاسلام ، فإذا كانت الخدمة الإجتماعية في الغرب تهتم بالدين والسياسة والإقتصاد ، فإن الإهتمام بالإسلام يكفى لأن فيه الإقتصاد والسياسة والعلاقات الإجتماعية التى ينظمها ويضع ضوابطها الإسلام الدين الشامل والكامل .

وإذا كانت الدعوة إلى الإسلام مسئولية كل مسلم فإن المسئولية تتضاعف أمام المهنين بصفه خاصه ، نظرا للدور المنوط بهم وللمكانه الإجتماعية التى يحظون بها علياًختلاف مستوياتهم ، ومهنة الخدمة الإجتماعية كأحدى المهن المَوجوده على المساحة فى المجتمع المصرى الان يمكن أن تكون لها مساهماتها الايجابية فى مجال الدعوة الإسلامية وهذا هو هدف هذه الدرسة الذي يتبلور فى الدور الذى يمكن أن تقوم به الخدمة الإجتماعية فى مساعدة الدعوة الإسلامية ، وستتناول في هذه الدراسة موقف

مهنة الخدمة الإجتماعية من الدين ، كما هو موجود فى ادبيات المهنة ، ثم نعرض لطبيعة العمل الإجتماعى المسيحى فى مصر نظرا لاننا نراه أكثر اهتماما وقربا واستفاده من مهنة الخدمة الإجتماعية فى ذلك والمهارات التى يمكن أن تفيد الداعية وجهاز الدعوة الإسلامية .

أولاً : الخدمة الإجتماعية والدين: -

لم يعد هناك خلاف على أن الخدمة الإجتماعية قد تأثرت بالدين منذ نشأتها الأولى، كما أن هناك الكثير من الكتاب المعاصرين الذين كتبوا عن دورا الدين فى الخدمة الإجتماعية بشكل غير مباشر مثل توى Towe ١٩٦٥، بيرلمان Perlman ١٩٥٧ - ١٩٧٩ ، فريد لاندر Friedlander ١٩٥٨ وهناك من ربط بين دور الدين فى الخدمة الإجتماعية بشكل مباشر وفعال على المستوي النظرى والتطبيقى منهم سبنسر Spencer ١٩٥٦ كينيث لوكاس Kennth Lucas ١٩٦٠ وسالمون Salomon ١٩٦٧ وكوهين Coughlin ١٩٧٠ .

وتشير م . فنسيا جوزيف [١] M. Vincentie Joseph إلى أن الدوريات الرئيسية فى الخدمة الإجتماعية والتى تناولت الدين والخدمة الإجتماعية ، والتى ترى بضرورة عزل الدين عن الخدمة الإجتماعية كانت قليله بينما هناك العديد من المقالات التى تناولت دور الكنيسه فى الخدمات الإجتماعية - علاقة الكنيسه بالولاية - متطلبات التمويل ودور المؤسسات الدينية - برامج الابراشية على مستوى المجتمع المحلى (شيرارد sherrad موراى Murray وكوهين Coughlin ١٩٦٥، وست هوز -Westhu es ١.٩٧١ وتيكر Teicher ١٩٧٢، وجوزيف Joseph وكونراد Conrad١٩٨٠، ونتتنج Netting ١٩٨٢ ، وكان هناك مقالات تركز علي الجذور الرئيسية للخدمة الإجتماعية والتوافق بين الدين والخدمة الإجتماعية (سبنسر spencer ١٩٥٧، ستروب Stroup ١٩٦٢) ولقد تعاملت بعض الكتب مع هــذه النقطــة (كيث لوكاس Keith Lucas ١٩٦٢ ونبير Niebuhr ١٩٣٢ .

وإذا كان الدين يمثل حجر الزاوية بالنسبة للخدمة الإجتماعية مؤثرا فى قيم ومبادئ المهنة بالنسبة لماضى المهنة وتاريخ نشأتها ،فإن حاضر المهنة يظهر سيدة الإتجاهات الدينية المسيحية واليهودية على الكثير من الأنشطة والممارسات بل على الكثير من مدارس وكليات الخدمة الاجتماعية الامريكية كمدارس الخدمة الاجتماعية الكاثولوكية والبروتستانتينية واليهودية [٢] .

ولقد لعبت المنظمات الدينية (المسيحية) دورا رئيسيا فى نشأة الخدمة الإجتماعية فى دول العالم الثالث أيضا حيث كانت نشأة مدرسة الخدمة الإجتماعية فى جامعة نيودلهى بالهند عن طريق جمعية الشابات المسيحيات TWCA وأنشئت مدرسة الخدمة الإجتماعية فى زيمبابوى Zembabwe فى افريقيا عن طريق الجزويت ، كما أنشئت العديد من مدارس الخدمة الإجتماعية فى دول أمريكا اللاتينية عن طريق الجامعات الكاثوليكية (٣) .

وهناك من يرى بأن مستقبل الخدمة الإجتماعية مرهون بثلاث قوى حاسمة ومؤثرة وهي الدين والسياسة والإقتصاد وأن على الخدمة الإجتماعية أن تعد نفسها لمواجهة ما قد تحدثه تلك القوى فى المجتمع (٤) .

ومن حيث مستقبل العلاقة بين الخدمة الإجتماعية والدين فإن الأمر لم يعد يقف عند حدود المشاركة المهنية التى يتيحها خريجوا مدارس الخدمة الإجتماعية الكاثوليكية والبروتستانتينية واليهودية أو ذات الإتجاه غير المعلن الذى تمتلكه كليات ومدارس الخدمة الإجتماعية التى ترجع أصول نشأتها الى الكنيسة كما فى الهند وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بل تعدى هذه الدور ليشمل الحركة فى المجتمع المسيحي كله أو دفعهاإلى المسيحية .

ولقد كان أحد التغيرات الرئيسية التى ظهرت حد ما فى النسق الدينى الأمريكى وفى انجلترا والذى يجب أن يؤخذ فى الاعتبار عند ممارسة الخدمة الإجتماعية هو ذلك التحول الذى طرأ على وظيفة المنظمات الإجتماعية فى المجتمع حيث أدركت بأن لها وظائف أخرى فى تلك التى كانت تؤديها، فمعظم الكنائس قد توسعت فى أنشطتها لتشمل ممارسات ذات توجه اشتراكى وبدأت فى الاهتمام بالرعاية الإجتماعية والعمل مع المجتمع وأدركت معظم الكنائس مسئوليتها فى أن يكون لها نشاط دائم ومستمر وفعال مع الناس فى حياتهم اليومية ولم يقتصر نشاط الكنيسة على ما كانت تقوم به ايام الأحد ، ولقد بدأت يتنامى ظهور الطبقة المتوسطة واهتمامها بقضايا العمل المجتمعى من خلال الكنيسة وعلى نطاق المجتمع ككل وبحيث لا يقتصر على الواجبات التى كان يقوم بها الكاهن فى حدود ابرشيته ، ولقد شجع هذا الاتجاه رجل الدين المسيحى للسير فى هذا الاتجاه ، ولقد كان أحد الدوافع المشجعة لهم أيضا تلك القضايا الساخنة التى طرحت فى المجتمع الأمريكى خلال الستينات فيما يتصل بحركة الفقراء والتفرقة العنصرية مما حفز الكنيسة على أن يكون لها دور اجتماعى وسياسى فى المجتمع .

على أن هناك اتجاهات تعارض ربط الدين بالخدمة الإجتماعية فى الممارسات المهنية (٥) . ويبدى أصحاب هذا الاتجاه تخوفهم الشديد من سيطرة الأتجاه الأصولى

Fundamentalism على الخدمة الإجتماعية ذلك لأن رجال الدين يرون بأنهم اقدر على إصلاح الفرد وحل مشاكله من أى مهني آخر ، كما أنهم رجال الدين (الأصوليون) يرفضون القاعدة العلمية التى تستند إليها الخدمة الإجتماعية فى ممارساتها والتى تكونت عن طريق الممارسة المهنية الطويلة إضافة إلى الاستفادة من التطور الذى حدث فى علم النفس وفى علم الاجتماع والإحصاء وغيرها من العلوم الانسانية.

ويبدو أن هذا التخوف له ما يبرره بالنسبة " للأصولية المسيحية " أو ما تسمي "بالعصمة " ذلك لوجود التعارض الواضح والتناقض البين بين الجوانب الدينية والجوانب العلمية وكما هو معروف تاريخيا فإن الكنيسة كانت تحارب أصحاب النظريات العلمية وتقوم بإعدامهم أو سجنهم لأنهم نادوا بنظريات علمية تخالف تعاليم الكنيسة بينما الإسلام لا يتعارض مع العلم ، بل هو يشجع عليه ويحث المسلمين جميعاً عليه ويعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولقد أجرى موريس بوكاى* دراسة أمتدت لأكثر من ثلاثين عاما تعلم خلالها اللغة العربية لتمكنه فى هذه الدراسة من المقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة التوراه والانجيل والقرآن ، ليعرف مدى اتفاق أو تعارض تلك الكتب مع الحقائق التى كشف عنها العلم حديثا ، وتوصل من خلال هذه الدراسة – وهو مسيحى – إلى أن القران هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد فيه حقيقه واحدة تختلف مع ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات ونظريات على الرغم من كثرة الحقائق العلمية التى أشار اليها على عكس التوراة والإنجيل إذ وجد فيها الكثير مما يتناقض مع العلم الجديث (٦) .

ولقد أصبح لزاما علينا فى أى مجتمع إسلامى ان نفكر ونعمل في اتجاه ربط الخدمة الإجتماعية تأصيلا إسلاميا بالثورة المتكاملة التى يطمح فيها رواد هذا الاتجاه ، بل تستخدم الأساليب العلمية والمهارات الفنية المتاحة حاليا لخدمة قضايا المجتمع الإسلامى مع تجنب بعض مزالق التطبيق التى تطبق فى المجتمعات الغربية والتى تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه ومما يسهل لنا هذا السبيل أن الخدمة الإجتماعية مهنة بالعقيدة ، وان الدين بصفة عامة كان من ركائزها الأساسية وأن القيم الرئيسية بها لا تتناقض مع القيم الإسلامية ، بل إن سلامة التطبيق فى المجتمع الاسلامى سيدفع بهذه المهنة قدما إلى الأمام وسيزيد من رصيدها المعرفي والقيمى ، كما أن مشكلات العالم الإسلامى لا يمكن لها أن تنتظر طويلا حتى نفرغ من التأصيل الإسلامى بشكل كامل .

ولعل هذا الاتجاه الذى يتبناه الكاتب هو الذى دفعه الى أن يتصور بأن الخدمة الإجتماعية ، يمكن أن يكون لها دور واضح ومؤثر فى مجال الدعوة الإسلامية والتى تقوم على أسس اجتماعية صحيحة لا تكتفى فيها بالوعظ والإرشاد بالرغم من أهميته

- بل تتعدى الدعوة ذلك بأن تشاهد الخدمة الإجتماعية لداعية فى دراسة المجتمع دراسة علمية لمعرفة ظروفة ومشكلاته وتيسر له اكتساب بعض المهارات التى تقيده فى التعامل مع المجتمع بطريقة صحيحة لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية .

ولقد سبقنا إلى ذلك فى الوقت الحاضر أصحاب الديانة المسيحية فى مجال الدعوة لدينهم ، ويمكن للداعية المسلم ان يستفيد من أساليبهم خاصة فى ربطهم العمل الديني بمحورين أساسيين هما الغمل الإجتماعى والعمل السياسى واهتمامهم بمجالات التعليم والتثقيف إضافة إلى مجال تدريب القيادات التى تتحمل مسئولية الدعوة على المستوى الفردى أو الجماعى .

ثانياً : الدعوة الإسلامية والمسئولية المهنية للخدمة الإجتماعية :

إن مسئولية الدعوة إلى الله مسئولية كل مسلم بصفة عامة والرسول عليه الصلاة والسلام يقول " بلغوا عني ولو آيه " وهي رسالة موجهه إلى كل المسلمين ولكن تلك المسئولية لا تتساوى بين الناس بل تتفاوت بحسب امكانات وقدرات كل منهم ، ولقد أدت ظروف التطور الاجتماعي وتعقد النظم والعلاقات إلى ضرورة أن يتخصص بعض المسلمين فى هذا الاتجاه على أن تتوفر فيهم مقومات معينة ويكون لديهم علم كاف بالفقه فى أمور الدين وأحكامه وبالوسائل التى تساعدهم على نشرها بين المسلمين وتوعيتهم بذلك ، إلا أن الملاحظ لاسلوب الدعوة يجدها قاصرة بصفة عامة على المسلمين ، ودعوة المسلم للعمل بالاسلام تختلف عن دعوة غير المسلم ، كما أن الكثير من الدعاه يعتمدون علي أسلوب واحد وهو الخطابة كوسيلة لنقل تعاليم الدين إلى الناس تمكنهم من ذلك خطبة الجمعة ، وعلى الرغم من أهمية هذه الوسيلة وعمومها بالنسبة لكل الدعاة والمسلمين إلا أن النجاح فيها مرهون بتوافر مقوامات ومواهب خاصة اذا توفرت لدى الداعية كانت هى الأساس فى نجاح دعوته وإقبال الناس عليه .

ويتفاوت الدعاة فى ذلك تفاوتا كبيرا، واكتفاء الدعاة بالخطابة كوسيلة وحيدة للدعوة يفرغ الدعوة من مضمونها ويجعلها مجرد خطبه تلقى فى وقت محدد ينتهى أثرها مهما كانت بليغه بأنتهاء الموقف وينصرف الناس إلى شئونهم ومشاغلهم وربما يشغل البعض شيئا مما قيل ولكنهم يظل الأمر على ما هو عليه من اهتمام بالشكل من جانب الناس أكثر من اهتمامهم بالجوهر أو بطريقة تعديل السلوك وكيفيتها .

ونحن نحاول هنا أن نتعرف على المقومات الأساسية التى يجب ان تتوفر لدى الداعية بحيث تعينه على أداء واجبه بشكل أفضل وتستطيع الخدمة الاجتماعية كمهنة أن تساهم فى ذلك بطريقة مباشرة وغير مباشرة .

واذا كنا نعرف أن مسئولية الدعوة هى مسئولية كل مسلم فإن المسئولية تزداد بازدياد درجة التعليم وارتفاع المكانه الإجتماعية للمسلم بين قومه ولذلك فيجب ألا يكل المهنيون ذلك الأمر إلى الدعاة الموظفين ويقتصر أداؤهم لعملهم المهنى فقط، فربما يكون تاثير الطبيب أو المهندس المسلم أكبر على المسلمين الذين يتعاملون معه بل قد يمتد إلى دعوة غير المسلم إلى الإسلام .

ويستطيع كل مهنى أن يدعو إلى الإسلام حسب جهده وطاقته مباشرة وغير مباشرة شرط أن يكون حريصا فى سلوكه على القواعد والأصول الإسلامية فإن تصرفه كمسلم حقيقى يراعى الله على عمله ويحرص على ما ينفع الناس ولا يكذب أو يغش ويحرص على تأدية الشعائر فى أوقاتها ويستهل عمله باسم الله ، كان ذلك خطوه أساسية وضرورية لإقناع الناس ودعوتهم ، بعد ذلك يعمل المهنى عقله فى كيفية توضيح الإسلام لمن يتعامل معهم ويكون ذلك حسب مقتضيات الموقف ، وليس معنى ذلك ان يترك الطبيب عمله ويدعو الناس للإسلام ومعروف سبقا ان الدراسة فى كلية الطب لا تحقق التخصص فى هذا المجال ، وإذا توفر ذلك لبعض الأشخاص بحكم سعة اطلاعهم واستعدادهم الشخصى لذلك فإنه يمكن ان يؤدى دوره كطبيب ناجح وداعية ناجح ولكن ذلك لا يكون إلا استثناء .

وإذا أعمل المهنى تفكيره فى هذا الاتجاه يستطيع أن يصل إلى مالا يصل إليه غيره يستوى فى ذلك كافة التخصصات المهنية من طبيب إلى مهندس أو مدرس أو اخصائى اجتماعى كل حسب طاقته وجهده وامكاناته أى حسب ما هو ميسر له كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إعملوا فكل ميسر لما خلق له " (الحديث) والأخصائى الإجتماعى إذا كان إعداده العلمى والدينى يسمح له بالعمل كداعية فإن ذلك من أنجح مجالات العمل بالنسبة إليه ، وأما اذا كان لا يملك تجاه هذا المجال إلا الاتجاه والنية فقط فان هذا يكفى لأن يطرق هذا المجال ولكن من زوايا متعددة وتحت هدف مهنى واضح هو مساعدة الدعوة الإسلامية على تحقيق أهدافها كمجال جديد من مجالات العمل الإجتماعى المهنى للخدمة الإجتماعية .

دور الخدمة الإجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية

أ- فى دراسة المجتمع والتعرف عليه :

يمكن للأخصائى الإجتماعى أن يقدم خدماته المهنية بشكل مباشر للجهاز القائم بعملية الدعوة الإسلامية أو للداعية وذلك بحكم تخصصه المهنى فى مجال الخدمة الإجتماعية والتى تقوم علي الدراسة العملية للظواهر والمشكلات الإجتماعية بغرض المساعدة فى حلها ، والداعية الذى يعمل مع المجتمع الإسلامى أو غيره يحتاج إلى فهم

ودراسة هذا المجتمع دراسة علمية قليله ليحدد كيف سيتحرك معه والأسلوب المناسب له، والأخصائى الإجتماعى قد يقوم هو بهذه الدراسة والتحلل ويعاون الداعية علي فهمها والإستفادة منها وقد يعطى خبراته المهنية هذه للدعاة ويدربهم عليها ليقوموا هم بها عند الضرورة وعند عدم توافر أخصائى اجتماعى يعمل معهم ، إضافة الى القيام بتدريبهم علي بعض المهارات فى العمل الدعوى .

ودراسة المجتمع سواء قام بها الأخصائى الإجتماعى أو الداعية بعد تدريبه ، تهدف الى التعرف على طبيعة المجتمع الذى سيعمل معه الداعية هل هو مجتمع ريفى أو حضرى أو يجمع بينهما وطبيعة العلاقات الإجتماعية القائمة والقوى الإجتماعية المسيطرة وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاته السياسية والنظم الأقتصادية السائدة فيه والمنظمات الإجتماعية والرسمية الموجودة والخدمات القائمة وطبيعتها أهليه أو حكومية والحالة التعليمية وحجم القوى الإجتماعية كالشباب ودورهم ومنظماتهم واهتماماتهم ومشكلاتهم والقوي الإجتماعية ذات النفوذ واهتماماتهم وعلاقاتهم وأساليب عملهم العلنى والمستتر وطبيعة بناء القوى الموجود فى المجتمع ومراكز الثقل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية بصفة عامة ، وتحديد أوزان بالنسبة لحجم ودور وتأثير كل قوه من هذه القوى .

والجانب الآخر الذى تهتم به فى دراسة المجتمع دراسة علمية هو مشكلات المجتمع الذى يعمل فيه الداعية ومعرفة طبيعتها هل هى مشكلات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ومدى أهمية كل مشكلة بالنسبة لغيرها وعدد الذين يتأثرون بهذه المشكلات والجهود التى بذلت لحلها والقوى التى شاركت فى الحل ونتائجه وأسباب الفشل فى علاجها ومعرفة اهم تلك المشكلا ت وترتيب المشكلات حسب اهميتها وخطورتها وحجمها والامكانات اللازمة لها والامكانات المتاحة والتى يمكن اتاحتها ومصدرها .

إضافة إلى ذلك يجب معرفة امكانات المجتمع الذاتية المتاحة سواء قوى بشرية أو مادية اقتصادية أو أجهز ة وخدمات قائمة ومدى فاعلية كل من هذه النظم ومعرفة معوقات تلك الأجهزة وكيفية تطوير أدائها والاستفادة منها وأثر ذلك على تنمية المجتمع والنهوض به ، ومن الامكانات البشرية التى يجب معرفتها ومعرفة امكاناتها هي قيادات العمل الاجتماعى والسياسى فى المجتمع الذين يتولون مراكز رسمية حكومية أو أهليه.

ب- فى العمل مع المنظمات والبيئات الإسلامية :

- هناك مؤسسات ومنظمات محلية ودولية غرضها الأساسى هو الدعوة الإسلامية ويقوم العمل في الكثير منها على أكتاف قيادات متحمسة ذات اهتمامات وطموحات عامة فى الدعوة الإسلامية ولكنها تصطدم فى التنفيذ بالكثير من المشاكل والمعوقات

الإدارية التى قد تكون داخل المنظمة التى يقودونها أو خارجها وقد تستنزف تلك المشكلات طاقات المنظمة وتبددها وقد تهتم بعض قيادات تلك المنظمات بالاستفادة من خبرات أخرى وغالبا ما تكون إدارية ولكنها تغفل الجانب الاجتماعى المهنى المتمثل فى الخدمة الاجتماعية ، رغم أنها تعمل فى مجال العمل الاجتماعى الدينى كالجمعيات الخيرية الإسلامية ، ومن المنظمات الدولية التى بدأت تأخذ دورا هاما فى حياة المجتمعات الإسلامية رابطة العالم الإسلامى ومقرها الدائم مكة المكرمة وهي تهتم بأنشطة اجتماعية لها أهميتها فى حياة الشعوب الإسلامية سواء بالنسبة لافغانستان أو المتضررين من الجفاف في افريقيا كما تهتم بالكثير من الأقليات المسلمة فى بلدان أوروبا وامريكا .

ويمكن أن يساعد الأخصائى الاجتماعي منظمات الدعوة الإسلامية فى الاتى :-

١- الاهتمام بالتطوع والمتطوعين حيث يقوم المتطوعون فى تلك المنظمات بالدور الأساسى فى تنفيذ برامج المنظمة وتمويل مشروعاتها والخدمة الاجتماعية يمكن أن تفيد فى هذا المجال بشكل واضح حيث أنها قامت فى الأساس على الجهود التطوعية وتهتم طريقة تنظيم المجتمع بهذه الظاهرة وتعمل على تنشيطها ويمكن أن يتم فى هذا المجال ما يأتى :-

- الدعوة لزيادة عدد المتطوعين باستخدام الأساليب الملائمة لكل فئة والنوعيات اللازمة والمؤثرة فى عملية الدعوة الإسلامية كالتركيز على الشباب والمهنين كالأطباء والمهندسين والاجتماعيين وغيرهم .
- تنظيم عملية التطوع وما يرتبط بها من عمل مقابلات وسجلات وتوزيعهم حسب قدراتهم واهتماماتهم وامكاناتهم .
- تدريب المتطوعين على العمل الذى سيوكل إليهم حتى يتم بالكفاءة المطلوبة .
- متابعتهم للمساعدة فى حل المشكلات التى تؤثر على أدائهم لعملهم لضمان استمرار عطائهم التطوعى للمنظمة .

٢- الاهتمام بأساليب العمل التى تتم فى تقديم المساعدات الاجتماعية وفي أنشطة المنظمة كافة بحيث تستفيد من أساليب العمل العلمى بطرق الخدمة الاجتماعية كخدمة الفرد فى تقديم المساعدات الفردية وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع فى العمل مع الجماعات والمجتماعات المحلية .

٣- هناك منظمات إسلامية كثيره هدفها تقديم المساعدات للمسلمين كالمساعدات الاقتصادية والخدمات الطبية وغيرها ونجاحها في هذا المجال يجعلها تهمل عملية الدعوة الإسلامية ، ويجب ألا تغفل أهمية الجانب الاقتصادى والاجتماعى فى

الدعوة ولكن يجب أن يكونا وسيلة إلى الدعوة الإسلامية وليسا هدفا فى حد ذاتهما، والأخصائى الاجتماعى يمكن أن يساعد فى عملية الاستفادة من تلك الخدمات وتوجيه القائمين عليها لتحقيق أهداف الدعوة ، وكما هو معروف أن حركة التنصير " منذ نشأتها تهتم بتقديم خدمات صحية وتعليمية فى معظم المجتمعات ومازال هذا هو الاتجاه الغالب فى أفريقيا وأسيا ، ففى أندونيسيا وهى دولة مسلمة نسبة المسلمين فيها ٩٠ ٪ من السكان تهتم المؤسسات التنصرية بشئون التعليم فعلى سبيل المثال تقوم مؤسسة " مونتفورت فازر " ببناء المدارس ذات المناهج التنصرية التى يدرس بها أكثر من أربعة الاف طالب وطالبة ويعمل فيها بعض الرهبان الأمريكين والقساوسة الأوروبيين ورجال التعليم بالإضافة إلى تغلل تلك المنظمات فى مجال الصحة والعلاج وكفالة الأيتام وتنشئة الأطفال كما تهتم بأعمال الطباعة والنشر وتوزيع المؤلفات التنصيرية عشرات الصحف والدوريات [٧] .

٤- الاهتمام بالتنسيق والتكامل بين المنظمات الإسلامية ويجب أن يساعد الأخصائى الاجتماعي الداعية أو الهيئة التى يعمل معها على ذلك ، والخدمة الاجتماعية تهتم بالتنسيق بين الهيئات الاجتماعية ولقد كانت عملية التنسيق بين المجالس والهيئات الاجتماعية التى بدأت فى صورة جمعيات تنظيم الإحسان فى عام ١٨٦٩ فى لندن ثم فى الولايات المتحدة الامريكية بعد ذلك - هى الأساس الذى قامت عليه طريقة تنظيم المجتمع كطريقة عملية فى الخدمة الاجتماعية .

والملاحظ على الكثير من الجماعات الإسلامية أنه إن لم يكن فيها صراع أو خلاف فإنه ليس بينها أى نوع من التنسيق أو التكامل ، فكل يعمل بطريقته .

ولذلك يجب أن يعى الداعية أهمية التكامل والتنسيق بين هيئات ومنظمات الدعوة الإسلامية على كافة مستوياتها المحلية والدولية ، وأن يعمل الأخصائى الاجتماعى على ايجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف .

٥- الاهتمام بالمسجد باعتباره مركز الإشعاع الديني وتدعيم نشاطه الثقافى الاجتماعي ودراسة العوامل التى تؤثرعلى سلبية بعض المسلمين في أداء الشعائر فيه وربط المساجد بالمجتمع المحلى وبمشكلاته وقضاياه بشكل عملى والاهتمام بمجال رعاية الشباب عن طريقه والاهتمام بالزكاة وتنميتها واستثمار مواردها بالشكل الذى يعود على المجتمع بالفائدة وهى مصدر تمويلى كبير إذا أحسن الدعوة إليها وتوعية المسلمين بقيمتها، وهناك تجارب بدأت منذ الستينات فى تقديم المسجد لبعض الخدمات الاجتماعية والصحية فى صورة عيادات متنوعة ومراكز للتدريب المهنى ودور للحضانة وغير ذلك وهى تجربه جيدة حبذا لو أضيف إلى العمل بها الجانب المهنى المتمثل فى الأخصائى الاجتماعى .

كما يجب أن تتولى الخدمة الاجتماعية والداعية الاسلامى موضوع الكتاتيب وهى مكاتب تحفيظ القرآن - وذلك بتطوير بعض جوانبها على ألا يؤثر ذلك على جوهر عمليتها ، ويمكن فى ذلك استخدام بعض الأساليب التى تجذب الأطفال وتروح عنهم فى نفس الوقت كبعض الأنشطة الرياضية البسيطة وبعض الرحلات والاهتمام بالجوانب الاجتماعية كوسيلة للمساعدة في تحقيق اهداف تلك المراكز ، ويجب هنا أن يعي الداعية أهمية مثل هذه المراكز فى تكوين العقيدة الإسلامية وأن يدرس باهتمام ما تقوم به الكنيسة فى مدارس الأحد وأنشطة الديرة كمراكز تعليمية وثقافية بجانب الأنشطة الدينية .

جـ - فى العمل مع قيادات الدعوة الإسلامية :

لما كانت القيادة هى القدرة على التأثير فى الآخرين وتوجيههم نحو هدف معين فإن القائد يكتسب أهميته خاصة فى مجال الدعوة لأن الدعوة فى جوهرها هى تغيير فى الاتجاهات والسلوك نحو هدف محدد هو أن يصبح الإسلام عقيدة ومنهاج سلوك فى حياة الأفراد والمجتمعات ، ويتوقف نجاح الدعوة وانتشارها فى معظم الأحوال على وجود الداعية المؤثر والذى يتوافر فيه مقومات القيادة والمهارات اللازمة لها ، ولهذا نلمس فروقا واضحة ، بين داعية وآخر .

ولا شك ان الداعية يجب أن تتوفر فيه سمات خاصة طبيعية لا تتوفر لدى الكثيرين مثل الذكاء وحب الناس والقدرة على الابتكار وبعد النظر والقدرة على التأثير فى الآخرين والطاقة على الصبر والاحتمال والإصرار علي تحقيق الهدف والقدرة على الإقناع وقبل كل ذلك الإيمان بما يدعو إليه وإخلاص النية لله سبحانه وتعالي فى دعوته وبجانب تلك الصفات الطبيعية هناك صفات مكتسبة يجب أن يعمل القائد على أن يدعم بها قدرته وهي العلم بمايدعو إليه والتفقه فيه واكتساب ثقافة واسعة حول موضوع الدعوة والإلمام بقدر الإمكان ببعض جوانب العلوم التى تخدم الدعوة وأساليبها ، وذلك بجانب المهارة فى الدعوة واستخدام الوسائل المناسبة لتحقيق اهدافها .

والمهارة فى الدعوة يمكن أن تتضمن مجموعة من المهارات الفرعية وهى تحتاج إلى المعرفة بها والتدريب عليها والأخصائى الاجتماعى يمكن أن يساعد بشكل واضح على تكوين وتنمية تلك المهارات لدى الداعية ، وهناك بعض الاعتبارات العامة التى يجب أن تراعى منها :-

١- يجب فى البداية أن يساعد الأخصائى الاجتماعى الداعية علي تفهم امكاناته الذاتية والدور الملائم له فى الدعوة، والاساليب التى تساعده على تحقيق ذلك فالعمل الدعوى عمل متكامل فمثلا هناك من هو أقدر على الخطبة والتأثير بالكلمة المسموعة

على الناس وهناك من يتفوق فى الحوار والمناقشة وهناك من له تأثير بالكلمة المكتوبة أو البحث العلمي وهناك من يقود الناس فى مشروع معين يحقق فائدة ويحل مشكلة لهم وهناك من يستطيع أن يجمع أكثر من جانب من هذه الجوانب ، ومن المفيد أن يكون لدى الهيئة التى تتولى عملية الدعوة بيانات كافية عن كل الذين يرغبون فى العمل الدعوى وتوجيه كل داعية للمكان الذى يناسبه ومتابعته وتدعيمه ، حسب الظروف التى تواجهه .

٢- يجب ان يعطى الداعية اهتماماً كافيا بالواقع السياسى الذى يحيط به ويحيط بالمجتمع الذى يدعو فيهاالاسلام وأن يبتعد عن المواقف التى قد تضر أو تعوق حركة الدعوة الإسلامية ، وكلما كانت حركة الداعية تتم من خلال انساق شرعية حكومية كلما كان ذلك أفضل كجمعية مشهرة ، والدعوة فى جوهرها عملية تربية وتغيير فى الاتجاهات وتحتاج إلى صبر وحكمة حتى تؤتى ثمارها والتعجيل فى الوصول الى النتائج يجهض الحركة ، بل إن القوى المعادية للدعوة الإسلامية ، قد تدفع جماعات الدعوة إلى مواقف صدامية بينه وبين السلطة أو بينها وبين أقليات معينة كالمسيحين مثلا فيما يسمى بالفتنة الطائفية ، أو قد تدفع الجماعات الاسلامية الى التناحر والخلاف العقائدى بينها حتى تتبدد طاقات هذه الجماعات وتستنزفها بعيدا عن أهدفها ، ولذلك يجب أن يكون الدعاه على وعى بمثل هذه الامور وتنصرف جهودهم الى التنمية والبناء والتغيير الاجتماعى الذى يحقق أهداف الدعوة الإسلامية والفطنة السياسية لدى الداعية تجعله يحدد هدفه بشكل يتلائم مع طبيعة الظروف السياسية ويضع الخطط الكفيلة بتحقيقها والأولويات التى تتفق مع امكاناته والتى لا تضر بحركة الدعوة بناء على فهمه لهذا الواقع فقد يؤجل بعض الاهداف حتى يفوت الفرصة على خصومه ويجب الا يستدرج لبعض المواقف التى تؤخذ عليه ، فاستمرارالدعوة رغم بطئها افضل من سرعتها التى تجهضها ، وبالطبع لا يعنى ذلك استخدام الداعية للأساليب الرديئة التى يستخدمها السياسيون من مداهنة ومناورة وخداع فإن ذلك لا يتفق مع طبيعة العمل الإسلامى وجوهر الدعوة الإسلامية .

مهارات الداعية :

يمكن تقسيم المهارات التى يجب أن يتسلح بها الداعية إلى مهارتين رئيسيتين هما مهارات معرفية ومهارات قيادية وسلوكية سنتكلم فيهما بشئ من التفصيل :-

١- المهارات المعرفية :

يحتاج الداعية إلى معرفة وفهم ووعى بما يدعو إليه وهى الأساس في الدعوة فالدعوة تحتاج إلى أسلحة ثلاثة أول هذه الأسلحة ولاريب هو سلاح الإيمان فبدونه يبطل كل سلاح وتفشل كل ذخيرة ، وليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وثانى تلك الاسلحه هو الاخلاق ، وهى من لوازم الايمان الحق وثماره ، واكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وثالث هذه الأسلحة هو العلم و الثقافة فهذه هى العدة الفكرية للداعية بجوار العده الروحيه الأخلاقية والدعوه عطاء وانفاق ، ومن لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطى غيره ، وفاقد الشئ لا يعطية ومن لم يملك النصاب كيف يزكى [٨] .

ونحن لا نقصد بالمهارات المعرفية المعرفة فى ذاتها ، بل ان المعرفة هى الأساس الذى تقوم عليه رسالة الدعوة ولا بد أن تتكون لديه هذه المعرفة من مصادرها الصحيحة وهى القرآن والسنة وأن يكون حافظا للقرآن الكريم أو اجزاء منه ملما بتفسير ما يحفظ اضافة الى الفقه الاسلامى وأحكامه والتمكن فى الحديث والسيرة النبوية وغير ذلك مما يعتبر اساس ثقافة الداعية والذى يحتاج إلى المتخصصين فيه والرجوع إلى المراجع التى تناولت موضوع الدعوة بشئ من التخصص والعمق [٩] .

والمعرفة الإسلامية بشمولها وتكاملها بالنسبة للداعية ليست موضوع بحثنا ولكن النقطة التى نوليها أهمية بالنسبة للمهارات المعرفية هى مايأتى :-

- المهارة فى نقل المعرفة :

فليس كل إنسان لدية معرفة معينة بقادر على نقلها للآخرين ، فهو كصاحب رسالة يجب ان يعرف الأساليب المناسبة لنقلها سواء من جانبه هو أو من جانب المستهدف بالرسالة ، فمن جانبه هو يجب أن يعرف كما قلنا مكاناته والجانب الذى يتميز فيه أكثر من غيره ومدى استعداده وتمكنه من الفكرة التى سيدعو إليها ومن جانب المستهدف فيجب معرفة إذا ما كان جماعة أو أفراد والأسلوب المناسب لذلك والوقت الملائم لهم واللغة والأداة المناسبة لهم ، وألا يغالى فى استخدام العبارات البليغة إلا فى موضعها وان يستخدم قدر الإمكان بعض الوسائل الحسية التى تفيد فى الموضوع الذى يدعو اليه، فعلى سبيل المثال كان الشهيد حسن البنا فى بداية تأسيس الإخوان المسلمين فى الاسماعيلية قد اختار أكثر المقاهى ازدحاما فى الحى الوطنى من المدينه حتى إذا امتلأ فى المساء نادى على الزبائن ليستمعوا له فحدثهم حديثا إسلاميا شائقا فى دقائق معدودة ، وهكذا حتى ذاع صيته فى الناس وازدحموا فى المقهى كل يوم لسماعه، ورحب صاحب المقهى بذلك فأعد له منصه يلقى من فوقها موعظته اليومية

حتى جاء يوم فأطال الحديث ، وتناول قطعة من الجمر المشتعل المعد لتدخين " النرجيلة " قذف بها على الناس فانزعجوا وتفرقوا فإذا به يذكرهم بعذاب الآخره ومسئولية الإنسان عما قدمت يداه فى دنياه حدثهم ساعتين فكأن على رؤوسهم الطير ، ثم انصرف وتركهم ساهمين واجمين إلا سته منهم تبعوه فى طريقه لبيته ، وقالوا مسئوليتنا فى رقبتك ، فقد ايقظت فينا شعورا لن يخمد من بعد ، ولسنا كما ترى فى مثل علمك ، كانت هذه المجموعة الأولى التى سمت نفسها الاخوان المسلمون التى أصلحت بأيديها مصلى خربا مهجور ليكون مقرها للتعلم والعبادة ولم يمضى وقت كبير حتى كانت منطقة البغايا فى المدينة قد اشتريت (وكان البغاء وقتئذ مصرح به رسميا) وهدمت وقامت مكانها دار الاخوان مزودة بمدرسة ومشغل للسيدات وتابت الخاطئات وتزوجن جميعا ..(١٠) .

ومن هذا المثال يمكن أن نستخلص بعض الحقائق أهمها ، ان الحديث بدأ بالتدريج وكان يأخذ فى بدايته دقائق قليلة – على عكس ما نشاهده من إطالة مملة عند البعض الذى يتصدى للدعوة دون مهارة ووعى – ثم بدأ فى الوقت طالما أن المستمعين متشوقون للسماع ، وأنه استخدام شيئا حسيا كالجمرات وكان وقع استخدامها أفضل مما لو كان الحديث عن النار وجهنم حديثا لغويا فقط ، والنقطة الأهم من كل هذا هو تحويل الفكرة إلى واقع ، فتمثل فى خدمات وحل مشكلات اجتماعية خطيرة كانت تعصف بالمجتمع بأسلوب سهل وبسيط وبهذا يدخل الإسلام فى حياة الناس وواقعهم ولهذا يحسن أن تكون الدعوة من خلال منظمة يتكامل فيها العمل الدعوى من خطابه وكتابه ومحاضرات مع نشاط اجتماعى وطبى واقتصادى ، أما إذا كان العمل الدعوي عملا فرديا ولا توجد المؤسسة لذلك فيحسن أن يكون الهدف منه هو هذا الشكل التنظيمى المؤسسى والشرعى كما حدث وتطورت فكرة الاخوان المسلمين على يد حسن البنا عليه رحمة الله كما أشرنا ، على انه قد تعجز امكانات الفرد عن ذلك ويكتفى بنشاطه الفردى فى الدعوة القائمة على الكلمة وانتعاش فيجب هنا أن يكون واعيا لاستخداماته من أدوات ووسائل ولكل مقام مقال فما يصلح فى الخطبة التأثيرية لا يصلح للخطبة التعبدية وأسلوب الخطبة يختلف عن المحاضرة ولجميع ذلك آداب ومتطلبات يجب أن يعيها الداعية .(١١)

– **المهارة في الحصول علي المعرفة** وذلك عن طريق التدريب على القراءة السريعة ومداومة الاتصال بالأفكار الحديثة والقضايا التى تشغل المجتمع ، وجميع البيانات والمعلومات وتكوين رؤية استراتيجية ومعرفة حركة القوى المناهضة للإسلام على المستوى المحلى والدولى والتعرف على أساليبهم وقراءة ما يكتبون ما يصلون إليه فى مؤتمراتهم وتكوين لجان بحث ودراسة والاتصال والتنسيق بمركز البحوث العلمية

وتكوين مكتبة علمية لأهم المراجع والكتب العلمية التى تفيد فى مجال الدعوة والاستفادة مما يصل إليه العلم فى التخصصات المختلفة بما يفيد قضية الدعوة الإسلامية على اختلاف مستوياتها .

٢- المهارات السلوكية والقيادية :

الدعوة لا تنتقل بالكلمة أو بالقول دون العمل فالعمل مكمل أساسى للدعوة بل ان العمل وهو السلوك الذى يسلكه الفرد فى حياته مع الآخرين قد يعنى عن الكلمة ويقول صلى الله عليه وسلم " ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل "

ولذلك يمكن أن نتناول المهارات السلوكية من خلال مجموعة من المهارات الضرورية لها مثل :-

أ- المهارة فى التعامل مع الأفراد :

ويمكن للأخصائى الاجتماعى أن يفيد الداعية فى فهمه لبعض دوافع السلوك وأهمية العلاقات الاجتماعية فى الدعوة وفي اكتساب القدرة على الاستماع للاخرين ومساعدتهم على حل مشكلاتهم ، ودراسة بعض الحالات التى تفيد فى هذا الاتجاه فتزويد الداعية ببعض الاسس العلمية التى تفيد فى فهم سلوك ودوافع الافراد واتجاهاتهم وميولهم وكيفية التأثير عليهم والطرف المختلفة فى ذلك تفيد الداعية فائدة كبيرة فالتأثير الفردى يكون أقوى وأكثر من التأثير فى جماعة كبيرة مؤقتة كحضور ندوة أو محاضرة أو خطبة رغم اهمية ذلك .

- المساعدة فى التعرف على الحالات التى تحتاج إلى المساعدة اقتصادية كانت أم جماعية أو نفسية ، وهناك ما يسمى فى العمل المسيحى بالافتقاد " والافتقاد يعنى معرفة الحالات التى تحتاج إلى من يجلس معه ساعة أو ساعتين فى اليوم يخفف فيه وحدته أو المريض الذى لا يجد من يرعاه صحيا لوحدته وشيخوخته وهنا يكلف الشباب المسيحى بأداء مثل هذه الأعمال بطريقة سرية وبالطبع يتم الاختيار بدقة لمن يقوم بهذه المهام الشباب والشابات .

- مساعدة الداعية على أساليب التعامل مع نوعيات معينة من الأفراد ذوى التأثير أو من لديهم قدرات قيادية لتدريبهم على العمل الدعوى ممن لديهم استعداد لذلك لأن التعامل مع الناس لدعوتهم إلى الخير يحتاج الى تدريب على مواجهة الناس والحديث اليهم وكلما كان ذلك وفق برنامج مدروس كلما كان ذلك أفضل .

- الاستفادة من بعض أساليب العمل المسيحى الفردى كأسلوب معايشة الأسر خاصة فى افريقيا * .

ب- الاهتمام بإعداد قيادات جديدة للدعوة :

تهتم الخدمة الاجتماعية اهتماما بالغا بظاهرة القيادة الطبيعية " بقصد إنماء هذا النوع من القيادات بزيادة اعدادهم والاكتشاف المبكر لهم وتدريبهم لصقل مهارتهم فى هذا الاتجاه ، ولأن الدعوة تقوم على القيادات الطبيعية المؤهلة لهذا النوع من النشاط فيمكن للخدمة الاجتماعية أن توفر البرامج التدريبية لهؤلاء الدعاة على مستويات مختلفة، وظاهرة أعداد الكوادر تعطيها المسيحية اهمية بالغة وسنذكر على سبيل المثال احد البرامج المنقذه فى اندونيسيا لعلها تفيد فى هذا المجال (١٢) .

١- اسم المشروع : مركز التدريب النصراني فى قرية تشيكمبار ، سوكابومى - جاوا الغربية ومدينة ماجالينكا .

٢- أهداف المشروع : تزويد الكوادر بالمهارات المهنية والزراعية والفنية والصناعة يستعملونها كوسائل للاتصالات المباشرة مع عامة الناس كل حسب طبيعة أعمالهم .

- الاشراف على الكوادر التى تعمل بالمجتمعات المحلية مع ايجاد علاقة قوية بالمجتمع المحلى لنشر المفاهيم المسيحية والايحاء لهذا المجتمع بأن المسيحية دين طيب بدليل تلك الخدمات الإنسانية التى يؤديها للناس .
- الايحاء للحكومة النظامية بأن النصارى يخدمونهم فى تطوير الوطن بدليل تلك الخدمات التى يقدمونها للناس .
- تآليف قلوب الكوادر من مختلف المحافظات وتبادل الأفكار والخبرات بينهم .

٣- خطوات المشروع :

- اعداد ارض مساحتها ٥٠ فدان لتلك الأغراض .
- تقسيم الأرض بعد استقطاع مبان للسكن والإدارة ودار للضيافة والمستودع وغيرها إلى اقسام لزراعة الأرز - القرنفل والبن والذرة والفول والبرتقال والأناناس إضافة إلى جزء لتربية الماشية والدواجن .

٤- التدريبات وتشمل :

العلوم الاقتصادية - العلوم البيئية والصحية والتربوية والادارية والاعداد النفسى إضافة إلى العلوم المهنية المختلفة وعلوم الإسكان وجميع هذه العلوم تدرس نظرياً وعمليا بحيث يتصلون مباشرة بالناس خلال فترات التدريب .

وتتم خطوات التدريب كما يلى :-

- النزول إلى الناس والعمل معهم بشكل مباشر .

- أن يكون التأثير فى الناس عن طريق القدوه الحسنة .
- مدة العمل ثلاث سنوات الزامية بعد التخرج إلا اذا تزوج الشاب أو تزوجت الفتاة من أهالى المنطقة .
- لابدمن إعداد البديل قبل ترك المنطقة بعد انقضاء الفترة المطلوبة وان يكون البديل من ابناء المنطقة وذلك حتى لا يكون هناك فراغ .

ومن المبادئ العامة التى يلتزمون بها عند العمل ما يأتى :-

- عدم الصراع مع بعضهم البعض (الكاثوليك والبروتستانت) .
- تجنب الصدام بينهم وبين المسلمين (لشعورهم بأنهم أقلية) .
- تجنب الصدام بينهم وبين الحكومة النظامية (لحاجتهم إلى الجماعة) .
- الاهتمام بالأمور التالية :-

* البناء الداخلى والاعتماد الذاتى .
* مشاركة الحكومة النظامية فى البناء والتعمير .
* دراسة العلوم الأخرى المساعدة بجانب دراسة الإنجيل ونشره .
* تنشيط بناء الكوادر وتوزيعهم إلى جميع أنحاء اندونيسيا للعمل والاتصال المباشر بالناس ومتابعة شئون ودارسة احتياجتهم وحل مشكلاتهم وما يمكن تقديمه من المساعدات .

ويمكن فى إطار الاهتمام بالقيادات وتدريبها أن تولى الخدمة الاجتماعية عن طريق الأخصائى الاجتماعى تزويد الراعية بالمهارات التالية :-

١- المهارة فى المقابلة .

وذلك حتى يجرى الدعية مقبلاته مع الأفراد الذين يدعوهم مباشرة إلى السلام أو يستفيد من جهودهم فى الدعوة أو يساعدهم فى حل مشكلاتهم لأن للمقابلة أصولاً علمية وفنية حتى يمكن أن تحقق الغرض منها كمدة المقابلة والأسئلة التى توجه وطريقتها والمناطق التى توجه إليها الاسئلة وملاحظة استجابات الشخص الذى يتم مقابلته والاستماع إليه والوقت المناسب لتوجيه الاسئلة وبداية المقابلة ونوع الأسئلة وملخص المقابلة .. كل ذلك موضوعات يمكن للأخصائى أن يساعد الداعية فيها بشكل مؤثر وفعال .

٢- المهارة فى عقد الاجتماع .

قد يكون الداعي هو الذى يدير الاجتماع مع جماعة من الناس أو مجموعة قيادات أو غير ذلك وهو هنا يحتاج إلى مهارة فى إدارة الاجتماع يمكن للاخصائى الاجتماعى

ان يساعد فيها ويدون فى ذلك مثلا الوقت المناسب للاجتماع والإعداد له من حيث الموضوع والمادة التى ستناقش فيه والمكان الذى سيعقد فيه وكيفية تسجيل مما يدور فى الاجتماع وتوجيه الأسئلة ومعرفة ديناميات الأعضاء واتجاهاتهم ومدى التفاعل الايجابى أو السلبى بينهم ومواقف كل منهم وكيفية التدخل لتنويب الحساسيات والمقاومة من البعض وتحديد المسئوليات والواجبات وإتاحة الفرصة لكل عضو بالمشاركة الايجابية فى المناقشة والمسئولية وغير ذلك من الأمور الهامة التى لا غنى عنها للداعية حتى تثمر تلك الاجتماعات وتوجه بشكل ايجابى للدعوة .

٣- المهارة فى العمل من خلال فريق

حيث يشيع فى مجتمعاتنا الاتجاه إلى العمل الفردى بين القيادات بصفة عامة وهذا لأسلوب يؤدى إلى تفتيت القوى وعدم تكاملها وربما إلى الصراع الذى يصل إلى هدم ما يبنيه الآخرون ومهما قلت سلبيات هذا العمل الفردى فإنه يحرم الداعية من جهود عناصر مختلفة لها تأثير ربما يكون أقوى من تأثير الداعية كفرد ويجمع الكثير من القدرات والخبرات فى اتجاه الدعوه مما يكون له تأثير أكبر ولذلك فدور الأخصائى الاجتماعى هنا هو تدريب الداعية على اكتساب خصائص العمل الجماعى وعدم التركيز على الذات خاصة ان الداعية يجب ان تكون نيته خالصة لوجه الله تعالى وبالتالى فهو ليس يحرص على الظهور وإسناد الأعمال إليه ، وهذا العمل الفريقى يسد ثغرة كبيرة فى مجال العمل الاجتماعى لو أحسن استخدمه وتنظيمه حيث يتم الاستفاده من كافة المهنيين كالطبيب والمهندس والمحامى ورجل الاعلام والقيادات الحكومية والشعبية كل فى موقعه وحسب ما تسمح به قدراته فى خدمة الدعوة .

٤- المهارة فى عقد المؤتمرات

لا غنى للدعوة عن عقد المؤتمرات الإعلامية أو العلمية حسب الحاجة لكل منهما ولكن عقد المؤتمر يحتاج إلى مهارة عالية فى الإعداد والتنظيم والتنفيذ والمتابعة حتى يحقق الغرض منه ، وتلعب المؤتمرات أهمية كبيرة فى تعبئة الرأى العام تجاه قضية معينه وتوجيه النظر إليها ، كما تلعب المؤتمرات العلمية بالذت دورا مؤثرا ويشكل أعمق وله صفة الاستفادة المستمرة من نتائجه، ويكفى أن نشير إلى أحد المؤتمرات الحديث الذى عقد فى الثمانينات فى مدينة كلوراو بالولايات المتحدة الامريكية وسمى بمؤتمر الألف مليون دولار وهى قيمة ما جمع من تبرعات رصدت لعملية تنصير المجتمعات الإسلامية ، واقتصر الحضور فيه على العلماء من ذوى التخصصات المختلفة وقدم فيه أربعون بحثا علميا تناولت كافة القضايا المتعلقة بتنصير تلك المجتمعات (١٣) .

والأخصائى الاجتماعى يمكن أن يسعد الدعاة فى اكسابهم المهارات اللازمة لنجاح مثل هذه المؤتمرت فى الإعداد والتجهيز لها قبل موعدها بوقت كاف واختيار الموضوع ونوعية المشاركين فيه والوقت المناسب له والمكان الملائم وتشكيل أمانة المؤتمر واللجان الازمة والأبحاث المقدمة والجلسات العامة الافتتاحية والخاتمة والتمويل والاعلام وكل ما يلزم لإنجاح المؤتمر .

الهـــوامش

1-M.Vencentia Joseph:The Religious and Sipirtnal Aspects of Clinical Practice : A Neglected Dimension of Social Work Social Thought, Wenner, 1987, pp.12 - 23)

(٢) انظر للبحث : الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ٩ - ١٤ ،١٩٨٨، الفصل الاول ، ص ص ٩ - ٤٤ .

3- See : Midgleym, J.Professional Imperialism: Social Work in the Third world (London: Heinemon)1981.

4- Betty J.Peccard: An Introduction to Social Work (the Dorsey Press Hoolwood, Illinois) 3ed.1983), P 158.

5-Jemes Midgley and pual Saazenbach :Social Work Religion and the Global Challenge of Fundamentalism , International Social Work (SAGE, London , New Bury Park and New Delhi) Vol .32 (1989), P.P.273 - 287.

(*) الاصولية Fundamentalism هى حركة عرفتها البروتستانتينية فى القرن العشرين تؤكد على ان الكتاب المقدس معصوم من الخطأ لا فى قضايا العقيدة والأخلاق فحسب ، بل أيضا فى كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائلة الغيب كقصة الخلق وولادة المسيح بن مريم ويلاحظك أن هذا الوصف " الأصولية " يطلقة الغرب على الحركات الاسلامية التى تريد تطبيق الشريعة الإسلامية ويلاحظ هنا الخلط بن المفهومين رغم تبينهما .

(**) موريس بوكاى ، طبيب ميسيحى فرنسى اهتم فى بدء حياته بالدراسة المقارنة للأديان ودفعة تخصصه العلمي كطبيب الى بحث المسائل العلمية ليتحقق عن طريقها من صدق الكتب الدينية المقدمة لانه من غير المنطقى أن يكون كلام الله متعارضا ومتناقضا مع ما خلق :

٦- انظر موريس بوكاى : التوراه والانجيل والعلم ، ترجمة حسن خالد ، المكتب الإسلامى بيروت ط٢ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

- مناظرة الاسلام والنصرانية - مناقشة مجموعة من رجال الفكر من الديانة الإسلامية والنصرانية الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٧هـ

– محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤ .

– يوسف القرضاوى : الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

(٧) مجلة الامة العدد ٦٥ ، جمادى الأول ١٤٠٦هـ ، يناير ١٩٨٦ص ٤٦، نقلا عن مجلة ارساليات التنصير البروتستانتى التى تصدر فى سويسرا.

(٨) يوسف القرضاووى : ثقافة الداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط ١١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ص ك:٧ .

(٩) أنظر على سبيل المثال : يوسف القرضاوي : ثقافة الداعية ، مرجع سابق، خاصة ص : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

– عبد البديع صقر : كيف ندعو الناس ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

– على جريشة : الدعوة والداعية ، دار الطبعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

– فتحى يكن : مشكلات الدعوة والداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

(١٠) حسان حتحوت : من سير الرجال : حسن البنا رحمة الله ، مجلة الأمة ، العدد ٥٥، رجب ١٤٠٥هـ – ابريل ١٩٨٥م ، ص : ٢٦ .

(١١) أنظر – عبد البديع صقر : كيف تدعو الناس ، المكتب الإسلامى .

– حسين بن محمد بن على جبر : الطريق الى جماعة المسلمين، دار الوفاء المنصورة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ص ص : ٢٥٧ – ٤٢٥ .

* فتاة جاءت من الولايات المتحدة الأمريكية للعمل فى إطار إحدى المؤسسات التنصرية ، وعاشت مع إحدى الأسر الزنجية البسيطة فى منطقة الحبوب وأصبحت تحمل اسم الأسرة وتعيش حياتهم العادية وبدأت تذهب الى الكنيسة يوم الأحد من كل اسبوع ، وفى المرة الأولى ذهبت معها الأبنة الكبرى في الاسرة لتؤنسها فى الطريق ، فاستقبلت استقبلا حارا كان قد أعد لها من أعضاء الكنيسة ، وقدمت إليها الهدايا ، وهكذا أصبحت فى كل أسبوع تصطحب معها فردا من الأسرة ، وبعد ثلاثة شهور أصبحت الاسرة كلها

تذهب بانتظام إلى الكنيسة ، وشاب آخر فى أمريكى يدرس إحدى الجامعات هناك جاءت به منظمة " كاريتاس " للمساهمة فى مشروع زراعى فى إطار خطة التنصير التى يقوم بها وكان يلبس اللباس الموريتانى ، وقرر أن يظل فى موريتانيا ولا يعود الى أمريكا ليعمل فى مجال التنصير .

(١٢) التقرر المختصر لبعض النشاطات التنصرية فى اندونسيا لعام ١٤٠٥ / ١٩٨٥ صدر عن المجلس الأعلى الاندونيسيا للدعوة الإسلامية شوال ١٤٠٩ - مايو - مايو ١٩٨٩

(١٣) الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر فى المعهد العالمى للفكر الاسلامى ، فرع الرياض ١٤١٠هـ .

المدخل الوقائى للخدمة الاجتماعية فى رعاية الطفل إسلامياً

د. زين العابدين محمد على رجب

لا شك أن شخصية الإنسان الفرد - مهما قيل فى تكوينها - ما هى فى النهاية إلا المحصلة النهائية التفاعلية للعديد من العوامل الوراثية والبيئية بأشكالها المختلفة ، ولا أقول كما يقول الآخرون ، إنها تبدأ منذ اللحظة الأولى لعملية الاخصاب داخل رحم الأم[1] . ولكن فى تقديرى أنها تبدأ قبل أن يبدأ التزاوج الفعلى - فى المرحلة التمهيدية له - حيث يتأثر تكوين الإنسان بالبيئة الوراثية والاجتماعية والعرفية المختارة تأثيرا كبيرا

ولقد أكد العلم الحديث ما أقره الإسلام فى الكتاب والسنة منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، حيث أكد الإسلام أن اختيار البيئة الاجتماعية التزاوجية أمرا ضروريا يتبعه العناية بالبيئة الرحمية أمرا أكيدا لا جدال فيه وكذلك الوسط الاجتماعى البيئى الذى يرعى هذا النشأ .

وقدأ وضحت الشريعة الإسلامية ، الأسس والقواعد لكل مرحلة من هذه المراحل لتصنع إطارا تراثا قوياً لو تم إتباعه وتوجيه الأفراد من خلال برامج اجتماعية وقائية بواسطة الاخصائيين الاجتماعيين ، تكون بمثابة تعريف وتوضيح ووقاية للنشأ من أخطار عملية التنشئة الاجتماعية غير السليمة والتى لا تستطيع أن تعيد النشأ مرة أخرى نشأ سليما مهما عالجنا جوانبها .

ولتوضيح هذا المنطق يمكن القول أن اقامة بناء اجتماعى - الأسرة - مكتمل الأركان والأعمدة - إيمانى النزعة قادر على تنشئة اجتماعية صالحة للبناء ، يمر بثلاث مراحل أساسية لكل منها أسسها وقواعدها وسلوكها ، لو اتبعناه ووجهناه وحققناه من خلال برامج اجتماعية ووقائية شاملة المراحل ... يمكن أن نقيم نشأ سليماً .. هذه المراحل يمكن تحديدها فى كل من :

(١) المرحلة الاختيارية	(مرحلة الانتقاء)
(٢) المرحلة الجنينية	(مرحلة التكوين)
(٣) مرحلة الطفولة	(مرحلة الرعاية المباشرة)

ونشير فى البداية الى أن المرحلة الأولى والثانية هى مرحلة الرعاية غير المباشرة للطفل ، من خلالها يتم إقامة بيئة اجتماعية معده لأستقبال الطفل ، فلو تمت المرحلتان على أسس سليمة ، تكون المرحلة الأخرى وهى مرحلة الرعاية المباشرة متوجه لهما .

وفى نفس الوقت هى مراحل ثلاث متكاملة الأطوار ، لابد من الاهتمام بها اهتماما متواصلا ، حتى نصل إلى مرحلة الرعاية ونكون قد جهزنا وجهزت البيئة الاجتماعية الأسرية تجهيزا أساسيا لديه الاستعداد والقدرة لإقامة تنشئة اجتماعية سليمة .

وسوف نستعرض المراحل الثلاث ، بما فيها من أسس وقواعد الزامية ، توجهنا إلى مصداقية التجهيز والتكوين والرعاية اللازمة لهذا النشء مركزين على المرحلة الثالثة وهى مرحلة الرعاية المباشرة محاولين تصور وقائى متكامل الأبعاد موجه إلى الأبوين والمربين الموجهين والمقبلين على الزواج فى نطاق الخدمة الاجتماعية التى تعتبر النشئة الاجتماعية أحد المحاور الأساسية فى عملها فى مجال رعاية الاسرة والطفولة ، مستعرضين المراحل والأسس والقواعد الاجتماعية والتى تقوم عليها أوجه الرعاية ووسائلها .

أولا : الخدمة الاجتماعية والدين :

ليس جديداً على الخدمة الاجتماعية أو الاتجاهات الاصلاحية التزامها أو ايجاد مدخل دينى لها سواء فى الاتجاهات المسيحية أو الإسلامية ... بل أن اتجاهنا فى الخدمة الاجتماعية بعد نشأتها ارتبط أكثر بإيجاد أصول الخدمة الاجتماعية من الرعاية الاجتماعية فى الدين الاسلامى ، ولذلك كانت هناك العديد من المحاولات لعرض أوجه الرعاية الاجتماعية الإسلامية .

وإذا كنا نجد أن المحاولات متعدده ومستمره فى المجتمعات الغربية المسيحية ، فى محاولتها ربط الإصلاحات والخدمات الاجتماعية بالدين ، بل وإقامة مذاهب اجتماعية دينية للخدمة الاجتماعية مثل مدارس وكليات الخدمة الاجتماعية الكاثوليكية والبروتستانتينية واليهودية أو ذات الاتجاه غير المعلن الذى تمتلكه مدارس وكليات الخدمة الاجتماعية التى ترجع أصول نشأتها إلى الكنيسة ، كما فى الهند وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل تعدى هذا الدور ليشمل الحركة فى المجتمع المسيحى كله أو دفعه إلى المسيحية .(٢)

ثانيا : مفاهيم يجب أن تحدد:

(١) الطفل :

- بكسر الطاء ، الصغير من كل شئ ، عينا كان أو حدثا ، فالصغير من أولاد الناس والصغير من السحاب طفل والدواب طفلا .
- بفتح الفاء - الرخص الناعم ، والمصدر الطفالة ، والطفل المولود ما دام ناعما خصا ، والولد حتى البلوغ وهو للمفرد والمذكر (٣).
- وفى التنزيل العزيز :

﴿ واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ﴾ (٤)

ومن ثم فالطفل هو المولود حتى سن البلوغ .

(٢) رعاية الطفل :

* عملية تشمل برامج وخدمات توجه لصالح الطفل فى كافة القطاعات سواء كانت علاجية أو بنائية أو وقائية تستهدف نمو شخصية الفرد وتحقيق رفاهيته (٥) .

(٣) المدخل الوقائى ... فى مجال الطفولة :

وهو مجموعة الخدمات والبرامج التى تحقق إشباع الحاجات والرغبات وتحقيق الأمال وبناء الكيانات على أسس سليمه وكذلك هو مجموعة الأسس والقواعد السليمة التى يجب اتباعها حتى يمكننا تلافى حدوث المشكلات أو الصعوبات التى يمكن أن تؤدى بالطفل إلى الانحراف أو المرض أو العجز ، ويتطلب حين ذاك العلاج .

ثالثا المنهج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فى رعاية الطفل :

١- ملامح المنهج الإسلامى :

يمكن أن نتصور لهذا المدخل اتجاهين أساسيين ..هما:-

الأول : مسئوليات الخدمة الاجتماعة الاجتماعة نحو تحقيق هذه الرعاية من خلال مؤسساتها ودفع المؤسسات الأخرى التى تتعامل مع الطفوله ساعدتها بطريقة مباشرة وبطريقة غير مباشرة نحو القيام بأدوارها لرعاية الطفل إسلاميا.

الثاني : قيام الخدمة الاجتماعية بمسئولياتها وفق أسس ومبادئ وقيم إسلامية يتعلم منها النشئ الصغير والقائمون على رعايته كيفية التعامل الإسلامى فنضع فى كيان الجميع الاطار الإسلامى فى التعامل الاجتماعى .

ويمكن القول أن هذا المدخل ينطلق من انطلاقات أساسية فى أوجه الرعاية المختلفة للطفل من خلال مؤسسات الخدمة الاجتماعية .. وغيرها يمكن استعراضها على النحو التالى :-

- أن الخدمة الاجتماعية تتعامل مع الإنسان أياً كان موقفه أو فئته أو طبقته .....وفقا لحاجاته ومشكلاته وسلوكه ، وشخصيته بهدف إحداث التغيير الاجتماعى - انطلاقا لمساعدته اما لبناء كيانه الشخصى أو لدفعه نحو القيام بمسئولياته وأدواره الاجتماعية الملقاة على عاتقه من وسطه الاجتماعى ...
- على الرغم من ذلك نجد أن الاساليب العلمية المختلفة فى المدارس العلمية المتنوعة فى الخدمة الاجتماعية وفى محاولتها لفهم الإنسان .. لم تتوصل جميعها إلى فهم الإنسان فهما شاملا متكاملا ، ولا فهما لمشكلاته ومحاولة وقايته منها أو علاجها له علاجا نهائيا وخاصة بعد ظهور العديد من الانتقادات لكل منهج وضعى ليس

في الخدمة الاجتماعية فقط ، ولكن في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية أيضا ، لذلك يجب علينا أن نلجأ إلى صانع هذا الانسان .. لكي نتعرف على ما هو الإنسان ؟ وكيفية التعامل معه منذ النشأة حتى نهايته وكيفية رعايته والقضاء على مشكلاته ونستخلص منهجه في أوجه الرعاية من خلال قرآنه وسنة نبيه ؟ .

– ان الاعتماد الأساسي على المنهج الإسلامي يتحرك من منطلقات أساسية يمكن استعراضها في الآتي :–

(أ) إنه يتميز بالوضوح والتحديد للأبعاد الدينية والدنيوية الشاملة والربط بينهم .

(ب) أنه يتميز بأنه منهج للمعاملة ، وانه دين يتميز بالوجود الاجتماعي والتفاعل الواقعي ..

(جـ) انه منهج شامل .. شموليته في كل من :–

* النظر للانسان من المهد إلى اللحد.
* النظر للإنسان في دنياه وآخرته ..
* أنه ليس لزمان ولكن لكل الأزمنة ..
* أنه ليس لمكان معين ولكن لكل الأمكنة
* ولا ينظر للإنسان كفرد فقط .. ولكن ينظر إليه ككيان اجتماعي يتحرك في ومن خلال كيانات اجتماعية متعددة ومتنوعة ومتغيره ، وهو ينطلق من كل شئ لهذا الانسان ووضع كل هذا في كتابه الكريم " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ " (٦)

– انه يقدم لنا اطارا اجتماعيا متكاملا للتعامل مع الواقع الاجتماعي ، بل وأبعاده القوية والضعيفة ، الغنية والفقيرة ، السليمة والمريضة ، أملا أن يصل بالإنسان إلى سلامة القول والفعل وعبادة الله على أرضه ..

– كما أن اقتناعنا بمنهجية هذا الدين .. إنما هو تحقيقا لفكرنا العقائدي ، وتحركنا به مهنيا ، يعني تحركا مع الإطار القيمي الذي ندين به ..

– ونحن أيضا في حاجة إلى أن نغرس بأنفسنا في جذورنا العميقة في بيئتنا تاريخياً وعقائديا .. حتى لا يفقد ابناؤنا هويتهم ... وليس في هذا تعصب ، بل هو الشئ الطبيعي الذي يجب أن تفعله أي دولة تحترم نفسها، وتراثها وعقيدتها وهويتها الحقيقية ..

٢– الخدمة الاجتماعية وأهدافها :

إذا قمنا بتحديد الخدمة الاجتماعية كمهنة بأنها " عمليه تستهدف إحداث اجتماعي مقصود للأفراد والجماعات والمجتمعات ، حتى يمكنهم القيام بمسئولياتهم الاجتماعية على أكمل وجه ممكن (٧) .

فنجد أن الهدف العام لها يتحدد.. فى كل من :-

١- مساعدة النظم الاجتماعية على أدائها لوظائفها ، ويدخل فى ذلك مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات حينما تعجز النظم القائمة على مساعدتهم تلقائيا ..

٢- تعديل أو إيجاد نظم اجتماعية حديثة ـ فقد عدلت من النظام الأسرى كما فى بعض قوانينه مثل قانون الأحوال الشخصية ، أو أقامت نظاما اجتماعيا جديدا مثل نظام التأمين الاجتماعى .. وهكذا ..

إلا أننا نشير هنا إلى أن مهمة المساهمة فى تغيير وتعديل الأنظمة الاجتماعية من المهام العسيرة والتى لا يمكن لمهنه ما أن تزعم لنفسها أنها تستطيع أن تضطلع بذلك .

ومن ثم فإن اختيار مثل هذا الهدف من العوامل التى تحد من تطور الخدمة الاجتماعية مهنيا ، لانه يفرض عليها تكوين قاعدة علمية معقدة واسعة النطاق إلى جانب تطوير نظام مهنى تكنولوجى شديد التنوع والتعقيد (٨).

ولما كان المنهج الإسلامي .. منهج يتميز بالثبات والشمول والتكامل من ناحية وقدرته على مواجهة أى ظروف متطورة ومتغيرة من ناحية أخرى فإننا يمكن أن نعمل على بناء خدمة اجتماعية إسلامية أو إقامة خدمة اجتماعية تكون أهدافها الاجتماعية تسعى لتحقيق الأسس والقواعد الإسلامية ، والتى يمكن أن تقينا من الوقوع فى العديد من الأخطاء أو مواجهة العديد من المشكلات حتى يمكن إفادة عملائنا بأحسن مستوى ممكن من الأداء الاجتماعى للمهنة ، الذى من خلاله يتم الوقاية من المشكلات ومواجهة المشكلات الموجودة وإزالة الصعاب التى يمكن أن تحدث العديد من المشكلات ، كما أننا نرى أن المدخل المناسب لرعاية الطفولة هو المدخل الوقائى الإسلامى للعديد من المبررات سوف يأتى استعراضها فيما بعد وذلك بهدف تنشئة جيل يتميز بالأصالة وعمق الماضى العقائدى ومستقبل يتميز بنشأ جيل ذو نشأة إيمانية تحضرية قوية .

وإذا كنا نسعى من وراء مشاركة الخدمة الاجتماعية الوقائية فى رعايه الطفل إلى إعداد جيل صالح له من المقومات الجسمية والنفسية والاجتماعية مما يمكنه من أن يكون قادرا على إعادة صنع الحياة الحقيقية على أرضه ،وهو ما يتحقق بالعمل وليس بالأمل فقط ، ومن ثم تعمل الخدمة الاجتماعية فى هذا المجال من منطلق أساسى ألا وهو استخدام كل مواردها وامكانياتها وطاقتها وممارستها وعلمائها فى المساهمة الحقيقية فى بناء الطفل إسلاميا ..

وهذا ينقلنا إلى التعرف على الخدمة الاجتماعية الوقائية من هذا الجانب .

رابعا الخدمة الاجتماعية الوقائية ورعاية الطفل :

إذا كنا نرى أن المدخل الوقائى للخدمة الاجتماعية ، نحن فى أمس الحاجة إليه ومن ثم فنحن نهدف من وراء استخدامه إلى تجنب وقوع هذا النشأ الجديد فريسة للأمراض الاجتماعية والمشكلات المتزايدة .. وأهم من هذا وذاك تجنب أطفالنا النشأة غير السليمة ..

وأن التزامنا به يعود للمبررات الآتية :-

١- ان علاج مشكلات الأطفال يحتاج إلى توفير العديد من الامكانيات والموارد المجتمعية التى تزيد أضعافا مضاعفة عن إقامة البرامج الوقائية التى لو تم إقامتها لتجنبنا العديد من المشكلات مستقبلا ... ومن خلالها يمكن تجنب وأزالة العديد من المشكلات الحاضرة .

٢- إن علاج شخصية الطفل ذو النشأ غير السليم ، ليس سهلا ولكنه صعب جداً ، بل ومهما عالجناها .. فسوف يتبقى جوانب غير سليمة فى الشخصية .

٣- بالإضافة إلي أن علاج جوانب الشخصية فى الطفل يحتاج إلى مزيد من الممارسة بمختلف تخصصاتها والتى نعتقد بأنها غير متوفرة بالقدر المناسب ، هذا بجانب قلة المؤسسات الاجتماعية والمؤسسات غير الاجتماعية .

٤- كما أن التلاحم بين البيئات الداخلية والخارجية التى يتعامل معها الطفل .. يمكن أن يحدث له انحرافاً أو انتكاساً فى علاجه إذا لم نكن قادرين على إقامة نشأة سليمة النزعة قائمة على أسس وقواعد سليمة .

وأرى أن الخدمة الاجتماعية الوقائية فى مجال رعاية الطفل تتحرك من خلال ثلاثة أبعاد أساسية هى :-

(١) إيجاد حالة الوعى للأفراد والجماعات والمجتمعات ، بالأسس والقواعد الإسلامية التى يجب أن تقوم عليها نشأة الطفل .. ويأتى ذلك من خلال تعريفهم بها ، وتفهمهم إياها .. وتعليمهم كيفية تحقيقها .

(٢) تقديم كافة الخدمات التى تساعد على تحقيق البعد الأول ، واستخدام الأسلوب الإسلامى فى ذلك ، والذى يتميز بالوضوح والتحديد والموضوعية من ناحية والصدق والأمانة والعدل والمساواة والخلق الكريم بإطاره القيمى من ناحية أخرى .

(٣) ووقاية الطفل من التعرض للصعوبات التي تعوق نموه جسميا ونفسيا عقليا واجتماعيا وإيمانيا ، الأمر الذى يدعم نشأته وتوافقه ويزيد من ثقته فى نفسه ويجنبه الوقوع فى المشكلات .

من خلال هذه الابعاد يمكن أن نحدد الأهداف العامة للخدمة الاجتماعية الوقائية فى رعاية الطفل إسلامياً على النحو التالى:-

١- تحقيق أقصى استفادة ممكنة من البيئة الاجتماعية الأسرية والمدرسية والمحلية لخلق حالة الوعى بالأسس والقواعد الإسلامية التى يجب أن نسترشد بها فى نشأة الطفل ورعايته .

٢- مساعدة الأطفال على النمو والتغير والوصول إلى أكبر قدر ممكن من الاعتماد على النفس .

٣- خلق علاقات اجتماعية مرضية سليمه بين الأطفال والآخرين الذين يتعاملون معهم ، قائمة على الأسس والقواعد الإسلامية أهمها العدل والمساواة والتسامح والصدق والأمانة .

٤- مساعدة الأطفال على اكتساب القيم السليمة التى يتطلبها بناء مجتمعهم الاسلامى عن طريق تعريفهم بها وتفهمهم لها وتدعيم الاتجاهات والقيم الاسلامية السامية ومساعدته على نبذ القيم والاتجاهات الضارة .

٥- مساعدة الاطفال على التعاون لخدمة البيئة الاسلامية المجتمعية .

٦- العمل على إيجاد الترابط والتفهم القوى بين البيت والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية التى تعمل فى مجال الاهتمام بالأسرة والطفولة حتى يمكن رعايتهم اسلاميا .

ولكى تحقق هذه الأهداف العامة لهذا المدخل .. لابد من ترجمتها إلى أهداف عملية قابلة لوضع برامج وأنشطة اجتماعية حتى يمكننا رعاية الطفل إسلاميا ، ومن هذه الاهدف العملية :

(١) الاهتمام بالأسرة من خلال العمل على حسن تكوينها واستمراها وتحسين ظروفها والعمل على استقرارها وتماسكها تمهيدا لخلق مناخ اجتماعى سليم يساعد على تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سليمة .

(٢) الاهتمام بدفع الأسرة نحو الاهتمام بأسلوب وطريقة تنشئة الأبناء وفق الأسس والقواعد الإسلامية عن طريق تعريفهم إياها وتفهمهم لها ومساعدتهم على كيفية تحقيقها ..

(٣) الاهتمام فى العملية التعليمية بتوجيه المربين والمعلمين نحو الإهتمام بالنشأة الإسلامية وتكوين المنهج وفق هذا المنهج الإسلامى .

(٤) الاهتمام باقامة الأنشطة الاجتماعية والرياضية والثقافية للأطفال ، بما يحقق التوجيه النفسى والاجتماعى السليم وخاصة داخل البيت وفى الوحدات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى .

(٥) ترشيد وسائل الاعلام لوضع برمجها الخاصة بالأطفال والموجه إليهم وإلى المربين والموجهين والمعلمين والآباء فى إطار المنهج الإسلامى .

(٦) الاهتمام بالجمعيات الخيرية الإسلامية ، تدعيم الدور الاجتماعى فيها للأخصائيين الاجتماعيين فى رعايتهم برعاية الأطفال ومساندتهم للدعوة الدينية والرجال الدين الإسلامى للقيام بدورهم الايجابى فى توضيح خطورة إتباع أسس وقواعد غير إسلامية أو التقاعس عن التعامل بالقواعد الإسلامية.

(٧) رفع المستوى الاجتماعى والتعليمى والثقافى والمادى للتجمعات المحلية وذلك عن طريق أجهزة المجتمع ومؤسساته الاجتماعية المختلفة وخاصة جمعية تنمية المجتمع .

(٨) تطوير وتدعيم الأجهزة الاجتماعية والمنظمات المختلفة العامة فى مجال الطفولة حتى يمكنه إقامة الأسس والقواعد الإسلامية وأوجه الرعاية الإسلامية للطفل وترجمتها لخلق الفهم الواضح ولممارسة الحقيقية للرعاية .

(٩) دفع أجهزة ومنظمات الخدمة الاجتماعية لتتحمل مسئولية إقامة السياسة الاجتماعية وفق المنهج الإسلامى بما يتيح النشأة الإسلامية للأطفال .

خامساً: المدخل الوقائى فى الخدمة الاجتماعية وكيفية استخدامه لرعاية الطفل إسلامياً:

على الرغم من عدم إنكارنا أن الخدمة الاجتماعية نشأت علاجية واستمرت فى إطارها العلاجى لفترات طويلة ، قبل أن تتحول أهدافها إلى أهداف وقائية وإنشائية ثم تنموية بانتقالها إلى العالم الثالث .

إلا أن الاسترجاع التاريخى للخدمة الاجتماعية ، يوضح أنها انطلقت فى عملها من الأسرة والاهتمام بأفرادها على أساس انها الوحدة الأساسية المجتمع ينطلق منه أفرادها فى جميع الوحدات الاجتماعية الأخرى مؤثرين ومتأثرين .

واذا كنا نؤمن تماما أن رعاية الطفل تتوقف على هذه الأسرة سواء عند تكوينها أو فى مرحلته الجنينية ثم فى مرحلة الرعاية المباشرة له بعد ولادته مباشرة حتى يصبح شابا .

ومن ثم نرى أن الخدمة الاجتماعية لابد أن تقيم برامجها الوقائية من خلال المراحل الثلاثة للرعاية التى أشرنا إليها سابقا .. لذلك سوف نستعرض هذا المدخل من خلال هذه المراحل على النحو التالى :-

(١) المرحلة الاولى .. وهى مرحلة الإعداد والانتقاء .

- ماهية المرحلة :

وهى المرحلة الاختيارية التى يتم خلالها تحقيق التآلف بين رجل وامرأة لتكوين بناء أسرى سليم ، لذلك فإن اختيار الرجل والمرأة لتكوين البنية الاجتماعية الناشئة يجب أن يتم علي أساس سليم ، حتى منشأ الطفل كجنين آمن ويتم رعايته كطفل .. ومن ثم كانت هناك دعوة صريحة واضحة لاختيار الأعمدة الأساسية لهذا البناء الاجتماعى اختيارا سليما ، قبل البدء فى التفكير لانجاب جيل يحمل طباعه ، فإذا كان الأساس المختار سليما صحيحا - كان لهذا الجيل البيئة الاجتماعية السليمة والمناخ الأسرى الاجتماعى السليم ، الذى يتيح للطفل حرية الحركة ، حركة الانطلاق والنمو .. لذلك كانت دعوة النبى ﷺ لتكوين هذا البناء ، طالما لدينا المقدرة على قيمه واضحة تماما حين قال رسول الله ﷺ :

" من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم " [٩] وأرى أن مفهوم الباءة مفهوم شامل للقدرة .. فهى القدرة المالية والجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية بالاضافة إلى القدرة على تحمل المسئولية والقيام بمهام الزوج .. لان الاسلام حلل المقصود الاسمى من الزواج الشرعى فى ثلاثة أمور ، هى فى أهميتها على الوجه التالى :- [١٠]

* إنجاب ذرية .
* التعاون على الحياة الكريمة .
* تلبية نداء الغريزة الجنسية .

ولتحقيق أغراض الإسلام فى الزواج ، وضعت القواعد والأسس حتى لا يترك الانسان حائرا ، بل يهتدى بها كمنارات فى طريق حياته الأسرية حتى يتم من خلالها رعاية الأسرة بأطفالها . وليس هناك منارات أقوى نور ، ولا أصول أحكم من التى وضعها العليم الخبير سبحانه وتعالى : ﴿ فمن اتبع هداى فلايضل ولا يشقي ﴾ [١١] .

ومن هذا المنطلق نجد أن الزواج فطرة إنسانية لها طبيعة اجتماعية لتحقيق مصلحة اجتماعية بناء على أسس أهمها الانتقاء والاختيار ، ولذلك فللزواج ثلاثة جوانب أساسية لها أهميتها .. وهذه الجوانب [١٢] هى :-

(أ) الزواج فطرة إنسانية .

(ب) الزواج مصلحة اجتماعية .

(جـ) الزواج انتقاء واختيار .

وهنا يأتى دور الخدمة الاجتماعية الوقائية فى تحقيق كل من :-

(١) العمل على تحقيق حالة الوعى الاجتماعى لدى أفراد المجتمع وخاصة المقبلين على الزوج وأسرهم لتفهم العلاقة الاجتماعية الزواجية والغرض من إقامتها فهما اجتماعيا ودينيا سليما وفق الأسس الاجتماعية الإسلامية .

وتنطلق حالة الوعى الإجتماعى من خلال جانبين أساسيين.. هما :-

أ- الزوج فطرة إنسانية .

ب- الزواج مصلحة اجتماعية .

وسوف نقوم باستعراضهما على النحو التالى :-

أ- الزواج فطرة إنسانية :

ويؤكد الله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١٣) وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبىﷺ يسألونه عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها "وجدوها قليلة " فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا افطر وقال آخر : انا أعتزل الناس فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول لله صلى لله عليه وسلم .. فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى"(١٤) فمن هذه النصوص يتبين لنا أن الزواج فى الإسلام فطرة إنسانية ، ليحمل المسلم فى نفسه أمانة المسئولية الكبرى تجاه من له فى عنقه حق التربية والرعاية والتنشئة .

ب- الزواج مصلحة اجتماعية :

نستعرضها ونبين أوجه ارتباطها بتنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سليمة فى الآتى:-

- المحافظة على النوع الإنسانى وذلك ببقائه وتكاثره وتسلسله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. ويؤكد هذه الحقيقة الله فى قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من

انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ (١٥) .

- المحافظة على الأنساب : وما فيها من اعتبار ذاتى للطفل واستقرار نفسى له ، ولولا ذلك لعج المجتمع بأولاد لا كرامة لهم وانتشر الفساد والإباحية .

- سلامة المجتمع من الإنحلال الخلقى: حتى يأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعى وما أصدق ما قاله رسول الله ﷺ فى هذا الشأن : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاء " (١٦).

- سلامة المجتمع من الأمرض : بالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التى تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة للزنا وشيوع الفاحشة والاتصال الحرام ، ومن هذه الأمراض : مرض الزهرى وداء السيلان (التعقيبه) ... وغيرها من الأمراض الخطيرة التى تقضى على النسل أو تجعله نسلا مريضا أو ضعيقا ، وتنتشر الوباء وتفتك بصحة الأولاد .

- الزواج سكن هادى ومستقر : وأكد على ذلك الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (١٧) ولا يخفى ما فى هذا السكن الأمن المستقر من حافز على تربية الأولاد ، والاعتناء بهم ، والرعاية لهم .

- التعاون فى بناء الأسرة وتربية البناء فكلا الزوجين يكمل بعضهما الآخر ، فالمرأة تقوم بأعمال البيت وإدارته والتربية للبناء ، والرجل كزوج يسعى ويعمل فى شق الأعمال حتى يستخدم عائدها فى إعداد أولاده إعدادا شاملا وتربية جيل مؤمن بالإسلام حق الإيمان ويقوم على حماية الأسرة من كل الأخطار .

- تأجج عاطفة الأبوة والأمومة وهدفها ينصب فى خلق مناخ أسرى فياض بالأحاسيس والعواطف ينعكس فى رعاية سليمة للابناء ، و السهر على مصالحهم وتحمل تبعات هذه التنشئة .

(٢) العمل على خلق حالة الوعى لدى أفراد المجتمع مع الأسس الاختيارية الإسلامية التى تحقق أسرة إيمانية قوية مكونة من البنين والبنات فى نورة الإيمان المكين والجسم السليم والخلق القويم والعقل الناضج والنفس المطمئنة الصفية .. والمساعدة على تحقيق ذلك .

ونستعرض أهم هذه الأسس والقواعد الإيمانية على النحو التالى:-

(أ) الاختيار على أساس الدين :

وجوب اختيار الأكثر تدينا سواء للزوجة أو الزوج - وهذا لا يخالف العرف الاجتماعيّ ، بل يتماشى معه القائل بأن : " شبيه الشئ ينجذب إليه " (١٨) أرشد النبى صلوات الله وسلامه عليه راغبى الزواج بأن يظفروا بذات الدين لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل فى أداء حق الزوج وأداء حق الأولاد أداء حق البيت على النحو الذى أمر به الإسلام ، وحض عليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

روى البخارى ومسلم وغيرهم عناّبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك:(١٩) ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام على هذا المعني بقوله : " إن الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " (٢٠) .

وهذه الزوجة هى الكفيلة باستقرر بناء الأسرة واستعصائها على الزلزلة والاضراب، وهذا ماوجه الإسلام إليه راغبى الزواج ونجده فى قول الله تعالى : ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ (٢١) .

وفى هذا دلالة على أن مبدأ الاختيار قائم على اعتبار سلامة العقيدة والخلق والاتجاه ، قبل اعتبار الوضاءة والجمال .

ونستطيع أن نرى صورة الزوية المثالية فى نظر السلام من خلال إجابة النبى ﷺ لما سئل : أى النساء خير ؟ اذ قال : " التى تسره إذا نظر ، تطيعه إذا أمر ولا تخالفه فى نفسها ، ولا ماله بما يكره "(٢٢)

ومن خلال هذا الحديث ، نرى أن هناك مجموعة من الصفات للزوجة المثالية فى الاسلام : -

* بعضها يتصل بجانب الجسد والجمال .

* بعضها يدل على شرف النفس وطهارة السريرة ونضج الخلق ، مما يدل على تكامل نظرة الإسلام إلى الزوجة الصالحة وشمولها لكل الأمان ،فالذى ينبغى هو اتبع الفطرة وتوازنها (٢٣) .

(ب) الاختيار على أساس الأصل والشرف :

والزواج من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق ، وأصالة الشرف ، لكون الناس معادن يتفاوتون فيما بينهم وضاعة وشرفاً ، ويتفاضلون فسادا وصلاحا .

وروى ابن ماجه ، والدارقطني ، والحاكم ، عن عائشة رضى الله عنهما مرفوعا "تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء " (٢٤) .

وروى ابن ماجه والدارقطنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تخيروا فإن العرق دساس " (٢٥).

وروى ابن عدى فى الكامل مرفوعا " تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس" وقال ايضا : " اياكم وخضروات الدمن ، قيل ماخضراء الدمن يارسول الله ، قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء" .

فهذه الأحاديث بمجموعها ترشد راغبى الزواج إلى أن يختاروا زوجات ترعرعن فى بيئة صالحة ، ونشأن فى بيت عريق ، عرف بالشرف والطيب، وتناسلن من نطفة انحدرت من أصل كريم ، وجدود أمجاد .

(جـ) الاغتراب فى الزواج :

ونعنى به هو زوج الفرد من أجنبيه ، ونعنى بأجنبية هو أن لا يكون له صله بها عن طريق القرابة ، وهذا يحقق نتائج ايجابية من حيث سلامة البناء وراثيا ، ومن ثم سلامة اجسامهم من الأمراض السارية أو العاهات الوراثية أو هما معا، وكذلك توسيعا لدائرة الروابط الأسرية وتقوية للروابط الاجتماعية ...

وقد حذر النبى ﷺ من الزواج بنوات النسب والقرابة حتى لا ينشأ الولد ضعيفا أو مريضا ، فمن تحذيراته فى هذا الشأن : " لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاريا" (٢٦) وقوله : " اغتربوا ولا تضووا " (٢٧) .

وقد أثبت علم الوراثة أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفا من ناحية الجسم ، ومن ناحية الذكاء ، ويورث الأولاد صفات خلقية ذميمة ، وعادات اجتماعية مستهجنة(٢٨) .

(د) تفضيل ذوات الأبكار :

وقد ألح عليه الصلاة والسلام عن بعض الحكمة بالزواج بنوات الأبكار فقال : عليه الصلاة والسلام - فيما رواه ابن ماجه والبيهقى " عليكم بالبكر فانهم أعزب أفواها ، وانتق ارحاما ، وأقل جناً ، وأرضى بالبسير (٢٩) .

(هـ) تفضيل الزواج بالمرأة الولود :

وهى فى الإسلام تعرف بشيئين .. هما :

الأول : سلامة جسمها من الأمراض التى تمنع من الحمل ويستعان بمعرفة ذلك بالمختصين .

الثاني : النظر فى حال أمها وحال أخوتها المتزوجات ، فان كن من الصنف الولود فعلى الغالب هى تكون كذلك .

واذا استطعنا أن نتأكد من ذلك على أساس صحة جيدة وجسم قوى سليم تستطيع أن تنهض بأعبائها المنزلية وواجباتها التربوية ، وحقوقها الزوجية على أعلى درجة .

اذن ننطلق فى هذه المرحلة على أن تربية الأولاد فى الإسلام ، يجب أن تبدأ بزواج مثالى يقوم على مبادئ ثابتة لأثر فى التنشئة وفى إعداد الجيل تكوينا وبناء الا فليتذكر أولو الألباب " .

ونجد أن الخدمة الاجتماعية الوقائية في هذه المرحلة تتحرك من خلال :-

أ- الاستراتيجية التى يستخدمها الأخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة :

وهى استرتيجية الاقتناع : وهي تفترض اتفاق أفراد المجتمع (شباب وفتيات وأسرهم فى المجتمع) على اعتناق فكر معين على أساس القيم التى تعتنقه ولذلك يجب أن يتحرك الأخصائى الاجتماعى نحو العمل على تأكيد القيم الإسلامية التى يعتنقها الأفراد والجماعات وأسرهم والتى تساعدهم على الاتفاق حول خلق حالة الوعى الكامل بأهمية الأسس والقواعد الإسلامية فى عملية الزواج وبناء أسرة ونشأة جيل إسلامى .

ب - الوسائل والمؤسسات :

يستخدم الأخصائى الاجتماعى لعدد من الوسائل المتنوعة على النحو التالى : المقبلات المهنية فى مكاتب المقبلين على الزواج (مع الشباب والفتيات المقبلين على الزوج) وفى مكتب الاستشارات الأسرية (مع أسر هؤلاء الشباب والفتيات) وذلك بغرض دفعهم وحثهم على مراعاة الأسس والقواعد الإسلامية فى عملية الزواج :

* الندوات والمناظرات والمؤتمرات فى جمعيات تنمية المجتمع والأندية الاجتماعية والساحات الشعبية (الشباب والفتيات واسرهم) فى المدارس والجامعات (مع الشباب والفتيات فى مرحلة الزواج) .

* مجلات الحائط والتى تتركز أكثر فى المدارس والجماعات والأندية ، للشباب المقبل على الزواج .

* وسائل الاعلام المختلفة وخاصة فى الاذاعة والتلفزيون التى تصل لأغلبية أفراد المجتمع داخل بيوتهم ، بالإضافة إلى الاذاعة الداخلية فى المدارس والأندية ، بالإضافة الى الصحف والمجلات المختلفة التى لابد وأن يكون جزء من جوانبها السياسية مخصصة للنشئة الاجتماعية الإسلامية السليمة للأسرة .

* الكتيبات والنشرات الاجتماعية التى يمكن أن تقوم بها جمعيات تنظيم الأسرة ومكتب المقبلين على الزواج وتوزيعها بأرخص الأثمان أو بدون مقابل .

جـ - الأدوار التى يمارسها الأخصائى الاجتماعى فى هذه المرحلة :

ويمكن أن نتصور هذه الأدوار على النحو التالى : (٣٠)

(١) دور الأخصائى الاجتماعى كمرشد :

- المبادأة بالاتصال بأفراد المجتمع وكأسر وكمجتمع محلى .. دون أن يطلب منه مساعدتهم على خلق حالة الوعى بالأسس والقواعد الإسلامية وعملية الاختيار وبناء الأسرة ورعاية النشأ ..
- التحرك نحو دوره فى تقبل التطورات والأوضاع الواقعة كما هى بدون تحيز .
- شرح دور الاجتماعى المهنى ، ومحاولته إفهام الجميع وتقبله ويتصرفون على أساس ذلك الفهم .

يعمل الاخصائى الاجتماعى كمرشد لتوجيه افراد المجتمع للأسس والقواعد الإسلامية وإيجاد الوسائل لتحقيقها ، وتتلخص مسئولياته فى مساعدة المجتمع على اختيار التجاه الذى يرغبه بدقة مراعيا العوامل المتعددة التى تؤثر فى المجتمع .

(٢) دور الأخصائى الاجتماعى كمساعد :

- يتركز فى العمل على مساعدة أفراد المجتمع على عدم الرضا عن الأحوال السيئة الموجودة فى المجتمع والناتجة من الأسس والقواعد الوضعية فى بناء الأسرة أو رعاية النشأ .
- خلق الرغبة وتهيئة الاستعداد وتشجيع أفرد المجتمع - وكذلك المؤسسات الاجتماعية ، نحو المطالبة بمساعدتهم لخلق حالة الوعى بالأسس والقواعد الصحيحة الإسلامية فى هذا الشأن .

(٣) دور الأخصائى الاجتماعى كخبير :

وهو مد الأسرة والأفراد المقبلين على الزواج بالمعلومات الكافية سواء عن طريق المقابلات الفردية أو الجماعية أو عن طريق المؤسسة الدينية المتخصصة فى هذ الشأن حتى يكون لديهم الإلمام الكافى بالاسس والقواعد الإيمانية التى يتم من خلالها بناء الأسرة ورعاية النشأة وفوائدها وأهمية اتباعها .

(٤) دور الأخصائى الاجتماعى كمنظم للتغير :

- يجب أن يحدد الأخصائى الاجتماعى الوقائى المؤسسات والهيئات التى يجب أن تتحمل تلك المسئوليات .

- يجب أن يوضح الحاجة إلى تكوين هيئات ومؤسسات جديدة وخاصة فى بعض البيئات التى لاتوجد فيها مثل هذه المؤسسات المسئولة اذ لزم الأمر.

(٥) دور الأخصائى الاجتماعى كمستشير :

يقوم الأخصائى الاجتماعى فى هذا الدور باستثارة أفراد المجتمع والمؤسسات التى يعمل معها مستخدما فى ذلك ومركزا على حالات عدم الرضا التى يشعر بها بعض الأفراد حتى يكون لديهم ولدى الآخرين الرغبة والاستعداد لتقبل حالة الوعى الجديد والعمل على تحقيقها .

(٢) المرحلة الثانية .. وهى المرحلة الجنينية

تهدف الخدمة الاجتماعية فيها على إقامة الاستقرار الأسرى الذى يساعد على خلق المناخ النفسى والاجتماعى السليم الذي يحافظ على الأم وجنينها . ويأتى ذلك من خلال أهداف عملية وهى :-

١- المساهمة فى استقرار الأسرة وتماسكها .

٢- المساهمة فى خلق الوعى وتوضيح وشرح الأسس والقواعد التى يجب أن تراعى للأم الحامل والجنين فى كافة الحالات بما أوضحته الشريعة الإسلامية .

ويمكن استعراض تلك القواعد والأسس على النحو التالى :-

- الدعوة لله بمباركة هذا الخلق الجديد (المولود) :

وذلك عن طريق الدعوة له أن يصون هذه النطفة عند وضعها ويحميها من النزعات الشيطانية .. حيث قال عليه السلام :" لو أن أحدكم اذا أراد أن يأتى أهله فقال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه اذا قدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبدا " (٣١)

- العناية بالأم أثناء حملها :

ويهدف من وراء هذه العناية المحافظة على الأم وعلى جنينها حتى لا يتعرضان للهلاك أو التعب أو المرض أو التشوه ، كما حرصا أكثر على الجنين خوفا من تعرضه للنقص أو السقوط ، ولهذا فقد اهتم الإسلام بالآتى :

(أ) أباح الشارع للحامل الفطر فى رمضان إذا خافت على نفسها أو ولدها أو تعرضهما للإرهاق والتعب والمرض ، فقد روى عن النبى صلى لله عليه وسلم أنه قال : "ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن الحامل ومن المرضع الصوم " (٣٢).

(ب) مطالبة الام بالاهتمام بصحتها وتناول الأغذية المناسبة لحالتها والتى تتوافر فيها كافة العناصر الغذائية الضرورية لتكوين الجنين وحمايته واكتمال نموه .

– منع المرأة من فعل ما يعرض الجنين أو يلحق به الأذى أو يؤدى إلى الاجهاض سواء أكان ذلك بواسطة عمليات جراحية أو تناول بعض الأدوية التى ربما تؤدى إلى سقوط الجنين أو الاضراب بالجنين .

– بل زاد على ذلك ورتب المشرع عقوبات بدنية ومالية تلزم من يتعدي على الجنين .. فقد ثبت عن أبى هريرة رضي الله عنه " ان امرأتين رمت أحدهما الأخرى بحجر فطرحت جنينها فقضى النبى ﷺ بضرة عبد أو وليدة " [٣٣] .

وعن أبى هريرة قال : اقتتلت امرأتان من هزيل فرمت أحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما فى بطنها ، فأختصموا الى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها نحرة عبد أو وليدة قضى بدية المرأة على عاقلتها [٣٤].

– تحريم الاجهاض : وتعنى بها سقاط المرأة جنينها بفعل منه عن طريق دواء أو غيره بفعل من غيرها. وقد أجمع الفقهاء على منع إسقاط الجنين بعد نفخ الروح واكثرهم يرى المنع من ذلك قبل نفخ الروح ايضاً، ورتبوا عقوبة على الجانى تتمثل فى الغرة والكفارة أو الدية مع الكفارة ، بل أن العقوبة قد ترمى الى حد القود من ايمان [٣٥] .

– اخراج الجنين حى عند موت الحامل : فقد عنىّ الفقهاء بالمحافظة على حياة الجنين عند وفاة أمة ، ولو لم يكن ذلك إلا بشق بطنها . جاء فى الفقه الشافعى : " وان ماتت المرأة وفى جوفها جنين حى وقد شق جوفها، لانه استبقاء حى باتلاف جزء من الميت فأشبه ما إذا اضطر إلى أكل جزء من الميت .

– المحافظة على حقوق الجنين المالية : أثبت الشارع الأهلية للجنين ولكنها أهلية ناقصة ، حيث أثبت له الحق الإرث والوصية والوقف .

– وصل الشارع إلى حد أبعد من هذا كله حين أجل إقامة الحد على المرأة الحامل حتى تضع حملها، بل وأكثر من ذلك حتى يتم فطمه .

وقال رسول الله ﷺ : " إذا قتلت المرأة حداً لم تقتل حتى تضع ما فى بطنها ، وحتى تكفل ولدها " [٣٦]

٣– تقديم الخدمات الاجتماعية المختلفة التى يمكن أن تساعد بشكل مباشر وغير مباشر فى رعاية الأم نفسيا واجتماعيا وصحيا وترفيهيا .

٤- تدعيم بعض الأسر ماديا، للمحافظة على صحة الأم والجنين وذلك عن طريق :-

- عدم إجهاد الأم العاملة أثناء حملها عن طريق تخفيف الأعمال التى تقوم بها حجما ونوعا أو إعطائها أجازة عن العمل ، مع المحافظة على المستوى المادى للأسرة .

- العمل على عدم تعرض الأم للقيام أو الاستمرار بالأعمال التى يمكن أن تسبب بعض التشوهات أو الأمراض للجنين ، مثل تعرضها للأشعة السينية ، أو تعرضها لإجهاد المواصلات ..

- المساهمة المباشرة فى علاج الحامل فى حال تعرضها للاصابة بالأمراض المعدية نظرا لانعكاسها على جنينها .

- رفع المستوى المادى لبعض الأسر للمحافظة على صحة الأم ومستوى غذائها لما له من انعكاس على صحة الأم وجنينها .

٥ - العمل على اقامة الندوات والمحاضرات سواء فى جمعيات رعاية الأمومة والطفولة أو فى جمعيات تنمية المجتمع المحلى أو مكاتب رعية الأسرة يكون الهدف الأساسى منها أيضا الأسس والقواعد الإسلامية والعلمية المرتبطة بصحة الأم ونوع الاغذية ومستواها .

٦- توزيع النشرات والكتيبات على الحامل المتعلمة أو التى تعرف القراءة ،والتى توضح من خلالها كثيرا من استفساراتها المرتبطة بالجوانب الإسلامية والعلمية، ومنها عملية الافطار فى رمضان ، وكيفية التعويض عن ذلك وكذلك مدة الحمل ، وعلاقاتها الجنسية بزوجها ونوع ومستوى التغذية وتدرج رعايتها بنفسها وجنينها طبقا لجدول زمنى .

٧- القيام بعرض بعض الافلام التسجيلية وخاصة للحامل الأمية ، يتم من خلالها إيضاح كيفية اهتمامها بصحتها وصحة جنينها وتغذيتها ، والطريقة الصحية للنوم ، وعدد الساعات التي يجب أن تنامها وتفضيل مواعيد معينة وكيفية قيامها بمسئولياتها فى البيت حتى لا تتعرض هى وجنينها للأخطار .

٨- استخدام البرامج التلفزيونية الخاصة بالطب والصحة وكذلك البرامج الاجتماعية فى استعراض كيفية الاهتمام بالزوجة الحامل والمحافظة على جنينها من جانب الزوج والأهل والأقارب وعدم تعرضها للأخطار أو الإجهاد أو الانفعالات السيئة .

المرحلة الثالثة : مرحلة الرعاية المباشرة للطفل

وهى المرحلة التى تبدأ منذ ميلاد الطفل حتى سن البلوغ ، وتنبه الأذهان إلي أنها تحتاج إلى كافة التخصصات المهنية المختلفة لرعايته صحيا ونفسيا وعقليا واجتماعيا وايمانيا ، إلا أن تولى مسئولية الرعاية تقع فى المقام الأول على الأبوين أو الأسرة والمؤسسات العاملة معها ..

ومن هنا يأتى دور الخدمة الاجتماعية فى تجاهها الوقائى فى المقدمة ، على أساس انها مهنة تهتم بخلق حالة الوعى لدى الأبوين نحو الاهتمام بطفلهما منذ البداية اهتماما اجتماعيا خالصا من جميع الأوجه .

وبذلك نجد أن على الخدمة الاجتماعية فى مدخلها الوقائى تحقيق أهدافها فى هذا الشأن من خلال ثلاث نقاط أساسية هى :-

(١) تفاعلها مع الوحدات الاجتماعية التى تقوم برعاية الطفل تفاعلا إسلاميا .

(٢) المساهمة الحقيقية فى رسم سياسة اجتماعية إسلامية .

(٣) توجيه أجهزة العلم توجيها إسلاميا .

ومن ثم لو استطعنا تدعيم الوحدات التى تتعامل مع الطفل وخلق حالة الوعى لديها بكيفية التعامل معه وكيفية تحقيق ذلك من خلال سياسة اجتماعية موجهة ، يتم بنائها وتوجيهها إسلاميا وترشيد البرامج الاعلامية المختلفة لأمكننا بناء الانسان والطفل المصرى إسلاميا ، ولكن كيف يتم ذلك ؟ الاجابة تتم من خلال تعامل الخدمة الاجتماعية من العناصرالثلاثة ، ألا وهى :

العنصر الأول : الوحدات التى تتعامل مع الطفل :

تتم عملية رعاية الطفل وتنشئته تنشئة اجتماعية فى جميع المجتمعات من خلال طريقتين (٣٧) هما :-

الأولي : عن طريق التربية والتعليم والتنشئة التى تقوم بها الجماعات الأولية نحو الطفل وعلى الاخص جماعة الأسرة، بصفتها الجماعة المحورية الأولى فى عملية تنشئة الطفل ورعايته ..

الثانية : عن طريق عمليات التربية والتعليم التى تقوم بها الجماعات الثانوية نحو الطفل، وعلى الأخص جماعة المدرسة وجماعة التلفزيون بصفتهما الجماعتين المحورتين التاليتين فى عملية التنشئة الاجتماعية .

وكلا الطريقتين يكمل بعضهما البعض ، إلا أنه فى غالبية المجتمعات المتقدمة تلعب الجماعة الثانوية دورا رئيسيا فى عملية التنشئة الاجتماعية وذلك بحكم التطور الأكبر الذى طرأ على وظائف هذه الجماعات بحيث أصبحت تحتوى على الجزء الأكبر من العملية فى غالبية المجتمعات الصناعية المتقدمة ، والعكس صحيح ففى غالبية المجتمعات المتخلفة أو النامية حيث تلعب الجماعات الأولية ، الدور الرئيسى علي عملية التنشئة الاجتماعية للطفل حتي الآن ، وذلك بحكم ضعف وعجز الجماعات الثانوية عن القيام بوظائفها المماثلة فى المجتمعات المتقدمة (٣٨).

ولذلك سوف نركز على الأسرة والمدرسة كوحدات تتعامل مع الطفل كمحاور أساسية فى رعاية الطفل :

أولاً الأسرة :

لما كانت الأسرة بمثابة الجبهة الاجتماعية الأولى التى تتلقى الطفل وبدونها لا يستطيع الحصول على ما يشبع مختلف حاجاته البيولوجية والاجتماعية والنفسية ، بل بدونها يمكن أن يفقد حياته كلها ، بل أن التنشئة الاجتماعية السليمة للطفل ، لا تتحقق بصورة طبيعية إلا من خلال الاسرة الطبيعية(٣٩) .

ترجع أهمية الأسرة كوحدة محورية فى رعاية الطفل وتنشئة إلى :

* ما أكدته مدارس علم النفس ، وخاصة مدرسة التحليل النفسى على أهمية السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل – فى تشكيل شخصيته الأساسية ، وهذه الفترة يكون فيها الطفل داخل نطاق الأسرة ، متأثرة بكل ما فيها من قيم واتجاهات ورعاية ، فإذا كان المناخ الأسرى سليم يحقق ويشبع حاجاته ويرعاه تكون لنا بناء ذاتى سليم للطفل وإذا كان العكس يكون لنا العكس ..
* قد أكد علماء الاجتماع والتربية الحديثة أن الفرد فى السنوات الأولى من عمره يقلد ما يراه من سلوك داخل نطاق أسرته من عادات وتقاليد ومفاهيم وقيم دينية واجتماعية وكذلك كيفية التعامل مع الآخرين (٤٠)..
* أكدت العديد من الدراسات ، أن حدوث أية تغيرات فى البيئة المباشرة المحيطة بالطفل (الأسرة) فى السنوات الاولى من عمره من شأنها أن تساعد إلى حد كبير فى ارتقاءه النفسى الاجتماعى بوجه عام ، ومن شأنها أيضا أن تعطل كثير من وظائفه وقدراته كالذكاء وكالوظيفة اللغوية .

ومن هنا نجد أن أهداف الخدمة الاجتماعية مع الأسرة لرعاية الطفل تحدد فى :-

١- المحافظة على الكيان الأسرى واستقراره وتماسكه وثباته ، حتى بتحمل مسئوليات وظائفية ، بعد ما تم اختياره اختبارا اسلاميا سليما ، وذلك عن طريق

* مواجهة الصعوبات والعقبات الاجتماعية التى تتعرض لها الأسرة والتى قد تؤدى إلى هدمها أو تصدعها أو انفصال أجزاء منها ، مما يهدد المناخ النفسى والاجتماعى الأسرى .. ويعرض النشأ لهزات نفسية واجتماعية تهدد بناء كيانه الشخصى .

* مساعدة الأسرة ماديا إذا احتاجت ذلك ، قبل أن ينعكس ذلك عليها ويحدث تصدعا لها .

مساعدة الأسرة علي اكسابها كيفية مواجهة العوامل والصعوبات التى توجهها فى البداية وبنفسها حتى تتعلم القضاء على مثل هذه الصعوبات مستقبلا حتى لا تؤدى إلى انهيارها .

٢- خلق حالة الوعى للأسرة (الأبوين) بالأسس الاجتماعية التى تكون بداية حقيقية لرعاية الطفل ، وذلك عن طريق تعريفهم إياها ومساعدتهم على تحقيقها كاملة

وأن يركز البرنامج الاجتماعي لمثل هذه الندوات والمحاضرات على الأسس الاجتماعية الإسلامية لرعاية النشأ من قبل الأسرة .

وسوف نستعرض هذه الأسس الاجتماعية ، مؤكدين منذ البداية على أن كل منها يؤدى إلى الأخرى :

(١) انتماء الطفل (٢) التسمية .

(٣) مراعاته جسميا (٤) التنشئة الايمانية .

(٥) الحضانة (٦) النفقة .

ويمكن عرضها على النحو التالى :-

الأساس الاجتماعى الأول :

انتماء الطفل منذ مولده الى شخص يرعاه ويحميه . وهو ما يعرف فى الفقه بثبوت النسب ، وهو من أهم الأسس في الوقع الاجتماعى ، حيث أن انتماء الطفل الى أبيه يحفظه من الضياع ويحميه من التشرد .

كما أن هذا الأساس الاجتماعى يترتب عليه العديد من الأسس الأخرى والحقوق الاجتماعية ، وأن فقدانه أو حتى التشكك فيه ، يؤدى إلي بلبلة اجتماعية كبيرة ، وأن ثبوت النسب يترتب عليه كل من الرضاعة والحضانة والنفقة .

الأساس الإجتماعي الثاني : التسميه :

ونقصد به اختيار اسما مناسبا للمولود ، يدعى به ويميزه عن غيره من الناس ، وقد جاء توجيه الشريعة الاسلامية الى ذلك فى قول رسول الله ﷺ " انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم ، واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم "(٤١)

وتنطلق الحكمة التى دعت الإسلام الى تحسين الأسماء – وهى فى المقام الأول حكمة اجتماعية – وانتقائها من الكلمات التى تبعث البهجة والتفائل حتى لا يشمئز الطفل من اسمه ولا يشعر بنفور الناس منه ، فيدعوه ذلك الى كراهة المجتمع حوله واعتزاله اياه " (٤٢) .

وأن التسميه لها أصول يمكن استعراضها فى الآتى : –

أ– ما يستحب من الأسماء وما يكره :

* احسنها وأجملها .

* يجنبه الأسم القبيح الذى يمس كرامته ، ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية عليه .

* كما يجنبه الأسماء التى بها اشتقاق من كلمات فيها تشاؤم ، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها .

* كما يجنبه الأسماء المختصه بالله ، فلا يجوز تسميته بالأحد ولا الصمد ولا بالخالق ولا بغيرها (٤٣) .

* كما عليه أن يجنبه الاسماء المعبّدة لغير الله ، كعبد الكعبة وعبد النبى وماشابهها، فإن التسميه بهذه محرمه بالاتفاق .

* وعليه أن يجنبه الأسماء التى تميع وتشبه وفيها غرام مثل هيام ، وهيفاء (٤٤) .

ب – تكنية المولود بأبى فلان :

* تنمية شعور التكريم والإحترام فى نفسية الطفل .

* تنمية الشخصية الإجتماعية ، لاستشعاره أنه بلغ مرتبة الكبار وسن الإحترام .

* ملاطفته وإدخال السرور عليه بمناداته بهذه التكنية المحببه إليه .

* تعويده أدب مخاطبة الكبار وإن كان فى سنه ممن الصغار . وجاء فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه قال : كان رسول اللهﷺ أحسن الناس خلقا ، وكان لى أخ يقال به أبو عمير وكان النبى ﷺ إذا جاءه يقول به : " يا أبا عمير ما فعل النغير ، قال الراوى : أظنه كان فطيما .

جـ- متى يسمى الولد :

روى أصحاب السنن عن سمره قال : قال رسول الله ﷺ " كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ويحلق رأسه " .

وقال رسول الله ﷺ حين ولد ابنه إبراهيم من ماريا " ولد لى الليلة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم " والظاهر أن التسميه ممتدة من اليوم الأول الى اليوم السابع منها ويكره أن تأخر عن ذلك (٤٥) .

الأساس الإجتماعى الثالث .

مراعاته عن المولد جسميا :

ويأتى ذلك من خلال أبعاد أساسية :

أ- استحباب تحنيكه عندما يولد :

والتحنيك معناه وضع التمرة ، وذلك حنك المولود بها . والحكمة فى ذلك تهدف الى تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتملظ ، واستدل الفقهاء على استحباب التحنيك مما يلى : جاء فى الصحيحين من حديث أبى بردة عن أبى موسى رضى الله عنه قال : ولد لى غلام فأتيت به النبىﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ، ودفعه الىّ (٤٦) .

ب- إزالة الأذى عنه كأساس لرعايته جسميا (حق الطفل فى النظافة)

تدعو الشريعة الإسلامية إلى القيام بالكثير من الواجبات نحوه مما يترتب عليه حمايته ووقايته وسلامته من الأمراض ، فتؤكد على إزالة كل ما من شأنه التأثير على صحته ونموه .

وإذا كانت الدعوة لذلك ، فلا غرو أن توجب الشريعة أمور تتعلق بإزالة الأذى من الطفل منها وما يرويه أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : " الفطرة خمس : الختان والاستبراء ونتف الأبط وقص الشارب وتقليم الأظافر " (٤٧).

جـ- حقه فى الغذاء :

فإن الله تعالى فرض على الأم (لمن أراد أن يتم الرضاعة) أن ترضع مولودها حولين كاملين ، وقد أكدت البحوث الطبية اليوم أن المده المثلى من جميع الأوجه الصحية والنفسية عامين كاملين ، وأنها ضرورية لنمو الطفل نموا سليما من الناحيتين البدنية والنفسية (٤٨) .

لذلك تعطى الشريعة الإسلامية للمحافظة على المولود كلا من :-

* تعطى للمرضع حق الفطر فى رمضان كما أوجبت عليها تناول الغذاء الذى يؤدى إلى ادرار اللبن الذى يحقق النمو السليم للطفل .

* ليس الأم مضارة للأب ، وإذا فعلت فله أن يحضر لطفله مرضعه حتى تتحقق مصلحة الطفل فى هذه الرضاعة .. له ذلك على شرط أن يعطى أجرها وأن يحسن معاملتها .

﴿ وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف﴾ (٤٩)، فذلك ضمان لأن تكون للطفل ناصحه ، وله راعية .

* وفى حالة وفاة الأب ، فإن المسئولية والرعاية تنتقل الى وارثه ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فهو المكلف أن يرزق من تقوم بإرضاع الطفل ، يكسوها بالمعروف والحسنى ، تحقيقا للتكامل العائلى الذى يتحقق طرفه بالإرث ويتحقق طرفه الآخر بتحمل نفقات المورث.

الأساس الإجتماعى الرابع

التنشئة الإيمانية :

وذلك من خلال الحركة الإيمانية الاولية من خلال : -

(أ) الآذان في أذن المولود

يسن الآذان بصوت خفيض فى إذن المولود اليمنى .. فعن ابن رافع رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ أذن فى أذن الحسين بن على حين ولدته فاطمة يعنى أذن بالصلاة " (٥٠) رواه أبو داود والترمذى .

(ب) العقيقة

يسن ذبح شاه عن المولود الذكر والمولودة الأنثى ، والأحسن الأكمل أن يذبح عن الذكر شاتين وعن الأنثى شاه فقد جاء فى حديثه صحيحه ابن خزيمة وغيره أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا " (٥١).

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ " أمرهم أن يعق عن الغلام شاتان متكافئتان ، وعن الجارية شاه (٥٢) .

(جـ) التصدق بمقدار حلق شعره فى اليوم السابع فضه

وقد جاء فى الحديث : أمر الرسول ﷺ أن يماط الأذى عن الوليد فى اليوم السابع - وإماطة الأذى المراد بها ، حلق الشعر .. وجاء فى حديث غير متصل انه ﷺ أمر

فاطمة رضى الله عنها حين ولدت الحسين أن تحلق شعره وتتصدق بوزنه فضة ، فلما وزن كان درهما أو أقل من درهم " (٥٣) .

الأساس الإجتماعى الخامس

الحضانة :

تعرف الحضانة بأنها العيش - عيش الأولاد - فى أحضان الأبوين عيشه كريمة ، لذلك فقد رسمت لها الطريق لكى يدوم النقاء والصفاء والمحبة والألفه والرحمة والمودة بين قطبى الأسرة (الأبوين) ، كما أنها أمرت برعاية الأولاد والمحافظة عليهم وحمايتهم وتثقيفهم من الأبوين ، وهذا مايعرف بالحضانة ، كما أنها لا تترك الأولاد لحالة الضياع والتشتت والتشرد فى حالة انفصال الزوجان وإنما رسمت الخطوط الأساسية لحمايتهم ورعايتهم والمحافظة عليهم حتى يصلوا إلى مرحلة تمكنهم من إدراك مصالحهم والإعتماد على أنفسهم .

ونجد أن الإسلام قد جعل الأم ثم لقرابتها الأقرب ، حضانة الطفل حتى يبلغ سن السابعة ، وبعدها يدخل مرحلة أخرى ، يصدر فيها حكما يجعله لابيه أو لأمه أو يخير بينهما وذلك عدل ورحمة ووضع الأمور فى مواضعها (٥٤) .

ولما كانت الحضانة من الأهمية بحيث يعتمد عليها فى تنشئة ورعاية الطفل وتكوينه وبناء شخصيته الإجتماعية ، فكان لابد من أن نتأكد ن توافر العديد من الشروط فى القائم على حضانة الطفل ومنها :

عدة شروط للحضانة :-

١- ألا تكون الأم متزوجة بأجنبى عن الصغير المحضون ، مع أهليتها للتحمل سلوكها وتدينها والهدف من هذه السمات هو توفير الجو الصالح الذى يوفر نشأة مستقيمة .

٢- أن تكون أمينه على نفسه وسلوكه وخلقه .

٣- العدالة .

٤- القدرة على التربية والرعاية والتنشئة ومن تثبت مرضه أو كبره فلا حق له فى الحضانة .

٥- أن تكون الحاضنة حره بالغة عاقلة .

٦- يشترط فيها أن تكون ذات رحم محرم للطفل ، كأمه وأخته وخالته وعمته فلا حضانة للغريبة غير المحرم كبنات الأعمام والعمات ... كمالا يثبت الحق فى الحضانة للمحارم غير الأقارب .

٧- ألا تكون مرتدة .

وعدة شروط للرجل الذى له حق حضانة الطفل لعدم وجود أهل لحضانته من النساء وهى :-

١- الحرية ٢- العقل ٣- البلوغ .

٤- القدرة على تربية الطفل ورعايته ٥- الأمانة عليه .

٦- أن يكون عصبة للطفل ، يقوم من يكون مقدما من الميراث .

٧- وأن يكون ذا رحم محرما إذا كان الطفل أنثى ، فليس لابن عمها حق حضانتها

٨- أن يتحدد فيهما الإتحاد الذى يثبت به التوارث بينهما ، فلا يكون للرجل حق حضانة الطفل ولا ضمه ، إذا خالف دينه دين الطفل بالإسلام وغيره وجميع الديانات غير الإسلام تعتبر دينا واحدا هنا كما فى الميراث (٥٥) .

الأساس الإجتماعى السادس :

النفقـــة ..

النفقة فى إصطلاح الفقهاء هى : الإدرار على الشخص بما يحفظ عليه حياته وهى على الإطلاق تشمل الطعام والسكن والكسوة .

وقد حدد النفقة للأولاد ، كل جانب منها له هدفه الاجتماعى وحكمته

الولد الصغير : " إبنا كان أو بنتا " إذا كان له مال حاضر أيا كان مقداره فلا تجب نفقته على أبيه - لانه يعتبر غنيا بماله ، فإن كان ماله غير جاهز فعلى الأب أن ينفق عليه حتى يحضر ماله ، أما إذا كان الصغير ليس له ماله فنفقته على أبيه ، فإن كان أبوه فقيرا وجب عليه السعى والتكسب للقيام بهذه النفقة .

وإذا كان الأب فقيرا أو غير قادر على التكسب ، أو لم تتيسر له طرق التكسب ، لزمت الأم النفقة على الصغير .. فإذا لم يكن أحد من الأقارب يستطيع الإنفاق عليه كانت النفقة فى بيت مال المسلمين ، وإذا كبر الصغار فإن كانوا ذكورا فلا تجب نفقتهم على أبيهم إلا إذا كانوا عاجزين عن الكسب بسبب مرض أو عاهه .

أما البنت فتجب على أبيها حتى تتزوج ، ولو لم تكن عاجزه عن الكسب ولا يجوز لأبيها أن يدفعها للتكسب أو يوجرها فى عمل أو خدمة ، فإن ذلك يعرضها للفتنة والانحراف ، ولكن إذا كان لها كسبا عن طريق مأمون ، فكأن كانت تعمل وهي فى بيتها وتكسب من ذلك ، وكان أبوها فقيرا ، فلا تجب عليه نفقتها وإنما تنفق على

نفسها من كسبها ليفى بحاجتها ، كان على أبيها أن يكمل لها بما فيه كفايتها . أما إذا كان الأب غير موسر أو غير قادر على التكسب ، لزم الأقارب نفقه البيت . وجوب النفقة على الأولاد ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع :

يمكن أن نستعرض أوجه الرعاية الإسلامية المختلفة التى يمكن أن تحقق نشأ اجتماعيا سليما ، على النحو التالى :-

أ- أوجه الرعاية الجسمية والصحية :

وهى الخدمات والأسس التى يجب اتباعها لرعاية الجانب الجسمي للطفل ، ويكون هدفها هو نشأة الأولاد علي خير ما ينشدون عليه من قوة جسمية وسلامة بدنية وتمتعهم بمظاهر الحيوية والنشاط لذلك يجب العمل على :

* توفير وتهيئ الأسرة (الأهل والأولاد) كل من الغذاء السليم الصالح ، والمسكن المناسب والكساء الملائم ، حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام أو تنهك أبدانهم الأوبئة والأمراض ، وتساهم مؤسسات الخدمة الأجتماعية وهى مؤسسات الضمان الاجتماعى والمساعدات المادية لتحقيق ذلك فى حالة عجز الأسرة على تحقيقه .

* اتباع القواعد الصحية فى المأكل والمشرب والنوم .

بهدف خلق عادات سلوكية صحية تحقيق رعاية جسمية سليمة .

* الوقاية من الأمراض المعدية :

ونجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : " فر من المجذوم فرارك من الأسد"(٥٦) .

وقال عليه السلام : " لا يوردن ممرض على مصح " (٥٧).

وفى تربية الأجسام والمحافظة على صحة الأبناء كان الهدى النبى الشريف يوجه إلى ابعاد الأولاد عن بعضهم البعض وفصل السليم عن المريض حتى لا ينتشر المرض ويعم .

التداوى من الأمراض :

يقول رسول الله ﷺ : " لكل داء دواء " (٥٨) وهذه دعوة محمدية بأن يتجه الآباء إلى معالجة أبناءهم إذا مرضوا لأن الشريعة الإسلامية ، تؤكد على الأخذ بالأسباب ، ولذلك لابد من الالتزام بالتوجيهات الإسلامية .

التعويد على الرجولة والرياضة :

نجد أن هناك اتجاهات متعددة فى هذا الشأن :

- تعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية :

وجه الإسلام الى تعليم السباحة والرمى وركوب الخيل ، ويروى البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ كان يمر أصحابه فى الرمى فيشجعهم ويقول لهم : أرموا وأنا معكم كلكم " (٥٩) .

- تعويد الولد على التقشف والخشونة

يهدف من وراءه التعود على الحياة الصعبة وعدم التنعيم ، حتى تكون التنشئة بداية حقيقية للجهاد فى الكبر ، ولقد روى الأمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، مرفوعا : أياكم والتنعيم ، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين" .

- تعويد الولد على حياة الجد والابتعاد عن التراخى والميوعة والانحلال .

فقد قال رسول الله ﷺ : " كل شئ ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (أى الرمى) وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة " (٦٠) .

ب- أوجه الرعاية العقلية :

وهى مجموعة الخدمات والتوجيهات والقواعد التى لو نفذت لتكون لدى الطفل فكراً نافعاً ناضجاً واعياً .. ولذلك يجب العمل على توعية وتعليم وتثقيف الولد منذ النشأة ، وأن آيات القرآن تؤكد على أهمية التعليم .

فنجد أن أول الآيات نزلت : ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (٦١) وأيضا قول الله تعالى : ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (٦٢) .

ويأتى مسئولية الخدمة الإجتماعية وخاصة مع الأسرة والمدارس نحو تحقيق المناخ التعليمى الملائم والمناسب والمهنى لتحقيق العقلية الناضجة فى مراحلها التعليمة المختلفة .

جـ- أوجه الرعاية النفسية :

هى مجموعة الخدمات والأنشطة والبرامج التى من خلالها إقامة المناخ النفسي الإجتماعى المناسب ، بهدف تكوين شخصية الطفل النفسية والمحافظة على إتزانها وتكاملها . .

ونجد أن هذه الرعاية تتحرك من خلال اتجاهين أساسين .. هما : -

الأول : أن يحرر الطفل من كل العوامل والأسباب التى تحطم كيانه الشخصى ..

الثاني : أن ندفع الفرد لتكوين كيانه النفسى بإتزان وصراحة ، والانضباط والتمتع بكل الفضائل الخلقية والنفسية على الاطلاق .

ونجد أن العديد من الإتجاهات النفسية الحديثة ومنه اتجاه " فروم " الذى يؤكد على أهمية الوالدين فى تشكيل شخصية الطفل ، فالأبوين يشكلان اتجاهات وقيم الطفل اثناء التجارب الأسرية (٦٣) .

قد ركز الإسلام على الإتجاهين السابقين فى تحقيق الرعاية النفسية لذلك أراد أن يوضح بعض العوامل التى يجب أن نسعى لتحرير الطفل منها والتى تشترك فى تحطيم كيانه الشخصى ، منها الخجل ، والخوف والشعور بالنقص ، والغضب .

د- أوجه الرعاية الإجتماعية :

هى مجموعة الخدمات ذات الطابع الإجتماعى التى تقدم للطفل من الأسرة يكون الغرض منها تكوين الكيان الإجتماعى له القادر على تحقيق التفاعل والتعامل ، وتكوين علاقات ايجابية سليمة مع البيئة الإجتماعية ، ويخرج هذا كله من خلال حسن المعاملة والتصرف ، الأدب ، والإتزان الاجتماعى والتعرف الحكيم ولذلك لابد وأن تتكون مقابلات الأسرة والمؤسسات المختلفة معها موضحة لها مثل هذه الأشياء .. والتى يمكن تحديدها فى كل من : -

- بناء الأصول الإجتماعية العامة :

وهى أصول تغرس منذ الصغر فى الطفل وأهمها : التقوى والأخوة والرحمة والإيثار والصفو والجراءة ، وقد ركز عليها الإسلام .

- بناء الأصول الإجتماعية المرتبطة بمراعاة حقوق الأخرين والتعامل معهم وأهمها :

حق الأبوين ، والأرحام والجار والمعلم والكبير والصاحب ونهدف من ورائها بناء كل ما يحقق التفاعل الإجتماعى بين النشأ والآخرين ، تفاعلاً سليماً ومحدداً يراعى فيه حدود هذا التفاعل ونوعيته .

وهناك آيات كثيرة تركز على كل هذه الأصول :

- مراعاة الإلتزام بالآداب الإجتماعية العامة :

إن منهجية الإسلام قامت علي أساس تكوين الولد خلقيا وإعداده سلوكيا واجتماعياً ، حتى يكون تعامله مع الآخرين مبنى على أساس سليم يتميز بمكارم الأخلاق ...

ومن الآداب الإجتماعية الكثير ، ومن أهمها :-

آداب الطعام والشراب والسلام والمزاح والمجلس ، عيادة المريض ، التعزيه ، العطاس ، والتثاؤب وآداب الحديث .

- المراقبة والنقد الإجتماعي :

ونهدف من ورائها تقديم الطفل لكل ما يساعده على أن يتعود على مراقبة حدود الله وعدم الخروج عنها حتى يمكن المحافظة على القيم الأساسية للإسلام سواء أكان ذلك عن طريق توجيه على أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أو محاربة الفساد والإنحراف والخلل الإجتماعي الذى يمكن أن يظهر فى الأمة الإسلامية ، وتؤكد كلمات الله تعالى هذه المعانى يقول : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ (٦٤).

ولتكوين الكيان الإجتماعى وتحقيق أهداف الرعاية الإجتماعية لابد وأن توجه الأسرة للأسس والقواعد التى يجب أن يلتزم أفرادها تجاه هذا الطفل .. هى :-

(١) المساواه فى المعاملة .

(٢) الرفق فى المعاملة والحديث .

(٣) التدرج فى التوجيه والوقاية والتربية .

ولذلك نجد أن :

(١) المساواه في المعاملة : فهى تعنى العدل فى المعاملة أو التسوية بين الأولاد ، لأن أساس التكوين الإجتماعى للطفل ، وهو شعوره بالمساواه وخاصة بين اخوته ، حتي بداية حقيقية للتعامل مع الوجود الإنسانى كله حيث أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٦٥).

عن النعمان بن البشير قال : نحلى ابى نحلا ثم أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشهده، فقال أكل ولدك أعطيته هذه ؟ قال : لا ، قال : أليس تريد منهم الرب ما تريد من ذا ؟ قال : بلى، قال : فانى لا أشهد (٦٦) .

(٢) الرفق في معاملة الأطفال :

لقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الرفق فى معاملة الأطفال ونبذ القسوة ، لأن القسوة فى المعاملة ، مثبطة للهمم ، قاتلة للذكاء ، مؤدية للذل ، باعثه علي النفاق ، ومن أهم جوانب تكوين الجانب الإجتماعى فى الشخصية الرفق فى المعاملة وحسنها ، لأنها تكون شخصية إجتماعية متزنة ومتسامحة وصادقة .

وفى الصحيحين وفى حديث أبى هريرة قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى حال ، فقال الأقرع : أن لى عشرة من الولد وما قبلت أحدا منهم ، فنظر إليه الرسول ﷺ ، وقال : ومن لا يرحم لا يرحم " (٦٧) .

(٣) التدرج فى التوجيه والوقاية والتربية :

للإسلام طريقته الخاصة فى محاولة توجيه الطفل وإصلاحه فى بدايات إنحرافه ، فالإسلام يتدرج فى ذلك .. على النحو التالى :-

- الملاطفة بالوعظ: فقد روى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أثر بشراب فشرب منه - وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول ﷺ للغلام ، أتأذن لى أن أعطى هؤلاء ؟ وهذه هى الملاطفة ، فقال لا والله ، لا أؤثر بنصيبى منك أحدا ، فتله رسول الله ﷺ فى يده (أى وضعه فى يده)(٦٨)

- الزجر أو الهجر : فلا يجوز أن يلجأ إلى الضرب :

فقد روى البخارى ومسلم عن إبن سعيد رضى الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الخزن ، وقال أنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكا العدو ، وانه يفقأ العين ويكسر السن "

الضرب: إذا عجزت كل الوسائل السابقة ، فلا بأس بعد ذلك أن يلجأ الى الضرب غير المبرح ، وقد روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع﴾ (٦٩) .

ثانياً - المدرسة :

تعتبر المدرسة من الجماعات الثانوية المؤثرة تأثيراً كبيراً على الطفل ، حيث أنها تلعب دوراً كبيراً فى تنمية القدرات الإدراكية للطفل وتوجيهها ، ومن ثم صقل بناء الطفل الشخصى عقليا وإجتماعيا وخلقيا ...

ولكن يجب الإشارة هنا إلى وحدة لها من التأثيرات والتوجيهات الكثيرة بالنسبة لجزء ليس بالقليل لأطفالنا قبل المدرسة ألا وهى الحضانة حيث أن زيادة الرغبة فى تعليم الأبناء قبل مرحلة التعليم الأساسى ، وخروج المرأة للعمل ، بل وتزايد خروج الأمهات للعمل ، مما يدفعهن إلى ترك أبنائهم فى حضانات سواء فى أماكن أعمالهم أو بجوار بيوتهم ، وهذا يؤدى إلى تقليص دور *البيئة الطبيعية (الأسرة)* فى *التنشئة* الإجتماعية الأساسية الأولى للأطفال .

لذا يجب أن نرى الحضانة ووضعها الحالى فى المجتمع وكذلك مدى تأثيرها على النشء، بل ومدى قدرتها على تحمل مسئولية إعداد جيل وخاصة إعداده عقائديا .. فنجد أن الطفل يوضع فى دار الحضانة مع معلمات ومربيات لسن على المستوى المطلوب من الإعداد التربوى والأكاديمى المطلوب إسلاميا وليست الحضانة مجهزة بالوسائل والأساليب والكتب التى يمكن أن تحقق التربية والتنشئة الإسلامية المطلوبة ، بالإضافة إلى مجموعة المبررات الشخصية للمعلمات والمربيات ، ومن أهمها أن معظمهن يفتقدن الرغبة الحقيقية فى هذا العمل ، كما ينقصهن الحماس والدافع للنجاح فيه ، وأصبحت مهامهن الحضور إلى عمل وظيفى روتينى للتعايش من ورائه ، وكثير ما يمارسن ألوانا عديدة من العقاب البدنى والنفسى على الأطفال ، لارغامهم على الصمت وعدم الحركة ، ليستمتعن بالثرثرة أو شغل التريكو (٧٠) .

ومن هنا يجب علينا أن ننطلق نحو إعادة صياغة مفهوم العمل فى دور الحضانة ومسئولياته والهدف منه فى بداية إعداد الطفل وصياغة عقليته تعليميا وإسلاميا . وكذلك نوعية الأسرة للاهتمام بطفلها إذا لم تكن الحاجة ملحة لدور الحضانة وأجهزتها ومسئولياتها نحو العمل على الإهتمام بالأسس والقواعد التربوية والدينية التى سبق إيضاحها فى شخصية المعلمات والمربيات .

ومن ثم لابد من أن نوضح ملامح المناخ المدرسى الإسلامى على النحو التالى :-

- مناخ يسوده الحب والمودة والحرية .. حتى نعطى لشخصية الطفل أبعادا حقيقية للحرية .. فينطلق عقله لكى يفكر ويعبر ويناقش وينضج ويتخذ قراره .
- مناخ تسوده العدالة والمساواة ، مما يشعر معه الطفل بالأمان النفسى والإستقرار الإجتماعى ، فيندفع نحو العمل بجد وإجتهاد ، ويعلم من خلاله بأن قيمته الحقيقية فى تحصيله وعلمه ، وأنه سوف يثاب على ذلك ، ولا يتوقف ذلك على وجود طبقة معينة أو مستوى معين ولا نخاطر بتحطيم كثير من أطفالنا بالرشوة أو النفاق أو المحسوبية أو الوساطة .

من هنا نجد أن المناخ الإسلامى يسوده اتاحة الفرصة لجميع أطفالنا مما يعطى لهم الرغبة الحقيقية والحفز المتواصل نحو إستثمار مالديهم من قدراتهم وإمكانياتهم وبناء شخصياتهم الإسلامية .

ولا يمكن أن يتحقق هذا المناخ المدرسى إلا من خلال :-

المدرس ، والمنهج وطرق التدريس المتبعة وأوجه النشاط المختلفة وكذلك العاملين بمختلف التخصصات بالمدرسة .

ونستطيع أن نقول أن العمل المهنى للخدمة الإجتماعية يتحرك من خلال:-

* مجموعة الخدمات الفردية المتنوعة ومنها مواجهة المشكلات وإشباع بعض الحاجات مثل الحاجات المادية وكذلك النفسية والإجتماعية .

* مجموعة الأنشطة التى تمارس داخل المجال المدرسى .

فلو إنطلقنا بالخدمة الإجتماعية فى أوجه النشاط المختلفة بالمدرسة يمكن أن يكون تحركها المهنى لمجال خصب لرعاية الطفل رعاية شاملة متكاملة .

فأوجه النشاط وممارستها إيجابيا يحقق كل من :

* إشباع حاجتهم وميولهم ورغباتهم بشرط أن توجه توجيها قيميا إسلاميا سليما.

* تعليمهم العديد من المهارات والخبرات الإجتماعية والنفسية والجسمية التى لا يمكن تعليمهم أياها فى الفصل وبالتالى نكسب الطفل الكثير من السمات الإجتماعية والإسلامية ومنها التعاون والصبر وضبط النفس وإحترام الغير وتحمل المسئولية .

ومن هنا تلعب الخدمة الإجتماعية دورا أساسيا فى تحقيق ذلك من خلال أوجه لنشاط المختلفة وفقا للجماعات المتنوعة ويمكن أن نوضح الأطر الأساسية لعملها فى ـذا الشأن .. على النحو التالى :-

لإطار الأول : تنوع الجماعات وتعدد أنشطتها :

- الجماعات الثقافية وهى متعددة ومنها :

* جماعة المحاضرات والندوات والمناظرات .

* جماعة الصحافة .

* جماعة المكتبة .

* جماعة الأذاعة .

* جماعات أخرى كالشعر والنثر والزجل والخطابة .

ب- الجماعات الإجتماعية .. ومنها :

* جماعة الجمعية التعاونية - جماعة النادى المدرسى - جماعة الخدمة العامة .

* جماعة الهلال الأحمر - جماعة المراسلات - جماعة الرحلات والمعسكرات .

* جماعة الحفلات .

جـ- الجماعات الرياضية .ومنها :

* فريق الألعاب - جماعة التمرينات الحرة - جماعة الحركات على الأجهزة - الفرق المائية .

د- الجماعات الفنية .. ومنها :

* جماعة الرسم والتصوير والحياكة وأعمال النجارة والتجليد والتمثيل .

هـ- الجماعات العلمية :

جماعة الكيمياء ، والجغرافيا ، والتاريخ وإحياء العلوم - الخط (٧١) .

هذه هى أوجه النشاط بأنواع الجماعات التى يمكن أن تمارس داخل المدارس ، والتى يمكن أن يتخذ منها الأخصائى الإجتماعى ما يجده مناسب لتحقيق حاجاتهم وإشباع رغباتهم ويتفق مع يعد لهم من ناحية ، ويتماشى مع مرحلتهم العملية التى يمرون بها أطفالنا من ناحية أخرى حتى يحقق النشأة الإجتماعية السليمة ذو الطابع الإسلامى .

الإطار الثانى : الركائز الأساسية لعمل الخدمة الإجتماعية لرعاية الطفل إسلاميا :

أ- منهجية الخدمة الإجتماعية فى ممارسة أوجه النشاط بالمدرسة أو الإطار المبنى الذى ينطلق منه الأخصائى الإجتماعى محددا فيه كل من الجماعة وأماكن أنشطتها وأدواتها ومحتوى النشاط وأهدافه الإسلامية .

ب- الطبيعية القيمية لمنهج العمل ، والتى تحمل طابعا إسلاميا وفقا للقواعد الإسلامية والقيم الإيجابية التى يجب أن تترجم فى طبيعة النشاط وممارساته.

جـ الواقع بإحتياجاته وإمكانياته وتطلعاته المستقبلية وإسلاميته .

الإطار الثالث : كيفية الممارسة للنشاط فى الجماعات المتعددة والتى يمكن أن تسهم فى رعاية الطفل إسلاميا .

١- نجد أن النشاط الثقافى يتنوع وفقا للجماعات الثقافية المدرسية ، ونجد أن العمل المهنى يترك نحو تحقيق كل من :-

* إقامة الندوات والمحاضرات فى الموضوعات الثقافية المختلفة التى يجب أن يراعى فيها عمر الطفل ويدور محورها .. أما برأى الدين الإسلامى نحو ضروب الحياة وكيفية تحقيقها أو تدور فى مناخ يحمل طابع إسلاميا تنظيميا وقيميا ونركز فيه على التحام الأطفال بقيادات العمل الإسلامى (٧٢) بما يحقق المناخ الثقافى الإسلامى .

* دفع الطفل وحفزه وتعويده على القراءة ، ومن ثم لابد من وجود كتب وقصص وأعمال أدبية دينية وأعمال دينية إسلامية فى العديد من فروع العلم منها الطب والهندسة والأدب والسير والسياسة والعبقريات والمعارك الحربية .

* إقامة المسابقات الثقافية فى جميع فروع المعرفة الإسلامية وتحديدها وفقا لقواعد سليمة فى عملية الفرز والتصحيح وإعطاء قيمة حقيقية إسلامية للجائزة المعطاه ، بشرط أن تكون أسس وقواعد الفرز واضحة ومحدد ومحايده ومعروفة مسبقا كما أثار الإسلام مما يشعر الأطفال بالأمن والطمأنينة والأمان فيتعلمون الطريق القويم .

* الإهتمام بجماعة الخطابة والنثر والشعر والزجل لتمجيد الشعائر الإسلامية وإحياء علماء ومفكرى وخلفاء المسلمين مركزين على أعمال النبى الرسول المهداه .

* الإهتمام بالإذاعة المدرسية .. ودفع الجماعة المسئولية عنها لتركيز برامجها على الجوانب الإسلامية ومعرفة أخبار المجتمع الإسلامى والدعوة إلى دعم الإطار الدينى .

- اما النشاط الإجتماعى داخل المدرسة :

ويعتبر وسيلة حقيقية لإكساب الطفل (التلميذ) جزءا أساسيا من السلوك الاجتماعى ولذلك يجب أن تتحرك الخدمة الإجتماعية بالنشاط الإجتماعى ، الذى تميز بالعلاقات والتفاعلات الإجتماعية بين الطفل والأخرين فى ممارسة أطفالنا له من خلال أسس وقواعد إسلامية حتى يتكون لديهم السلوك الإجتماعى الاسلامى .. وهذه القواعد التى يجب أن يلتزم بها الأخصائى الإجتماعى أثناء مساعدة الأطفال وقيامهم بالنشاط الإجتماعى .. وهى :

* أن يكسبه القيم الإجتماعية النابعة من الإسلام .. أهمها المشاركة والتعاون على البر والتقوى وتحمل المسئولية ...

* تثبيت بعض الأفكار الرئيسية لدى أطفال الإجتماعية من خلال إستثارتهم وتحفيزهم لممارسة نشاطهم على أساس أنه نوع من أنواع الحركة الإجتماعية ومجددٌ للنشاط ومحقق لأهداف إجتماعية إسلامية وليس مضيعة للوقت حتى يمكن أن نستثمر طاقاتهم أحسن استثمار ممكن .

* أن يرتبط النشاط الإجتماعى بالإحتياج المجتمعى الإسلامى ..

مركزين على تحقيق الولاء الإجتماعى للمجتمع الإسلامى وتنشيط الأطفال لتقوية علاقاتهم الإجتماعية بأنفسهم وببعضهم البعض وأعداد كيانات إجتماعية قوية تدافع عن المناخ الإسلامى فى تعاملاته وعلاقاته وكيانه .

* يجب أن يكون نشاط الرحلات كنشاط إجتماعى موجهه فى جزء كبير منه نحو العرف على المعالم بالآثار الإسلامية حتى يكون هناك تواصل حقيقى بين أجزاء الحضارة الإسلامية بين الأجداد والآباء والأبناء ولذلك يجب أن نركز على رحلات إلى المتاحف الإسلامية ، ونتعرف على تاريخها ومعالمنا وآثارنا الإسلامية فيها ودور عظمائنا المسلمين فى تحقيقها .

* يجب أن يتجه نشاط المعسكرات نحو تعويد الأطفال على حياة الجد والجلد والصبر حتى يخرجوا منها أقوياء صالحين كما يحض على ذلك الدين الإسلامى وفى نفس الوقت تتجه نحو دعم المجتمع الإسلامى فى حاجته نحو تشجير المدن وزراعة الصحراء وتصوير القرى والمساهمة فى إصلاح الطرق الممتدة وخاصة فى الريف المصرى .

* كما يجب أن يوجه نشاط الحفلات إلى تعريف أطفالنا بالسيره المحمدية ودور المسلمين الأول وجهودهم فى بناء الدعوة وبناء الإنسان المسلم الحقيقى وإقامة الحفلات للتعرف على قيادات العمل الإسلامى ومناقشاتهم فى بناء الشخصية الإسلامية الحقة .

٣- الجماعة الرياضية :

فهى جماعات تهدف إلى تقوية الأجسام وتعليم المبارات الإساسية الرياضية ، فلو تم توجيهها إلى ما ينفع الإسلام من البداية وهى مع الإطفال حتى يمكن تنمية قدراتهم الجسمية وفقا لاتجاهات الدين الإسلامى من خلال تعليمهم وتدريبهم على السباحة والرماية وركوب الخيل وما يشابهها ، ويمكن أن تحقق نشأ قوياً يفخر به الإسلام ويفتخر به على مستوى العالم بالمسابقات العالمية حتى تظهر إنعكاس دعوة الإسلام على أبنائه وأطفاله ..

٤- الجماعة العلمية :

وفى سن الطفولة يمكن أن نعلم وندرب الأطفال على حسن الخط العربى الأصلى وهو خط القرآن وأحاديث الرسول ﷺ بالإضافة إلى تكوين جماعة التاريخ لمحاولة رصد التاريخ الإسلامى نكون قد حققنا الدعوة الإسلامية .

٥- الجماعة الفنية :

يمكن إستثمار هذه الجماعة فى إقامة المعارض الإسلامية وتجسيد الروح الإسلامية فى أعمال فنية وعرضها على باقى الأطفال ، فننمى فى الجماعة والأخرى الروح والكيان الإسلامى .

العنصر الثانى : توجيه أجهزة الإعلام توجيها إسلاميا :

تلعب أجهزة الإعلام (المجلة – الإذاعة والتلفزيون) ووسائل الثقافة (الكتاب – المسرح – السينما) دورا ليس بالقليل فى حياة أبنائنا .

لذلك يجب أن تتضافر كل الجهود بشكل عضوى من أجل بناء أولادنا بشكل متحد سليم قائم على أسس إسلامية فى أجهزة الإعلام والثقافة المختلفة .

ويأتى هنا دور الخدمة الإجتماعية فى وسائل الإعلام والتى يجب أن تكون مرتبطة بكل المؤسسات الإجتماعية وغير الإجتماعية حتى تتعرف على رد فعل البيئة وخاصة المحلية لبرامجها المسموعة أو المرئية ، حيث نجد أن مؤسسات الخدمة الإجتماعية منتشرة فى كل البيئات ولها أهداف متعددة مع الطفولة والشباب وتتحرك من ملاحظة السلوك وتصرفات الأبناء وإشباع الخدمات لهم ، وهى بحساسيتها المهارية المهنية يمكن أن نرى تقدمها بأبحاث عن تأثير وسائل الإعلام المختلفة فى العلاقات الإجتماعية والتنشئة الإجتماعية والواقع الإجتماعى القيمى ، لما لهذا كله من إنعكاس فى سلوك الأطفال ، وهنا تتحرك الخدمة الإجتماعية بإستمرار لتعطى لأجهزة الإعلام مدى إنعكاس برامجها وتأثيراتها المختلفة على أطفالنا أول بأول حتى لا تحدث مشكلات ، وتحتاج إلى علاج جيل كامل وليس مجموعة أفراد .

كما أن الخدمة الإجتماعية إذا لم تستجيب وسائل الإعلام لبحوثها وإتصالاتها وعلاقاتها بها يمكن أن تقوم بدور وقائى فى توجيه الأسر وأولياء الأمور بالعمل على مشاهدة البرامج التلفزيونية مع أبنائهم ومحاولة نصحهم وتوجيههم توجيها قيما وفقا للدين الإسلامى .

ولكن نظرا لإنتشار الخدمة الإجتماعية فى العديد من المؤسسات مثل المدارس والأندية والساحات الشعبية التى يوجد فيها الأطفال ، فيمكن أن نستثمر برامج التلفزيون والإذاعة أثناء تواجد الأطفال فى هذه المؤسسات توجيههم لها ، وأهمية إتباع ومشاهدة برامج بعينها دون الأخرى ، أو مساعدتهم على الفهم الصحيح لهذه البرامج .

ولكن نؤكد على دور الخدمة الإجتماعية ، فى الإذاعات الداخلية والإعلام الداخلى فى المدارس والساحات الشعبية والأندية الإجتماعية ، حيث تتحكم فيه ومنه ويمكن أن نعطى الدفعة القوية للنشأ بالنسبة للبرامج المذاعة فى الإطار العام المجتمعى .

العنصر الثالث : المساهمة الحقيقية فى رسم سياسة إجتماعية إسلامية :

لكل دولة سياستها العامة التى تستمد وجودها ومفاهيمها وإتجاهاتها من أيديولوجية الدولة وقيمها ومعاييرها ، وهى مجرد تفكير منظم يعبر عن الأهداف التى ترى الدولة تحقيقها فى جميع الميادين والمجالات .

وينبثق عن السياسات العامة سياسات فرعية يختص كل منها بميدان أو مجال معين كالزراعية أو الصناعية أو التعليمية أو الإجتماعية ....(٧٣)

وتعرف السياسة الإجتماعية بأنها " نتائج التفكير المنظم الذى يوجه التخطيط والبرامج الإجتماعية ، فالسياسة تنبع من أيديولوجية المجتمع تعبر عن أهدافه البعيدة وتوضح مجالات البرامج والخطط الإجتماعية وتحدد الإتجاهات العامة لتنظيمها وأدائها.

من خلال التعريف نجد أن السياسة الإجتماعية تتضمن :-

(١) أيديولوجية المجتمع : وهى الفلسفة الموجهة لسلوك المجتمع والحكومة ويجب أن تلعب الخدمة الإجتماعية دورا أساسيا فى المساهمة فى صنع الساسة الإجتماعية من خلال الإطار الدينى الإسلامى بدلا من الإتجاه والأيديولوجية الإشتراكية .

(٢) أهداف بعيده : فهى تسعى لتحقيق أهداف بعيدة المدى ويجب أن ندفع لبناء أهداف يكون فى نهايتها تحقيق الدعوة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامى من خلال بناء الطفل المصرى المسلم .

(٣) مجالات العمل : هناك مجالات التأمين الإجتماعى أو الصحى أو التعليمى.. وما إلى ذلك ، وهنا يبقى بناءه علي أفكار أساسية فلو تم بناءه على أفكار إسلامية يمكن أن يساهم وخاصة فى المجال التعليمى حتى يخرج النشأة نشأ إسلاميا صحيحا .

(٤) إتجاهات وللسياسة الإجتماعية إتجاهات ، وتلك الإتجاهات تتأثر بأيديولوجية المجتمع ، فلو كان الأيديولوجية إسلامية فيكون طبيعة الإتجاهات إسلامية من بين الإتجاهات إتجاهات فى كفاية الحد الأدنى لإحتياجات الفرد ، كما قد تتجه إلى توفير حياة كريمة للفرد فوق المستوى الأدنى ، وهكذا ، كما نادى بها الإسلام بما يحقق فرصة حقيقية للطفل حتى يخرج قويا معافيا مؤمن قوى يدافع عن دينه ووطنه .

ومن هذا المنطق تلعب الخدمة الإجتماعية ببنائها الإسلامى فى تحقيق ذلك من خلال وجودها كمهنة فى المجتمع تهتم بطرقها المختلفة بالعمل على تحقيق الحاجات والمتطلبات الإجتماعية وتتحرك نحو تدعيم العلاقات الإجتماعية بين الأفراد والجماعات والمجتمعات بل والنظم الإجتماعية أيضا من خلال مؤسساتها المنشرة ، ويمكن أن تتحرك فى العمل على :-

أ- إجراء البحوث الإجتماعية العلمية التى تحدد الإحتياجات غير المشبعة للطفل الحالى أو إحتمالات ظهور إحتياجات أخرى بدرجة من التنبؤ وكذلك يمكن أن تتحرك نحو التعرف علي الأضرار والأخطار الناجمة عن عدم إستخدام الأسس والقواعد الإسلامية فى تنشأة النشأ وانعكاسها فى العلاقات الإجتماعية بين الأطفال بعضهم وبعض وبينهم وبين مجتمعهم بأفراد وأجهزته ومؤسساته .

ب- تعمل على تنبيه المجتمع بمؤسساته المسئولة عن الطفولة من خلال نتائج بحوثها الحالية حتى يدرك المجتمع إحتياجات الطفل فى المستقبل مما يؤدى إلى توفيرها فنحقق له الرعاية السليمة .

جـ- تساهم فى وضع خطط وبرامج تهدف من خلالها إلى تحقيق الإحتياجات وإشباعها وتعطى الأولوية فى برامجها علي أكثر الإحتياجات الحاحا وخاصة حاجات الطفولة ، وبالتالى تساهم الخدمة الإجتماعية بحساسيتها الإجتماعية المباشرة مع عملائها ومستفيديها فى مؤسساتها الإجتماعية فى تحديد أهداف السياسة العامة وفى توجيه أهم المجالات التى يجب أن يوجه الجهة فيها أكثر، وتعمل على وضع الخطط والبرامج التى تحقق هذه الأهداف من خلال مؤسساتها المتنوعة .

الهـــوامش

(١) عبد الرحمن العيسوى : الإسلام والعلاج النفسى : القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٦ ، ص ٨٧ .

(٢) محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الإجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية ، بحث تحت النشر ، ص ٥ .

(٣) محمد بن أحمد صالح : الطفل فى الشريعة الإسلامية : القاهرة ، نهضة مصر بدون ناشر ، ص ١ .

(٤) سورة النور ، ٥٩ .

(٥) محمود حسن : الخدمة الإجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة الأنجلو المصرية جـ١ ، ١٩٧٦ ، ص ٧٩ .

(٦) سورة النحل ٨٩ .

(٧) عبد الفتاح عثمان : خدمة الفرد والمجتمع المعاصر : القاهرة ، الأنجلو المصرية ، جـ ٢ ، ١٩٧٣، ص ٤٠ .

(٨) عبد الحليم رضا : الخدمة الإجتماعية المعاصرة - كفر الشيخ ، مركز الدراسات الوطنية ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٥ .

(٩) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م جـ٩ ، ص ٨ .

(١٠) عطيه صقر : موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام : الجزء الأول : مراحل تكوين الأسرة القاهرة ، الدار المصرية للكتاب ، جـ٢ ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م ، ص ١٥١ .

(١١) سورة طه : ١٢٣ .

(١٢) عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد فى الإسلام : الجزء الأول : بيروت ، دار الطباعة للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٢٧ .

(١٣) سورة الروم : ٣٠ .

(١٤) صحيح البخارى جـ٩ ، ص ٦ -٧ .

(١٥) سورة النحل : ٧٢ .

(١٦) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٨ .

(١٧) سورة الروم ٢١ .
(١٨) زيدان عبد الباقى : الأسرة والطفولة : القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٩م - ص ٧٣ .
(١٩) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٣٨ .
(٢٠) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٢٧ .
(١٢) سورة .
(٢٢) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٢٨ .
(٢٣) مصطفى عبد الواحد : الأسرة والسلام : جدة دار البيان العربى ، جـ٤ ١٩٨٤، ص ٢٥ .
(٢٤) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٢٩ .
(٢٥) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٣٠ .
(٢٦) صحيح البخارى ، جـ٩، ص ٢٣ .
(٢٧) المرجع السابق ، ص ٢٣ .
(٢٨) عبد الله ناصح علوان : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ .
(٢٩) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٢٥ .
(٣٠) سيد أبو حسانين : طريقة الخدمة الإجتماعية فى تنظيم المجتمع : القاهرة الانجلو المصرية ، ط١ ١٩٧٤ ، ص ٤١ - ٤٧٣ .
(٣١) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ١٣٦ .
(٣٢) صحيح البخارى ، جـ١٠ ، ص ٨٩ .
(٣٣) حديث .
(٣٤) حديث .
(٣٥) محمد بن أحمد صالح : مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ .
(٣٦) حديث .
(٣٧) جمال مجدى حسانين : دراسات فى التنمية الإجتماعية ، القاهرة ، دار الطباعة للجماعات ، ١٩٨٧ ، ص ٥٦ ، ٥٧ .
(٣٨) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣٩) زيدان عبد الباقى مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤٠) محمد السيد الهابط : التكيف والصحة النفسية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٥ ، ص ١٦٥ .

(٤١) حديث .

(٤٢) حسن أيوب : السلوك الإجتماعى فى الإسلام ، القاهرة ، دار البحوث العلمية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩، ص ٢٣٦ .

(٤٣) عبد الله ناصح علوان : مرجع سبق ذكره ، الجزء الأول ، ص ٧٩ .

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤٥) حسن أيوب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٦ .

(٤٦) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٥٠٠ .

(٤٧) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٥٠٣ .

(٤٨) محمد بن أحمد صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص ٨٢ .

(٤٩) سورة البقرة ٢٣٣ .

(٥٠) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٥٠٥ .

(٥١) صحيح البخارى ، جـ٩ ، ص ٥٠٦ .

(٥٢) المرجع السابق، جـ٩ ، ص ٥٠٦ .

(٥٣) صحيح البخارى، جـ٩ ، ص ٥٠٥ .

(٥٤) حسن أيوب ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٧ .

(٥٥) عبد الرحمن تاج ، الشريعة الإسلامية فى الأحوال الشخصية ، ١٣٨٢ هـ ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٥٦) صحيح البخارى ، جـ٦ ، ص ٦ .

(٥٧) صحيح البخارى ، جـ٦ ، ص ٧ .

(٥٨) صحيح البخارى ، جـ٦ ، ص ٣ .

(٥٩) صحيح البخارى ، جـ٥ ص ٩٣ .

(٦٠) صحيح البخارى جـ٥ ، ص ٩٤ .

(٦١) سورة العلق : ١ - ٤ .

(٦٢) سورة الزمر : ٩ وكذلك طه ١١٤ ، المجادلة ١١ ، القلم ١ ، ٢ .

(٦٣) محمد سعيد فرج : البناء الإجتماعي والشخصية : الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ٤٧ .

(٦٤) سورة آل عمران : ١١ .

(٦٥) سورة النحل ، كما جاء في سورة النساء ، ١٣٥ .

(٦٦) صحيح البخاري ، جـ٢ ،ص ١٧٠ .

(٦٧) صحيح البخاري ، جـ٨ ،ص ٩ .

(٦٨) صحيح البخاري ، جـ٨ ، ص ١٧ .

(٦٩) سورة المزمل ١ – ٦ .

(٧٠) عبد الرحيم الرفاعي : التربية البيئية لطفل ما قبل المدرسة : بحث بمجلة التربية بكلية الزقازيق ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ، ١٩٩٠ ،ص ٤١٥ .

(٧١) محمد نجيب توفيق : الخدمة الإجتماعية المدرسية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ٨٧ – ٨٨ .

(٧٢) محمد عبد الهادي : الخدمة الإجتماعية الإسلامية – القاهرة ، مكتبة وهبة سنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م ، ص ١١٩ .

(٧٣) سيد أبو بكر حسانين ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتنقى الإسلام حديثاً

د. رشاد أحمد عبداللطيف

تمهيد لمشكلة البحث وأهميتها

قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحسَنُ قَولاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَلِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسلِمِينَ (٣٢)﴾ (١)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ (١٠٤)﴾ (٢) .

لقد اهتم القرآن بأمر الدعوة وأولى لها أهمية وعناية فائقة وذلك من خلال التوجيهات التى تضمنتها أياته .. فقد أوجب الإسلام على الأمة أن تنتدب فيها جماعة لتقوم بمهمة الدعوة إلى الله وتعمل على إصلاح الناس ودعوتهم إلى الإسلام وتوضيح أوجه الخير التى لاتستقيم حياة أى مجتمع بدونها . ويشير إلى ذلك قول الله تعالى :

﴿ ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَدِلهُم بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ ..﴾ (٣)

وقول الله تعالى :

﴿وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَبَ وَالأُمِّيِّنَ ءَأَسلَمتُم فَإِن أَسلَمُوا فَقَدِ اهتَدَوا وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيكَ البَلَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ (٣٠) ﴾ (٤) .

فى إطار ذلك يشير مفهوم الدعوة إلى تبليغ الإسلام إلى غير المسلمين ، والعمل على تثبيت العقيدة لدى من دخلوا الإسلام منهم من خلال الاقناع الخالى من الاكراه والحب الخالى من الكراهية، والعمل على العناية بهم ودراسة احتياجاتهم والمشكلات التى تواجههم .

وتعتبر طريقة تنظيم المجتمع إحدى طرق مهنة الخدمة الاجتماعية التى يمكن أن تسهم فى مجال الدعوة إلى الله ، حيث تشير الكتابات الحديثة أنها لم تعد تركز على مبادئ الطريقة أو الأدوار التقليدية للمنظم الاجتماعى ، بل اتجهت صوب مهارات ومجالات جديدة ، ومن هذه المهارات دراسة الاحتياجات Needs Assessment وتصميم البرامج Program Design وزيادة الموارد المالية للمؤسسات Fund Raising وهى لم تعد قاصرة على المجالات التقليدية المتعارف عليها كالمدارس والمستشفيات أو المصنع ، بل امتدت إلى مجالات وفئات جديدة ، ومن هذه المجالات مجال الدعوة لله، ومن هذه الفئات معتنقى الإسلام حديثاً، مستهدفة بذلك العمل على دراسة احتياجاتهم

ومشكلاتهم والعمل على تصميم البرامج المناسبة والملائمة لإشباع احتياجاتهم ومواجهة مشكلاتهم بما يمهد فى الوصول إلى سياسة عامة لرعايتهم والاهتمام بهم .

كما تسعى طريقة تنظيم المجتمع فى إطار العمل فى مجال الدعوة إلى الله إلى التعرف على المراحل التى يمر بها معتنقو الإسلام حديثا حتي دخولهم الإسلام ودور الاخصائى الاجتماعى فى كل مرحلة منها ، وقد استفاد الباحث فى تحديده للمراحل التى يمر بها من يتبنى دينا جديدا بما جاء فى المؤتمر العالمى لتنصير العالم الإسلامى، الذى عقد فى مدينة جيلين ايرى بولاية كولورادو فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٨ حيث قدم به أكثر من مائة بحث تتناول جميعها الوسائل والأساليب والخطوات التي يتم من خلالها تنصير المسلمين ، بالاضافة إلى احتواء بعض الأبحاث على مقاييس تستخدم فى تنصير المسلمين وتشمل الجوانب الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المحيطة بهم ، بالإضافة إلى الجوانب التى تتصل بالاعداد والتهيئة واتخاذ القرار (٥) .

ولقد استفاد الباحث من هذه المقاييس ومن خبرته فى العمل مع معتنقى الإسلام طوال عام ١٩٩٠م (١٤١٠هـ) فى وضع تصوره للمراحل التى يمر بها معتنقو الإسلام حديثا عند اتخاذهم القرار بالدخول فى الإسلام ومايتبغى أن يقوم به الأخصائى الاجتماعى فى كل مرحلة من هذه المراحل .

جدول رقم (١)

يوضح المراحل التى يمر بها معتنقو الإسلام حديثا عند اتخاذهم القرار بالدخول فى الدين الاسلامى

مراحل القرار	أسباب اتخاذ القرار	مشاعر معتنق الإسلام حديثا	دور المنظم الاجتماعي والمؤسسات الإسلامية
(١) التفكير	ادراك بأن هناك رباً واحد لهذا الكون والرغبة فى التقرب باليه (الايمان بالفطرة).	- الرغبة فى نبذ الشرك بالله . - ادراك التناقض بين ديانته الاساسية والإسلام . - الرغبة فى معرفة المزيد عن الإسلام . - قلة المعلومات المتوفرة لدية عن القرآن الكريم . - لاتوجد معرفة كافية بأركان الإسلام .	- يمكن أن يستفيد المنظم الاجتماعي من الأطر النظرية المتصلة بعملية التحول واتخاذ القرار حيث يمكن تطبيق نظريات الاتصال والأبحاث الخاصية بالاتجاهات والتأثير فى آراء الناس . ويلاحظ أن الدراسات المتصلة بهذه الجوانب معظمها غربي ، وتعالج الجوانب النفسية . لذا يعتبر الاهتمام بالدوافع والعوامل التى يعتمد عليها المنظم الاجتماعى الداعى إلى الله سبحانه وتعالى . ومن لابد من ادراك هذه الجوانب : أ - عوامل الاعداد والتهيئة . ب - محيط الالتزام (الاطار الثقافى والاجتماعى) . جـ - سرعة التأثر . د - خطوات اتخاذ القرار .

(٢) الاقتناع واتخاذ القرار	الدخـــول فى الإسلام	- ادراك أولى بالقــــرآن الكريم. - ادراك مـبادئ الإسـلام الأساسية . - فـهم واستيعاب معانى القرآن . - ارتبـاط إيمانى بالقـرآن الكريم - تقويم المشاكل الناجمة عن الإسلام . - ادراك كـــامل بـأن أى مشاكل سوف يواجهها سـوف يكون ثوابهـا عند الله . - القـــرار بالدخـــول فى الإسلام . - الالتـزام بما نص عليـه القرآن والسنة من تعاليم.	ينبغى هنا اتخاذ القرار والعوامل المؤثرة عليـه والمشاكل المترتبة عليه ، وتبسـيط الاجراءات الخاصة باشهار الإسلام . - تزويد المسلمين حديثا بالكتب الإسلامية البسيطة وبنفس اللغة التى يتحدث بها المسلم الحديث . - البدء فى إعطاء بعض أساسيات اللغة العربية ، والعقيدة والفقة ، والتوحيد . - الإجابه على كل التساؤلات التى يطرحها معتنقو الاسلام حديثا بأسلوب مقنع وواضح . - الدراسة العملية لمشكلاتهم واحتياجاتهم .
(٣) مرحلة مابعد اتخاذ القـــرار (تدعـــيم القرار) وهو مرحلة هامة مـن أجـل ضـمـان التزام قوى ودائـــم بتـعـاليم الـديـن الإسلامى .	ترسيخ العقيدة والاندمــاج فى المجتمع الإسلامى	- الحـاجـة إلى الرعـاية والمتابعة . - تحقيق تفاعل مكثف بينه وبين اخوانه فى الإسلام . - المشـاركـة فى الأنشطة الاجتماعية والثقافية . - مواجهة مشكلات العمل ، الأسرة ، الدخل ، المسكن ... الخ .	يمكن للمنظم الاجتماعى هنا أن يسهم فى «تدعيم الايمان» لدى المسلمين حديثا والعمل على إقامة روابط قوية بين المسلمين حديثا أو تقوية الدعم الاجتماعى لهم من خلال تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية فيما بينهم وبين أبناء المجتمع الإسلامى . - أن يكون هناك أساليب خاصة ومناسبة لكل فئة حسب الظروف الاجتماعية والدينية والثقافية المميزة لها ، وإسهام أخصائى خدمة الفرد فى إعداد دراسات عن كل حالة إذا أمكن ذلك . - عمل مخيمات إسلامية تكون وسيلة تعليمية للمسلمين حديثا وكذلك وسيلة تدريبية لهم لتعلم أساليب المناقشة والحوار والقيم بالدعوة . - ازالة الضغوط المحيطة بالمسلم الحديث سواء كانت متصلة بالعمل ، الأسرة ، المجتمع .

ومن الجدول تدرك أهمية قيام مهنة الخدمة الاجتماعية وطريقة تنظيم المجتمع بالعمل فى مجال الدعوة إلى الله . ورعاية معتنقى الإسلام فى مرحلة من المراحل التى يمرون فيها حتى دخولهم الإسلام ، وتحقيق الرعاية والدعم الاجتماعى والمادى لهم

حتى يدركون حلاوة الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، معتدين بقوله رسول الله ﷺ : «ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا » ، وما يحقق ذلك هو السعى نحو دراسة حاجات المسلمين حديثاً المادية والروحية والعمل على اشباعها بما يحفظ لهم كرامتهم ويسهم فى استقرارهم وسعادتهم للقرار الذى اتخذوه بالدخول فى الإسلام .

كما أن تعاليم الإسلام وقيمه وأخلاقياته تفيد فى تطوير أساليب الممارسة الخاصة بمهنة الخدمة الاجتماعية وطريقة تنظيم المجتمع ، وتفتح مجالا جديدا للعمل المهنى فى مجال الدعوة إلى الله والعمل مع المسلمين حديثا مسترشدين فى ذلك بما جاء فى تعاليم الدين الإسلامى من آداب وضوابط للسلوك الاجتماعى وفلسفة شاملة للوجود الإنسانى.

إلا أن المتتبع للدراسات التى تعالج موضوع الخدمة الاجتماعية والدعوة إلى الله يلاحظ ندرة فى الدراسات التى تتعرض لهذا الموضوع بطريقة مباشرة . بالرغم من أهمية هذا المجال بالنسبة للخدمة الاجتماعية ، ومن خلال تحليل الباحث للدراسات سواء كانت نظرية أو تطبيقية وجد أن هذه الدراسات والأبحاث قليلة بالمقارنة بالمجالات الأخرى ، كما تبين أن الباحثين والممارسين ينظرون إلى هذا الجانب كما لو لم يكن مجالا من مجالات الممارسة . وقد انعكس ذلك فى دعم بلورة نظرية علمية تتصل بهذا الجانب ، وكانت الأبحاث المتصلة به تدور حول القيم المتصلة بنسق العميل أو بالبناء الاجتماعى ككل (٦) .

كما لوحظ أن معظم الكتابات والأبحاث تدور حول العلاقة بين الخدمة الاجتماعية والأديان ، كما انها تقتصر على الديانات الأخرى غير الإسلامية وفى مجتمعات غربية .

وقد أشار Goldstein ١٩٨٦م ، Siporin and Glasser عام ١٩٨٧م إلى أن الكتابات الخاصة بعلاقة الخدمة الاجتماعية بالدين – فى الولايات المتحدة الأمريكية – لاتجد قبولا وتعاطفا من جانب الممارسين للمهنة ، بل ينظرون إليها بإهمال ، والسبب فى ذلك أنهم يرون أن الدين مناقض للعلم مما أدى إلى عدم الاهتمام بالدين فى ممارسات الخدمة الاجتماعية بل كانوا يرون أن القيم الدينية والاعتقادية تتعارض مع أسس الخدمة الاجتماعية مثل مفهوم حق تقرير المصير ، كما أن الاخصائيين الاجتماعيين ليسو مؤهلين للعمل فى المجال الدينى أو كرجال دين .(٧)

إلا أنه فى ظل الشريعة الإسلامية نجد مايخالف ذلك حيث أن كل مسلم مطالب بالدعوة إلى الله مخلصا وبكل الوسائل الممكنة والمشروعة ، ومطالبا بالتفكير فى الكون والحياة والآيات التى تنتهى بكلمة « يعقلون » ، « يعملون » ، « يتفكرون » ، « يتدبرون »

... كثيرة جدا ، كما تقوم مهنة الخدمة الاجتماعية الإسلامية على إحترام الإنسان وإعطائه الحق فى تقرير مصيره مسترشدة فى ذلك بما جاء فى كتاب الله من آيات تشير إلى قدرة الله وحرية الإنسان . قال الله تعالى :

﴿كُلُّ امرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ (٨)

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ (٩).

وفيما يتعلق بالدراسات التى تتصل بممارسة الخدمة الاجتماعية فى المجتمعات الإسلامية ، فقد لوحظ أيضا أن الكتابات النظرية والبحوث التطبيقية قليلة ، وإنها تركز على مبادئ المهنة ودور الأخصائى الاجتماعى المسلم ، وأهمية تدريس المواد الشرعية لايجاد الصلة بين المهنة والإسلام .(١٠)

وقد أوضح د. محمد عبدالهادى أن الخدمة الإجتماعية الإسلامية هى مجال جديد من المجالات التى تعمل فيها مهنة الخدمة الاجتماعية (١١) مضيفا بذلك بعدا جديدا للمهنة يخرجة بها من الإطار التقليدى لمجالات الممارسة ويسهم فى ابراز جذورها الإسلامية .

كما أشارت كتابات أخرى إلى القيم الأخلاقية من منظورها الإسلامى وأهمية التزام الأخصائى الاجتماعى بها لأنها تحقق تجاوبا أكثر من جانب العملاء والتزام من جانب الأخصائى الاجتماعى بأنه يساعد الإنسان المحتاج من منطلق إسلامى يقربه من الله سبحانه وتعالى (١٢) .

وتشير الكتابات السابقة إلى أهمية تدخل مهنة الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وطريقة تنظيم المجتمع بوجه خاص فى مجال الدعوة إلى الله لما للجوانب الدينية والروحية من تأثير على حياة الأفراد والمجتمعات ، حيث يجد الأفراد كما تجد المجتمعات سعادتها فى اتباع تعاليم الدين وإشباع الجوانب الروحية المتصلة بالله سبحانه وتعالى .

كما أن مهنة الخدمة الاجتماعية بما لديها من أساليب فنية وأسس علمية وقيم أخلاقية مستمدة من شريعة الله سبحانه وتعالى هى أقرب المهن إلى تحقيق هذه الأهداف وتحقيق أهداف المؤسسات الاسلامية ونشر رسالتها وتدعيم الخدمات التى تقوم بها بالاستعانه بالأساليب الفنية لطريقة تنظيم المجتمع فيما يتعلق بالجوانب المتصلة بالتنسيق مابين المؤسسات وبعضها ، وفى توعية أفراد المجتمع بخدماتها وتسهيل عملية استفادتهم منها ، وبصفة خاصة مع المسلمين حديثا ، بما يؤدى إلى شعورهم بالأمن والثقة فى جوهر الدين الإسلامى وتعاليم الله سبحانه وتعالى .

كما أن طريقة تنظيم المجتمع فى مجال الدعوة إلى الله - لاتعنى شيئاً مختلفا عن الطريقة التقليدية ، وإنما هو ممارسة للطريقة ذاتها والعمليات الخاصة بها وأدواتها وأساليبها الفنية ، بالإضافة إلى إعداد متميز لممارسيها سواء على المستوى النظرى أو التطبيقى يتصل بالدعوة إلى الله لتحقيق الأهداف والغايات المهنية التى تتفق مع الشريعة الإسلامية ولاتتناقض معها وتسهم فى تحقيق أهداف الدين الإسلامى والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

أهداف طريقة تنظيم المجتمع مع المسلمين حديثا

يعتبر العمل مع المسلمون حديثا مجالا جديدا لطريقة تنظيم المجتمع تستهدف من خلاله تحقيق مايلى :

(١) دراسة الحاجات التى يعانى منها المسلمين الجدد :

للمسلمين حديثاً حق على المجتمع المسلم يستمد أصوله من حق الأخوة فى الله وحق التساند والمؤازرة ، كما أن على المتخصصين فى طريقة تنظيم المجتمع مسئولية تجاه اخوانهم المسلمين حديثاً تتمثل فى مسئولية الفهم والإدراك لاحتياجاتهم والعمل على دراستها ، حيث لوحظ انهم يعانون من حاجات وضرورات ملحة لايمكن تركها بدون إشباع سواء مايتعلق منها بنواحى مادية (كالمسكن ، العمل ، التعليم ، العلاج ... الخ) أو نواحى معنوية (تشمل الحاجة إلي الدعم الاجتماعى ، تنمية شبكة العلاقات الاجتماعية ، الترويح ... الخ) .

كما أن هذه الاحتياجات تختلف باختلاف الأعمار والجنس ، والإطار الثقافى ، والمستوى التعليمى والإقتصادى .. كما أن لها انعكاسات متعددة على شخصيتهم وعلى أسرهم .

ويمارس المنظم الاجتماعى المسلم عمله هنا على أساس مساعدة معتنقى الإسلام حديثا على تحديد الاحتياجات ذات الأولوية بالنسبة لهم معتمدا فى ذلك على :

أ - البيانات المتوفرة حول هذه الاحتياجات .

ب - نوعية هذه الاحتياجات (مادية ، معنوية) .

جـ - مدى استمرارية هذه الاحتياجات (مستمرة ، مؤقتة) .

د - الاحصاءات المتعلقة بحجم الخدمات المتاحة .

هـ - أراء الخبراء فى مجال الرعاية الاجتماعية .

و - المؤسسات التى تقوم بإشباع هذه الاحتياجات (العدد ، المكان ، الاجراءات ، .. الخ) .

ز - مجموعة القرارات المتخذة من قبل الهيئات المسئولة بالمجتمع والتى تتصل ببرامج الرعاية الاجتماعيه [١٣].

حـ - الاجراءات البيروقراطية التى يمكن أن يواجهها المستفيد عند حصوله على الخدمات وتهيئة نفسه لمواجهتها .

ويمكن لطريقة تنظيم المجتمع أن تسهم من خلال المؤسسات الإسلامية المعنية بالمسلمين حديثا ومؤسسات الرعاية الإجتماعية الأخرى بالمجتمع فى مواجهة هذه الاحتياجات وذلك من خلال :

- تسهيل التحرك لإشباع الحاجات المادية في حدود الامكانات المتاحة .

- تشجيع المسلمين حديثا على المشاركة الفعالة فى مواجهة الحاجات المادية والمعنوية والاستفادة من الخبرات السلبية .

- حث المسلمين حديثاً على التحرك واكتساب القدرة على تحديد احتياجاتهم ، وكذلك المقدرة على إشباعها .

وهذا يعتبر أحد المداخل الحديثة للطريقة فى الدعوة إلى الله بين المسلمين الجدد وغير المسلمين معتمدين فى ذلك على دعائم الشريعة الإسلامية التى تحث على ضرورة سعى الإنسان المسلم إلى مساعدة أخيه المسلم « من قضى حاجة لأخية فكأنما خدم الله عمره » [١٤] .

(٢) المساهمة فى تصميم البرامج التى تشبع احتياجات المسلمين حديثا :

ومن برامج الرعاية الاجتماعية للمسلمين حديثا ما يلى :

(١) رعاية المسلمين حديثا وأسرهم :

حيث تلعب الأسرة من حيث التكوين والعدد ونوعية العلاقات بين أفرادها دورا بارزا فيما يعانيه المسلم الحديث من مشكلات أو استقرار عند بداية دخوله فى الإسلام ، وقد أشار التحليل الاجتماعى أن هناك أربعة أنواع من النماذج توضح العلاقة بين أفراد الأسرة وهذه النماذج هى :

١ - نموذج التلازم فى الوقوع	٢ - العدوى
٣ - التبعية	٤ - التأثر [١٥] .

وقد استفاد الباحث من هذا النموذج عند تحليله للمشكلات التى يعانى منها المسلمون حديثا عند اعتناقهم للإسلام وأضاف إليه نموذج آخر وهو « نموذج الرفض »

أ - نموذج التلازم فى الحدوث : فقد يدخل الإسلام الزوج والزوجة معا .

ب – نموذج العدوى : وفيه يدخل أحد الأشخاص من الأسرة فى الدين الإسلامى ثم يتبعه الابن أو الزوجة أو الأقارب بعد أن كانوا يعارضون الفكرة فى البداية.

جـ – نموذج التبعية : وفيه تقوم الأسرة باتباع المسلم حديثا بعد إسلامه مباشرة .

د – نموذج التأثر : حيث يمكن أن يتأثر الرفاق أو الأسرة ككل ويدخلون الإسلام بعد فترة .

هـ – نموذج الرفض : حيث ترفض الأسرة أو الأبناء أو الأقارب اتباع المسلم الجديد . ويمارسون عليه وسائل متعددة للترهيب وممارسة أنماط من السلوك العدوانى.

والنموذج الأخير يحتاج المسلم الحديث فيه إلى الدعم الاجتماعى من اخوانه المسلمين أصلا حتى يستطيع مقاومة هذه الوسائل والتمسك بالعقيدة .

(٢) الرعاية الاقتصادية للمسلمين حديثا :

ويمكن للأخصائى الاجتماعى أن يساعد من خلال دراسته للمجتمع المحلى واحتياجاته من العمالة ودراسته لامكانات المسلمين حديثا ومهاراتهم وقدراتهم أن يوافق مابين هذه الامكانات والقدرات وفرص العمل المتاحة بالمجتمع بما يمكنهم من الاعتماد على أنفسهم ومواجهة أساليب الضغط المضادة .

(٣) الرعاية الصحية للمسلمين حديثا :

والأخصائى الاجتماعى المسلم يسعى إلى التعرف على الحالة الصحية لأخيه المسلم الحديث وأسرته حيث يمكن أن يسهم فى تقديم برامج الرعاية الصحية المناسبة له بواسطة الأطباء المسلمين ، وهو فى ذلك لايستغل حالات الضعف التى يمر بها من يرغب فى الإسلام ، ولكن يقدم له هذه الخدمة ، تاركا له حرية التفكير والتأمل والاقتناع دون ضغط أو إكراه .

(٤) خدمات الإسكان :

حيث يمكن للمنظم الاجتماعى أن يقوم بدراسة احتياجات المسلمين حديثا ، فيما يتعلق بالسكن وامكانية توفيره بسعر مناسب لدخلهم وبصفة خاصة بالنسبة للطلاب الملتحقين بالجامعات بعد اشهار إسلامهم ، ويمكن ان يستعين المنظم الاجتماعى فى ذلك بالمؤسسات الإسلامية (رابطة العالم الإسلامى ، الندوة العالمية للشباب الإسلامى ، مكاتب الدعوة والإرشاد ...) وغير ذلك من المؤسسات التى يمكن أن تسهم فى مواجهة هذه الاحتياجات وضمان مستوى سكنى لائق للمسلمين حديثا وأسرهم .

(٥) الخدمات التعليمية للمسلمين حديثا :

تعتبر الخدمات التعليمية ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين حديثا وذلك لفهم تعاليم الدين الإسلامي وحفظ القرآن الكريم ، ويمكن للمنظم الاجتماعي أن يسهم في تصميم هذه البرامج من خلال حصر عدد المسلمين حديثا الراغبين في تعليم اللغة العربية ، والقيام بتشجيع الجهود التطوعية من جانب رجال الدين والمتخصصين في تدريس اللغة العربية ، وتحديد الأوقات المناسبة لكل من المسلمين حديثاً والمدرسين للقيام بهذه البرامج التعليمية ، ومواجهة أي مشكلات قد تحول دون استفادة المسلمين حديثا من هذه البرامج .

(٣) مساعدة المؤسسات الإسلامية علي تصميم البرامج التي تشبع احتياجات المسلمين حديثا :

حيث يمكن لطريقة تنظيم المجتمع أن تسهم في مساعدة الهيئات الإسلامية (مثل رابطة العالم الإسلامي ، مكاتب التعاون للدعوة والإرشاد ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والافتاء ، هيئة الإغاثة الإسلامية ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي...) وغير ذلك من المنظمات التي تعمل في مجال الرعاية الاجتماعية كالجمعيات الخيرية ، وزارة العمل والشئون الاجتماعية ، المستشفيات ... الخ .

حيث تعمل الطريقة على تعريف معتنقي الاسلام حديثا بالأهداف التي تسعى إليها وتسهيل عملية اتصالهم بها ، وضمان وصول الخدمة إلي مستحقيها معتمدين في ذلك على الأسس العلمية لمدخل درسة الاحتياجات Needs Assesment والأسلوب العلمي في تقديم الخدمات .

كما تساعد الطريقة هذه المؤسسات في التعرف على المستفيدين الحقيقيين ونوعية الخدمات وأهميتها وعمل الأولويات الخاصة بها بالاعتماد على القيادات المؤثرة من المسلمين حديثا والخبرات الفنية لممارسي طريقة تنظيم المجتمع .

(٤) بناء الوعي الإسلامي :(١٦)

بناء الوعي الإسلامي لدى المسلمين الجدد وتوعيتهم بجوهر هذا الدين ودعوتهم إليه كاسلوب يتناسب مع اهتماماتهم والانتقال بهم تدريجيا نحو معرفة أحكامه والعبادات المرتبطة به على أن يتم ذلك خطوة بعد خطوة حيث لننا لانعرف عادات وتقاليد المجتمعات التي أتى منها هؤلاء المسلمون الجدد ولهذا يمكن تنصير هؤلاء المسلمين الجدد بضرورة الأخذ بالعادات الصحيحة للإسلام سواء فيما يتعلق بالصلاة الصيام ، الزكاة ، الحج ، الأمور التي تتعلق بالحلال والحرام ، والطهارة والنجاسة بأسلوب بسيط ومقنع .

وأن ما يجعل الأمر يسيراً على الخدمة الاجتماعية في هذا الجانب هو أن الإسلام لايفضل بين القيم والسلوك فهو متكامل في الفكر والممارسة ولاينادى بقيم مثالية يعجز البشر عن الوصول إليها بل يتناول الأمور الفكرية والسلوكية بتوازن فريد وشمول واتزان لايصل إليها غيره (١٧). وهذاما أشار إليه المسلمون الجدد أثناء الدراسة التطبيقية للبحث حيث قالوا : « إن الدين الإسلامى مع حياته العادية ، بل إنه أعطى لنا الفرصة بتنظيم حياتنا والبعد عن الشرك بالله » .

(٥) تقوية شبكة الدعم الاجتماعى للمسلمين حديثا :

يجب أن ندرك ان المسلمين حديثا هم كيانات متفاعلة مع كيان المجتمع الإسلامى وجزء من نسيجه العام لايمكن أن تغفل عنهم ، وحتى تحقق لهم هذا التفاعل وأن يكونوا جزء فعال في نسيج المجتمع الإسلامى فمن الضرورى التعرف على الأبعاد المختلفة المحيطة بهم (والتى تشتمل على : البعد الجغرافى ، التاريخى ، الاقتصادى ، الاجتماعى ، النفسى ... الخ) لما لها من أهمية فى إبراز شخصية المسلم الحدث ، وإعادة صهره فى بناء المجتمع الإسلامى ومن المهم فى طريقة تنظيم المجتمع أن تتعرف على هذه الأبعاد ، مع تركيز خاص على الجوانب الاجتماعية والنفسية للمسلمين حديثا باعتبارهم ليسوا كيانات من لحم ودم وعظم وعصب ، وإنما هم رموز ومعان وموجهات وضوابط ويمثلون عناصر الثقافات فرعية خاصة بهم وثقافة كليه للمجتمع الذى اتوا منه، كما أنهم إنعكاس فى غاية الدقة والصدق لكافة الأبعاد الأخرى المؤثرة ، وإبرز مايمثلها البعد الاجتماعى النفسى .

كما تدرك طريقة تنظيم المجتمع أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية Social Net-works ، وأهمية التدعيم الاجتماعى Social Support للمسلمين حديثا ، حيث تؤثر شبكة العلاقات الاجتماعية الأولى التى عاش فيها وانتمى إليها المسلم الجديد لسنوات طويلة على شخصيته وعلاقاته وتكيفه مع المجتمع الإسلامى الجديد بالنسبة له ، وبالنسبة للإطار المرجعى الخاص به .

فى إطار ماتقدم ، تسعى طريقة تنظيم المجتمع إلى الإسهام بشكل فعال فى تقوية الدعم الاجتماعى للمسلم الحديث ، بحيث تكون هناك شبكه من العلاقات الاجتماعية القوية يمكن أن تحيط به وتحقق له المواجهة الفعالة لمشكلاته واحتياجاته دون أن يتعرض لأى نوع من التهديد أو الخوف بعد إنسلاخه من شبكه العلاقات القديمة ودخوله فى شبكة العلاقات الإسلامية .

وطريقة تنظيم المجتمع بما لها من عمليات تتصل بالدراسة والتخطيط والتنفيذ والمتابعه والتقويم ، تستطيع أن تسهم في نجاح البرامج والعلاجية والوقائية التى تتعلق بطبيعة الاحتياجات ونوعية الخدمات الخاصة بالمسلمين حديثا والتى تنمى بينهم وبين اخوانهم المسلمين أصلا علاقات اجتماعية قوية، تبعد عنهم الشعور بالعزلة والاغتراب .

سمات المنظم الاجتماعى فى مجال الدعوة إلى الله

هناك مجموعة من السمات ينبغى توافرها فى المنظم الإجتماعى تؤهله للعمل مع المسلمين حديثاً وهى :

(١) اخلاص النية :

فالأعمال تحدد قيمتها الحقيقية بقيمة النيات الباعثة عليها وبحسب هذه النيات يجرى الحساب والجزاء على الأعمال عند الله تبارك وتعالى ، ولقد جاء فى الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ».

والمنظم الاجتماعى عند عمله مع المسلمين حديثاً فهو يخلص النية مبتغيا مرضاة الله سبحانة وتعالي ، وأن يدرك أن أجر العمل الذى سوف يقوم به على الله ، فقد جاء فى الحديث « يستجاب للرجل فى أخيه مالايستجاب له فى نفسه » (١٨) وقال الله تعالى:

﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)﴾ (١٩) .

(٢) بسط الوجه وحسن اللقاء :

وهذه السمة لها أهمية كبيرة فى تأليف القلوب وتوثيق العلاقات ومواجهة مشكلات العزلة التى قد يشعر بها المسلمون حديثاً، وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ .. ﴾ (٢٠)

والمنظم الاجتماعى بحكم اعداده وتدريبه على مهارة المقابلة والأساليب المتصلة بها ، يمكنه أن يساعد المسلمين حديثا على التعبير عن احتياجتهم بحرية ودون خوف من خلال مقابلته لهم بوجه بشوش ومعاملة حسنة .

(٣) الألفة وحسن الخلق :

وهى مرتبطة بالسمة السابقة ، فكلما حسنت الأخلاق وصلح العمل كان ذلك دافعا للمسلمين حديثاً على الاقتداء ، كما يترتب على التزام المنظم الاجتماعى بهذه الصفة نمو المودة والألفة بينه وبين معتنقى الإسلام حديثا ، وفى بيان أهمية الألفة يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢١).

وحتى يكون المنظم الاجتماعى ملتزما بهذه الصفة ، لابد من توافر ثلاث مقومات هى : الايمان ، والاعلان بالقول ، والاعلان بالعمل (٢٢) .

(٤) ادراك مايجول بخواطر المسلمين حديثا بما لديه من معرفة وقدرة على تفسير التعبيرات التى تبدوا على وجوه المسلمين الجدد ، وهو يعمل على دراستها والتعرف على أسبابها ، وتلبية حاجات المسلمين حديثا دون أن يعرضهم للإحراج ، ويقيهم ما أمكن ذل السؤال ، كما أنه فى ذلك لاينتقد سلوكياتهم امام الاخرين ، ويتعرف على دوافع هذه السلوكيات ، وأن يستفيد بما أشار إليه الرسول ﷺ : « يحسب المؤمن من الشر أن يحقر اخاه المؤمن » (٢٣) .

(٥) تفادي الاصطدام بالعادات والتقاليد الخاصة بالمسلمين حديثا والعمل على احترامها وتقديرها ، ودراسة الجوانب الجيدة منها والعمل على ترسيخها ، والسعى إلى توضيح القيم والعادات التى تتعارض مع الدين الإسلامى بأسلوب بسيط ومقنع ملتزما بحسن النصيحة . ويقول الرسول ﷺ : « المؤمن مرأة المؤمن » (٢٤) .

دور المنظم الاجتماعى فى الدعوة إلى الله

يتضمن دور المنظم الاجتماعى جانبين هما :

أ - دوره مع المجتمع المستهدف Target وهم المسلمين الجدد .

ب - دوره مع المؤسسات المستهدفة وهى المؤسسات الإسلامية .

دوره مع المسلمين حديثا :

١ - دور علاجى : ولانعنى بذلك أن يقوم بتعديل سلوك منحرف إلى سلوك سوى ورنما يكون الدور منصب هنا على حل مشكلة معنية أو إشباع احتياجات يعانى منها المسلمون حديثا وتوجيه الجهود المادية والبشرية لعلاج وإشباع احتياجات المسلمين حديثا .

٢ - دور الوسيط : حيث يمكن من خلاله أن يواجه أى صعاب تحول دون استفادة المسلمين حديثا من الخدمات التى تقدمها المؤسسات الإسلامية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية .

٣ - دور الداعية : ويتضمن القيام بتوضيح بعض الأمور الشرعية للمسلمين حديثا معتمدا على كتاب الله وسنته وما اكتسبه خلال دراسته ، بالإضافه إلى الاستعانة بالمختصين فى المواقف التى لايستطيع الإدلاء فيها برأى قاطع .

٤ - دور المدافع: حيث توجد لدى المنظم الاجتماعى الخبرة والدراية بالمواردالمتاحة بالمجتمع والخدمات المتوفرة وكيفية الاستفادة منها ، وهو فى ذلك لايتحرك نيابة عن المسلمين حديثا للحصول على الخدمات ، ولكن مساعدتهم على التعبير عن احتياجاتهم ، والسعى نحو إشباعها من خلال بعض القادة الممثلين لهم .

وفى إطار ماسبق يمكن للمنظم الاجتماعى أن يمارس دوره مع معتنقى الإسلام حديثا كما يلى :

١ – مساعدة المسلمين حديثا على مواجهة احتياجاتهم ، وذلك من خلال تذليل الصعاب الاجتماعية والمادية التى تعرقل استفادتهم من الخدمات التى تقدمها المؤسسات الإسلامية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية .

٢ – القيام بدراسة احتياجات المسلمين حديثا وإبراز أهم هذه الاحتياجات وكيفية القيام باشباعها .

٣ – اقامة علاقات انسانية طيبة بين المسلمين حديثا وإخوانهم المسلمين أصلا أو بينهم وبين أقرانهم من المسلمين الجدد ، من خلال الأنشطة الجماعية ، المحاضرات ، الندوات ، وغير ذلك من الوسائل المتاحة .

٤ – تشجيع المسلمين حديثا على اكتساب مهارات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

٥ – اكتشاف القيادات – من بين المسلمين الجدد – والقادرة على القيام بعملية الدعوة إلى الله ومساعدتهم على القيام بذلك .

٦ – توفير المعلومات التى يحتاج إليها المسلمون حديثا والمتعلقة بأمور الدين وكذلك جوانب الرعاية الاجتماعية الخاصة بهم .

٧ – تخفيف مشاعر القلق والخوف الناتجة عن انفصالهم عن أسرهم أو ثقافتهم الاصلية من خلال تقوية شبكة الدعم الاجتماعى من جانب اخوانهم المسلمين بالمجتمع وتوضيح الجزاء الذي سوف يناله من دخل فى دين الإسلام .

وفى هذا يقول الرسول ﷺ : « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا » (٢٥) .

دور المنظم الاجتماعى مع المؤسسات الإسلامية

يعمل المنظم الاجتماعى مع المؤسسات الإسلامية بهدف مساعدتها على تطوير الخدمات التى تؤدى إلى المسلمين الجدد كما وكيفا ، والعمل على توفير الظروف الملائمة داخل هذه المؤسسات ، كى تستطيع القيام بوظائفها على الوجه الأكمل ، وقد أكد هنرى ماير Henry J. Mayer إلي أن مهنة الخدمة الاجتماعية تعمل مع المؤسسات بهدف تحسين وتطوير عملية المساعدة (٢٦) .

ولهذا يتضمن قيام المنظم الاجتماعى بالعمل داخل المؤسسات الإسلامية مايلى :

١ – **دور تنسيقى** : بين المؤسسات الإسلامية بهدف إقامة علاقة مناسبة بينها والتوصل إلى سياسات واجراءات عمل متفق عليه بين هذه المؤسسات .

٢ - دور إدارى : يتمثل فى مساعدة الجهاز الإدارى بهذه المؤسسات فى :

- إعداد سجلات خاصة بالمسلمين حديثاً.
- تصميم استمارات لدراسة أحوال هؤلاء المسلمين الجدد .
- التحضير لاجتماعات مجالس إدارات هذه المؤسسات.
- متابعة القرارات الصادرة بشأن المسلمين الجدد .
- المساهمة فى وضع علاقات متوازنة بين الجهاز الإدارى والجهاز المهنى حتى لايسيطر العمل الإدراى على الجوانب المهنية .

٣ - دور فنى مهنى : وبصفة خاصة فى عملية اتخاذ القرارات الصادة من المؤسسة لصالح المؤسسة والمستفيدين من خلال جمع الخيارات المختلفة والمتاحة لمواجهة حاجات المسلمين الجدد ، ومناقشة فوائدومضار كل خيار ، وانتقاء أفضل البدائل المتاحة ، ثم المساهمة فى تنفيذ القرار المتخذ .

الأساليب والوسائل التى يعتمد عليها المنظم الاجتماعى فى الدعوة إلى الله

تتعدد الوسائل والأساليب التى يستخدمها المنظم فى الدعوة إلى الله . وهى تتفق مع الوسائل التى يستخدمها الدعاة فى دعوتهم إلى الله ، يضاف إليها تفهم العوامل الاجتماعية والنفسية المحيطة بالمسلم الجديد عند القيام بالدعوة وهذا يتطلب مايلى :

أ - الحاجة إلى فهم واستيعاب الثقافات غير الإسلامية .

ب - فهم وإدراك معطيات الكتب السماوية الأخرى .

جـ - تهيئة المناخ الجيد للدعوة وانجازها فى الوقت المناسب .

كما يتطلب ذلك أيضا استخدام أساليب الاتصال الآتية :

(١) الاتصال الفردى المباشر:

ويفيد فى ذلك التعرف على النوعيات الجيدة التى يمكن أن تدخل الاسلام والتعرف على مشكلاتهم وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبالتالى القيام بعمليات التشخيص والعلاج آخذين فى الاعتبار قول الرسول ﷺ : « لأن يهدى الله بك رجلا واحد خير لك من الدنيا ومافيها » .

ويستفيد المنظم الاجتماعى هنا بمهارات طريقة العمل مع الأفراد والأساليب المتعلقة بها لنجاح عملية الدعوة .

(٢) الاتصال غير المباشر :

من خلال الاستعانة بالقيادات المحلية الموجودة فى المجتمع من المسلمين الذين يتسمون بسمات معينة كالقدرة على التأثير والمعرفة بلغات الجنسيات الأخرى غير العربية والقدرة على عرض الإنكار وتوضيح تعاليم الدين الإسلامى بأسلوب إقناعى خالى من الإنفعال .

ويمكن للمنظم الاجتماعى أن يستعين فى الدعوة بكل من :

أ - المسلمين المواطنين : أى الذين هم أصلا مسلمون من جنسيات أخرى ، حيث أنهم أقرب في الاتصال ومعرفة المشكلات الخاصة بأبناء بلادهم .

ب - الدعاة ومن لهم خبرة فى العمل الدعوى حيث يمكن للمنظم الاجتماعى ان يعمل معهم ليستفيد منهم ويفيدهم فى أساليب الاتصال وتجميع الآراء .

جـ - المسلمين منذ فترة طويلة : وكانوا قبل إسلامهم يدينون بديانات أخرى للاستفادة منهم ومن خبراتهم منذ دخولهم الدين الإسلامى ، كما أنهم أقدر على التعرف على سمات وشخصيات المسلمين حديثا وخاصة إذا كانوا من نفس بلادهم

د - المسلمين حديثا : ولديهم الرغبة فى دعوة غيرهم إلى الإسلام مع إعطائهم التدريب المناسب للقيام بذلك .

(٣) اللجان :

وتعتبر من الأدوات الهامة فى طريقة تنظيم المجتمع ، والتى يمكن أن تسهم فى نشر الدعوة إلى الله وتعريف المسلمين حديثا بأمور دينهم مثل :

- لجنة تفسير القرآن الكريم .
- لجنة تعليم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم .
- اللجنه الاجتماعية والمساعدات المادية .
- لجنة الدعاية والنشر .

وغير ذلك من اللجان التى يتطلب الأمر تكوينها ، وهذه اللجان يمكن ان تزود بمجموعة من الوسائل السميعة والبصرية تساعده فى القيام بالمهام الخاصة بها .

(٤) المحاضرات :

وهى تركز على معالجة موضوع معين يهدف إلى تعريف المسلمين الجدد بأسس الشريعة الإسلامية ، أو قد تتصل بمناقشة بعض المشكلات والصعوبات الخاصة بهم ،

ويقوم المحاضر فيها باتاحة الفرصة للمسلمين الجدد للمناقشة والحوار ويتجنب الانفعال والدخول فى قضايا خلافية وخاصة إذا كان حديث العهد بالإعوة .

(٥) وسائل أخرى يمكن للمنظم الاجتماعى أن يشارك فيها سواء بالاعداد أو التخطيط أو التنفيذ مثل :

- تكوين صحيفة إسلامية تنشر امور الدين وتوضح القضايا الإسلامية بأسلوب سهل وبسيط .
- عقد مؤتمرات لكبار المشتغلين بالدعوة الإسلامية ورسم سياسية عامة تسير عليه الدعوة فى الداخل والخارج .
- تكوين مراكز إسلامية للدعوة فى أنحاء العالم تراقب عن كسب أفكار الناس الإسلام وتصحح الأخطاء وتظهر الحقائق .

نماذج التدخل المهنى لطريقة تنظيم المجتمع مع المسلمين حديثا .

هذا المجال الجديد بالنسبة لطريقة تنظيم المجتمع قد لانستطيع أن نركز فيه على نموذج واحد أو مدخل واحد من المداخل التى أشار إليها Jak Rothman وهى التنمية المحلية ، التخطيط الاجتماعى ، العمل الاجتماعى (٢٧) ، ولذلك يلزم العمل مع المسلمين حديثا المزج بين مدخلى التنمية والتخطيط الاجتماعى ، مع تركيز خاص على المدخل الأخير والذى يطلق عليه فى بعض الكتابات مدخل حل المشكلة ، حيث يدرك المنظم الاجتماعى فى إطار هذا المدخل أن أى تحديد لمشكلة معينة يعانى منها المسلمون حديثا أو أى إجراء يتخذ لمواجهة هذه المشكلة لابد أن يشارك فيه المسلمون .

المـــراجع

(١) سورة فصلت ، آية ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٠٤ .

(٣) سورة النحل ، ية ١٢٥ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ٢٠ .

(٥) يرجع إلى :

- ديفيد أ . فريزر . تطبيق « مقياس فى تنصير المسلمين ، أحد بحوث مؤتمر العالم الإسلامى ، ١٩٧٨م (ترجمة الندوة العالمية للشباب الإسلامى بالرياض ، ص ٢٣٧) .

- بشير عبدالمسيح ، استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل وسلوك المسيح ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

- جورج بيترز ، نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين ، المرجع السابق ، ص ٥٨٣ .

(٦) Joseph H. Vincenta. "Religion and Social Work", The Journal of Contemporary Social Wo.k (N.Y., Family Services, 1983) P. 443.

(٧) Frank M. Loewenberg , Religion and Social Work Practice In Contemporary American Society (N. Y. , Columia University Press, 1988) p. 5 .

(٨) سورة الطور . آية ٢١ .

(٩) سورة آل عمران ، آية ١٤٥ .

(١٠) د. نبيل محمد صادق ، نحو مدرسة إسلامية فى الخدمة الاجتماعية ، **الكتاب السنوى الأول فى الخدمة الاجتماعية** (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٩) ، ص ٣٥٧ .

(١١) د. محمد أحمد عبدالهادى ، **الخدمة الاجتماعية الإسلامية** (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٨) ، ص ٢٠ .

(١٢) د. على حسين زيدان ، **القيم الأخلاقية لخدمة الفرد من المنظور الإسلامى** (القاهرة ، المؤتمر الدولى العاشر للإحصاء والحسابات العلمية والبحوث الاجتماعية والسكانية ، ١٩٨٥) ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(١٣) Kramer, M. Ralph and Speht Harry, Readings in Community Organization Practice (N.Y., John Witly, 1983) PP. 292 - 293.

(١٤) أخرجه البخاري والطبراني عن أنس .

(١٥) د. محمد على محمد وآخرون ، دراسات فى علم الاجتماع الطبى (الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤) ص ٢٣٣ .

(١٦) د. محمد أحمد عبدالهادى ، الخدمة الاجتماعية الإسلامية ، مرجع سبق دكره، ص ١٨.

(١٧) المرجع السابق ، ص ٢٢.

(١٨) رواه أبو داود والترمذى عن عبدالله بن عمرو .

(١٩) سورة يوسف ، آية ٥٧ .

(٢٠) سورة آل عمران ، ية ١٥٩ .

(٢١) سورة الأنفال ، ية ٦٣ .

(٢٢) أمين حسن صلحى ، منهج الدعوة إلى الله (الكويت ، دار نشر الكتاب الإسلامى ، ١٩٧٠) ، ص ٢٤ .

(٢٣) أخرجه مسلم عن أبى هريرة .

(٢٤) أخرجه أبو داود عن أبى هريرة .

(٢٥) رواه مسلم (الترمذى وأحمد فى مسنده عن العباس رضى الله عنه) .

(٢٦) Henry J. Meyer, and Robert Dinter, "Social Work and Social Welfare" In The Use of Sociology (London, Weiden field and Niloson, 1968) P. 160.

(٢٧) Fred M. Cox, John L. Erlich, Jack Rothman, Johne Etropman, Macro Practice, Strateges of Community Organization (U.S.A.F.E., Peacock Pub, 1987) P. 10.

المعاونه المهنية من الخدمة الاجتماعية لاحدى مؤسسات العمل
(دراسة حالة)

د . على حسين زيدان

تمهيد

نشأت الخدمة الاجتماعية كمهنة لتساعد الإنسان سواء كان فردا أو جماعة أو مجتمعا على التغلب على ما يواجهه من مشكلات وعلى أداء أدواره بطريقة أفضل من خلال التدخل المهنى المخطط المبنى على الأساس المعرفى للمهنة والملتزم بقيمها الأخلاقية وعن طريق استخدام المهارات المهنية (١) ، وقد حققت هذه المهنة نجاحات متصلة تمثلت فى التزايد المستمر فى الأعداد المطلوبة من الأخصائيين الاجتماعيين ، ودخولها مجالات متعددة لم تكن تمارس فيها من قبل ، بحيث أصبحت الآن تمارس فى مجالات عدة ، منها مجال الخدمة الاجتماعية المدرسية ، والخدمة الاجتماعية الطبية والخدمة الاجتماعية العمالية .. الخ ، كما بدأت هذه المهنة التى نشأت فى الولايات المتحدة الأمريكية مع بدايات هذا القرن فى الانتشار الجغرافى عبر القارات والبلدان .

ومع دخول الخدمة الاجتماعية إلى البلاد العربية والإسلامية ، وممارسة النماذج الغربية لعدة عقود ، بدأت تظهر دعوات متزايدة إلى ضرورة إدخال بعض التعديلات على النماذج الغربية فى الخدمة الاجتماعية ، حتى تكون أكثر فاعلية عند تطبيقها فى المجتمعات العربية والإسلامية ، وقد بدأت هذه الدعوات تتلمس طريقها مدركة وضع الاطار الثقافى والاجتماعى للمجتمع الذى تمارس فيه الخدمة الاجتماعية موضع الاعتبار عند تطبيق نماذج الممارسة ، وهو ما أطلق عليه فى ذلك الوقت توطين الخدمة الاجتماعية (٢).

بدأ عدد من الباحثين فى الخدمة الاجتماعية يدرك الطبيعة المتميزة للمجتمع الإسلامى والتى تجعل للمجتمع المسلم صبغة متميزة تجعله يختلف عن غيره من المجتمعات فى أمور كثيرة ، كما بدأ بعض الباحثين يكتشف أن الأصول الإسلامية تحتوى على أسس قوية يمكن أن تصلح أساسا لبناء نموذج متميز للخدمة الاجتماعية يطبق فى المجتمعات الإسلامية ، ومن هنا بدأت الدعوة إلى التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية .

مع تزايد عدد المعنيين بالتأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية وتبنى بعض الجهات العلمية لهذه الدعوة ، بدأت تظهر تيارات متعددة من بينها تيار يمكن أن نطلق عليه تيار الخدمة الاجتماعية الإسلامية على أنها مجال من مجالات الإسلامية وخدمة أهداف الإسلام والإسهام فى تنمية المجتمعات الإسلامية بالاعتماد على نفسها فى إطار من تعاليم الاسلام .

ويدخل ضمن هذا الإطار الاستفادة من امكانات الخدمة الاجتماعية كمهنة فى تدعيم المؤسسات الإسلامية وزيادة فاعليتها فى تحقيق أهدافها بتقديم المعاونة العلمية والمهنية المتخصصة لها حيث ينعكس دور هذه المعاونة المهنية على مستوى الخدمات التى تقدمها هذه المؤسسات لعملائها (٣) .

والحالة التى نحن بصددها هى محاولة لمساعدة أحدى مؤسسات العمل الإسلامى من خلال المعاونة المهنية المتخصصة للخدمة الاجتماعية على زيادة فاعليتها فى تحقيق أهداف العمل الإسلامى قام بها فريق من منتوبى قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وقد كان الباحث مسئولا عن فريق المعاونة المهنية لهذه المؤسسة ، مضى على بدء التجربة حتى لحظة اعداد هذا البحث أكثر من عام شعر الباحث فيه بثراء هذه التجربة ، وبأن فيها ما يمكن أن يفيد كما شعر فى نفس الوقت بأن عرضها وما يسفر عنه من آراء يمكن أن يعدل من مسارها و يجعلها أكثر ثراء وقيمة ، وفيما يلى نقدم المعالم الرئيسية لها .

أولا : المعاونة المهنية :

أقرب وصيف للمعاونة المهنية هى ما يسميه الفريد كادوسين Alfred Kadushin الاستشارة المهنية Social Work Consultion وبالتحديد تلك النوع الذى يسمى بالاستشارة التى تركز على البرنامج Program - centered Consultion(٤).

وتعرف الاستشارة المهنية فى الخدمة الاجتماعية بأنها عملية مشتركة للمساعدة على حل مشكلة ما يقوم خلالها المستشار بمساعدة المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة على حل مشكلة مهنية يعانى منها فى مجال تخصصه (٥) . ويعرف كل من ماكلينان Maclennan وكوين Quinn وشرويدر Sheroeder الاستشارة التى تركز على البرنامج بأنها ذلك النوع من الاستشارة التى تركز على تحسين تخطيط وتنمية وإدارة وتنسيق الخدمات المباشرة أو غير المباشرة التى تقدمها المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة من خلال العمل على إحداث تغييرات فى النظام الذى يتفاعل من خلاله الأخصائى الاجتماعى والعميل وتهتم بفهم وتقدير موقف المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة ، وما يحدث فيها من عمليات ، وما تملكه من وسائل ، وما فيها من عيوب بنائيه تقلل من الكفاءة فى أداء الواجبات وتتضمن خدمات المساعدة على التنظيم والتعديل فى أهداف ومحتويات البرامج التى تقدمها المؤسسة من خلال تطبيق الخبرات المضيئة فى الديناميات الاجتماعية والعمليات الإدارية للنسق الذى يتم من خلاله تقديم الخدمة (٦) .

كما تضمنت المعاونة المهنية – كما سوف يتبين فيما بعد – جوانب أخرى تتصل بما يسمى الاستشارة التى تركز على المستشير Consultee- Centered Consultation وتنصب على مساعدة المؤسسة أو الجهة طالبة الاستشارة على إحداث تغييرات فى بنائها أو وظائفها عن طريق استخدام المعرفة بإدارة المؤسسة و العقد التنظيمية والظواهر البيروقراطية و البناء التنظيمى غير الرسمى ، وأنماط الاتصال وعملية اتخاذ القرار فى إحداث تعديلات لعلاج المشكلات التى يشكو منها طالب الاستشارة ، كما تتضمن علاج العوامل التى تتصل بالتفاعل والعلاقات الشخصية التى تؤثر على أداء الواجبات فى المؤسسة ، ورفع الروح المعنوية ، وازالة التجاوزات ، وازدياد الديمقراطية فى المؤسسات ، وجعل العلاقات بين العاملين بها أكثر انسانية ، كأهم أهداف هذا النوع من الاستشارة (٧) .

وقد جمعت المعاونة المهنية التى قدمت حتى الآن بين خصائص من كل من النوعين السابقين بالإضافة إلى أنواع أخرى من المعاونة لا تندرج تحت إطار الاستشارة ، كما سوف يتضح فيما بعد ، وذلك لأن متطلبات الممارسة الميدانية تتجاوز فى كثير من الأحيان الأطر التنظيرية مهما كانت دقتها وكفائتها ، ولذلك فقد وجد الباحث أن إطلاق اسم المعاونة المهنية على ما تم تنفيذه من تعاون مع المؤسسة أكثر دقة لأنها تضمنت ما هو أكثر من مجرد الاستشارة ، وقد حاول فريق المعاونة المهنية التوفيق بين الأصول المهنية لتقديم الخدمات ومتطلبات الواقع الامبريقى ، كما تتطلبه طبيعة العمل بالمؤسسة وظروفه .

ثانيا : نبذة عن المؤسسة :

انشئت هذه المؤسسة منذ حوالى سبع سنوات كنوع لاحدى المؤسسات التى تعمل على المستوى الدولى تعمل فى خدمة الإسلام والمسلمين ، ولهذه المؤسسة فرعين من الأهداف أولهما أهداف دعوية وذلك بدعوة المسلمين إلى التمسك بدينهم والدفاع عن حقوق الأقليات المسلمة فى البلدان غير المسلمة ، ودعوة غير المسلمين إلى الدخول فى الإسلام ، وثانيهما الأهداف الاغاثية والإنسانية ، حيث تشرف المؤسسة على العديد من البرامج التى تتضمن مساعدات الإغاثة والإيواء والعلاج والتعليم والتدريب فى العديد من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية وهى مؤسسة أهلية تعتمد فى تمويلها على التبرعات ويساهم المتطوعون بجانب كبير من الجهد المطلوب للعمل فيها .

يتكون الجهاز الوظيفى للمؤسسة من مدير متفرغ وعدد قليل من الموظفين الاداريين وتعمل على تحقيق أهداف تعتبر جزء من أهداف المؤسسة الأم ، وعلى الرغم من أن

العديد من البرامج والأنشطة التى تمارسها المؤسسة تدخل فى نطاق اختصاص الخدمة الاجتماعية فلا يوجد بها أخصائى اجتماعى واحد لا من العاملين ولا من المتطوعين ، بل إن دور الخدمة الاجتماعية و ما يمكن أن تقدمه من دعم للمؤسسة لم يكن واضحا فى ذهن المسئولين عن المؤسسة .

ثالثا : مراحل المعاونة المهنية :

يري كل من هولاند وريتفو وتكنز أن للاستشارة المهنية مجموعة من الخطوات هى(٨) .

١ - الإقرار بالحاجة إلى الاستشارة

٢ - طلب الاستشارة

٣ - تحديد المشكلة وتقدير الموقف

٤ - التفاوض حول التعاقد على الاستشارة

٥ - الاتفاق على تحديد أهداف الاستشارة

٦ - تحديد استراتيجيات العمل

٧ - التنفيذ

٨ - قياس العائد من الاستشارة

وعلى الرغم من وجود بعض أوجه الاتفاق بين الاستشارة والمعاونة المهنية ، إلا أن المعاونة المهنية لم تأخذ نفس الخطوات السابقة وذلك لعدد من الأسباب من بينها أن الاستشارة عادة ما تتم بين مؤسسة يوجد بها مهنيون متخصصون فى الخدمة الاجتماعية يستطيعون تحديد مدى حاجتهم إلى الاستشارة والجوانب التى يحتاجون إلى الاستشارة بشأنها ويمكنهم الأسهام فى سائر خطوات الاستشارة من تقدير للموقف إلى التعاقد إلى تحديد الأهداف والاستراتيجيات والتنفيذ وقياس العائد ، وقد أثر عدم وجود أخصائيين اجتماعيين بالمؤسسة إلى حد كبير على تفاعلها مع فريق المعاونة المهنية ، إلا أنه أعطى فى نفس الوقت لفريق المعاونة المهنية قدرا كبيرا من الحرية فى العمل .

وعلى الرغم من وجود بعض التداخل بين المراحل ، إلا أننا يمكننا تمييز المراحل التى مرت بها المعاونة المهنية حتى الآن على النحو التالى :-

١ - مرحلة الاتصــال :

بدأت هذه المرحلة فى شهر ربيع الثانى سنة ١٤١٠هـ حيث تم اتصال غير رسمى بين أحد أساتذة قسم الخدمة الاجتماعية ومدير المؤسسة، تم على أثره عقد اجتماع بين مجموعة من أساتذة القسم برئاسة رئيسة ومدير المؤسسة عرض فيه مدير المؤسسة

أهداف المؤسسة وبرامجها ورحب فيه بأية مساعدة تقدم إلى المؤسسة وحدد رئيس القسم بصورة مبدئية أوجه المعاونة التى يمكن تقديمها وقد أسفر هذا الاجتماع عن الاتفاق على الآتى :-

أ) إقرار مبدئى بمبدأ المعاونة المهنية للمؤسسة من قبل القسم .

ب) تقوم المؤسسة بإعداد ملفات تحتوى على بيانات عن البرامج التى سوف تتم المعاونة بشأنها وهى كفالة اليتيم ، وصندوق مساعدة الطلاب .

ج) أن يقوم القسم باتخاذ الاجراءات اللازمة لبدء المعاونة المهنية وتشكيل الفريق الذى سوف يقوم بتقديم المعاونة المهنية .

عقب ذلك بفترة وجيزة تم إنهاء الاجراءات الإدارية اللازمة لبدء المعاونة المهنية كما تم تشكيل فريق المعاونة المهنية وبدأ فى عقد اجتماعات متتالية تمهيدا للمراحل التالية كما بدأ فى القيام بزيارات للمؤسسة ولقاءات مع المسئولين فيها للتعارف وتوثيق العلاقات .

٢ - تحديد أهداف المعاونة المهنية :

تحدد الهدف الرئيسى للمعاونة المهنية فى زيادة كفاءة المؤسسة وفاعليتها فى تحقيق أهدافها وذلك من خلال :

أ) دراسة البرامج القائمة وتحديد أوجه القوة والضعف فيها ومن ثم اقتراح التعديلات المناسبة سواء كانت هذه التعديلات فى أهداف البرامج أو فى إدارتها أو تمويلها والمساعدة على تنفيذ هذه التعديلات بحيث تسير هذه البرامج وفقا للأصول المهنية السليمة .

ب) اقتراح برامج جديدة تتمشى مع أهداف المؤسسة والتخطيط لهذه البرامج والمساعدة على تنفيذها وتقويمها .

ج) مساعدة المؤسسة على رفع مستوى العاملين والمتطوعين بها زيادة كفاءتهم .

د) تدعيم المؤسسة فنيا وماليا من خلال مساعدتها على تنشيط التطوع وتنظيم جمع المال .

وإلى جانب هذا الهدف الرئيسى كانت هناك بعض الأهداف الأخرى منها :-

أ) اشعار قيادات العمل الإسلامى والقائمين عليه بما يمكن أن تقدمه الخدمة الاجتماعية كمهنة من زيادة فى كفاءة هذا العمل فى تحقيق أهدافه ، ومن ثم فتح باب العمل فى هذا المجال للأخصائيين الاجتماعيين كعاملين أو متطوعين فيه .

ب) اكتساب دراية أكبر بالعمل الإسلامى وظروفه ومؤسساته بما يدفع عملية التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية ويساعد على بلورة نماذج للممارسة تنبع من المؤسسات المحلية فى المجتمعات الإسلامية وتستجيب لمتطلبات الواقع وتكون بالتالى أكثر مناسبة لهذه المجتمعات وأكثر كفاءة فى التعامل مع مشكلاتها .

٣ - مرحلة التعاقد :

لم تتضمن مرحلة التعاقد كما هو مألوف فى مثل هذه الحالات تحديدا مكتوبا لنوع المعاونة وشروطها أو جداول زمنية لمراحل سيرها أو تكلفتها [٩] . واقتصرت على مجرد اتفاق شفهى على تقديم المعاونة من جانب فريق المعاونة المهنية وعلى قبولها من جانب المؤسسة وذلك نتيجة لعدد من العوامل هى :

أ) عدم وجود أخصائيين اجتماعيين بالمؤسسة وعدم وضوح الرؤية بالنسبة لما يمكن أن يقدم إلى المؤسسة من معاونة مهنية .

ب) لم تتضمن المعاونة المهنية إلقاء أية أعباء أو فرض أية شروط على المؤسسة وبالتالى فلم يكن من المناسب فى رأى المسئولين عن المؤسسة وضع شروط لمعاونة غير مشروطة تقدم دون مقابل .

ج) اعتماد المؤسسة على الجهد التطوعى ، ومن ثم النظر إلى فريق المعاونة المهنية على أنه عدد من المتطوعين بالمؤسسة .

د) الثقة المتبادلة بين المسئولين بالمؤسسة وفريق المعاونة المهنية والمستمدة من نظرة كل منهما إلى الآخر على أنه يعمل لوجه الله ولن يدخر جهدا فى تيسير عمل الجانب الآخر وبذل أقصى الجهد فى خدمة الإسلام والمسلمين .

٤ - تقدير الموقف :

عقب ذلك قام فريق المعاونة المهنية بدراسة ملفات البرامج التى أعدتها المؤسسة كما قام بملاحظة أسلوب العمل من خلال تواجده فى المؤسسة ولقاءاته مع المسئولين فيها وقد تم تجميع ملاحظاته عن المؤسسة وما تنفذه من برامج ، وكان من أهم هذه الملاحظات ما يلى : -

أ) يتولى المسئوليات القيادية فى البرامج وعملية اتخاذ القرار فى كل برنامج عدد من المتطوعين بالتنسيق مع إدارة المؤسسة ، ويشرف على كل برنامج عدد محدود منهم تواجد معظهم فى المكتب غير منتظم وفى أوقات غير محددة فى كثير من الأحيان .

ب) يتولى المسئوليات التنفيذية بالمؤسسة عدد محدود من الموظفين المثقلين بالأعمال والمسئوليات اليومية للمؤسسة وبرامجها ويصعب اشراكهم فى تطوير البرامج دون تخفيف بعض المسئوليات عنهم .

ج) عدم وجود أخصائيين اجتماعيين فى المؤسسة سواء من العاملين أو المتطوعين مما جعل التفاهم على الكثير من الأمور المهنية الأساسية أمرا غير متيسر .

د) الانشغال الشديد لكبار المسئولين فى المؤسسة بالأعمال اليومية للبرامج وعدم وجود الوقت الكافى لديهم للعمل على تطوير البرامج أو أسلوب العمل بالمؤسسة.

هـ) ترحيب جميع من بالمؤسسة دون استثناء بفريق المعاونة المهنية و تحليهم بالتواضع والروح الإسلامية الطيبة والنظر إلى فريق المعاونة المهنية كمحتسبين أولا وكمصدر للمعاونة المتخصصة من جهة ثانية الأمر الذى يمكن أن يذلل الكثير من الصعوبات .

٥ - تحديد استراتيجيات العمل :

وإزاء ذلك تم الاتفاق بين فريق المعاونة المهنية على الخطوط الأساسية للمعاونة المهنية على النحو التالى :-

أ) البدء بانشاء وحدة المتطوعين لتدعيم المؤسسة بالقوة البشرية التى تساعد فى تخفيف الأعباء التى يتحملها العاملون بالمؤسسة على أن يتولى مسئولياته بالكامل فريق المعاونة المهنية مع الرجوع إلى إدارة المؤسسة لأخذ موافقتها بالطبع .

ب) أما بالنسبة للبرامج القائمة بالفعل فقد تم الاتفاق على أن يقوم الفريق بعد دراسة كل مشروع بتحديد التعديلات المطلوب إدخالها على كل برنامج والبدء باختيار بعض هذه التعديلات والاتفاق مع المسئولين عن كل برنامج على مبدأ إقرار هذه التعديلات على أن يتولى فريق المعاونة المهنية التنفيذ الفعلى لهذه التعديلات مع القيام بالتنسيق مع المسئولين عن البرنامج حتى لا يحدث أى ارتباك فى سير البرنامج .

ج) يتم اطلاع المسئولين عن البرنامج على نتائج التعديلات التى حدثت وادماج هذه التعديلات فى البرنامج بالتدريج بعد أن يلمس المسئولون عن البرنامج الآثار الايجابية لهذه التعديلات على البرنامج بحيث تصبح هذه التعيلات جزءا من البرنامج فيما بعد ، مع إدماج القائمين بهذه التعديلات أيضا مع القائمين على

تنفيذ البرنامج وذلك بهدف إتمام التطوير المستهدف للبرامج بصورة تدريجية وتلافى إلقاء أية أعباء على المسئولين عن البرامج فى المراحل الأولى على الأقل .

د) تخصيص مسئول من فريق المعاونة المهنية بكل برنامج كمسئول أول عن المعاونة المهنية لهذا البرنامج وأن يحرص هذا المسئول على تنمية العلاقة مع المسئولين عن هذا البرنامج من قبل المؤسسة .

٦ - تنفيذ الخطة :

بدأ تنفيذ خطة المعاونة المهنية للمؤسسة بناء على ما سبق وسوف نعرض فيما يلى سير عملية التنفيذ فى برنامج على حدة والنتائج التى أسفرت عنها بالنسبة للبرنامج على النحو التالى :-

أولا : وحدة المتطوعين :

أدلت مجموعة المعاونة المهنية لهذا البرنامج أولوية متقدمة لشعورها بحاجة المؤسسة إليه ولتأثيره الإيجابى المتوقع على المؤسسة وعلى البرامج الأخرى وقدكان الهدف من إنشاء وحدة المتطوعين ما يلى :-

١ - تزويد المؤسسة بالأعداد الكافية من المتطوعين فى التخصصات التى تحتاج إليها للمشى قدما فى تنفيذ برامجها .

٢ - تحقيق المزيد من التعريف بالمؤسسة من خلال الدعوة إلى التطوع .

٣ - تخفيف الأعباء المكثفة التى يعانى منها العاملون بالمؤسسة من خلال أشتراك المتطوعين الجدد فى أداء بعض المسئوليات .

٤ - إيجاد رصيد من القوة البشرية المتخصصة من المتطوعين الذين يمكن لفريق المعاونة المهنية الاستعانة بهم فى انجاز مسئوليات تطوير برامج المؤسسة فى المستقبل القريب .

٥ - اكتساب المسئولين بالمؤسسة الخبرة والمهارة اللازمة للاستفادة من المتطوعين من خلال البرنامج .

وقد سار إنشاء هذه الوحدة على النحو التالى :

١ - تم عرض فكرة انشاء الوحدة على إدارة المؤسسة أثناء اجتماع مشترك مع فريق المعاونة المهنية وتمت الموافقة عليها من حيث المبدأ .

٢ - قام فريق المعاونة المهنية بإعداد مقترح بلائحة الوحدة تضمنت تحديداً لأهدافها ، والمسئوليات التى تقوم بها الوحدة وكيفية تنظيمها والتجهيزات

المطلوبة لها ، وقد تم عرض هذه اللائحة على إدارة المؤسسة ووافقت عليها دون تعديل ، ومن ثم تم تصميم استمارة بيانات للمتطوع وبرنامج كمبيوتر لتخزين واسترجاع ومعالجة بيانات المتطوعين وتم وضعه فى الحاسب الآلى بالمؤسسة وتدريب الموظف المختص على استخدامه .

٣ - قام فريق المعاونة المهنية بإدارة المؤسسة وأقسامها المختلفة لتحديد احتياجاتها من النوعيات المختلفة من المتطوعين ، وقد استغرقت هذه العملية وقتا طويلا نسبيا ، حيث كان مدير المؤسسة يحيل هذه المسألة إلى معاونيه من المتطوعين ، وقد أدى انشغالهم فى متابعة الأعمال اليومية إلى عدم وجود الوقت الكافى لديهم للقيام بهذه المهمة ، مما أدى إلى حدوث بعض التأخير ، وأخيرا تم حصر هذه الاحتياجات وكانت تتمثل فى مسئولى إدارة ، متخصصون فى العمل على الكمبيوتر ، متخصصون فى العلاقات العامة والمحاسبية والترجمة والاتصال ، أساتذة جامعيون يتطوعون لإلقاء محاضرات عامة فى موضوعات متنوعة .

٤ - قرر فريق المعاونة المهنية أن الجمهورالمناسب الذى يمكن توجيه الدعوة إليه للتطوع هو مجتمع الجامعة واستقر الرأى على البدء بتوجيه الدعوة إلى طلاب جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية من منطلق أن طبيعة الدراسة الاسلامية بهذه الجامعة يجعل الدافع إلى التطوع فى المؤسسات الإسلامية لديهم أقوى ، بالإضافة إلى وجود التخصصات المطلوبة بين كلياتها .

٥ - قام فريق المعاونة المهنية بإعداد خطاب موجه إلى عمداء كليات الجامعة يطلب منهم الموافقة على تعليق إعلان يتضمن الدعوة إلى التطوع وقدم الخطاب الى مدير المؤسسة لإقراره ، وطباعته واعتماده . وقد استغرقت هذه العملية مايقرب من شهر بسبب بعض الصعوبات الروتينية مثل عدم وجود الطابع أو عدم حضور مدير المؤسسة وقد تم إعداد إعلانات الدعوة إلى التطوع للإسهام فى برامج المؤسسة ووضع فى الإعلان عنوان المؤسسة ورقما الهاتف والوقت المناسب للحضور إلى المؤسسة ، وقد تم تسليم الخطابات إلى عمداء الكليات عن طريق فريق المعاونة المهنية من خلال مقابلات شخصية تم خلالها توضيح الهدف من التطوع ، وقد تم تعليق الاعلانات وانتظرنا أسبوعا ولم يتقدم أحد .

٦ - حاول فريق المعاونة المهنية البحث عن تفسير لعدم الإقبال على التطوع ايجاد الحلول المناسبة لهذا الموقف ، وقد أرجع الفريق عدم الإقبال على التطوع إلى عدم وضوح الصيغة التى كتبت بها الاعلانات ، بالإضافة إلى اقتراب موعد الاختبارات حيث لم يبق عليها سوى ثلاثة أسابيع ، وقد تم تغيير صيغة

الاعلانات كما تم تكليف عدد من فريق المعاونة المهنية بالدعوة إلى التطوع من خلال الاتصال الشخصى بين من يتوسمون فيهم قبول هذه الدعوة ، وقد أسفرت هذه الاتصالات عن التعرف على أن قرب الأختبارات هو السبب الرئيسى لعدم الاقبال وتم الاتصال بهم على حضورهم إلى المؤسسة عقب انتهاء الاختبارات .

٧) حضر فى الأسبوع التالى إحدى عشر متطوعا وتم استيفاء البيانات منهم على أن يتم الاتصال بهم عقب انتهاء الاختبارات وقد وصل عدد المتطوعون بعد انتهاء الاختبارات إلى عشرين متطوعا تم اجراء مقابلات مع كل منهم وتعريفه بالمؤسسة وأقسامها وأهدافها والأعمال التى يمكن أن تسند إليه ، كما تم عقد اجتماع مشترك للمتطوعين مع مدير المؤسسة رحب فيه بهم وأعطاهم فكرة عن المؤسسة وأهدافها وبرامجها وما تعلقه على إسهامهم بها من آمال ، وقد لوحظ حماس واضح لديهم للقيام بأى عمل يكلفون به بالفعل وقد تم تكليف بعضهم بالفعل بالقيام ببعض مسئوليات المعاونة فى الأعمال الادارية بالمؤسسة كما تمت الاستعانة بهم فى البرامج الأخرى التى يقوم فريق المعاونة المهنية بتطويرها .

٨) بعد ذلك بوقت قصير توقفت أعمال فريق المعاونة مؤقتا بسبب العطلة الصيفية قد تم تكليف أحد أفراده بالتعاون مع بعض المتطوعين بتسيير الأعمال الروتينية لفريق المعاونة المهنية بما فى ذلك متابعة المتطوعين خلال هذه العطلة، وقد تم عقب العطلة الاتصال بالمتطوعين من جديد وتحديث البيانات الخاصة بهم كما بدأ تنشيط عملية التطوع من خلال الاتصال الشخصى وقد أسفرت هذه العملية عن وصول عدد المتطوعين إلى حوالى خمسين متطوعا وتم الاستعانة بهم فى العديد من المسئوليات منها :-

- أداء بعض الأعمال الإدارية بالمؤسسة
- الإسهام فى إدارة وحدة المتطوعين
- الدعوة إلى التطوع
- الإسهام بمهام متعدة فى برنامج كفالة اليتيم
- الإسهام بمهام متعددة فى برنامج الجاليات .

- تم من خلال البرنامج تزويد بعض المؤسسات الأخرى التى واجهت حاجة ماسة إلى المتطوعين أثناء جهودها لإغاثة النازحين من العراق والكويت إلى الأراضى السعودية بأعداد من المتطوعين لمعاونتها فى ذلك ، وقد طلبوا من فريق المعاونة المهنية انشاءوحدة للمتطوعين لديهم وتم ذلك بالفعل .

- بدأ بعد ذلك بعض المسئولين فى المؤسسة بالفعل فى الاستعانة بالمتطوعين من خلال برنامج الحاسب الآلى بالمؤسسة والاتصال بهم ، وتكليفهم ببعض المسئوليات وبدأ الشعور فى المؤسسة يتزايد بكون وحدة المتطوعين جزء من المؤسسة .
- لم يوافق المسئولون بالمؤسسة على اشتراك المتطوعين فى حملة لجمع المال لبرنامج كفالة اليتيم من خلال طوابع للتبرع واستمارات للكفالة حتى الآن وينخوفون من وقوع مشكلات مالية ويقوم فريق المعاونة المهنية فى الوقت الحاضر بدراسة أسباب هذا التخوف ومناقشتها والعمل على ازالتها حتى يمكن تحقيق الاستفادة الأملة من جهودهم .

النتائج التى أسفر عنها إنشاء وحدة المتطوعين بالمؤسسة :

أسفر إنشاء هذه الوحدة بالمؤسسة عن مجموعة من النتائج من أهمها : -

١) توفير طاقة بشرية تساعد فى أداء المسئوليات المختلفة فى المؤسسة ومن خلال حصر خبرات المتطوعين تبين أنها تنص على ما يلى :-

- المشاركة فى إجراء البحوث الاجتماعية
- إلقاء الدروس الدينية
- الإسهام فى جمع التبرعات وحملات جمع المال
- أعمال الاغاثة
- الدعوة الإسلامية
- تعليم القرآن الكريم والدروس الدينية
- الطباعة على الآلة الكاتبة
- الأعمال الإدارية
- الخط العربى

وقد تمت الاستفادة بالفعل من جانب كبير من المتطوعين فى خدمة برامج المؤسسة.

٢) تدريب بعض العاملين فى المؤسسة على الجوانب المختلفة لعملية التطوع مثل الدعوة إلى التطوع وتدريب المتطوعين وتكليفهم بالأعمال المختلفة .... الخ .

٣) رفع كفاءة بعض برامج المؤسسة مثل برنامج كفالة اليتيم وبرنامج الجاليات من خلال جهود المتطوعين .

٤) تخفيف بعض الأعباء الإدارية عن العاملين فى المؤسسة مما أتاح الفرصة لاشراكهم بالتدريج فى أعمال فريق المعاونة المهنية ، ومن ثم اكسابهم بعض المهارات المهنية التى تزيد كفاءتهم فى العمل .

٥) أسهم هذا البرنامج فى تحقيق التعاون مع بعض المؤسسات الأخرى العاملة فى مجال العمل الإسلامى عن طريق امدادها ببعض المتطوعين .

٦) أسهم البرنامج فى التعريف بالمؤسسة على نطاق أوسع .

ويعمل فريق المعاونة المهنية حاليا على تحقيق المزيد من الفاعلية لوحدة المتطوعين فى دعم المؤسسة وبرامجها على النحو الآتى :-

١) إزالة المعوقات التى تحول دون إسهام المتطوعين فى حملات جمع المال وذلك من خلال تدعيم الثقة بين المتطوعين والمسئولين عن البرنامج ودراسة أسباب اعتراض المسئولين على اشتراك المتطوعين والعمل على ازالتها .

٢) التوسع فى الاستعانة بالمتطوعين فى برنامج الجاليات لمساعدة المعتنقين الجدد للإسلام على حل ما يواجهم من مشكلات .

٣) التوسع فى الدعوة إلى التطوع بما يلبى الحاجة المتزايدة لمتطلبات تطوير البرامج من المتطوعين مع الاستفادة بجهود المتطوعين الحاليين فى ذلك .

٤) التوسع فى الاستفادة من المتطوعين فى تطوير برنامج كفالة اليتيم .

ثانيا : برنامج كفالة اليتيم

نبذة عن البرنامج :

بدأ هذا البرنامج منذ ما يقرب من أربع سنوات ويستهدف كفالة الأيتام من أبناء المسلمين فى مختلف البلاد الإسلامية بتوفير متطلبات الحياة الكريمة لهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية على هدى من القرآن والسنة ورفع مستواهم الاجتماعى والصحى والتعليمى والاجتماعى وتأهيلهم تربويا ومهنيا لسد حاجاتهم وفتح الطريق أمام القادرين من المسلمين للاسهام فى كفالة الأيتام التى قد لا تتيسر لهم كأفراد ، ويرعى هذا المشروع ما يقرب من أربعة آلاف يتيم فى بلاد مختلفة منها أفغانستان وأريتريا وباكستان ، وتبدأ كفالة اليتيم باثبات حالته كيتيم ثم ورود استمارة بذلك من فرع المؤسسة فى البلد الذى يوجد فيه اليتيم ثم تقوم المؤسسة بالبحث عمن يكفله حيث يقوم دبفع مبلغ ٢٠٠ ريال سعودى شهريا ثم يرسل هذا المبلغ إلى فرع المؤسسة فى البلد الذى يقيم فيه اليتيم حيث يقوم فرع المؤسسة هناك ببدء الكفالة التى تشمل توفير الغذاء والتعليم والإعانة الصحية والاقامة لليتيم إلى أن يصل إلى سن البلوغ .

وقد قام فريق المعاونة المهنية بدراسة الملف الذى أعدته المؤسسة عن البرنامج وباجراء مقابلات متعددة مع المسئولين عنه فى المؤسسة وقد أسفرت هذه الدراسة عن تبلور مجموعة من المقترحات التى تسد بعض الثغرات التى تبين وجودها فى البرنامج .

ثم عقب ذلك عقد اجتماع مشترك بين فريق المعاونة المهنية والمسئولين عن البرنامج عرضت فيه هذه المقترحات وتمت مناقشة مستفيضة تم على أثرها الاتفاق على أن يقوم الفريق بمعاونة المؤسسة فيما يلى : -

أولا : فيما يتصل بتنظيم علاقة المؤسسة بالكامل :

١) استكمال البيانات الموجودة لدى إدارة البرنامج عن كل من اليتيم والكافل .

٢) إيجاد نظام للاتصال بالكافلين قبل انتهاء كفالتهم بوقت كاف يسمح له بتجديدها ويسمح للمؤسسة أن تعرف ما اذا كان الكافل ينوى تجديد الكفالة أم سوف يتوقف ومن ثم يتعين عليها البحث عن كامل جديد لليتيم حتى لا تنقطع كفالته .

٣) تنظيم إرسال تقارير دورية من المؤسسة إلى الكافل عن التطورات فى حالة اليتيم أو الأيتام الذين يكفلهم حتى يطمئن إلى حسن انفاق ما تبرع به من مال فى مصرفه المحدد .

٤) تنظيم حملة ذات شقين أولهما :

أ) ايجاد كافلين لأعداد من الأيتام الجدد المحتاجين إلى من يكفلهم أو بدلاء لكفالة الأيتام الذين انتهت كفالتهم لدى كافلين آخرين توقفوا عن الاستمرار فى الكفالة .

ثانيا : فيما يتصل بتطوير نظام رعاية اليتيم :

١) تعديل أهداف البرنامج بما يمكن من مساعدة اليتيم الذى أوشك على بلوغ سن انتهاء الكفالة على ايجاد وسيلة لكسب الرزق أو الاستمرار فى التعليم أو التدريب حتى ينتهى منه حتى لا تنقطع عنه الكفالة فجأة ببلوغه سن ١٥ سنة ونتركه دون مساعدة .

٢) مراجعة وسائل التاكد من يتم المستفيدين من البرنامج والأطمئنان إلى كفاءتها وعدم حصولهم على مساعدات من جهات أخرى .

٣) تنظيم أسلوب مناسب لدراسة حالات الأيتام الذين يحتاجون إلى الكفالة لدراسة أفضل سبل كفالتهم من حيث اختيار نوع الكفالة . ما إذا كان فى داخل المؤسسة أو لدى أسرة ، وتحديد الأسرة المناسبة لكفالته وأفضل سبل مساعدة هذه الأسرة على أداء دورها كأسرة حاضنة لليتيم .

٤) تنظيم أسلوب مناسب للمتابعة وحل المشكلات المختلفة التى تواجه رعاية هؤلاء الأيتام ميدانيا .

٥) تنظيم حملة لجمع المال الذى يمكن الاستفادة منه فى تطوير البرنامج على النحو الذى سبقت الإشارة اليه .

قام فريق المعاونة المهنية على أثر هذا الاجتماع باعداد عدد من النماذج المهنية التى يمكن عن طريق استخدامها توفير بيانات كافية عن اليتيم والكافل وهى :-

١) استمارة دراسة حالة وذلك عند بداية كفالة اليتيم تتضمن بيانات معرفة باليتيم وحالته الصحية والتعليمية والاقتصادية والأسرية والسلوكية . والأشخاص الذين يمكن الرجوع إليهم لدراسة الحالة .

٢) تقرير دورى عن اليتيم يقوم باستيفائه المسئول المباشر من قبل المؤسسة عن متابعة اليتيم المكفول ويرسل إلى إدارة المؤسسة التى تقوم بإرسال صورة منه إلى الكافل حتى يشعر باهتمام المؤسسة وجديتها مما يزيد ثقة الكافل فى المؤسسة ويشجعه على الاستمرار فى الكفالة ، كما يمكن المسئولين عن البرنامج بالمؤسسة من متابعة حالات الأيتام أولا بأول .

وبعد مراجعة كل من الاستمارة والتقرير من قبل المشرف على البرنامج أبدى شكه فى امكانية استيفائها عن طريق القائمين على العمل الميدانى بوضعهم الحالى نظرا لمشكلات اختلاف اللغة وعدم كفاءة القائمين على العمل فى الميدان والصعوبات الإدارية التى يمكن أن تعوق هذه العملية مما دعا فريق المعاونة المهنية إلى التفكير فى القيام بزيارة ميدانية لدراسة الوضع على الطبيعة ولم يمانع المسئولون فى المؤسسة وأبدوا استعدادهم لأن يرسلوا مندوبا من قبلهم لمرافقة فريق المعاونة المهنية ، إلا أن ظروف عمل فريق المعاونة المهنية بالجامعة أوصت تأجيل هذه الزيارة إلى حين انتهاء العام الجامعى .

أبدى المسئولون عن البرنامج بالمؤسسة رغبتهم فى سرعة اعداد عدد من المطبوعات التعريفية بالبرنامج وتم الاتفاق على إعداد دليل عن البرنامج يوضح أهدافه و تطوره والأنشطة التى تتم من خلاله والخطوات التى تتبع لكفالة اليتيم ، كما تم إعداد مطوية تعريفية بالبرنامج تهدف إلى التعريف به والحث على الاشتراك فيه تتضمن بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو إلى رعاية اليتيم وتبين أجر كافلة مع بيان كيفية الاشتراك فيه وعنوان المؤسسة ، وقد تم طباعة كل من الدليل والمطوية .

وجنبا إلى جنب مع ما سبقت الإشادة إليه بدأ فريق المعاونة المهنية فى التعرف على النظام المتبع فى الاتصال بالكفلاء وقد لوحظ أن البرنامج لا يتصل بالكفلاء لتذكيرهم

بقرب انتهاء مدة الكفالة ويتعرف على موقفهم من تجديدها ، وقد تم شرح الطريقة التى يمكن اتباعها فى ذلك عن طريق تحديد الكافلين الذين تنتهى كفالتهم شهريا على أن يتم الاتصال بكل منهم فى الشهر السابق على شهر انتهاء الكفالة ويتم خلال هذا الاتصال إعطاء الكافل تقريرا موجزا عن وضع اليتيم - اذا توفرت البيانات عنه ثم يذكر بموعد انتهاء الكفالة ثم يسأل عن نيته فى تجديدها ، على أن تسجل نتائج الاتصال فى سجل خاص بذلك تم إعداده . ثم تصفى هذه الحالات وتستخرج الحالات التى لا ينوى الكافل تجديد الكفالة على أن يبحث له عن كافل جديد ، الا أن المسئولين عن هذا العمل اعتذروا بأنهم مثقلون بالأعمال وأن هذا الأمر يضيف عليهم عبئا اضافيا فوق طاقتهم ، وفى نهاية الأمر تم الاتفاق على أن يقوم فريق المعاونة المهنية بتنظيم قيام المتطوعين بهذا العمل تحت الاشراف المباشر لفريق المعاونة المهنية . وقد بدأ بالفعل تنفيذ هذه الخطوة وقد أسهمت فى زيادة انتظام الكفلاء وفى عدم وجود فجوات غير مغطاة كما أدت إلى زيادة وانتظام التدفق التمويلى للبرنامج بصورة شعر بها المسئولون عن البرنامج ، الأمر الذى أسهم فى ايجاد المزيد من الثقة لدى المسئولين عن البرنامج فى سلامة المشورة التى يتقدمها فريق المعاونة المهنية .

وقد كشفت الاتصالات التى تمت مع الكفلاء لثلاثة أشهر متتالية عن بعض الملاحظات منها :-

١) يتطلب النظام القائم حضور الكافل شخصيا إلى مقر البرنامج لدفع مبلغ الكفالة وفى ذلك مشقة قد لا يستطيع البعض تحملها ، كما أن بعض الكفلاء من النساء ، وقد تم وضع مجموعة من البدائل للتغلب على هذه الصعوبة منها إخطار الكافل أثناء الاتصال معه برقم حساب البرنامج فى أحد البنوك يستطيع الكافل أن يضع المبلغ فيه مباشرة أو أن يقوم بارسال شيك مصرفى من أى بنك فى أى مكان على الفرع الذى فتح فيه الحساب .

٢) تبين ارتفاع نسبة الكفلاء الذين تغيرت عناوينهم حيث وصلت فى بعض الشهور إلى ما يقرب من ثلث مجموع من تنتهى كفالتهم فى ذلك الشهر ، كما أن بعض الكفلاء لا يذكر اسمه فى استمارة البيانات بالخاصة به حيث يكتفى بمجرد ذكر (فاعل خير) رغبة منه فى عدم الإعلان عن نفسه ، ويعمل فريق المعاونة المهنية فى التغلب على هذه الصعوبة من خلال اجراء عملية تحديث بيانات للكفلاء مع الاشارة فى استمارة البيانات الخاصة بالكافل الى أهمية ذكر البيانات وشرح أهمية هذا الأمر فى تسهيل الاتصال به فيما بعد ، بالإضافة إلى التنبيه على المتطوعين الذين يساهمون فى توزيع استمارات الكفالة إلى أهمية استيفاء هذه البيانات ، بالإضافة إلى إعلام الكافل بالاتصال على إدارة البرنامج إذا حدث تغيير فى البيانات الخاصة به .

أدى الفراغ الكبير الذى أحدثه توقف برامج المساعدات الكويتية بسبب احتلال الكويت فى أغسطس ١٩٩٠، إلى زيادة كبيرة فى أعداد الأيتام المحتاجين إلى كفالة ، كما ازدادت نسبة الكفلاء الذين لا يرغبون فى تجديد كفالتهم لرغبتهم فى توجيه تبرعاتهم لمساعدة النازحين من الكويت الأمر الذى أحدث ضغطا كبيرا على البرنامج ثم الاتفاق مع المسئولين عن البرنامج على مواجهته من خلال القيام بحملة لتوزيع استمارات الكفالة بالاستفادة من امكانيات وحدة المتطوعين ، بالإضافة إلى إعداد قسائم تبرع بلغ مجموعها حوالى نصف مليون ريال سعودى يمكن الاستفادة منها فى جمع التبرعات ممن لا تسمح ظروفهم الا بالتبرع بمبالغ صغيرة وقد تم اعداد فئات من هذه القسائم ابتداء من خمسة ريالات الى مائة ريال ، كما قام فريق المعاونة المهنية بإعداد نماذج للايصالات والمستندات التى يمكن عن طريقها ضبط حركة توزيع الاستمارات والقسائم وإلا أن المسئولين عن البرنامج رفضوا الاستعانة بأعداد كبيرة من المتطوعين وفضلوا أن يتم التوزيع عن طريق عدد محدود من المتطوعين الذين توجد معهم علاقة شخصية وخبرات سابقة فى التعامل معهم ، ويحاول فريق المعاونة المهنية فى الوقت الحاضر إقناع المسئولين عن البرنامج بأهمية توسيع نطاق المتطوعين الذين يستعان بهم وتوفير الضمانات التى تقلل من حدوث المشكلات إلى أدنى حد ممكن مع إقناعهم بقبول المخاطرة باحتمال حدوث قدر محدود من المشكلات التى يمكن عليها فى سبيل التوسع فى البرنامج

تم أيضا من خلال اللقاء ات المتعددة لفريق المعاونة المهنية مع المسئولين على البرنامج طرح عدد من المقترحات التى لاقت قبولا و يخطط فريق المعاونة المهنية لادخالها لتطوير البرامج من أهمها : -

١) تطوير أهداف البرنامج من مجرد كفالة اليتيم حتى بلوغه سن الرشد إلى مساعدته على شق طريقه فى الحياة عن طريق استمرار الكفالة إلى حين انتهاء اليتيم من برامجه الدراسية أو التدريبية مع مساعدته على إنشاء مشروع تجارى أو زراعى أو مهنى ، يحقق هدفا مزدوجا هو مساعدة اليتيم بالإضافة إلى تنبيه المجتمعات التى يعيشون فيها .

٢) تطوير برامج التعليم والتدريب فى المدارس التابعة للبرامج بإدخال نوعيات جديدة من الأعمال التى يتم التدريب عليها على ضوء احتياجات البيئة المحلية التى يعيش فيها اليتيم مثل العمل على الحاسب الآلى ، والطباعة ، والصناعات الزراعية ، وصناعة الملابس وغيرها ومساعدة المتدربين فى الحصول على عمل عند انتهاء تدريبهم .

٣) إدخال الدعوة الإسلامية ضمن مكونات البرنامج من خلال ارسال مواد دعوية مسموعة ومرئية ومقروءة وتوفير الدعاة لقيام بمهامهم فى المدارس التابعة للبرنامج وزيادة البرامج الدينية فى المدارس التى تتبع البرنامج .

٤) وضع نظام لتدفق وتبادل المعلومات بين إدارة البرنامج وفروعه فى الميدان وبين الفروع وبعضها وبعض مع تحديث البيانات أولا بأول مع الاستفادة بالامكانات الواسعة التى يتيحها استخدم الحاسب الآلى فى مثل هذه البرامج .

٥) تنظيم دورات تدريبية لرفع مستوى العاملين فى البرنامج وخاصة القائمين بالعمل الميدانى .

٦) تحقيق المزيد من القوة فى العلاقة بين الكافل واليتيم مع العمل على اضفاء المزيد من الطابع الانسانى على العلاقة بينهما عن طريق تنظيم تزويد الكافل بالتقارير مع كل تطور يحدث فى حياة اليتيم مع إمكان تبادل الرسائل بينهما وإرسال هدايا باسم الكافل إلى اليتيم فى المناسبات مثل الأعياد .

٧) الاهتمام بانتقاء الأسرة التى تقوم بحضانة اليتيم الذى فقد أسرته من خلال وضع شروط يجب توفرها فى هذه الأسر مع إجراء دراسة كافية لها للأطمئنان إلى صلاحيتها لحضانة اليتيم ومتابعتها بعد ذلك لمساعدتها على القيام بمهمتها على أفضل وجه ممكن وحل ما يطرأ من مشكلات .

٨) تنظيم التقويم المستمر للبرنامج بجميع عناصره سواء كان ذلك تقويما شاملا للبرنامج أو تقويم عناصر مختارة منه مثل عملية التعليم والتدريب أو العلاقة بين البرنامج والكافل أو إدارة البرنامج ... الخ ، مع الاستعانة بالخبراء كلما كان ذلك ممكنا .

وقد تم الاتفاق فى هذا الصدد على أن يقوم فريق المعاونة المهنية بزيارة ميدانية إلى بعض المناطق التى يتولى البرنامج كفالة الأيتام فيها .

ثالثا : برنامج الجاليات

نبذة عن البرنامج :

بدأ هذا البرنامج منذ ما يقرب من ثلاث سنوات ويستهدف دعوة غير المسلمين الموجودين فى المملكة إلى الدخول فى الإسلام بالاستعانة ببعض المتطوعين والدعاة ، وقدحقق هذا البرنامج نجاحا متزايدا حيث بلغ من أشهر إسلامه من خلاله مايزيد على أربعة آلاف شخص ، ويتضمن هذا البرنامج إلقاء محاضرات تعريفية عن الإسلام بلغات مختلفة ، ثم تعريف من يدخله بأركان الإسلام واجباته كمسلم ، وكيفية تأدية العبادات المختلفة من صلاة وصيام .

وقد بدأ التدخل المهنى فى البرنامج متأخرا عن البرنامجين الآخرين نظرا لأن المسئولين بالمؤسسة لم يطلبوا معاونة مهنية بشأنه ولكن فريق المعاونة المهنية بعد تواجده بالمؤسسة وتعرفه على البرنامج وجد أنه يمكنه تقديم المعاونة المهنية بما يزيد من فاعلية هذا البرنامج فى تحقيق أهدافه .

عقد على أثر ذلك عددا من الاجتماعات بين المسئولين عن البرنامج وفريق المعاونة المهنية تم خلالها الاتفاق على أهداف المعاونة المهنية له على أن تتضمن ما يلى :-

١) الاستجابة لرغبات المسلمين الجدد التى ظهرت من خلال بحث سبق اجراؤه فى تنظيم دروس فى القرآن الكريم واللغة العربية .

٢) الاهتمام بالجانب الأجتماعى - إلى جانب الدعوة - بتوثيق العلاقات بين المعتنقين الجدد للإسلام من خلال تنظيم بعض الأنشطة الاجتماعية مثل الرحلات واللقاء ات ومساعدتهم على الاندماج فى المجتمع وتشجيع المجتمع على قبولهم وادخالهم فى شبكة علاقات بديلة عن تلك التى فقدت بدخولهم فى الاسلام .

٣) مساعدة المسلمين الجدد الذين يواجهون بعض المشكلات الاجتماعية على التغلب عليها خصوصا تلك المشكلات المرتبطة باعتناقهم الإسلام حيث يتعرض بعضهم بضغوط من أفراد أسرهم وذويهم وأصدقائهم وزملائهم للارتداد عن الإسلام .

بدأت الخطوة الأولى فى المعاونة المهنية بقيام الفريق بتصميم استمارة للتعرف على رغبات المستفيدين بالنسبة لتنظيم دروس القرآن الكريم واللغة العربية بهدف التعرف على ما اذا ان المستفيد يرغب فى حضور دروس القرآن الكريم واللغة العربية والمكان والوقت المناسبين له ومستوى المامه باللغة العربية وقد تم تفريغ هذه الاستمارة وتجميع الرغبات وتبين وجود حوالى خمسة عشر يرغبون فى تنظيم الدروس فى القرآن الكريم واللغة العربية مساء يوم الخميس فى مقر المؤسسة ، تم الاتفاق على تشكل لهم الحلقة الأولى لتدريس القرآن الكريم ، على أثر ذلك ثم الاتفاق مع أحد المتطوعين للتدريس وتم تدبير المصاحف من خلال تبرع من متطوع آخر ولكن لم يحضر أحد من الدارسين فى الوقت المحدد . وبدراسة أسباب هذه الظاهرة تبين أن مؤسسات أخرى تنظم دروسا فى نفس الوقت المقترح . كما أنه يوجد درس فى الدين الاسلامى فى يوم آخر فى مقر المؤسسة وقد رأى فريق المعاونة المهنية تنظيم هذه الدروس فى نفس اليوم يلقى فيه الدرس الدينى وتم الاتفاق مع المسئولين عن البرنامج على ذلك على أن تكون حلقة دراسة القرآن الكريم واللغة العربية قبل درس الدين مباشرة تيسيرا على الدارسين ،

تم الإعلان عن ذلك وبدأت الدراسة فى الأسبوع التالى بحضور خمسة من الدارسين ، زاد العدد فى الأسبوع التالى إلى سبعة ، وفى الأسبوع الذى يليه إلى ثمانية من الدارسين .

شعر فريق المعاونة بأهمية التنسيق بين هذا البرنامج والبرامج المشابهة التى تنظمها مؤسسات أخرى وتم الاتصال بهم بالفعل وتمت مناقشة امكانية التعاون ، وقد رحبت هذه المؤسسات بالتعاون .

عرض فريق المعاونة المهنية امكانياته لمساعدتهم فرحبوا بذلك وعبروا عن حاجاتهم إلى بعض المتطوعين لإلقاء دروس اللغة العربية والقرآن الكريم وتم الاتفاق معهم على امدادهم بالأعداد التى يحتاجون إليها من خلال برنامج المتطوعين بالمؤسسة ، كما تم الاتفاق معهم على ترتيب بعض البرامج الاجتماعية المشتركة للمسلمين الجدد مثل الرحلات واللقاء ات الاجتماعية .

الخطوات المستقبلة للبرنامج :

يقوم فريق المعاونة المهنية بالتخطيط لبعض الأنشطة المستقبلة لهذا البرنامج على النحو التالى :-

١) الاستمرار والتوسع فى دروس القرآن الكريم واللغة العربية والدين والتنسيق مع المؤسسات الأخرى العاملة فى هذا المجال بحيث تستجيب هذه الدروس للحاجة الفعلية للمعتنقين الجدد للإسلام .

٢) تكثيف اللقاء ات الاجتماعيية بين المعتنقين الجدد للاسلام من جانب وبين أعداد من المتطوعين من جانب آخر على نحو شبيه بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤاخاه بين المهاجرين والأنصار ، بحيث يتولى المتطوع رعاية عدد من المسلمين الجدد ويوثق علاقته بهم كأخوة له فى الله ويساعدهم على الاندماج فى المجتمع المسلم ويساعدهم على حل مشكلاتهم .

٣) البدء فى تنفيذ المساعدات الاجتماعية الفردية لمن يعانى من مشكلات اجتماعيه من المعتنقين الجدد للإسلام بالاستفادة من امكانات فريق المعاونة المهنية وبالمتطوعين عند الحاجة .

٤) دراسة امكان الاستفادة من بعض من مضى على اعتناقهم الإسلام وقتا أطول نسبيا كسواعد للمسئولين عن البرنامج فى مساعدة زملائهم مع تدريبهم على ذلك وعلى العمل كدعاة بين مواطنيهم الذين لم يعتنقوا الإسلام بعد .

تقويم نتائج المعاونة المهنية :

مضى على بدء المعاونة المهنية للمؤسسة ما يقرب من عام كامل أسفرت عن مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلى : -

١) تدعيم المؤسسة ماديا ومعنويا من خلال إنشاء وحدة المتطوعين وما أسفرت عنه من انضمام المتطوعين الجدد إليها وقيامهم بانجاز ما أسند إليهم من ممسئوليات ، بالإضافة إلى الدعم المادى الذى تحقق من خلال مساعدة المؤسسة على تنظيم حملات جمع المال .

٢) تم اكساب بعض العاملين بالمؤسسة خبرات جديدة ساعدت على رفع مستوى أدائهم لأعمالهم من خلال الاحتكاك بينهم وبين فريق المعاونة المهنية .

٣) إحداث بعض التطوير فى عدد من البرامج التى تقوم بها المؤسسة .

٤) شعر عدد من المسئولين بالمؤسسة ومن قيادات العمل الإسلامى بما يمكن أن تقدمه الخدمة الاجتماعية كمهنة من مساعدة ذات قيمة فى زيادة كفاء ة هذا العمل فى تحقيق أهدافه وقد تبين هذا بوضوح من خلال طلب بعض المؤسسات الأخرى للمعاونة المهنية من المسئولين بقسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الأمام .

٥) اكتسب فريق المعاونة المهنية خبرة بالعمل فى المؤسسات الإسلامية ولعل فى هذه الورقة ما يشير إلى ذلك .

ويود الباحث فى النهاية الإشارة إلى أن هذه التجربة لا زالت فى بدايتها وفى حاجة إلى المزيد من التدعيم والتقويم .

الهـــوامش

١) Hary Wirtz Macht, Jean K, Queam , Fredric W. Seidl, Social Work an Introduction Columbus, Charles E. Merrill Publishing Company, 1986,pp. 3 - 17 .

٢) عبد الحليم رضا عبد العال وآخرون ، أجهزة وحالات فى تنظيم المجتمع ، القاهرة ، مكتبة توت للطباعة والنشر ،١٩٨٥، ص ٦٦ - ٨٩

٣) محمد أحمد عبد الهادى ، الخدمة الاجتماعية الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ ، ص ٢٠ - ٢٨

٤) Alfred kadushin , Consulatation in Social Work, New York, Columbia University Press, 1977 pp. 73 - 79 .

٥) Lawrence Shulman, Consultation , Encyclopedia of Social Work, 18 th Edition , Silver Spring, Maryland , National Association of Social Workers, 1987 , p. 326 .

٦) Alfred kadushin , op. ci . pp. 73 - 74 .

٧) Ibid , p. 78 - 79 .

٨) Lawrence Shulman , op. cit , p. 328

٩) Gebbie, M. kristine, Consulation Contracts, Their Development and Evaluation, American Journal .

دور الخدمة الاجتماعيّة فى العمل مع المنحرفين
«منظور إسلامى»

د. على حسين زيدان

سارت الغالبية العظمى من المجتمعات الإسلامية فى الوقت الحاضر على نهج النظريات والنماذج الغربية سواء كان ذلك فى تحليل ظاهرة الانحراف وتفسيرها أو فى نماذج التدخل المهنى لعلاجها ، فعلى المستوى النظرى نجد أن معظم الكتابات فى ظاهرة الانحراف مجرد مدى للكتابات التى تصدر فى المجتمعات الغربية ، وما أن تظهر نظرية أو محاولة لتفسير هذه الظاهرة أو جانب منها فى الكتابات الغربية إلا ونجد لها مدى في مجتمعاتنا الإسلامية ، وتكفي النظرة السريعة لأي مؤلف فى هذا الموضوع للاقتناع بصدق هذه المقولة ، كما أن القوانين الموضوعة فى معظم الدول الإسلامية تسير على نفس الوتيرة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤسسات التى تعمل فى هذا المجال ، والنتيجة المتوقعة بالطبع هو تكرار لفشل هذه النظريات والنماذج فى حل مشكلة الانحراف فى الدول الإسلامية ، كما فشلت من قبل فى حل هذه المشكلة فى مجتمعاتها ، بل إن انتشار هذه النظريات والنماذج فى العالم الإسلامى شجعت المعنيين بمواجهة هذه المشكلة على الركون إليها على اعتبار انها آخر ماوصل إلي التقدم العلمى فى الغرب المتقدم وهى بديل جاهز لايحتاج إلى جهد ، كما راجت بعض المقولات الخاطئة مثل ان الانحراف هو أحد الأعراض الجانبية للتحضر والمدنية وأصبحت المدنية الغربية فى سائر مناحى الحياة هى أقصى مايطمع إليه فى المجتمعات الإسلامية مع الاستعداد لقبول مشكلات هذه المدينة واستيراد الطول الجاهزة لها أيضا ، وساهم هذا إلى حد كبير فى تكريس التبعية الفكرية والثقافية والعلمية للغرب ، وعزف الكثير من العلماء والمتخصصون فى العلوم المعنية بظاهرة الانحراف عن البحث عن تفسير لهذه الظاهرة وعواملها وكيفية مواجهتها فيما أنزله الله سبحانه وتعالي من الكتاب والحكمة على رسوله المصطفى استغناء بما أتى به جراماتيكا وفرويد وسذرلاند وماركس ... وغيرهم .

ويحتوي الإسلام على تصور متكامل للتعامل مع ظاهرة الانحراف وصفا وتحليلا وتفسيرا وعلاجا ، ومما يزيد من ثراء هذا التصور إنه وجد طريقة بالفعل إلى التطبيق في المجتمع الإسلامى فى صدر الإسلام ، وكانت نتائجه باهرة .

وقد حرص الباحث على أن يقتصر فى إعداده لهذا التصور على المراجع الإسلامية حتى لايقع أسيرا للفكر الوضعى بما فيه من مفاهيم وتصنيفات ، كما حرص على أن يكون اعتماده على القرآن الكريم أولا ثم الأحاديث النبوية الشريفة ، مع

الحرص على أن تكون الأحاديث التى يعتمد عليها غير مطعون فى محتواها ثم التفاسير والشروح والآراء المشهود لها بالتوسط واعتدال ، ويرى الباحث فى هذا المنهج ضرورة فى هذه المرحلة حتى نستطيع استخلاص المنظور الإسلامى نقيا لاتشوبه شوائب الانزلاق فى المزج بينه وبين النظريات الغربية التى يسهل الانزلاق إليها لما تتضمنه من مفاهيم وعلاقات وتصنيفات جاهزة ، على أن تكون الاستفادة من معطيات النظريات الحديثة فى موضوع معين بعد الوصل إلى معالم محددة وملموسة للمنظور الإسلامى فى هذا الموضوع يمكن أن تكون معيارا لتحديد الصالح من الفاسد من هذه النظريات.

أولا : المسلمات الأساسية

يستمد المنظور الإسلامى للانحراف من نظرة الإسلام الشامله إلى الانسان وغاية وجوده فى هذا الكون وعلاقته بخالقه وعلاقته بغيره من الناس والتى تقوم على مسلمات أساسية نوجزها فيما يلى :

١ - الايمان بالغيب :

الايمان يعنى التصديق والغيب هو ماغاب عن الانسان أى أن حدود مايصدق به الانسان لاتقتصر على مجرد ماهو موجود في محيطه المادى ومايستطيع ادراكه بالحواس أو حتى مع الاستعانه بالمساعدات من الأجهزة والأدوات المادية ولكنها تمتد الى ماهو أبعد من ذلك ، وقد أتى الأمر بالايمان بالغيب في بداية السورة الأولى من القرآن فى الفاتحة :

المٓ (١) ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) (سورة البقرة ، الآيات ١ - ٣) .

ويتضح الغيب المطلوب الايمان به من الآية الكريمة :

يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَٰبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَٰبِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا (١٢٦) (سورة النساء ، الآية ١٢٦) .

كما بينه الحديث الشريف حين أتى جبريل ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا « .... فأخبرنى عن الايمان ، فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالقدر خيره وشره قال : صدقت ... » (١) .

فالإيمان بالله على أنه إله كل شئ ، وخالق كل شئ ، وعالم بكل شئ ، وليس كمثله شئ ، وقد فطر الله الناس على هذا الايمان :

وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَي أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَي شَهِدنَا أَن تَقُولُوا يَومَ القِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَفِلِينَ (١٧٣) (سورة الأعراف ، الآية ١٧٢) .

ويقول الله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى :

{ إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم انزل به سلطانا } (٢) .

ويقول الرسول فى الحديث الشريف :

« ما من مولود إلا ويولد على الفطرة .... » (٣) .

والايمان بالملائكة على أنهم خلق الله بوجودهم ووكل اليهم مهام متنوعة وأنهم :

.. لاَيَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَايُؤمَرُونَ (٦) (سورة التحريم ، الآية ٦) .

والايمان بالكتب التى أنزل الله على رسله وان ماتضمنته هو الحق من الله سبحانه لابلاغ البشر بما يريده منهم ، وأن القرآن الكريم هو خاتم هذه الكتب والمهيمن عليها .

والايمان بالرسل الذين أرسلهم الله سبحانه الى الشبر لابلاغ منهجه وان ما جاءوا به هو بلاغ من الله وان محمد رسول الله ﷺ هـ خاتم الرسل ، ولارسل ولا رسالات بعده وان كل ما جاء به هو الحق من ربه .

وَمَايَنطِقُ عَنِ الهَوَيَ (٣) إِن هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحَي (٤) (سورة النجم ، الآيات ٣ -٤)

وإنه رسول إلى البشر كافة وأننا مأمورن بأن نفعل ما أمرنا به ونتنهي عما نهانا عنه وان هذا هو طريق الحق الذى يأمرنا الله به : (٤)

.. فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَيَشقَي (١٢٣) وَمَن أَعرَضَ عَن ذِكرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيَمَةِ أَعمَي (١٢٤) (سورة طه ، الآيات ١٢٣ - ١٢٤) .

والايمان باليوم الآخر كما أخبر الله عنه وإن كل إنسان محاسب على مايعمل فى الدنيا وأن جميع أعماله مسجلة عليه :

أَفَحَسِبتُم أَنَّمَا خَلَقنَكُم عَبَثاً وَأَنَّكُم إِلَينَا لاَتُرجَعُونَ (١١٥) (سورة المؤمنون ، الآية ١١٥) .

وأن المصير إلى خلود دائم إما فى الجنة وإما فى النار ، فمن آمن وعمل صالحا فمصيره إلى الجنة وأما من كذب وعمى ، فمصيره إلى النار .

فَأَمَّا مَن أَعطَي وَاتَّقَي (٥) وَصَدَّقَ بِالحُسنَي (٦) فَسَنُيَسِرُهُ لِليُسرَي (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنَي (٨) وَكَذَّبَ بِالحُسنَي (٩) فَسَنُيَسِرُهُ لِلعُسرَي (١٠) (سورة الليل ، الآيات ٥-١٠).

والإيمان بالقدر خيره ، وشره وأن كل شئ يسير حسب مشيئة الله سبحانه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأن الله على كل شئ قدير ، وأن مشئية الله هى حرية عباده فى الاختيار وأنهم محاسبون على اختيارهم (٥) .

ويقتضى التسليم بما ودر فى هذه المسلمة ألا نقتصر فى تفسيرنا للسلوك الإنسان على المتغيرات المتصلة بعالم الشهادة وأن ندخل تأثير المتغيرات الخاصة بعالم الغيب ، فمن محاولات تفسيرنا للسلوك الانسانى ، وأن ننظر إلى السواء على أنه طاعة الله ، وإلى الانحراف على أنه معصية الله .

٢ - القرآن والسنة النبوية مصدران أساسيان لمعلوماتنا اليقينية عن الإنسان والكون :

ترتبط هذه المسلمة بسابقتها وتترتب عليها . فالإيمان بالله وكتبه ورسله يقتضى التسليم بأن القرآن كلام الله أنزله على رسوله وتكفل بحفظه

إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ (٩) (سورة الحجر ، الآية ٩) .

وانه جاء بالحق من عند الله لهداية الانسان وتعليمه وتنظيم علاقته بخالقه وبغيره من المخلوقات أورد فيه الله سبحانه ماشاء أن يعلمه إياه من أمور الغيب التى لاتصلح الوسائل والأدوات المادية للوصول إليها ، كما أورد فيه وصفا للعديد من الحقائق الكونية والاجتماعية والنفسية ، وإن كان ما جاء فيه حق وصدق .

وَمَن أَصدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً (٨٧) (سورة النساء ، الآية ٨٧) .

(١٠١) قُل نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًي وَبُشرَي لِلمُسلِمِينَ (١٠٢) (سورة النحل ، آية ١٠٢) .

وكذلك الأمر بالنسبة للسنة النبوية الصحيحة التى ثبتت نسبتها إلى رسول الله ، فالسنة النبوية توضيح للقرآن وبيان للمراد منه تفصل مجمله وتقيد مطلقة وتخصص عمومه (٦) .

وَمَا ءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَكُم عَنهُ فَانتَهُواْ (سورة الحشر ، الآية ٧) .

وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخشَ اللَّهَ وَيَتَّقهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ (سورة النور ، الآية ٥٢) .

وَمَايَنطِقُ عَنِ الهَوَيَ (٣) إِن هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحَي (٤) (سورة النجم الآيات ٣ - ٤) .

فكل ما جاء عن رسول الله ثبتت نسبته إليه من أقوال أو سلوك ، إنما هى من الله سبحانه وتعالى ، وهى حق وصدق يجب التصديق به .

٣ - استحالة التعرض بين الوحي وبين الحقائق الكونية :

لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) (سورة الأنبياء ، الآية ٢٢) .

أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) (سورة الملك ، الآية ١٤) .

الله سبحانه وحده دون معين ولاشريك هو خلق هذا الكون فلو كان هناك أكثر من خالق لوضع كل منهم نظما وتوجيهات وقوانين مختلفة ولحدث تعارض وتناقض بينهما ولما كان الكون على مانعهده فيه من النظام والاتساق والاستمرارية ، فهو الخالق الذى وضع القوانين والعلاقات والسنن التى تسير هذا الكون بمقتضاها فى كل كبيرة وصغيرة ، وفى كل جانب من جوانبه المادية وغير المادية ، فعلمه إذن علم مطلق وصحيح وكامل (٧) .

وهو سبحانه منزل الوحى على رسوله ، فالخالق العليم بما خلق هو الذي أوحى إلى خلقه من البشر بما يريدهم أن يعرفوه ، وهو الذى تكفل بحفظ مايوحى إليهم به ، فهل يمكن أن يتعارض أو يختلف ما جاء به الوحى من بيان لبعض سنن الله سبحانه وتعالى فى خلقه عما تكون علي هذه السنن فى الواقع !!!؟ ، إننا نسلم ونؤمن بأن مانزل به الوحى لايمكن أن يتعارض مع الحقائق الكونية .

إننا نؤمن باستحالة التعارض بين مانزل به الوحى فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التى ثبتت نسبتها إلى رسول الله ﷺ وبين الحقائق الكونية فى واقعنا المادى والإجتماعى . أما مايحدث فى بعض الأحيان من شبهة فى هذا التعارض ، فمرجعه إلى عاملين اثنين هما :

١ - التسرع فى الربط بين ما نزل به الوحى وبين نظريات لا تطابق الواقع ولاتعبر عن سنن الله سبحانه فى خلقه .

٢ - الخطأ فى فهم ما نزل به الوحى ، أو التعسف فى تحميله مالا يحتمل من تفسير وتأويل ، ذلك أنه يمكن فهم بعض الآيات القرآنية أو بعض الأحاديث النبوية الشريفة على أكثر من وجه ، وقد يكون فهمنا فى بعض هذه الأوجه غير صحيح ، ولاتؤخذ القضية على وجهها الصحيح ، حيث أن التناقض ليس بين ماتم إلى اكتشافه من سنن الله فى خلقه وبين مانزل به الوحى ، ولكنه تناقض بين الحقيقة الكونيه ، وأحد الأوجه التى فهم بما الوحى ، كما أن تبنى بعض المجتهدين لبعض النظريات وحماسهم الشديد لها قد يدفعهم إلى لىّ

أعناق الآيات والآحاديث الشريفة وتحميلها ما لا تحتمل حتى تتفق مع ماتبنوه من نظريات ، كما قد يتحيزون لتفسير أو تأويل دون غيره علي الرغم من كونه مرجوحا بغيره .

٤ - الوجود الدنيوي أحد أشكال الوجود الإنساني سبقه ويليه أشكال آخر للوجود :

لايقتصر الوجود الإنساني على مرحلة الحياة الدنيوية كما أن الصورة التى يوجد عليها الوجود الدنيوى ليست هى الصورة الوحيدة للوجود الإنسانى ، فالوجود البشرى الدنيوى الذى نحياه ونشعر به إنما هو صفحه محصورة بين صور أخرى من الوجود الغيبى قبل الميلاد وبعد الممات [٨] .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُم أَمْوَٰتاً فَأَحيَٰكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحْيِيكُم ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ (٣٨) (سورة البقرة ، الآية ٢٨) .

وتثبت هذه الآية للإنسان موتين وحياتين ، معلوم أن الموت صورة من صور الوجود الإنسانى تكون الروح فيه منفصلة عن الجسد ثم يتحول هذا الوجود إلى الوجود البشرى الحالى ثم تخرج الروح من الجسد عند موت الإنسان عقب انتهاء أجله فى هذه لحياة الدنيا ثم تعود الروح إلى الجسد مرة اخرى ليبعث فى حياة اخرى يوم القيامة[٩].

وقد أخبر الله سبحانه عما حدث للإنسان قبل حياته الدنيا من قبول الإنسان لحمل الأمانه التى عرضها الله سبحانه عليه وإشهاده بالربوبية لله ، وبما يريده الله سبحانه وتعالى من الإنسان فى حياته من إيمان به والتزام بمنهجه ومايحدث له بعد موته سؤاله فى القبر ومايحدث له فيه من النعيم أو العذاب ، ومايحدث يوم القيامة من بعث وجزاء وخلود إما فى الجنة أو فى النار .

إِنَّا عَرَضنَا الأَمَانَةَ عَلَي السَّمَوات وَالأَرضِ وَالجِبَالِ فَأَبَينَ أَن يَحمِلنَهَا وَأَشفَقنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢) (سورة الأحزاب ، الآية ٧٢) .

وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَي أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُوا بَلَي شَهِدنَا أَن تَقُولُواْ يَومَ القِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَفِلِينَ (١٧٢) سورة الأعراف ، الآية١٧٢) .

اليَومَ تُجزَي كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت لاَظُلمَ اليَومَ إِنَ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَاب (١٧) (سورة غافر، الآية ١٧) .

كما أن حقيقة الإنسان فى مرحله الوجود الدنيوى لاتقتصر على مجرد الجسد المادى الذى يمكن إدراكه بالحواس ، وإنما هناك مكون آخر يدخل فى عالم الغيب هو الروح وهى سر تكريم الانسان على كثير من خلق الله .

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَنِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَلَةٍ مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصَرَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَاتَشكُرُونَ (٩) (سورة السجدة ، الآيات ٧ – ٩) .

وَلَقَد كَرَّمنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَهُم فِي البَرِ وَالبَحرِ وَرَزَقنَهُم مِنَ الطَّيِّبَتِ وَفَضَّلْنَهُم عَلَي كَثِيرٍ مِّمَّن خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) (سورة الاسراء . الآية ٧٠) .

ويقتضى التسليم بذلك تصحيح النظرة إلى الحياة الدنيا فهى ليست كل شئ ، وطموح الإنسان السوى لايجب أن يقتصر على مجرد مايستطيع تحقيقه فى الحياة الدنيا ، بل يجب ان يذهب إلى ماهو أبعد ، إلى تحقيق السعادة الدائمة والأبدية فى الحياة الآخرة بطاعة الله فيما أمر به ، والانتهاء عما نهى عنه .

٥ – الانسان هو الاختيار محاسب على اختياره الإرادى :

أثبت القرآن الكريم اثباتا بينا لالبس فيه حرية الإنسان فى الاختيار ومسئوليته فى تحمل نتائج هذا الاختيار .

إِنَّا هَدَينَهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وإِمَّا كَفُوراً (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلكَفِرِينَ سَلَسِلاَ وَأَغلَلاً وَسَعِيراً (٤) إِنَّ الأَبرَارَ يَشرَبُونَ مِن كَأسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥) . (سورة الانسان ، الآيات ٣ – ٥) .

وقد كفل الله سبحانه للإنسان العدل الكامل والمطلق ، فقد وهبه أداة الاختيار وهى العقل وبين له عن طريق الوحى مايفعل وما لايفعل ، وأوجد له من البدائل مايمكنه من اختيار مايريد ، وبين له النتائج المترتبة على اختيار كل بديل ، بل واسقط عنه الحساب والعقوبة إذا لم تتوفر له جميع مقومات الاختيار الحر ، أسقطها عن الصغير الذى لم يكتمل نضجه العقلى ببلوغه سن الحلم ، وعن المكره الذي لا اختيار له ، وعن مريض العقل المجنون الذى لايدرى ماذا يفعل .

يَومَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَنُ مَاسَعَي (٣٥) وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِمَن يَرَي (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَي (٣٧) وَءَاثَرَ الحَيَوةَ الدُّنيَا (٣٨) فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأوَي (٣٩) وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَي النَّفسَ عَنِ الهَوَي (٤٠) فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوَي (٤١) (سورة النازعات ، الآيات ٣٥ – ٤١) .

وتكون النتيجة الحتمية للاختيار بعد ذلك أن البعض يختار الحق ويختار البعض الآخر الباطل ويسير البعض على الصراط المستقيم ويخرج البعض عنه . وعلاقة الدنيا بالآخرة هى علاقة الصلة بالمعلول والمقدمة بالنتيجة ، والشجرة بالثمرة فعلى حسب الاختيار تكون النتيجة (١٠) .

ويقتضى التسليم بذلك رفض مبدأ الجبرية أو الحتمية فى السلوك الإنسانى ، فالإنسان ليس أسيرا لقهر الظاهرة الاجتماعية ، كما انه ليس اسيرا لخبرات لاشعوره أو خبرات طفولته المبكرة ، وإنما هو مختار محاسب متى توفرت مقومات هذا الاختيار .

كُلُّ نفسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) (سورة المدثر ، الآية ٣٨) .

ثانيا – مفهوم الانحراف

أصل كلمة الانحراف فى اللغة العربية (حَرَفَ) ويقال حرف الشئ يحرف حرفا وتحرف وانحرف واحرورف ، وحرّف كل شئ طرفه وشفيره ومنه حرف الجبل أي أعلاه المحدب ويقال فلان على حرف من أمره أي على ناحية منه ، وتحريف الكلم عن مواضعه تغييره ، وفى حديث أبى هريرة « آمنت بمحرّف القلوب » هو المزيل أى مميلها ومزيغها وهو الله تعالى (١١) . فالانحراف إذن هو ترك الحق والوسيطة والاستقامة ، ويقتضى الانحراف منحرفا عنه ومنحرف .

أما المنحرف عنه فهو الطريق المستقيم ، والصراط في لغة العرب هو الطريق ، والمستقيم هو الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، وهو دين الإسلام وسمى الدين طريقا لأنه يؤدى إلى الجنة فهو طريق اليها (١٢) .

والصراط المستقيم لايكون الاّ واحدا من خرج أو انحرف عنه وقع فى طريق من طرق الضلال ، وهو طريق الأمة الوسط الواقع بين طرفى الافراط والتفريط ، ويتضمن أمورا باطنة فى قلب الإنسان وضميره من اعتقادات ، وإرادات ، وتوجهات وأمورا ظاهرة من أقوال ، وأفعال ، سواء كانت عبادات مثل الصلاة ، والزكاة ، الصوم والحج وغيرها ، أو عادات في الطعام والشراب والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة وغيرها ، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينها ارتباط ، فما يوقن فى القلب من مشاعر وأحوال واعتقادات يوجب أمورا ظاهرة من الأقوال والأفعال ، ومايحدث من أقوال وأفعال يوجب فى القلب شهورا وأحوالا (١٣) .

وهذا الطريق واحد لاثانى له وهو مابعث الله به رسله، وانزل به كتبه ، وفى ذلك يروى ابن مسعود عن رسوله الله « خط لنا رسول الله خطا ، وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه ويساره ، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل شيطان يدعو اليه

ثم قرأ قوله تعالى . ﴿ ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (١٤) . وهو منهج الله سبحانه وتعالى للبشر الذى اوجب عليهم الالتزام به ، ووضع لهم فى فاتحة الكتاب دعاء بالهداية إليه يدعون به فى كل ركعة من ركات صلواتهم .

والصراط فى الآخرة هو جسر مضروب على جهنم يؤدى إلى الجنة يجوز الناس ، وعلى جنبتيه ، كلاليب تختطف اناسا هى أعرف بهم من الرجل بولده فتهوى بهم فى النار ، ويكون جواز الناس على الصراط بقدر أعمالهم فمنهم من يجوز كالبرق ، ومنهم من يجوز كالريح ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يحبو على وجهه ويديه ورجليه(١٥) ، وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : « ... ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله ﷺ ، فاكون اول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم ، اللهم سلم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رايتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنها لايعلم عظمها الا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم : منهم الموبق بعلمه ، ومنهم المخردل ثم ينجو .. » (١٦) . ومن هدى إلى الصراط المستقيم فى الدنيا ، هدى إلى الصراط المستقيم فى الآخرة.

فالمنحرف اذن هو الخارج عن منهج الله سبحانه وتعالى وهو دينه الذي ارتضاه للناس بما تضمنه من اوامر ونواهى تنظم للناس امور حياتهم .

وَإِنَّ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ عَنِ الصِّرَطِ لَنَكِبُونَ (٧٤) (سورة المؤمنون ، الآية ٧٤).

والنكوب فى اللغة العربية تعنى العدول عن الشئ أو الميل عنه إلى غيره ، ومنه نكبت الريح اذا لم تستقم على مجرى (١٧) .

وينقسم الناس بحسب معرفتهم لهذا المنهج والعمل به إلى :

١ - عالم بالمنهج وعامل به وهم الذين عرفوا منهج الله وآمنوا بأنه الحق واتبعوا ماجاء به ، فاتمروا بما أمر به ، وانتهوا عما نهى عنه ، وهم المشار إليهم فى سورة الفاتحة على أنهم أصحاب الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم .

اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا الضَّالِّينَ (٧) (سورة الفاتحة ، الآيات ٦ - ٧) .

٢ - عالم بالمنهج تارك له وهو الذى يعرف المنهج ، ويعلم أنه الحق من عند الله ولايتبعه إتباعا لهواه ولمصالحه الدنيوية .

أفرءيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله علي علم وختم علي سمعه وقلبه وجعل علي بصره غشوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (٢٣) (سورة الجاشية ، الآية ٢٣) .

وأولئك هم المغضوب عليهم المشار إليهم فى فاتحة الكتاب .

٣ - جاهل بالمنهج ضال عنه غير عالم به بالطبع .

يدعوا من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلل البعيد (١٢) (سورة الحج ، الآية ١٢) .

وأولئك هم الضالون الذين خرجوا عن الصراط المستقيم وهم يحسبون أنهم أهدى من غيرهم وأن مايسيرون عليه أفضل مما يسير عليه غيرهم .

قل هل ننبئكم بالأخسرين أعملا (١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٤) أولئك الذين كفروا بايت ربهم ولقائه فحبطت أعملهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا (١٠٥) (سورة الكهف ، الآيات ١٠٣ - ١٠٥) .

وبناء على ماتقدم ، يمكننا أن نعرف الانحراف من المنظور الإسلامى على أنه : «معصية الله سبحانه بفعل مانهى عنه أو ترك ما أمر به » .

ثالثا - أنواع الانحراف

ويمكن تصنيف الانحراف من المنظور الاسلامى ، طبقا لمعايير متعددة على النحو التالى :

١ - تصنيف الانحراف طبقا لموضوعه :

- انحراف في علاقة الإنسان بالله .
- انحراف فى علاقة الإنسان بالإنسان .
- انحراف فى علاقة الإنسان بسائر خلق الله .

٢ - تصنيف الانحراف طبقا لامكانية مشاهدته واثباته :

- انحرافات ظاهرة .
- انحرافات باطنة .

٣ - تصنيف الانحراف طبقا لتوقيت العقوبة عليه :

- انحرافات عقوبتها فى الدنيا .
- انحرافات عقوبتها فى الآخرة .

٤ - تصنيف الانحراف طبقا لطبيعة الفعل المنحرف :

- انحراف بالاتيان .
- انحراف بالترك .

٥ - تصنيف الانحراف طبقا لاتجاهه :

- انحراف بالتفريط .

- انحراف بالافراط .

٦ - تصنيف الانحراف طبقا لجسامة المعصية :

- الكبائر .

- السيئات (اللمم) .

١ - تصنيف الانحراف طبقا لموضوعه :

أ - انحراف فى علاقة الانسان بالله .

وليس للعبد تجاه سيده إلا الطاعة فى كل ما يأمره به وينهاه عنه من اعتقادات وأقوال وأفعال ويشوب علاقة الإنسان بالله نوعان من الانحراف هما :

- انحراف في العقيدة :

السواء فى العقيدة هو التوحيد وذلك بان يعلم الإنسان ويعتقد ويشهد بأن الله وحده لاشريك له ، ليس كمثله شئ ، لا إله غيره ولايعجزه شئ ، لايغنى ولايبيد وأنه هو الخالق والرازق والعالم لايخفى عليه شئ والا يعبد إلا إياه مخلصا له الدين بلا ند ولاشريك ، ولاينسب إليه إلا ما اخبر به سبحانه عن نفسه (١٨) .

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَٰئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَإِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) (سورة آل عمران ، الآية ١٨) .

وانحراف العقيدة هو ماخرج عن التوحيد ومنها الكفر وهو إنكار وجود الله سبحانه مثل ماتتبناه بعض الفلسفات المادية الملحدة التى ترى أن المادة هى أصل الكون دون موجد أو خالق ، والشرك وهو اعتقاد الإنسان بوجود شريك لله سبحانه وتعالى فى خلقه .

- انحراف فى العبادة :

لايعبد الله سبحانه إلا بما شرع ، فهو سبحانه الذى يحدد كيف يعبد وبالتالى فالانحراف فى العبادات هو قصد غير الله سبحانه بالعبادة مثل عبده الاصنام أو النجوم أو النار أو غير ذلك من المخلوقات ، أو عبادته سبحانه بغير ماشرع ، وذلك بابتداع أشياء فى العبادات لم يأمر الله سبحانه بها أو التبديل فيها أو ترك عبادات أمر الله سبحانه بها فقد حدد الله سبحانه وتعالى مايجب ان يعبد به ، ووضع لنا رسوله القواعد التطبيقية لكل من هذه العبادات التي تيسر لنا هذا الاتباع ، وقد حدد

الرسول هذه العبادات فى الحديث الصحيح « بنى الإسلام على خمس : شهادة ان لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»[١٩]، وقد نهى الرسول عن البدع فكل بدعة ضلالة والبدعة هى ان يحدث الإنسان فى الدين ماليس فيه .

ب - انحراف فى علاقة الإنسان بالإنسان :

والانحراف فى علاقة الإنسان بالإنسان هو إتيان الإنسان لما حرمه الله علي فى حق أخيه الإنسان ، فكل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه ، كما أن سبابه واغتيابه وهجره ، والسخرية منه مما حرمه الله ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ، ويده ، ولايسلم من لايأمن جاره بوائقه أى أذاه ، ولذلك سن الله سبحانه الحدود لعقاب من يعتدى على حرمات الناس ، فجعل القتل جزاء من يقتل متعمدا ، وجعل الجروح قصاص ، فالعين بالعين ، والسن بالسن ، وجعل قطع اليد عقوبة السارق والرجم عقوبة الزانى المحصن ، والجلد والتغريب عقوبة الزانى غير المحصن ، والقتل والصلب جراء الحرابة ، والجلد عقوبة رمى المحصنات بالسوء ، فهذه كلها خروج علي حدود الله وانحراف عنها .

جـ - انحراف فى علاقة الإنسان بسائر خلق الله :

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ (٢٠)(سورة لقمان . الآية ٢٠).

فقد سخر الله للإنسان أجناسا عديدة من الخلق من حيوان ونبات وجماد وجعلها فى خدمته تمده بما يحتاج اليه من ماكل ومشرب وملبس ومأوى وأمره بإن يستخدمها فى طاعة الله وأن يشكر الله علي نعمه وأن يرعى الله فيها .

والانحراف فى علاقة الإنسان بخلق الله من الحيوانات يتضمن التقصير فى رعايتهما وإطعامها وسقيها ، وتحميلها مالاتطيق ، وفى الاثر ان إمرأة دخلت النار بسبب قطة حبستها ، فلا هى اطعمتها ولا هى تركتها تاكل من خشاش الارض ، اما النباتات فالانحراف يتضمن إتلافها دون حاجة والسفه والتبذير فى استخدامها ، ومنعها عمن يحتاج إليها ، فإذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسلة فليغرسها .

والناس شركاء فى ثلاث : الماء ، الكلأ ، والنار ، وأما الجمادات فالانحراف فى استخدامها يتضمن السفه والتبذير ومنعها عمن يحتاج إليها واستخدامها فى معصية الله .

٢ – تصنيف الانحراف طبقا لمدى ظهوره :

أ – الانحرافات الظاهرة :

وهى أنماط السلوك الظاهرالتى يمكن للآخرين أن يدركوها بحواسهم وأن يكونوا شهودا عليها ويمكن إثباتها وإقامة الدليل عليها ، وتنقسم بدورها إلى قسمين هما :

– انحرافات اللسان :

يقول الله سبحانه :

مَّايَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) (سورة ق ، الآية ١٨) .

ويقول رسول الله ﷺ : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لايلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقى لها بالا يهوى بها في جهنم »[٢٠] .

فكل كلام الإنسان محسوب عليه ومحاسب عليه أيضا والسواء فى هذا الاّ يتكلم الإنسان إلاّ بخير وأن يصمت عما سوى ذلك من اللغـــو وهو الكلام عن سفاسف الأمور ، وفى ذلك يقول رسول الله : « من كان يؤمن بالله فليقل خيرا أو ليصمت ...» [٢١] .

وانحرفات اللسان عظيمة الخطر فقد قال رسول الله : « إن العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها ، يزل بها فى النار أبدع مما بين المشرق »[٢٢] ، ويؤدى عدم حفظ الإنسان لسانه إلى كبه على وجهه فى النار ، وانحرافات اللسان عديدة ونذكر منها :

– **الغيبـــة** :

وهى أن يذكر الانسان إنسانا آخر بما يكره سواء بنقص فى بدنه أو خلقه أو فعله أو دينه أو دنياه أو حتى فى ثوابه وداره وهى ثلاث درجات أخفها الغيبه وهى ذكر أخيك بما تعرفه فيه بنفسك من عيوب ، ثم الإفك وهو ذكر مابلغك عنه من عيوب لم تعرفها عنه بنفسك ولكنك تنقلها عن غيرك ، وأشدها البهتان وهو ذكر عيوب ونقائص تنسبها إلي وأنت تعلم أنها ليست فيه ، وقد تكون الغيبة بالقول الصريح أو بالإشارة .

ويقول الله سبحانه فى الغيبة :

وَلاَيَغْتَب بَّعضُكُم بَعضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يأكُلَ لَحمَ أَخِيهِ مَيتاً فَكَرِهتُمُوهُ وَاتقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) (سورة الحجرات ، الآية ١٢) .

ويقول رسول الله ﷺ : « ولايغتب بعضكم بعضا ، وكونوا عباد الله إخوانا »[٢٣].

- النميمـــة :

وهى كشف الإنسان لما سمعه من شخص عن شخص آخر مما يكره لهذا الآخر سواء كره هذا الشخص القائل او المقول فى حقه مثل أن يقول الشخص الأخر فلان قال فيك كذا وكذا وفى ذلك يقول الله سبحانه :

وَلَاتُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) (سورة القلم، الآيات ١٠، ١١) .

ويقول رسول الله :

« ... وإن ابغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبرءاء العثرات » (٢٤) .

- الكذب فى القول والوعد باليمين :

والكذب فى القول هو اختلاق أشياء لم تحدث وروايتها على أنها قد حدثت أو رواية ماحدث على غير الصورة التى حدث بها . والسواء فى هذا ألاّ يقول الإنسان إلاّ الحق ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِآيَتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمَ الْكَذِبُونَ (سورة النحل ، الآية ١٠٥) .

ويقول رسول الله : « إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار » (٢٥)

ويقول رسول الله : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان » (٢٦) .

والسواء فى هذا الا يعد الانسان إلاّ بما تطمئن إليه نفسه ، وأن يربط وفاءه بالوعد بمشيئه الله ، وأن يبذل كل مافى وسعه للوفاء بالوعد وأن يشرح عذره لمن وعد إذا حال دون الوفاء بوعده حائل .

واليمين الكاذبة ويطلق عليها وأحيانا اسم اليمين الغموس ، لأنها تغمس صاحبها فى النار ، وهو أن يقسم الإنسان على أمر ، وهو يعلم أنه على غير ما أقسم وفى ذلك قول رسول الله انه قال « « إن التجار هم الفجار » ، فقيل يارسول الله اليس قد أحل الله البيع ؟ قال : « نعم ولكنهم يغلفون ، فيأثمون ، ويحدثون ، فيكذبون » (٢٧) .

- اللعن والسب والفحش فى القول :

واللعن هو الطرد من رحمة الله وذلك بان ينسب الانسان اللعن الى آخر كان يقول لعن الله فلانا ، أو فلان هذا ملعون وقد نهى رسول الله عن لعن أى شئ حتى الحيوانات والجمادات « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ... » (٢٨) .

والسب هو نسبه الصفات القبيحة من شخص إلى شخص آخر ، وقد نهى رسول الله عن السب بقول : « المتسابان شيطانان يتعاونان ويتعارجان » (٢٩) .

والفحش فى القول هو التعبير عن الأمور المستقبحة والتى يستحى منها بالفاظ وعبارات صريحة والسواء فى هذا أن يعبر عنها بالكناية مثل التعبير عن التبول والتبرز بقضاء الحاجة ، وفي النهى عن ذلك يقول رسول الله « إياكم والفحش فإن الله تعالى لايحب الفحش ولا التفحش » (٣٠).

كما توجد أنواع أخرى من انحرافات اللسان لايسمح المجال بعرضها تفضيلا مثل المراء والجدال وذلك بالاعتراض على كلام الغير بإظهار مافيه من عيوب تزكية للنفس وتحقيرا للغير ، والتقعر فى الكلام وتكلف الفصاحة ، وخوض الإنسان فيما لايعنيه(٣١).

– انحرافات الجوارح :

جوارح الإنسان وحواسه جميعها شأنها شأن سائر النعم التى أنعم الله بها علي الإنسان فى الدنيا مثل المال والجاه والعلم وغيرها يمكن أن تستخدم فى طاعة الله ويمكن أن تستخدم فى معصيته والسواء فى استخدام الجوارح أن تستخدم فيما هو مباح ، فالعين لاتنظر إلاّ إلى ما أحل لها النظر إلي ، واليد لاتمتد الاّ إلى ما أحل الله لها من مال ولاتمتد إلى الآخرين إلاّ بالخير والقدم لاتعسى إلاّ فى الخير والآذن لاتسمع إلاّ ما هو مباح فلا تتجسس ولاتتلصص .

وانحرافات الجوارح عديدة ، وتشتمل على كل الانحرافات التى تجرمها القوانين الوضعية على اختلافها مثل القتل والزنى والسرقة وإتلاف ممتلكات الغير ...الخ ، بالاضافة إلى أنواع أخرى من الإنحرافات التى حرمها الإسلام مثل شرب الخمر والربا والنظر إلي مالم يحل للإنسان أن ينظر إليه .

ب – الانحرافات الباطنة :

وهى أنواع من الانحراف التى لايمكن مشاهدتها بصورة مباشرة مثل الانحرافات الظاهرة ، ولايمكن إثباتها إلاّ بإقرار ممن يعانى منها ، فهو الذى يستطيع ان يعلم عن وجودها وأن يصفها ، وغالبا ماتكون مقدمة للانحرافات الظاهرة ، وهى عبارة عن خواطر شر تجمع بين أفكار ومشاعر منحرفة تلح على النفس وتعاودها بين الحين والآخر .

ومن أهمها مايلى :

– الكبر :

وهو ظن الإنسان فى نفسه انه خير من الآخرين فيعظم نفسه ويحقر غيره ، وللكبر أنواع متعددة ، فهناك من يتكبر بعلمه ، وهناك من يتكبر بماله ، وهناك من يتكبر بسلطانه ونفوذه ... إلخ ، وإذا استقر الكبر فى النفس وتخلقت به ظهرت ثماره على سلوك صاحبه فى التكبر، حيث يتحول من مجرد ظن فى نفس صاحبه إلى سلوك

يمارسه تجاه الآخرين ، فيضع نفسه فى مكان أعلي منهم ويعمد إلى تحقير آرائهم والترفع عن مجالستهم وازدرائهم ، وإقصائهم عن نفسه والآنفه من مساواتهم به [٣٢] ، وقد كان الكبر سببا فى إقصاء إبليس عن رحمة الله لما ظنه من تفوق عنصره وهو النار على عنصر آدم وهو الطين فرفض السجود له لما أمره الله بذلك .

وقد ورد ذم الكبر والتكبر والمتكبرين فقد قال الله سبحانه :

... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) (سورة غافر ، الآية ٣٥) .

.. إِنَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) (سورة النحل ، الآية ٢٣) .

ويقول رسول الله : « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر .. »[٣٣].

- الحسد :

هو كراهية الإنسان لنعم الله التى أنعم الله بها على الآخرين وتمنى زوالها عنهم دون أن يضره وجود هذه النعم لديهم وفى بيان هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ : «إن لنعم الله أعداء » فقيل ومن هم قال : « الذين يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله»[٣٤] .

فالحسد سخط على قضاء الله سبحانه فى إنعامه على المحسود ، وإذا انساق الإنسان وراء الحسد قاده إلى البغى وذلك بان يخرج من حدود تمنى زوال النعمة إلى العمل على ازالتها بالفعل فقد يدفع الحسد إلى ايذاء المحسود بمختلف الوسائل وذمه وبيان مساوئه .

وفى ذلك يقول رسول الله : « ... واذا حسدت فلا تبغ »[٣٥].

وقد نهى الله سبحانه عن الحسد وأمر بالتعوذ من شر الحاسد كما نهى رسوله ﷺ عن الحسد فقال : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[٣٦] .

والسواء فى ذلك الاَّ يسخط الإنسان على قضاء الله فهو المنعم المتفضل الذى يؤتى من يشاء من فضله وان يحب الإنسان لأخيه مايحب لنفسه .

- سوء الظن :

هو اتهام لادليل عليه ينسب السوء إلى من لاينسب السوء إليهم عادة فهو يرميهم بما ليس فيهم من صفات سيئة أو ينسب اليهم مالايرتكبوه من أفعال ذميمة ، ومن ذلك سوء الظن بالله سبحانه وعدم الرضي بقضائه وعدم القناعه بما قسم الله له من مال وولد ، وسوء الظن بالناس بنسبة العيوب والنقائص إليهم بينه وبين نفسه والشك في نواياهم وتوقع الشر منهم ، وفى النهى عن سوء الظن يقول الله سبحانه :

وَظَنَنتُم ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُم قَوماً بُوراً (١٢)(سورة الفتح ، الآية ١٢)

والسواء فى ذلك ان يُحسن الإنسان الظن بالله سبحانه ويؤمن أنه لايقضى للمؤمن إلاّ بالخير وان مايصيبه من خير فمن الله ومايصيبه من شر فمن نفسه ، وأن يحسن الظن بإخوانه المسلمين فلا يستبيح ظن السوء إلاّ بالمشاهدة او البينة العادلة ، عليه ان يفسر مايراه او تقوم عليه البينة بأحسن تفسير ممكن وأن يلتمس لهم العذر إذا لم يكن من الممكن أن يحصله على وجه حسن (٣٧).

- الرياء :

هو طلب المنزلة فى قلوب الناس بأن يريهم الانسان صفات الخير من نفسه على غير الحقيقة ، والرياء نوع من الشرك بالله فالله سبحانه هو مقصود المؤمن فى عبادته فإذا عظم الناس فى قلب الإنسان ورغب فى الحصول على منزلة رفيعة فى نفوسهم أشركهم مع ربه في قصده من العبادة فحرص على الصلاة والصيام والصدقة أمامهم ولو كان بمفرده مافعل .

والرياء أنواع ودرجات متعددة فهناك رياء بأصل الدين بأن يظهر الإنسان الإيمان وهو يبطن الكفر ، والرياء بالعبادات ، والرياء بالطاعات ، وقد قال سبحانه فى المرائين:

يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَيَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) (سورة النساء ، الآية ١٤٢) .

وقد قال رسول الله ﷺ فى ذم الرياء : « إن اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا ، وأن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة » (٣٨) .

والسواء في هذا أن يكون الله هو مقصود المؤمن بأعماله الصالحه فإذا تصدق لم تعلم شماله ما أعطت يمينه ولم يفاخر بما فعل ولم يذكره .

وتوجد أنواع أخرى من الانحرافات الباطنة التى لايتسع المجال لتناولها بالتفصيل ونتكفى بإشارة سريعة إليها منها الانسياق فى إتباع الهوى ، والمبالغة فى الغضب ، والحقد ، والعجب ، واليأس والطيرة والجزع والطمع والبخل (٣٩) .

٣ - تصنيف الانحراف طبقا لتوقيت العقوبة عليه :

يمكن تصنيف الانحراف طبقا لتوقيت العقوبة عليه إلى قسمين هما :

أ - انحرافات لها عقوبة دنيوية :

وتنقسم الانحرافات ذات العقوبة الدنيوية إلى :(٤٠)

- انحرافات (جرائم) الحدود :

هى الانحرافات التى تمثل اعتداء على حدود الله ومحارمه ، كما وردت فى القرآن والسنة ، وقد حدد الإسلام هذه الإنحرافات على سبيل الحصر ، كما حدد عقوبة كل منها لاتزيد ولاتنقص ، وهى الزنا ، القذف ، شرب الخمر ، السرقة ، الحرابة ، الردة ، البغى، وقد ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تحديد دقيق لكل منها والعقوبة التى توقع على مرتكبها وكيفيه تطبيقها ، والحد حق لله فلا تقبل الإسقاط أو العفو من الفرد أو الجماعة . وقد أنب رسول الله أحد الصحابة عندما أراد أن يشفع في امراة من بنى مخزوم سرقت ، فأمر بإقامة الحد عليها قائلا : « اتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : ايها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع يدها » (٤١) .

- انحرافات القصاص والدية :

وهى الانحرافات التى يعاقب المنحرف على ارتكابها بالاقتصاص منه أو دفع الدية ، وكل من القصاص والدية عقوبة محدودة ومعروفة وليس لها حد أدنى أو أقصى ، وهى من حقوق الأفراد بمعنى جواز العفو عنها ، وهى القتل العمد وشبه العمد والقتل الخطأ والاعتداء الذى لايؤدى إلى الموت كالجرح والضرب . وفى ذلك يقول الله سبحانه :

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَي الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَي بِالأُنْثَي فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَئٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيهِ بِإِحسَنٍ .. (سورة البقرة ، الآية١٧٨) .

- انحرافات التعزير :

التعزير هو التأديب وقد نصت الشريعة الإسلامية على بعض هذه الانحرافات ومنها الربا وخيانة الأمانة والسب والرشوة ، ولم تحدد عقوبة معينة لكل منها كما هو الأمر فى النوعين السابقين ولكن يوجد حد أدنى وحد أقصى لجرائم التعزير ويترك الحكم بالعقوبة التى تقتضيها مصلحة المجتمع وظروف ارتكاب الانحراف ، ومن أمثلتها فى السنة النبوية السرقة التى لاتوجب الحد ، ومماطلة المدين الموسر ، والشطط في تأديب الزوجة والأبناء (٤٢).

ب - انحرافات عقوباتها في الآخرة :

توجد فى الإسلام انحرافات متعددة لم تحد لها عقوبات دنيوية ، رغم النص على تحريمها وقد توعد الله من يرتكبها بعقوبات أخروية مثل الكفر والنفاق والمشى بين الناس بالنميمة ، وسوء الظن ، والغيبة ، وأكل الميتة ولحم الخنزير ، والحسد .

٤ - تصنيف الانحراف طبقا لطبيعة الفعل المنحرف :

يصنف الفقهاء الانحراف طبقا لطبيعة الفعل المنحرف إلى :[٤٣]

أ - انحراف بالاتيان :

وذلك بإتيان فعل منهى عنه مثل السرقة والزنا والقتل فالمحرمات محدودة حصرا فى القرآن والسنة ولاتحريم إلاّ بنص وفى ذلك يقول الله سبحانه :

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾ .. (سورة الأنعام ، الآية ١٥١) .

ب - انحراف بالترك :

وذلك بالامتناع عن أفعال أوجبها الله سبحانه وأمر باتيانها وهذه تنقسم بدورها إلى قسمين : أولهما أن الامتناع فى حد ذاته معصية مثل منع الزكاة وترك الصلاة وعدم بر الوالدين فكل من هذه الأفعال هو انحراف عن الصراط المستقيم ومعصية لله سبحانه ، أما النوع الآخر فإن الامتناع فى حد ذاته لايشكل معصية ولكنه يمكن أن يؤدى إلى معصيه فقد حمل عمر بن الخطاب قوم دية رجل استسقى قوما لم يسقوه فمات من العطش .

٥ - تصنيف الانحراف طبقا لاتجاهه :

جعل الله سبحانه أمة الإسلام أمة وسطا ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.. (سورة البقرة ، الآية ١٤٣) .

وتوجد آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية متعددة تحث على التوسط والاعتدال وتنهى عن التطرف سواء بالإفراط أو بالتفريط ، ويمكن تصنيف الانحراف طبقاً لهذا المعيار على النحو التالى :

أ - انحراف بالإفراط :

الإفراط هو البعد عن الاعتدال والتوسط فى اتجاه المبالغة ، والمبالغة أمر غير مستحب فى أى أمر وقد نهى الاسلام عن الإفراط وعده انحرافا شأنه فى ذلك شأن التفريط تماما حتى لو كان فى العبادات فقد نهى رسول الله ﷺ من كان يريد أن يقوم الليل ومن يريد أن يعتزل النساء فلا يتزوج ومن يريد أن يصوم الدهر فلا يفطر ، وقال « ... صم وافطر وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام .. » [٤٤] .

ب - انحراف بالتفريط :

ويأتى على النقيض من الإفراط وذلك بالتعاون والتقصير فى أداء الإنسان لما أمر الله به ونهى عنه مثل ترك الصلوات المفروضة والتهاون فى الجهاد فى سبيل الله وعدم أداء فريضة الحج مع الاستطاعة والتقصير فيما كلف به من أعمال ومسئوليات .

٦ - تصنيف الإنحراف طبقا لجسامة المعصية :

يقول الله الله سبحانه :

إِن تَجتَنِبُوا كَبَائِرَ مَاتُنهَونَ عَنهُ نُكَفِر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدخِلكُم مُدخَلاً كَرِيماً (٣١) (سورة النساء ، الآية ٣١) .

ويتبين من الآية الكريم أن مانهى الإسلام عنه يمكن تصنيفه إلى كبائر وسيئات عادية ، وعلى الرغم من القول المأثور لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار ، أى أن التوبة والاستغفار تمسح الذنوب صغيرها وكبيرها ، وان إصرار الإنسان علي معصية ليست من الكبائر يحولها إلى كبيرة ، إلاّ اننا يمكن أن نصنف الإنحراف طبقاً لهذا المعيار إلى :

أ - الكبائر :

ويقصد بها كبائر المعاصى ويأتى على رأسها الموبقات السبع وهى : « ... الشرك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله إلاّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » (٤٥) ، ويقصر البعض الكبائر على هذه السبع ، ويتوسع بعضهم حتى يصل بها إلى السبعين ، بحيث يعدون كل ماورد انذار أو وعيد فى القرآن والسنة بشأنه فهو كبيرة ، ولايتسع المجال لذكرها على سبيل الحصر ، ونكتفى بذكر أمثلة منها عقوق الوالدين ، منع الزكاة ، الظلم ، الرشوة، الرياء، المشى بين الناس بالنميمة ، الكذب فى القول واليمين .. الخ (٤٦).

ب - السيئات (اللمم) :

وهى كل السيئات التى لم يرد ذكرها بين الكبائر ، وقد وردت الإشارة إلى أن الصغيرة تتحول إلى كبيرة مع المداومة والاصرار ، إلاّ أن الصلاة إلى الصلاة ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان والحج إلى الحج ، والعمرة إلى العمرة ، كفارة لما بينهما من الذنوب اذا اجتنبت الكبائر .

رابعا - خصائص المنظور الإسلامى للإنحراف

يتسم المنظور الإسلامى بعدد من الخصائص التى تميزه عن النظريات الوضعية نوجزها فيما يلى :

١ - الاعتماد على القرآن والسنة :

يعتمد المنظور الإسلامى للإنحراف اعتمادا كاملا على ما نزل فى الوحى من الله سبحانه على رسوله من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التى ثبتت نسبتها إلى رسول الله ، وعلم الله سبحانه هو علم كامل وصحيح فهو خالق الإنسان ، وهو أعلم بمن خلق ، أعلم بما يصلحه وبما يفسده ، فحين يأمره بشئ فلا بد فيه صلاح له ، وحين ينهاه عن شئ ، فلابد فيه فساد له ،فلا يخفى عليه شئ ولايضل ولاينسى .

وقد وجهت انتقادات قاسية ومتعددة إلى بعض ماشرعه الله سبحانه وكانوا يطلقون عليها « الأمور الشيطانية فى الإسلام » ويعلنون رفضهم لها فى كل مناسبة إلى أن اضطروا صاغرين إلى النزول على ما شرعه الله سبحانه لا إيمانا بالله ، ولكن تحت وطأة المشكلات المتعددة التى لم يجدوا لها حلاً إلا فيما شرعه الله . .

٢ - إتساع دائرة الإنحراف :

يتبين بالنظر إلى مفهوم الانحراف وأنواعه التى سبق عرضها مقارنا بالإنحراف بمفهومه الوضعى ، وإن المنظور الإسلامى الإنحراف أكثر اتساعا وشمولا حيث تضمن أنواعا عديدة من الانحرافات غير المتضمنة فى المفهوم الوضعى فالإنحراف فى علاقة الإنسان بالله بأنواعه ، والإنحراف فى علاقة الإنسان بسائر الخلق والانحرافات الباطنة بأنواعها المختلفة لايتضمنها المنظور الوضعى للإنحراف .

ويؤدى توسيع دائرة الإنحراف إلى تهذيب أساليب التعامل بين الناس وبعضهم ، والى تقليل مايحدث من انحرافات فى المجتمع إلى حد بعيد ، وذلك لأن العديد من الإنحرافات التى يحرمها الإسلام فى علاقة الإنسان بسائر الخلق والإنحرافات الباطنة بأنواعها المختلفة لايتضمنها المنظور الوضعى للإنحراف .

ويؤدى توسيع دائرة الإنحراف إلى تهذيب أساليب التعامل بين الناس وبعضهم ، وإلى تقليل مايحدث من انحراف فى المجتمع إلى حد بعيد ، وذلك أن العديد من الانحرافات التى يحرمها الإسلام ولاتمنعها القوانين الوضعية تعتبر مقدمات لأنواع أكبر من الانحراف ، فنظر الإنسان إلى المرأة الاجنبية وجلوسه وتعامله معها غير محرم فى القوانين الوضعية ، على حين أنه مقدمة للاتصالات الجنسية غير المشروعة والخيانة الزوجية وغيرها ، لذلك فقد حرمه الإسلام ، كما أن الخمر غير محرمة فى معظم القوانين الوضعية على الرغم مما تؤدى إليه من انحرافات فى حين أن الإسلام يحرمها .

ويرجع توسع الإسلام فى التحريم إلى عدد من الأسباب منها مايلى :

- اهمال القوانين الوضعية لعلاقات أساسية فى حياة الإنسان مثل علاقته بربه فهذه لاتدخلها فى اعتبارها كما أن معظم القوانين الوضعية لاتجرم الإنحراف فى علاقة الإنسان مع الحيوانات والجمادات .

- عجز القوانين الوضعيه من إثبات بعض الإنحرافات أمام المحاكم وإقامة الدليل عليها لإنها انحرافات تدور داخل نفس الإنسان ولايمكن إثباتها والتدليل عليها إلاّ للمنحرف نفسه ولكن الله سبحانه الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور يستطيع إثبات هذه الانحرافات والتدليل عليها لذلك أنزل الوحى بتحريمها .

- انحراف واضعي القوانين وسيرهم خلف أهوائهم تجعلهم يبيحون بعض الانحرافات لأنهم يريدون الاستمتاع بها .

٣ - العـدل :

المحل والمحرم فى الإسلام هو الله سبحانه وهو عدل وعدله كامل ومطلق فلا مصلحة له ولاهوى فى تحليل أو تحريم ولكنه سبحانه أحل للإنسان مايصلحه ويحقق له سعادة الدنيا والآخرة وحرم عليه مايفسد عليه دنياه وآخرته ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ .. (سورة الأعراف ، الآية ١٥٧)

وشرع الله سبحانه لايتحيز لجماعة ولا لطبقة ولا لفئة دون أخرى ، على حين أن القوانين الوضعية عادة ماتنحاز لصالح الجماعات والطبقات والفئات القوية فى المجتمع على حساب الفئات الآخرى (٤٧).

٤ - الثبات :

يتميز التحديد الإسلامى للإنحراف بالثبات والاستقرار ، فنصوص الشريعة ثابتة دون تغيير أو تبديل منذ مايزيد على أربعة عشر قرنا وحتى تقوم الساعة ، فلا تحريم إلاّ بنص ، والنصوص ثابتة .

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّمُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥) (سورة الأنعام ، الآية ١١٥) .

ويساعد استقرار تحديد ماهو مباح وماهو ممنوع على الالتزام بهذه الحدود ، على حين أن كثرة التغيير وإباحة أمور معينة ثم منعها ثم إباحتها يسقط هيبة هذه الحدود ويغرى البعض على الخروج عنها ، كما ان تحريم أمر معين فى مجتمع ما علي حين يعلم أفراد هذا المجتمع بإباحته فى مجتمع أخر يشكك فى قوة اقتناعهم بالمصلحة فى

هذا المنع ، هذا بالإضافة إلى ان اختلاف حدود المنع والإباحة من مجتمع إلى أخر يسبب مشكلات عديدة للأفراد عند سفرهم وانتقالهم من مجتمع إلى أخر فقد يمارس فعلا مباحا فى بلده ممنوعا فى البلد التى انتقل إليها مما يسبب العديد من المشكلات .

خامسا – العوامل المؤدية إلى حدوث الانحراف

يقول الله سبحانه :

إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣) (سورة الإنسان ، الآيات ٢ – ٣) .

فقد شاء الله سبحانه أن يجعل الحياة الدنيا موضعا لامتحان الإنسان واختباره ، وكل موقف يعشيه الإنسان هو سؤال من أسئلة هذا الاختبار فى بيته ، فى مدرسته ، فى عمله ، فى الشارع ... الخ ، وجعل الله سبحانه جوهر هذا الاختبار هو اختبار الإنسان بين الحلال الحرام .

والسؤال الجوهرى هنا هو : لم يكون سلوك البعض سويا بينما يجنح البعض الآخر إلى الانحراف ؟

نلخص الإجابة على هذا السؤال فى النقاط التالية :

١ – أودع الله سبحانه فى الإنسان فطرة التوحيد ا تى تجعله يتوصل بتأمل فيما حوله وبعقله المجرد إلى أصل الإيمان بوجود خالق لهذا الكون وتجعله يستحسن الحسن ويستقبح القبيح وفى ذلك يقول الله سبحانه :

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (سورة الروم ، الآية ٣٠) .

٢ – لم يترك الله الإنسان معتمدا على فطرته فقط ، بل أرسل له الرسل والرسالات التى تدله على وجود الخالق وتحدد له ماينبغى عليه أن يفعله وماينبغى أن يتركه ، ماهو سوى وماهو منحرف ، وفى ذلك يقول سبحانه :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَبَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ .. (سورة الحديد ، الآية ٢٥) .

٣ – ترك الله سبحانه للإنسان حرية الاختيار بعد أن هيأ له أسبابه وأخبره بأنه محاسب على سلوكه الإرادى ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُم فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر .. (سورة الكهف ، الآية ٢٩)

فالإنسان حر مختار محاسب على سلوكه الإرادى ، ولإرادته الحرة الدور الرئيس فى تحديد نوعية سلوكه ، فهى مصدر أول وأميل لنية الإنسان واختياراته ، ومن ثم

لسلوكه . وقد أعفى الله سبحانه الإنسان من العقوبة على الخطأ إذا لم تتوفر لديه مقومات الاختيار الحر ، فلا إثم على المكروه أو المضطر ، ولا إثم على من فقد عقله ، ولا على ضعيف العقل ولا على الصغير الذى لم يصل بعد إلى سن البلوغ ولم تتكامل قدراته بعد .

٣ – تتحدد بناء على الاختيار الحر للإنسان صلته بالله سبحانه إما مؤمن بخالق هذا الكون ومدبره ، وإما كافر بالله أيا كان اعتقاده ، ويعتبر هذا الاختيار أمرا جوهريا مؤثراً على سلوك الإنسان فى كافة أمور حياته .

٤ – هيأ الله سبحانه القوانين والسنن الكونية فى الحياة الدنيا بما يساعد الإنسان على السير فى الطريق الذى اختاره لنفسه أيا كان اختياره ، وبحيث تستجيب له هذه القوانين والسنن بقدر اجتهاده فى السعى ، فهى تعين المؤمن الملتزم بطاعة الله على المزيد من الطاعة وتعين الكافر والمنافق على المعصية ، الأول بقدراجتهاده فى الطاعة ، والثانى بقدر اجتهاده فى المعصية .

٥ – تترك علاقة الإنسان بالله وسلوكه فى الاتجاه الذى يختاره آثارا فى قلبه تتزايد مع مرور الوقت وتشكل بدورها عاملا تراكميا مساعدا يدعم سير الإنسان على الطريق الذى اختاره ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

وَمَن يُؤمِن بِاللَّهِ يَهدِ قَلبَهُ (سورة التغابن ، الآية ١١) .

فمن يؤمن بالله يثبته الله على الإيمان (٤٨) ، فى هذا المعنى يقول الله سبحانه فى الحديث القدسى :

« ... وان تقرب إليّ بشبر تقربت اليه دراعا ، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هروله » (٤٩) . فمن سلك سبيل الطاعة والتقرب إلى الله يحبب الله إليه الطاعه ويعينه عليها ويوفقه إلى المزيد منها (٥٠) .

وإذا اختار طريق المعصية والكفر تتراكم آثار المعاصى على قلبه كل منها على شكل نقطة سوداء ، ثم تتكاثر إلى أن تتصل ببعضها البعض ، فذلك الران الذى يتزايد إلى أن يطبع علي القلب ، ويصبح محجوبا عن الله بالكليه (٥١) وفى ذلك يقول الله سبحانه :

أَوَلَم يَهدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرضَ مِن بَعدِ أَهلِهَا أَن لَو نَشَاءُ أَصَبنَهُم بِذُنُوبِهِم وَنَطبَعُ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُم لَا يَسمَعُونَ (١٠٠) (سورة الأعراف ، الآية ١٠٠) .

ويقول رسول الله : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج ، فذلك قلب المؤمن ، وقلب أسود منكوس ، فذلك قلب الكافر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق (٥٢) .

٦ – ترجع النظريات المعاصرة الانحراف إلى مجموعة من العوامل منها مايتصل بشخص المنحرف ومنها مايتصل بالمتغيرات البيئية المحيطة به وتنظر إلى هذه العوامل على أنها متغيرات مستقلة ، وإلى السلوك الانحرافى على أنه متغير تابع وكأن الإنسان مجرد متلق للتأثير ، ولكن الأمر لايستقيم على هذا النحو فما تشير إليه هذه النظريات على أنه عوامل مستقلة إنما هو عوامل وسيطة تأثيرها محايد يتوقف على طبيعة علاقة الشخص المتعرض لهذا التأثير .

٧ – يزيد الإيمان وينقص فهو يتفاوت قوة وضعفاً من شخص إلى آخر ، ولدي نفس الشخص من وقت إلى آخر ، ويكون الانحراف عادة فى الأوقات التى يضعف فيها الإيمان ، فلايزنى الزانى وهو مؤمن ، ولايسرق السارق وهو مؤمن ، وإذا عاد إليه ايمانه تاب ، ولذلك فاحتمال عودة المؤمن للانحراف ضعيفة ، واذا بلغ الإيمان منتهاه من القوة وصل بالإنسان إلى درجة الإحسان فهو يعبد الله كأنه يراه ، ومن يصل إلى هذه الدرجة يصعب ارتكابه للانحراف فشعور الانسان بأن الله يراه تجعل بينه وبين الانحراف مانعا قويا ذلك أن الخوف من عذاب الله، والخجل من مطالعة الله له وهو يعصيه والطمع فى ثوابه يدفع الإنسان إلي التمسك الدقيق بصراط الله المستقيم وعدم الخروج عنه .

٨ – قد توجد عوامل تدفع الإنسان المؤمن إلى الانحراف مثل وجوده في وسط منحرف ، أو تعرضه لنقص كبير فى إشباع حاجاته الأساسية أو لإغراء منصب أو جاه أو علاقة أساسيه فى حياته ، وبقدر قوة إيمان من يتعرض لهذا الموقف بقدر صموده وعدم وقوعه فى الانحراف وأيضا بقدر مايعده الله سبحانه له من أجر ، وفى هذا المعنى يقول رسول الله : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلاَ ظله .. » وذكر من بينهم : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال ، فقال إنى أخاف الله تعالى»(٥٣) ، ويقول أيضا : « ان الله يحب الفقير المتعفف » (٥٤) .

٩ – بناء على ما تقدم يمكننا القول أنه لحدوث الانحراف لابد من وجود عاملين فى وقت واحد هما :

أ – ضعف الايمان أو عدم وجوده بالمرة ، وبذلك يضعف ويزول الوازع الذى قد يمنع الإنسان من الانحراف ، وقد ثبت من واقع الدراسات الإمبريقية وجود علاقة عكسية داله إحصائيا بين مستوى التدين والسلوك الإجرامى(٥٥) .

ب – وجود مراحل محركة ومشجعة على الانحراف سواء كانت هذه العوامل راجعة إلى المنحرف مثل الحاح شهوة أو حاجة غير مشبعة ، أو راجعة إلى الظروف المحيطة به مثل رفاق السوء أو انتشار الانحراف فى المجتمع ، أو غيرها .

١٠ – ترك الله سبحانه باب التوبة مفتوحا للإنسان إذا أراد أن يعدل من اختياراته فى أى وقت إلي ان يغرغر أو أن تشرق الشمس من مغربها ومتى استوفت التوبة شروطها فإنها تجب ماقبلها ، فالتائب من الذنب كمن لاذنب له .

سادسا – المنظور الإسلامى لمواجهة الانحراف

تتكامل جوانب الشريعة الإسلامية مع بعضها البعض تكاملا محكما يقلل من حدوث الانحراف فى المجتمع إلى أدنى حد ممكن ، فمن هذه الجوانب مايستهدف الوقاية من الانحراف وتثبيت أفراد المجتمع على الصراط المستقيم ، ومنها مايعمل على منع وقوعه عن طريق إزالة الأسباب التى يمكن أن تؤدى إليه ، ومنها مايستهدف علاج من وقع فى الانحراف من أفراد المجتمع وتطهيره من آثار ماوقع فيه من انحراف .

ويقتضى الأمر التطبيق المتكامل للشريعة الإسلامية بجوانبها المختلفة سواء كان ذلك على مستوى أفراد المجتمع أو جماعاته أو المجتمع ككل ، وذلك نظرا للتساند القوى بين هذه الجوانب وفى ذلك يقول الله سبحانه :

أَفَتُؤمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَٰبِ وَتَكفُرُونَ بِبَعضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُم إِلاَّ خِزيٌ فِي الحَيَوٰةِ الدُّنيَا وَيَومَ القِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ (٨٥) (سورة البقرة ، الآية ٨٥) .

ويمكن تلخيص هذه الجوانب فيما يلى :

أولا : الوقاية من الانحراف .

ثانيا : إزالة الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلي الانحراف .

ثالثا : علاج حالات الانحراف .

وسوف نتناولها فيما يلى شئ من التفصيل مع التركيز على دور الخدمة الاجتماعية فى كل منها .

١ – الوقاية من الانحراف

وتتضمن مجموعة من القواعد التى تنظم حياة الفرد والأسرة فى المجتمع ، ونكتفى هنا بمجرد العرض الموجز على النحو التالى :

١ – أن يتم الإنجاب من خلال الأسرة :

جعل الإسلام الأسرة التى تتكون عن طريق الزواج المشروع هى الوعاء الوحيد لإنجاب الأطفال ، فالعلاقة الوحيدة المشروعة للإنجاب هى العلاقة الزوجية ، وفى ذلك يقول رسول الله : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج .. » [٥٦] .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية فى هذا الصدد فى المعاونة على وضع حديث رسول الله موضع التطبيق من خلال شرح أهمية الزواج المبكر فى إحصان الشباب وتحقيق الإشباع المشروع للحاجة الجسمية حتى لاتكون ضاغطا ملحا ، قد يدفع البعض إلى الانحراف ، كما أن من مسئوليات مهنة الخدمة الاجتماعية من خلال المؤسسات المهنية العمل على إزالة المعوقات الاجتماعية التى تحول دون الزواج المبكر لمن يستطيع مثل القوانين الموجودة فى بعض البلاد الإسلامية لوضع حد أدنى مرتفع لسن الزواج يمنع من وصل إلى مرحله الشباب ويستطيع تحمل أعباء الزواج من الزواج لعدم بلوغه هذه السن بعد ، والعمل على محاربة العادات التى تعوق الزواج مثل المغالاة فى المهور والأثاث ولوازم الزواج ، مما يشكل عائقا أمام أعداد كبيرة من الشباب .

٢ – ضمان صلاحية الأسرة لأداء وظائفها:

وضع الإسلام مجموعة من التوجيهات التى يؤدى الالتزام بها إلى ضمان صلاحية الأسرة لتنشئة أطفالها تنشئة صالحة ، حتى يشبوا متمسكين بصراط الله المستقيم يصعب انحرافهم عنه ، ومن هذه الضوابط مايلى : (٥٧) .

أ – حسن اختيار الشريك :

يقول رسول الله : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (٥٨) .

ويقول : « إذا جاءكم من ترضون دينه ، فزوجوه إلاّ تفعلوا تكن فتنه فى الأرض وفساد كبير » (٥٩).

ومن ينشأ مثل هذه النشأة لن يقع فى الانحراف ، وفى هذا المعنى يقول الحق سبحانه :

يَٰأُختَ هَٰرُونَ مَاكَانَ أَبُوكِ امرأَ سَوْءٍ وَمَاكَانَت أُمُّكِ بَغِيّاً (٢٨) (سورة مريم ـ الآية ٢٨).

فأهل مريم ينكرون عليها حملها بغير زواج ، لأنها نشأت بين أب طيب وأم طيبة .

كما يشترط الإسلام الكفاءة بين الزوجين وأن يكون الزواج بالاختيار الكامل بين الشريكين : « فلا تنكح الأيم حتى تستأمر ولاتنكح البكر حتى تستأذن .. » (٦٠) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية فى هذا الصدد فى العمل على التعريف بالمواصفات الإسلامية فى شريك الحياة بين أفراد المجتمع عموما وبين المقبلين على الزواج بصفة خاصه ، كجزء من إعدادهم لممارسة الحياة الأسرية الزواجية ، وبيان الخطورة المترتبة على مخالفة ذلك ، وبيان فساد بعض العادات السائدة فى ارغام الشاب أو الفتاة على الزواج من شخص غير رغبته ، لأى اعتبارات كانت والعمل على مساعدة الحالات التى تعانى من مثل هذه المشكلات على التغلب عليها .

ب - تحديد القيادة فى الأسرة :

ونظرا لأهمية وجود الاستقرار والوئام فى حياة الاسرة ، فقد حدد الأسلام قائد هذه الأسرة فى شخص الزوج وفى ذلك يقول الله سبحانه :

الرِجَالُ قَوَّمُونَ عَلَي النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعضَهُم عَلَي بَعضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِن أَموَلِهِم .. (سورة النساء ، الآية ٢) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية فى هذا الصدد فى شرح هذه الأمور للشباب المقبلين على الزواج ولأفراد المجتمع بصفة عامة ، وبيان أن هذا هو الوضع السوى للأسرة المسلمة ، ومساعدة الأسر التى تعانى من مشكلات فى هذا الصدد على المودة إلى الوضع الإسلامى الصحيح .

جـ - تفصيل الحقوق والواجبات فى الأسرة :

حظيت الأسرة باهتمام بالغ فى التشريع الإسلامى فيما يتصل بتحديد الحقوق والواجبات بين أفرادها حتى لايحدث نزاع حول هذه الحقوق والواجبات فتفقد الأسرة صلاحيتها لتنشئة صغارها .

وبحيث تصبح الأسرة مكانا حافلا بالبر والحب وطاعة الله وينشأ أبناؤها على صراط الله المستقيم بعيدين عن احتمالات الانحراف ، كما كفل الإسلام حقوقاً محددة للأطفال فى داخل الأسرة منها الإرضاع ، والنفقة ، والمساواة بين الابن وبين اخوته فى المعاملة (٥١) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية فى تعريف أفراد المجتمع بما على كل منهم من واجبات وماله من حقوق فى أسرته ، مساعده من يعانى من مشكلات فى أداء مسئولياته الأسرية على أداء هذه المسئوليات كما حددها الإسلام ، ولايقتصر أداء هذا الدور على مجال بعينه من مجالات الخدمة الاجتماعية ، ولكنه يمتد إلى مجالات متعددة، منها الخدمة الاجتماعية الأسرية ، والخدمة الاجتماعية المدرسية ، والخدمة الاجتماعية فى مجال المنحرفين .

٣ - الحرص على استمرار الحياة الأسرية :

حرص الإسلام على استمرار الحياة الأسرية مادامت الأسرة قادرة على أداء واجباتها نحو أفرادها فقد حث الزوج على الصبر على زوجته وأوصاه بها خيرا وأمره بأن يعاشرها بالمعروف ، فالمؤمن لايكره زوجته المؤمنه ، فإن كره منها طبعا أحب فيها طباعا أخرى ، وقد يجعل الله فيها خيرا كثيرا رغم كراهيته لها ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهتُمُوهُنَّ فَعَسَي أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَيَجعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً (١٩) (سورة النساء ، الآية ١٩) .

والمعاشرة بالمعروف لاتقتصر على مجرد كف الأذى عن الزوجة ، بل تتضمن احتمال الأذى منها والحلم عليها [٦٢] ، كما جعل الله سبحانه الملجأ الأخير إذا استحالت العشرة بين الزوجين وهو الطلاق أبغض الحلال عنده حتى لايتم اللجوء إليه إلاّ عند الضرورة القصوى . ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية فى مساعدة الأسر التى تعانى من مشكلات على التغلب على هذه المشكلات وتجاوزها ، وبيان النهج الإسلامى فى العلاقات الأسرية ، وفى التغلب على المشكلات الأسرية .

٤ - الطلاق بالمعروف :

شرع الله سبحانه الطلاق كملجأ أخير ، إذا استحالت العشرة بالمعروف بين الزوجين، وقد حدد الله سبحانه حقوق كل من الزوجين عند الطلاق حتى يكون الانفصال كريما لايسئ إلى أى من الزوجين ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

وَإِذَا طَلَّقتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمسِكُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ أَو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ وَلاَتُمسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعتَدُواْ وَمَن يَفعَل ذَلِكَ فَقَد ظَلَمَ نَفسَهُ .. (سورة البقرة ، الآية ٢٣١) .

ويمكن للخدمة الاجتماعية أن تلعب دورا كبيرا فى هذا الصدد ، يتمثل فى تنفيذ التوجيه الإسلامى الكريم بأن يتم الطلاق بالمعروف ، وذلك عن طريق المساعدة فى حل المشكلات المترتبة على الطلاق مثل حصول الزوجة على حقوقها المتمثلة فى مؤخر الصداق والنفقة ومساعدة المطلقين على الاتفاق على حضانة أطفالهما ، وتنظيم رؤية كل من الزوجين لأطفاله فى حضانة الزوج الآخر ، وذلك نظرا لما تتركه هذه المشكلات وغيرها من آثار سيئة فى نفس الأطفال .

٥ - رعاية الصغير الذى يفتقد الأسرة المتكاملة :

حرص الإسلام على توفير الرعاية للصغير الذي يفتقد ماتوفره الأسرة المتكاملة لطفلها من رعاية بين أبويه بأن جعل حقوق هذا الصغير على سائر أفراد المجتمع الذى يعيش فيه ، فالصغير الذي يفتقد الأسرة المتكاملة إما يتيم وإما لقيط ، وقد كفل الإسلام لكل منهما حقوقه على نحو يضمن له تنشئة اجتماعية إسلامية سوية .

فقد أمر الله سبحانه بالإحسان إلي اليتامى فى آيات متعددة ، وجاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى [٦٣] .

وكفالة اليتيم حجاب من النار ، وخير بيت من بيوت المسلمين بين يكرم فيه اليتيم ، كما نهى الله سبحانه عن أكل مال اليتيم وأمر باعطائهم من الصدقات وجعل لمن يمسح على رأس اليتيم رحمة به حسنات بعدد شعر رأس اليتيم (٦٤) .

كما جعل الإسلام نفقة اللقيط على بيت المال ، على أن توكل رعايته إلى أحد المسلمين المشهود لهم بالتقوى والصلاح حتى ينشأ نشأة صالحة (٦٥) .

كما وضع الإسلام نظام الولاية على النفس والمال وجعلها فى أقارب العصب أى الأقارب من جهة الأب الأقرب فالأقرب ، وذلك حتى يقوم الولى على رعاية الصغير وتنشئته تنشئه صالحة ، واشترط لذلك أن يكون أمينا على الصغير فى نفسه ودينه وماله (٦٦)، حفظا للصغير حتى ينشأ نشأة طيبة على صراط الله المستقيم تبعده عن الانحراف .

وللخدمة الاجتماعية دور كبير فى هذا الصدد نوجزه فى النقاط الآتية :

- الإسهام فى تنفيذ نظام الولاية على النفس من حيث متابعة رعاية الولى لليتيم من الناحية الاجتماعية ، والتأكد من حسن كفالته لليتيم وتنشئته نشأة إسلامية صالحة ، والاطمئنان إلى عدم تعرضه لإساءة المعاملة أو الاستغلال أو الانحراف من أى نوع .
- تصميم وتنفيذ برامج كفالة الأيتام فى المجتمع ، بناء على مواصفات معينة يتم وضعها ومتابعة رعايتها الأيتام وتقديم المشورة والتوجية لها حتى تقوم بالرعاية على وجهها الأكمل ومساعدتها على حل مايواجهها من مشكلات إلي أن يصل اليتيم إلى سن البلوغ ، ثم مساعدته على أن يشق طريقه كمواطن صالح فى المجتمع .
- الدعوة الى تعديل القوانين التى توجد فى بعض البلاد الإسلامية والتى تتصل بتنظيم رعاية الأيتام واللقطاء بما يخالف أحكام الشريعة الإسلامية مثل التبنى وغيره .

٢ - منع بعض العوامل التى قد تؤدى إلى الانحراف :

سواء كانت هذه العوامل تتعلق بفرد فى المجتمع أو ببعض أفراده أو جماعاته أو على مستوى المجتمع كله ، ونوضح ذلك بإيجاز على النحو التالى :

١ - إشباع الحد الأدنى من الحاجات الأساسية :

يعتبر التكافل الاجتماعى بين أفراد وفئات المجتمع المسلم من الوسائل الأساسية لإزالة أسباب الانحراف من المجتمع .

وعلى الأخصائيين الاجتماعيين مسئولية كبيرة بحكم طبيعة عملهم فى هذا الصدد ، فهم مسئولون عن الفئات والجماعات بل والأفراد الذين يعانون من نقص فى إشباع حاجاتهم الأساسية ويمكن إيجاز دورهم على النحو الآتى :

أ - الاخصائيون الاجتماعيون هم أكثر المهن اتصالا بالفئات المحرومة والضعيفة التى تعانى من مشكلات أو من نقص فى إشباع حاجاتها الأساسية ، وعلى الخدمة الاجتماعية كمهنة من خلال تنظيماتها المهنية والعلمية ، وعلى الأخصائيين الاجتماعيين كأفراد إعداد هذه الدراسات على الوجه المناسب للتعريف بمشكلات وحاجات هذه الفئات والعمل على نشرها من خلال القنوات المهنية كالمجلات العلمية والمؤتمرات والندوات العلمية وغيرها فهم رعاة ، وهذه الفئات هى جزء من رعيتهم يسألهم الله سبحانه عنها .

ب - مساعدة هذه الفئات والجماعات على معرفة حقوقها والوعى بمشكلاتها وتعريفهم بالوسائل المناسبة للحصول على هذه الحقوق ومساعدتهم على ذلك .

جـ - التعاون مع أصحاب هذه الحاجات ومع من يعاون من المشكلات فى رفع حاجاتهم المدعمة بالدراسات العلمية التى تحدد أبعاد هذه الحاجات وطرق إشباعها إلى الجهات التى بيدها إصدار القرارات بإشباع هذه الحاجات ، كما ان على الأخصائيين الاجتماعيين أن يعتبروا أنفسهم مستشارين لولاة الأمر على اختلاف مستوياتهم فيما يتصل بأمور الرعاية الاجتماعية لهذه الفئات .

د - العمل على إنشاء المؤسسات المهنية والأهلية التى تعمل على إشباع هذه الحاجات مثل اقتراح مؤسسات معنية لم تكن موجودة من قبل أو إضافة خدمات جديدة إلي مؤسسات قائمة لم تكن تقدم مثل هذه الخدمات أو إضافة فئات جديدة للتمتع بخدمة قائمة لم تكن تتمتع بهذه الخدمة من قبل ، أو تشجيع إنشاء الجمعيات الأهلية الخيرية التى تعمل على إشباع هذه الحاجات.

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يعتبر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خطاً أساسيا من خطوط الدفاع ضد الانحراف فى المجتمع ، وفى ذلك يقول الله سبحانه فى بيان أثر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى منع الأنحراف :

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(٦٣)

(سورة المائدة ، الآية ٦٣) .

وقد أورد الله سبحانه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على أنه سبب من أسباب كون المسلمين خير أمة أخرجت للناس وأمرهم نصا بإقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقوله :

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) (سورة آل عمران ، الآية ١٠٤) .

ويمكن إيضاح دور الأخصائى الاجتماعى فى هذا الصدد بإيجاز على النحو الآتى:

ا - على مستوى المجتمع العام يمكن للاخصائى الاجتماعى أن يدعو إلى إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتوضيح الآثار الاجتماعية الحميدة التى تعود على المجتمع بالاخذ به ، والاخطار المترتبة على تركه .

ب - على مستوى المجتمع المحلى يستطيع الأخصائى الاجتماعى أن يساهم فى تنظيم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويمكن الاستعانه فى ذلك بالمؤسسات القائمة فى المجتمع مثل المسجد والادارة المحلية والمؤسسات التعليمية وغيرها .

جـ - على مستوى المؤسسة التى يعمل فيها الأخصائى الاجتماعى فهو مسئول مباشرة عن إقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتنظيمة وتحديد من يقومون به ، وذلك بالتعاون مع المسئولين الآخرين بالمؤسسة .

د - على مستوى العملاء الذين يقوم الأخصائى الاجتماعى بتقديم الخدمة المباشرة إليهم يصبح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جزءا من المساعدة المقدمة للعملاء فى سائر مجالات الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وفى مجال العمل مع المنحرفين بصفة خاصة .

٣ - منع الظلم :

يقول الله سبحانه :

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) (سورة ابراهيم ، الآيات ٤٢ - ٤٣) .

فالظلم انحراف قد يؤدى تعرض الإنسان له إلي رده بظلم مماثل أو أشد ، ولذلك حرم الله سبحانه الظلم على نفسه وعلى عباده ، وجعل من حق المظلوم على الحاكم وعلى سائر المسلمين مساعدته على استيفاء حقه ممن ظلمه ، كما توعد الله سبحانه وتعالى الظالم بالقصاص منه يوم القيامة ، حتى تطيب نفس المظلوم ويفوض أمره على أن يكتفى برد الظلم وألاّ يبالغ فى الانتقام ممن ظلمه ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قالوا : يارسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذ فوق يده »(٦٧).

ويقتضى تطبيق منع الظلم من قبل الأخصائى الاجتماعى مايلى :

أ - فى عمله مع الحالات يهتم بدراسة ما إذا كان انحراف العميل قد نجم عن ظلم أحد له أو أسفر عن ظلم لأحد .

ب - أن يساعد المظلوم بلستخدام كل الطرق المشروعة على استرداد حقه كما يساعد الظالم على إدراك خطورة الظلم عليه فى الدنيا والاخرة وان رد الحقوق فى الدنيا أفضل له من بقائها فى ذمته ليتحمل وزرها فى الآخرة .

جـ - ان يعمل على إرساء قواعد العدل ومنع التظالم بين العملاء فى المؤسسات التى يعمل بها وبين العملاء والعاملين فى المؤسسة بحيث يضع الأخصائى الاجتماعى موضع الاعتبار والتنفيذ مسئوليته عن عدم وقوع الظلم على أحد فى المؤسسة وان يساعد المظلوم على الحصول على حقه .

٤ - تحريم المقدمات التى يمكن أن تقود إلى الانحراف :

حرم الإسلام المقدمات التى تقود إلى الانحراف وحث على تركها ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

قُل لِلمُؤمنِينَ يَغُضُّوا مِن أَبصَرِهِم وَيَحفَظُوا فُرُوجَهُم (سورة النور ، الآية ٣٠) .

فقد أمر الله بغض البصر ونهى عن النظر الى حرمات الله وإلى مافى أيدى الآخرين حتى لاتكون النظرة مقدمة لاشتهاء مافى يد الآخرين من أموال أو أعراض أو غير ذلك ، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته فى قلبه»(٦٨).

كما حرم خروج المرأة متجملة سافرة حتى لاتكون فتنة للرجال وحرم اختلاء الرجل بالمرأة من غير محارمه .

ويتضمن دور الخدمة الاجتماعية فى ذلك التعاون مع علماء الدين فى تحديد مايدخل فى التحريم على أنه من مقدمات الانحراف ويحرمه الدين ولاتحرمه القوانين الوضعية وإجراء الدراسات التى تثبت خطورة عدم تحريم هذه الأفعال وتأثير ذلك فى زيادة اعداد المنحرفين ونشر هذه الدراسات على أوسع نطاق ورفعها إلى المسئولين لإصدار القرارات التى تضمن تنفيذ التوجيهات الإسلامية الكريمة فى هذا الصدد .

٥ - تشديد العقوبة علي الجاهرين بالمعصية :

يقول رسول الله : « كل أمتى معافى الاّ المجاهرين ، وان من المجاهرين ان يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه (٦٩) .

ويتمثل دور الخدمة الاجتماعية فى هذا الصدد فى الإسهام فى العمل على تنفيذ هذا التوجيه النبوى الكريم من خلال توضيح مايترتب على المجاهرة بالمعصية من شيوع الانحراف ، وتزايد أعداد المنحرفين ، والدعوة إلى تشديد العقوبة على المنحرف الذى يجاهر بالانحراف باعتبار المجاهرة بالانحراف انحرافا فى حد ذاته بالإضافه إلى الانحراف الأصلى ، وأن يتضمن العمل فى حالات المجاهرة بالانحراف شرح خطر المجاهرة بالانحراف على المنحرف نفسه والمتمثل فى عقاب الله له وفى تحمله وزر الآخرين الذين يمكن أن يقلدوه فى انحرافه ، كما يتضمن دعوة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة إلى عدم نشر أخبار مايحدث من انحرافات لأن ذلك يدخل أيضا فى باب المجاهرة بالمعصية .

٣ - علاج الحالات التى تقع فى الانحراف

الخط الدفاعى الثالث والأخير الذي يضعه المنظور الإسلامى لمواجهه الانحراف هو علاج الحالات التى تقع فى الانحراف بالفعل وذلك بمساعدة المنحرف على إزالة العوامل التى أدت الى وقوعه فى الانحراف ، ومن ثم العودة إلى صراط الله المستقيم والثبات عليه .

ويتضمن العلاج أساليب متعددة ينتقى منها الاخصائى الاجتماعى ما يناسب كل حالة على حدة ، وتتضمن هذه الأساليب مايلى :

١ - العلاقة المهنية الإسلامية .

٢ - التوبة .

٣ - الإبعاد عن رفاق السوء وتهيئة الصحبة الصالحة .

٤ - الصبر .

٥ - التفاعل العقلى .

٦ - الأسوة الحسنة .

٧ - العلاج بالعبادات ويتضمن :

أ - الصلاة .

ب - الاستعاذة بالله من الشيطان .

جـ - العلاج بالقرآن الكريم .

د - العلاج بالاستغفار .

هـ - العلاج بالذكر .

و - العلاج بالدعاء .

٨ - الإثابة على سلوك الصراط المستقيم .

٩ - العقاب .

١ - العلاقة المهنية الإسلامية :

يتفق المتخصصون فى الخدمة الاجتماعية بمجالاتها المختلفة على أن وجود العلاقة المهنية بين الأخصائى الاجتماعى من ناحية العميل والأطراف الأخرى للحالة من الناحية الثانية أمر لاغنى عنه ، لتحقيق أهداف التدخل المهنى ، ويتفق المنظور الإسلامى مع هذه المقولة ، إلاّ أنه يضيف إلى هذه العلاقة مايزيدها عمقا وثراء ، بحيث تصبح أكثر فاعلية فى تحقيق أهداف التدخل المهنى . وتتكون هذه العلاقة وتنمو نتيجة لالتزام الأخصائى الاجتماعى بمجموعة من القيم المهنية والأخلاقية ، وتنمو مع مرور الوقت ، ويستمد الأخصائى الاجتماعى الذى يعمل طبقا للمنظور الإسلامى القيم التى يلتزم بها من ثلاثة روافد أساسية هى :

أ - حق المسلم على المسلم ، فالاخصائى الاجتماعى فى تعامله مع العميل مسلم يتعامل مسلم ، وللعميل على الاخصائى كل ما للمسلد على أخيه المسلم من حقوق .

ب - حق الرعية على الراعى ، فالأخصائى الاجتماعى فى عمله راع ونائب عن ولى أمر المسلمين فى رعاية عملائه ولهم عليه ما للرعية من حقوق على راعيها .

جـ - حق صاحب الحاجة على من يساعده فى قضاء حاجته ، فالأخصائى الاجتماعى مسلم يسعى فى مساعدة أخيه المسلم ، وهو العميل على قضاء حاجته ، وعليه أيضا أن يلتزم بالآداب الإسلامية للسعى فى قضاء حاجة الأخ المسلم .

وتعتبر العلاقة المهنية الإسلامية ضرورية لنجاح استخدام الأخصائى الاجتماعى للأساليب العلاجية ، ذلك أن الألفة المترتبة على وجود هذه العلاقة ، تهيئ أفضل الظروف لنجاح هذه الأساليب

٢ - التوبة :

يقول الحق سبحانه : يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً (سورة التحريم ، الآية ٨) .

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (سورة الأعراف ، الآية ١٥٢).

والتوبة هى رجوع المنحرف إلى صراط الله المستقيم مرة أخرى بعد انحرافه عنه بارتكابه للمعصية ، وللتوبة أركان نوجزها فيما يلى :

أ - العلم :

تقتضى التوبة علم المنحرف بأنه أذنب ، وأن الذنوب لاتقاس بجسامة المعصية ، وانما بعظم حق من عصاه وهو الله سبحانه ، كما يعلم بوجود التوبة وأنها تجوز من كل المعاصى والذنوب مهما كانت ، كما أن المنحرف فى حاجة إلى أن يعلم شروط التوبة وهى :

- الندم على انحرافه ومعصيته لله سبحانه .
- العزم على عدم الرجوع إلى الانحراف مرة أخرى .
- أن تتم التوبة قبل الغرغرة أى قبل اللحظات الأخيرة فى حياة الإنسان ، وأن يعلم فى فضل الله ورحمته لايقتصر على مجرد العفو عن الذنوب ولكنه قد يبدل السيئات حسنات .

ب - العمل :

وذلك بترك التائب للسلوك المنحرف الذى كان يأتيه ومحاولة إصلاح ما أفسدته المعصية .

ويتطلب عمل الأخصائى الاجتماعى مع من يقع فى الانحراف ما يلى :

- تعريفهم بوجود التوبة ومزاياها وشروطها .
- التشجيع على التوبة والترغيب فيها .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التى يمكن الاستعانة بها بالإضافة إلى ماسبقت الإشارة اليه مايلى :

فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩) (سورة المائدة ، الآية ٣٩) .

وَالَّذِينَ لاَيَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً ءَاخَرَ وَلاَيَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَيَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً (٦٨) يُضَعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَلِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً (٧٠) (سورة الفرقان ، الآيات ٦٨ - ٧٠) .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة :

« التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لاذنب له » (٧٠) .

«الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة ، معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه ، فنام فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الل ،ه قال أرجع الى مكانى الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده ، وعليه زاده وشرابه ، فالله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته » (٧١) .

جـ - معاونه التائب على رد الحقوق إلى أصحابها بمساعدته على توفير الامكانات اللازمة لرد هذه الحقوق ، والشفاعة له عند أصحاب هذه الحقوق للعفو عنه إن لم يستطع ردها .

د - معاونة التائب على الصبر عن المعصية .

هـ - مساعدة التائب على الاستعاضة عن السلوك المنحرف بآخر مباح لإشباع نفس الشهوات والحاجات .

ويستطيع الأخصائى الاجتماعى أن يلعب دورا كبيرا فى هذا الصدد من خلال التوظيف الجيد للمصادر المجتمعية لمساعدة التائب تثبيتا له على الصراط المستقيم حتى لايعود للانحراف مرة أخرى .

٣ - المساعدة علي ترك رفاق السوء والاندماج في صحبة صالحة :

ويتضمن دور الأخصائى الاجتماعى فى هذا الصدد مايلى :

أ - تعريف المنحرف بالأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء :

وذلك بشرح الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء من مخالفة لأوامر الله سبحانه وذلك عن طريق رواية النصوص القرآنية التى تتضمن النهى عن مصاحبة رفاق السوء ومايصيب الانسان من جراء هذه الصحبة ، ومن هذه النصوص :

فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّي عَن ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَوةَ الدُّنيَا (٢٩) (سورة النجم ، الآية ٢٩) .

كما يمكن للأخصائى الاجتماعى الاستعانة بالأمثلة الواقعية من حياة المنحرف نفسه وتأثير رفاق السوء عليه بدفعه إلى الانحراف ، وصده عن فعل الخيرات .

ب – تعريف المنحرف بمزايا الصحبة الصالحة :

يقابل الأخطار المترتبة على صحبة رفاق السوء مزايا متعددة يجنيها الإنسان من الصحبة الصالحة فى الدنيا والآخرة ، وتقتضى مساعدة المنحرف على ترك رفاق السوء شرح مزايا الصحبة الصالحة فى الدنيا والآخرة ، ويمكن الإستعانة فى هذا أيضا بسرد بعض الأيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ومنها :

.. وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) (سورة لقمان ، الآية ١٥) .

وقول الرسول ﷺ : « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه » [٧٢] .

جـ – تهيئة الصحبة الصالحة ومساعدة المنحرف على الاندماج فيها :

للأخصائى الاجتماعى دور كبير فى إبعاد المنحرف عن رفاق السوء بعد أن يعلم المنحرف مايناله من صحبتهم ، ذلك أنه من الصعب على الإنسان أن يفترق عما ألفه ، لما فى ذلك من المعاناة من الوحشة والفراغ ويتطلب ذلك مساعدته على اجتياز مرحلة الوحشة والفراغ هذه بتقليل المعاناة من خلال المقابلات ، ومن خلال الاسراع بادماجه مع صحبة طيبه يطمئن الأخصائى الاجتماعى إليها ، وذلك من زملاء المدرسة أو العمل أو الجيرة أو الأقارب ، وتهيئة سبل التعارف بين المنحرف وبينهم مع تهيئة الأنشطة التى تحظى بالاهتمام المشترك من الجميع .

٤ – الصبر :

الصبر هو ترك الافعال المشتهاة [٧٣] ، ويتفاوت الجهد وقوة الإرادة المطلوبة للصبر عن الفعل المشتهى طبقا لدرجة اشتهاء النفس لهذا الفعل فكلما كانت النفس أكثر اشتهاء للفعل ، كلما كان الصبر عنه أشق وأصعب ، ويمكن تصنيف الصبر إلي نوعين هما:

أ – صبر علي مايوافق هوى النفس من النعم التى وهبها الله سبحانه للإنسان مثل المال والصحة والسلطان والشباب والصبر عليها يتمثل فى عدم ركون الإنسان إليها ، وأن يعلم أن كل ذلك أمور مستخلفه فيها ، وأن عليه أن يرعى حقوق الله فيها ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) (سورة العلق ، الآيات ٦ – ٧) .

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ (سورة التغابن ، الآية ١٥) .

ب – صبر على مالايوافق النفس من المكاره ، ويمكن تقسيمه أيضا إلى قسمين أولهما : مايكون باختيار الإنسان كالطاعات مثل الصوم والصلاة ، والصبر

على المعاصى والغيبة والزنا وغيرها .. وثانيهما هو مايكون بدون اختيار الإنسان مثل الصبر على الأذى الذى يفرض على الإنسان من آخرين مثل الصبر على أذى الزملاء أو الرؤساء أو الجيران ، سواء كان هذا الأذى بالقول أو بالفعل(٧٤) .

ويقوم الأخصائى الاجتماعى بمساعدة المنحرف على الصبر على النحو التالى :

أ - التعليم والوعظ والمساعدة على التأمل :

وذلك بتذكيره بان الإنسان وسائر مالديه من أهل ومال وولد ملك لله عز وجل أعاره له وأن مصير كل عارية رجوعها إلى مالكها . وأن مصير الإنسان ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، وأنه لابد له من أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويعود إلى مولاة ليحاسبه على مافعل فيما أعاره إياه (٧٥) .

ب - مساعدة المنحرف على إضعاف الشهوات التى تدفعه إلى الانحراف ، ولكل شهوة طريقة لإضعافها ، فشهوة الجنس تضعف بالصوم ، وشهوة الغيبة تضعف بالذكر، وعلى الأخصائى مساعدة المنحرف ، وتهيئة الأسباب المادية التى تعينه على عدم التعرض لمهيجات الشهوات التى تدفعه إلى الانحراف ، كما ان تسلية النفس بالمباح من إشباع الشهوات قد تبعد المنحرف عن الإشباع المنحرف ، فلا يوجد محرم إلا وله مباح من جنسه ، فشهوة الجنس تشبع بالزواج ، وشهوة المال تشبع من اكتسابه بالوسائل المشروعة .. وهكذا .

٥ - التفاعل العقلى :

هو تأثير عقل فى عقل آخر يستهدف إزالة الأسباب العقلية التى يمكن أن تكون سببا فى الانحراف ، ويتضمن التفاعل العقلى مايلى :

أ - الوعظ والتعليم :

الوعظ هو التخويف من عقاب الله المترتب على ارتكاب المعصية (٧٦)، ويتضمن ذلك مايلى :

- توضيح أثر المعصية فى إثارة غضب الله سبحانه على المنحرف .
- مساعدة المنحرف على تأمل وضعه على أنه مجرد مخلوق لله سبحانه خلقه وأنعم عليه فما كان منه ، إلا أن قابل نعم الله بالجحود والنكران .
- مساعدة المنحرف على استحضار عظمة الله وقدرته وقهره ، وحلمه عليه وستره إياه ومايتطلبه ذلك من ضرورة الإقلاع فورا عن ارتكاب المعاصى ، والعودة إلى الصراط المستقيم .

ويمكن أن يقوم الأخصائى الاجتماعى بالوعظ بوسائل متعددة منها تلاوة الآيات القرآنية التى تتضمن عقاب الله للعاصى وحاله فى جهنم وماأعده الله سبحانه من نعمي للمتمسكين بصراطه المستقيم ، وشرح معانى هذه الايات عند الحاجة وذلك عن طريق المناقشة العقلية أثناء المقابلات .

كما يمكن الاستعانة فى ذلك بالكتب التى تتناول مثل هذه الموضوعات وخاصة كتب الترغيب والترهيب ، كما أن البرنامج اليومى للمؤسسات يجب أن يتضمن فقرات لمثل هذه المواعظ خاصة عقب الصلوات ، بالإضافه إلى محاضرات وندوات يستعان فيها بالعلماء والمتخصصين من رجال الدين .

كما أن تذكير المنحرف بالموت ومايترتب عليه من ترك الدنيا وما فيها وأقدامه على ربه حيث لايجد الا عمله فى الوقت الذي تكون فيه كل متع الدنيا التى حصلها قد زالت وبقى علي ماقد خلفه تحصيل هذه المتع من ذنوب ، ولابأس من زيارة القبور لما لها من تأثير على الإنسان فى استحضار الموت من خلال زيارات جماعية أو فردية مع الحالات التى يشعر الأخصائى الاجتماعى بحاجتها إلى ذلك .

ب – الجدل :

الجدل هو دفع المرء لآخر عن قول فاسد أو رأي فاسد بحجة أو شبهة (٧٧) .

ويأتى الجدل فى مرحلة تالية من مراحل تالية من مراحل التفاعل العقلى ، فالبداية تكون سوق المعلومات بأسلوب الوعظ والتعليم حتى يكون المنحرف على علم فإذا بدأ الجدل بإثارة الاعتراض أو الشبهات على مايذكره الأخصائى تدخل المناقشة فى طور الجدل وفى ذلك يقول الله سبحانه :

ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالْمُهتَدِينَ (١٢٥) (سورة النحل ، الآية ١٢٥) .

ومن الآداب التى يجب التحلى بها فى الجدل : (٧٨)

- العدل والموضوعية والتخلى عن التعصب للرأى والاستعداد للبحث عن الحقيقة والتوصل إليها .

وَإِنَّا أَو إِيَّاكُم لَعَلَى هُدًى أَو فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤) (سورة سبأ ، الآية ٢٤) .

- التقيد بالقول المهذب البعيد عن التجريح والسخرية لوجهة النظر الأخرى فالجدال يجب أن يكون بالتالى هى أحسن .

- التزام الطرق الاقناعية الصحيحة فى الجدل بتقديم الأدلة التى تثبت صحة الرأى مع طلب الأدلة من الطرف الآخر .

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُم إِن كُنتُم صَدِقِينَ (٦٤) (سورة النحل ، الآية ٦٤) .

– قبول النتائج التى يسفر عنها الجدل .

– المشورة والنصح :

المشورة هى طلب المنحرف لرأى الأخصائى الاجتماعى فى أى أمر من أموره ، أما النصح فهو تطوع الأخصائى بابداء رأيه دون طلب ، ويتفق كلاهما فى أن الأخصائى الاجتماعى يبدى رأيه فى أمر من الأمور التى تخص المنحرف وسواء أبدى الأخصائى الاجتماعى رأيه متطوعا أو غير متطوع فعليه بصدق النصيحة بحيث لاينصح إلاّ بما يثق بأنه الحق ، والاّ ينصح إلاّ بما يرضى الله ورسوله ، وأن يكون أسلوبه فى عرض النصح أو المشورة رفيقا بالعميل ، والاّ ينصحه فى وجود آخرين ، وأن يتبع النصح بذكر الأدلة التى استند عليه فيما يراه .

٦ – العلاج بالأسوة الحسنة :

يقول الله سبحانه :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) (سورة الأحزاب ، الآية ٢١) .

الأسوة هى المثل الحى الذى يحتذى ويقتدى به ، وقد أرسل الله سبحانه الرسل من جنس البشر حتى يكون سلوكهم قدوة ومثلا لتابعيهم ، وقد أمرنا الله سبحانه بالاقتداء برسوله ﷺ ، ويحتاج المنحرف قدوة حسنة يقلدها ويتأسى بها ، ورسوله الله هو القدوة للمسلمين ، وعندما سئلت السيدة عائشة عن خلق رسول الله قالت : « كان خلق رسول الله ﷺ القرآن » [٧٩] ، فقد كان سلوكه نموذجا وتطبيقا عمليا لما يدعو إليه ، ولذا أمرنا الله سبحانه باتباع سنته والتأسى به وأمرنا الرسول أيضا باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

ويقتضى تطبيق هذا الأسلوب من الأخصائى الاجتماعى مايلى :

١ – أن يكون الأخصائى الاجتماعى فى خلقه وسلوكه متأسيا برسول الله ﷺ حريصا على مكارم الأخلاق وحسن السلوك .

٢ – أن يكون على بينة من سلوك الرسول ﷺ فى مختلف المواقف ، وخاصة تلك التى تتكرر فى عمله مع المنحرف .

٣ – أن يشرح للمنحرف سلوك الرسول ﷺ وفى كل موقف بطريقة بسيطة تناسب إمكاناته العمرية والعقلية .

٤ – أن يشجع المنحرف على أن يسلك بالطريقة المشار إليها وأن يغرس فى كل نفس المنحرف حب رسول الله ويشجعه على اتخاذه مثلا أعلى له فى كل شئ .

٧ – العلاج بالعبادات :

العبادات هى الأقوال والأفعال التى أمر الله سبحانه عباده بقولها أو بفعلها تحقيقا لعبوديتهم له وتقربا إليه ، ولايعبد إلاّ بما شرع ، ويستهدف هذا النوع من العلاج مساعدة المنحرف على الدخول فى طاعة الله وتذوق حلاوتها ، وإزالة مايكون قد تراكم على قلب المنحرف من الران المترتب على المعاصى ، واكتساب الحسنات التى تساعده على محو السيئات ، وتحصينه من غواية الشيطان .

٨ – الإثابة على سلوك الصراط المستقيم :

يقول الله سبحانه :

مَنْ عَمِلَ صَلِحاً مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَي وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجزِيَنَّهُم أَجرَهُم بِأَحسَنِ ماكَانُوا يَعمَلُونَ (٩٧) (سورة النحل ، الآية ٩٧) .

فقد وعد الله سبحانه بثواب من يعمل صالحا من المؤمنين ، تثبيتا لهم ، وتشجيعا لغيرهم على فعل الخيرات وسلوك الصراط المستقيم ، ويمكن للأخصائى الاجتماعى استخدام هذا الأسلوب وذلك على النحو التالى :

أ – تعريف المنحرف بما أعده الله سبحانه وتعالى من أجر لمن سلك صراطه المستقيم سواء كان ذلك بصفة عامة أو بالنسبة لأعمال محدودة مثل الصلاة والصوم أو الصدقة أو غيرها ، والآيات والأحاديث الواردة فى هذا المجال كثيرة .

ب – أن يثيب الأخصائى الاجتماعى عميله المنحرف على سلوكه الطيب وأنواع الثواب متعددة منها الكلمات الطيبة مثل الدعاء له والثناء على سلوكة الطيب أو الثواب المادى مثل الجوائز وإسناد بعض الأمور التشريعية له كان يكون رئيس جماعة .. الى غير ذلك من أنواع الثواب المتاحة ، والتى يجب أن تتوفر لدى الأخصائى .

٩ – العقاب :

ولكل جريمة فى الشريعة الإسلامية عقاب ، وينقسم العقاب إلى قسمين هما :

أ – عقوبات دنيوية :

وهى أدوية نافعة الهدف منها إصلاح الأفراد والمجتماعات بكفهم عن المعاصى عن طريق إيقاع الايلام بالمنحرف [٨٠] وتنقسم إلى :

- الحدود وهى العقوبات التى حددها الإسلام بنص من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة على الجرائم التى تمثل اعتداء على حدود الله ولايجوز فيها العفو سواء من الفرد أو الجماعة مثل قطع يد السارق ، ورجم الزنى المحصن ، وجلد شارب الخمر .

- القصاص والدية ، وهى عقوبات محددة ولكن يجوز للمجنى عليه أو وليه التنازل عنها أو تخفيفها مثل قتل القاتل .

- التعازير وهى عقوبات يترك تحديدها لولى الأمر أو القاضى.

كما أن هناك نوعا آخر من العقوبات الدنيوية التى يوقعها الله سبحانه وتعالى على بعض المجتمعات إذا شاع فيها الانحراف ، وقد اخبر الله سبحانه فى كتابه الكريم عن ذلك فى مواقع عديدة ، كما أخبرنا بذلك رسول الله ، وتشهد بذلك الاحاديث التى تقع بين الحين والآخر ، فما الأعاصير والبراكين والزلازل والفيضانات إلا جند من جند الله، ومايعلم جنوده إلاّ هو سبحانه وفى ذلك يقول الله سبحانه :

فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنهُم مَّن أَرسَلْنَا عَلَيهِ حَاصِباً وَمِنهُم مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيحَةُ وَمِنهُم مَّن خَسَفْنَا بِهِ الأَرضَ وَمِنهُم مَّن أَغرَقْنَا وَمَاكَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُم وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظْلِمُونَ (٤٠) (سورة العنكبوت ، الآية ٤٠) .

كما أن هناك عقوبات دنيوية محددة يوقعها الله سبحانه على المجتمعات على أنواع بعينها من الانحرفات إذا فشت فيها حددها رسول الله ، بقوله فى الحديث الشريف:

« يامعشر المهاجرين خصال خمس - إن ابتليتم بهن ونزلن بحم أعوذ بالله أن تدركوهن : لهم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال إلا اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله رسوله إلاّ سلط عليهم عدو من غيرهم ، فيأخذ بعض مافى أيديهم ومالم فحكم أئمتهم بكتاب الله إلاّ جعل بأسهم بينهم » (٨١) .

ب - عقوبات أخروية :

وهى أشمل وأعم من حيث الجرائم والانحرافات التى توقع بسببها ، وذلك لتعذر إثبات العديد من الانحرافات بوسائل البشر المحدودة ، على حين أن عقوبات الآخرة يوقعها الله سبحانه بعد مطلق يجازى على مثقال الذرة وعلم مطلق ووسائل إثبات لايرقى إليها الشك ، تصل إلى إشهاد الجلود والأيدى والأرجل (٨٢) .

ومن رحمة الله سبحانه بالناس أن امتداد أجل توقيع العقوبة يعطى للمنحرف فرصا متعددة للتوبة لفعل الطاعات والخيرات الذى يمحو السيئات التى تراكمت بفعل الذنوب وبذلك يمكن تلافى العقوبة .

دور الأخصائى الأجتماعى فى استخدام أسلوب العقاب :

يختلف دور الاخصائى الاجتماعى فى استخدام هذا الأسلوب طبقا لنوع العقوبة ، كما يختلف دوره فى المجتمعات طبقا لمدى تطبيقها لأحكام الشريعة الإسلامية فى العقوبات ، ويمكن تلخيص دور الأخصائى الاجتماعى فى استخدام العقاب على النحو التالى :

- أن يطبق الأخصائى الاجتماعى العقوبات الواردة فى الشريعة الإسلامية فيما يدخل تحت ولايته المباشرة ، كأن يمكن المضروب من القصاص من الضارب ، إذا لم يقف المضروب عنه إذا كان يعمل فى مدرسة أو دار ضيافه .

- أن يدعو إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى الدول الإسلامية التى تأخذ بالقوانين الوضعية .

- يعمل الأخصائى الاجتماعى مع المنحرفين الذين وقعت عليهم أحكام شرعية ويساعد الأخصائى الاجتماعى عميله فى مثل هذه الحالات على قبول العقوبة على انها حكم من الله سبحانه ورحمه منه تكفر الذنب وتمحو آثاره ، وأن توقيع العقوبة فى الدنيا أفضل من عقاب الآخرة ، كما أن عليه مساعدة المنحرف على التوبة والعودة إلى صراط الله المستقيم ، وله أيضا دور مع المجتمع يتمثل فى تصحيح نظرة المجتمع إلى المجرم التائب ، حيث ان التوبة تجب ماقبلها ، فالتائب من الذنب كمن لاذنب له .

- ويلعب الأخصائى الاجتماعي دورا هاما فى حالات القصاص والدية بالسعى إلى إصلاح ذات البين بين الجانى والمجنى عليه ، حيث يمكن العفو عن المنحرف اذا تنازل المجنى عليه أو وليه عن حقه ، ومساعدة من حكم عليه بدفع الدية على تدبيرها من أسرته وأقاربه أو من خلال التبرعات أو أموال الزكاة أو غيرها .

- بالنسبة للانحرافات التى أشار إليها الحديث النبوى السابق والتى توعد الله المجتمعات التى تقع فيها ، فإن على الأخصائى الاجتماعى أن يكون يقظا لوقوع مثل هذه الانحرافات .

- يستخدم الأخصائى الاجتماعى الترهيب مع العملاء الذين يلمس فيها إصرارا على العودة إلى الانحراف بتذكيرهم بعقاب الله سبحانه وتوعده لمن يخرج عن

صراطه المستقيم ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تبين ذلك كثيرة ويمكن الرجوع إليها بسهولة فى كتب الترغيب والترهيب ، ولايسمح المجال بعرضها نظرا لكثرتها .

القواعد التي يجب مراعاتها عند العمل مع المنحرفين :

يتطلب الأخذ بالمنظور الإسلامى في العمل مع المنحرفين الالتزام بمجموعة من القواعد التى يجب على من يعمل فى هذا المجال الالتزام بها ونلخصها فيما يلى :

١ - الايمان بقابلية سلوك الإنسان للتعديل :

يقر الإسلام بقابلية سلوك الإنسان للتعديل [٨٣] ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وما التوبة إلاّ تعديل فى سلوك الإنسان ، ولو لم يكن سلوك الناس قابلا للتعديل لما أرسل الله سبحانه الرسل لهداية الناس ، ويعتبر إيمان الأخصائى الاجتماعى بصدق هذه المقولة منطلق لاغنى عنه لادائه لعمله فى هذا المجال على الوجه الأكمل ذلك لأن وجوده يوفر القناعة بجدوى مايبذله الأخصائى الاجتماعى من جهد لتعديل سلوك عملائه .

٢ - مراعاة الفروق الفردية :

يقر الإسلام بالفروق الفردية بين الناس فى الخلق والرزق والسلوك ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) (سورة الليل ، الآية ٤) .

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) (سورة الزخرف ، الآية ٣٢) .

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ (سورة النحل ، الآية ٧١) .

وفى هذا المعنى يقول الإمام الغزالى : إن شأن من يعالج الإنحراف شأن الطبيب الذى لايمكن أن يعالج كل المرضى بدواء واحد ولكن لابد من معالجة كل مريض مما يناسبه [٨٤] .

٣ - التدرج فى استخدام أساليب العلاج :

يقول الله سبحانه :

.. وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً (٣٤) (سورة النساء ، الآية ٣٤)

فقد أمر الله سبحانه بالوعظ أولا ، ثم الهجر فى المضاجع ثانيا ، ثم الضرب ثالثا ، فالتدرج واضح حيث نبدأ باستخدام الأساليب الأرفق ، فإذا أفلحت في إعادة المنحرف إلى الصراط المستقيم فقد تحقق الهدف ، وإذا لم تفلح يكون اللجوء إلى الأساليب الأشد [٨٥].

٤ – التزام الأخصائى الاجتماعى بالسلوك الإسلامى :

من غير المتصور أن يحاول الأخصائى الاجتماعى إعادة المنحرف إلى صراط الله المستقيم فى الوقت الذى لايكون هو سائرا عليه فلا يقبل الأمر بالمعروف ممن لايأتمر به ولايقبل النهى عن المنكر ممن لاينتهى عنه وفى ذلك قول الله سبحانه :

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم وَأَنتُم تَتْلُونَ الْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) (سورة البقرة ، الآية ٤٤) .

٥ – التطبيق المتكامل :

لابد من التطبيق المتكامل لأساليب الشريعة الإسلامية فى محاربة الانحراف حتى تؤتى ثمارها كاملة ، فلا يصلح تطبيق بعضها دون البعض الآخر ، وذلك نظرا للتساند القوى بين هذه الأساليب ، وفى ذلك يقول الله سبحانه :

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)

(سورة البقرة الآية ، ٨٥) .

قائمة المراجع

(١) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبدالعليم البردونى ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٣ ، الجزء الأول ، ص ١٦٣.

(٢) أخرجه مسلم عن عياض .

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة .

(٤) ابن أبى العز الحنفى ، شرح العقيدة الطحاوية ، بيروت ، المكتب الإسلامى ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م . ص ص ١٦٥ - ١٦٨.

(٥) محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية ، الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٨.

(٧) المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، إسلامية المعرفة ، واشنطون ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ص ٨٠ - ٨١.

(٨) فاروق الدسوقى ، مقومات المجتمع المسلم ، الرياض ، مكتبة فرقد الخانى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ص ٩٥ - ٩٦ .

(٩) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث ص ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(١٠) فاروق الدسوقي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

(١١) ابن منظور ، لسان العرب بيروت ، دار لسان العرب ، د.ت ، ٦١٠ - ٦١١.

(١٢) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث عشر ، ص١٤٢.

(١٣) ابن تيمية ، إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق وتعليق ناصر عبدالكريم العقل ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ المجلد الأول ، ص ٧٩ .

(١٤) ابن قيم الجوزية « مدارج السالكين » هذبه عبدالمنعم صالح العلى العربى ، دولة الإمارات العربية ، وزارة العدل والشئون الإسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة ، ١٤٠٢هـ ، ص ٢٧.

(١٥) أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، فتح البارى لشرح صحيح البخارى تحقيق عبدالعزيز بن باز ، الرياض ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الجزء الحادي عشر ، ص ص ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(١٦) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(١٧) ابو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء ١٢ ، ص ١٤٢.

(١٨) أبو جعفر الطحاوى ، متن العقيدة الطحاوية ، الرياض ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، د.ت ، ص ٣ ، ٤ .

(١٩) أخرجه البخارى عن ابن عمر .

(٢٠) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٢١) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٢٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٢٣) متفق عليه عن أبى هريرة .

(٢٤) أخرجه الطبرى عن أبى هريرة .

(٢٥) متفق عليه عن أبى بكر الصديق .

(٢٦) متفق عليه عن أبى هريرة .

أخرجه أحمد والحاكم والبيهقى عن عبدالرحمن بن شبل .

(٢٧) أخرجه الترمذى عن ابن عمر .

(٢٨) أخرجه أحمد وأبوداود عن عياض .

(٢٩) أخرجه النسائى والحاكم بن عبدالله بن عمرو .

(٣٠) أبوحامد الغزالى ، أحياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، د.ت، الجزء الثالث ، ص ص ١١٢ - ١٦٣.

(٣١) أبو حامد الغزالى ، مرجع سابق ذكره ، الجزء الثالث ، ص ص ٣٤٠ - ٤٣٩ .

(٣٢) أخرجه الطبرانى عن عائشة .

(٣٣) أخرجه الطبرانى عن ابن عباس .

(٣٤) أخرجه الطبرانى عن حارثه بن النعمان .

(٣٥) أخرجه أبوداود عن أبى هريرة .

(٣٦) أبو حامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثالث ، ص ص ١٥٠ – ١٥١.

(٣٧) أخرجه الطبرانى والحاكم عن معاذ بن جبل .

(٣٨) أخرجه البخاري عن عائشة .

(٣٩) كمال ابراهيم مرسى ، علاقة الانحرافات النفسية الباطنة بالصحة النفسية والجسمية ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى لعلم النفس الحديث ، المعهد العالمى الفكر الإسلامى ، القاهرة ٢٤ – ١٩٨٩/٧/٢٦ ، ص ٧ .

(٤٠) عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، بيروت ، دار الكاتب العربى ، د. ت ، الجزء الأول ، ص ص ٧٨ – ٨٠ .

(٤١) أخرجه البخارى عن عائشة .

(٤٢) محمد سليم العو ، فى أصول النظام الجنائي الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة دار المعارف ، ١٩٧٩م ، ص ص ٢٤١ – ٢٥٠.

(٤٣) محمد أبوزهرة ، الجريمة والعقاب فى الفقة الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر العربى ، ١٩٧٦م ، الجزء الاول ، ص ص ١٣٣ – ١٣٥ .

(٤٤) أخرجه البخارى عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

(٤٥) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٤٦) للمزيد من التفاصيل راجع شمس الدين الذهبى ، كتاب الكبائر ، القاهرة ، مكتبة دار الفكر ، د.ت .

(٤٧) عبدالقادر عودة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٥ – ٢٧ .

(٤٨) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، مجلد ١٨ ، ص ص ١٣٩ – ١٤٠.

(٤٩) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٥٠) الأحاديث القدسية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ص ٦٥ – ٦٦ .

(٥١) أبوحامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الثالث ، ص ص ١٢ ، ١٣ .

(٥٢) أخرجه أحمد والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى .

(٥٣) متفق عليه عن أبى هريرة .

(٥٤) أخرجه ابن ماجه عن عمران ابن حصين .

(٥٥) صالح بن ابراهيم الصنيع ، العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعه الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الإجتماعية ، قسم علم النفس ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ص ٣٦٨ - ٥٠٦ .

(٥٦) متفق عليه عن أبى هريرة .

(٥٧) محمد عبدالله عرفة ، الأسرة المسلمة ، والوقاية من الانحراف ، بحث ضمن اعمال ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث ، الرياض ، المركز العربى للدراسات الأمنية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، ص ص ٦١ - ٩٧.

(٥٨) متفق عليه عن أبى هريرة .

(٥٩) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة .

(٦٠) أخرجه البخارى عن أبى هريرة .

(٦١) محمد عبدالله عرفة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٨٤ - ٩٣ .

(٦٢) أبوحامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، الجزء الثانى ، ص ٤٣ .

(٦٣) أخرجه البخارى والترمذى عن سهل الساعدى .

(٦٤) عزمى صالح ، الرغاية الاجتماعيه لليتامى فى الإسلام ، القاهرة مكتبة وهبة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ص ٢٢ - ٣٥ .

(٦٥) المرجع السابق ، ص ص ٣٥ - ٤١ .

(٦٦) مناع خليل القطان ، التربية الإسلامية والوقاية من انحراف الأحداث بحث ضمن أعمال ندوة معالجة الشريعة الإسلامية لمشاكل انحراف الأحداث ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ١١٤ - ١١٦ .

(٦٧) أخرجه البخارى عن انس .

(٦٨) أخرجه احمد والطبرانى والترمذى والحاكم عن أبى أمامه .

(٦٩) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ..

(٧٠) أخرجه ابن ماجه عن ابن مسعود .

(٧١) متفق عليه عن أبى هريرة ..

(٧٢) أخرجه أبوداود عن عائشة .

(٧٣) أبوحامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الرابع ، ص ٦٣ .

(٧٤) المرجع السابق ، المجلد الرابع ، ص ص ٧٠ ، ٧٢ .

(٧٥) محمد المنجى الحنبلى ، تسلية اهل المصائب ، مدشق ، دار الرشيد الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م ، ص ١٩٨٨.

(٧٦) أبو عبدالله الأنصارى القرطبى ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الأول ، ص ٤٤٤.

(٧٧) زاهر عواض الألمعى ، مناهج الجدل فى القرآن الكريم ، الرياض مطابع الفرزدق، د.ت ،. ص ٢٠.

(٧٨) المرجع السابق ، ص ص ٤٣١ - ٤٣٧

(٧٩) أخرجه مسلم عن عائشة .

(٨٠) أحمد بن تيميه ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميه ، مرجع سبق ذكره، المجلد الخامس عشر ، ص ٢٩٠ .

(٨١) أخرجه ابن ماجه والبزاز والبيهقى عن ابن عمر .

(٨٢) محمد أبوزهرة ، نظرة إلى العقوبة فى الإسلام ، التوجيه التشريعى فى الإسلام، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامى ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م . ص ص ٣٥ - ٣٧ .

(٨٣) محمد محروس الشناوى - الإرشاد النفسى من منظور إسلامى ، بحث مقدم إلى ندوة التأصيل الإسلامى لعلم النفس الحديث ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، القاهرة ، ٢٤ - ١٩٨٩/٧/٢٦ ، ص ٣٩.

(٨٤) أبوحامد الغزالى ، مرجع سبق ذكره ، المجلد الثالث ، ص ٦١ .

(٨٥) محمد محروس الشناوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٢ .

إصدارات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

أولاً - سلسلة إسلامية المعرفة :

- إسلامية المعرفة : المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الوجيز فى إسلامية المعرفة : المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق العمل لمؤتمرات الفكر الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. أعيد طبعه فى المغرب والأردن والجزائر. (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).
- نحو نظام نقدى عادل، للدكتور محمد عمر شابرا، ترجمة عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصرى، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- نحو علم الإنسان الإسلامى، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد الغنى خلف الله، الطبعة الأولى، (دار البشير / عمان الأردن) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- منظمة المؤتمر الإسلامى، للدكتور عبد الله الأحسن، ترجمة عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- تراثنا الفكرى، للشيخ محمد الغزالى، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- مدخل إلى إسلامية المعرفة : مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- إصلاح الفكر الإسلامى، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ثانياً - سلسلة إسلامية الثقافة :

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) الدار العالمية للكتاب الإسلامى / الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوى (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ثالثاً - سلسلة قضايا الفكر الإسلامى :

- حجية السنة، للشيخ عبد الغنى عبد الخالق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، (الطبعة الثانية ستصدر قريباً).

- أدب الاختلاف فى الإسلام، للدكتور طه جابر العلوانى، (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية - بقطر)، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوى، الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالى أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

رابعاً - سلسلة المنهجية الإسلامية :

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية : أعمال المؤتمر العالمى الرابع للفكر الإسلامى، الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
الجزء الثانى : منهجية العلوم الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
الجزء الثالث : منهجية العلوم التربوية والنفسية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- معالم المنهج الإسلامى، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

خامساً - سلسلة أبحاث علمية:

- أصول الفقه الإسلامى : منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدرى، الطبعة الأولى (دار الوفاء - القاهرة، مصر)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

سادساً - سلسلة المحاضرات :

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سابعاً - سلسلة رسائل إسلامية المعرفة :

- خواطر فى الأزمة الفكرية والمأزق الحضارى للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلوانى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- نظام الإسلام العقائدى فى العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأسس الإسلامية للعلم، (مترجماً عن الانجليزية)، للدكتور محمد معين صديقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- قضية المنهجية فى الفكر الإسلامى، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ثامناً - سلسلة الرسائل الجامعية :

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبى، للأستاذ أحمد الريسونى، الطبعة الأولى، دار الأمان - المغرب، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، الدار العالمية للكتاب الإسلامى - الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الخطاب العربى المعاصر: قراءة نقدية فى مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨-١٩٨٧)، للأستاذ فادى إسماعيل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة فى ضوء المنظور الحضارى الإسلامى، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

تاسعاً - سلسلة الأدلة والكشافات :

- الكشاف الاقتصادى لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الفكر التربوى الإسلامى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الكشاف الموضوعى لأحاديث صحيح البخارى، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- قائمة مختارة حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة، للأستاذ محى الدين عطية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الموزعون المعتمدون لمنشورات المعهد العالمى للفكر الإسلامى

في شمال أمريكا :

المكتب العربي المتحد
United Arab Bureau
P.O Box 4059
Alexandria, VA 22303, U.S.A.
Tel: (703) 329-6333
Fax: (703) 329-8052

خدمات الكتاب الإسلامى
Islamic Book Service
10900 W. Washington St.
Indianapolis, IN 46231 U.A.S.
Tel: (317) 839-9248
Fax: (317) 839-2511

في أوربا :

المؤسسة الإسلامية
The Islamic Foundation
Markfield Da'wah Centre, Ruby Lane
Markfield, LeicesteLE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944 / 45
Fax: (44-530) 244-946

خدمات الإعلام الإسلامى
Muslim Information Services
233 Seven Sister Rd.
London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272-5170
Fax: (44-71) 272-3214

المملكة العربية السعودية :

الدار العالمية للكتاب الإسلامى
ص.ب : ٥٥١٩٥ الرياض : ١١٥٣٤
تليفون: (966) 1-465-0818
فاكس: (966) 1-463-3489

المملكة الأردنية الهاشمية :

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
ص.ب : ٩٤٨٩ - عمان
تليفون: (962) 6-639992
فاكس: (962) 6-611420

لبنان :

المكتب العربي المتحد
ص.ب: 135888 بيروت
تليفون: 807779
تيلكس: 21665 LE

المغرب :

دار الأمان للنشر والتوزيع
4 زنقة المأمونية
الرباط
تليفون: (212-7) 723276

مصر :

النهار للطبع والنشر والتوزيع
٧ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة
تليفون: (202) 3913688
فاكس: (202) 340-9520

الهند :

Genuine Publications & Meia (Pvt.) Ltd.
P.O. Box 9725 Jamia Nager
New Delhi 100 025 India
Tel: (91-11) 630-989
Fax: (91-11) 684-1104

المَعهَد العَالَميّ لِلفِكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والفكريّة المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتاب

يضم ستة عشر بحثا قدمت إلى *ندوة الخدمة الاجتماعية فى الإسلام* ، التى عقدت بالقاهرة فى الفترة من ١١ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ . وقد دارت موضوعات هذه البحوث حول محورين *الأول* بعنوان : التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية ، وضم ثمانية بحوث تناولت الموضوعات التالية :

- أزمة المنهج فى العلوم الاجتماعية .
- مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية .
- المنظور الإسلامى للطبيعة الإنسانية .
- المبادئ الأساسية للخدمة الاجتماعية الإسلامية .
- الرعاية الاجتماعية فى الإسلام .
- الخدمة الاجتماعية وبناء النماذج : شخصية الطفل المسلم .
- نحو مكنز إسلامى للخدمة الاجتماعية .
- مدخل جديد فى علم الترويح .

والمحور *الثانى* بعنوان : مجالات الخدمة الاجتماعية فى المنظور الإسلامى ، وضم ثمانية بحوث تناولت الموضوعات التالية :

- المنظور الإسلامى لتفسير المشكلات الفردية .
- العلاج الإسلامى للحالات الفردية .
- الإنسان وعلاقته بالبيئة .
- الخدمة الاجتماعية فى مجال الدعوة الإسلامية .
- رعاية الطفل إسلامياً .
- تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتنقى الإسلام حديثاً .
- المعاونة المهنية من الخدمة الاجتماعية لإحدى مؤسسات العمل .
- دور الخدمة الاجتماعية فى العمل مع المنحرفين .